

اتحاف السادة المنقذين بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأتابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه
فتتبعاً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة
بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الأحياء للأستاذ الفاضل
العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس بأعلوي
قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الأحياء
تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على
بعض مواضع من الأحياء وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن
الأحياء بآخره وفصل بينها مجلية .

المجلد التاسع

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسسة التلايح العربي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر الجدة الذي جعل الجدة مفتاحا
لذكره * ومصباحا يهتدى به من وفق لشكره * وسببا للمزيد من فضله ونعمته * ودليلا على آلائه
وعظمته * أحده على ما أخذ وأعطى * وعلى ما أبلى وأبلى * الباطن لكل خفيه * الحاضر لكل
سريه * العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون * وتخفي الظنون * وأسأله الصبر على بلوائه
والشكر على نعمائه * وأشهد أن لا إله الا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه * ولا
محمود تكوينه شهادة من صدقت نيته * وصفت دخلته * وخلص يقينه * ونقلت موازينه * وأشهد
أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفه وخليله ونجيه وحبيبه * وبعينه ونجيبه المختار من
خلائقه * والمفتاح لشرح حقائقه * والمختص بفضائل كراماته والصافي لأكرام رسالاته شهادة توافق
فيها السر الاعلان * والقلب اللسان * صلى الله عليه وعلى آله الانجم الهداة * وأصحابه السادة
الكرام النقات * وسلم تسليما كثيرا * (أما بعد) * فهذا شرح (كتاب الصبر والشكر) وهو
الثاني من الربع الرابع والثاني والثلاثون من كتب الاحياء للامام الهمام حجة الاسلام علم الأئمة
الاعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره وضاعف بره * ونفع بأسرار علومه ومتع
أبصار العارفين في رياض معارفه وفهمه سلكه فيه منهاج الايضاح والبيان * والافصح والبيان
لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان * وضبط قواعد فوائده المهدية المؤسسة الاركان * مع كشف
العويصات * وتنبه الى الاشارات * وعزوا الاخبار الى الرواة * والآثار الى الوعاة وتوجيه الاقوال عن
الثقات * متجنبين الاعتساف والتطويل * ما تلاعن تكثر القول والقليل * متوكلا على المولى المنعم الجليل
في التيسير والتسهيل * سائلين ان ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه * وان يبلغنا من فضله واحسانه

(كتاب الصبر والشكر)
وهو الكتاب الثاني من
ربع المختص من كتب
احياء علوم الدين *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله أهل الحمد والثناء
المتفرد برداء الكبرياء
المتوحد بصفات الحمد والعلاء
المؤيد صفوة الاولياء بقوة
الصبر على السراء والضراء
والشكر على البلاء والنعماء
والصلاة على محمد سيد
الانبياء وعلى أصحابه سادة
الاصفياء وعلى آله قادة
البررة الاتقياء صلاة
محروسة بالدوام عن الفناء
ومصونة بالتعاقب عن
التصرم والانقضاء (أما
بعد) فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف
شكر كما وردت به الآثار
وشهدت له الاخبار وهما
أيضا وصفان من أوصاف
الله تعالى واسمان من
أسمائه الحسنى اذ سمي نفسه
صبوراً وشكوراً فالجهل
بحقيقة الصبر والشكر
جهل بكلا شطري الايمان
ثم هو غفلة عن وصفين من
أوصاف الرحمن ولا سبيل
الى الوصول الى القرب من
الله تعالى الا بالايمان وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان
دون معرفة ما به الايمان
ومن به الايمان والتقاعد
عن معرفة الصبر والشكر
تقاعد عن معرفته من به
الايمان وعن ادراك ما به
الايمان فما أحوج كلا
الشطرين الى الايضاح
والبيان ونحن نوضح كلا
الشطرين في كتاب واحد
لارتباط أحدهما بالآخر
ان شاء الله تعالى

* (الشرط الاول) في الصبر

مانوئله وترجيحه * انه ولي ذلك والقادر عليه لاله الا هو عليه توكلت واليه أنيب * قال رحمه الله تعالى
(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء) أصل الثناء من الشئ وهو العطف ومنه الائتان
لعطف أحدهما على الآخر والثناء لعطف المناقب في المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة
بينهما في أول كتاب العلم ومعنى كونه أهلاً لهما أي مستحقاً لهما الكمال في ذاته وصفاته فلا يليق بهما
ولا يستحقهما الا هو جل ذكره وثناؤه (المتفرد) وفي نسخة المتفرد (برداء الكبرياء) أي العظمة والجلال
وفيه تلميح الى الحديث القدسي قال الله تعالى الكبرياء رداً وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم
الكبر والعجب وسبق الكلام على الانفراد والتفرد في كتاب قواعد العقائد (المتوحد بصفات الحمد
والعلاء) الحمد السعة في الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أي هو تعالى مختص بتلك
الصفات فلا يشاركه فيها أحد (المؤيد صفوة الاولياء) أي خاصتهم (بقوة الصبر على السراء والضراء
والشكر على البلاء والنعماء) والسراء والضراء حالتا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى
الاختبار والامتحان واختيار الله تعالى لعباده تارة بالمسار لبشكره وتارة بالمضار لصبره وافصار المنحة
والمنحة بلاء فالمنحة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحق الصبر أي سمر من القيام بحق
الشكر فصار من المنحة أعظم البلاءين (والصلاة على) سيدنا (محمد سيد الانبياء) أي رئيسهم وزعيمهم
وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالاخبار الصحيحة (وعلى أصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء
صلاة محروسة بالدوام عن الفناء) أي تدوم أبداً لا يباد فلا تنفني (ومصونة) أي محفوظة (بالتعاقب)
أي التوالي والتكرار (عن التصرم والانقضاء) أي الانقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام
تقدم البحث فيه في أول كتاب العلم (أما بعد فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به
الآثار وشهدت له الاخبار) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن
أنس ويزيد ضعيف اه قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب ولكن بلفظ نصف في الصبر ونصف في
الشكر (وهما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى اذ سمي نفسه صبوراً
وشكوراً) فالصبر هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة الى الفعل قبل أوانه بل ينزل الامور بقدر
معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكامل ولا يقدمها على أوقاتها
تقديم مستعجل بل يودع كل شئ في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي وكل ذلك في غير مقاساة
داع على مضادة الارادة والشكور هو الذي يجازي بيسر الطاعات كثير الدرجات ويعطي بالعمل في أيام
معدودة نعيماً في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنه باضعافها يقال انه شكور بتلك الحسنه ومن
اثني على المحسن أيضا فيقال انه شكور فان نظرت الى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق
الا هو سبحانه لان زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة وان نظرت الى معنى الثنا فثنا كل مثن على
فعل غيره والرب تعالى اذا اثني على أعمال عباده فقد اثني على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه وان
كان الذي أعطى فإثني شكوراً فالذي أعطى واثني على المعطى أحق بان يكون شكوراً فثنا الله على
عباده عطية منه (فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الايمان ثم هو غفلة عن) معرفة
(وصفين من أوصاف الرحمن) جل وعز (ولا سبيل الى القرب من الله تعالى الا بالايمان) به (وكيف
يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة ما به الايمان) وهو الصبر والشكر (ومن به الايمان) وهو
الصبر والشكر (والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الايمان وعن ادراك ما به
الايمان فما أحوج كلا الشطرين الى الايضاح والبيان ونحن) بحمد الله تعالى (نوضح كلا الشطرين في
كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر ان شاء الله تعالى) أي فلم يفرد لكل واحد منهما كتابا كما فعله غيره
من المتكلمين على مقامات اليقين

* (الشرط الاول في الصبر) *

وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أساميته باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان (٤) الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل

على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى

(بيان فضيلة الصبر)

قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واذضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة فقال عز من قائل وجعلناهم من أئمة يهدون بامرنا الماصرين وقال تعالى وتمت كلمتك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يؤفى الصابرون أجرهم بغير حساب فاما من قرىبه الا وأجرها ببقدر وحساب الا الصبر (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لي وأنا آخري به) رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا آخري به الحديث وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لي الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم (فأضافه الى نفسه) انشر يفاله (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعدا الصابرين بانه معهم) أى أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار من الله تعالى انه معهم ومن كان معه الله غاب بكن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعوان والله معكم (و) * النوع السابع (علق النصرة) والمدد بجنده (على الصبر) فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وياأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فاشتراط الصبر والتقوى لامتداده بجنده ونصره وتأيدده وفي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور ثلاثة) لم يجمعها غيرهم (وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى) (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التذلل (واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الأنواع التي سبق الوعد بها * فن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثله في سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبروا واصبروا وقوله واصبروا واصبروا * النوع العاشر النهي عن ضده كقوله

وهو المقام الثاني من مقامات اليقين (وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اختلاف أساميته باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة الى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده ان شاء الله تعالى)

(بيان فضيلة الصبر)

من الكتاب والسنة اعلم انه (قد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف) جليلة (وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا) وعن الامام أحمد انه ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعا بتقديم التاء على السين نقله صاحب القاموس في البصائر وهو مقام شريف انى الله عليه في كتابه (وأضاف أكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها) أى تلك الدرجات والخيرات (ثمرة له) ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعا * الاول انه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين وان بالصبر واليقين ينال الامانة في الدين (فقال عز من قائل وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا الماصرين) وكانوا بابائنا وقوتنا قال ابن عيينة في هذه الآية أخذوا برأس الامر فجعلهم الله رؤساء * النوع الثاني انه تمم عليهم كلمة الحسنى في الدين (و) منه (تمت كلمتك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) * النوع الثالث ايجاب الجزاء لهم باحسن أعمالهم (و) منه (قال) تعالى (وليجزين الذين صبروا وأجرهم بأحسن مما كانوا يعملون) * النوع الرابع مضاعفة أجرهم على كل عمل (و) منه (قال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) * النوع الخامس رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلائهم بانه ولاحد (و) منه (قال تعالى انما يؤفى الصابرون أجرهم بغير حساب فاما من قرىبه الا وأجرها ببقدر وحساب الا الصبر) فقد أوجب الجزاء للمعتصِف به بغير حساب وحدود ذلك على انه من أفضل المقامات (ولاجل كون الصوم من الصبر فانه نصف الصبر) رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ الصيام نصف الصبر (قال الله تعالى الصوم لي وأنا آخري به) رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وأنا آخري به الحديث وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ هو له الا الصوم هو لي الحديث وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم (فأضافه الى نفسه) انشر يفاله (من بين سائر العبادات) * النوع السادس (وعدا الصابرين بانه معهم) أى أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأيدهم ليست معية عامة أعنى معية العلم والاحاطة (فقال واصبروا ان الله مع الصابرين) فهذا اخبار من الله تعالى انه معهم ومن كان معه الله غاب بكن كان معه عدة وهذا كما قال وانتم الاعوان والله معكم (و) * النوع السابع (علق النصرة) والمدد بجنده (على الصبر) فقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وياأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) فاشتراط الصبر والتقوى لامتداده بجنده ونصره وتأيدده وفي الحديث النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعا (و) * النوع الثامن (جمع للصابرين بين أمور ثلاثة) لم يجمعها غيرهم (وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى) (فقال) تعالى (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين) وهذا من باب التذلل (واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول) ولكن نذكر بقية الأنواع التي سبق الوعد بها * فن ذلك وهو النوع التاسع الامر به وقد تقدم مثله في سياق المصنف وهو قوله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين وكقوله تعالى استعينوا بالصبر والصلاة وقوله واصبروا واصبروا وقوله واصبروا واصبروا * النوع العاشر النهي عن ضده كقوله

تعالى

وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها غيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول

تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقوله لا تقول لهم الادبار فان تولية الادبار ترك الصبر والمصابة * النوع الحادى عشر الثناء على أهله كقوله تعالى الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وقوله والصابرين فى البأساء والضراء وخين الباس وأولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ونظائره كثيرة * النوع الثانى عشر ايجاب محبته لهم كقوله تعالى والله يحب الصابرين * النوع الثالث عشر اخباره بان الصبر خير لهم كقوله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وكقوله وان تصبروا فهو خير لكم * النوع الرابع عشر اطلاق البشرى لاهل الصبر كقوله تعالى وبشر الصابرين * النوع الخامس عشر الاخبار بان أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى ولئن صبرتم وغفر ان ذلك لمن عزم الامور * النوع السادس عشر الاخبار بانه ما يلقى الاعمال الصالحة جزاها الا أهل الصبر كقوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون وقوله وما يلقاها الا الذين صبروا * النوع السابع عشر الاخبار بان الفوز بالطلب والنجاة من المارهب ودخول الجنة انما آتوا به بالصبر كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (وأما الاخبار) الواردة فى فضيلة الصبر (فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان) رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود بزيادة واليقين الايمان كله وقد تقدم (على ما سأتى وجه كونه نصفاً) وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم كذا فى النسخ وفى القوت ان أقل ما أوتيتم (اليقين وعزيمة الصبر) من أعطى حظه منهم لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولا تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتخ الدنيا عليكم بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا والآية) تقدم هذا الحديث فى كتاب العلم مختصراً وذكر العراقى انه لم يجده هكذا بطوله وهو هكذا فى القوت وعزاه الى أبى امامة الباهلى من رواية شهر بن حوشب عنه وسأتى بتماه فى آخر كتاب الزهد فى الفصول التى نلقتها بختامته (وروى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (انه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان) ماهو (فقال) هو (الصبر والسماحة) قال صاحب القاموس وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوجه لمقامات الايمان من أولها الى آخرها فان النفس يرادها شيطان بذل ما أمرت به واعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهى عنه والبعد عنه فالحامل عليه الصبر اه وقد سبقه البيهقى بهذا فقال يعنى بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمع بأداء ما افترض عليه انتهى وتبعهما امام الطائفة الحسن البصرى فقال يعنى الصبر عن المعصية والسماحة على اداء الفرائض قال العراقى رواه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده اه قلت وذكر صاحب القوت انه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وقوله فى يوسف انه ضعيف هو قول النسائى وروى الذهبي عنه انه قال فيه انه متروك ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر وأما حديث عبيد بن عمير عن أبيه وهو غير بن واقد اللبثى له حجة فاخرجه البخارى فى التاريخ باللفظ أفضل الايمان الصبر والسماحة ورواه الديلمى هكذا فى مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار وعزاه صاحب القاموس الى كتاب الادب المفرد للبخارى باللفظ المصنف (وقال) صلى الله عليه وسلم (الصبر كنز من كنوز الجنة) قال العراقى غريب لم أجده اه قلت وبما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور والخطيب من حديث على رضى الله عنه أنه أربعة من كنز الجنة اخفاء الصدقة وكنمان المصيبة وصلة الرحم وقول لاحول ولا قوة الا بالله وهذا لان كنمان المصيبة من جملة الصبر ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بدل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصرى الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله

وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان على ما سأتى وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهم لم يبال ما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولا تصبروا على ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكنى أخاف أن تفتخ عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكل ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا وآية وروى جابر انه سئل صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضاً الصبر كنز من كنوز الجنة

الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكنوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرضاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كبير وقال المسيح عليه السلام أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأنبياء في هذا الانحصى (وأما الآثار) فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري عليه السلام بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصائب حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر

الالعبد كريم عنده (وسئل) صلى الله عليه وسلم (مرة ما الإيمان فقال الصبر) أي بجميع أنواعه الآتي ذكرها فها تهم مراتب الإيمان وقد أحاله العراقي على حديث علي الآتي ذكره للمصنف في الآثار ولفظه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا يخفى أنهم جاحدون بأن متغيران فتأمل (وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة) وقد تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج أي معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الإيمان (وقال أيضا) صلى الله عليه وسلم (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس) هكذا هو في القوت واستطرد ذكره في كتاب التوبة فقال ثم على التائب أن يعمل في قطع معتاد أن كان ثم يصبر على مجاهدة النفس في الهوى أن يلبى به ثم قال فهذه الخصال من أفضل أعمال المرادين وأزكاها ومعها تلهم النفس المطمئنة رشدًا وتقواها وهي تخرج من وصف الامارة بالسوء إلى وصف المطمئنة إلى اخلاق الإيمان وهذا أحد المعاني في الخبر المشهور أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار إجبار النفس على خلاف الهوى على وفاق الحق لأن محبة الحق من أفضل الأعمال اه وقال العراقي لأصل له مرفوعا وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام) يا داود (تخلق باخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور) نقله صاحب الرسالة والتخلق باخلاقي الله تعالى والتخلي بمعاني صفاته وإيمانه بقدر ما يتصور في حقه ليصير بذلك ربا يبار فيه بما للملائكة الأعلى من الملائكة على بساط القرب وسما في الكلام على ذلك (وفي حديث عطاء) بن أبي رباح التابعي المسكن الثقة (عن ابن عباس) رضي الله عنه قال (لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكنوا فقال عمر) بن الخطاب رضي الله عنه وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم أو كان جالسا معهم إذ ذلك فاجاب نبأه عنهم وقال (نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرضاء) أي الرخصة والسعة (ونصبر على البلاء) أي الاختبار والشدة (ونرضى بالقضاء) فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون أنتم ورب الكعبة) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من رواية يوسف ابن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء اه (وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كبير) ولفظ القوت أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال المسيح عليه السلام أنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون) ولفظ القوت إلا بالصبر (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين) قال العراقي رواه الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي اه قلت ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريق صحيح بن دينار البلدي عن المعاني بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعاني (والاخبار في هذا) الباب (بما لا تحصى) لكثرة ما ومن ذلك ما رواه الديلمي بلا إسناد من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه ما الصبر مفتاح الفرج والزهد غني الأبدي القضا من حديث ابن عمر وابن عباس انتظام الفرج بالصبر عبادة وروى الطبراني في الكبير من حديث الحكم بن عمار التميمي الصبر والاحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحب الجنة بغير حساب (وأما الآثار) في الصبر (فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري) رضي الله عنه أرسلها إليه حين كان واليا بالبصرة (عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصائب حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر) رواه إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن والده أدريس بن عبد الله عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه وكان أبو موسى قد

أوصى إلى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها إليه (وقال على رضي الله عنه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل) ولفظ القوت وقد جعل على رضي الله عنه الصبر ركنا من أركان الإيمان وقربه بالجهد والعدل والايقان فقال بني الإيمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهد والعدل اه قلت وقد روي ذلك من حديث على مرفوعا قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن السدي حدثنا الحسن بن علوية القطان حدثنا معمر بن عيسى العطار حدثنا اسحق بن بشر حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاص بن عمر وقال كحلوسا عند علي بن أبي طالب اذا تاه رجل من خراطة فقال بأمر المؤمنين هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفث الاسلام قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بني الاسلام على أربعة أركان على الصبر واليقين والجهد والعدل الحديث وهو طويل وقد تقدم بعضه في كتاب التوبة ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاص بن عمر ومرفوعا وخالف الرواة عن علي فقال الاسلام ورواه الاصمعي بن نباتة عن علي فقال الإيمان ورواه الحرث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله اه قلت ولفظ الإيمان موقوفا رواه صاحب نهج البلاغة (وقال) على رضي الله عنه (أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له) كذا في القوت ولكن بلفظ إنما الصبر من الإيمان وهكذا رواه البيهقي في الشعب باسناده إليه قال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس مات الجسد ثم قال علي رافعا صوته اما انه لا إيمان لمن لا صبر له وروى صاحب نهج البلاغة قال علي رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم بها أباط الأبل لكنت لذلك أهلا لا رجوت أحد منكم إلا ربه ولا تخافن الأذنبة ولا يستحيين أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحيين أحد اذا لم يتعلم الشيء أن يتعلم وعليكم بالصبر فان الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه انتهى وقد روي أوله مرفوعا من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف (وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول نعم العبدان) مثني العدل بكسر العين والدال المهملتين وهو الجل زنة ومعنى اذ كل منهم ما عدل للاسحق قال ابن فارس العدل الذي يعادل في الوزن والقدر وعدله بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه وفي المصباح عدل الشيء بالكسر مثله من جنسه ومقداره (ونعمت العلاء للصابرين يعني بالعدل الصلاة والرحمة وبالعلاء الهدى والعلاء) بالكسر (ما يحمل فوق العدلين على البعير) فيكون كعدل ثالث وفي المصباح ما يعلق على البعير بعد حمله مثل الاداة والسفرة والجمع علاوي (أشار إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) كذا في القوت وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وابن أبي الدنيا في الغزاة عن عمر بن الخطاب قال نعم العبدان ونعم العلاء الذين اذا أصابهم مصيبة قالوا الله وانا لله واجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون نعم العلاء (وكان حبيب بن أبي حبيب) البجلي أبو عمر والبصري نزيل الكوفة صدوق يخطئ روى له الترمذي (اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب) يعني داود عليه السلام (بكي وقال وأعجابه أعطى واثني أي هو المعطى للصبر وهو المثني عليه) والرب اذا أثني على أعمال عباده فقد أثني على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه (ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قال حدثنا بقية حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن رشد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل فأما من

وقال على كرم الله وجهه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهد والعدل وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العبدان ونعمت العلاء للصابرين يعني بالعدل الصلاة والرحمة وبالعلاء الهدى والعلاء ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وكان حبيب بن أبي حبيب اذا قرأ هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه آواب بكي وأعجابه أعطى واثني أي هو المعطى للصبر وهو المثني وقال أبو الدرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل وأما من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف
فلنذكر حقيقة ومعناه وبالله التوفيق (٨) (بيان حقيقة الصبر ومعناه) اعلم ان الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من

حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه اذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة
فلا تحصل قبل معرفة الموصوف) فلا بد من معرفة الموصوف الذي هو حقيقة الصبر (فلنذكر حقيقة
ومعناه وبالله التوفيق) * (بيان حقيقة الصبر ومعناه) *

(اعلم) هذا الله تعالى (ان الصبر مقام) شريف (من مقامات الدين) وهو ثاني مقام من مقامات اليقين
(ومنزل) منيف (من منازل السالكين) في طريق الحق لا يستغنى عنه سالك ألبتة الا رجل انسلخ
من غفلته الى حضرة ربه فان هذا المنزل لا يعرف ولا يدور حوله الى أن يرجع الى بشريته وانسانيته
(و جميع مقامات الدين انما تنظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال) وذلك لان المقامات كلها من
الايمان بالله وبالله كما دل عليه قوله تعالى فليس تحصيوا الى وليه ومنوا بي ولا يمان بالله وبالله عقود كثيرة لانهاية
لها على ما أشرنا اليه في أول كتاب التوبة وكل عقد من هذه العقود أصل ولذلك الأصل فرع والفرع ثمرة
(فالمعارف هي الاصول) الثابتة في القلوب بآمرها الله بهما من النظر والاعتبار (وهي ثمرات الاحوال)
أي ان تلك الاصول فروعات تنشأ عنها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها
وكمالها (والاحوال ثمرات الاعمال) أي ان لذلك الاحوال ثمارا هي الاعمال الناشئة عن أحوال القلوب وبها
النجاة والكمال فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وألله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد
والعمل هو ما تنشأ المواجيد على القلوب والجوارح من الاعمال (فالمعارف كالاشجار) فانها ثابتة في
القلوب ثبوت الاشجار في الارض (والاحوال كالاغصان) فانها متفرعة عن تلك المعارف تفرع الاغصان
عن الاشجار (والاعمال كالثمار) فانها تنشأ من تلك الاحوال تنشأ الثمار من الاغصان وقد بين ذلك
قوله تعالى ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية وتقدمت الاشارة اليه أول كتاب
التوبة (وهذا ما طرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى واسم الايمان تارة يختص بالمعارف) فقط
التي هي الاصول (وتارة يطلق على الكل) أي عليها مع ما ينشأ منها ويثمر منها (كإذ كرناه في اختلاف
اسم الايمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذا الصبر) من جملة عقود الايمان بالله وبالله (لا يتم الا بعد معرفة
سابقة وبحالة قائمة) تنشأ عن تلك المعرفة هي كالفرع لها (فالصبر على التحقيق عبارة عنهما) عن تلك المعرفة
والحالة (والعمل هو كالثمره يصدر عنها ولا يعرف هذا الا بعد معرفة كيفية الترتيب بين) الموجودات
(والملائكة والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس) أي مخصوص بنوع الانسان لتركبه من طرفي
مشابهة الملائكة والبهايم (فلا يتصور ذلك في البهايم والملائكة أما) عدم تصوّره (في البهايم فلنقصانها)
وتسفل درجتها في نفس الحياة التي بها شرفها لان الحى هو الدراك الفعال وفي ادراك الهيمه نقص وفي
فعلها نقص أما ادراكها فنقصانها انه مقصور على الحواس وادراك الحس قاصر لانه لا يدرك الاشياء
الاجماسة أو يقرب منها فالحس معزول عن الادراك ان لم يكن مماسة ولا قرب فان اللمس والنوق
يحتاجان الى المماسه والسمع والبصر والشم يحتاجون الى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب
فالحس معزول عن ادراكه في هذه الحالة وأما فعلها فسيأتي في سياق المصنف قريبا (وأما) عدم تصوّره
(في الملائكة فلنكاليها) وعلود درجتها (و بيان ان البهايم سلط عليها الشهوات وصارت مسخرة) أي
منقادة (لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن
مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا) وهو اشارة الى نقصانها في فعلها
(وأما الملائكة عليهم السلام فانهم جردوا للشوق الى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم
تسلط عليهم شهوة صارفة صادرة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن) مطالعة (حضرة الجلال بجند

منازل السالكين وجميع
مقامات الدين انما تنظم
من ثلاثة أمور معارف
وأحوال وأعمال فالمعارف
هي الاصول وهي ثمرات
الاحوال والاحوال ثمرات
الاعمال فالمعارف كالاشجار
والاحوال كالاغصان
والاعمال كالثمار وهذا
مطرد في جميع منازل
السالكين الى الله تعالى
واسم الايمان تارة يختص
بالمعارف وتارة يطلق على
الكل كإذ كرناه في اختلاف
اسم الايمان والاسلام في
كتاب قواعد العقائد وكذلك
الصبر لا يتم الا بعد معرفة سابقة
وبحالة قائمة فالصبر على
التحقيق عبارة عنها والعمل
هو كالثمره يصدر عنها ولا
يعرف هذا الا بعد معرفة كيفية
الترتيب بين الملائكة
والانس والبهايم فان الصبر
خاصية الانس ولا يتصور
ذلك في البهايم والملائكة أما
في البهايم فلنقصانها وأما
في الملائكة فلنكاليها وبيان
أن البهايم سلط عليها
الشهوات وصارت مسخرة
لها فلا باعث لها على
الحركة والسكون الا الشهوة
وليس فيها قوة تصادم
الشهوة وتردها عن مقتضاها
حتى يسمى ثبات تلك القوة
في مقابلة مقتضى الشهوة

آخر يغلب الصوارف وأما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبابة فاصمائل الهيمة لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة اذا صبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر فقام القتال بينهما المتضاد مقتضى بائنهما ولو مطالبهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي البهائم ولكن الله تعالى بفضل له وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة (٩) البلوغ ملكين أحدهما يهديه والاخر

يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصالح العواقب بل الى مقتضى شوائها في الحال فقط فلذلك لا تطالب الا بالذي هو الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرته على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في محاربه الشهوات فيجهادها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجند) باطنة (لم تروها) وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد والمعونة (كيان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الاعيان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك المهم للخير والشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله يسدده ويؤيده ويقويه

آخر يغلب الصوارف) ولتقدسها عن الشهوة كانت داعية للقرب الى الله تعالى (وأما الانسان) فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكانه مركب من هيمة وملكية (فانه خلق في ابتداء الصبي ناقصا مثل الهيمة) أي في الادراك اذ ليس له منه أولا الا الحواس التي يحتاج في الادراك بها الى طلب القرب في المحسوس بالسعي والحركة الى ان يشرق عليه نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والارض من غير الحاجة الى حركة بالبدن وطلب قرب أو محاسن المدرك له بل مدركه الامور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان (لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه) فهي مستولية عليه (ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة) وفي أثناء ذلك يظهر فيه شهوة الغضب وبحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون اتباعه (ثم شهوة النكاح على الترتيب) الى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى تلك الشهوات (وليس له قوة الصبر البتة اذا صبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما المتضاد مقتضى بائنهما ولو مطالبهما وليس في الصبي الاجند الهوى كافي البهائم) يدعو الى أفعال ملائمة لشهوته (ولكن الله تعالى بفضل وسعة جوده) وكرمه (أكرم بني آدم ورفع درجاتهم عن درجة البهائم) اذ قد خصهم بالكمال في الادراك وفي العقل (فوكل به) أي بكل واحد منهم (عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والاخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن رتبة) البهائم واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله (والثانية) معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصالح العواقب بل الى مقتضى شوائها في الحال فقط فلذلك لا تطالب الا بالذي هو الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطالبه ولا تعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة) يقال للامرغب بالكسر ومغبة أي عاقبة (ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرته على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في محاربه الشهوات فيجهادها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها) من أصلها (عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجند) باطنة (لم تروها) وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد والمعونة (كيان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعتبارها دينا) لتكون تلك القوة تبعث الى أمور الدين (ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى) لتكونها تبعث الى هوى النفس (وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال) أي متوال لا ينقطع (ومعركة هذا القتال) أي ميدانه ومحله (قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله) ومعرفة هذا من الاعيان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة والملك المهم للخير والشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله يسدده ويؤيده ويقويه

(٢ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) بجند لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد كيان نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعتبارها دينا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعثة الدين وباعثة الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعثة الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ومدد باعثة الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله تعالى

فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابر بن وان تحاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهة عمل بثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث (١٠) الشهوة وثبات باعث الدين حال تفرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب

السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين لكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف ما تنقاضه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيرهما لهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسما له فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبس طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه

وخربه وهذا الايمان واجب لا يستغنى عنه سالك لطريق الله تعالى (فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت) هذا الباعث (حتى قهره) أي باعث الشهوة (واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابر بن) وأترله الله في جواره ومتعه بالنظر الى وجهه (وان تحاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين) وسم عليه بمسمى الابعاد عن حضرة رب العالمين (فاذا ترك الافعال المشتهة عمل بثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تفرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوى يقينه أعنى المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوى ثبات باعث الدين واذا قوى ثباته تمت الافعال) الصادرة عنه (على خلاف ما تنقاضه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها) والقدر الواجب من ثبات باعث الدين تقويته بالوعد والوعيد وسائر البواعث الحادثة القوية له الى ان يغلب وينتصرو فيفوز بالخلع السنية الموعودة له ولولم يكن الاقوله تعالى انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وان تغافل وتلاشى في أمره ولم يستعجل بامر الملك خذل وغلب وحق عليه كلمة العذاب بقضاء الله وقدره قال الله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا ولو شاء الله ما اقتتلوا ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيرهما لهما وهما من الكرام الكاتبين) جملة (الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الادميين) قال الله عز وجل كلاب تكذبون بيوم الدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى ابن جرير عن ابن عباس قال جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره وروى البزار عن حديث ابن عباس ان الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين منهم الكرام الكاتبون الذين لا يفارقونكم الا عند احدي ثلاث حالات الغائط والجانب والغسل فان اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بحزم حائط أو بغيره وفيه حفص بن سليمان ابن الحديث وروى ابن مردويه عن حديث ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فقرأى رجلا يغتسل بغلاة من الارض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم الا عند احدي منزلتين حيث يكون الرجل عند خلائه أو يكون مع أهله لانهم كرام كما سماهم الله فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بحزم حائط أو بغيره فافهم لا ينظرون اليه (واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوى لم يخف عليك ان جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست ينبغي أن يكون مسما له) فهو اذا صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال وللعبس طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسىء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله له حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت (هذه الحسنات والسيئات باثباتها فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تنفاد العبد بكمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة)

كما ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب اقباله له حسنة وكذا بالاسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستعداد منه فهو به مسيء اليه فيثبت عليه سيئة وانما ثبتت هذه الحسنات والسيئات باثباتها فلذلك سميا كراما كاتبين اما الكرام فلا تنفاد العبد بكمهما ولان الملائكة كلهم كرام بررة

وأما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجلة ما يتعلق بهما من جلة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة (١١) الصغرى ومرة في القيامة الكبرى

وأعني بالقيامة الصغرى

حالة الموت اذ قال صلى الله

عليه وسلم من مات فقد قامت

قيامته وفي هذه القيامة

يكون العبد وحده وعندها

يقال ولقد جئتمونا فرادى

كما خلقناكم أول مرة وفيها

يقال كفى بنفسك اليوم

عليك حسيبا ما في القيامة

الكبرى الجامعة لكافة

الخلائق فلا يكون وحده

بل ربما يحاسب على ملا

من الخلق وفيها يساق

المتقون الى الجنة والمجرمون

الى النار زمرا لا آحادا

والهول الاول هو هول

القيامة الصغرى ولجميع

أهوال القيامة الكبرى

نظير في القيامة الصغرى

مثل زلزلة الارض مثلا فان

أرضك الخاصة بك تزلزل

في الموت فانك تعلم أن الزلزلة

اذ انزلت ببلدة صدق أن

يقال قد زلزلت أرضهم وان

لم تزلزل البلاد المحيطة بها

بل لو زلزل مسكن الانسان

وحده فقد حصلت الزلزلة

في حقه لانه انما يتضرر عند

زلزلة جميع الارض بزلزلة

مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره

فخصته من الزلزلة قد توفرت

من غير نقصان واعلم انك

أرضي مخلوق من التراب

كلوصفهم الله تعالى بذلك وهم كلوصفوا (وأما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات والسيئات) في صحائف أعمال العباد (وأما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب) أي باطنه (ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجلة ما يتعلق بهما من جلة عالم الغيب والملكوت لامن عالم الشهادة) والملك (وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم) وإنما تدركه البصائر الصافية المصقولة بانوار العرفان (ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى) وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته (قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت وعند ابن لال في مكارم الاخلاق والديلمي من حديث أنس اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة وروى العسكري في الامثال من حديث أنس أكثر واذكر الموت فانكم ان ذكركم في غنى كثره عليكم وان ذكركم في ضيق وسعه عليكم الموت القيامة اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته يرى ماله من خير وشر وفيه داود بن المحبر كذاب عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك منهم عن محمد بن زاذان قال البخاري لا يكتب حديثه ورواه ابن لال في المكارم بلفظ أكثر واذكر الموت فان ذلك تمحيص للذنوب وتزهد في الدنيا الموت القيامة وعند ابن أبي الدنيا فانه يمحس الذنوب ويزهد في الدنيا وسنده ضعيف جدا وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبه قال يقولون القيامة القيامة وانما قيامة الرجل موته ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته (وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال ولقد جئتمونا فرادى) أي افرادا (كما خلقناكم أول مرة) أي في وقت الولادة (وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي حاسبا (اما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق) من الاول الى الآخر (فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملاء من الخلق) ورؤس الاشهاد (وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا) كجدل عليه قوله تعالى وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الآية (والهول الاول هو هول القيامة الصغرى) يعني به هول (الموت ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير فان للقيامة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا) الموعود بها في القيامة الكبرى في قوله تعالى اذ زلزلت الارض زلزالها (فان أرضك الخاصة بك بدلك تزلزل في الموت) أي تضارب وترج (فانك تعلم ان الزلزلة اذ انزلت ببلدة صدق ان يقال قد زلزلت أرضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت عليه من غير نقصان واعلم انك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدلك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان (لحلوك فيه) وانما تخاف من زلزلة ان يترزل بدنك بسببه والا فالهوى أبدام تزلزل وأنت لا تخشاه ولا تعني به (اذ ليس يترزل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك) أي بمنزلة الصلابات بالاضافة الى سائر أجزاء البدن (وأطرافك أشجار أرضك) لارتفاعها كارتفاع الاشجار (ورأسك سماء أرضك) لعلوها كعلو السماء (وقلبك شمس أرضك) أي بمنزلة في السماء في تنويرها (وسمعتك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة بنجوم

وحظك الخاص من التراب بدلك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي أنت جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان وانما تخاف من زلزلة أن يترزل بدنك بسببه والا فالهوى أبدام تزلزل وأنت لا تخشاه اذ ليس يترزل به بدنك فخطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط فهي أرضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال أرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسائر حواسك الظاهرة بنجوم

سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا الى جميع أجزائك فاذا انهم دم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصلت العظام من اللحم فقد حلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذا انشق (١٢) دماغك فقد انشقت السماء انشقا فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار

تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالآخرى وهما مطبئتان فقد عطلت العشار تعطيلًا فاذا فارقت الروح الجسد فقد حلت الارض فدت حتى ألفت ما فيها وتخلت ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاھوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخص بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا يفعل وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعشى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانهم قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصته غيره ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذا السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر

سمائك) أي بمنزلتها (ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك) أي بمنزلة في أسالة الفوهات (وشعورك) النابتة في البدن (نبات أرضك) أي بمنزلة في النمو (وهكذا الى جميع أجزائك) وقد أشار اليه المصنف في كيمياء السعادة فقال ان نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب (فاذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها) أي اضطرابها المقدر لها (فاذا انفصلت العظام واللحم) من بعضها (فقد حلت الارض والجبال فد كذا كذا واحدة فاذا أرميت العظام) أي بليت وتخرت (فقد نسفت الجبال نسفا) يشير بذلك الى قوله تعالى ويستألفونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا وفي نسخة فقد بسيت الجبال بسا (فاذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكورا) أي لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى زفت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أولف مشوعها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره (فاذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا) أي أظلمت وانقضت (فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقا) أي صارت شقة شقة أو انشقت بالغمام (فاذا انفجر من هول الموت عرق جبينك) وذلك عند الموت فان الجبين لا تترك الا عند معاينة الاھوال ولاھول أعظم من الموت (فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالآخرى وهما مطبئتان فقد عطلت العشار تعطيلًا) أي تركت مهملة والعشار هي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشاء (فاذا فارقت الروح الجسد فقد حلت الارض فدت) أي بسطت بان تزال جبالها وأكامها (حتى ألفت ما فيها) أي في جوفها (وتخلت) أي تكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في بطنها (ولست أطول بجميع موازنة الاحوال والاھوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى) وتعابن أهوالها (ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخص بل ما يخص غيرك) أيضا (فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا يفعل وقد انتشرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر الى الكواكب والاعشى) الذي ذهب بصره (يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لانهم قد كسفت في حقه دفعة واحدة فهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك حصته غيره) ممن براه (ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه اذا السماء عبارة عما يلي جهة الرأس) لسموه أي علوه وارتفاعه ولذا سمي السحاب سماء بهذا الاعتبار (فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى) المشار اليها في الحديث المذكور (والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وبنت الاھوال واعلم وغيرها

وذلك اذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وبنت الاھوال واعلم وغيرها أن هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانالم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة الى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احدهما الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام فهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في العزيز (وله في سلوكه الى البكال منازل) يشتركها (وأطوار) ينتقل اليها (من نطفة وعلقته ومضغة

وغيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء (١٣) الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم

بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الاعلى قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين واليه الإشارة بقوله تعالى وتنشئكم فيما لا تعلمون بالقيامة الصغرى (مؤمن بالكبرى) مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين (عالم الملك فقط) وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالاعور والجال (أذهو مسوخ العين النبي كإورد ذلك في الاخبار) فاعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين (قد ضربت الغفلة على بصائرنا جميعا) وكيف تغفل وبين يدك هذه الأهوال والمصائب والأحوال (فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال) واغواء العدو الخيال (فلا تكفك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كني بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورأه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن بن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كني بالموت واعظا وكني بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا باللفظ كني بالموت واعظا وكني باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فالبثا لا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كني بالدهر واعظا بالموت مفرقا ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحجلي مرسلا كني بالموت مفرقا وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلا كني بالموت مرفعا في الدنيا ومرغبا في الآخرة (أو ما سمعت بكبريه صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت (أو ما سمعت من استبطائك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينظرون (الصيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يحيط بهم الله أمرها بقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شيء من أمورهم (ولالى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يوتون حيث تبعثهم (فيأتيهم المرض نذرا من الموت) أي يخوفهم (فلا يتزحرون) ولا يتعظون (ويأتيهم الشيب رسولا منه) بدت أجلاهم (فياعتبرون) ولا ينتبهون (فيأحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزئون) فان المستهزئ بالناصح الخاص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بان يتحسروا ويتحسروا عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون ألم يروا) أي ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة أهلا كل من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

غيرها الى أن يخرج من مضيق الرحم الى فضاء العالم) وسعته (فنسبة عموم القيامة الكبرى الى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا الى الرحم بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالاولى) قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما النشأة الثانية الاعلى قياس النشأة الاولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في النشأتين) الاولى والثانية (واليه الإشارة بقوله تعالى وتنشئكم فيما لا تعلمون فالمرق بالقيامة الصغرى والكبرى) مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء الى أحد العالمين (عالم الملك فقط) وذلك هو الجهل والضلال والافتداء بالاعور والجال (أذهو مسوخ العين النبي كإورد ذلك في الاخبار) فاعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين (قد ضربت الغفلة على بصائرنا جميعا) وكيف تغفل وبين يدك هذه الأهوال والمصائب والأحوال (فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال) واغواء العدو الخيال (فلا تكفك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كني بالموت واعظا) قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف ورأه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الامثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن بن عمار بن ياسر مرفوعا ولفظه كني بالموت واعظا وكني بالعبادة شغلا وعند الطبراني وحده أيضا باللفظ كني بالموت واعظا وكني باليقين غنى وروى العسكري في الامثال من طريق يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا جاري يؤذيني فقال اصبر على أذاه وكف عنه أذاك قال فالبثا لا يسيرا اذ جاء فقال يا رسول الله ان جاري ذاك مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم كني بالدهر واعظا بالموت مفرقا ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحجلي مرسلا كني بالموت مفرقا وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلا كني بالموت مرفعا في الدنيا ومرغبا في الآخرة (أو ما سمعت بكبريه صلى الله عليه وسلم عند الموت) وقوله ان للموت سكرات وان للموت فرعا (حتى قال صلى الله عليه وسلم اللهم هون على محمد سكرات الموت) قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ اللهم أعني على سكرات الموت (أو ما سمعت من استبطائك هجوم الموت) والساعة (اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون) ولفظ التنزيل ما ينظرون أي لا ينظرون (الصيحة واحدة) هي النفخة الاولى (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون في معاملاتهم لا يحيط بهم الله أمرها بقوله تعالى فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون (فلا يستطيعون توصية) من شيء من أمورهم (ولالى أهلهم يرجعون) فيروا حالهم بل يوتون حيث تبعثهم (فيأتيهم المرض نذرا من الموت) أي يخوفهم (فلا يتزحرون) ولا يتعظون (ويأتيهم الشيب رسولا منه) بدت أجلاهم (فياعتبرون) ولا ينتبهون (فيأحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزئون) فان المستهزئ بالناصح الخاص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بان يتحسروا ويتحسروا عليه (أفيظنون انهم في الدنيا خالدون ألم يروا) أي ألم يعلموا (كم أهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون) أي ألم يروا كثرة أهلا كل من قبلهم وكونهم غير راجعين اليهم (أم

الى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذرا من الموت فلا يتزحرون ويأتهم الشيب رسولا منه فيأحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزئون أفيظنون انهم في الدنيا خالدون ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون أم

(14)

أن يكتب على الصبي سميته و
بالضرب فكل ولي هذا سمته في
الملائكة فيكون مع النبيين و
الكرمين صلى الله عليه وسلم

أن يكتب على الصبي سببته وحسنه على صحيفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه المعارف بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فيقال بهادرجة القرب من رب العالمين كماله الملائكة فيكون مع النبيين والمقرئين والصديقين واليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار إلى أصبعيه الكبر عني صلى الله عليه وسلم * (بيان كون الصبي نصف الإيمان) * اعلم أن الإيمان ثارة يختص في الخلافة بالتصديق بآصول الدين

وتارة يختص بالاعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليها جميعا والمعارف أبواب ولا أعمال ولا شتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين (أحدهما) ان يطلق على التصديقات والاعمال جميعا (١٥) فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخرا الصبر والمراد

باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره

(الاعتبار الثاني) أن يطلق على الاحوال المثمرة للأعمال لاعلى المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها أو بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهذا النظر قال ابن مسعود

المعارف (وتارة) يختص في اطلاقه (بالاعمال الصالحة الصادرة عنها) أي عن تلك التصديقات (وتارة) يطلق عليها جميعا والمعارف والاعمال أبواب كثيرة (ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها) بالاطلاق الثالث (كان الايمان نيفا وسبعين بابا) كما في خبر أبي هريرة عند الترمذي الايمان بضع وسبعون بابا فادناها ما طلة الاذى عن الطريق وأرفعها قول لاله الا الله وقال حسن صحيح وعند ابن حبان الايمان سبعون أو ثمان وسبعون بابا أرفعه لاله الا الله وأدناها ما طلة الاذى عن الطريق والحياة شعبة من الايمان وقد تقدم (واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات) فلا راجع هناك (ولكن الصبر نصف الايمان) كما ورد في الخبر (باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين أحدهما أن يطلق) الايمان (على التصديقات والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان أحدهما اليقين والآخرا الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما أي اليقين والصبر (فقال ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث) الخ من رواية شهر بن حوشب عن أبي امامة مرفوعا وقد تقدم قريبا وهذا الاعتبار أيضا يكون اليقين نصف الايمان لانه أحد ركنيه ويقرركون الصبر نصف الايمان بوجه آخر هو انه كما سيأتي ان الصبر عن المعاصي أشرف من الصبر على الطاعات لان الاوقات الداخلية على الطاعات من جملة المعاصي لان للعدو حظا في دخول الاوقات عليها وكل أحد يقدر على القيام بالطاعة ولا يقدر على تلك المعصية الا الصديقون والصبر على المصائب أشرف من الصبر على المعاصي اذ لا ألم في ترك المعاصي والمصائب محمل الايمان ولان الصبر عن المعاصي يكون في الغالب من مشاهدة الوعد والوعيد والصبر على المصائب في الغالب لا يكون الا عن مشاهدة النقص والقضاء والقدر من الايمان بالله والوعد والوعيد من الايمان بالله وما نشأ عن الايمان بالله تعالى كان أفضل وبشرف الصبر بشرف المصبور وفيه المصبور لاجله وبه يعرف صبر قوله الصبر نصف الايمان لان النصف الاول هو العلم والنصف الثاني هو العمل (الاعتبار الثاني أن يطلق) الايمان (على الاحوال المثمرة للأعمال لاعلى المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها أو بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الاول وهذا النظر قال ابن مسعود (رضي الله عنه) الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر) كذا في القوت وقد رواه البيهقي نحوه (وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم (ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بشتات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيق والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر) كما رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

رضي الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد رفع أيضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بشتات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيق والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعا فيكون الصوم بهذا

الاعتبار وبيع الايمان فهكذا ينبغي أن تفهم تعدد مرات الشرع بحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان فإن اسم الايمان يطلق (١٦) على وجوه مختلفة * (بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر) *

الاعتبار وبيع الايمان) وباعتبار ان الصبر لا يتم الا بعمل يثمره وعمل هو غرته يكون الصبر الايمان كله كما في الحديث وباعتبار ان مدار اليقين على الايمان بالله وبقضائه وقدره وما جاء به رسله مع الثقة بوعده ووعيده فهو متضمن لكل ما يجب الايمان به يكون اليقين الايمان كله كفي ثمة خبرا بن مسعود السابق ولما كان الرضا بالقضاء نظام التوحيد ومنتهى درجة الزاهد ين يكون الصبر الرضا كما في خبر أبي موسى الاشعري عند الحكميم وابن عساكر ومن ثم قالوا اليقين الايمان بالقدر والسكون اليه (فهكذا ينبغي أن يفهم تعدد مرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الايمان وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة) واعتبارات شتى

* (بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ماعنه الصبر) *

(اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الصبر) في اللغة الحبس والكف فيضيق ومنه قتل فلان صبرا اذا أمسك وحبس للقتل قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية أي احبس نفسك معهم وهو (ضربان ضرب بدني) ويقال له الجسمي أيضا وذلك (كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها) على قدر قوة البدن ونهايته معلومة وأكثرها النوى الجسموم الخسنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر

والصبر بالارواح يعرف فضله * صبرا بالملوك وليس بالاجسام

(وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات) كان يصلي حتى ترم رجلاه أو يصوم مواصلا حتى تسقط قوته (أو من غيرها) كالشيء الكثير ورفع الحجر الثقيل (واما بالاحتمال) وهو الانفعال (كالصبر على الضرب الشديد) بالمقارع (والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع) نصا أو قبا سأ أو محسوبا (ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي) وذلك بان يكف النفس (عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى) وبه تتعلق الفضيلة (ثم هذا الصبر) ضربان (ان كان صبرا عن) تناول (شهوة البطن والفرج سمي بخلقة) فالخلقة لا تتعلق بالا بالقوى الشهوية ولا تتعلق من القوى الشهوية الا بالملذات الحيوانية وهي المعلقة بالغارين البطن والفرج دون الالوان الحسنة والالوان الطيبة والاشكال المنتظمة والعمرة أس الفضائل وانما تتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية ومن اعتقاد ما يكون جالبا للبغى والعدوان وتغماها يتعلق بحفظ الجوارح (وان كان عن احتمال مكروه) وهو الضرب الثاني وهذا قد (اختلفت أساميته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر) وأخصر (من ذلك اختلفت أساميته بحسب اختلاف مواقفه فان كان) ذلك (في) نزول (مصيبة اقتصر) به (على اسم الصبر) ولم يتعد به هذا الاسم (وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع) والجزع (وهو اطلاق دواعي الهوى يستترسل في رفع الصوت وضرب الحدود) ولهم الصدور (وشق الجيوب وغيرها) مما يشاكلها (وان كان) ذلك (في احتمال الغنى) فقد (سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر) وقال بعضهم ضبط النفس في الاشياء المملوذة والصبر يقال في الاشياء المحزنة وقال بعضهم بل هما في الاسماء المترادفة على معنى واحد (وان كان) ذلك (في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم) هو امسك النفس عن قضاء وطر (الغضب سمي حلسا ويضاده التذمر) بالذال المعجمة (وان كان في بذل المال وانفاقه سمي سخاء ويضاده التبذير وان كان) ذلك (في نائبة من نوائب الزمان مضجرة) أي مقلقة (سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام) وامسكه في الضمير (سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما) ويضاده الافشاء (وان كان من فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

اعلم ان الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة امامن العبادات أو من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي بخلقة عن احتمال مكروه اختلفت أساميته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق دواعي الهوى ليستترسل في رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي بخلقة وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلسا ويضاده

على

التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا

على قدر يسير من الخطوط سمي قناعة وبضاده الشره فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام عن الإيمان قال هو الصبر لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال الحجة عرفة وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى (١٧) الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق

المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد أن يزل وإلى الفريقتين الاشارة بقوله تعالى أفن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلبوا فيه الا بئس الاجل هذه الانعكاسات نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه * (بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف) * اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احدها ان يقهر داعي الهوى ويصدمه مرة (فلا تبقى له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلا (ويتوصل اليه بدوام الصبر) في أحواله كلها (وعندهذا يقال من صبر نظير) أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخالطة عدوه ظفريه (والواصلون الى هذه الرتبة هم الافلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلا حرم هم الصديقون المقربون الذين) وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين قالوا ربنا الله) أقروا بربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناظرة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم) أي غلبت عليهم (وغلبت عليهم شغوتهم) فسوء حظهم (فكلموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والمراد به اللطيفة الربانية لا المضة العجمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

على قدر يسير من الخطوط سمي قناعة وبضاده الشره) محرقة (فاكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قال هو الصبر) كما تقدم قريبا لأنه أكثر أعماله وأعزها (كما قال) صلى الله عليه وسلم (الحجة عرفة) تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج (وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا) في آية واحدة (فقال والصابرين في البأس أي المصيبة والضراء أي الفقر وحين البأس أي المحاربة) فهذا صبر عام ولما كان أشق شيء على النفوس وأصعبه على الطباع وفيه عزائم الأمور اشترط الله على المتقين والصادقين والصابرين الصبر على الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمالهم فقال (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فاذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها) فاختلقت الاسامي لذلك واستدلوا بذلك على فضيلته في نفسه وأنه مقصود لذاته (ومن يأخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة) وهذا نظر قاصر (والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله) مما أفيض به على بصيرته (يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها) الأصلية (ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد أن يزل) قدمه (والى الفريقتين الاشارة بقوله تعالى أفن يمشى مكبا) بعثر كل ساعة ويختر (على وجهه أهدى) لوعرة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قاله بقوله (أمن يمشى سويا) قائما سالما من العثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء والجهة (فان الكفار لم يغلطوا فيما غلبوا فيه الا بئس الاجل هذه الانعكاسات) فكان سببا لعثارهم (نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه آمين)

* (بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف) *

(اعلم) هداية الله تعالى (ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال احدها ان يقهر داعي الهوى) ويصدمه مرة (فلا تبقى له قوة المنازعة) مع باعث الدين أصلا (ويتوصل اليه بدوام الصبر) في أحواله كلها (وعندهذا يقال من صبر نظير) أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخالطة عدوه ظفريه (والواصلون الى هذه الرتبة هم الافلون) لصعوبة القيام بالدوام (فلا حرم هم الصديقون المقربون الذين) وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال الذين قالوا ربنا الله) أقروا بربوبية المعبود وقيامه به واحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد (ثم استقاموا) على هذا الاقرار تنزل عليهم الملائكة الآية (فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم) في التوحيد (واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) وهؤلاء هم السابقون (الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناظرة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشيطان) فيستولى عليها (ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون) الظالمون لانفسهم (وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم) أي غلبت عليهم (وغلبت عليهم شغوتهم) فسوء حظهم (فكلموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى) والمراد به اللطيفة الربانية لا المضة العجمانية بدليل قوله (وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

(٣ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين واياهم ينادي المنادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية * (الحالة الثانية) * أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية مناظرة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لئلا يأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقفتهم شهواتهم وغلبت عليهم شغوتهم فكلموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أوامره واليهم الاشارة بقوله تعالى ولوشئنا لا تبنا

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وهو لاعلمهم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسرت صفتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه هواها وتغنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظا قال انما مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ولم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى (١٨) توبتي وهذا المسكين قد صار علة رقية الشهوة فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل

كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) وكذلك قوله تعالى ولو شاء الله ما أشركوا وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين (وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ففسرت صفتهم) وبارت تجارتهم (وقيل لمن قصد ارشادهم) بلسان الوحي (فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهو غاية الحق) ونهاية الجهل (كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه) أي ملكها (وعمل لما بعد الموت واللاحق من اتبع نفسه هواها وتغنى على الله) الاماني رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور (وصاحب هذه الحالة اذا وعظا قال انما مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلست أطمع فيها ولم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار علة رقية) أي ملوكا (لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار علة في يد شهواته كسليم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه) أي يستخدمونه (في رعاية الخنازير وحفظ الجور وجلبها) من موضع الى موضع (ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لان تفاخس جنائته سببه انه سخراً ما كان حقه ان لا يستخزره وسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أو جب من حق غيره عليه فلهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً الكافر) أي جعله رقيقاً (بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه) المحسن له (فأخذ أعزاً وولاده وسلمه الى) يد (بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته) أي استحقاقه (لنعمته لان الهوى ابغض الى عبد في الارض عند الله تعالى) وقد روي ذلك من حديث أبي امامة بالفظ ابغض الى عبد عند الله في الارض هو الهوى هكذا رواه الطبراني في الكبير باسناد ضعيف (والعقل أعز موجود خلق في الارض) وقد وردت فيه أخبار تقدم ذكرها في آخر كتاب العلم (الحالة الثالثة ان يكون الحرب بجبالاً) * ودولا (بين الحندين فتارة له اليد) أي الغلبة والتفهر (عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين) قال الله تعالى فيهم وآخرون (اعترفوا بذنوبهم خطوا) عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) ان الله غفور رحيم (هذا باعتبار القوة والضعف وتطرق اليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه) لا يتخلو (اما ان يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض) فالحالة الاولى للسابقين والثانية للظالمين والثالثة للمعتصدين (وتنزيل قوله تعالى) وآخرون اعترفوا بذنوبهم (خطوا) عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله

التي بها يتوصل الى قضاء شهوته فقد صار علة في يد شهواته كسليم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الجور وجلبها ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه الى الكفار ويجعله أسيراً عندهم لانه تفاخس جنائته يشبهه أنه سخراً ما كان حقه ان لا يستخزروه وسلط من كان حقه ان يتسلط عليه وانما استحق المسلم ان يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أو جب من حق غيره عليه فلهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً الكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعزاً وولاده وسلمه الى أبغض أعدائه

غفور

فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستجابته لنعمته لان الهوى ابغض الى عبد في الارض عند الله

تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الارض (الحالة الثالثة) أن يكون الحرب مجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خطوا عملاً صالحاً وأخرى سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها أو يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله تعالى خالوا عملاً صالحاً وأخرى سيئاً

على من عجز عن بغض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل سبيلا اذ البهيمة لم
تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حقا المديبر يقينا ولذلك قيل
ولم أرفى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر أيضا باعتبار (١٩) اليسر والعسر الى ما يشق على

النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بآدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بآدنى جهلة وأيسر قوة بحيث لا يلقيه في مصارعه اعباء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهل ودعوى جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلبت باعث الدين واستولى أى غلب وقهر (وتيسر الصبر بطول الموانعة أو رث ذلك مقام الرضا) وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أى ينفض له بابه (كإسبائى فى آخر كتاب الرضا) ان شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذى من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقى فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول الى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم الى مقام الرضا ثم الى مقام المحبة (وسنبين فى كتاب المحبة) ان شاء الله تعالى (ان مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) اعلم ان متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فاذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها الا بأسبابها وأحوالها التي هي أحداث على الاعمال فانظر فليس الخبر كالعيان ان السالك لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لان حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومدافعة العدو الداعى الى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

غفور رحيم (على من غلب بعض الشهوات دون بعض أولى) من تنزله على الحالة الثانية (والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم أضل اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطاه) أى أهمله (فهو الناقص حقا المديبر يقينا ولذلك قيل) (ولم أرفى عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام)

وفى نسخة نقصا بدل شيئا فانه قبيح بذى العقل ان يكون بهيمة وقد أمكنه ان يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه ان يكون ملكا وان يرضى بقنينة معارة وحياة مستردة وله ان يتخذ قنينة مخلدة وحياة مؤبدة (وينقسم الصبر أيضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا) وصاحبه متصبر أى متكلف الصبر وحامل نفسه عليه (والى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بآدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر) والى ما يكتب الصبر ويتلى به ويخص ذلك باسم الاصطبار فالمراتب ثلاثة وهى فى الوصف والكيف وهنالك مرتبتان أخريان فى القدر والحكم وهما الصبور والصبار فالصبور العظيم الصبر الذى صبره أشد من صبر غيره والصبار الشديد الصبر فكملة المراتب خمسة وأعمها الصابر (واذا دامت التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر) وسهل عليه (ولذلك قال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى) فتيسره للحالة اليسرى هو ادامته على الصبر على طاعته وتسهيله عليه (ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بآدنى جهلة عليه وأيسر قوة بحيث لا يلقيه فى مصارعه) اياه (اعياء والغوب) أى تعب (ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينهر) أى لا ينقطع نفسه من الضعف (ولا يقوى على ان يصرع الشديد الا بتعب ومزيد جهل ودعوى جبين) وهو كناية عن الشدة (فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلبت باعث الدين واستولى أى غلب وقهر (وتيسر الصبر بطول الموانعة أو رث ذلك مقام الرضا) وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أى ينفض له بابه (كإسبائى فى آخر كتاب الرضا) ان شاء الله تعالى (فالرضا أعلى مقاما من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر خير كثير) قال العراقي رواه الترمذى من حديث ابن عباس (وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقى فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول الى التلذذ بالبلوى وهذه حالة التائبين ثم الى مقام الرضا ثم الى مقام المحبة (وسنبين فى كتاب المحبة) ان شاء الله تعالى (ان مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا أعلى من مقام الصبر) اعلم ان متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها فاذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها الا بأسبابها وأحوالها التي هي أحداث على الاعمال فانظر فليس الخبر كالعيان ان السالك لا يدعى باسم عمله انما يدعى باسم حاله فتقول هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله الشكر وهذا حاله المحبة لان حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومدافعة العدو الداعى الى المعصية وبعد مشقة ومقاساة وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد واذعان بلا منازع وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور

الله عليه وسلم عبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكرر خبر كثير وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات * أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين * وثانيها الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين * وثالثها المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنبين فى كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر

وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا * واعلم ان الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم * فالصبر عن المحظورات فرض (٢٠) وعلى المكروه نفل والصبر على الاذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يدولاه وهو يصبر عليه

ساكنا أو كمن يقصد حربه بشهوة محذورة فتهمج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محلك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يخيل اليك أن جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة * (بيان مظان الحاجة الى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال) * اعلم أن جميع ما يليق العبد في هذه الحياة لا يتخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يتخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر (النوع الاول) ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أخرج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى في كتابه العزيز زرد علان كفر بنعمة الله لطغيانه كلالا ان الانسان ليطغى أي يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لو احدث قاله البياضاي (حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والبقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافي أشد من الصبر على

واهتمام وحال المحبة تصدر عنه الطاعة بحلاوة وطلاوة ونشاط ولو بذل روحه ما أحس بالملل ولهذا الكلام بقية يأتي ذكرها بعد (وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا) لاني صبر عام شامل لجميع افراده فقد روى عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر على المصائب وقد روى ذلك من حديث ابن عباس الصبر ثلاثة فصر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية الحديث فهذه التقاسيم باعتبار متعلق الصبر (واعلم أن الصبر ايضا ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكروه نفل والصبر على الاذى المحظور محذور كمن تقطع يده أو يدولاه وهو يصبر عليه ساكنا أو كمن يقصد حربه بشهوة محظورة فتهمج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع) وهذا يدل ان الصبر لا يراد لذاته ولفظ القوت الصبر فرض ونفل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا واجبا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا ونذبا فالصبر عليه أو عنه نذوب وفضل (فليكن الشرع محلك الصبر) فما كان المصبر عليه أو عنه من المأمورات فهو فرض أو من المندوبات فهو فضل (فيكون الصبر نصف الايمان ولا ينبغي أن يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد منه) أي من الصبر المحمود (أنواع من الصبر مخصوصة) وقال القطب الجليلي قدس سره في فتوح الغيب لابد للعبد من أمر يفعله ونهى يجتنبه وقد يصبر عليه وذلك متعلق بطرفين طرف من جهة الرب وطرف من جهة العبد فالاول هو ان له سبحانه على عبده حكمين كوني قدرى وشري ديني فالكوني متعلق بخلقه والشري بامر به فالاول يتوقف حصول الثواب فيه على الصبر والثاني لا يتم الا به فرجع الدين كله الى هذه القواعد الثلاثة الصبر على المقدور وترك المحذور وفعل المأمور وأما الطرف الثاني فان العبد لا ينفك عن هذه الثلاثة أيضا ولا يسقط عنه ما بقي التكليف فقيام عبودية القدر على ساق الصبر ولا يستوى الاعليه كما لا تستوى السنبلة الاعلى ساقها وهذه الثلاثة قد وقعت الاشارة اليها بآية أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك * (بيان مظان الحاجة الى استعمال الصبر) *

في الطاعات وغيرها (وان العبد لا يستغنى عنه في حال من الاحوال اعلم) وفقه الله تعالى (ان جميع ما يليقه العبد في هذه الحياة) الدنيا (لا يتخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال لا يتخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو اذا لا يستغنى قط عن الصبر النوع الاول ما يوافق الهوى (والسلامة) من الآفات (والمال والجاه وكثرة العشرة) من بنيه وبني عمه (واتساع الاسباب) المحصلة لذلك (وكثرة الاتباع) من المماليك والاحواء (والانصار) والاعوان (وجميع ملاذ الدنيا وما أخرج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى كما قال الله تعالى في كتابه العزيز زرد علان كفر بنعمة الله لطغيانه كلالا ان الانسان ليطغى أي يتجاوز عن الحدود ان رآه استغنى أي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذا جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لو احدث قاله البياضاي (حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق) ولفظ القوت ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والبقى سواء (وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء) ولفظ القوت وكان سهل يقول الصبر على العوافي أشد من الصبر على

والركون اليها والانغمال في ملاذها المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطغيان فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا الصديق وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء

ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا (٢١) بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر

الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مخزنة وما نظر عليه السلام الى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذه فني ذلك عبرة لولي الأبصار فالرجل كل الرجل من صبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن اليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التمتع واللذة والله واللعب وأن يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وانما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحجة والفصدا اذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

السراء (و) كذلك (لما فتحت أموال الدنيا) من سائر البلاد (على الصحابة رضي الله عنهم) وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فنالوا من العيش واتسعوا (قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر) فعظموا الاختبار بالسراء وهو ماسر على الاختبار بالضراء وهو ماضر قال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن جابر الطائي حدثنا بشر بن شبيب بن أبي حمزة عن أبيه عن الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال قال عبد الرحمن بن عوف بلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر (وكذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) لان فيها ماسر فيشغل عن ذكر الله تعالى (وقال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) لان في الازواج والاولاد ما يفرح به فيوافق فيهم الهوى ويخالف بودهم المولى فصاروا أعداء في العقبي لما يؤول اليه من شأنهم (وقال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مخزنة) رواه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ الولد مبخلة مجبنة مخزنة وقد تقدم ورواه أحمد وابن سعد والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري الولد مبخلة مجبنة وان آخر وطأة وطأة فوج وتقدم أيضا (وما نظر صلى الله عليه وسلم الى ولده الحسن) رضي الله عنه (يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة اني لما رأيت ابني) هذا (يتعثر) في قميصه (لم أملك نفسي ان أخذه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي حسن غريب انتهى قلت رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياع كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه قال صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين عشرين ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما وروى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال جاء الحسن والحسين يستبقان الى النبي صلى الله عليه وسلم فضعهما اليه وقال الولد مبخلة مجبنة وروى العسكري في الامثال والحاكم في صحيحه من طريق معمر عن ابن خثيم عن محمد بن الاسود بن خلف عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الحسن فقبله ثم أقبل عليهم فقال ان الولد مجبنة مبخلة وأحسبه قال مجبلة وتقدم وروى العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة دخولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن حسنا وحسينا وهو يقول انكم لتجبنون وتجهلون وانكم لمن ربحان الله (ففي ذلك عبرة لولي الأبصار وقد جمع الله بين ماسر وضر) وجعلهما من وصف المتقين ومدحهما بالاحسان معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (فالرجل كل الرجل من صبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن اليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده أي بمنزلة الوديعة وعسى أن يسترجع على القرب) الى المودع (وان لا يرسل نفسه في الفرح بها) والركون اليها (ولا ينهمك في التمتع واللذة والله واللعب وان يؤد حقوق الله تعالى في ماله بالانفاق منه) في المواضع الثلاثة (وفي بدنه ببذل المعونة للخلق) على قدر استطاعته (وفي لسانه ببذل الصدق وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه) وقال صاحب القوت ومن الصبر صبر على العوافي ان لا يجربها في مخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذل في الهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين بها على معصية الحاجة المؤمن على الصبر في هذه المعاني ومطالبة بالصبر عليها حاجته ومطالبة بالصبر على المكروه والفقر والصبر على الشدائد والضراء (وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي) ان شاء الله تعالى (وانما كان الصبر على السراء أشد لانه مقرون بالقدرة) والتمكن (ومن العصمة ان لا تقدر) هو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم والمشهور على الاسمة ان لا تجحد (والصبر على الحجة والفصدا اذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

من الصبر على فصلك نفسك وجماعتك نفسك والجائع عند غيبة

تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المال والاذى فقد أبطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليه ما جيعا وقد جعها الله تعالى في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاعذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاعذى القربى هو المروعة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثاني) (٢٣) المعاصى فما أحوج العبد الى

الصبر عنها وقد جع الله تعالى أنواع المعاصى في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه والمعاصى مقتضى باعث الهوى وأشد أنواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفاً بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت العادة الى الشهوة تظاهر جذران من جنود الشياطين على جنود الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعسر ايضا وتصريحاً وأنواع المزعج المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الأزرار والاستحقاق وذكر الموتى والقدح فيهم (ومناسبتهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس) ومذبح لها (فلنفس فيه شهواتان احدهما انى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها) أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقباحها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وعام الحديث وان الرجل يزنى

تعالى ولا تبطلوا أعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمال والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة على المال والاذى فقد أبطل عمله) وأحبط اجره وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث نجيلة وتصغيره وكنهه وكذلك الصبر بترك التكبر به على أحد من العباد والادلال به على الله بل رؤية المنه والفضل وما أحوج العبادة الى الصبر فى عدم دخول هذه الآفات عليها وهذا القسم يسمى الصبر بالله واليه الاشارة بقوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله (والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليها ما جيعا وقد جعها الله تعالى فى قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاعذى القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاعذى القربى هو المروعة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر (الضرب الثانى) المعاصى فما أحوج العبد الى الصبر عنها وقد جع الله أنواع المعاصى فى قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وقال صاحب القوت ومن الصبر كفف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل فى قوله ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى من الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله تعالى والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام المقر بين يدخل فى قوله تعالى وايتاعذى القربى ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم والايمان والصبر على المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآتية جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن ثلاث منها الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن مسعود يقول هذه الآتية اجمع آية فى كتاب الله لا مروءة (وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه) قال العراقى رواه ابن ماجه بالشطر الاول والنسائى فى الكبرى بالشطر الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جدين وقد تقدما (والمعاصى مقتضى باعث الهوى) وفى نسخة بواعث الهوى (وأشد أنواع الصبر عن المعاصى الصبر عن المعاصى التى صارت مألوفاً للطبع) بالعادة) واعناد عليها وأنس بها (فان العادة) كما قالوا (طبيعة خامسة) زائدة على الطباع الاربعة (فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر جذران من جنود الشيطان على جنود الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها) وازالتها (ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس) وأشد (كالصبر عن معاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعسر ايضا وتصريحاً وأنواع المزعج المؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصد بها الأزرار والاستحقاق وذكر الموتى والقدح فيهم) ومناسبتهم فان ذلك فى ظاهره غيبة وفى باطنه ثناء على النفس) ومذبح لها (فلنفس فيه شهواتان احدهما انى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها) أى بهذه الشهوة وفى نسخة بهما (تم له الربوبية التى هى) مضمرة (فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية) فى قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقباحها من القلوب) وذلك (لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا) رواه ابن النجار من حديث جابر والديلمى من حديث أبى سعيد وعام الحديث وان الرجل يزنى

احداهما انى الغير والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التى هى فى طبعه وهى ضد ما أمر به من العبودية ولا اجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً فى المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الانس بها فترى الانسان يلبس حراماً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار فى اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد فى الخبر من ان الغيبة أشد من الزنا

ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فوجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجمه غيره فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف شدة (٢٤) الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان

فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه وقد تقدم في آفات اللسان (ومن لم يملك لسانه) وفي نسخة نفسه (في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والانفراد) عن الناس (فلا ينجمه) من ذلك (غيره) فالصبر على الانفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة (معهم) وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان (حركة الخواطر) من الباطن (باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً) الإبان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد والافان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور رفقته (الوسواس عنه) (القسم الثاني) ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأودى بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كان بعد إيمان الرجل إيمانا ذالم يصبر على (الأذى) ولفظ القوت قال بعض العلماء ما كان بعد إيمان من لم يؤذ فيجتم على الأذى ويصبر عليه إيمانا وقد فعل الله ذلك قال اختيار أو أخبران ذلك ليس منه عذابا وإنما هو فتنة بل من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم فصار راحة للمؤذى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله أي ليس ذلك عذابا وإنما هو راحة باطنة كقوله تعالى وأما إذا ابتلاه فقد رزقه فيقول ربى إهانت كلاً أي لم أهنتك بالفقر كالم أكرم الآخر بالنعيم أكرما وعلى هذا خطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال فالصبر على ما يقولون وإذا كر عبدنا داود وسلامه وفضله عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الأذى توكل على المولى (قال) الله (عز وجل) ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليست كل المتوكلون) وهذا صبر أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد ذكره الله تعالى في قوله ولنصبرن على ما آذيتونا الآية (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة مأر يدها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجرت وجنتاه ثم قال رحم الله أخي موسى لقد أؤذى بأكثر من هذا فزغنن إذا عطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل إن هذه القسمة مأر يدها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم رواه أحمد والشخان من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وقال تعالى) لحبيبه صلى الله عليه وسلم (فدع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فالصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جيلا) بعد قوله فاتخذوه كيلا فيهم ما من مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الأذى وهو أول مقام الرضا (وقال) تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال) تعالى لتبطلن في أموالكم وأنفسكم (ولتسمعن من الذين أنفوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس على أحكام البلاء وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن التقوى بالصبر والتقوى جماع كل خير كان الصبر داخل في كل خير وبر في جميعها وأتى عزائم الأمور وكان من المحسنين (أي ان تصبروا عن) الأذى (والمكافأة) وتتقوا عند الابتلاء والمكاره وكذلك قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولئن انتصرت بعد

حركة الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً الإبان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد والافان لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور رفقته (الوسواس عنه) (القسم الثاني) ما لا يرتبط بهجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالأودى بفعل أو قول وجنى عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كان بعد إيمان الرجل إيمانا ذالم يصبر على (الأذى) ولفظ القوت قال بعض العلماء ما كان بعد إيمان من لم يؤذ فيجتم على الأذى ويصبر عليه إيمانا وقد فعل الله ذلك قال اختيار أو أخبران ذلك ليس منه عذابا وإنما هو فتنة بل من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم فصار راحة للمؤذى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله أي ليس ذلك عذابا وإنما هو راحة باطنة كقوله تعالى وأما إذا ابتلاه فقد رزقه فيقول ربى إهانت كلاً أي لم أهنتك بالفقر كالم أكرم الآخر بالنعيم أكرما وعلى هذا خطب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال فالصبر على ما يقولون وإذا كر عبدنا داود وسلامه وفضله عليه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الأذى توكل على المولى (قال) الله (عز وجل) ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليست كل المتوكلون) وهذا صبر أهل الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد ذكره الله تعالى في قوله ولنصبرن على ما آذيتونا الآية (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة مأر يدها وجه الله فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجرت وجنتاه ثم قال رحم الله أخي موسى لقد أؤذى بأكثر من هذا فزغنن إذا عطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل إن هذه القسمة مأر يدها وجه الله فقال صلى الله عليه وسلم رواه أحمد والشخان من حديث ابن مسعود وقد تقدم (وقال تعالى) لحبيبه صلى الله عليه وسلم (فدع أذاهم وتوكل على الله وقال تعالى فالصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جيلا) بعد قوله فاتخذوه كيلا فيهم ما من مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الأذى وهو أول مقام الرضا (وقال) تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال) تعالى لتبطلن في أموالكم وأنفسكم (ولتسمعن من الذين أنفوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس على أحكام البلاء وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن التقوى بالصبر والتقوى جماع كل خير كان الصبر داخل في كل خير وبر في جميعها وأتى عزائم الأمور وكان من المحسنين (أي ان تصبروا عن) الأذى (والمكافأة) وتتقوا عند الابتلاء والمكاره وكذلك قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقال تعالى ولئن انتصرت بعد

هجر ا جيلا وقال تعالى ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الآية وقال تعالى ولتسمعن من الذين أنفوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور وأي تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصص وغيره فقال تعالى وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

طلبه فاولئك ما عليهم من سبيل الآية ثم قال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فالاول عن به المكافاة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثاني هو الصبر والعفو من الاحسان والفضل وهو أحسن ومن ذلك قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الآية فاستماع القول هو العدل واتباع الاحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين قيل هم الذين لا يظلمون فاذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو بالاخبار وهو الخشوع والطمأنينة الى الجزاء من الله في الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن ظلمك) رواه ابن البخار من حديث علي بن الغضاصل من قطعك واحسن الى من أساء اليك وقيل الحق ولو على نفسك وقد تقدم (ورأيت في الانجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام لقد قيل لكم) يعني في التوراة وغيره من كتب السماء (من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الايسر ومن أخذ زرادعك فاعطه ازارك ومن سخر لك لتسير معه ميلا فسير معه ميلين وكل ذلك أمر بالصبر على الاذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر) وقد تقدم انه أول مقام من مقامات الرضا (لانه يتعاون فيه على باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوله وآخره كالمصاب مثل موت الاعزة وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعي العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر) وهو ثاني مقام من مقامات الرضا المقرب التام لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أكثر الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله سبحانه في المجمل ولربك فاصبر ثم فسر في الكلام المفسر فقال فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا (قال ابن عباس) رضى الله عنهما (الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه) باعتبار متعلقه (صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة) أي منزلة عالية في الجنة (وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة) ولفظ القوت ورويناعن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على اداء فرائض الله وصبر على محارم الله وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فن صبر على اداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة اه قلت وهذا قد روى مرفوعا من حديث علي رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وأبو الشيخ في كتاب الثواب والديلي في مسند الفردوس كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن زكريا عن عمر بن علي عن عمر بن يونس الميماني عن مدرك بن محمد السدوسي عن رجل يقال له علي عن علي رضي الله عنه رفعه الصبر ثلاثة فصر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فن صبر على المصيبة حتى يرد بها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كباين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كباين تخوم الارض الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كباين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين وهذا صريح في ان الصبر على المقدور أدنى المراتب ثم الصبر على المأمور ثم عن المحذور وله وجه وذلك لان الصبر على مجرد القدر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر فلا بد لكل منهم الصبر عليه اختيارا أو اضطرارا والصبر على الاوامر فوقه ودون الصبر عن المحرمات فان الاوامر أكثرها محبوب للنفس لما فيها من العدل والاحسان والاخلاص والبر والصبر على المخالفات صبر على مخالفة هوى النفس وجملة على خير طبعها وهو أشق شيء واصعبه والصبر عن المعاصي التي أكثرها محاب للنفس فقد ترك المحبوب العاجل في هذه الدار لمحبوب آجل في دار أخرى ولا يصبر على ذلك الا الصديقون وهذه الثلاثة محاب للنفس الزكية الفاضلة قالوا والناس من باب جهة النفس عن لذاتها وجيتها مع قيام داعي التناول وقوله خطب مهول ولهذا

كان باب قربان النهي مسدودا و باب الامر مقيدا بالمستطاع ومن ثم كانت عامة العقوبات على المنهيات وأما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حدا معينا وأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا وبهذا استبان سر الترتيب الواقع في حديث علي رضي الله عنه وأما الترتيب الواقع في خبر ابن عباس على ما ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فله أيضاً وجه وقد أشار إليه المصنف بقوله (وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس) وذ كر صاحب القوت عقب قول ابن عباس السابق مانصه وهذا يحتاج الى تفسير لم يقصد ابن عباس ان الصبر على المصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على اداء الفرائض لان الصبر في ذلك من مريد أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين فانما فضل المقام في اليقين على المقام في الاسلام (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا الدنيا) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي وقد تقدم في كتاب الدعوات (فهذا صبر مستنده حسن اليقين) وأحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس خزا وسخطا في المصائب أقلهم يقينا وأكثرهم حبال الدنيا ومثله ما رواه سلمة بن وردان عن أنس رفعه من ترك المراء وهو يحق بنى الله له في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له في وسط الجنة ومن ترك الكذب بنى له في ريع الجنة فقد علمت ان ترك الكذب والمراء مبطالا فرض وواجب فنبغي أن يكون أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب باطل يتركه المسلمون والمراء والعبد يحق صادق ثم لا عار في زهدا في الظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا المتقون وهم خصوص المؤمنين فقامه من اليقين والزهد واثار الصمت والنجول على الكلام والشهرة أفضل فهو اليقين فصار هذا الموقن مقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمعاراة وان كان أفض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه يقال من علامة التسليم للقضاء حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين فاما اشتراط الصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فكأنه يقال كل شيء يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشتراط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل ٧ صغرها وفي صدقة القلب أول ما يبعثه الشيء فينظر الى نظر الله عز وجل فيستحي فيحسن الصبر كما قال تعالى فانك باعنا ناه هذا مقام المتوكلين على الله تعالى كل هذا السياق في كتاب القوت وقال بعض من اختصر الاحياء وزاد عليه مانصه اما آداب الصبر فقد تقدم ان حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في محاربة باعث الهوى ومقابلته فليبدأ في ذلك بالاهم فالاهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فالبداية بترك المحظورات وهو واجب ثم بالمكروهات وهو مستحب ثم بفضول المباحات الشاغلة عن رب الارض والسماوات وهي قربة فان قيل لم فرقت بين المستحب والقربة وهو ما واحد فأقول بينهما عند التحقيق فرق وذلك ان الله تعالى بمنه وفضله انا بناعلى كل حسنة ثوابا عاجلا وثوابا آجلا ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على تلك الحسنة حسنة تناسبها وتليها في الدرجة فاذا تركت مكروها لله انا بك الله عليه بترك مكروهه وادق منه في الرتبة واذا تركت مباحا شاغلا ففتح قلبك بسببه بابا اليه لحقيقة القربة نفحة من نفحات الرحمة تكشف لقلب العبد وجود الله وجماله فيترك فضول المباحات بسبب ذلك ويعرف هذا من يفرق بين حق النفس وحظها فان كنت من أهل الذوق والا فالتصديق به واجب تدايما ثم البداءة بالواجب من الطاعات ويقدم الاوجب على الواجب وما يهون على ما لا يهون وهذا واجب ثم يقدم أفضل الفضائل فافضلها ويترك الفاضل للافضل اذا لم يمكن الجمع بينهما والدعاء للظالم والشفقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين ثم الصبر على المصائب بالثبات

وانما فضلت هذه المرتبة مع انها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون علي به مصائب الدنيا فهذا صبر مستنده حسن اليقين

عند الصدمة الاولى لان كل شيء يوجد صغيرا ثم يأخذ في النماء والزيادة الا المصيبة فانها تبدو عظيمة ثم
تصغر وتأخذ في النقصان وهذا واجب فان غفل وجزع ثم رجع عن غفلته وندم واسترجع كان ندمه
واسترجاعه توبة له وقد قلنا ان التوبة تصح من كل ذنب ويدخل في هذا النوع الصبر على الآمن ومكافأة
الجاني بما هو معصية حرام ومكافأته بما هو مباح مكروه لذهاب الملائكة وعدم اجابته عنه وان تألم في
باطنه ولكن ترك المكافأة عليه في الظاهر فهو أحسن حالا من الاول ولا يدخل في نهى التحريم لان
الآلم يدخل تحت اختيار العبد والرب تعالى لا يكاف العباد ولا يؤاخذهم الا بما يدخل تحت اختيارهم
ويستحب علاج الآلم وتكسبه الى أن يستوى عند القلب وجود الآذى وعدمه كما تكسب الطاعة والمشقة
ويجتنب المعاصي فان فرح بالجناية ودعا للجاني فهذه هي القرية الصديقة ولا يحصل هذا الا لعبد فزع
نورا التوحيد قلبه فارفعت عن قلبه رؤية الوسائط وشاهد المتوحد بالافعال ويعرفه إيمانه ان سيده
اختار له ذلك ليزكي قلبه وينمي له نوره الى هنا كلامه (وكان أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى
(يقول والله ما نصبر على ما تحب فكيف نصبر على ما تكره) نقله صاحب الرسالة قال سمعت الشيخ أبا
عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا جعفر الرازي يقول سمعت عباسا يقول سمعت أحمد بن أبي الخوارى
يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال ذكره (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى
عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة ان انصب
له ميزانا أو أنشر له ديوانا) قال العراقي رواه ابن عدى في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اه قلت
وكذلك رواه الحكيم في النوادر والديالى في مسند الفردوس (وقال صلى الله عليه وسلم انتظار
الفرج بالصبر عبادة) رواه القضاى في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا
في الفرع بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر وكذا رواه أبو سعيد المالبني في مسند الصوفية
من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة والترمذى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم
في الدعوات انتهى قلت ومن رواه دون قوله بالصبر ابن عدى والخطيب من حديث أنس بسند ضعيف
ورواه الترمذى وحسنه من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقد روى من حديث علي بن محمد لفظ القضاى
رواه ابن عبد البر والبيهقى وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر من حديث علي بلفظ انتظار الفرج عبادة
ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل (وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن
أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني) بالمد (في مصيبتى وأعقبني
خيرا منها الا فعل الله به ذلك) قال العراقي رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى قلت لفظ مسلم ما من
عبد يصيب مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها الا آجره الله
في مصيبتى واخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سامة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخلف الله خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أحمد عن أم سلمة قالت اتاني أبو سامة يوما من
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً سررت به قال
لا يصيب أحدا من المسلمين مصيبة فيستر جمع عند مصيبتى ثم يقول اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي
خيرا منها الا فعل ذلك به قالت أم سلمة حفظت ذلك منه فلما توفي أبو سامة استرجعت وقلت اللهم أجرني
في مصيبتى واخلف لي خيرا منه ثم رجعت الى نفسى وقلت من أين لي خيرا من أبي سلمة فأبدلني الله بأبي
سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه الطيالسي وأبو نعيم في الحلية بلفظ ما من عبد يصاب
بمصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احسبت مصيبتى فاتجرني منها واعقبني خيرا منها الا
أعطاه الله ذلك وروى ابن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرح الى
ما أمره الله به من قول انا لله وانا اليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتى هذه وعوضني خيرا منها الا آجره

وقال أبو سليمان والله
ما نصبر على ما تحب
فكيف نصبر على ما تكره
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم قال الله عز وجل اذا
وجهت الى عبد من عبيدى
مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده
ثم استقبل ذلك بصبر جميل
استحيت منه يوم القيامة أن
انصب له ميزانا أو أنشر له
ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم
انتظار الفرج بالصبر عبادة
وقال صلى الله عليه وسلم
ما من عبد مؤمن أصيب
بمصيبة فقال كما أمر الله
تعالى انا لله وانا اليه راجعون
اللهم أجرني في مصيبتى
وأعقبني خيرا منها الا فعل
الله به ذلك

الله في مصيبيته وكان قنأ أن يعرضه الله منها خيرا منها وروى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن علي مامن مسلم ولا مسلمة يصاب مصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعا لاجله الله له عند ذلك فاعطاه مثل آخرها يوم أصيب (وقال أنس) رضي الله عنه (حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمة (أي عينيه ويقال للعين كريمة) لكونها مكرمة عند صاحبها (قال) جبريل (سبحانك لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال) الله عز وجل (خزأه الخلود في داري والنظر الى وجهي) قال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من رواية أبي ظلال القسبي واهله هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخاري بلفظ ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدتي بحبيبتيه فصبر عؤضته منهما الجنة ورواه ابن عدى وأبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمة عبدك أرض له ثوابا دون الجنة قلت يا رسول الله وان كانت واحدة قال وان كانت واحدة وفيه سعيد بن سليم قال ابن عدى ضعيف انتهى قلت وروى الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب بلفظ ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمة عبد في الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة ورواه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح بلفظ يقول الله عز وجل من أذهب حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة ورواه هناد كذلك وروى الطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة وابن عساكر من حديث أبي أمامة ان الله تعالى يقول يا ابن آدم اذا أخذت منك كريمة فصبرت واحتسبت عند الصدمة الاولى لم أرض لك ثوابا دون الجنة ورواه أحمد وابن ماجه مثله بلفظ يقول الله تعالى يا ابن آدم وروى عبد بن حميد وسهويه وابن عساكر من حديث أنس قال الله عز وجل وعزني لأقبض كريمة عبدتي فصبر لحكمي وبرضي بقضائي فارضى له بثواب دون الجنة وحديث أنس عند البخاري ورواه أيضا أحمد وزاد يعني عينيه ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث جرير بن زبيد بلفظ له من حديثه قال الله عز وجل من سلبت كريمة عؤضته منهما الجنة وروى ابن حبان والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث العرباض بن سارية قال الله عز وجل اذا سلبت من عبدتي كريمة وهوها ضنين لم أرض له بها ثوابا دون الجنة اذا جدني عليهما ورواه الطبراني وحده من حديث أبي أمامة نحوه بلفظ قال ربكم وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس قال ربكم من أذهب كريمة ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بلفظ يقول الله لا أذهب بصفتي عبد فارضى له ثوابا دون الجنة (وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدتي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلتها لما خيرا من لجهود ما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال خزأه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزع عنه أبدا

وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبريل ماجزاء من سلبت كريمة قال سبحانه لا أعلم لنا الا ما علمتنا قال تعالى خزأه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ابتليت عبدتي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده أبدلتها لما خيرا من لجهود ما خيرا من دمه فاذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يارب ماجزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال خزأه أن ألبسه لباس الايمان فلا أنزع عنه أبدا

وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة فأنزعه عنها منه (٢٩) وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه

منها أفضل مما انتزع منها
وقرأ النماز في الصبر ون
أجرهم بغير حساب وسئل
فضل عن الصبر فقال هو
الرضا بقضاء الله وقيل وكيف
ذلك قال الراضي لا يتمنى
فوق منزلته وقيل حبس
السبيل رحمه الله في المارستان
قد دخل عليه جماعة فقال
من أنتم قالوا أحباؤك جازوك
زائر بن فاخته برميهم بالحجارة
فاخذوا بهرون فقالوا
كنتم أحباؤنا لصبركم على
بلائنا وكان بعض العارفين
في جيبه رقعة يخترجها كل
ساعة ويطلعها وكان فيها
فأصبر لحكم ربك فانك
باعتنا ويقال ان امرأه فزع
الموصلى عثرت فانقطع
ظفرها فضحك فقيل
لها أما تجدن الوجع فقالت
ان لذة ثوابه أزالته عن قلبي
مرارة وجعه وقال داود
أسلمان عليهما السلام
يستدل على تقوى المؤمن
بثلاث حسن التوكل فيما
لم ينل وحسن الرضا فيما
قد نال وحسن الصبر فيما
قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من أجل الله
ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعلك ولانك كرمصيتك
و روى عن بعض الصالحين
انه خرج يوما في كفة صرة
فاقتدها فاذا هي قد أخذت
من كفة فقال بارك الله فيها
لعله أحوج اليها مني وروى

روحه في الارواح قال اللهم فاجزاء من يعزى خزينا ابتغاء مرضاتك قال ان ألبسه لباس التقوى
واستره به من النار فأدخله الجنة الحديث (وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى في خطبته ما أنعم الله
على عبد نعمة فأنزعه عنها منه وعوض منها الصبر الا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ قوله تعالى
النماز في الصبر ون أجرهم بغير حساب) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الجبار
حدثنا سعيد بن غانم عن محمد بن عمرو قال سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول في خطبته ما أنعم الله على عبد نعمة
ثم انتزعها منه فعاوضه مما انتزع منه الصبر الا ما كان عاضه خيرا مما انتزع منه ثم قرأ هذه الآية النماز في
الصبر ون أجرهم بغير حساب وقد نقله كذلك صاحب العوارف (وسئل فضيل بن عياض رحمه الله
تعالى عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله وقيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته) وكانه يشير
الى ثاني مقام من مقامات الصبر الذي هو درجة الزاهدين واليه يشير ما رواه الحكيم والديلمي وابن
عساكر من حديث أبي موسى الأشعري الصبر الرضا وفي لفظ الصبر رضاء يعني ان التحقق بالصبر هو
الذي يفتح الوصول الى مقام الرضا (وقيل حبس السبيل رحمه الله تعالى) وقتنا (في المارستان) هو دار
المرضى (قد دخل عليه جماعة فقال) لهم (من أنتم قالوا أحباؤك جازوك زائر بن فاخته برميهم بالحجارة)
اختبارا لمحببتهم له (فاخذوا بهرون منه فقال) لهم (لو كنتم أحباؤنا) صادقين (لصبرتم على بلائي)
اعتبارا بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن في المارستان ونسبته الى الجنون وليس بمجنون نقله القشيري
في الرسالة (وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخترجها كل ساعة ويطلعها) أي يقرأ ما فيها (وكان
فيها وأصبر لحكم ربك فانك باعيننا) ولفظ القشيري في الرسالة وقال بعضهم كنت بمكة فقرأت فقرا طاف
بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومروا كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياما وهو يفعل مثل
ذلك فيوما من الايام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا فخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها
وأصبر لحكم ربك فانك باعيننا (وقيل ان امرأه فزع) بن شحرف (الموصلى) وكانت من العارفات (عثرت)
أي وقعت برجلها (فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها أما تجدن ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه أزالته عن
قلبي مرارة وجعه) أورد المصنف هذه القصة هنا استدلالا به على الصبر على البلاء ومعلوم ان المستدل
بالبنية لا بعد صبرا حقيقة ولذلك لم يوصف سيدنا أيوب عليه السلام بالصبر فقال تعالى انا وجدناه صابرا
ولم يقل صبارا لكونه كان يستدل ما تزل به في بعض أحيانه (وقال داود لسليمان عليهما السلام) يجتنبه
بم يستدل على تقوى المؤمن فقال (يستدل على تقوى المؤمن بثلاث) خصال الاولى (حسن التوكل فيما
لم ينل و) الثانية (حسن الرضا فيما قد نال و) الثالثة (حسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من أجل الله ومعرفته حقه ان لا تشكو وجعلك ولانك كرمصيتك) قال العراقي لم أجده
مرفوعا وانما رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من
الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك انتهى قلت وقال صاحب القوت وقد روي ناعن
النبي صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر في ثلاث الصبر عن تركية النفس والصبر عن شكوى
المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله خبره وشه (و روى عن بعض الصالحين انه خرج يوما الى السوق
فساوم شيئا من الطعام (و) كانت (في كفة صرة) فيها دراهم فاراد ان يدفع لصاحب الطعام منها فضرب
بيده عليها (فاقتدها فاذا هي قد أخذت من كفة) أي اختلست أو انحلت الصرة فوقع الدراهم
(فقال بارك الله فيها لعله أحوج اليها مني) فهذا من الصبر على المصيبة وعدم اظهار الجزع وقد دفع
مثل هذا لابن مسعود رضي الله عنه (و روى عن بعضهم انه قال صبرت على سالم مولى أبي حذيفة) بن
عتبة بن ربيعة بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الاولين وكان من أكثرهم قرآنا (في القتلى) وكان
معه لواء المهاجرين روى ابن المبارك في كتاب الجهاد له انه قال حينئذ بش حامل القرآن انابني ان فررت
عن بعضهم انه قال صبرت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى

فقطعت يمينه فآخذة بيساره فاعتنقه الى ان صرع فقال لاصحابه ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه قبل قتل قال
فاضجعوني بيمينه (وبه رمق) أي بقية الروح (فقلت أسبقك ماء فقال جرتني قايه - لا الى) جهة (العدو
واجعل الماء في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته) ومات على حالته ولم يشرب الماء فارسل
عمر ميراثه الى مولاه ثبينة (فهكذا كان صبره الى طريق الآخرة على بلاء الله تعالى فان قلت فيماذا
تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره فهو مضطر شاء أم أبي فان كان المراد به ان لا تسكون
في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابر بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود) والهلع والتسخط (والمبالغة في الشكوى واطهار الكفاية) أي الحزن
(وتغير العادة في الملبس والغرض والمطعم وهذه الامور داخله تحت اختياره فينبغي أن يحتجب جميعها)
فانه يفسد واجب الصبر ويحبط عمله في أحر المصيبة بل ياتم على فعله (و) عليه (ان يظهر الرضا بقضاء
الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته) في سائر أحواله ومن فعل شيئا مما تقدم ذكره فلا ثواب له على مصيبة
لان نفس المصيبة لا ثواب عليها لان الله لا يثيب العباد الا على ما يدخل تحت اختيارهم وانما الثواب على
الصبر لا على المصيبة بل هو آثم في تسخطه على قضا عربه (و) عليه ان (يعتقد ان ذلك كان وديعة) عنده
(فاسترجعت كإروى عن الرميضاء أم سليم رضي الله عنها) هي ابنة ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن
جندب الانصارية وهي أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهرت بكينيتها واختلف في اسمها
على أقوال سهلة أورمية أو مليكة أو الرميضاء أو العبيضاء وقيل بل هما القبان لها (انما قالت توفي
ابن لي وزوجي أبو طلحة) زيد بن سهل (غائب) وكانت قد أسلمت مع السابقين الى الاسلام من الانصار
فغضب زوجها مالك بن النضر وخرج الى الشام فمات بها فتزوجت بعده بأطلحة وكان صداقها الاسلام
(فمقت فمجيته) أي غطيته (في ناحية البيت فقدم أبو طلحة) من غيبته (فمقت فميت له افطاره
فجعل يأكل فقال كيف الصبي) وكان مريضا (فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشترك خيرا
منه الليلة ثم تصغت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته) يعني خالطها (فقلت
الأنجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعير واعارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بشس
ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله تعالى قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلو قدر أريت اهما بعد
ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن) قال العراقي رواه الطبراني في الكبير ومن طريقه أبو نعيم
في الحلية والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف انتهى قلت قصتها في الصحيحين لسانها ولدها
من أبي طلحة فقالت لما دخل لا يدكر أحد ذلك لابي طلحة قبل فلما جاء وسأل عن ولده قالت هو أسكن
ما كان فظن انه عوفي وقام وأكل ثم تزيت له وتطيبت فنام معها وأصاب معها فلما أصبحت قالت له احتسب
ولدك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بارك الله لكافي ليلتكما فجاءت بولده وهو عبد الله بن أبي
طلحة فانجب ورزق أولاد اقرؤا القرآن منهم عشرة كلاً (وروي جابر) بن عبد الله الانصاري رضي
الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال رأيتني دخلت الجنة فاذا بالرميضاء امرأة أبي طلحة) قال العراقي رواه
النسائي في الكبرى باسناد صحيح انتهى قلت رواه من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر
عن جابر وقال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثنا جيسد عن أنس قال قال نبي
الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فاذا أنا بالغميضاء بنت ملحان ومن طريق
جماد بن ثابت عن أنس نحوه لكن قال الرميضاء أو ردها في ترجمة أم سليم وقدر واه أيضا أحمد ومسلم

مضطر شاء أم أبى فان كان
المراد به ان لا تكون في
نفسه كراهية المصيبة فذلك
غير داخل في الاختيار فالعلم
انه انما يخرج عن مقام
الصابرين بالجزع وشق
الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى
واظهار الكآبة وتغيير
العادة في اللبس والمفروض
واطعم وهذه الامور داخله
تحت اختياره فينبغي أن
يجنب جميعها يظهر الرضا
بقضاء الله تعالى ويبقى
مستترا على عادته ويعتقد
أن ذلك كان وديعة
فاستر جعت كما روى عن
الرمضاء أم سليم رجاها الله
انها قالت توفي ابن لي وزوجي
أبو طلحة فغائب ففقت
فسيحبتني فاحببت البيت
فقدم أبو طلحة ففقت
فهيات له افطاره فجعل
ياكل فقال كيف الصبي
فقلت باحسن حال بحمد
الله ومنه فانه لم يكن منه ذ
اشتكى باسكن منه الليلة ثم
نصعت له أحسن ما كنت
انصنع له قبل ذلك حتى أصاب
منى حاجته ثم قلت ألا تعجب
من جبر لنا قال ما لهم قلت
آخبروا عارية فلما طلبت
منهم واسترجعت خزعوا
فقال بس ما صنعوا فقلت
هذا ابنك كان عارية من
الله تعالى وان الله قد قبضه

اليمحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهم في ليلتهم ما قال الراوي فلقد رأيت والناسي لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأ القرآن وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالربيعاء امرأة أبي طلحة

وقد قيل الصبر الجبل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرج عنه عن حد الصابر بن توجع القلب ولا يفيض العين بالدمع اذ يكون من جميع الحاضر بن لاجل الموت سواء ولأن البكاء توجع القلب (٣١) على الميت فان ذلك مقتضى البشرية ولا

يفارق الانسان الى الموت ولذلك لمات ابراهيم والنبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له أما نهيتمنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرجاء بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الجحامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه بالدمع (اذا عظم ألمه وسأني في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى) وما لا يخرج من حد الصابر من أيضا حكاية المصيبة للتداوي وللعالم يتعلم منه الصبر والرضا والصديق يعرف الحال لا على قصد الشكوى لان هذا مما تم به البلوى (وكتب ابن أبي نجيج) هكذا هو في النسخ أبو يسار المديني الثقي مولا هم وأبو نجيج كعظيم اسمه يسار روى له الجماعة وفي نسخة القوت ابن أبي يحيى وهو عبد الله ابن محمد بن أبي يحيى الاسلمى لقبه سحبل وقد ينسب الى جده روى له أبو داود (يعزى بعض الخلفاء فكتب ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاء واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فبك واعلم ان أجر الصابر فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذ دفع الكراهة بالتفكير في ان أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاء واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فبك واعلم ان أجر الصابر فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذ دفع الكراهة بالتفكير في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابر بن نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصيبات من كنوز البر كتمان المصائب والادجاع والصدقة) ففي اظهار المصيبة والوجع والتحدث بها قدح في الصبر مفقود للأجر وكتمان رأس الصبر وقد شكك الاحنف بن قيس الى عمه وجع ضرره وكدره فقال له لقد ذهبت عني منذ أربعين سنة فما شكوتها لاحد فكتمان هؤلاء الثلاثة كثير خير لصاحبه اليوم فاقته لا تطلع على ثوابه ملك ولا يدفع الى خصمائه بل يعرضهم الله من باقى أعماله أو خزان فضله ليقبض له كثره وذلك اذا كان صبرا منه ورضا عن ربه وحياهمنه ان يشكو أو يستغنى باحد من خلقه وهذا قد روى مرفوعا وانما تتبع المصنف فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه فقد رواه أبو نعيم في الحلية وكذا البيهقي من حديث زافر بن سليمان عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه ثم قال أبو نعيم غريب تفرد به زافر عن عبد العزيز بن أبي رواد وقال الذهبي زافر بن سليمان قال ابن عدى لا يتابع على حديثه وعبد العزيز بن أبي رواد روى عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وروى الطبراني من حديث أنس ثلاث من كنوز البر كتمان الشكوى وكتمان المصيبة وكتمان الصدقة ورأى الطبراني أيضا وابن عساكر من حديثه ثلاث من كنوز البر الخطاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصر الحديث وقد تقدم قريباً وهذا ظهران الحديث له أصل ويراى ابن الجوزي اياه في الموضوعات فيه نظر (فقد ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال) لا يخص منها حال دون حال ولا فعل دون فعل (فان الذى كفى الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن) أبدا (وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر) من الازل (فهو كيفما كان تضييع زمان) فإى

الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذى كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن وأكثر جولان الخواطر انما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تضييع زمان

وآله العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينارعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أماره له منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس (٣٢) في حبه حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية

قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فلا شيطان جنسان جند طيور وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار وهذا الان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كاف الملعون المخلوق من النار ان يطعم من سبب حركته ساجد الما خلق الله من الطين فابي واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا حدث لم يسجد الملعون لا بينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطعم في سجوده لا ولاده وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض الانبياء حين قال له ألا تطلب من الله ان يتوب علي فقال نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعته في قبول توبة ابليس فخاف الخطاب نعم ان يسجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبي فقال أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه في الجلالة فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود) ومعناه في الباطن (وانما وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكساح بين يدي الرجل العظيم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتسكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلمة عن عالم الغيب) والملكوت (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهم ملك كلهم واحد لا تشع به بل في الاموية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يسجد الملعون بحالافيك) ولا يتمكن منك مادمت كذلك كأنك في حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) أن عبادي ليس لك عليهم سلطان (الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

فائدة في شيء فان لم يكن تلافيه أم أي فائدة في شيء هو غيب لا يدري كيف يكون واليه أشار التامل ماضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها (وآله العبد قلبه وبضاعته عمره) وكل منهما نفيس (فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى) ويحظى بمزيد القرب منه (فهو مغبون) أي خسر (هذا اذا كان فكره ووسواسه في المباحات) الشرعية (وكان ذلك مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الخيل) وأنواع الخداع (لقضاء الشهوات) النفسية (اذ لا يزال ينزع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينارعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أماره) أي علامة (له منه) تدل على ذلك (بل يقدر المخالفة من اخلص في حبه) وأحبه اليه (حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له) في أمره أو غرضه (ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته) فيطول الحال ويكثر الاشتغال (ولا يزال في شغل دائم) لا ينتهي الى حد (فالشيطان جنسان جند طيور وجند يسير والوسواس) العارض منه (عبارة عن حركة جنده الطيارة والشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة وهذا الان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار) كما هو نص الكتاب العزيز (والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين) اذ لا يكون فخارا يصلصل الا بدخوله في النار (والطين طبيعته السكون) والاستقرار والبرودة (والنار طبيعتها الحركة) والاضطراب والحرارة (فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كاف الملعون المخلوق من النار ان يطعم من سبب حركته ساجد الما خلق الله من الطين فابي واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين) وان النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف (فاذا حدث لم يسجد الملعون لا بينا آدم عليه السلام فلا ينبغي ان يطعم في سجوده لا ولاده) وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض الانبياء حين قال له ألا تطلب من الله ان يتوب علي فقال نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعته في قبول توبة ابليس فخاف الخطاب نعم ان يسجد لقبر آدم عليه السلام فقال له ذلك النبي فقال أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت (ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده واذعانه في الجلالة فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود) ومعناه في الباطن (وانما وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما ان الانكساح بين يدي الرجل العظيم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتسكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلمة عن عالم الغيب) والملكوت (وتحقق أن الشيطان من المنظرين) أي من الذين قد أمهلوا (فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهم ملك كلهم واحد لا تشع به بل في الاموية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يسجد الملعون بحالافيك) ولا يتمكن منك مادمت كذلك كأنك في حصن منيع (فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين) أن عبادي ليس لك عليهم سلطان (الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض قلبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح هذا ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي العظيم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتسكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلمة عن عالم الغيب وتتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الآن تصبح وهم ملك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يسجد الملعون بحالافيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة

هذا اللعين ولا تظن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان أردت ان يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لاجتماعه في كونه القلب المشغول بفكرهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان والافن غفل (٢٣) عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرن الا الشيطان

ولهذا قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهرة فارغ ولم يبق قلبه فارغا بل يعش فيه الشيطان ويبض ويفرخ ثم تزوج أفرأخه أيضا وتبض مرة أخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الخلفاء اليابسة كثرت نسله فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار واذا لم يتجدد مائتا كلة (فاذا اذا تأملت علمت ان أعدى عدوك شهوتك وهي صفة نفسك) ففي الخبر اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وفي رواية زوجتك التي تضاعفك وروى العسكري عن سعيد بن أبي هلال مرسل ليس عدوك الذي ان قتلته كان لك نورا وان قتلته دخلت الجنة ولكن أعدى الاعداء لك نفسك التي بين جنبيك (ولذلك قال أبو المغيث الحسين بن منصور) بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح بن عبد الله بن أبي أيوب الانصاري (الحلاج) محب الجنيد والثوري وغيرهما واختلف الناس فيه فافق كثير من العلماء باباحة دمه فقتل يوم الثلاثاء اسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ (حين كان يصب) وذلك ببغداد (وقد سئل عن التصوف فقيل له ماهو (فقال هو نفسك ان لم تشغلها) بالذكر والفكر (شغلتك) بما يبعدك عن حضرة الله) فاذا حقيقة الصبر وكاله الصبر عن كل حركة مذمومة (ذمها الشارع (وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك) لما فيه من الوسواس والخطرات (وهذا صبر دائم لا يقطعه الاموت) نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه

(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)

(اعلم) هذا الله تعالى (ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء و وعد الشفاء) روى أبو نعيم في الطب من حديث أبي هريرة ان الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء ورواه ابن السني والحاكم بلغزان الذي أنزل الداء أنزل الشفاء (فالصبر وان كان شاقا) على النفس (أو تمتنع فحصيله ممكن بمعجون) مركب من

(٥ - (اتحاف السادة المتقين) - ناسع) التصوف ماهو فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذا حقيقة الصبر وكاله الصبر عن كل حركة مذمومة متوحدة بالباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه الاموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه*(بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه)* اعلم ان الذي أنزل الداء أنزل الدواء و وعد الشفاء فالصبر وان كان شاقا أو تمتنع فحصيله ممكن بمعجون

عالمك معها فزجه أو علك
 فزجه ولكن ليس علك عينه
 أو علك عينه ولكن ليس
 علك قلبه ونفسه اذ لا تزال
 تحدنه بمقتضيات الشهوات
 وبصره ذلك عن الموانطة
 على الذكر والفكر والاعمال
 الصالحة فتقول قد قدمنا
 أن الصبر عبارة عن مصارعة
 باعث الدين مع باعث
 الهوى وكل متصارعين
 أردنا أن يغلب أحدهما
 الآخر فلا طريق لنا فيه
 الا تقوية من أردنا أن
 تكون له اليد العليا
 وتضعيف الآخر فلزنا
 ههنا تقوية باعث الدين
 وتضعيف باعث الشهوة
 فاما باعث الشهوة فسيب
 تضعفه ثلاثة أمور أحدها
 أن ننظر الى مادة قوتها
 وهى الاغذية الطيبة المحركة
 للشهوة من حيث نوعها
 ومن حيث كثرتها فلا بد
 من قطعها بالصوم الدائم
 مع الاقتصاد عند الافطار
 على طعام قليل في نفسه
 ضعيف في جنسه فيجتري عن
 اللحم والاطعمة المهيجة
 للشهوة الثاني قطع أسبابه
 المهيجة له في الحال فانه انما
 يهيج بالنظر الى مظان
 الشهوة اذ النظر يحرك

القاب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالهزلة والاحتراز عن مخافان وقوع البصر على الصور المشتبهة والفرار منها الأكبر
بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس وهو سهم يسده المعون ولا ترس يمنع منه الاغميض الاجفان
أو الهروب من صوب رمية فانه انما يرى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلب عن صوب الصور لم يصب سهمه الا بالث تسليمة النفس بالمباح
من الجنس الذي تشبهه وذلك بالنكاح فان كل ما يشبهه الطابع في المباحات من جنسه ما يغنى عن المحاورات منه وهذا هو العلاج الانفع

في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الاعمال ثم قد لا يقيم الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالباه
فن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجوح وعن
الكب الضاري ليضعف قوته والثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكب (٢٥) وتغيب الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك

بواطنها بسبب مشاهدتها
والثالث يضاهي تسليتها
بشي قليل مما يميل اليه
طبعها حتى يبقى معها من
القوة ما تصبر به على
التأديب وما تقوية باعث
الدين فانما تكون بطريقين
أحدهما اطعماعه في فوائد
المجاهدة وغرائها في الدين
والدنيا وذلك بان يكثر فكره
في الاخبار التي أوردناها في
فضل الصبر وفي حسن
عواقبه في الدنيا والآخرة
وفي الأثران ثواب الصبر على
المصيبة أكثر مما فات وأنه
بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة
اذفاته ما لا يبقى معه الامدة
الحياة وحصل له ما يبقى بعد
موته أبد الدهر ومن أسلم
خسيسا في نفيس فلا ينبغي
أن يحزن لغوان الخسيس
في الحال وهذا من باب
المعارف وهو من الايمان
فتارة يضعف وتارة يقوى
فان قوى قوى باعث الدين
وهيجته تهيج شديدا وأن
ضعف ضعفه وانما قوة
الايمان يعبر عنها باليقين
وهو المحرك لعزيمة الصبر
وأقل ما أوتي الناس الصبر
وعزيمة اليقين والثاني ان
يعود هذا الباعث مصارعة

الاكبر (في حق الاكثر فان قطع الغذاء) معالفا (يضعف عن سائر الاعمال) الصالحة التي تستدعي
القوة (ثم قد لا تقيم الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم) يا أيها الناس (عليكم
بالباهة) أي التكاثر (فان لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) رواه الطبراني في الاوسط والضياء من
حديث أنس وقد تقدم في كتاب التكاثر (فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي
قطع العلف عن البهيمة الجوح) أي العاصية عن التأديب (وعن الكب الضاري) أي اللهيج
يا كل لحم الصيد (ليضعف قوته و) العلاج (الثاني يضاهي تغيب اللحم عن الكب وتغيب
الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها) بالعين والخس (و) العلاج (الثالث
يضاهي تسليتها بشي قليل مما يميل اليه طبعها حتى يبقى معها من القوة ما تصبر على التأديب) والرياضة
(وأما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين أحدهما اطعماعه في فوائد المجاهدة وغرائها في الدين
والدنيا) والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد أو بما رأيت من البواعث الحادثة المقوية له الى أن
يغلب وينتصر ويفوز بالخلاص السنية الموعودة له (وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل
الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثران ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وأنه بسبب
ذلك مغبوط بالمصيبة اذفاته ما لا يبقى معه الامدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر) كانه يشير الى
أثر ابن عباس المتقدم ان من صبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعة عشر درجة تبعها صاحب القوت
وقد تقدم الكلام عليه وان المروي من حديثه على خلاف ذلك (ومن أسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي أن
يحزن لغوان الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الايمان) بالترغيب والترهيب بالقضاء
والقدر وخبره وشهره وحلوه ومره من الله تعالى والايمان بهذا واجب والشريعة طاعة بهذا القرآن
من فافتحه الى خاتمته ترغيب وترهيب وتذكير به اللبيب فاذا قرأ العبد القرآن بالتدبر والاصغاء
أحضر قلبه وتفكر فماتت الله تعالى على الطاعات من الجزاء والكرامات وعلى المخالفات قوى اعانته
ويقينه واليه أشار المصنف بقوله (فتارة يضعف وتارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجته تهيج
شديدا وان ضعف ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس
الصبر وعزيمة اليقين) كذا وفي ذلك من حديث شهر بن حوشب عن أبي امامة رفعه وقد تقدم ذكره
واذا قوى يقينه انهم زعم كيد الشيطان وخزيه واذا قوى يقينه بالقضاء والقدر صبر على ما ابتلاه الله وان
اتسعت معرفته حتى يرى المصيبة نعمة حصل منه الشكر عوضا عن الصبر وارتفع بذلك درجته عند الله
تعالى (والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدبر بحاجته لا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها
فيستجري عليها وتقوى منته) أي قوته (في مصارعتها فان الاعتناء والممارسة للأعمال الشاقة تؤكّد
القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين) للاعمال الثقيلة (والفلاحين) لمعاونة
أعمال الاعراض (والمقاتلين) في الحروب (وبالجملة فتقوى الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على قوة
الحياطين والعطارين) وهم الصيادلة (والفقهاء) في المدارس (والصالحين) في الزوايا (وذلك لان
قواهم لم تتأكّد بالممارسة) والمزاولة (فالعلاج الاول يضاهي اطعماع المصارع بالخلة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة) والانعام (كلو عد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى) عليه السلام

باعث الهوى تدبر بحاجته لا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها وتقوى منته في مصارعتها فان الاعتناء والممارسة للأعمال الشاقة
تؤكّد القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة فتقوى الممارسين للاعمال الشاقة تزيد على
قوة الحياطين والعطارين والفقهاء والصالحين وذلك لان قواهم لم تتأكّد بالممارسة ففالعلاج الاول يضاهي اطعماع المصارع بالخلة عند الغلبة
ووعده بانواع الكرامة كلو عد فرعون سحرته عند اغرائه اياهم بموسى

حيث قال وانكم اذا ان المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصباح حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلباها ما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس وانما يشد ذلك على من تفرغ له بان تقع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب وهذا العلاج له البتة الاقطع العلائق (٢٦) كلها طاهر ارباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء ثم

(حيث قال وانكم اذا المن المقربين و) العلاج (الثاني أيضا يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك) منذ زمن الصبا (حتى يأنس به ويستجري عليه وتقوى فيه منته فن ترك بالسكينة المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلباها ما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وانما أشدها كف الباطن عن حديث النفس) وتوارد الهواجس على الخواطر (وانما يشد ذلك على من تفرغ له) به منته بالسكينة (بان تقع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة) والانفراد عن الخلق (وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب الى جانب) وتحول بينه وبين شغله (وهذا العلاج له البتة الاقطع العلائق كلها طاهر ارباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء والاصدقاء) والاقارب والمعارف (ثم الاعتزال) عنهم (الى زاوية) من زوايا البلد (بعد احراز قدر يسير من القوت) يقيم به صلبه (وبعد القناعة به) واتخاذ رفيق صالح يعينه على أحواله (ثم ترك ذلك كما لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى) فلا يكون له هم الا هو ولا شغل الا به (ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والارض ومجائب صنع الله تعالى فيها وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينبغي الا الاوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة) أوفى كل وقت مخصوص (من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور) اذا القراءة والاذكار من غير حضور القلب لا تجدى نفعا (فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة) الجارية على اللسان في منزلة حديث النفس (ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الابعضا) أى بالشرط المذكور (اذلا يخفى جميع أوقاته من حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايداء من اناس وطغيان من مخالطة لا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة) بحسب الضرورة الطارئة (فهذا أحد الانواع الشاغلة) عن الذكر والفكر (وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيت ذلك أيضا حوج الى شغل ان تولاه بنفسه) يشغله عما هو بصدده (وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلبه عن يتولاه) في بعض الاحوال والاحيان ضرورة (ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الاوقات ان لم تهجم به ملة زوافة) من ملات الدهر وقائعه (وفي تلك الاوقات يصفو القلب) عن الكدر (ويتيسر الفكر) فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذا كرو يراقب عليه (وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق) وذلك الانكشاف لاحدله فيقف عليه (والانتهاء الى هذا) المقام (هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال

الاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والارض ومجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن له سير بالباطن فلا ينبغي الا الاوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور وفان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم يسلم من الاوقات الابعضا اذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايداء من

انسان وطغيان من مخالطة لا يستغنى عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الانواع الشاغلة. وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب المعاش فان تهيت ذلك أيضا حوج الى شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلبه عن يتولاه) أكثر الاوقات وان لم تهجم به ملة أو واقع في تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والارض مالا يقدر على عشر عشيرة في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والانتهاء الى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن ان تنال

بالاكتساب والجهـد فإمامة قادري ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو محسب الرزق فتدعى الجهد ويجعل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الخط والمعول وراع هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانهم توازى أعمال النملين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك (٢٧) الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواز

الدنيا فان المجذوب الى

أسفل سافلين لا يجذب

الى أعلى عليين وكل مهموم

بالدنيا فهو مجذب اليها

فقطع العلائق الجاذبة هو

المراد بقوله صلى الله عليه

وسلم ان لربكم في أيام دهركم

نفحات ألا فتعرضوا لها

وذلك لان تلك النفحات

والجذبات لها أسباب

سماوية اذ قال الله تعالى

وفي السماء رزقكم وما

نوعدون وهذا من أعلى

أنواع الرزق والامور

السماوية غائبة عنا فلا

ندري متى يبسر الله تعالى

أسباب الرزق فاعلمنا الا

تفريغ المحل والانتظار

لنزول الرحمة وبإعطاء الكتاب

أجله كالذي يصلح الارض

وينقبها من الحشيش ويث

البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه

الاجطر ولا يدري متى يقدر

الله أسباب المطر الا أنه يثق

بفضل الله تعالى ورجته أنه

لا يحل سنة عن مطر فكذلك

قلما تخلو سنة وشهر ويوم

عن جذبة من الجذبات

ونفحة من النفحات فينبغي

أن يكون العبد قد

طهر القلب عن حشيش

الشهوات وبذر فيه

بذر الإرادة والاختلاص

بالاكتساب والجهـد) بقدر الطاقة البشرية (فاما مقدار ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله في الأعمال والأحوال فذلك يجري مجرى الصيد وهو محسب الرزق) المقسوم (فتدعى الجهد ويجعل الصيد) أي يعظم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (وقد يطول الجهد ويقل الخط) فلا ينال مقدار جهده (والمعول وراع هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فانهم توازى أعمال النملين) وعلى هذا بناء سلوك الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره وهو شيخ المصنف فالجذب عنده مقدم على السلوك واليه ذهب بعض الشيوخ في الطريقة العلية النقشبندية ومن يتيسر له هذا الحال أولا يامرونه بمراقبة الجلالة ثم يذكر النفي والاثبات وذهب بعضهم الى ان السلوك مقدم على الجذب وان الجذب نتيجة السلوك فن قال بذلك يأمر المرید أولاً بذكر النفي والاثبات ثم بمراقبة الجلالة (وليس ذلك باختيار العبد) أي حصول الجذبة الالهية لتكون من ارادات الحق (نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواز الدنيا) فيتحلى عنها فيكون حراً بورود الجذبة الالهية اليه (فان المجذوب الى أسفل السافلين لا يجذب الى أعلى عليين وكل مهموم على الدنيا) حريص على تحصيلها (فهو مجذب اليها) لا يلوى على غيرها (فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ان لربكم في أيام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها) رواه الطبراني في الكبير وابن النجار من حديث محمد بن سلمة بالفظ فتعرضوا لعله ان تعيكم نفحة منها فلا تشقون بعده أبدا وقد تقدم في الجمعة والمراد بالنفحات هنا التجليات القربان والتعرض لها بتطهير القلب وتركه من الكد والافراط والطلب منه في كل وقت فانه لا يدري في أي وقت يكون فتح خزائن النفي (وذلك لان تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية اذ قال تعالى وفي السماء رزقكم وما نوعدون) والرزق رزقان ظاهر وهي الاقوات والاطعمة وذلك الظواهر وهي الابدان وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك القلوب والاسرار (وهذا من أعلى أنواع الرزق) وأشرها فان ثمرته حياة الابد وثمره الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولي بخلق الرزقين والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين (والامور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى يبسر الله تعالى أسباب الرزق) المعنوي (فما علمنا الا تفريغ المحل) عن المشغلات (والانتظار لنزول الرحمة) فيه (وبإعطاء الكتاب أجله) أي منتهاه الذي قدر له (كالذي يصلح الارض وينقبها من الحشيش ويث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه) وفي نسخة لا ينفعها (الاجطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر الا انه يثق بفضل الله تعالى ورجته ان لا يحل سنة عن مطر) كما جرت به سنته (فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات) الالهية (ونفحة من النفحات) الرحمانية (فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الإرادة والاختلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة ولا يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهم وتساعد القلوب كل في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان) فان هذه أيام شريفة وأوقات منيفة تجتمع فيها الهموم وتوجه القلوب بحضورها الى الله تعالى فانظروا النفحات الالهية يكون قويا (فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله لاستدرا) اخلاق (رجته) وفيوضاته (حتى) انه (تستدرجها) أي بالهمم والانفاس (الامطار في أوقات الاستسقاء) عند حصول الجذب (وهي لاستدرا) أمطار المكاشفات) الالهية (ولطائف المعارف) السبحانية (من خزائن الملكوت) الغيبية (أشد مناسبة

وعرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كل في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والانفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرا رجته حتى تستدرجها الامطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرا أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة

منها لاستدرا قطرات الماء واستجرا الغيوم من أقمار الجبال والبحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تنكسر الشهوة وترفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القنى أسهل (٣٨) وأقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها ولكونه حاضرا في القلب

ومنسبيا بالشغل عنه سمي الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى وليتذكروا اولو الالباب وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكرفهمل من مذكر فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستمتاع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفت من صفات الله تعالى وهي الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر فاضله وأغواه وكيف يكون

منها لاستدرا قطرات الماء) عن السماء (واستجرا الغيوم من أقطار البحار والجبال بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الى شئ من خارج (الا الى ان تنكسر الشهوة) والشبق (ورفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف) المتوقعة (من باطن القلب) مما يلي عالم الملكوت (واظهار ماء الارض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء اليها من مكان بعيد منخفض عنها) وأولى بوصف الدوام والثبات لحصول الامدادات التي لا تنقطع اذ المستنزل من المكان الآخر قد ينقطع ولا يثبت (ولكونه حاضرا في القلب ومنسبيا بالشغل عنه سمي الله تعالى جميع معارف الايمان) ذكر (وتذكرا) وتذكروا ذكرى (فقال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والمراد به القرآن لكونه يذكر باللسان وبالقلب (وقال تعالى وليتذكروا اولو الالباب) أي ليتعظوا (وقال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكرفهمل من مذكر) ولا يكون الذكر الا بعد النسيان وقال تعالى ان في ذلك لذكرى (فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل) الجاذبة من طريق الحق (وهو آخر درجات الصبر) وأشدّها على السالكين وفيها تزل أقدام الاقوياء فضلا عن الضعفاء (وانما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر) فاذا فرغ منها استقبله هذا الباب العظيم الهائل فان وجد شيئا كاملا فليعصم به ولا يفارقه وهو بعد هذا المنزل اما هالك أو ممالك لانه يرى الخواطر تأتيه كامواج البحر تبهر أبعاد القلوب رؤيتها فكيف المتوسط في لججها ومن أجل هذه (قال الجنيد) قدس سره (المسير من الدنيا الى الآخرة سهل) حين (على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد) هكذا رواه القشيري في الرسالة سمعا عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول فذكره والمعنى ان المسير من الدنيا سهل وان كان فيه صعوبة تام من حيث فراق محبوبه وذلك لكمال الجزاء وهجران الخلق في طاعة الله شديد لمخالفته هوى النفس من حظوظها والمسير من النفس بعدم الالتفات لهواها الى الله تعالى بالعمل المحض أمره شديد للمخالفة المذكورة والصبر مع الله حتى لا يرجع الصابر الى الالتفات لهواها أشد مما ذكر (فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق) فانظر فما أغزر علمه فانه ليس في الطريق عائق رابع اما العائق الاول للدنيا والعائق الثاني اقبال الخلق على المريد والعائق الثالث حوم الشياطين بين القلب وبين الملكوت وليس له علاج الا الاعتماد على الله ثم الاعتصام بالشئ المفيد ثم الاقبال على معاني الذكر بكنه الهممة فمن كان الله كان الله له ثم تخفيفه العلائق ما استطاع فانه لا مطمع في الورع قبل القناعة ولا في الزهد قبل الورع ولا في فراغ القلب قبل الزهد ولا في الفكر قبل المعرفة ولا في المعرفة قبل الفكر ولا في المحبة قبل المعرفة (وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستمتاع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون أغلب اللذات ومطلوبها صفت من صفات الله تعالى وهي الربوبية والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لامور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر فاضله وأغواه وكيف يكون

مذموم

الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي

وليس القلب مذموم على جبه ذلك وانما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر فاضله وأغواه وكيف يكون

في الدنيا وملك مخلد دائم
 لا يشوبه كدر ولا ألم ولا
 يقطعه قاطع ولكنه أجل
 وقد خلق الانسان عجولا
 راجبا في العاجلة فجماء
 الشيطان وتوسل اليه
 بواسطة العجالة التي في طبعه
 فاستغواه بالعاجلة وزين
 له الحاضرة وتوسل اليه
 بواسطة الحق فوعده بالغرور
 في الآخرة ومناه مع ملك
 الدنيا ملك الآخرة كما قال
 صلى الله عليه وسلم والحق
 من أضيع نفسه هو اها وتغنى
 على الله الاماني فانخدع
 المخدول بغروره واشتغل
 بطالب عز الدنيا وما اكها
 على قدر ما كانه ولم يندل
 الموفق فنجب غروره اذ علم
 مداخل مكره فاعرض عن
 العاجلة فعب عن المخدولين
 بقوله تعالى كلاب تحبون
 العاجلة وتذرون الآخرة
 وقال تعالى ان هؤلاء يحبون
 العاجلة ويذرون وراءهم
 يوما ثقيلا وقال تعالى فاعرض
 عن قولي عن ذكرنا ولم يرد
 الا الحياء الدنيا ذلك مبلغهم
 من العلم ولما استأثار مكر
 الشيطان في كافة الخلق
 أرسل الله الملائكة الى
 الرسل وأوحوا اليهم ما تم

على الخلق من اهلاك العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقى عن الملك المجازى الذى لا أصل له
فيهم بأبصار الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انظروا الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيامن الا
الآخرة الا قليلا بل فاتلوا كتاب الانجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وابراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل الاله
والمراد منهم أن يكفروا بما لو كافى الدنيا بما لو كافى الآخرة أما ملك الدنيا فالزهد فيها والعناية باليسير منها

وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا لعله بان ملك الآخرة يغوت به اذ الدنيا والآخرة ضرران ولعله بان الدنيا لاتسلم له أيضا ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم مهمما تسلم وتم الأسباب ينقضى العمر حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وطن أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا أمرنا بالسلامة ونهارا فجعلناها حصدا كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه (٤٠) الرياح والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى

(وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لافناء فيه وعز الأذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لاتعلمها نفس من النفوس) يشير الى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (والشيطان قديدهم الى ملك الدنيا لعله بان ملك الآخرة يغوت به اذ الدنيا والآخرة ضرران) أي بمنزلة ان أرضيت احدهما سخطت الاخرى وهكذا مثلهما على رضى الله عنه وتقدم في كتاب العلم (ولعله بان الدنيا لاتسلم له أيضا) لانه يفارقها عن قرب (ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يتخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذلك سائر أسباب الجاه) والرياسات (ثم مهمما تسلم وتم الأسباب) لما يوافق راحته وهواه (ينقضى العمر) وينتهي (حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وطن أهلها أنهم قادرون عليها أنهارا أمرنا بالسلامة ونهارا فجعلناها حصدا) أي محصدا منكسرا (كان لم تغن بالامس فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما) أي يابس منكسرا (تذروه الرياح) وكان الله على كل شيء مقتدرا (والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضر احسده الشيطان عليه فصد عنه) أي منعه (ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فيمنع اذ ان لباعث الدين ولاشارة الايمان) فلا يتخلو عن مقتضاهما (وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا) كاملا (وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه) ومهمماته (فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بجمخته) أي حلقومه (الى حيث يريد ويهوى فإعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هو يكون الامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة) مكابلى وجهه (ولهذا قال بعض الملوكة لبعض الزهاد هل من حاجة) لك اليها (قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك قال) كيف ذلك (قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكك هؤلاء كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك في الآخرة فالخسد وعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستعداد على الصراط المستقيم) فلم يفرطوا ولم يفرطوا (فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط) والاشتباه (في ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبسه) وندعه ومكره (فيسهل عليك النزوع من الملك والجاه والاعراض عنهم والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورى في نفسه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة أمور أحدها ان يهرب عن موضع

الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فيمنع ان لباعث الدين واشارة الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا لفرجه وبطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة آخذا بجمخته الى حيث يريد ويهوى فإعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هو يكون الامعكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوكة لبعض الزهاد هل من حاجة قال كيف أطلب منك حاجة وملكى أعظم من ملكك فقال كيف قال من أنت عبده فهو عبيدى فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكك هؤلاء

كلهم فهم عبيدى فهذا اذا هو الملك في الدنيا وهو الذى يسوق الى الملك في الآخرة فالخسد وعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا للاستعداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبسه بيسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا فى الحال وترجو به ملكا فى الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان ألف الجاه وأنس به ورى في نفسه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلاثة أمور أحدها أن يهرب عن موضع

الجاء حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحرر كنوم لم يفعل هذا فقد كفر
نعمة الله في سعة الأرض اذ قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجر وا فيها * الثاني ان يكاف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده
فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء
بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بغيرها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من (٤١) قبل باعتياد ضده فلامعنى للمعالجة الا

المضادة * الثالث ان يرى

في ذلك اللطف والتدرج

فلا ينتقل دفعة واحدة الى

الطرف الاقصى من التبذل

فان الطبع نفور ولا يمكن

نقله عن اخلاقه الا بالتدرج

فيتترك البعض ويسلى نفسه

بالبعض ثم اذا قنعت نفسه

بذلك البعض ابتدأ بترك

البعض من ذلك البعض

الى ان يقنع بالبقية وهكذا

يفعل شيئا فشيئا الى ان يجمع

تلك الصلوات التي رسخت فيه

والى هذا التدرج الاشارة

بقوله صلى الله عليه وسلم ان

هذا الدين متين فاوغل فيه

برفق ولا تبغض الى نفسك

عبادة الله فان المنبت لا أرضا

قطع ولا تطهرا أبقى واليه

الاشارة بقوله عليه السلام

لا تشادوا هذا الدين فان

من يشاده يغلبه فاذا

ما ذكرناه من علاج الصبر

عن الوسواس وعن الشهوة

وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه

من قوانين طرق المجاهدة في

كتاب رياضة النفس من

ربيع المهلكات فاتخذ

دستور لتعرف به علاج

الصبر في جميع الاقسام التي

فصلناها من قبل فان تقصيرا

الجاء حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحرر كنوم لم يفعل هذا فقد كفر
الحسان (المحررة للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض اذ قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجر وا فيها * الثاني ان يكاف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف
بالتبذل) وهو خلاف التصون (وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بما ينقضها) وفي نسخة
بنقضها (حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما قدر رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلامعنى للمعالجة الا المضادة
الثالث ان يرى في ذلك اللطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل) وترك
التكاف (فان الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الا بالتدرج فيتترك البعض ويسلى نفسه بالبعض ثم
اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض الى ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا
فشيئا الى ان يجمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدرج الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا
الدين متين (أى صلب شديد) فاوغل فيه برفق (أى سرفيه من غير تحمل ما لا يطيق والايغال السير الشديد
والوغل الدخول في الشيء) ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت (وهو من انقطع به في
السهو وعطبت راحلته) (لا أرضا قطع ولا تطهرا أبقى) أى فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره
ينتفع به رواء أحد والبرار والبيهقي والعسكري في الامثال من حديث جابر وضعف وقدرى تختصرا
من حديث أنس ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق رواء هكذا أحد والضياء وروى ان هذا الدين
متين فاوغل فيه برفق ولا تكثر هوا عبادة الله الى عباده فان المنبت لا يقطع سفرأولا يستبقى ظهرأواه
البيهقي من حديث عائشة وروى أيضا مثل سياق المصنف الا انه قال بعد قوله برفق ولا تبغض الى نفسك
عبادة ربك فان المنبت لا سفرأقطع ولا تطهرا أبقى فاعمل عمل امرئ يظن ان لن يموت أبدا واحذر حذر
من يخشى أن يموت غدا وفي لفظ يظن انه لن يموت الا همرأواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر
وقال البيهقي روى هذا الحديث من طرق موصولة ومرسلة ومرفوعة وموقوفة فيه اضطراب ورجح البخاري
في التاريخ ارساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الاوراد (وبقوله صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين
فان من يشاده يغلبه) رواء البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ ان يشاد هذا الدين أحد الاغلبه فسدوا
وقار بواو قد تقدم ايضا في كتاب ترتيب الاوراد (فاذا ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن
الشهوة وعن الجاه أضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربيع
المهلكات واتخذ دستور لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها من قبل فان تفصيل
الاتحاد يطول ومن راعى التدرج) والتلطف (برقى به الصبر الى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان
يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عند مشربا
هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والنوق) الصحيح (وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على
التعلم في الابتداء قهرا) عليه (فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس
بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

(٦ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) الاتحاد يطول ومن راعى التدرج برقى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر دونه
كما كان يشق عليه الصبر معه فتعكس أموره فيصير ما كان محبوا باعنده ممقورا وما كان مكروها عند مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا
لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم
حتى اذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الامر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكى عن بعض

العارفين انه سال) أبابكر (السبلي) قدس سره (في الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله) وهو الصبر على تغيير الاخلاق المذمومة والاتصاف بالمحمودة والاشتغال بأنواع الطاعات (فقال لا قال الصبر لله تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في كل ما يرد منه راض بذلك (قال لا قال الصبر مع الله) وهو الصبر على ذلك مع التبري من الحول والقوة (قال لا قال فابش) أي أي شيء هو (قال الصبر عن الله) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعدة تربيته اليه فيسلازم الباب ويتمرغ في التراب (فصرخ السبلي صرخة كادت روحه) ان (تتلف) لان قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره فهذا الصبر مذموم وهذا قد أورد القشيري في الرسالة سماعا عن محمد بن الحسين قال سمعت علي بن عبد الله البصري يقول وقف رجل على السبلي فقال أي صبر أشد على الصابر ين فذكره وقال بعضهم الصبر لله ما كان في أول العبادات والصبر مع الله ما كان في اثنائها والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها (وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبر واصل واصل واصل أي اصبر وافي الله) تعالى أي في طاعته (وصابر وابالله) تعالى أي بعونه (ورابطوا مع الله) تعالى أي بالادب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري وقيل الصبر دون المصاهرة والمصاهرة دون المراقبة وقيل اصبر وابنفوسكم على طاعة الله وصابر وابقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق الى الله وقيل حالك التي أنت فيها رباطك ومادون الله تعالى اعداؤك فاحسن المراقبة في رباط حالك وقيل المصاهرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيجوز الصبر عن الصبر كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا كل ذلك نقله القشيري (وقيل الصبر لله غناء) أي مشقة وكلفة (والصبر بالله بقاء) أي عون منه (والصبر مع الله وفاء) لما اتحن به (والصبر عن الله جلاء) أي بعد واعر اض عنه نقله القشيري وزاد بعد قوله بقاء والصبر في الله بلاء أي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء (وقد قيل في ذلك) شعر (والصبر عنك فذموم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود) نقله القشيري وأورد أيضا

وكيف الصبر عن حل مني * بمنزلة اليقين من الشمال

إذا لعب الرجال بكل شيء * رأيت الحب يلعب بالرجال

(وقيل أيضا) (والصبر بمحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد)

أورد القشيري بعد قوله وقال يحيى بن معاذ الرازي صبرا للمحبين أشد من صبر الزاهدين وأعجبها كيف يصبرون وأنشد فذكره وقال الشيخ عبد الله الانصاري ومن أضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة وفوقه الصبر بالله وهو صبر المرادين وفوقه الصبر على أحكام الله وهو صبر السالكين ومعنى كلامه ان صبر العامة لله أي رجاؤه وخوف عقابه وصبر المرادين بالله أي بقوة الله ومعونته بهم لا يرون لانفسهم صبرا ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بالاحول والاقوة الابانة علما ومعرفة وحالا وفوقها الصبر على الله أي على أحكامه هذا تقر بكلامه قال صاحب البصائر والصواب ان الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل شأنان الصبر لله متعلق بالالهية والصبر به متعلق بربوبيته ومتعلق بالالهية أكمل وأعلى مما يتعلق بربوبيته ولان الصبر له عبادة والصبر به استعانة والاستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها ولان الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به وأما الصبر به فمتركة للانبياء والرسل والصديقين ولان الصبر له صبر فيما هو حق له محبوب مرضي لديه والصبر قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح فابن هذا من هذا وأما تسمية الصبر على أحكامه صبرا عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم (هذا آخر ما أردنا شرحه في علوم الصبر واسراره) وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر اليها المصنف

العارفين انه سأل السبلي عن الصبر أيه أشد فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا قال فابش قال الصبر عن الله فصرخ السبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تعالى اصبر واصل واصل واصل أي اصبر وافي الله تعالى أي في طاعته (وصابر وابالله) تعالى أي بعونه (ورابطوا مع الله) تعالى أي بالادب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري وقيل الصبر دون المصاهرة والمصاهرة دون المراقبة وقيل اصبر وابنفوسكم على طاعة الله وصابر وابقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق الى الله وقيل حالك التي أنت فيها رباطك ومادون الله تعالى اعداؤك فاحسن المراقبة في رباط حالك وقيل المصاهرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيجوز الصبر عن الصبر كما قيل صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا كل ذلك نقله القشيري (وقيل الصبر لله غناء) أي مشقة وكلفة (والصبر بالله بقاء) أي عون منه (والصبر مع الله وفاء) لما اتحن به (والصبر عن الله جلاء) أي بعد واعر اض عنه نقله القشيري وزاد بعد قوله بقاء والصبر في الله بلاء أي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء (وقد قيل في ذلك) شعر (والصبر عنك فذموم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود) نقله القشيري وأورد أيضا

وقيل أيضا

الصبر يجمل في المواطن كلها
الا عليك فانه لا يحمد
هذا آخر ما أردنا شرحه من
علوم الصبر واسراره

مساهو في كتب الشيوخ قال القشيري في الرسالة قال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر أمر بالعبادة وقوله واصبرك الإيالة عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم بك أحياء وبك أموات وقال ذو النون المصري الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واطهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقبل هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى وقال أبو عثمان الصبار الذي عود نفسه الهجوم على المكروه وقبل الصبر المقام مع البلاء بحسن المحبة كالمقام مع العافية وقال عمرو بن عثمان الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة وقال رويم الصبر ترك الشكوى وقال ذو النون الصبر هو الاستغانة بالله وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنشدني أبو بكر الرازي قال أنشدني ابن عطاء لنفسه

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة * وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول الصبر كاسمه وقال علي رضي الله عنه الصبر طيبة لا تكبو وقال أبو محمد الحريري الصبران لا تفرق بين حال النعمة والمحبة مع سكون الخاطر فيهما والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان انقال المحنة وأنشد بعضهم

صبرت ولم أطلع هو الك على صبري * وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبر

مخافة أن يشكوى صبري صابتي * إلى دمعتي سرا فتجري ولا أدري

وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيداً وان أحيالك عز يزاول الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج وفي بعض الاخبار بعيني ما يتحمل المتحملون لاجلي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر يعبرين لم أبال أهم ما ركبت وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال صابرة ثم تنقش وسئل السري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فذب على رجله عقرب وهي تضربه بابرئها ضربات كثيرة وهو ساكن فقبله لم لم تنحها فقال استحييت من الله تعالى ان أتكم في الصبر ولا لي صبر وفي بعض الاخبار الفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيامة وأوحى الله إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى بلائى فدعاني فإطلته بالأجابة فشكاني فقلت عبيدي كيف أرجلك من شئ به أرجلك وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول ان الصبر حده ان لا تعرض على التقدير فاما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب مع ما أخبر عنه انه قال مسنى الضر وسمعت يقول استخرج منه هذه المقالة يعني قوله مسنى الضر ليكون منفصلاً عن هذه الامة وسمعت يقول حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه مسنى الضر الآية لحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله وأنت أرجم الراحمين ولم يصح بقوله أرجمى * واعلم ان الصبر على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين أحسنه أن يكون محظوظاً وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفي معناه أنشد

تبين يوم البين ان اعترامه * على الصبر من احدى الظنون الكواذب

وفي هذا المعنى سمعت الأستاذ أبا علي يقول أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال فصبر جميل أي فشاني صبر جميل ثم لم يمض حتى قال يا أسفا على يوسف الى هنا كله كلام القشيري وقال صاحب العوارف لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين والصبر جار في الصابر تجري الانفاس لانه يحتاج الى الصبر عن كل منهى ومكروه ومذموم وظاهره باطن العلم يدل والصبر يقبل فلا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر ومن كان العلم سياسته في الظاهر والباطن لا يتم له ذلك الا اذا كان الصبر مستقره ومسكنه والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما

و بالصبر تحامل على النفس وبالعلم ترقى الى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والجسد ليستقر كل واحد منهما في مستقره وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال وبانفصال أحدهما عن الآخر أعني العلم والصبر ميل أحدهما الى الآخر أعني النفس والروح وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واصبر وما صبرك الا بالله أضاف الصبر الى نفسه لشريف مكانه وتكميل النعمة به ثم نقل مراجعة الرجل مع الشبلي في أشد الصبر كما تقدم ذكره ثم قال وعندى في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه وذلك ان الصبر عن الله يكون في أنخص معاملة المشاهدة ثم يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالاً وتطويف بصبرته خجلاً وذو باناً ويتخير في مفاوز استكائته وتخفيه لاحتساسه بعظيم أمر التجلي وهذا من أشد الصبر لانه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال والروح تود أن تتكفل بصبرتها بأشعة نور الجلال وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشد الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الاعلى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال وما صبرك الا بالله الى هنا كلام صاحب العوارف وقال صاحب القوت في شرح مقام الصبر قال بعض الصغابة ما ذا جعل الله من الشفاعة والفضل في التقوى والصبر قلت وهذا تعجيب من صاحب القوت أو من الكاتب نبه على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد الفارسي قال انما هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم وماذا في الامر من من الشفاء النقاء والصبر يعني بالنقاء حب الرشاد والصبر هو المزمع قال صاحب القوت وكان سهيل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى استعينوا بالله واصبروا أى استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصابرون في الصالحين قليل جعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاماً في الصدق في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية على ان الواو للجمع والصبر ينقسم الى عمليين أحدهما لاصلاح الدين الابه والثاني هو أصل فساد الدين ثم ينتوع الصبر فيكون صابراً على الذي فيه صلاح الدين فيكمل به ايمانه ويكون صابراً على الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر شئ واحد ثم قال فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في التصديق الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه جهام من حقيقة الدين وقدر وينايى بأشكر أهل الارض فيجزيه جزاء الشاكرين ويؤتى باصبر أهل الارض فيقال أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفت لك الاجر عليه فيعطى أضغاف جزاء الشاكرين وجاء في الخبر ان لايواب الجنة مصرعين يأتي عليها زحام الاباب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وللصبر معنيان أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا باصاحبه فن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أفضل المقامات اذا لا تقي هو الاكرم عند الله والاكرم عند الله هو الافضل وقيل لسفيان الثوري ما أفضل الاعمال قال الصبر عند البلاء وقال بعض العلماء لا يطعن طامع في مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فصبره ولا يطعن أحد في حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثنى عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك من أخلاق الله تعالى انه اذا أحب عبداً أورضى عمله مدحه ووضعه فن ابتلاه بكرامة ومشقة أو

هوى أو شهوة فصر بذلك أو صبر عن ذلك فإنه تعالى يمدحه ويشني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد
 في أسماء الموصوفين ويصير واحداً من المدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق له من
 صالح العمل وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمخالسة والاصغاء اليه وعكوف الهمم عليه وقوة الوجد
 به وهذا لخصوص المقربين أو حياء منه أو حباله أو تسليماً له أو تطويلاً اليه وهو السكون تحت جريان
 الأقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقتسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء
 بها وهو داخل في قوله تعالى ولربك فاصبر وفي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال سهل في
 تأويل قول علي رضي الله عنه ان الله يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الأحكام عن
 الكراهة والاعتراض وقال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالي سرور الا في مواضع القدر ويقال من
 علامات اليقين التسليم للقضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين والصبر أيضاً على اظهار
 الكرامات وهي الاخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الادب من المعاملات وهذا في معنى
 الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس
 عن حب الجسد والملاح والرياسة وقدر وينافي خبر مقطوع الصبر في ثلاث الصبر عن تركية النفس
 والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خبره وشهره * واعلم ان أكثر معاصي
 الخلق في شيئين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر عما يكرهون وقد قرن الله الكراهة بالخير والمحبة
 بالشر في قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وهو الصبر
 وهو أول فرضة مثل أول الاخلاص والصبر أيضاً حيلة من لا حيلة له لان الامر اذا كان بيد غيره لم
 يكن لك الا الصبر عليه ولان الشيء اذا كان لا يأتيك الا قليلاً قليلاً وأنت تحتاج اليه لم يكن لك الا الصبر
 عليه والا انقطع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرته لانه لو قوى يقينه كان
 الاجل من الوعد عاجلاً اذا كان الواعد صادقاً لحسن صبره لقوة الثقة بالاعطاء ولا يصبر العبد الا
 لاجل معينين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام اصحاب اليمين أو النظر الى
 المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض غنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حله النظر
 والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو العمل للصبر بمنزلة التزهد
 وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد والزهد والصبر هو التحقيق بالوصف وذلك هو المقام الى
 هنا كلام صاحب القوت وقال صاحب البصائر نقلاً عن بعض المشايخ كان صبر يوسف عليه السلام
 عن طاعة امرأة العزيز رأى كل من صبره على لقاء اخوته اياه في الحب وبيعهم وتفرقهم بينه وبين
 أبيه فان هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد حيلة فيها عن الصبر وأما صبره
 عن المعصية فصر اختيار ورضا ومحاربة للنفس ولا سيما مع أسباب تقوى معاهد اعية الموافقة فإنه كان
 شاباً وداعية الشاب البهاقوية وكان عز باليس له ما يعوضه وبرشهوته وغريباً والغريب لا يستحي في
 بلد غريبته مما يستحي منه بين أصحابه وأهله ويحسبونه ملوكاً والمملوك ليس وازعه كوازع الحرة والمرأة
 جميلة وذات منصب وقد غاب الرقيب وهي الداعية له الى نفسها والخريصة على ذلك أشد الحرص ومع
 ذلك توعدته بالسجن ان لم يفعل ففعل هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله من هذا من صبره
 في الحب على ما ليس من كسبه والصبر على اداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات فان
 مصلحة فعل الطاعة أحب الى الشارع من مصلحة ترك المعصية ومفسدة عدم الطاعة أبغض اليه وأكره
 من مفسدة وجود المعصية * واعلم ان الشكوى الى الله عز وجل لا تنافي الصبر فان يعقوب عليه السلام
 وعد بالصبر الجميل والنبي اذا وعد لا يخلف ثم قال انما أشكو بنى وحزنى الى الله وكذلك أنوب عليه السلام
 أخبر الله عنه انه وجدته صابراً مع قوله منسى الضر وأنت أرحم الراحمين وانما ينافي الصبر شكوى الله لا

(الثاني) في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة (الثالث) في بيان الأفضل من الشكر والصبر * (الركن الاول في نفس الشكر) *

* (بيان فضيلة الشكر) *
اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجدا أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمر بدمع الشكور لم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويزق من يشاء بغير حساب وقال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ويتوب الله على من يشاء

الشكوى الى الله كما روى بعضهم يشكوا الى آخر فاقه وضرورة فقال يا هذا تشكرون من يرسل الى من لا يرسل ثم أنشد واذا اعترلك بلية فاصبر لها * صبر الصبريم فانه بك أرحم واذا شكوت الى ابن آدم لا كما * تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم والله أعلم * (الشرط الثاني من الكتاب في الشكر) * وهو المقام الثالث من مقامات اليقين (وله أركان ثلاثة الاول في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه الثاني في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة الثالث في بيان الأفضل من الشكر والصبر الركن الاول في نفس الشكر) وفيه بيان فضيلته وحقيقته وأحكامه وأقسامه * (بيان فضيلة الشكر) *

(اعلم) وفق الله تعالى ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه (مع انه) تعالى عظيم الذكركر حيث (قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) فصار الشكر أكبر لا تترانه به ورضي بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي خرج في لفظ المجازاة لتحقيق الامر وتعليم الشكر لان الغاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فتقوله تعالى فاذكروني متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني واشكروا لي والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا وهم يكتفون عن مثل بالكاف كما يكتفون عن سوف بالسين وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى (وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجوهه ما العذاب (وقال تعالى وسنجزي الشاكرين) وقال أبضا وسنجزي الله الشاكرين (وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو) طريق (الشكر) هذا أحد الوجوه في الآية نقله صاحب القوت وقال فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل الى الله تعالى لماعمل العدو في قطعه (ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجدا أكثرهم شاكرين) فلولا ان الشاكر حبيب رب العالمين ما قال ذلك (و) كذلك (قال تعالى وقليل من عبادي الشكور) كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس غنه فاتبعوه الا فرى ايمان المؤمنين وفي الآية تنبيه على أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه الا على اثنين قال في وصف ابراهيم عليه السلام شاكر الانعمه وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا (وقد قطع الله تعالى بالمر بدمع الشكور ولم يستثن) فيه (فقال) واذا تأذن ربكم (لئن شكرتم لازيدنكم) ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى ويزق من يشاء بغير حساب وقال و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ويتوب الله على من يشاء

وهو خلق من أخلاق الى بوبية اذ قال تعالى والله شكور حلیم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخروا هم أن الحمد لله رب العالمين

من الآيات قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا واختلف فيه فقيل هو منصوب على التمييز والمعنى اعملوا ما تعملونه شكر الله وقيل هو مفعول لقوله اعملوا ولم يقل اشكروا والنبه على التزام الانواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وساير الجوارح وقال الله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى والله اخرجكم من بطون أمماتكم الى قوله لعلكم تشكرون وقال تعالى ان في ذلك لآية لكل مبار شكور وقال تعالى وان تشكروا يرضه لكم فجعل رضاء عن عباده مشروطا بالشكر وهي منقبة عظيمة (وأما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) قال العراقي علقه البخاري وأسند الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي أسنده اختلاف اه قلت وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة ولفظ الترمذي حسن غريب وأما لفظ ابن ماجه من حديث سنان بن سنة الاسلمى وله حجة الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر وقد رواه كذلك أحمد والدارمي والبخاري والطبراني والضياء وسنة ضبطه بالفخ على الصواب وقد أشار الحافظ الى الاختلاف الواقع في سنده في الاصابة فراجع (تنبيه) * قال الطبري قد تقرر في علم المعاني ان التشبيه يستدعي جهة جامعة والشكر نتيجة النعمة كما ان الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر * وجوابه انه ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فقد يتوهم ان ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم فازيل توهمه به يعني هما سيان في الثواب ولان الشاكر لما رأى النعمة من الله تعالى وجس نفسه على محبة المنعم بالقلب واظهارها باللسان تال درجة الصابر فالتشبيه واقع في جس النفس بالمحبة والجهة الجامعة جس النفس مطلقا (وروى عن عطاء بن أبي رباح) فيما أخرجه أبو القاسم القشيري في الرسالة فقال أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي أخبرنا أبو الحسن الصفار حدثنا الاسقاطي حدثنا مضجج حدثنا يعلى عن أبي جناب عن عطاء (قال دخلت على عائشة رضي الله عنها) مع عبيدين عمر (فقلت) يا أم المؤمنين (أخبرينا بما يحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شئ من (شأنه لم يكن عجبا) انه (أثناني ليلة قد دخل معي في فراشي أوقالت في لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني (أعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك منى) ثم وافقته في مطلوبه (لكنى أو نهو الـ فاذا نلته) فيه (فقام الى قرية) من (ماء) وكانت معلقة خلفها (قنوضاً) منها فلم يكثر (صب الماء) أى قنوضاً وخفيفاً ولفظ الرسالة فاكثر صب الماء أى على أعضائه فاحسن وضوءاً (ثم قام يصلى فبكى) وهو قائم (حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى) وهو راكع (ثم رفع رأسه فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذا نته) بالمد أى أعلمه (بالصلاة) أى صلاة الفجر (فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلاً) كونه عبداً شكوراً ولم (لا أفعل ذلك) أى أبكى (وقد أنزل الله على أن في خلق السموات والارض الآية) قال العراقي رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزي وفيه ابن جناب واسمه يحيى بن أبي حمية ضعفه الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء دون قوله أى شأنه لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصر على آخر الحديث اه قلت لقد ابعد الشيخ النجعة وهذا قد أخرجه عبيد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكير وابن حبان في صحيحه وابن عساكر كلهم من طريق عطاء قال قلت لعائشة أخبريني الحديث وفي آخره ثم قال ويل ان قرأها ولم يتفكر فيها ولفظ الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورت قدماه فقيل له تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلاً كونه عبداً شكوراً قال ابن حجر في شرح الشمايل وقد ظن من سأله صلى الله عليه وسلم في سبب تحمله المشقة في العبادة ان سببها ما خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفادهم ان لها سبباً آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل لها مع المغفرة واجزال

(وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروى عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرينا بما يحب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأى شأنه لم يكن عجبا أثناني ليلة قد دخل معي في فراشي أوقالت في لحافى حتى مس جلدى جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني أعبد لربى قالت قلت انى أحب قربك منى لكنى أو نهو الـ فاذا نلته فقام الى قرية ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فاذا نته بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلاً كونه عبداً شكوراً ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان في خلق السموات والارض الآية

صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فانا أبكى من خوفه فسأله أن يحبره من النار فاجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكى الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالخجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقيم الجادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن الجادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء فقال صلى الله عليه وسلم الجادون الرجن وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام اني رضى بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضا في صفة الصابر ان دارهم دار السلام اذا دخلوها اللهمم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى آزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضى الله عنه أى المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ

النعمة وهو اعنى الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل الجهود فن آدم ذلك كان شكورا وقيل ما هم ولم يغز أحد بكل هذه المرتبة غير نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الانبياء عليهم السلام وانما ألزموا بذلك في الجدة في العبادة وعظيم الحسنة لعلمهم بعظيم نعمة ربهم عليهم ابتداء بها فضلا ومنه من غير سابقة توجب استحقاقها اداء لبعض الشكر والاحقوقه تعالى أعظم من ان يقوم بها أحد من خلقه (وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع أبداً والى هذا السريشير ما روى) في بعض الاخبار (انه من بعض الانبياء) من بنى اسرائيل (بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه) لمخالفة العادة (فانطقه الله تعالى) معه فسأله عن سبب ذلك (فقال منذ سمعت قوله) تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا (وقودها الناس والحجارة) فاما أبكى من خوفه) أى من خوفى اياه ان يجعلنى من تلك الحجارة قال (فسأله) تعالى (ان يحبره من النار فاجابه) بوحى منه اليوم علم الجبر بذلك (ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك) الحال (فقال لم تبكى الآن) وقد غفر الله لك بدعائى (فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور) هكذا نقله القشيري في الرسالة وأشدوا في المعنى هجم السرور على حتى اننى * من فرط ما قد سرى أبكاني

يا عين صار الدمع عندى عادة * تبكين في فرح وفى أحزان

و يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة (وقال العبد كالخجارة) أى فى شدته ويبسه (أو أشد قسوة) منها وذلك بنص القرآن (ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا) فانه يلينه ويزيل صلابته (وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى يوم القيامة ليقيم الجادون) أى كثيرى الجدة لله تعالى على نعمه (فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل) يارسول الله (ومن الجادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء) قال العراقي رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى الى الجنة الجادون الحديث وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور اه قلت لفظ الطبراني أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الجادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء ورواه كذلك أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه (وقال صلى الله عليه وسلم الجادون الرجن) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده أصلا وفي الصحيح الكبير باعرواده وقد تقدم في العلم (وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام اني رضى بالشكر مكافاة من أوليائي في كلام طويل) هكذا هو في القوت قال وقد روى في أخبار أيوب عليه السلام ان الله سبحانه أوحى اليه فذكره (وأوحى الله اليه أيضا في صفة الصابر ان دارهم دار السلام اذا دخلوها اللهمم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم وبالنظر الى آزيدهم) نقله صاحب القوت وقال وروى في مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه في صفة الصابر فذكره وهذا غاية الفضل (ولما نزل في الكنوز ما نزل) وهو قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة الآية (قال عمر رضى الله عنه فأى المال نتخذ فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا فافهم باقتناء القلب الشاكر) واتخاذ ما لا فى الآخرة (بدلا عن المال) فى الدنيا وشكر القلب هو مشاهدة المنعم فى النعمة وظهور المعطى عند العطاء حتى ترى النعمة عذبة منه وانعطاء عنه لأن الشكر عند انساكرين معرفة القلب وصفه لا وصف اللسان كذا فى القوت وقد عزاه الى ثوبان وعمر رضى الله عنهما قلت رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وأبو نعيم فى الحلية من حديث ثوبان ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذا كرا ووجه مؤمنة تعين على أمر الآخرة وقد تقدم فى كتاب النكاح (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (الشكر نصف الايمان) وقد روى من حديث أنس مرفوعا الايمان نصفان نصف فى الصبر ونصف فى الشكر رواه الديلمي والبيهقي وقد تقدم قريبا من الاخبار الواردة فى الشكر انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ انى أحببت فلا تنس ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وفى الترمذى من بعض دعائه المشهور

بمحققة الشكر فان كل ما
 قيل في حمد الشكر فامر عن
 الاحاطة بكامل معانيه
 (فالاصل الاول) العلم وهو
 علم بثلاثة أمور بعين النعمة
 ووجه كونها نعمة في حقه
 وبذات المنعم وجود صفاته
 التي بها يتم الانعام ويصدر
 الانعام منه عليه فانه لا بد
 من نعمة ومنعم ومنعم عليه
 تصل اليه النعمة من المنعم
 بقصد واراادة فهذه الامور
 لا بد من معرفتها ذافي
 حق غير الله تعالى فأما في
 حق الله تعالى فلا يتم الا بان
 يعرف ان النعم كلها من
 الله وهو المنعم والوسائط
 مسخرون من جهته وهذه
 المعرفة واء التوحيد
 والتقديس اذ دخل
 التقديس والتوحيد فيها
 بل الرتبة الاولى في معارف
 الايمان التقديس ثم اذا
 عرف ذاتا مقدسة فيعرف
 انه لا مقدس الا واحد وما
 عداه غـير مقدس وهو
 التوحيد ثم يعلم ان كل ما في
 العالم فهو موجود من ذلك
 الواحد فقط فالكل نعمة
 منه فتقع هذه المعرفة في
 الرتبة الثالثة اذ ينطوي
 بهامع التقديس والتوحيد
 كمال القدرة والانفـراد

*** (بيان حد الشكر وحقيقته) ***

(٧ -) (اتحاف السادة المتقين) - (تاسع) بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فله عشر حسنة ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة وقال صلى الله
الله وأفضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار اضعف من اضعاف الجدة لله ولا تظن أن هذه الحسنة

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوز يره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله اليه فهو أشرك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهم فلا يكون موحد في حق الملك نعم لا بغض من توحيد في حق الملك وكما لشكره أن يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه ولا كاعدا الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما (٥٠) بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الموصل

والخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الايصال وانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم اليه شيئا فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كمنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شر كافي توحيد من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شئت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه

الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس (اذا التسبيح لغة التقديس) والتعزية يقال سبحت الله أي زهته عما يقوله الجاحدون (ولا اله الا الله كلمة تدل على التوحيد) اذ معناها لا معبود بحق الا الله (والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق) لا غيره وهو المنعم المطلق (فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من أبواب الايمان واليقين) ومنها يدخل اليهما (واعلم ان تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الاعمال فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشئ فان رأى لوز يره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله اليه فهو أشرك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه) فيتوزع أي ينقسم (فرحه عليهم فلا يكون موحد في حق الملك) في الحقيقة (نعم لا بغض من توحيد في حق الملك وكما لشكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد الذي كتبه عليه فانه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل أو الخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الايصال فانه لورد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وأمر جزم يخاف عاقبته) لو خالفه (لما سلم شيئا) من تلك النعمة (فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن الموصل كمنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شر كافي توحيد من اضافة النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب والحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شئت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاه ذرة مما في يده) أي قليلا من النعمة (فهو مضطر) لاجتماع (اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه الدواعي) والبواعث (وألقى في نفسه ان خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وان الغرض المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الابو وبعد ان خلق الله هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولولم يعلم ان منفعة في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها في نفسه) وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخرك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنيت موحدًا وقد روت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجرد هاشا كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم ان كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا) نقله القشيري في الرسالة ورواه الحكيم في النوادر عن الحسن مرسلًا بلفظ قال موسى يارب كيف

الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل الابو وبعد أن خلق الله هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه فهو اذا انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولولم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولولم يعلم أن منفعة في منفعتك لما نفعك فهو اذا انما يطلب نفع نفسه بنفسك فليس منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة أخرى هو يرجوها وانما الذي أنعم عليك هو الذي سخرك وألقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنيت موحدًا وقد روت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجرد هاشا كرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكرا

فاذا لا تشكر الابان تعرف أن السكك منه فان خالجه ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه شكر على تجرده كما أن المعرفة بشكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان حاويا شرطه وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانه يفرس على انسان يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة (٥١) أوجه أحدها أن يفرح بالفرس من

حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجدته في صحراء فاخذه لكان فرحة مثل ذلك الفرح الوجه الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه به حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائاه عن الفرس أو لاستحقاقه له بالاضافة الى مطالبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة وهي درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو مطالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضا بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظار صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنعم (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحقه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

شكره قال علم ان ذلك منى فكان ذلك شكره (فاذا لا تشكر الابان تعرف ان السكك منه فان خالجه ريب) أي داخلك شك (في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل * (الاصل الثاني) * الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع) وفي نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع (وهو أيضا في نفسه شكر على تجرده) أي بغيره (كما ان المعرفة بشكر) بغيره (وانما تكون) تلك الحالة (شكرا اذا كان جامعا لثوابه) أي الشكر (وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلا) ليتضح لك به فهم المقصود (فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانه يفرس) من افراسه المتريفة (على انسان يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس) المذكور (من ثلاثة أوجه أحدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وأنه جواد نفيس) للكر والفر (وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجدته في صحراء) مجانا (فاخذه لكان مثل ذلك الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه به حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائاه عن الفرس أو لاستحقاقه له بالاضافة الى مطالبه من نيل المحل) أي المتزلة (في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة) وهي درجة تتلو درجة الملك (من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو مطالب ان لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته) وعلى يده (ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضا بل مشاهدة الملك) في غالب أحواله (والقرب منه) في سائر أحواله (حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب) منه (لاختار القرب) على الوزارة (فهذه ثلاث درجات الاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظار صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال من فرح بنعمة من حيث انها الذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر) فانه رغبة للنعمة لا للمنعم (والثانية داخلية) وفي نسخة والثاني داخل (في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحقه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

لا ينعم الملك بشئ من ماله على أحد الا بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد منه اهداة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لان نظار صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطى وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها الذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلية في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحقه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه تعالى (فهذا هو الرتبة العليا)

وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة لا خرة ويعينه عليها ويجزى بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدده عن سبيله لأنه ليس يريد النعمة لأن النعمة كالم يرد صاحب (٥٢) الفرس الفرس لأنه جواد ومهم بل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه

التي إليها انتهى الآمال والأمانى (وأما أنه أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة لا خرة ومعينة عليها ويجزى بكل نعمة تلهيه) أي تشغله (عن ذكر الله تعالى وتصدده) أي تمنعه (عن سبيله فإنه ليس يريد النعمة لأن النعمة) وموافقة لطبعه (كالم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد) وأصيل (ومهم بل) أي سربيع السير في الركض (بل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه) ومكانته لديه (ولذلك قال الشبلي رحمه الله تعالى الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة) نقله القشيري في الرسالة أي بأن يكون السابق منها إلى القلب رؤية النعم وهذا كما قال بعضهم ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله أي الغالب على القلب رؤية الله ومراقبته فأي شيء حدث فيه لا يكون مذكرا له رؤية الله فإنه ذاكر غير غافل عنه (وقال الخواص) هو أبو اسحق إبراهيم بن أحمد من أقران الجنيد (شكر العامة) يكون (على المطعم والملبس والمشراب) ونحوها من النعم الظاهرة (وشكر الخاصة) يكون (على واردات القلوب) مما يرد عليها من المعاني التي يعرفها الأولياء تصرف الغفلات عن القلوب بالورع والزهد وغيرهما وهذا القول نسبة القشيري في الرسالة إلى أبي عثمان سعيد بن اسمعيل الجبيري تلميذ أبي حفص الحداد ولفظه وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني (وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده الذات في البطن والفرج ومدركات الخواص) الظاهرة (من الألوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الأبد كراثة تعالى ومعرفة ولقائه وانما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلو) ويستكرهها (ويستحلى الأشياء المرة) البشعة (حتى قيل) فأله المتنبي

(ومن يك ذا فم من مريض * يجد مرابه الماء الزلالا)

فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فعزى) وهو جار مجرى الامثال (فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية) بأن يفرح بالنعمة لأن حيث انما نعمة بل من حيث أنه يستدل بها على عناية المنعم به (أما) الدرجة (الاولى) فخارجة عن كل حساب) وذلك بأن يفرح بالنعمة من حيث انما نعمة فقط ويكون نظره مقصورا عليها (فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكما من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها اليه * الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالحوارج أما بالقلب فقصد الخير والصالح (واضماره لكافة الخلق) أي عامتهم (وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه) بأي صيغة كانت (وأما بالحوارج فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته) قال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول سمعت المرتضى يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري العبد وأما ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصى الله تعالى بنعمه فقال يوشك ان يكون حفظك من الله لسانك قال الجنيد فلا تزال أتكى على هذه الكلمة التي قالها السري (حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراهم مسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه) ولفظ الرسالة وقيل شكر العينين ان تستر عيبا تراهم بصاحبك وشكر الاذنين ان تستر عيبا تسمعه فيه (فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الاعضاء) وهو بيان لشكر هذه الافعال وقال صاحب القوت وأما شكر الحوارج للمنعم

مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية النعم لا رؤية النعمة وقال الخواص رحمه الله شكر العامة على المطعم والملبس والمشراب وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده الذات في البطن والفرج ومدركات الخواص من الألوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الأبد كراثة تعالى ومعرفة ولقائه وانما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلو ويستحلى الأشياء المرة كما قيل

ومن يك ذا فم من مريض * يجد مرابه الماء الزلالا
فإذا هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فان لم تكن ابل فعزى فان لم يكن هذا فالدرجة الثانية أما الاولى فخارجة عن كل حساب فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس ومن يريد الفرس للملك وكما من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه * (الاصل الثالث) العمل بموجب الفرح الحاصل

من معرفة النعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالحوارج أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه وأما بالحوارج فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين ان تستر كل عيب تراهم مسلم وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء

والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أجد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي (٥٣) أردت منك وكان السلف يتساءلون

ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فبجته من أهل الدين وكيف لا تقبج الشكوى من ملك المملوك ويبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاخرى بالعبدان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف إلى الشكوى ان تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبسلى والقادر على إزالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذل واطهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل فيجيب قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يعلمون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا مثلكم فالتشرك بالشكر باللسان من جهة الشكر وقد روي أن وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز بن رجة الله فقام شاب لتسكهم فقال عمر الكبير والكبير فيهما أي قدموا للتسكهم الاكبر فلا كبير وهذا اللفظ قد روي مرفوعا في حديث سهل بن أبي حمزة رواه الشيخان وأبو داود (فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر أي التقديم ههنا باللسان لكان غيرك مقدما عليك اذ في المسلمين من هو أسن منك) لعرف فضله ورفعته على من معه (فقال تسكهم فقال) يا أمير المؤمنين (اسناوفا الرغبة) أي لطلب شيء منك (ولا وفدا للرغبة) أي الخوف لشيء فطلب منك خلاصه (أما الرغبة فقد أصلها السناضلك) ونحن ببلا دناء (وأما الرغبة فقد أمننا منها عدلك) ونحن كذلك ببلا دناء (وأنما نحن وقد الشكر جنتك تشكرك باللسان وننصرف)

المفضل فهو ان لا يعصيه بنعمة من نعمه وان يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بهما على معاصيه فيكون قد كفرها كما قال تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قبل استعانوا بنعمته على معاصيه فيكون قد كفرها فالحق لا يقدر ان على تبدل نعمة الله ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المصير معناه لظهور دليله عليه لانه أمرهم بالطاعة بالنعم فالفوه فعصوه بما فكان ذلك تبدلها لهم لما أمر (والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت فقال بخير فأعاد) عليه (السؤال) ثانية كيف أنت فقال بخير (حتى قال) الرجل (في) المرة (الثالثة بخير أجد الله وأشكره فقال) صلى الله عليه وسلم (هذا الذي أردت منك) يعني اظهار الحمد والشكر والثناء قال العراقي رواه الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمر ومرفوعا نحوه قال في الثالثة بخير أجد الله وهذا معضل ورواه في النجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه تكرار السؤال وقال أجد الله اليك وفيه رشد ابن سعد ضعفه الجوهري واسود حفظه ورواه مالك في الموطأ وموقفا على عمر باسناد صحيح (وكان السلف يتساءلون) اذا التقوا (عن أحوالهم ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا) بشكره (والاستنطق له به مطيعا) باستخراج اياه منه فيكون شريكه في ذلك لانه سبب ذكره تعالى (وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر الله تعالى) أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية فبجته من أهل الدين فمن علمت انه يشكو مولاه ويتكره عند قضاء اذا سأله عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سببا لشكواه وشريكا في جهله وما أقبح بالعبدان يشكو مولاه (وكيف لا تقبج الشكوى من ملك المملوك) الذي ليس كمثله شيء (ويبيده) ملكه (كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء) ومثله كل شيء (والاخرى بالعبدان لم يحسن الصبر إلى القضاء والبلاء وافضى به الضعف) أي ضعف اليقين (إلى الشكوى) ولا بد (ان تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبسلى والقادر على إزالة البلاء ولذا قال يعقوب عليه السلام انما أشكوا بني) وخزني إلى الله (وذلل العبد لمولاه عز والشكوى ذل واطهار الذل للعبد مع كونهم اذلاء فيجيب) وللفظ القوت ويعلم ان الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبد والشرف بهم وان الطامع التذلل اليهم والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للعييب ووجب الذل للذليل كقبج الذل للعدو وقد قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لا يعلمون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عبادا مثلكم (والعبادة هي الخدمة والطاعة بذل ولا يحسن بالعبد المقبل ان يظهر فقره وفاقة إلى غيره مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لانه علم خبير بحاله يسمع به وراؤه أعلم بما يصلحه منه (فالشكر باللسان) وحسن الثناء وجبيل البشر للنعماء وتعبيد النعم والآلاء (من جهة الشكر) لان معنى الشكر في اللغة هو الكشف والاطهار يقال كثر وشكر بمعنى اذا كشف عن غمره وأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه (وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز بن رجة الله تعالى في أيام خلافته فقام شاب) من الوفد (لبيتكم فقال عمر الكبير والكبير) بضم الكاف فيهما أي قدموا للتسكهم الاكبر فلا كبير وهذا اللفظ قد روي مرفوعا في حديث سهل بن أبي حمزة رواه الشيخان وأبو داود (فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر أي التقديم ههنا باللسان لكان غيرك مقدما عليك اذ في المسلمين من هو أسن منك) لعرف فضله ورفعته على من معه (فقال تسكهم فقال) يا أمير المؤمنين (اسناوفا الرغبة) أي لطلب شيء منك (ولا وفدا للرغبة) أي الخوف لشيء فطلب منك خلاصه (أما الرغبة فقد أصلها السناضلك) ونحن ببلا دناء (وأما الرغبة فقد أمننا منها عدلك) ونحن كذلك ببلا دناء (وأنما نحن وقد الشكر جنتك تشكرك باللسان وننصرف)

لو كان الامر باللسان لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تسكهم فقال اسناوفا الرغبة ولا وفدا للرغبة أما الرغبة فقد أصلها اليافضلك وأما الرغبة فقد أمننا منها عدلك وأنما نحن وقد الشكر جنتك تشكرك باللسان وننصرف

فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع (٥٤) حقيقة فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع

على ما نحن عليه من فضلك وامتنك نقله القشيري في الرسالة ولفظه وقيل قدم وقد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فآخذ يخطب فقال عمر الكبير الكبير فقال الشاب يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن فذكره وفائدة ذلك التأكيدي في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه فإذا كان المنعم حاضرا والنعم متواليبة والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبح القبائح عادة وشرعا (فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقة فاما قول من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع) نقله القشيري في الرسالة ولفظه وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق فذكره (فهو نظرا إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب) فالاعتراف من جملة أحوال القلب والخضوع ظهوره على اللسان وهو أيضا سبب للشكر لانفسه وقد ذكر القشيري أيضا ان الشكر ينقسم الى ثلاثة أقسام شكر باللسان فهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهو اتياف بالوفاق والخدمة وسماي ذكر القسم الثالث (وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه) ولفظ الرسالة ويحتمل ان يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه له (نظرا الى مجرد عمل اللسان) لان الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة (وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على ساط الشهود) أي حضور الفضل ورؤيته (بادامة حفظ الحرمة) وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كما في الرسالة وحقيقة الشكر انما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع الامكان وهو (جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان) الذي هو الاعتراف بالنعمة بنعت الخضوع وقريب منه قول أبي بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنفعة وحفظ الحرمة ولكن هذا سبب للشكر لانفسه وليس بجامع كالقول السابق (وقول جدون القصار) وهو أبو صالح جدون بن أجد بن عمارة النيسابوري منه انتشر مذهب الملامية بنيسابور رحمه الله بآثاره الخشبي ومسلم الباروسي مات سنة احدى وتسعين ومائتين (شكر النعمة ان ترى نفسك في الشكر طفيليا) نقله القشيري أي تضيف النعمة الى فاعلها وتبرأ من اضافتها اليك وهو (اشارة الى ان معنى المعرفة من معاني الشكر فقط) كأنه يرجع الى الاعتراف بالنعمة واصافتها بالمنعم ويقرب منه قول بعضهم الشكر اضافة النعم الى موليا بنعت الاستكانة وهذا أيضا يرجع الى معنى الاعتراف وليس بجامع حقيقة الشكر (وقول الجنيد) قدس سره (ان الشكر ان لا ترى نفسك أهلا للنعمة) نقله القشيري أي لان من لم بذلك ورأى ان النعمة فضل من الله تعالى استحيا من الله ان يكون شكره جزاء عليها لانه اذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج الى شكر فهو يتبرأ من ان يكون شاكرا أبدا وهو (اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص) ويقرب منه قول يحيى بن معاذ لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر الخير (وهؤلاء) السادة (أقوالهم تعرب) أي تفصح (عن أحوالهم) التي هي غرات أعمالهم (فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين) مختلفتين (لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة) أي الثابتة في الحال (الغالبية عليهم) في الوقت (اشتغالا بآعمالهم عمالا بهمهم أو يتكلمون بما يرونه لا تقابل السائل اقتصارا) (منهم) (على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه) فمن ذلك قول بعضهم حقيقة الشكر نطق القلب واقراءه بانعام الرب وقيل هو الاستقامة في عموم الاحوال وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال رويم الشكر استغفار الطاعة وقيل الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجب من عطائه وقيل هو قيد مودود موقود وقيل هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم (فلا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم مجامع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بعقل أصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ في ان اسم الشكر في وضع اللسان) الذي هو الكشف والاطهار (هل يشمل جميع المعاني) المذكورة (أو يتناول بعضها مقصودا) بالذات (وبقية المعاني تكون

فهو نظرا إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر كراهيانه نظرا إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو الاعتكاف على ساط الشهود بادامة حفظ الحرمة جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الاعمال اللسان وقول جدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيليا اشارة الى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة اشارة الى حال من أحوال القلب على الخصوص وهو لا أقوالهم تعرب عن أحوالهم فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة الغالبية عليهم اشتغالا بآعمالهم عمالا بهمهم أو يتكلمون بما يرونه لا تقابل السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما لا يحتاج اليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وانه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا يشكرونها بل لا يظن ذلك بعقل أصلا الا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصودا وبقية المعاني تكون

من توابعه ولوازمه ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله الموفق برحمته (بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى) اعلمك يحظر بذلك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر فانما يشكر المالك اما بالثناء ليزيد محاسنهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثل بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما أن الله تعالى منزعه عن الخلو وظوا الاغراض مقدس (٥٥) عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن

نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثل بين يديه ركما سجد افشكرنا يا اياه بالاحاط له فيه بضاهاى شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع اذا لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ولا حظ لله تعالى في أفعاله كلها الوجه الثاني أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا ولو أعطانا الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر لم يكن الثاني شكر الاول مقابل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الا بنعمة أخرى فيؤدي الى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين) أما الوجه الاول فظاهر وأما الثاني فلانه يستلزم ان لا يتناهى (ولسنا نشك في الامر من جميعا والشرع قد ورد به) فانه قد ثبت كل من تقديس الله تعالى عن الخلو وظوا الاغراض وتنزيهه عن الاحتياج الى الاعانة وتكثير السواد وان جميع حركاتنا وسكنا تنام خلق الله تعالى ومن نعمه علينا (فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لدواعي عليه السلام وكذلك موسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك) وفي القوت وفي اخبار موسى وداود عليهم السلام يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك الا بنعمة ثانية من نعمك (وفي لفظ آخر وشكرك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد عرفت ان النعم منى) فقد رضيت منك بذلك شكرا (هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل قال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكركي لك نعمة من عندك توجب شكرا فاوحى الله اليه الآن قد شكرتني) (فان قلت فقد فهمت السؤال) أى سؤال موسى عليه السلام (وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم جوابا بالسؤالهم) (فان أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر) (وان قبول الخلعة الثانية

من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء) والله الموفق برحمته * (بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى) * اعلم انه (اعلمك يحظر بذلك) ويسبق الى ذهنيك (ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر) ينتفع به (فانما يشكر المالك اما بالثناء ليزيد محاسنهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثل بين أيديهم في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم) أى جماعتهم (وسبب لزيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم الا بشئ من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين أحدهما ان الله تعالى منزعه عن الخلو وظوا الاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والاطراء) (في المدح) (ومن تكثير سواد الخدم بالمثل بين يديه راكعا وساجدا فاشكرنا يا اياه بالاحاط له فيه بضاهاى شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع اذا لاحظ للملك فيه ولا حظ لله تعالى في أفعاله كلها) (والوجه الثاني ان كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر الامور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر له وركبناه وأعطانا مراكوبا آخر لم يكن الثاني شكر الاول مقابل كان الثاني يحتاج الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة أخرى فيؤدي الى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين) أما الوجه الاول فظاهر وأما الثاني فلانه يستلزم ان لا يتناهى (ولسنا نشك في الامر من جميعا والشرع قد ورد به) فانه قد ثبت كل من تقديس الله تعالى عن الخلو وظوا الاغراض وتنزيهه عن الاحتياج الى الاعانة وتكثير السواد وان جميع حركاتنا وسكنا تنام خلق الله تعالى ومن نعمه علينا (فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لدواعي عليه السلام وكذلك موسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك) وفي القوت وفي اخبار موسى وداود عليهم السلام يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك الا بنعمة ثانية من نعمك (وفي لفظ آخر وشكرك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد عرفت ان النعم منى) فقد رضيت منك بذلك شكرا (هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل قال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكركي لك نعمة من عندك توجب شكرا فاوحى الله اليه الآن قد شكرتني) (فان قلت فقد فهمت السؤال) أى سؤال موسى عليه السلام (وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم جوابا بالسؤالهم) (فان أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر فقد شكر) (وان قبول الخلعة الثانية

ولسنا نشك في الامر من جميعا والشرع قد ورد به فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر قد خطر لدواعي عليه السلام وكذلك موسى عليه السلام فقال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع ان أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك) وفي لفظ آخر وشكركي لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد عرفت ان النعمة منى رضيت منك بذلك شكرا فان قلت فقد فهمت السؤال وفهمى قاصر عن ادراك معنى ما أوحى اليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان الحاصل يرجع الى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلعة الثانية

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر (٥٦) عن ذلك السرفيه فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا

من الملك شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن ذلك السرفيه (لذته ونحوه) فان أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه فاعلم ان هذا (وهي أعلى علوم المعاملة) لتعلقها بعالم الغيب ولا يليق بكشف أسرارها (ولكننا نشير الى ملاح) وإشارات (ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطاعا له الشاكر وانه المشكور) فاما كونه المشكور فظاهر وأما كونه الشاكر فانه هو الموفق لعباده لان يشكروا وهو الذي ألهمهم على ألسنتهم وقلوبهم الشاء له فهذا الاعتبار يسمى شاكرا (فانه المحب وانه المحبوب) كما يشير لذلك قوله تعالى يحبهم ويحبونه (وهذا انظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا) وهذا النظر لمن رقى من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكمل معراجة فرأى بالمشاهدة العيانبة ان ليس في الوجود الا الله وان كل شيء هالك الا وجهه لانه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازل وأبدا لا يتصور الا كذلك (لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير) ان اعتبر في ذاته من حيث ذاته (فلا وجود له بل هو) عدم محض و (بمحال ان يوجد) واذا اعتبر من الوجه الذي يسرى اليه الوجود من الاول روى موجودا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجوده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى نفسه وجه الى ربه فهو باعتبار وجهه نفسه عدم وباعتبار وجهه الله موجود فاذا الوجود اذ الله ووجهه فاذا كل شيء هالك الا وجهه ازل وأبدا وقد اشار اليه المصنف بقوله (اذا الموجود المحقق هو القائم بنفسه) أو بذاته (وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم) وبيان ذلك ان الاشياء تنقسم الى مالا يقوم بنفسه ويفتقر الى محل كالأعراض والادوات فيقال فيها ما انها ليست قائمة بانفسها والى ما لا يحتاج الى محل فيقال قائم بنفسه كالجواهر الان الجوهر وان استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنيا عن أمور لا بد منها لوجوده ويكون شرط في وجوده فلا يكون قائما بنفسه لانه محتاج في قوامه الى وجود غيره وان لم يتحج مع ذلك الى محل فان كان موجودا يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقا فان كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور الا لاشياء وجوده ولا دوام وجوده لانه فهو القيوم لان قوامه بذاته وقوام كل شيء به (ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد) الفرد الاحد جل شأنه (فان نظرت من هذا المقام عرفت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب) فانك ان نظرت الى معنى الشاء فثنا كل من على فعل غيره والله تعالى اذا انى على أعمال عباده فقد انى على فعل نفسه لان أعمالهم من خلقه قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان الذي أعطى فائتي شكورا فالذى أعطى واثني على المعطى أحق أن يكون شكورا (ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب) البجلي البصري أبو عمر تزيل الكوفة تقدم ذكره (حيث قرأ) قوله تعالى (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني) فهذه ثناء الله على عباده وهو (إشارة الى أنه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد) الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الحسن (الميهني) صاحب كرامات حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري مات بمهنة وهي بكسر الميم وسكون المشاء الختيسة وهاء مفتوحة حسة ونون قرية بخباران بين سرخس

قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولا كما تشير منها الى ملاح ونقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطاعا له الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ألا وأبدا لان الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك فاذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور

وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فقالوا بحمده أعطى واثني إشارة الى انه اذا انى على اعطائه فعلى نفسه انى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني

حيث قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعهم يحبهم لانه انما يحب نفسه أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلا فلا يخفى عليك أن المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنيعه فان أحبه فما أحب الا نفسه واذا لم يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبير (٥٧) الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى

فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى ففى لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم أوطال من الخبز فيضحك عليهم الجاهل لجهلهم بمعانى كلامهم وضروقه قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وآلية الإشارة بقوله تعالى ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين واذا رآهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم غدا أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون فهذا أحد النظرين * النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يشكوا الوجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون (المحبوبون بحضرة الطلحة) وعماهم فى كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا دوام لوجودهم بل (ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا) من الوجه الذى يلي الموجد (لامن حيث وجدوا وافرقت بين الموجود بنفسه وبين الموجد) بايجاد غيره (وليس فى الوجود الا موجد واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقبوم والموجد

وأبورد سنة ٣٣٠ (حيث قرئ بين يديه) قوله تعالى (يحبهم ويحبونه فقال لعمرى يحبهم ودعهم يحبهم) ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه) فهو قد (أشار به الى أنه المحب وانه المحبوب) وفى تقديم يحبهم إشارة الى أنه لولا سبق محبته لنالوا أحبيته (وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلا فلا يخفى عليك ان المصنف اذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع اذا أحب صنيعه فقد أحب نفسه والوالد اذا أحب ولده من حيث انه ولده فقد أحب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنيعه) بيد قدرته وبيد حكمة (فان أحبه فما أحب الانفسه) بهذا الاعتبار (فاذا لا يحب الانفسه فبحق أحب ما أحب) وهو يفتح بابا عظيما من علوم المكاشفة (وهذا كله نظر بعين التوحيد) المحض وهو الذى أشار اليه حبيب بن أبى حبيب وأبو سعيد الميمنى (وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله تعالى) وذلك عند استيلاء أمر الحق سبحانه عليه فيغيب كون الحق على كونه فيسلب عنه اختياره واداته فلا يرى للغير وجودا الا بالحق (فن لا يفهم هذا) ولا يدركه (ينكر عليهم) يجمود ذهنه (ويقول كيف فنى وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل فى كل يوم عدة أوطال من الخبز) ويشرب كذا وكذا من الماء (فيضحك عليهم الجاهل لجهلهم بمعانى كلامهم) وغفلتهم عن أحوالهم (وضروقه قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين) أى يكونوا من يضحك عليهم (والية الإشارة بقوله تعالى ان الذين أخرجوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون (واذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمزون بعضهم بعضا وبشرون باعينهم (واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين) أى ملتذين بالسخرية (واذا رآهم قالوا ان هؤلاء لضالون) فنسبهم الى الضلال (وما أرسلا عليهم) أى على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدتهم وضلالهم (ثم بين ان ضحك العارفين عليهم أعظم اذ قال تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذ لا هم مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم أخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم حال كونهم (على الارائك ينظرون) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (وكذلك أمة نوح عليه السلام) لما أراد الله اهلا كههم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة (كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بعمل السفينة) ويستهزئون به (فقال) عليه السلام (ان تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون فهذا أحد النظرين) المذكورين (النظر الثانى نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان قسم لم يشكوا الوجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون) المحبوبون بحضرة الطلحة (وعماهم فى كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا دوام لوجودهم بل (ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا) من الوجه الذى يلي الموجد (لامن حيث وجدوا وافرقت بين الموجود بنفسه وبين الموجد) بايجاد غيره (وليس فى الوجود الا موجد واحد وموجد فالوجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقبوم والموجد

(٨ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعماهم فى كلتا العينين لانهم نفوا ما هو الثابت بتحقيقه وهو القيوم الذى هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصر على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولوعرفوا العلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وانما وجودهم من حيث أوجدوا لامن حيث وجدوا وافرقت بين الموجد والموجد والموجد باطل من حيث هو هو والموجد قائم وقبوم والموجد

هالك وفان واذا كان كل من عاها فان فلا يبقى الا وجهه بك ذوالجلال والا كرام * الفريق الثاني ليس بهم عى ولكن بهم عور لانهم يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عها لم يصبرها فناء غير الموجود الحق فثبت وجود آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذى قبله جاحدا تحقيقا فان جاز زحدا العمى الى العمش ادرك تفاوتين الموجودين فثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت (٥٨) والبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد ثم ان كل بصره بما يزيد في

هالك وفان واذا كان كل من عاها فان) وزائل مضحل اولا وأبدا (فلا يبقى الا وجهه بك ذوالجلال والا كرام * الفريق الثاني ليس بهم عى ولكن بهم عور لانهم يصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عها لم يصبرها فناء غير الموجود الحق فثبت وجود آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقا) لانه أشرك مع الله تعالى موجودا آخر (كما كان الذى قبله جاحدا تحقيقا) لانه جحد ما هو الحق الثابت (فان جاز زحدا العمى الى العمش) وهو ضعف البصر بسيلان الدمع (أدرك تفاوتين الموجودين فثبت عبدا وربا) وقسم الموجود الى واجب ويمكن (فهذا القدر من اثبات التفاوت) بين الموجودين (وبالبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد) أى أوائله (ثم ان كل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عشمه) وسيلان دمه (وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أنبته سوى الله تعالى فان بقي في سلو كه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو فيتمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانتمحى فيه هذا تفاوت درجات الموحدين) وتختلف مشاربهم وأذواقهم (وكتب الله المنزلة على رساله هى السكحل الذى تحصل به أنوار الابصار) وبهذا الاعتبار سميت أنوارا (والانبياء) عليهم السلام (هم السكحليون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله) الدالة على التوحيد (ومعناه) فى الحقيقة (أن لا يرى الا الواحد الحق) قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون (والواصلون الى كمال التوحيد الاولون والجاهدون والمشركون أيضا قائلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا المبر بونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد دخولوا ضعيفا) بهم هذا الخيال القائم فى اذهانهم (والمستوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال) والاحيان (فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف) يذهب سريعاً (لا يثبت) فهو أشبه شئ بالاحوال (وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا) فيكون أشبه شئ بالمقامات (ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز) كما قيل (لكل الى شأ والعلا حركات * ولكن عز زنى الرجال ثبات)

أنواره فيقل عشمه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أنبته سوى الله تعالى فان بقي في سلو كه كذلك فلا يزال يفضى به النقصان الى المحو فيتمحى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك نقصا في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لانتمحى فيه هذا تفاوت درجات الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رساله هى السكحل الذى به يحصل أنوار الابصار والانبياء هم السكحليون وقد جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه أن لا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاولون والجاهدون والمشركون أيضا قائلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا ما نعبدهم الا المبر بونا الى الله زلفى فكانوا داخلين فى أوائل أبواب التوحيد

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له) كلالا تطعموه (أسجدوا وقرب) أى دم على سجودك وتقرب من ربك وقال مجاهد أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعون يقول أسجدوا وقرب أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر ولم أسجد (قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك ورضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه مسلم من حديث عائشة بلفظ أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبالباقى سواء وقد تقدم (فقوله أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعله فاستعاذ بنفسه عنه عن فعله) وهذا قسم من الفناء المطلق وهو ان يتجلى الحق لعبده بطريق الافعال ويسلب عنه اختياره

دخولا ضعيفا والمستوسطون هم الاكثرون وفيهم من تنفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز لكل الى شأ والعلا حركات * ولكن عز زنى الرجال ثبات ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقبل له واسجدوا وقرب قال فى سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعله فاستعاذ بنفسه عنه من فعله

ثم اقترّب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهم ما صفتان ثم رأى ذلك نقصا
في التوحيد فاقترّب ورتق من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ (٥٩) بك منك وهذا قرار منه اليه من غير رؤية

فعل وصفة ولكنه رأى نفسه

فأرا منه اليه ومستعيذا

ومثما ففني عن مشاهدة

نفسه اذ رأى ذلك نقصا

واقترّب فقال لأحصى ثناء

عليك أنت كما أثبتت على

نفسك فقله صلى الله عليه

وسلم لأحصى خبر عن فناء

نفسه وخروج عن

مشاهدتها وقوله أنت كما

أثبتت على نفسك بيان انه

المثني والمثنى عليه وان

الكل منه بدا واليه يعود

وأن كل شيء هالك الا وجهه

فكان أول مقاماته نهاية

مقامات الموحدين وهو أن

لا يرى الا الله تعالى وفعاله

فيستعيذ بفعل من فعل

فانظر الى ماذا انتهت نهايته

اذا انتهى الى الواجد الحق

حتى ارتفع من نظره

ومشاهدته سوى الذات

الحق ولقد كان صلى الله

عليه وسلم لا يرى من رتبة

الى أخرى الا يرى الاولى

بعد الاضافة الى الثانية

فكان يستغفر الله من

الاولى ويرى ذلك نقصا في

سلوكه وتقصير في مقامه

واليه الاشارة بقوله صلى

الله عليه وسلم انه ليغان على

قلبي حتى استغفر الله في

اليوم واليلة سبعين مرة

فكان ذلك لترقيته الى سبعين

وارادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا بالحق (ثم اقترّب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى الى مصادر
الأفعال وهي الصفات فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما) أي الرضا والسخط (صفتان) من صفات
الله تعالى (ثم رأى ذلك نقصا في التوحيد فاقترّب فرقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات
فقال أعوذ بك منك وهذا قرار منه اليه في غير رؤية فعل وصفة ولكن رأى نفسه فارامنه اليه ومستعيذا
ومثما ففني عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصا واقترّب فقال أنت كما أثبتت على نفسك لأحصى ثناء
عليك) أي اني لا أطيق بحمدك وصفات الهيتك وانما أنت المحيط بهم واحدك (فقوله لأحصى خبر
عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله أنت كما أثبتت على نفسك بيان انه المثني وهو المثني عليه)
وهو الذي أشار اليه الصديق رضي الله عنه حيث قال العجز عن درك الادراك ادراك (وان الكل منه بدا
واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه) وانه لا يحيط بخلق من ملاحظة حقيقة ذاته الا بالحيرة والدهشة
(فكان أول مقامه) صلى الله عليه وسلم (نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى) في الوجود (الا الله
وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الى ماذا انتهت نهايته اذا انتهى الى الواجد الحق حتى ارتفع من
نظره ومشاهدته سوى الذات الحق) وهذا المقام غاية ما ينتهي اليه من تله مقام الفناء المطلق (ولقد
كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة الى أخرى الا يرى الاولى بعدا) من الله تعالى (بالضافة الى الثانية
فكان يستغفر الله تعالى من الاولى ويرى ذلك نقصا في سلوكه وتقصير في مقامه) وهو من باب حسنات
الابرار سيئات المقرين (واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في
اليوم واليلة سبعين مرة) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث الاغربين بشار
المرزني بلفظ انه ليغان على قاي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقد تقدم في كتاب التوبة وقبله في كتاب
الدعوات (فكان ذلك لترقيته الى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات
الخلق ولكن كان نقصا بالضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك) وقد تقدم الكلام عليه (ولما
قالت عائشة رضي الله عنها) للنبي صلى الله عليه وسلم (قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فهاذا
البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون عبدا شكورا) رواه أبو الشيخ الاصبهاني في
كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبله - ذاب تسعة أحاديث وهو
عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وهو كذلك في الصحيحين مختصرا من حديث المغيرة بن شعبه وقوله
أفلا أكون عبدا شكورا من محذوف أي أعترك تلك الكلفة نظرا الى تلك المغفرة فلا أكون عبدا شكورا لابل
ألزمها وان غفرت لي لا أكون عبدا شكورا فالمعنى ان المغفرة سبب ذلك التكلف شكر فكيف أتركه
بل أفعله لا أكون مبالغيا في الشكر بحسب الامكان البشري ومن ثم أتى بلفظ العبودية لانها أخص
أوصافه صلى الله عليه وسلم ولذا ذكرها تعالى في أعلى المقامات وأفضل الاحوال اذ هي مقتضى النسبة
المستلزمة للقيام بأعلى الخدمة وهو الشكر اذا العبد اذا لاحظ كونه عبدا وان ماله كمع ذلك أنعم عليه
بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو (معناه) أفلا أكون طالبا للمزيد في
المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال لنن شكرتم لازيدنكم) وقد تقدم قريبا وقبل تقدير الكلام
اذا أنعم على بالانعام الواسع أفلا أكون عبدا شكورا أي أيصير هذا الانعام سببا لخروجي عن دائرة
المبالغين في الشكر والاستغفار لانكار سببية مثل هذا الانعام لعدم كونه عبدا شكورا ولا يخفى تكلفه
ويصح أن يكون التقدير غفرت لي ما تقدم وما تأخر لعله باني أكون مبالغيا في عبادته فاكون عبدا شكورا

مقاما بعضها فوق البعض أوائلها وان كان مجاوزا أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصا بالضافة الى آخرها فكان استغفاره لذلك ولما
قالت عائشة رضي الله عنها أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهاذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد فقال أفلا أكون
عبدا شكورا معناه أفلا أكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى لنن شكرتم لازيدنكم

واذ تغافلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العذات ولنرجع الى ما يليق بعلم المعاملة فنقول الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن شهادة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا يعرف ذلك الا بمثل فاقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعده منه مر كوا بوا ملبوسا ونقد الاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له (٦٠) عناية في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد

في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تعنى فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمر كوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به فنزل العبد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة الا في الحالة الاولى بمجر رد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقوم بخدمته التي ارادها الملك منه وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لنفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لنفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطلها وان كان هذا دون ماله بخدمته فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقر بهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآمنوا الآية فاذا انعم الله تعالى آلا تيرقي العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

فلا أكون كذلك وهذا قريب من الاول (واذ قد تغافلنا في بحار) علوم (المكاشفة فلنقبض العذات ولنرجع الى ما يليق بعلم المعاملة فنقول الانبياء) عليهم السلام (بعثوا الدعوة الخلق الى كمال التوحيد الذي وصفناه) آنفا (ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما الشرع كله) من أوله الى آخره (تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن شهادة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالاضافة الى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثل) بضرب لك (فأقول يمكنك ان تفهم ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعده منه مر كوا بوا ملبوسا ونقد) من المال (لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم) ذلك العبد (ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لانه لا يقوى على القيام بخدمة تعنى فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمر كوب والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به وارتفاعه بنزلة العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لافي المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تعالى لتزجيه عن الافتقار والاحتياج الى معين) والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجر رد الركوب والوصول الى حضرته مالم يقوم بخدمته التي ارادها الملك منه وأما الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة أصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا وكافرا ويكون شكره بان يستعمل ما أنفذه اليه مولاه فيما أحبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أي يهمله (أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق) الذي يوصله اليه (فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لنفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لنفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته) في هذه الصورة (اذ أهملها وعطلها وان كان هذا دون ماله بخدمته فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات) أي استعمالها (لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقر بهم عبر تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآمنوا الآية فاذا انعم الله تعالى آلا تيرقي العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

الترتيب

لاجل نفسه وكفره ان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه فلهما البس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لبعده لنفسه وان ركب واستدبر حضرته وأخذ يبعده منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لبعده لنفسه وان جالس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضا نعمته اذا أهملها وعطلها وان كان هذا دون ماله بخدمته فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى الشهوات لتكامل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم في القرب منها فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقر بهم عبر الله تعالى اذ قال لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وآمنوا الآية فاذا انعم الله تعالى آلا تيرقي العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لاجل العبد حتى ينال بها سعادة

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر وأفاقته محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا فتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمته الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل (٦١) كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها

في طريق البعد فهو كافر جارف غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكر وه ووراء بيان هذه الدققة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحلهم - إذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن لا مشكور وحظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثاني فانالم نعين بالشكر الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أتيت عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذي أعطى وهو الذي أتيت كايمنه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سبيل الانصراف فعلة الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجود له كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له) ومظهر لتجانيه (وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وأنت شيء) لثبوتك في الاعميان (اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ) في الحقيقة (اذ كنت أنت أنت) في الازل (طانا لنفسك شيئية من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء) أي موجودة في الاعميان (فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله شيئا كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خالق مهين ومصرف لا مخلق ذلك الامر له فلا يقدر البتة على عمل غيره وهذا القول قاله (ما قيل له فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما حرت به المقادير وجفبه القلم أو شئ تستأنف فقال بل بما حرت به المقادير وجفبه القلم قال فقيم العمل قال اعملوا الخ ورواه ثقات وروى الشيخان من حديث علي قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأنا النبي صلى الله عليه وسلم فبعد وقد دنا حوله ومعهم من فتنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا تنسك على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فيين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجاري قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر وأفاقته محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لا فتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضا كفران النعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمته الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل (٦١) كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جارف غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكر وه ووراء بيان هذه الدققة سر القدر الذي منع من افشائه وقد انحلهم - إذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن لا مشكور وحظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضا ينحل الثاني فانالم نعين بالشكر الانصراف نعمة الله في جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أتيت عليك وثناؤه نعمة أخرى منه اليك فهو الذي أعطى وهو الذي أتيت كايمنه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره (وصار أحد فعليه سبيل الانصراف فعلة الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بانك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجود له كما أنك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له) ومظهر لتجانيه (وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وأنت شيء) لثبوتك في الاعميان (اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ) في الحقيقة (اذ كنت أنت أنت) في الازل (طانا لنفسك شيئية من ذلك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء) أي موجودة في الاعميان (فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله شيئا كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له) أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خالق مهين ومصرف لا مخلق ذلك الامر له فلا يقدر البتة على عمل غيره وهذا القول قاله (ما قيل له فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما حرت به المقادير وجفبه القلم أو شئ تستأنف فقال بل بما حرت به المقادير وجفبه القلم قال فقيم العمل قال اعملوا الخ ورواه ثقات وروى الشيخان من حديث علي قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأنا النبي صلى الله عليه وسلم فبعد وقد دنا حوله ومعهم من فتنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا يا رسول الله أفلا تنسك على ما كتب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فيين) صلى الله عليه وسلم (ان الخلق مجاري قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك وأنت شيء اذ جعلك خالق الاشياء شيئا وانما أنت لاشئ اذ كنت أنت طانا لنفسك شيئا من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذي جعل الاشياء أشياء فانت شيء اذ جعلك شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لاشئ تحقيقا والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ما قيل له يا رسول الله فقيم العمل اذا كانت الاشياء قد فرغ منها من قبل فبين ان الخلق مجاري قدراته ومحل أفعاله وان كانوا هم أيضا من أفعاله ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله اعملوا

وان كان جار ياعلى لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعث داعية جازمة الى الحركة والطاعة وانبعث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهى أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الاول شرط للثانى كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم (٦٢) شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أى هو شرط

من الاسلوب الحكيم منعهم عن الاتكال وترك العمل وأمرهم بامساك ما يجب على العبد من امتثال
أمر ربه وعبوديته عاجلا وتفويض الامر اليه آجلا يعني انتم عبيد ولا بد لكم من العبودية فعملكم بما
أمرتم به وباياكم والتصرف في الامور الالهية لآية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا تجعلوا
العبادة وتر كما سبيا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هو أمارات وعلامات ولا بد في الايجاب من لطف الله
خذلانه وهذا القول (وان كان جارا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله وهو
سبب لعلم الخلق بان العلم نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعث داعية جازمة الى الحركة
والطاعة وانبعثت الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الاعضاء وهي أيضا من أفعال الله
تعالى ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أى الاول شرط للثاني كما كان خلق جوهر الجسم سببا لخلق
العرض) لاجل ان يقوم به (اذ لا يخلق العرض قبله) لعدم استقلاله بالقيام (و) كما كان (خلق الحياة
شرطا لخلق العلم وخلق العلم شرطا لخلق الارادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أى
هي شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد لقبول فعل الحياة الا جوهر ولا يستعد لقبول (صفة) العلم الا
ذو حياة ولا لقبول الارادة الا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض أفعاله
موجد لغيره) كما يقوله من قال بالتولد وردد عليهم قوله تعالى تؤتى كل حين باذن ربها فظمه دليل على ان
لا يصدر من فعل من أفعاله الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته (بل) مهد شرط للحصول لغيره
وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذى ذكرناه) وهو توحيد الافعال (فان قلت فلم قال الله
تعالى) على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما اليها
شئ فيكم) نعم وانما الشكل الى الله تعالى فاعلم ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد
سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لتترك الشهوات والتخاني) أى التبعاض (عن دار الغرور
وذلك سبب الوصول الى جوار الله) تعالى فى دار كرامته (والله تعالى مسبب الاسباب ومسببها) على
أبداع نظام (فن سبق له فى الازل السعادة) الموعودة (يسر له هذه الاسباب حتى تقوده بسلسلتها الى
الجنة) وفى نسخة الى الخير (ويعبر عن مثله بان كلامه ليسر لما خلقه ومن لم تسبق له من الله الحسن بعد
عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم فاذا لم يعلم لم
يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي فى حزب الشيطان) فاذا
صار فى ذلك الحزب شبهه قوله تعالى (وان جهنم لموعدهم أجعين فاذا عرفت هذا تجب من أقوام
يقادون الى الجنة بالسلاسل) يشير الى ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم
يقادون الى الجنة فى السلاسل وعند البخارى عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل وعند أبي نعم
فى الحلية عجب لا قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل وهم كارهون ورواه الطبرانى من حديث أبي أمامة
بهذا اللفظ الا انه قايساقون (فما من أحد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط العلم
والخوف عليه ومان من خذول الا وهو مقود الى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والامن والغرور عليه
فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا فاهرا الا الواحد القهار ولا قادر الا

ومعنى كونه شرطاً انه
لا يستعد لقبول فعل الحياة
الاجوهر ولا يستعد لقبول
العلم الاذ وحياة ولا لقبول
الارادة الاذو علم فيكون
بعض أفعاله سبباً للبعض
بهذا المعنى لاجب ان بعض
أفعاله موجود لغيره بل بمقدور
شرط الحصول لغيره وهذا
اذا حقق ارتقى الى درجة
التوحيد الذى ذكرناه
فان قلت فلم قال الله تعالى
عمى لولا والا فأتتم معاقبون
مذمومون على العصيان
وما اليها شئ فكيف نذم
وانما الكل الى الله تعالى
فاعلم أن هذا القول من
الله تعالى سبب حصول
اعتقاد فينا والاعتقاد
سبب لهيجان الخوف
وهيجان الخوف سبب ترك
الشهوات والتجافى عن دار
الغرور وذلك سبب للوصول
الى جوار الله والله تعالى
سبب الاسباب ومرتها
فنسبق له فى الازل السعادة
يسر له هذه الاسباب حتى
يقوده بسلمها الى الجنة
ويعبر عن مثله بأن كلا
ميسر لما خلق له ومن لم
يسبق له من الله الحسنى
بعد عن سماع كلام الله

قعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فاذا لم يسمع لم يعلم واذا لم يعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا الملك
واذا لم يترك الركون الى الدنيا بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل
فما من أحد الا هو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسيط العلم والخوف عليه وما من مخذول الا هو مقود الى النار بالسلاسل وهو
تسيط الغفلة والامن والغرور عليه فالتقوى يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر الا الله الواحد القهار ولا قادر الا

الملك الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي من الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فانه أصل أسباب الهلاك * (بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه) * اعلم ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بعرفه فما يحبه (٦٣) الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر

استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما ترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه والتميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فنسب لا يطالع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمه الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئاً في العالم الا وفيه محكمة وتحت المحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك المحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكالعلم بان المحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً أي طرفاً للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحويل المعيشة أو حياة يعيشون فيها عن النوم (والليل لباساً) أي غطاء يستر بظلمته من أزد الاختفاء (فتتيسر الحركة عند الابصار) بنور النهار (والسكون عند الاستتار) بظلمة الليل (فهذا من جلة حكمه الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة) لا يطالع عليها الا أهل البصيرة (وكذلك معرفة المحكمة في الغيم) وهو السحاب المستخرج بين السماء والارض (وزول الامطار) منه وذلك (كاشفاق الارض بأنواع النبات مطعمها للخلق ومرعى للإناعم وقد انطوى القرآن على جلة من الحكم الجليلة التي تحتلها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى) في تعداد النعم الخارجية فليتنظر الانسان الى طعامه (انا صبينا الماء صبا) أي من السحب (ثم شققنا الارض شقاً) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق الى نفسه وهو من اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنباً وقضباً) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلًا آتية) ونماها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

الملك الجبار) جل شأنه (فاذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين وشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي من الملك اليوم لله الواحد القهار ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص) وقال في مشكاة الانوار عند ذكر حقيقة الحقائق ان أهل المشاهدة العيانة لا يقترون الى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري من الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً (ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا ينفعهم الكشف فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعماء فانه أصل أسباب الهلاك) (بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه) * (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان فعل الشكر وترك الكفر لا يتم الا بعرفه ما يحبه) الله تعالى عما يكرهه اذ معنى الشكر استعماله نعمه في محابه) ومراضيه قال القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنييد يقول كان السري اذا أراد ان ينفعني سألتني فقال لي وما يا أبا القاسم ايش الشكر فقلت ان لا يستعانة بشئ من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من محالستك (ومعنى الكفر نقيض ذلك) اذ حقيقة ستر نعمة المنعم فترك أداء شكرها (اما ترك الاستعمال) فبعدمها معطلة (أو باستعمالها) اياها (في مكارهه) ومساخطه (ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان أحدهما السمع ومستنده الآيات والاخبار) من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم (والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير) صعب المنال (وهو لاجل ذلك عزيز) الوجود (فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فنسب لا يطالع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً) لعدم احاطته بجميع الاحكام (وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمه الله تعالى في كل موجود خلقه اذ ما خلق شيئاً في العالم الا وفيه محكمة وتحت المحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك المحكمة منقسمة الى جليلة وخفية أما الجليلة فكالعلم بان المحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً أي طرفاً للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحويل المعيشة أو حياة يعيشون فيها عن النوم (والليل لباساً) أي غطاء يستر بظلمته من أزد الاختفاء (فتتيسر الحركة عند الابصار) بنور النهار (والسكون عند الاستتار) بظلمة الليل (فهذا من جلة حكمه الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة) لا يطالع عليها الا أهل البصيرة (وكذلك معرفة المحكمة في الغيم) وهو السحاب المستخرج بين السماء والارض (وزول الامطار) منه وذلك (كاشفاق الارض بأنواع النبات مطعمها للخلق ومرعى للإناعم وقد انطوى القرآن على جلة من الحكم الجليلة التي تحتلها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى) في تعداد النعم الخارجية فليتنظر الانسان الى طعامه (انا صبينا الماء صبا) أي من السحب (ثم شققنا الارض شقاً) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق الى نفسه وهو من اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنباً وقضباً) يعني الرطبة (وزيتونا ونخلًا آتية) ونماها وحدائق غلبا وفاكهة وأبا

الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً فتتيسر الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جلة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة المحكمة في الغيم وزول الامطار وذلك لانهما في الارض بأنواع النبات مطعمها للخلق ومرعى للإناعم وقد انطوى القرآن على جلة من الحكم الجليلة التي تحتلها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تعالى انا صبينا الماء صبنا ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فيها حبا وعنباً وقضباً آتية

واما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثواب تخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدرة الذي يحتمله فهم الخلق انما زينة السماء لتستلذ العين بالنظر اليها وأشار اليه قوله تعالى انما زينا السماء الدنيا زينة الكواكب فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبها ورجاءه ومعادته ونباته وحيواناته وأعضاءه حيواناته لا تخفى لوفرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى ألف الى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمته كالعلم بان العين للابصار واللبطش واليد للبطش والرجل للمشى ولاشتم فاما الأعضاء الباطنة من (٦٤) الامعاء والمرارة والكبد والكلى وآحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاريف

والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذين يعرفونها لا يعرفون منها الا قدر يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أراده فقد كفر نعمة الله تعالى فن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذا خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره ومن نظر الى وجهه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذا ابصار يتم بها وانما خلقت للبصر بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتق بها ما يضره فيها فقد استعملها في غير ما أراده وهذا لان المراد من خلق الخلق في الدنيا والانس به في الدنيا والتجاني (أي التباعد) عن غرور الدنيا ولا أنس الابدوام الذي لا يحصل بالعبادة والمعرفة (ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الابدوام البدن) الذي هو بمنزلة المركب له (ولا يبقى البدن الا بالارض) في استقراره عليها (والماء والهواء والغذاء) في انتعاشه بها (ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل) بقاء (البدن والبدن مطية النفس) تركب عليه وتستعين به الى الوصول الى الآخرة (والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة) كما يدل عليه قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك في أحد وجوه التفسير (فلذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ليدوموا على العبادة والمعرفة (فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله) تعالى (في جميع الاسباب التي لا بد منها لا قدمه على تلك المعصية ولنذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على المنعم الوصول الى الله تعالى ولا

متاعا لكم ولا نعامكم أي فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها) وهي السبعة التي تقطع الفلك (والثواب) التي لا تفسر (تخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدرة الذي يحتمله فهم الخلق انما زينة السماء لتستلذ العين بالنظر اليها وأشار اليه قوله تعالى انما زينا السماء الدنيا) أي زينة الكواكب (أي زينة هي الكواكب والاضافة للبيان وبعضه قزعة من قرأ بتون زينة وجرا الكواكب على ابد الهامنه وفي الآية وجوه أخرى) فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبها ورجاءه ومعادته ونباته وحيواناته وأعضاءه حيواناته لا تخفى لوفرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشرة الى ألف وفي نسخة من حكمة واحدة الى عشرة آلاف (وكذلك أعضاء الحيوان) وفي نسخة الحيوانات (تنقسم الى ما يعرف حكمته كالعلم بان العين للابصار واللبطش واليد للبطش والرجل للمشى ولاشتم فاما الأعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكبد والكلى وآحاد العروق) المختلفة والاعصاب والعضلات (وما فيها من التجاريف والاشتباك والانحراف) والالتواء (والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها) كاهل التشريح (لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله تعالى فإما أوتيتم من العلم الا قليلا فاذا كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أراده فقد كفر نعمة الله تعالى فن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذا خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا يهلك بها غيره ومن نظر الى وجهه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس اذا ابصار يتم بها وانما خلقت للبصر بها ما ينفعه في دينه ودنياه ويتق بها ما يضره فيها فقد استعملها في غير ما أراده وهذا لان المراد من خلق الخلق في الدنيا والانس به في الدنيا والتجاني (أي التباعد) عن غرور الدنيا ولا أنس الابدوام الذي لا يحصل بالعبادة والمعرفة (ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الابدوام البدن) الذي هو بمنزلة المركب له (ولا يبقى البدن الا بالارض) في استقراره عليها (والماء والهواء والغذاء) في انتعاشه بها (ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل) بقاء (البدن والبدن مطية النفس) تركب عليه وتستعين به الى الوصول الى الآخرة (والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة) كما يدل عليه قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك في أحد وجوه التفسير (فلذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ليدوموا على العبادة والمعرفة (فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله) تعالى (في جميع الاسباب التي لا بد منها لا قدمه على تلك المعصية ولنذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على المنعم

وصول اليه لا يجنبه والانس به في الدنيا والتجاني عن غرور الدنيا ولا أنس الابدوام الذي لا يحصل بالعبادة والمعرفة (ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الابدوام البدن) الذي هو بمنزلة المركب له (ولا يبقى البدن الا بالارض) في استقراره عليها (والماء والهواء والغذاء) في انتعاشه بها (ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل) بقاء (البدن والبدن مطية النفس) تركب عليه وتستعين به الى الوصول الى الآخرة (والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة) كما يدل عليه قوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك في أحد وجوه التفسير (فلذلك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ليدوموا على العبادة والمعرفة (فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله) تعالى (في جميع الاسباب التي لا بد منها لا قدمه على تلك المعصية ولنذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على المنعم

بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الابدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالغذاء ولا يتم الغذاء الا بالارض والماء والهواء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة فلذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون مأر يد منهم من رزق الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الاسباب التي لا بد منها لا قدمه على تلك المعصية ولنذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على المنعم

فدقول من نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبها قوام الدنيا وهما حيران لا منفعة في أعيانها ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جل بركبه ومن يملك الجبل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدر اذ لا يبذل صاحب الجبل جل به بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجبل حتى يقال يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بشباب أو عبد بخمف أو دقة بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجبل كم يسوي بالزعفران فتتعدر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها يحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت

(٦٥)

المازول وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما فيقال هذا الجبل يسوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما مساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما يمكن التعديل بالنقد في اذلا غرض في اعيانها ولو كان في اعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقها الله تعالى لتداولهما الايدي ويكونا حاكين بين الاموال بالعدل والحكمة أخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانها مشايخ عززان في أنفسهما ولا غرض في اعيانها ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فانه لا يملك الا الثوب فقط فلوا احتاج الى طعام ربما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر اذا صبح كاف الكيس فالكل حاصل * (والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذ لم تكن له صورة خاصة يفيد اختصاصها كآراء لالون لها وتحكى كل لون) عند مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة (لامعنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيها أيضاً حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيها فاذا من كنزها فقد ظلمها وأبطل الحكمة فيها ما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

(فمقول من) جملة (نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبها قوام الدنيا) وملاكها (وهما حيران) كسائر الحجارة (لا منفعة في اعيانها) ولكن يضطر الخلق اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه (ومسكنه) (وسائر حاجاته) (اللازمة) (وقد يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جل بركبه ومن يملك الجبل ربما يستغني عنه) (في بعض الاحيان) (ويحتاج الى الزعفران) لحاجة دعت به (فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في مقدار العوض من تقدر) (يرجع اليه) (اذ لا يبذل صاحب الجبل جل به بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجبل حتى يعطى منه مثله في الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بشباب أو عبد بخمف أو دقة بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدري ان الجبل كم يسوي بالزعفران فتتعدر المعاملات جدا) وبشبهه أمرها (فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط بينهما يحكم فيها يحكم عدل) وسط (فيعرف عن كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت الممازول وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدنانير والدراهم حاكين ومتوسطين بين سائر الاموال حتى تقدر الاموال بهما) في المعاملات (فيقال هذا الجبل يسوي مائة مثلاً وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث انهما مساويان بشئ واحد اذا متساويان وانما يمكن التعديل بالنقد في اذلا غرض في اعيانها ولو كان في اعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذا خلقها الله تعالى لتداولهما الايدي ويكونا حاكين بين الاموال بالعدل والحكمة أخرى وهي التوصل بهما الى سائر الاشياء لانها مشايخ عززان في أنفسهما ولا غرض في اعيانها ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فانه لا يملك الا الثوب فقط فلوا احتاج الى طعام ربما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء) واليه يشير قول الشاعر اذا صبح كاف الكيس فالكل حاصل * (والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذ لم تكن له صورة خاصة يفيد اختصاصها كآراء لالون لها وتحكى كل لون) عند مقابلتها (فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف) الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة (لامعنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيها أيضاً حكم) خفية (يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيها فاذا من كنزها فقد ظلمها وأبطل الحكمة فيها ما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

(٩ - (اتحاف السادة المتقين) - (ثامع) اعيانها ونسبتهم الى سائر الاموال نسبة واحدة فمن ملكها فكانه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فانه لا يملك الا الثوب فلوا احتاج الى طعام ربما يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في ذاته مثلاً فاحتج الى شئ هو في صورته كانه ليس بشئ وهو في معناه كانه كل الاشياء والشئ انما تستوي نسبته الى المختلفات اذ لم تكن له صورة خاصة يفيد اختصاصها كآراء لالون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لاميلى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية وفيها أيضاً حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيها عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمته الله تعالى فيها فاذا من كنزها فقد ظلمها وأبطل الحكمة فيها ما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمنع عليه الحكم بسببه لانه

إذا كثرت فذهب ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير ليد خاصة ولا لعمرو خاصة إذا لغرض لا حاد في أعيانها فأنها محجرات وانما خلقت للتداول ولهما الأيدي فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة المقادير بمقومة للمراتب فآخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة) العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يعجزون ادراكه فقال تعالى والذين يكثرزون الذهب (٦٦) والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير

إذا كثرت فذهب ضيع ولا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم والدنانير ليد خاصة ولا لعمرو خاصة إذا لغرض لا حاد في أعيانها فأنها محجرات وانما خلقت للتداول ولهما الأيدي فيكونا حاكين بين الناس وعلامة معرفة المقادير بمقومة للمراتب فآخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة) العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي يعجزون ادراكه فقال تعالى والذين يكثرزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) وقد تقدم الكلام على الآية في كتاب الزكاة (وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كثر) ولم ينفق (لان مثال هذا مثال من استخرجوا كم البلد في الحياكة والكس) وغيرهما من (الاعمال التي يقوم بها الخساء الناس) وارداؤهم (والحبس أهون منه وذلك ان الخرف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تبسود وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخرف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود) في الغالب وان كان يتعامل ببعض الاطراف لكن على سبيل التبعية لهما (فن لم ينكشف له هذا) المعنى (كشف له بالترجمة الالهية وقيل انه من شرب في آية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم) لم يصرح المصنف بكونه حديثا وهو متفق عليه من حديث أم سلمة كما قاله العراقي واللفظ مسلم من شرب في آية من ذهب أو فضة فأنما يجرح في بطنه نار من جهنم وروى البيهقي في المعرفة والخطيب وابن عساكر من حديث ابن عمر من شرب في آية من ذهب أو فضة أو آية فيه شيء من ذلك أنما يجرح في بطنه نار جهنم وروى ابن ماجه من حديث عائشة من شرب في آية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم (وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم) أي تعدى ووضع الشيء في غير موضعه (لانها مخلوقة لغيرها لا لانفسها إذا لغرض في عينها فاذا التجرف في عينها فقد اتخذها مقصودا على خلاف وضع الحكمة) الالهية (اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقيل لا يقدر على أن يشتري به طعاما وادب اذ ربح الا لبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فأنما وسيلتان الى الغير لا لغرض في أعيانها ما وقع في الحرف في الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو الذي جاء المعنى في غيره) كما عرفه ابن الحاجب في كافيته (وكوقع المرأة من اللون فأنما من معه نقد فلو جازله أن يبيعه بالنقد فيخذل التعامل على النقد غاية عمله فيبيع النقد متقيدا عندئذ ويتزل منزله المكثور وتقيدها كما هو البريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا لانتخاذ النقد مقصودا للاذخار وهو ظلم فان قلت فلم جاز يبيع أحد النقدين بالآخر) أي يبيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب متفاضلين

آية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالا ممن كثر لان مثال هذا مثال من استخرجوا كم البلد في الحياكة والكس والاعمال التي يقوم بها الخساء الناس والحبس أهون منه وذلك أن الخرف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تبسود وانما الاواني لحفظ المائعات ولا يكفي الخرف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فن لم ينكشف هذا انكشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آية من ذهب أو فضة فكأنما يجرح في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لانها مخلوقة لغيرها لا لانفسها إذا لغرض في عينها فاذا التجرف في عينها فقد اتخذها مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب

ولا نقد معه فقيل لا يقدر على أن يشتري به طعاما وادب اذ ربح الا لبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده فأنما وسيلتان الى الغير لا لغرض في أعيانها ما وقع في الحرف في الكلام كما قاله النحويون ان الحرف هو الذي جاء المعنى في غيره وكوقع المرأة من اللون فأنما من معه نقد فلو جازله أن يبيعه بالنقد فيخذل التعامل على النقد غاية عمله فيبيع النقد متقيدا عندئذ ويتزل منزله المكثور وتقيدها كما هو البريد الموصل الى الغير ظلم كما ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا لانتخاذ النقد مقصودا للاذخار وهو ظلم (فان قلت) فلم جاز يبيع أحد النقدين بالآخر

ولم جاز ببيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقيدين يخالف الآخر في مقصود التوصل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم بمثله فجاز من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهماتساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري بجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ونحن لا نتخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا تمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا (٦٧) ينظم العقد وان طلب زيادة في الرديء

فذلك مما قد يقصده فلا جرم تمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم يجوز ذلك لانه لا يقدم على هذا الامساح فاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له جسد واحد في المعاوضة ولا أحرفهوا أيضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها التي خلقت لها فان فتح باب المعاملة فيها لوجب تغييرها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أرادت له فساخا الطعام الأول وكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج اليها ولا يتعامل على الاطعمة أي فيستغنى عنها اذ من معه الطعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه من يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحسرك وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب) والمعاش من ذلك حديث ابن عمر المحسرك ملعون رواه الحاكم ومنها حديث أبي هريرة من احتسرك حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله رواه أحمد (نعم بائع البر بالتمر معذورا إذا أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع) منه (غير معذور) لانهم حاجس واحد (ولكنه عايت فلا يحتاج إلى منع لان النفوس لا تسمع به الا عند التفاوت في الجودة) وبيع صاع من البر بصاع من شعير مبنى على اخذ لافهم هل هو جنس واحد او جنسان فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيهما جنسان فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لان أحدهما لا يسد مسد الآخر وقال مالك وأحمد في الرواية الأخرى هما جنس واحد فلا يجوز بيع

بداية وهو بالاتفاق لا يبيع الذهب بالذهب منفردا والورق بالورق منفردا أو تبرهما ومضروبا معا وحليهما الامثلة وزنا بوزن يدايد (ولم جاز ببيع الدرهم بمثله فاعلم أن أحد النقيدين يخالف الآخر في مقصود التوصل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تتفرق في الحاجات قليلا قليلا في المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به وهو تيسر التوصل به إلى غيره وأما بيع الدرهم بدرهم بمثله فجاز من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهماتساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري بجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه ونحن لا نتخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه فلا تمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينظم العقد وان طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم تمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد واما اذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فاعلم يجوز ذلك لانه لا يقدم على هذا الامساح فاصد للاحسان في القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له جسد واحد في المعاوضة ولا أحرفهوا أيضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها التي خلقت لها فان فتح باب المعاملة فيها لوجب تغييرها في الأبدى ويؤخر عنها الأكل الذي أرادت له فساخا الطعام الأول وكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج اليها ولا يتعامل على الاطعمة أي فيستغنى عنها اذ من معه الطعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه من يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحسرك وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب) والمعاش من ذلك حديث ابن عمر المحسرك ملعون رواه الحاكم ومنها حديث أبي هريرة من احتسرك حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله رواه أحمد (نعم بائع البر بالتمر معذورا إذا أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع) منه (غير معذور) لانهم حاجس واحد (ولكنه عايت فلا يحتاج إلى منع لان النفوس لا تسمع به الا عند التفاوت في الجودة) وبيع صاع من البر بصاع من شعير مبنى على اخذ لافهم هل هو جنس واحد او جنسان فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيهما جنسان فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لان أحدهما لا يسد مسد الآخر وقال مالك وأحمد في الرواية الأخرى هما جنس واحد فلا يجوز بيع

الذي أرادت له فساخا الله الطعام الأول وكل والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يتعامل على الاطعمة الا المستغنى عنها اذ من معه طعام فلم لا يأكله ان كان محتاجا ولم يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه من يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحسرك وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بائع البر بالتمر معذورا إذا أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكن عايت فلا يحتاج إلى منع لان النفوس لا تسمع به الا عند التفاوت في الجودة

ومقابلة الجيد بمثله من الردى لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة ممن الضروريات والجيد يساوى الردى في أصل الفائدة (٦٨) ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم

الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلنخلق هذا بفن الفقهاء فإنه أقوى من جميع ما أورده في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه امكن ان الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا المخل لكان مذهب مالك رحمه الله أنوم المذهب فيه اذ خصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد أن يضبط بحد وتحدد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعم فترأى الشرع التحديد بجنس المطعم أخرى لكل ماهو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد التحريم الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكل قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن تعد حسدا والله فقد ظم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما عهد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس) وفي نسخة بحكمة الجسم لها (كادخل أصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذه امثال واحد

بعضها ببعض الامثال لا يبدل يد ويد مع جوازها يكون غائبا) ومقابلة الجيد بمثله من الردى لا يرضى به صاحب الجيد وأما جيد برديين فقد يقصد ولكن لما كانت الاطعمة من الضروريات يضطر اليها الانسان أبدا والجيد يساوى الردى في أصل الفائدة) الذي هو الغذاء (ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا) وقد أشار الى نحو ذلك القفال في محاسن الشريعة (وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن) الاشتغال في (فن الفقه) وذلك عند خروجه من دار السلام ببيداد (فلنخلق هذا بفن الفقهاء فإنه أقوى من جميع ما أورده في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله تعالى) على غيره (في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ لو دخل الجص فيه امكن ان الثياب والدواب أولى بالدخول فيه ولولا المخل لكان مذهب مالك رحمه الله تعالى أقوى المذاهب فيه اذ خصه بالاقوات) وتفصيل ذلك انهم اختلفوا في علة جريان الربا المحرم في غير الاعيان السنية المنصوص عليها فقال أبو حنيفة وأصحابه العلة في الذهب والفضة الوزن والجنس وكل ما جمعه الوزن والجنس فالتحريم ثابت فيه اذ باععه متفاضلا كالذهب والفضة ثم يتعدى منها الى الحديد والرصاص والنحاس وما أشبهه وقال مالك والشافعي العلة في الذهب والفضة الثمنية فلا يجري الربا عند ههما في الحديد والنحاس وما أشبههما وقال أبو حنيفة في أظهر الروايات عنه وهي اختيار الخمر في من الخنابلة وشيوخ أصحابه العلة في الاعيان الاربعة الباقية الكيل والجنس فكل ما جمعه الكيل والجنس فالتحريم فيه ثابت اذ يبيع متفاضلا كالحنطة والشعير والنورة والجص والاشنان وما أشبهه وعن أحمد رواية ثانية في علة الاعيان الاربعة انهم أكل مكيل أو مأكول موزون فعلى هذه الرواية لا ربا فيما يؤكل كل وليس بمكيل ولا موزون مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والخيار ولا في غير المأكول مما ياكل ووزن كالنورة والجص والاشنان وعنه رواية ثالثة في علة الاعيان الاربعة انه مأكول جنس فعلى هذه الرواية يحرم ما كان ما كولا خاصة ويدخل في التحريم سائر المأكولات ويخرج منه ما ليس مأكولا وقال مالك العلة في الاعيان الاربعة كونها مقنات وما يصلح للقوت في جنس مدخر فيدخل تحريم الربا في ذلك كله كالاقيات المدخرة واللحوم والالبان والخلول والزيتون والعنب والزبيب والزيتون والعسل والسكر وقال الشافعي في الجديد ان العلة في الاعيان الاربعة انها مطعومة جنس فعلى هذا يجري الربا عند ه في الرمان والسفرجل والبيض ونحوه كالرواية الثالثة عن أحمد وقال في القديم مطعومة مكية أو موزونة فعلى هذا لا يجري الربا بمجرد الطعم في المطعومات ذكر ذلك كله الوزر في الافصاح وتقديم في كتاب آداب الكسب (ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد وان يضبط بحد وتحدد هذا كان ممكنا بالقوت) كذهب اليه مالك (وكان ممكنا بالمطعم) كذهب اليه الشافعي (فترأى الشرع التحديد بجنس المطعم أخرى) أى أشمل (لكل ماهو ضرورة البقاء) ودوام العيش (وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولولم يحدد التحريم الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فعين المعنى بكل قوته يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى ومن تعد حسدا والله فقد ظم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما عهد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس) وفي نسخة بحكمة الجسم لها (كادخل أصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذه امثال واحد

يتعد حدود الله فقد ظم نفسه ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما عهد شرع عيسى بن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حده شرعا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كادخل أصل المعنى بالجملة الاصلية فهذه امثال واحد

الحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق للحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا الامن قد عرف الحكمة ومن يؤث الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولو الالباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظر والى ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفر اذا لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة (٦٩) وبعضه بالخطر وكل ذلك عند آرباب

القلوب موصوف بالخطر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة الـدين اذ خلق الله لك الـدين وجعل احدهما أقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بجزير بجانته في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم أحوجك من أعطاك الـدين الى أعمال بعضها شريف كالخمس المحبف وبعضها خسيس كالزالة النجاسة فاذا أخذت المحبف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بمأه وخسيس فغضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خالق الجهات لتكون متسعة في حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه) تشر يفاله بذلك (واسمالة لقلبك اليه ليتقديه قلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلما جعل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سمياه الفقيه مكرها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أي من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كرا بالضم أي اجالا (من الخطئة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فستل عن سببه فقال لبست المدا) أي

الحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق للحكمة فلا ينبغي ان يصرف عنها ولا يعرف هذا الامن قد عرف الحكمة) وأتى من بابها (ومن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) يشير الى قوله تعالى ومن يؤث الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا (ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات) ومقارها (وملاعب الشياطين) ومحال وسواسها (بل لا يتذكر الا اولو الالباب) أشار به الى تمام الآية المذكورة (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظر والى ملكوت السماء) رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في كتاب أسرار الصوم (واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه) لا يتخلو (اما شكر واما كفر اذا لا يتصور ان ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس) وهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة (بالكراهة وبعضه بالخطر وكل ذلك عند آرباب القلوب) وهم المشتغلون بعلوم الآخرة (موصوف بالخطر فأقول مثلا لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة الـدين اذ خلق الله لك الـدين وجعل احدهما أقوى من الاخرى) وهي اليمين وهذا هو الاغلب فلا يناقضه الا عسر وهو الذي يسره أقوى من اليمين لنسبوره (فاستحق الاقوى بجزير بجانته في الغالب التشریف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل) لقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان (ثم أحوجك من أعطاك الـدين الى أعمال بعضها شريف كالخمس المحبف وبعضها خسيس كالزالة النجاسة فاذا أخذت المحبف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بمأه وخسيس فغضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه خالق الجهات لتكون متسعة في حركاتك وقسم الجهات الى مالم يشرفها والى ما شرفها بان وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه) تشر يفاله بذلك (واسمالة لقلبك اليه ليتقديه قلبك) ويحترمه (فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلما جعل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالاشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة) لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء (وانما سمياه الفقيه مكرها) وخفف أمره على العامة (حتى ان بعضهم) أي من العارفين (كان قد جمع اكرارا) جمع كرا بالضم أي اجالا (من الخطئة وكان يتصدق بها) على المحتاجين (فستل عن سببه فقال لبست المدا) أي

ما شرفها بأن وضع فيها بيتنا أضافه الى نفسه اسمالة لقلبك اليه ليتقديه قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبادت ربك وكذلك انقسمت أفعالك الى ما هي شريفة كالطاعات والى ما هي خسيصة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فاذا رميت بصاقل الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لان الخف وقاية للرجل فلما جعل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سمياه الفقيه مكرها وها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الخطئة وكان يتصدق بها فاستل عن سببه فقال لبست المدا

مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريدان أكفره بالصدقة نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لانه مسكين بل بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة اليها فقبج أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدر يساره فقد تعدى من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ بالسار ومن باع خرافاً في وقت الذاء يوم الجمعة فقبج أن يقال خان من وجهين أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت الذاء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبج أن يذكر تركه الآداب (٧٠) في قضاء الحاجة من حيث انه لم يجعل القبلة عن يمينه فالعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض

النعمل (مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً) من غير اختيار (فأريدان أكفره بالصدقة) ولعله وجد الخطئة عزرة فلذلك اختار التصديق بها ولو كونها مما يبيع النفع بها أكثر من غيرها (نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لانه مسكين بل) أي امتحن (بإصلاح العوام الذين تقرب درجتهم من درجة الانعام) في بلادهم وحواسهم (وهم مغموسون) وفي نسخة مغموسون (في ظلمات) وهمية (أطم وأعظم من ان تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة اليها فقبج أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدر يساره فقد تعدى) الحد الشرعي (من وجهين أحدهما الشرب والآخر الأخذ بالسار ومن باع خرافاً) وفي نسخة خرافاً (في وقت الذاء) وهو الأذان الثاني (يوم الجمعة فقبج أن يقال خان من وجهين أحدهما بيع الخمر) وفي نسخة الخمر (والآخر البيع في وقت الذاء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبج أن يذكر تركه الآداب في قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة عن يمينه فالعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض) في القبح (فيمنحوق بعضها) ويضجول (في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكايه في نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب الظاهرة (وتساجنا فيه في الفقه مع العوام فسيب هذه الضرورة والافضل هذه المكارة عدول من العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغ للبعد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزل وبهضا يخرج بالسكينة عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين كما ان عالم القرب هو مستقر الملائكة) وكذلك من كسر غصن من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة من غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد أما البذر فأنهم تخلق للعبث بها (بل للطاعة والاعمال المعبنة على الطاعة وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق اليها) أي الى عروقها (الماء) من باطن الارض (وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده) بظلاله وغره (فكسره قبل منتهى نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده بخالفة المقصود بالحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذا الشجر والحيوان جعل) كل منهما (فداء لاغراض الانسان فانهم جميعاً فانيان هالكان وافناء الاخس) رتبة (في بقاء الاشرف مدة تأقرب الى العدل من تضييعها جميعاً واليه الى السماوات وما في الارض جميعاً منتهى نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وان كان محتاجاً اليه (لان كل شجرة بعينها فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد منهم من غير ربحان واختصاص كان ظلماً فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد) والخدمة في غوه ونشأته (فهو أولى به من غيره فترج جانباً به بذلك فان ثبت في موات الارض) من نفسه (لا يسبق آدمي

فيه بحق بعضه هائي جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكايه في نفسه فكل ماراعاه الانبياء والاولياء من الآداب وتساونا فيه في الفقه مع العوام فسيب هذه الضرورة والافضل هذه المكارة عدول من العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغ للبعد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزل وبهضا يخرج بالسكينة عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصن من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الاشجار وخلق اليد أما البذر فأنهم تخلق للعبث بل للطاعة والاعمال المعبنة على الطاعة وأما الشجر فأنما خلقه

الله تعالى وخلق له العروق وساق اليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى اختص نشوه لاعلى وجه ينتفع به عباده بخالفة المقصود بالحكمة وعدول عن العدل فان كان له غرض صحيح فله ذلك اذا الشجر والحيوان جعل فداء لاغراض الانسان فانهم جميعاً فانيان هالكان وافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة تأقرب الى العدل من تضييعها جميعاً واليه الى السماوات وما في الارض جميعاً منتهى نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وان كان محتاجاً لان كل شجرة بعينها فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد منهم من غير ربحان واختصاص كان ظلماً فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فترج جانباً بذلك فان ثبت ذلك في موات الارض لا يسبق آدمي

اختص بعفرسه أو بعمره فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فلا سابق خاصة السبق فالعدل هو أن يكون أولى به وغير
الفقهاء عن هذا الترجيح بالمالك وهو مجاز محض اذ المالك المملوك الذي له مافي السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في
نفسه ليس ملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله وقد أذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالمالك ينصب مائدة
لعبيده فن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه بوجه فباعه عبد آخر وأراد انتراعها من يده لم (٧١) يمكن منه لان اللقمة صارت ملكا له

بالاخذ باليد فان اليد
وصاحب اليد أيضا مملوك
ولكن اذا كانت كل لقمة
بعينها لا تفي بحاجة كل
العبيد فالعدل في التخصيص
عند حصول ضرب من
الترجيح والاختصاص
والاخذ اختصاصا ينفرده
العبد فنع من لا يدلي بذلك
الاختصاص عن مزاجته
فهكذا ينبغي ان تفهم أمر
الله في عبادته ولذلك نقول
من أخذ من أموال الدنيا
أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه وفي عباد الله من
يحتاج اليه فهو ظالم وهو
من الذين يكثرزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله وانما سبيل الله
طاعته وازاد الخلق في
طاعته أموال الدنيا اذ بها
تدفع ضروراتهم وترتفع
حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في
حد فتاوى الفقه لان مقدار
الحاجات خفيفة والنفوس
في استشعار الفقر في
الاستقبال مختلفة وأواخر
الاعمار غير معلومة فتكليف
العوام ذلك يجري مجرى
تكليف الصبيان الوفاق

اختص بعفرسه) أي منبته بالملكية (أو بعمره) بان وضع يده في تلك الارض وتعهده بالسبق (فلا بد من
طلب اختصاص آخر وهو السبق الى أخذه فلا سابق خاصة السبق فالعدل ان يكون هو أولى به) وهو
ترجيح في حقه (وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالمالك وهو) في الحقيقة (مجاز محض) أي خالص لا شوب
للحقيقة فيه (اذ المالك) حقيقة (الملك المملوك) جل شأنه (الذي له مافي السموات والارض) وما في يد
العبد فهو مستعار مردود (وكيف يكون العبد مالكا) هو (في نفسه ليس ملك نفسه بل هو ملك غيره)
لان وجوده مستعار من وجود غيره وماله الوجود من غيره موجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت
ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي
ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض (نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله) المفروشة (وقد أذن
لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالمالك ينصب مائدة لعبيده) فهم شركاء فيها (فن أخذ لقمة
بيمينه واحتوت عليها بوجه) أي مفاصل أصابعه (فباعه عبد آخر وأراد انتراعها من يده لم يمكن منه لان
اللقمة صارت ملكا له) بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن اذا كانت لقمة بعينها لا تفي
بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاصا
ينفرده العبد فنع من لا يدلي) أي لا يتقرب (بذلك الاختصاص عن مزاجته) وانتراع اللقمة منه
(فهكذا ينبغي ان تفهم أمر الله في عبادته ولذلك نقول من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه
وأمسكه) ولم ينفقه (وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم) ولو أدى زكاة ما كنزه وهو أحد الوجوه في
الآية (وهو من الذين) قال الله تعالى في حقهم والذين (يكثرزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله) فبشرهم بعذاب أليم (وانما سبيل الله طاعته وازاد الخلق في الطاعة) وفي نسخة في طاعته (أموال
الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم هذا لا يدخل في حد فتاوى الفقه لان مقدار الحاجات
خفيفة) لا تدرك (والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة) وأواخر الاعمار غير معلومة فتكليف
العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوفاق والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم يحكم
نقصانهم) في عقولهم (لا يطيقونه فتركا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وابتاعوا ذلك اياهم لا يدل على
ان الله واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوات
لضرورة ما جبالوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق) والى هذا يشير ما ورد كل مال أدى زكاة فليس
بكنز (وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحلفكم) أي يبالغ في سؤالكم حتى لا تبقوا
منها شيئا الا وقد صرفتموه في سبيل الحق (تبخلوا) وذلك بمقتضى الجلية (بل الحق الذي لا كدورة فيه
والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر رزاد الركب) كما ورد ذلك في
الحبر بلفظ وليكن رزاد أحدكم من الدنيا مثل رزاد الركب أي فان الركب لا يحمل من الزاد الا قدر كفايته
فقط (فكل عباد الله ركاب لطايا الابدان الى حضرة الملك الديان) وسنوهم منازلهم (فمن أخذ زادة عليه
ومنعه عن ركب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو يحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو وابتاعوا ذلك اياهم لا يدل
على أن الله واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبالوا عليه من البخل لا يدل
على انه غاية الحق وقد أشار القرآن اليه اذ قال تعالى ان يسألكموها فيحلفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا
يأخذ أحد من عباد الله من مال الله الا بقدر رزاد الركب فكل عباد الله ركاب لطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن أخذ زادة عليه ثم منعه
عن ركب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف أن ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تبقى الا بالقليل وانما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كاه وأمورا أخرى وأذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجعت الى هذا الكلام الى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة (٧٢) وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل

وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو وشكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو وكفران وهذا كاه مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يرفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فان العبد في البين حتى يكون شاكر مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر من نافيها سبق الى تلوينات بمبادئها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهم مهمان عرف منطق الطير ويجعدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن أن يجول في جو المالكوت جولان الطير فنقول ان الله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم

عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الاسباب التي بها عرف ان ماسوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تبقى الا بالقليل وانما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى وقيل من عبادى الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كاه وأمورا أخرى وأذلك تنقضى الاعمار دون استقصاء مبادئها فاما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير فان قلت فقد رجعت الى هذا الكلام الى أن الله تعالى حكمة في كل شيء وانه جعل بعض أفعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساق الحكمة الى غايتها فهو وشكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق الى الغاية المرادة بها فهو وكفران وهذا كاه مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد ينقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يرفعها هو أيضا من فعل الله تعالى فان العبد في البين حتى يكون شاكر مرة وكافرا أخرى فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقدر من نافيها سبق الى تلوينات بمبادئها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهم مهمان عرف منطق الطير ويجعدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن أن يجول في جو المالكوت جولان الطير فنقول ان الله تعالى في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم

أجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لعل شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم الى مبادئ اشراقها فانخفضت عن ذورتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لاغموض في نور الشمس ولكن لضعف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين فتح أبصارهم للاحاطة بجلالها الى أن يستعبروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى أقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها مصفة أخرى استعبرت لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة وهي معنى يكون الفعل مراداً وهي أعم من وجهه من

فهى توهم منها أمر الجملا عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشبهة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمته الى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشبهة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشبهة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمر الجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له المشبهة الازلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايته ويكون ذلك (٧٣) قهرا فى حقهم - بتسليط الدواعى

والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشبهة خاصة فاستعير لنسبة الى المشبهة المستعملين فى اتمام الحكمة به - بم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال (أى العذاب) وظهر على من ارتضاه فى الازل بحكم مشيئته (فعل انساق بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر وأردف ذلك بخلة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أننى) عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال) له (يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال) أى معطى الجمال (وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى) اذا أننى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر خرم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بآراء الامر الواحد الكلى) الالهى فى أعين الموجودات على ما هى عليه من الاحوال الجارية من

الارادة وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر (فهى توهم أمرا جملا) فى ايجاد معدوم أو اعدام موجود (عند المتناطقين باللغات التى هى حروف وأصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشبهة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذى هو غاية حكمته الى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى صفة المشبهة لرجوعها الى الاختصاصات التى بها تتم القسمة والاختلاف واستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان فى وصف المشبهة ولكن لكل واحد خاصية أخرى فى النسبة توهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمر الجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباد الله الذين هم أيضا من خلقه واختراعه الى من سبقت له فى المشبهة الازلية أن يستعمله لاستيعاب حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا فى حقهم بتسليط الدواعى والبواعث عليهم والى من سبقت لهم فى الازل أن يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها فى بعض الامور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشبهة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين فى اتمام الحكمة به - بم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب فظهر على من غضب عليه فى الازل بحكم مشيئته فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة فى النكال (أى العذاب) وظهر على من ارتضاه فى الازل بحكم مشيئته (فعل انساق بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له الشكر وأردف ذلك بخلة الثناء والاطراء زيادة فى الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه تعالى أعطى الجمال ثم أننى) عليه (وأعطى النكال ثم قبح وازرى) عليه (وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال) له (يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال) أى معطى الجمال (وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى) اذا أننى (الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر خرم استعير له لفظ القضاء) وهو فصل الامر قولا أو فعلا (وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب) واليه الاشارة بقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر) محركة (فكان لفظ القضاء بآراء الامر الواحد الكلى) الالهى فى أعين الموجودات على ما هى عليه من الاحوال الجارية من

(١٠ -) (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)

ان ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فاذا تم زينه قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو الجمال وهو المثنى على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يش من حيث المعنى الاعلى نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الامور فى ازل الازل وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحيث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر خرم استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلم البصر أو هو أقرب ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بآراء الامر الواحد

ولفظ القدر يازاء التفصيل المتماضى الى غير نهاية وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لما اذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم (٧٤) العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الامر

والاحتواء على مجامعه فالجوا عالم يطبقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتكم لا يستل عما يفعل وهم يستلون وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والارض وكان زيتهاً أولاً صافياً يكاد يضيء ولولم تمسه نار فاستعل نوراً على نور فأشرقت أقطار المكنوت بين أيديهم بنور ربهم فأدركوا الامور كلها كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذاناً وجو اليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لا بصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا باخلاق الله تعالى وانزلوا الى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المتردد

الازل الى الابد (ولفظ القدر يازاء التفصيل المتماضى الى غير نهاية) فالقضاء أخص من القدر (وقيل ان شيأ من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر) وقال المصنف في المقصد الاسنى معنى الحكمة ترتيب الاسباب وتوجيهها الى المسببات وهو تعالى الحكيم المطلق لانه سبب كل الاسباب جللتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الاسباب لتتوجه الى المسببات هو حكمه واجباده للاسباب السكينة الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تحول ولا تزول الى وقت معلوم ووضعها اياها ونصبها لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادث منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاولى الكلى والامر الازلى الذى هو كبح البصر والقضاء هو الوضع الكلى للاسباب السكينة الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلى بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسبباتها المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص ولذلك لا يخرج شئ عن قضاؤه وقدره (خطر لبعض العباد أن القسمة لما اذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره) لا يطبق ملاحظة كنه هذا الامر (والاحتواء) أى الاشتمال وفى نسخة الاحتراز من الحوز والمعنى واحد (على مجامعه فالجوا عالم يطبقوا خوض غمرته) وهى معظم الماء (بلجام المنع وقيل لهم) بلسان الحال (اسكتوا فما لهذا خلقتكم) فلا تخوضوا فيه قال الله تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) ففيه اشارة الى هذا الاجام (وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى) المنتشر ضياؤه (في السموات والارض) يشير الى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية والمشكاة هى الكوة فى الخائط يوضع فيها المصباح (وكان زيتهاً) وهو الاستعداد (أولاً صافياً) من كدورات الاوهام (يكاد يضيء) أى يشعل لسكل صفائه (ولولم تمسه نار) بعد (تمسه نار فاستعل نوراً على نور فأشرقت أقطار المكنوت) وهو عالم الغيب المختص (بين أيديهم بنور ربهم) يشير الى قوله تعالى وأشرقت الارض بنور ربهم (فأدركوا الامور كلها كما هي عليها) بكنهها وحقيقتها (فقيل لهم تأدبوا بأداب الله واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا) وهو بعض حديث ابن مسعود روى الطبرانى وأبو نعيم وابن صبرى فى أماليه وحسنه بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكرن النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا ورواه الطبرانى أيضاً من حديث ثوبان وابن عدى من حديث عمر ولم يصرح المصنف بكونه حديثاً وقد تقدم فى كتاب العلم (فان للحيطان آذاناً) وهو مثل مشهور (وجو اليكم ضعفاء الابصار فسيروا بسير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لا بصار الخفافيش) فانهم لا يطيقون (فيكون ذلك سبب هلاكهم فخلقوا باخلاق الله تعالى) وتحلوا بمعاني صفاته وأسماؤه بقدر ما يتصور فى حقكم (وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب فى جنح الليل) وهو ظلامه واختلاطه (فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيا به حياة المتردد

(شربنا شراباً طيباً عند طيب * كذا شراب الطيبين طيب)

(* شربنا وأهرقنا على الارض فضلة *) أى سكبنا عليها ما فضل منها

(*) والارض من كاس الكرام نصيب * فهكذا كان أول الامر وآخره فلا تفهمه الا اذا كنت أهلاً له

واذا كنت أهلاً له (وساعدتك العناية تحت العين وأبصرت) الطريق (فلا تحتاج الى قائد يقودك)

فى كمال نور الشمس وكونوا كمن قبل لهم شربنا شراباً طيباً عند طيب * كذا شراب الطيبين طيب وهو شربنا وأهرقنا على الارض فضلة * والارض من كاس الكرام نصيب فهكذا كان أول هذا الامر وآخره ولا تفهمه الا اذا كنت أهلاً له واذا كنت أهلاً له فتح تحت العين وأبصرت فلا تحتاج الى قائد يقودك

والاعشى يمكن أن يقادوا لكن إلى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجروا به أعشى وإذا ذاق المجال ولطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجروا به آخر فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو بمجال (٧٥) جواهر الخلق كنسبة المشي على الماء

إلى المشي على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريرا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبدتين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من أمره صلى من يشاء من عباده وأحال

وهو المرشد (والاعشى يمكن أن يقادوا لكن إلى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه) لكن لم يقدر على أن يستجروا به أعشى لضيق الطريق (وإذا ذاق المجال ولطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وربما لم يقدر على أن يستجروا به) رجلاً (آخر) لعدم قوته أو خوفه من الهلاك (فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو بمجال جواهر الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة) على الماء (يمكن أن تتعلم فأما المشي على الماء فلا يكتب بالتعليم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه وسلم إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء) قال العراقي هذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون نبينهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثاً فيه أن عيسى قال لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء وروى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على الجور ولزالت بدعائكم الجبال انتهت قلت روى ابن أبي الدنيا أيضاً وابن عساکر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى بن مريم بأي شيء تمشي على الماء قال بالآيمان واليقين قالوا فأنما آمنّا كما آمنّا كما أيقنت قال فامشوا إذا قمشوا معه فقاء المروج ففرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا المروج قال ألا خفتم رب المروج فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض منها فاذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر فقال أيهما أحلى في قلوبكم قالوا الذهب قال فانهما عندي سواء (فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريرا إلى أفهام الخلق إذ عرف) على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه) وذلك في قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر) تعالى (أن له عبدتين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين) وقد ذكر بهذه الأسماء في القرآن جبريل سر بانيه معناه عبد الله وسمى روح القدس لأن الروح مابة حياة النفس وأضيف إلى القدس لثراوته وصفاء اثره وسمى الأمين لآمانته في تبليغ وحى الله تعالى إلى رسوله (وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين) قال تعالى مطاع ثم أمين (ويغض الآخر واسمه ابليس) افعيل من البلس وهو التحير (وهو اللعين المنظر) أي المطرود المهمل (إلى يوم الدين ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال قل) يا محمد (نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال تعالى نزل به الروح الأمين وأيدناه بروح القدس (وأحال الإغواء إلى ابليس فقال ليضلهم عن سبيله والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أبغضه) وفي نسخة غضب عليه (والإرشاد) هو (سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يستب الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات) والأوساخ (وكان له عبيدان فلا بد من النظف والاعتناء) وأحسهما ولا يفوق جل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما) وجهها (كلهما)

الإغواء على ابليس فقال تعالى ليضلهم عن سبيله والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي غضب عليه والإرشاد سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبته إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يستب الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا بد من النظف والاعتناء) وأحسهما ولا يفوق جل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما) وجهها (كلهما)

وأحبهم ما إليه ولا ينبغي أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك الى نفسك بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتساما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا تدخل لك فيها وتارة يتم فىك فانك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك فى التعبير هو فعله الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة الا أنك لا ترى الانفسك فتظن أن ما يظهر عليك فى عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والمكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما أنت مثل الصبي الذى ينظر (٧٦) ليد الى لعب المشعبذ الذى يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وترزق وتقوم وتقع

وهى مؤلف من خرق لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر فى ظلام الليل ورؤسها يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقع وأما العلاء فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصله والذى يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذى الامر اليه والحادية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء فيظنون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيعلمون عليها محركون الا أنهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون (الا عارفون) منهم (والعلماء الراخون فانهم أدركوا بحدّة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف بأشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها هذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط فى مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي فى أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً أبصار ملائكة السموات مصروفة الى جهة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم مسخرون لذلك (وعبر عن هذه المشاهدات فى القرآن فقال وفى السماء رزقكم وما تؤعدون) وقال وما ننزله الا بقدر معلوم (وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامرين ينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً) وقال تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمراً (وهذه أمور)

عقلاً (وأحبهم ما إليه فلا ينبغي أن تقول هذا فعلى ولم يكون فعله دون فعلى فانك أخطأت إذ أضفت ذلك الى نفسك) جهلاً منك (بل هو الذى صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب اتساما للعدل فانه تارة يتم بامور لا تدخل لك فيها وتارة يتم فىك فانك أيضا من أفعاله) بل كل ما فى الوجود هو من أفعال الله تعالى (فداعيتك وقدرتك وعلمك وسائر أسباب حركاتك فى التعبير هو الذى رتبته بالعدل ترتيبا تصدر منه الافعال المعتدلة) ولين يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد فهم ذلك فليحط علماً بأفعال الله تعالى كلها وليتقن فى معرفة عجائب نفسك فتتفرغ للتأمل فيها وفيما يكتشفها من الاجسام (الا أنك لا ترى الانفسك فتظن أن ما يظهر عليك فى عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والمكوت فلذلك تضيفه الى نفسك) وتسمى ترتيب الاسباب وتوجهها الى المسببات بأقصى وجوه العدل (وانما أنت مثل الصبي الذى ينظر الى لعب المشعبذ) ويقال المشعوذ من الشعبذة والسعوذة وهو ان يرى الانسان منه ما ليس له حقيقة وقد بينه بقوله (الذى يخرج صوراً) مختلفة الاشكال (من وراء حجاب) رفيع (ترقص وترزق وتقوم وتقع) وتسمى وتقف (وهى مؤلف من صور لا تحرك بانفسها وانما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر فى ظلام الليل ورؤسها يد المشعبذ وهو محتجب) وراء حجاب (عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقع وأما العلاء) المميزون (فانهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذى يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذى الامر اليه والحادية بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة الى العلماء فيظنون الى هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيعلمون عليها محركون الا أنهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون (الا عارفون) منهم (والعلماء الراخون فانهم أدركوا بحدّة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف بأشخاص أهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها هذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط فى مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي فى أيدي الملائكة المحركين للسموات وشاهدوا أيضاً أبصار ملائكة السموات مصروفة الى جهة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم مسخرون لذلك (وعبر عن هذه المشاهدات فى القرآن فقال وفى السماء رزقكم وما تؤعدون) وقال وما ننزله الا بقدر معلوم (وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل عليهم من الامر والقدر فقال خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ينزل الامرين ينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً) وقال تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمراً (وهذه أمور)

لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بالعلوم لاختصاصها بفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهم فقال لو ذكرت ما عرفه من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر ولنفترض على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى (٧٧) مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة

الشكر الى كون العبد مستعملا في انعام حكمته الله تعالى فاشكر العباد أحبهم الى الله وأقربهم اليه وأقربهم الى الله الملائكة ولهم أيضا ترتيب ومنازلهم الاولى مقام معلوم وأعلىهم في رتبة القرب ملك اسمه اسرافيل عليه السلام وانما لودر جنتهم لانهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصح الله تعالى بهم الانبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الارض وبلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في أنفسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق ونعم بهم حكمته وأعلىهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اذا كمل الله به الدين وختم به النبيين وبأبهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم أصحوا ديننا الخلق كما أصح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام (فانه كمل الله به صلاح دينهم وديناهم) ومعاذهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روي أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي في نخل رحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصحوا دينهم) وفي نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمته الله بهم الا فيهم) فهو لاء كذلك لهم درجة تافى القرب (ومن عدا هؤلاء فهم رعا) لا يعجبهم (واعلم ان السلطان) المتولى لأمور المملكة أعم من أن يكون

(لا يعلم تأويلها الا الله والراسخون في العلم) بتعليم الله إياهم وتفهم الامور الالهية بالامور العرفية عسير جدا وانما ذكر الامثلة لاجل التنبيه عليها (وعبر ابن عباس) رضي الله عنه (عن اختصاص الراسخين في العلم بالعلوم لاختصاصها بفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهم فقال لو ذكرت ما عرفه) وفي نسخة ما عرفت فيه (من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم انه كافر) وذلك لان افهامهم قاصرة لا تحتمل المعاني الدقيقة من أسرار الربوبية واليه يشير ما ورد افشاء سر الربوبية كقوله (ولنفترض على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فنقول اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في انعام حكمته الله تعالى فاشكر العباد) أي أكثرهم شكرا (أحبهم الى الله تعالى وأقربهم اليه وأقربهم الى الله تعالى الملائكة) وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من هذه الصفة والمخلوق بها يصير رفيقا للملائكة الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الله تعالى (ولهم) أي للملائكة (أيضا ترتيب ومنازلهم الاولى مقام معلوم) في بساط القرب وكلهم مقر بون ودرجات قربهم متفاوتة (وأعلىهم في رتبة القرب اسرافيل عليه السلام) وهو صاحب الصور وقال المصنف في مشكاة الانوار قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار الملوكوتية انما وجدت على الترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض وان المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل فان فيهم الاقرب بقرب درجتهم من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات تستعصى على الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم وانهم كلوصفوا به انفسهم اذ قالوا وما من الااله مقام معلوم وانا نحن الصافون وانا نحن المسبحون (وانما لودر جنتهم لانهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصح الله بهم الانبياء) بأبصال الوحي اليهم (وهم) أي الانبياء (أشرف مخلوق على وجه الارض وتلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في أنفسهم أخبار وقد هدى الله بهم سائر الخلق) الى ما فيه نجاتهم وعصمتهم (ونعم بهم حكمته) في الخلق (وأعلىهم رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اذا كمل به الدين) الذي ارتضاه (وختم به النبيين) والمرسلين كما يشير الى كل منهم ما قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقوله تعالى وخاتم النبيين (ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء) ورثوا منهم علما وحكمة (فانهم في أنفسهم صالحون وقد أصح الله بهم سائر الخلق) بارشادهم إياهم الى طريق الحق (ودرجة كل واحد بقدر ما أصح من نفسه ومن غيره ثم يليهم) أي يلي درجة الانبياء (السلاطين بالعدل لانهم أصحوا ديننا الخلق كما أصح العلماء دينهم) فكل من العلماء والسلاطين في درجة واحدة ولكن مع اعتبارين مختلفين (ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الانبياء) عليهم السلام (فانه كمل الله به صلاح دينهم وديناهم) ومعاذهم (ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء) فقد روي أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي في نخل رحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى الحديث (ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصحوا دينهم) وفي نسخة أنفسهم (فقط فلم تتم حكمته الله بهم الا فيهم) فهو لاء كذلك لهم درجة تافى القرب (ومن عدا هؤلاء فهم رعا) لا يعجبهم (واعلم ان السلطان) المتولى لأمور المملكة أعم من أن يكون

الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم وديناهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصحوا دينهم ونفوسهم فقط فلم تتم حكمته الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهم رعا واعلم أن السلطان

خليفة أو ملكا وإن كان في مصطلح أهل الفن فرق بين الثلاثة تقدمت الإشارة اليه في كتاب العلم (به قوام الدين) ونظامه وملاكه (فلا ينبغي أن يستحقروا) أو بهان (وإن كان ظالما) غشوما (فاسقا) متعديا للحدود الشرعية (قال عمرو بن العاص رحمه الله تعالى امام غشوم خير من فتنة تدوم) والغشوم هو الظالم (وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وإن أساؤا فلهم الوزر وعليكم الصبر) قال العراقي رواه مسلم من حديث أم سلمة تستعمل عليكم أمراء فيعرفون وينكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون أمراء وقال حسن صحيح وللبراز بسند ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عقبة فقال عبد الله اصبروا فإن جورا مامكم خمسين سنة خير من هرج سنة فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر حديثا فيه والامارة الفاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به انتهى قلت بل هو في حديث الربيع بن عميلة عن ابن مسعود رفعه سليمان أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الاجر وعليهم الشكر ومن عمل منهم بعصية الله فلهم الوزر وعليهم الصبر رواه هكذا البيهقي في الشعب وأبو نعيم في العادلين وابن الجباري في التاريخ وقد نسب على ذلك الحافظ البخاري في هامش المغني مختصرا ووجدت بعض سياق المصنف في حديث أبي هريرة سليمان بعدى ولاية فيليكم البربره ويليككم الفاجر بقعوراه فاعلموا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساؤا فلكم وعليهم رواه ابن جرير والدارقطني وابن الجبار باسناد ضعيف وفي خبر آخر سيكون من بعدى أمراء فادوا اليهم طاعتهم فإن الامير مثل الجن يتقي به فإن صلحوا واتقوا أمرؤكم بخير فلكم ولهم وإن أساؤا أمرؤكم به فلهم وأنتم منه برآء وإن الامير إذا ابتغى الرية في الناس أفسدهم رواه الطبراني في الكبير عن شريح بن عبيد قال أخبرني جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معدي كرب وأبو امامة (وقال سهل) التسترى رحمه الله تعالى (من أنكروا امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل) أيضا (أي الناس خير فقال السلطان فقبل له) أنا أكثرى إن شر الناس السلطان فقال مهلا ن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خبر من سبعين قاصا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن احصا نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشغل بذكر الاتحاد والله الموفق للصواب

وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء يعرفون منهم وتنكرون و يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الاجر وعليهم الشكر وإن أساؤا فلهم الوزر وعليهم الصبر وقال سهل من أنكروا امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقبل أكثرى إن شر الناس السلطان فقال مهلا ن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ونظرة الى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خبر من سبعين قاصا يقصون * (الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر) وهو النعمة فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن احصا نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشغل بذكر الاتحاد والله الموفق للصواب

(اعلم) وفعل الله تعالى (إن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر) أي مختار (فانه يسمى نعمة ولكن النعمة هي السعادة الاخروية) واليهما الإشارة بقوله تعالى وأما الذين سعدوا فنفى الجنة الآتية

وتسمية ما سواها نعمته وسعادة ما غلط. واما مجاز كتسمية السعادة الدنياوية التي لا تعين على الآخرة نعمته فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخرى اصدق فكل سبب يوصل الى السعادة الآخرة ويعين عليها ما هو واسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمته صحيحة وصدق لاجل انه يقضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة والذات المسماة نعمته نشرحها بتقسيمات * (القسم الاول) * ان الامور كلها بالاضافة اليها تنقسم الى (٧٩) ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا

كالمعلم وحسن الخلق
والى ما هو ضار فيهما جميعا
كالجهل وسوء الخلق والى
ما ينفع في الحال ويضر في
المآل كالتلذذ باتباع
الشهوات والى ما يضر في
الحال ويؤلم ولكن ينفع
في المآل كقمع الشهوات
ومخالطة النفس فالنافع في
الحال والمآل هو النعمة
تحقيقا كالمعلم وحسن
الخلق والضرر فيهما هو
البلاء تحقيقا وهو ضدهما
والنافع في الحال المضر في
المآل بلاء محض عند ذوى
البصائر ونظنه لجهل النعمة
ومثاله الجائع اذا وجد
عسلا فيه سم فانه يعده
نعمة ان كان جاهلا واذا
علمه علم أن ذلك بلاء سبق
اليه والضرر في الحال النافع
في المآل نعمة عند ذوى
الالباب بلاء عند الجهال
ومثاله الدواء البشع في
الحال مذاقه الا انه شاف

وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصدق وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر (وتسمية ما سواها نعمة وسعادة ما غلط واما مجاز) اما لكونه معاوناني بلوغ ذلك أو قنما فيه (كتسمية السعادة الدنياوية التي لا تعين على الآخرة نعمته فان ذلك غلط) محض (وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا) في حد ذاته (ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخرى اصدق فكل سبب يوصل الى السعادة الآخرة ويعين عليها ما هو واسطة واحدة أو بوسائط) متعددة (فان تسميته نعمته صحيح وصدق لاجل انه يقضي الى النعمة الحقيقية) وكل ما أفضى الى النعمة نعمة كما ان كل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة (والاسباب المعينة) على الخير (والذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات) * (القسم الاول) * (ان الامور) التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الاخرى (كلها بالاضافة اليها) متقاربة الاحوال وهي (تنقسم الى ما هو نافع) في جميع الاحوال على كل وجه (في الدنيا والآخرة جميعا كالمعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا) في سائر الاحوال وعلى كل وجه (كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال) لكن (يضر في المآل) فهو نفع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وذلك (كالتلذذ باتباع الشهوات) والاخلاد اليها (والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل) فهو ضرر في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وذلك (كقمع الشهوات ومخالطة النفس) فالاقسام أربعة (فالنافع في الحال وفي المآل هو النعمة تحقيقا كالمعلم وحسن الخلق والضرر منه ما هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما) كالجهل وسوء الخلق (والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوى الابصار ونظنه لجهل النعمة ومثاله الجائع اذا وجد عسلا فيه سم) فانه بعده نعمة ان كان جاهلا به (واذا علمه علم ان ذلك بلاء سبق اليه) فيجتنبه (والضرر في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوى الابواب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع) أى الكريه (في الحال المر مذاقه) أى طعمه (الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء) سبق اليه (والعاقل) الكامل (بعده نعمة ويتقلد المنعمين بهديه اليه ويقربه منه ويهيئ له أسبابه) ويمكنه منة (فلذلك تمنع الام ولداه من الحجامة) في البلاد الحارة (والاب يدعوه اليها فان الاب لكامل عقله يلح العاقبة) أى المآل (والام لفرط حبها) له (وقصورها) في عقلها (تلحظ الحال) دون المآل (والصبي لجهله يتقلد منة أمه دون أبيه ويأنس بها) ويميل (الى شفتها) ويقدر الاب عدو له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق) فهي كما قال القائل

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عدو في ثياب صديق

(لان منعها اياه) أى ولداه (من الحجامة) في الوقت المحتاج (يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامة) فيما بعد (ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل) فان عقل العدو ربما يصد عنه كثير مما يعاديه (وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو) حتى العاقل ان يعرف تلك الامور بمحققاتها حتى لا يقع الخطا عليه في اختياره الوضيع على الرقيق وتقديمه الخسيس على النفيس والناس في منحرياتها طالب خير وهارب من شر كما قال الشاعر

ويهيئ له أسبابه فلذلك تمنع الام ولداه من الحجامة والاب يدعوه اليها فان الاب لكامل عقله يلح العاقبة والام لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه يأنس بها والى شفتها ويقدر الاب عدو له ولو عقل لعلم أن الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض وآلام أشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو

(قسمة ثمانية) اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة بقدرة خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى مانعة أكثر من ضرر كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضرة أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ ضرره ونفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثير فينفعه في سبيل الله ويصرفه (٨٠) الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر بالقليل أيضا ذل

لا يزال مستصغرا له شاكا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه *(قسمة ثالثة)* اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره والى مؤثر لغيره والى مؤثر لذاته ولا لغيره * فالاول ما يؤثر لذاته لا لغيره ككلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الاخرى التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بها السكات هي والخصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايضال البها صارت عند الجهال محبوبة في

كل يحاول حيلة يروجوها * دفع المضرة واجتلاب المنفعة والمرء يغلط في تصرفه * فلربما اختار العناء على الدعة لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورمو يقدر في الشيء انه رزق نافع وحشوه سم نافع فلذلك يحق على العاقل أن يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقة لئلا يكون كمن يريد جلبا لا يتطرق به فرأى حيلة فظنها مبتغاه فاخذها فلدغته *(قسمة ثمانية)* (اعلم ان الاسباب الدنيوية مختلطة بقدرة خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن ينقسم ذلك الى مانعة أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب والى ماضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير) الزائد في الكفاية (والجاه الواسع) عند ذوى الاموال (والى ما يكافئ) أى يقابل (ضرره ونفعه وهذه أمور تختلف باختلاف الأشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثير فينفعه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه) (رب انسان يستتر بالقليل) من المال (أيضا ذل لا يزال مستصغرا له) أى مستحقرا (شاكا من ربه) في خلوته وجلوته غير راض عنه فيما قسمه له (طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان) وقلة التوفيق (بلاء في حقه) خلق العاقل أن يتحرى في تلك الامور ويعطى النعم استحقاقها *(قسمة ثالثة)* (اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى ما هو مؤثر لذاته والى ما هو مؤثر لغيره) (لذاته والى ما هو مؤثر لذاته ولا لغيره) معا (فالاول) من الاقسام (ما يؤثر لذاته لا لغيره) وهو (كلذة النظر الى وجه الله تعالى وسعادة لقائه) وكذلك السعادة النفسية (وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انتضاء لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها * الثاني) من الاقسام (ما يقصد لغيره ولا غرض أيضا في ذاته) وهذا (كالدراهم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تنقضي بها السكات هي والخصباء بمثابة واحدة) أى بمنزلة سواء (ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايضال البها) كقال القائل

اذا كنت في حاجة مر سلا * فارسل رسولا هو البرهم (صارت عند الجهال محبوبة في أنفسها حتى) انهم (يجمعونها ويكثرونها) ويتقاتلون عندها (ويتصارفون عليها بالربا يظنون انها مقصودة) لذاتها (ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول) الذي هو الواسطة (محبة الاصل) الذي هو المحبوب (فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال الثالث) من الاقسام (ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصول الى لقاء الله تعالى) وهو قصد العارفين (أوليتوصل بها الى استيفاء لذات) الدنيا وهو قصد الجاهلين (وتقصد أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل) وصحتها (من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

نفسها حتى يجمعوها ويكثروها ويتصارفوا عليها بالربا يظنون أنها مقصودة ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينهما ثم ينسى في محبة

الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتعهد الرسول ومراعاته وتفقدته وهو غاية الجهل والضلال * الثالث ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصول الى لقاء الله تعالى وأوليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصدها أيضا لذاتها فان الانسان وان استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لاجله فيريد أيضا سلامة الرجل من حيث انها سلامة فاذا المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يؤثر

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقد في فلا يوصفان في أنفسهما من حيث انهما جوهران قائم مانعة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة (قسمة رابعة) اعلم أن (٨١) الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع

ولذيذ وجبيل فالذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجبيل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضار بان مطلق ومفيد فالضار هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم واما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنع الحسد والكبر (وايثار الراحة والدعة وغيرهما من) الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جيع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجوع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك الثارفقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة غاف الغرق فالتقى متاعه في الماء فتخلصت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانفعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

لذاته ولغيره أيضا فهو نعمة ولكن دون الاول) في الرتبة (فاما ما لا يؤثر الا لغيره كالنقد في فلا يوصفان في أنفسهما من حيث انهما جوهران قائم مانعة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمر اليس يمكنه أن يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة) (قسمة رابعة) اعلم أن (٨١) الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع ولذيذ وجبيل فالذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجبيل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور أيضا تنقسم الى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضار بان مطلق ومفيد فالضار هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فانه ضار وقبيح ومؤلم واما في الشر فكالجهل فانه جاهل فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنع الحسد والكبر (وايثار الراحة والدعة وغيرهما من) الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقص وان اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جيع بعض هذه الاوصاف دون بعض) أي شيأ من أوصاف الخيرات وشيأ من أوصاف الشرور (فرب نافع) مؤذ (مؤلم كقطع الاصبع الزائدة) وفي نسخة المتأكلة (والسلعة الخارجة من البدن) كجوع قصير أنفه فانه وان نفعه في ادراك الثارفقد آذاه (ورب نافع قبيح كالخق) وهو فساد جوهر العقل (فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قبل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى ان يحين وقت هلاكه) فهذا وان نفعه باعتبار ذلك فهو جدا قبيح (ورب نافع من وجه ضار من وجه آخر كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق) أي كمن في سفينة غاف الغرق فالتقى متاعه في الماء فتخلصت السفينة (فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانفعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

(١١ -) (تحاف السادة المتقين) - (تاسع)

بعض هذه الاوصاف دون بعض فرب نافع مؤلم كقطع الاصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالخق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع فقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيسترخ في الحال الى أن يحين وقت هلاكه (ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها) والوجهان مختلفان وكل مانفعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو افضل * فان قيل ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع فاعلم ان الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه كل عاقل بل الشكل ٧ بلا شهوية وبياضه الشر وهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره من أجله والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه الاربع سعادة وبياضها الشقاوة وأما الفضيلة فاسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بان يتوصل به الى السعادة وبياضها الرذيلة وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير (و) اذا علمت ذلك فاعلم ان (النافع قسمان ضروري) وهو ما لا يمكن الوصول الى المطلوب الا به (كالإيمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل) الصالح للمكافئين (اذ لا يقوم مقامهما

البنة غيرهما والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصخرة فانه قد يمكن تسكينها ايضا بما يقوم مقامه (قسمه خامسة)
اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذية والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها ومشاركته لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة
مع بعض الحيوانات وبدنية (٨٢) مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكذلك العلم والحكمة اذ ليس يستلذهما السمع

أبنة غـيرهما والى ما لا يكون ضروريا وهو الذي قد يدور غيره مسده (كالسكنجبين مثلا في تسكين
الصخرة فانه قد يمكن تسكينها ايضا بما يقوم مقامه) وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه
مبلغا الى ذلك والله أعلم * (قسمه خامسة) *

(اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذية والذات بالاضافة الى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته
لغيره ثلاثة انواع) لذة (عقلية و) لذة (بدنية) وهى على قسمين اما (مشتركة مع بعض الحيوانات
و) اما (بدنية مشتركة) مع جميع الحيوانات (أما) اللذة (العقلية فكذلك العلم والحكمة اذ ليس
يستلذهما السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها
بالعقل وهذه أقل الذات وجودا وهى أشرفها أما قلتهما فلان العلم لا يستلذهما العلم والحكمة لا يستلذهما
الاحكيم وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسعين باسمهم والمتسعين برسوهم وأما شر فهما فلانها
لازمة لا تزول أبدا فى الدنيا ولا فى الآخرة ودائمة لا تمحل بالطعام يشبع منه فيمل وشهوة الواقع يفرغ
منها فتستقل) ولأنه لا يمل منها (والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمحل وتستقل) فحق العاقل أن
يرغب الى الله فى أن يعطيه ما فيه مصلحة مما لا سبيل له بنفسه الى اكتسابه وأن يبذل جهده مستعيناً بالله
فى اكتساب ماله كسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف (ومن قدر على الشرىف
الباقى أبداً لا يباد اذا رضى بالخسيس الفانى فى أقرب الاماد فهو مصاب فى عقله محروم بشقاوته وادباره)
ومن ضيع أنفـس المقتنيات مع التمكن من تحصيله فهو دنى فى الهمة راض بخسيس الحال (وأقل أمر فيه
ان) كلام من (العلم والعقل) اذا حصل لا يغيب و (لا يحتاج) فى حفظه (الى أعوان وحفظه بخلاف
المال) وغيره من المقتنيات الحالية (اذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال
ينقص بالانفاق والمال يصرف والولاية يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه أيدى السراق بالاحـذ ولا يـدى
السلطين بالعزل فيكون صاحبه فى روح الامن أبداً وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف أبداً) وتقدم
الكلام على ضده المجمع تفصيلا فى كتاب العلم (ثم العلم نافع ولذيد وجيل) عاجلا وأجلا ومطلقا (فى
كل حال أبداً) أى فى كل زمان وكل مكان ولذا كان أفضل الفضائل النفسية (والمال) وكذا الجاه
وهما من الخيرات المتوسطة (تارة يجذب الى الهلاك) اذا كان مع الجهل (وتارة يجذب الى النجاة)
اذا كان مع العلم (ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى مواضع) كثيرة ونبه على كونه سببا للشـر
فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الآية ولذلك قيل السعيد
هو الخير العاقل غنيا كان أو فقيرا قويا كان أو ضعيفا (وان سمى خيرا فى مواضع) كقوله تعالى ان
ترك خيرا ولكنه قد يكون خيرا لبعض الناس وشر لبعضهم فعلم انه كان شرا لمن قال تعالى فيه الذى
جمع مالا وعدده يحسب ان ماله أخله (وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم) والحكمة (فاما
لعدم الذوق) وهوته اول الشئ بالفهم لادراك الطعم هذا هو الاصل (ومن لم يذق لم يعرف ولم يشـتق اذ
الشوق تبـع للذوق) واليه الاشارة بقول القائل

ولو يذوق عاذل صابتي * صبا معى لكنه ما ذاقها

(واما لفساد امـرجتهم وتمـرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات) فان لها تاثيرا ظاهرا فى تغيير الامـرجة

والبصر والشم والذوق ولا
البطن ولا الفرج وانما
يستلذهما القلب لاختصاصه
بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه
أقل الذات وجودا وهى
أشرفها اما قلتهما فلان العلم
لا يستلذهما العلم والحكمة
لا يستلذهما الاحكيم وما أقل
اهل العلم والحكمة وما
أكثر المتسعين باسمهم
والمترسين برسوهم وأما
شر فهما فلانها لازمة لا تزول
أبدا فى الدنيا ولا فى الآخرة
ودائمة لا تمحل بالطعام
يشبع منه فيمل وشهوة
الواقع يفرغ منها فتستقل
والعلم والحكمة قط لا يتصور
أن تمحل وتستقل ومن قدر
على الشرىف الباقى أبداً
الاباد اذا رضى بالخسيس
الفانى فى أقرب الاماد فهو
مصاب فى عقله محروم
لشقاوته وادباره وأقل
أمر فيه ان العلم والعقل
لا يحتاج الى أعوان وحفظه
بخلاف المال اذ العلم
يحرسك وأنت تحرس
المال والعلم يزيد بالانفاق
والمال ينقص بالانفاق
والمال يسرق والولاية
يعزل عنها والعلم لا تمتد اليه
أيدى السراق بالاحـذ ولا

أيدى السلطين بالعزل فيكون صاحبه فى روح الامن أبداً وصاحب المال والجاه فى كرب الخوف
أبداً ثم العلم نافع ولذيد وجيل فى كل حال أبداً والمال تارة يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تعالى المال فى القرآن فى
مواضع وان سمى خيرا فى مواضع وأما قصورا أكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشـتق اذ الشوق تبـع
الذوق واما لفساد امـرجتهم وتمـرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات

كالمريض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراها مرأوا والقصور فطنتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمك ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انه ليستلذ به ولا استغابته اللبن يدل على انه اذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة امان لم يحى باغته كالطفل وامان مات بعد الحياة باتباع الشهوات وامان مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله عز وجل لينذر من كان حيا اشارة الى من لم يحى حياة باطنه وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان

(٨٣)

الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون

فرحين وان كانوا موتى بالابدان * الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياضة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات * الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أحسنها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهو أشدها التصاقا بالمغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسمها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياضة من الرأس وأما سره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه

(كالمريض الذي لا يدرك حلالة العسل ويراها مرأوا) كإقال الممتني ومن يك ذا فم مريض * يجد مرأوه الماء الزلالا (واما لقصور فطرتهم) التي فطر واعلمها (اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمك ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انه ليستلذ به ولا استغابته اللبن يدل على انه اذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة امان لم يحى باغته كالطفل وامان مات بعد الحياة باتباع الشهوات) فانهم اعمت القلوب (وامان مرض بسبب اتباع الشهوات) ولم يمت بعد فكل هؤلاء قاصرون عن درك اللذة المعنوية (وقوله تعالى) في حق المنافقين (في قلوبهم مرض اشارة الى مرض العقول وقوله تعالى لينذر من كان حيا اشارة الى من حي حياة باطنه) وليس المراد به الحياة الظاهرة (وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتي) أي يعد منهم (وان كان) هو (عند الجهال) يعد (من الاحياء ولذلك كان الشهداء) في سبيل الله (احياء عند ربهم يرزقون فرحين) كما أخبر بذلك عنهم الله تعالى (وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض الحيوانات كذلة الرياضة والغلبة والاستيلاء) والقهر (وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات) من السباع والوحوش (الثالثة ما يشاركها سائر الحيوانات كذلة البطن والفرج وهذه أكثرها وجودا وهي أحسنها) رتبة (ولذلك اشترك فيها كل ما دب) على الارض (ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقا بالمغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالث فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لاسمها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين) وخرج العارفون من الدنيا ولم يذوقوا أطيب من هذا (ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياضة من القلب وأخر ما يخرج من رأس الصديقين حب الرياضة) كما قاله سهل رحمه الله تعالى (وأما سره البطن والفرج فكسره) وقهره (مما يقوى عليه الصالحون) من عباد الله تعالى (وشهوة الرياضة لا يقوى على كسرها) وفي نسخة قهرها (الا الصديقون فأما قهرها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبهه أن يكون خارجا عن مقدور البشر) اذ لا بد من معاودة في بعض الاحوال بمقتضى ما جبل عليه البشر (ثم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة) بالعقل (لا تقوى على حمل النفوس على العدول عن) منهج (العدل) المأثور به (وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله والتلذذ

الصالحون وشهوة الرياضة لا يقوى على كسرها الا الصديقون فأما قهرها بالكلية حتى لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال فيشبهه أن يكون خارجا عن مقدور البشر نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتبره الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى أربعة أقسام قلب لا يحب الا الله تعالى ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا يدري مالذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الانس بالله سبحانه والتلذذ

بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثر به في بعض الاحوال الرجوع الى اوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالعلمات البشرية ويعثر به في بعض الاحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الاول فان كان ممكناً في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالذي يات طائفة به وأما الثالث والرابع فوجودان ولكن على غاية التدور ولا يتصور أن يكون ذلك الانداز اذا هو مع التدور يتفاوت في القلة والكثرة وانما تكون كثرته في الاعصار القرية من أعصار (٨٤) الانبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه القلوب قلبه الى ان تقرب الساعة

ويقضى الله أمرا كان
مفعولا وانما وجب أن
يكون هذا نادرا لانه مبادئ
ملك الآخرة والملك عز
والملك لا يكثر فملك
لا يكون الفائق في الملك
والجمال الاندرا وأكثر
الناس من دونهم فكذا في
ملك الآخرة فان الدنيا
مرآة الآخرة فانها عبارة
عن عالم الشهادة والآخرة
عبارة عن عالم الغيب وعالم
الشهادة تابع لعالم الغيب
كما أن الصورة في المرآة تابعة
لصورة الناظر في المرآة
والصورة في المرآة وان كانت
هي الثانية في رتبة الوجود
فانها أولى في حق رؤيتك
فانك لا ترى نفسك وترى
صورتك في المرآة وألا تعرف
بما صورتك التي هي قائمة
بك ثانيا على سبيل المحاكاة
فان قلب التابع في الوجود
متبوعا في حق المعرفة
وانقلب المتأخر متقدما وهذا
نوع من الانعكاس ولكن
الانعكاس والانعكاس
ضرورة هذا العالم فكذلك
عالم الملك والشهادة بحال
لعالم الغيب والملكوت فن
الناس من يسر له نظر

الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الاو يعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به تعالى فقال فاعتبروا يا أولى الابصار ومنهم من عمت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسينفخ الى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مما لو نارا من شأنها أن تطلع على الافئدة الا ان بينه وبين ادراك ألها حجابا فاذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدركه وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم

الاعزبنا كالشخص الصالح

الملك الدنيا * (قصة)

سادسه) * حاوية لمجامع
الزعماء الذين تنقسم

له وسر و ر لا غم فم و علم

بعده وهى النعمة الحقيقية

اللہ علیہ وسلم لایعیش الا

مرة في المدة تسليمة للنفس

في شدة الضرر وقال ذلك مرة

الركون الى سرور الدنيا

به في حجة الوداع وقال رجل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

قال لا قال تمام النعمة

فتمقسم الى الاقرب الاخصر

ما يلي في القرب كفضائل

ما ينيه في القرب و يحاو
الشيء الذي كالا

أمانة للنفس كالنوفيق والهادي

سن الخلق ينقسم

والجماعة (استنطههم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان) وهما موجودتان الآن فالجنة فوق السموات

الموهوبة والمكتسبة (اعلم ان النعم) وان كانت لا تخصي مفصلة فانها بالاقول المجمل خمسة أنواع وبيان ذلك

انها) تنقسم الى ماهى غايه مطاوبه لذاتها والى ماهى مطاوبه لاجل الغايه اما الغايه فاهلها سعادة الاخره

الحاكم من حديث أنس اللهم لا خير إلا خيرا لا خسر إلا خسر فبارك في الانصار والمهاجرة (وقال ذلك مرة في حال

الوسائل) التي يتوصل بها الى الغاية (فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس) وهو الاول (والى

الورع والشجاعة وكما لها المجاهدة والعدالة وكما لها الانصاف وقد فصله المصنف بقوله (و يرجع حاصلها ما

الى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب واسميه (العفة) الثاني (مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يتمتع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واجامه بالميزان العدل الذي أنزل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى أن لا تأمروا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فنخصي نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر (٨٦) والفكر فقد أخسر الميزان ومن انه مك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما

العدل أن يتجاوزنه وتقديره
عن الطغيان والخسران
فتعادل به كفتا الميزان فاذا
الفضائل الخاصة بالنفس
المقربة الى الله تعالى أربعة
علم مكاشفة وعلم معاملة
وعفصة وعدالة ولا يتم هذا
في غالب الامر الا بالانواع
الثاني وهو الفضائل البدنية
وهي أربعة الصحة والقوة
والجمال وطول العمر
ولا تنهيا هذه الامور الأربعة
الا بالانواع الثالث وهي النعم
الخارجة المطيفة بالبدن
وهي أربعة المال والاهل
والجاه وكرم العشيرة ولا
ينفع بشئ من هذه الاسباب
الخارجة والبدنية الا
بالانواع الرابع وهي الاسباب
التي تجمع بينها وبين
ما يناسب الفضائل النفسية
الداخلية وهي أربعة هداية
الله ورشده وتسديده
وتأييده فمجموع هذه
النعم ستة عشر اذ قسمناها
الى أربعة وقسمنا كل واحدة
من الأربعة الى أربعة وهذه
الجملة يحتاج البعض منها الى
البعض اما حاجة ضرورية

الى قسمين) أحدهما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسميه (العفة) الثاني (مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يتمتع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون اقدامه واجامه بالميزان العدل الذي أنزل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى (ألا تطغوا في الميزان) أي لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الاتفاق (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لا تنقصوه (فنخصي نفسه لترك شهوة النكاح أو ترك النكاح مع القدرة والامن من الآفات أو ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان) فان كل ذلك غير مناسب لميزان العدالة (ومن انه مك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان) واعتدى (وانما العدل) الحقيقي الذي به قامت السموات والارض (ان يتجاوزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعادل به كفتا الميزان) على السواء (فاذا الفضائل الخاصة بالنفس المقربة الى الله تعالى أربعة علم مكاشفة وعلم معاملة وعفصة وعدالة) فكمال علم المكاشفة العلم وكمال علم المعاملة المجاهدة وكمال العفة الورع وكمال العدالة الانصاف وهي المعبر عنها بالدين (ولا يتم هذا في غالب الامر الا بالانواع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة) أشياء (الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنهيا هذه الامور الأربعة الا بالانواع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة) أشياء (المال والاهل والجاه) ومنهم من ذكر العز بده (وكرم العشيرة ولا ينفع بشئ من هذه الاسباب الخارجة والبدنية) ولا سبيل الى تحصيلها (الا بالانواع الرابع) الذي هو توفيق الله عز وجل (وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة) أشياء (هداية الله ورشده وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى أربعة وقسمنا كل واحد من الأربعة الى أربعة) ويجمع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضربا ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا فيما هو نفسى فقط ثم أشار المصنف الى حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض فقال (وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية) بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر (أو) حاجة (نافعة) بحيث لو لم توجد لاختل حال الآخر (أما الحاجة الضرورية فكبحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق) وهي الفضائل النفسية (اذلا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة) الحقيقية (التي لا يهملها) أي باكتسابها (فليس للانسان الاماسي) وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاول (وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا) ولذلك قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية فبين ان لا مطمع لمن أراد الوصول اليها الا بالسعي (فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب العلوم) النافعة (وتهذيب الاخلاق) وتصفيتهما من الرذائل (الى صحة البدن وقوته ضرورية) لانه لا سبيل الى تحصيلها الا بها (وأما الحاجة النافعة على الجملة فكبحاجة هذه النعم) والفضائل (النفسية والبدنية الى النعم الخارجة) المطيفة بالانسان (مثل المال والعز والاهل) وكرم العشيرة فانها لا تغني عنها (فان ذلك لو عدم) وأمكن ان يتصور حصولها لمن ليس له ذلك (ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة فان قلت فما وجه الحاجة لطريق الآخرة) وحصول سعادتها (الى النعم الخارجة) المطيفة بالبدن (من المال والاهل

واوفاة أما الحاجة الضرورية فكبحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بها فليس للانسان الاماسي وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورية وأما الحاجة النافعة على الجملة فكبحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة (فان قلت) فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل

أما المال فالفقير في طاب العلم
والكمال وليس له كفاية
كساع إلى الهيا بغير سلاح
وكبازي روم الصيد بلا جناح
ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم نعم المال الصالح للرجل
الصالح وقال صلى الله عليه
وسلم نعم العون على تقوى
الله المال وكيف لا ومن
عدم المال صار مستغرق
الاقوات في طلب الاقوات
وفي تهينة اللباس والمسكن
وضرورات المعيشة ثم
يتعرض لانواع من الاذى
تشغله عن الذكر والفكر
ولا تندفع الا بسلاح المال
ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة
الحج والزكاة والصدقات
وافاضة الخيرات وقال بعض
الحكماء وقد قيل له ما النعيم
فقال الغنى فاني رأيت
الفقير لا يعيش له قيل زدنا قال
الامن فاني رأيت الخائف
لا يعيش له قيل زدنا قال
العافية فاني رأيت المريض
لا يعيش له قيل زدنا قال
الشباب فاني رأيت الهرم
لا يعيش له وكان ما ذكره
اشارة الى نعيم الدنيا ولكن
من حيث انه معين على
الآخرة فهو نعمة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم من
أصبح معافى في بدنه آمنأى سريره
عنده قوت يومه فكأنما
حيزت له الدنيا بحذافيرها
وأما الاهل والولد الصالح
فلا ينبغي وجه الحاجة اليهما

والجاه والعشيرة) وما نفعها في بلوغها (فاعلم ان هذه الأسباب جارية تجري الجناح) للطائر (المبلغ) لحاجته
(و) بمنزلة (الآن المسهلة المقصود) وان لم تكن الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورة (فاما المال
فالفقير) المعدم (في طلب العلم والكمال) وتجري المكارم (وليس له كفاية) هو (كساع إلى الهيا
بغير سلاح) والهيا ميدان الحرب في سعي اليها بغير سلاح فأحرق به ان يخفق سعيه وهو مصراع بيت
(وكبازي روم الصيد بلا جناح) فكيف يصطاد وفضله مغطى كما تحت أرض وباركامة في شجر وما أصدق
ما قال الشاعر
والمرء برفعه الغنى * والفقر منقصة وذل
وقال آخر
فلا يجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
(ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث
عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (نعم العون على تقوى الله المال)
قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر رواه أبو القاسم البغوي
من رواية ابن المنكدر مرسلًا ومن طريقه رواه القضاة في مسند الشهاب هكذا مرسلًا انتهى قلت ورواه
أبو الحسن في مكارم الاخلاق من حديث جابر (كيف ومن عديم المال صار مستغرق الاقوات في طلب
القوت وفي تهينة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض) بسبب قلة المال (لانواع من الاذى
تشغله عن الذكر والفكر) والمراقبة (ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك) بفقدان المال يشكل بلوغ
الفضائل فمن ذلك انه (يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وافاضة الخيرات) وكثيرا من القرب (وقال
بعض الحكماء) قد (قيل له ما النعيم فقال الغنى فاني رأيت الفقير لا يعيش له قيل زدنا قال العافية فاني
رأيت المريض لا يعيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له) نقله صاحب اقوت الا انه زاد
بعد العافية قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا يعيش له وقال في آخرة قيل زدنا قال لا أجد مزيدا ثم
قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا قيل الشباب وقيل
الفرار ويقال الامن والصحة (وكان ما ذكر اشارة الى نعيم الدنيا واسكنه من حيث انه معين على الآخرة
فهو نعمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أصبح معافى في بدنه آمنأى سريره عنده قوت يومه فكأنما حيزت
له الدنيا بحذافيرها) هكذا أو رده صاحب القوت وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء
بهذا السياق ولم يقل بحذافيرها وفي آخرة يادور رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وقال حسن
غريب وابن ماجه والطبراني من رواية سامة بن عبد الله بن نعيم بن نعيم بن نعيم عن أبيه رفعه من أصبح منكم
آمنأى سريره معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش
(وأما الاهل) كالزوجة والاقارب (والولد الصالح) وتقييده به موافقة لما في الحديث (فلا ينبغي
وجه الحاجة اليهما) فالمرأة مزرعة الرجل فيضها الله ليزرع فيها زرعها كما قال تعالى نسأوكم
حراثتكم (اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة) قال العراقي لم أجده اسنادا
ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر والدنيا امتاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة قلت ورواه كذلك
أحمد وهناد والنسائي ورواه أبو نعيم وابن عساکر من حديث جابر وروى أيضا أحمد ومسلم وأبو يعلى
والخارث بن أبي اسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة
الصالحة (وقال) صلى الله عليه وسلم (في الولد) أي في نفسه (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من
ثلاث ولد صالح يدعو له الحديث) رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد ومسلم وأبو داود والترمذي
والنسائي من حديث أبي هريرة اذ مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة الا من صدقة جارية أو علم
ينفع به أو ولد صالح يدعو له وقد تقدم في كتاب النكاح (وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب
اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم في الولد اذ مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو
له الحديث وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب

(النكاح) فلتراجع هنالك (وأما الاقارب) فتم العون على بلوغ السعادة (فهما كثر أولاد الرجل وأقاربه) وخالصوه (كانوا مثل الاعين) والآذان (والايدي فيتمسره بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه مآلو انفرده لطلال شغله) وقد قال تعالى حاكما عن لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد وقال الشاعر

ألم تر أن جمع القوم يخشى * وان حريم واحد هم مباح
(وأما العز والجاه فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضميم) ويتأني عن تحملها ومن لا عز له لا يمكنه أن يزود عن حريمه (ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك) في دهره (عن عدو يؤذيه) وان لم يكن له عدو فلا يخلو عن (ظالم) غشوم (يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه) من المعلوم ان (قلبه رأس ماله) الذي يتجر به (وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان) اخوان (توأمان) وقريبان مؤتلفان ومؤيدان الى عمارة البلاد وصلاح العباد وقيل أيضا الدين أس والسلطان حارس ومالأس له فهو دؤوم ومالاحارس له فضائع وسمى الله تعالى الحجة سلطانا لبقهرها أولى البصائر (قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الامالك القلوب) كما تقدم في كتاب ذم الجاه (كلام معنى للبغي الامالك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الاذى عنه) فاذا الجاه تبسع للمال (فكبححتاج الانسان) في تغيثه (الى سقف) يظله من حر الشمس و (يدفع عنه المطر) الى (جبتو) هي المقطعة من الصوف (تدفع عنه البرد) اذا لبسها (وكب يدفع الذئب) العادي (عن ماشيته) ان كان من أصحاب المواشي (فبححتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه) ويحكى ان الشافعي رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها واتخذ لنفسك جاها للثلاث طالك الاراذل (وعلى هذا القصد كان الانبياء) عليهم السلام (الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه) لشمسية أمورهم الدينية (وكذلك علماء الدين) سافوا وخلفا (لا على قصد التناول من خزانهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يتبعهم) حاشاهم الله عن ذلك (ولا تظن ان نعمة الله تعالى (على رسوله) صلى الله عليه وسلم (حيث نصره وأكمل دينه) وأتم عليه نعمته) وأظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت تلك (أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة) من محل مولده قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد الليل الحديث والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتى على ثلاثون مابين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذكيد الاثنى يواريه ابط بلال قال الترمذي يعني هذا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ومعه بلال وللبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث وللبرار وأبي يعلى من حديث أنس قال لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر ينادي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله واسناده صحيح على شرط مسلم (فان قلت فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا فاقول نعم) والمراد بكرم العشيرة الحسب والشرف والشرف أخص ما تراث الآباء والعشيرة ولذلك قيل للعلوية اشراف (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الاثم من قريش) قال العراقي رواه النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح اه

في دينه مآلو انفرده به لطلال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو اذا نعمة وأما العز والجاه فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضميم ولا يستغنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الامالك القلوب كلالا معنى للبغي الامالك الدراهم ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الاذى عنه فكبححتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزانهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يتبعهم ولا تظن ان نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على

جميع اعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة (فان قلت) كرم العشيرة وشرف الاهل هو من النعم أم لا (فاقول) نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاثم من قريش

قلت ورواه كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي ورواه أيضا من حديث علي ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني
من حديث أبي برزة زيادة في آخره ورواه الطيالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي
والضياء من حديث أنس أيضا زيادة في آخره ورواه الحاكم من حديث علي زيادة في آخره (ولذلك
كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم) الأرومة بالضم الأصل قال العراقي
وهذا ما عولم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا أن الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى
قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وفي رواية الترمذي أن الله اصطفى
من ولد إبراهيم اسمعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن
أبي وداعة وحسنه أن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم وفي حديث ابن عباس أن الله خلق الخلق
قسمين فجعلني في خيرهم قسماً وللبراز من حديث ابن عباس ما بال أقوام يتنزلون أصلي فوالله لانا أفضلهم
أصلاً وخيرهم موضعاً وعلم أن الاخلاق نتائج الامزجة ومزاج الاب كثير ما يتأدى الى الابن كاللون
والخلق والصور (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تخير والنطفكم) وانكحوا (الا كفاء) وانكحوا
اليهم رواه ابن ماجه من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب النكاح وفي المظا اطلبوا مواضع الا كفاء لنطفكم
فإن الرجل ربما أشبه أخواله (وقال) صلى الله عليه وسلم (اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء) رواه الدارقطني في الافراد والراهمري والعسكري في
الامثال وابن عدي والقضاعي والخطيب في ايضاح المتنبس والديلمي من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضا
في كتاب النكاح (فهذا أيضا من النعم ولست أعني به الانتساب الى الظلمة وأرباب الدينابل الانتساب الى
شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أئمة العلماء والى الصالحين الابرار المتوسمين بالعلم والعمل) ومن
الناس من لا بعد شرف الاصل فضيلة وقال كيا باني للمصنف بعد المرء بنفسه لا بابيه واستدل بقول علي
رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقول الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مجوده عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر بجد كل جدد لا بجد * وهل جدد بلا جد بمجد

وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كاطن لان كرم الأعمام والاخوان تخيلة
لكرم المرء ومظنته فالفرع وان كان قد يفسد أحيانا فاعلم ان أصله يورثه الفضيلة والريزية وانه
لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل النخل ولذلك قال الشاعر

ومايك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطمي الاوشجه * وتغرس الافى منابها النخل

ان السرى اذا سرى فبنفسه * وابن السرى اذا سرى اسراهما

وقيل وماذ كرم من نحو قول علي رضي الله عنه الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه فحث للناس
على اقتباس العلم ونهى عن الاقتصار على ما تراث الآباء فان المآثر الموروثة قليلة الفناء ما لم يضامها فضيلة
النفس لان ذلك انما يحمد لسكى بوجد الفرع مثله ومتى اختلف الفرع وتختلف فانه يخبر باحد شيئين اما
بتكذيب من يدعى الشرف لعنصره أو بتكذيبه في انتسابه الى ذلك العنصر وما فيه ما حفظ لمختار فالحمود
أن يكون الاصل في الفصل راجحا والفرع به شائحا كما قال الشاعر

زانوا قدعهم بحسن حديثهم * وكرم اخلاق وحسن خصال

ومن لم يجتمع له الامر ان يكون المرء شريف النفس دنى الاصل أولى من أن يكون دنى النفس
شريف الاصل قال الشاعر

ولذلك كان صلى الله عليه
وسلم من أكرم الناس
أرومة في نسب آدم عليه
السلام وقال صلى الله عليه
وسلم تخير والنطفكم
الا كفاء وقال صلى الله عليه
وسلم اياكم وخضراء
الدمن فقيل وما خضراء
الدمن قال المرأة الحسناء
في المنبت السوء فهذا أيضا
من النعم ولست أعني به
الانتساب الى الظلمة وأرباب
الدينابل الانتساب الى
شجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى أئمة العلماء
والى الصالحين والابرار
المتوسمين بالعلم والعمل

(فان قلت) فما معنى الفضائل البدنية فاقول لانخفاض بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم وعمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى وانما يستحق من جلسته امر الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجلال قليل الغناء ولكنه من الخيرات أيضا ما في الدنيا فلا يخفى نفسه فيها وأما في الآخرة فن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجليل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال والجاء اذهو نوع قدرة اذ يقدر الجليل الوجهه على تجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجلال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس

فما الشرف الموزون لادر دره * بحسب الالباس حرم كتب اذا الغصن لم يثمر وان كان شعبة * من الثمرات اعتده الناس في الخطب

ومتى كان عنصره في الحقيقة سديا وهو في نفسه دنيا فذلك آت ما من اهماله نفسه وشؤمها وما لتعوده عادات قبيحة وصحبة اشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيئا واحدا (فان قلت فما غناء الفضائل البدنية) وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر وقد ذكرت انه لا سبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الا بها وانما لا تغنى عنها فاغناؤها (فأقول لانخفاض بشدة الحاجة الى الصحة والى القوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بها) أي بهذه الثلاثة فلما الحاجة الى الاولين فواضع وأما طول العمر فلولا لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها المائتات السعادات الاخرية (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله) وفي بعض النسخ افضل السعادة طول العمر في عبادة الله قال العراقي غريب بهذا اللفظ والترمذي من حديث أبي بكر بن رجلا قال بارسل الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح اه قات ورواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي وفي آخره زيادة وشرا الناس من طال عمره وساء عمله والجملة الاولى فطر واهما أيضا عبد الله بن بسر مرفوعا أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب والطبراني والبيهقي والضياء واعلم انه قد استهان قوم بذلك وقالوا كفى بالمرء أن يكون صحيح البدن بريئا عن الامراض الشاغلة عن تحري الفضائل العقلية وليس كذلك فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللذين بهما صار صانعا وربا وجميع أجزاء البدن بالقول المجمع أربعة العظام التي تجري للبدن مجرى الألواح للسفينة والعصب الذي يجري مجرى الرباط الذي تشد به الألواح واللحم الذي يجري مجرى الحشول للرباط والجلد الذي يجري مجرى الغشاء لجمعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان تعادل فيها القوى الاربعة وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمى ذلك الصحة ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به وأما القوة فهي جودة تركيب هذه الاربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة (وانما يستحق من جاته) أي من جملة هذا النوع (امر الجلال فيقال يكفي أن يكون البدن) صحيحا قويا (سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات) والفضائل النفسية (ولعمري الجلال قليل الغنى ولكنه من الخيرات أيضا ما في الدنيا فلا يخفى نفسه فيها وما في الآخرة فن وجهين أحدهما أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجليل الى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كمال والجاء اذهو نوع قدرة اذ يقدر الجليل الوجهه على تجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمين على الآخرة بواسطتها والثاني أن الجلال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيأت البدن فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان مافي النفس) وقيل صورة حسنة تتبعها لمس رديئة فنفس الخواص تبين

الطين (وقبل ما في الارض قبج الاوجهه أحسن ما فيه) حكاه (استعرض المأمون) هو عبد الله
ابن هرون العباسي (جيشا فعرض عليه رجل قبج) الوجهه (فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسميه)
أي أمر باسقاطه (من الديوان) أي من جريدة الخراج (وقال ان الروح ان أشرفت على الظاهر
فصباحة أو على الباطن ففصاحة وهذا) أراه (ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الخير عند حسن الوجوه) قال العراقي رواه أبو يعلى من رواية اسمعيل بن عباس عن جبرة بنت محمد
ابن سباع عن أمها عن عائشة وجبرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء من
حديثها ورواه البزار والطبراني وابن عدي وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث ابن
عمر وله طرق كلها ضعيفة اه قلت وجدت بخط تلميذه الخافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه جبرة
بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبي وقال مشهورة وهي من اتباع التابعين والحديث المذكور أخرجه
أبو يعلى والدارقطني في الموثلف في ترجمة جبرة في حرف الجيم من طريق اسمعيل بن عباس عنها عن
أبيها محمد بن ثابت وليس لامها في هذا الحديث رواية وكأنه وقع في النسخة التي نقل منها شيخنا تصحيف أبيها
فصار عن أمها وأمها غيرة مروفة كما قال شيخنا وقل الذهبي ان جبرة مشهورة يزيد رواية الحديث لانها
معروفة بالتوثيق اه قلت ورواه البخاري في التاريخ فقال حدثني ابراهيم هو المذخر حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي بكر المليكي عن امرأته جبرة ابنة محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة والمليكي صدوق
لكنه ينفرد بما لا يتابع عليه مما لا يثبت حتى قيل انه متروك ولكنه لم يتهم بالكذب بل يوسع فرواه
أبو يعلى في مسنده فقال حدثنا داود بن رشيد حدثنا اسمعيل عن جبرة به ومن طرق هذا الحديث ما رواه
تمام والطبراني والبيهقي والخطيب من طريق سفیان الثوري عن طلحة بن عمار عن أبي رباح عن
ابن عباس رفعه اطلبوا الخير عند حسن الوجوه ولفظ تمام التمسوا وطلحة متروك الحديث الا انه لم يتهم
بكذب وقيل عنه عن عطاء عن أبي هريرة بدل ابن عباس الا ان ذلك أثبت وأخرج الطبراني حديث ابن
عباس من طريق مجاهد عنه وقال أراه رفعه ورواه موقوفون الاعبد الله بن خراش بن حوشب مع
ان ابن حبان وثقه ولكنه ربما أخطأ وضعفه غيره وبما ذكرنا ظهر انه لا يثبت الحكم على المتن بالوضع
كما أشار اليه الخافظ ابن حجر ومن طرق هذا الحديث ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن خصيفة عن
أبيه عن جده مرفوعا بلفظ التمسوا وكذا هو عند أبي يعلى وله طرق عن أنس وجابر وابن عمر ويزيد
المستمل وأبي بكرة وأبي هريرة ولفظ أكثرهم اطلبوا الخير عند حسن الوجوه ولفظ المستمل اذا طلبتم
الحاجات فاطلبوها الى الحسن الوجوه فحديث أنس أخرجه ابن عساكر وحديث جابر أخرجه الطبراني
في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر وحديث ابن عمر رواه ابن عدي وحديث أبي بكرة رواه تمام في
فوائده وحديث أبي هريرة رواه تمام والخطيب في رواية مالك وفي لفظ اطلبوا الخواص الى حسن الوجوه
رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر ورواه الخرائطي في اعتلال القلوب وتمام عن جابر ورواه الطبراني
في الاوسط من حديث أبي هريرة ورواه الخرائطي من حديث عائشة وروى عن الزيادة على لفظ الباب
وتسموا بخياركم واذا أناكم كرم قوم فاهم رواه ابن عساكر من حديث عائشة بسند ضعيف
وعند ابن أبي الدنيا في قضاء الخواص عن عمرو بن دينار مرسلا اطلبوا واثبتكم عند حسن الوجوه فان
قضى حاجتك فضاها بوجه طليق وان ردك ذلك بوجه طليق فرب حسن الوجه ذميمة عند طلب الحاجة
ورب ذميمة الوجه حسنة عند طلب الحاجة ونحوه قبل لابن عباس كم من رجل قبج الوجه قضاء للخواص
قال انما نغني حسن الوجه عند الطالب (وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه
حسن الاسم) وقد روى معنى ذلك مرفوعا رواه البزار من حديث قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه
رفعاه اذا أبرئتم الى بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لا تعلم رواه بهذا الاسناد الاقتادة وله

وقيل ما في الارض قبج
الاوجهه أحسن ما فيه
واستعرض المأمون جيشا
فعرض عليه رجل قبج
فاستنطقه فاذا هو الكن
فاستقط اسميه من الديوان
وقال الروح اذا أشرفت
على الظاهر فصباحة أو على
الباطن ففصاحة وهذا
ليس له ظاهر ولا باطن وقد
قال صلى الله عليه وسلم
اطلبوا الخير عند صبايح
الوجوه وقال عمر رضي الله
تعالى عنه اذا بعثتم رسولا
فاطلبوا حسن الوجه حسن
الاسم

وقال الفقهاء اذا تساورت درجات المصلين فاحسنهم وجهها وأولاهم بالامامة وقال تعالى تمت بذلك وزاده بسطة في العلم والجسم ولستنا نغني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك أئونة وانما نغني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسف خلقه الوجه بحيث لا يتنبو الطباع عن النظر اليه (فان قلت) فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عز وجل انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال علي كرم الله وجهه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرنا * فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يتدبر نور الله تعالى الى ادراك العلوم على ماهي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

أيضاً من حديث عمر بن أبي خشم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه اذا بعثتم الى رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ومن الاشعار القديمة في معنى الحديث السابق ما روى عن ابن عباس انه أنشد قول الشاعر

ابن شرط النبي اذ قال يوما * اطلبوا الخير في صباح الوجوه
ولا بن راحة أو حسان تكرواه العسكري في الأمثال
قد سمعنا نبينا قال قولا * هولن يطلب الحواشي راحة
اغتدوا واطلبوا الحواشي من * زين الله وجهه بصباحه
وأنشد ابن عائشة أبياتاً منها

دل على معروفه وجهه * يدرك هذا هادياً من دليل

ومنها يدل على معروفه حسن وجهه * وما زال حسن الوجه احدى الشواهد

(وقال الفقهاء اذا تساورت درجات المصلين) في الاقراء والاعلم والاصح (فاحسنهم وجهها وأولاهم بالامامة) فكل من كان أكل فهو أفضل لان المقصود كثرة الجماعة ورغبة الناس فيه أكثر واجتماعهم أوفروني سياق كتب أصحابنا الاحق بالامامة الاعلم بالسنة ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن فان استوفوا في السن فاحسنهم خلقاً فان استوفوا فاصحهم وجهها (وقال تعالى تمت بذلك) ان الله اصطفاكم (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقال وزاده في الخلق بسطة فكذلك هذا من البيان في فضل كمال الجسم (ولستنا نغني بالجمال) ههنا (ما يحرك الشهوة) أي ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء (فان ذلك أئونة) وفي بعض النسخ أئونة (وانما نغني به) معنيين آخرين أحدهما (ارتفاع القامة) وامتدادها (على الاستقامة) الذي يكون من الحرارة الغريزية فان الحرارة اذا حصلت رفعت اجزاء الجسم الى العلو كالنبات اذا نجح كلما كان أطاب للعنق في منبته كان أشرق في جنسه ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله

كان دروز القنطرية علفت * علائقها فيه يجزع مقوم

وقول الآخر اشم طويل الساعدين كأنما * نياط نجادا سيفه بلواء

والثاني أن يكون مقدداً أقوى العصب طويل الأطراف الذراع ممتداً رجب (مع الاعتدال في اللحم) والشحم بان لا يكون مثقلاً بهما ولا فارغاً عنهما (وتناسب الاعضاء وتناسف خلقه الوجه بحيث لا يتنبو الطباع عن النظر اليه) كما قال الشاعر

فتى قد قد السيف لامتضائل * ولادهل لبانه وبمادنه

(فان قلت فقد ادخلت المال والجاه والنسب والاهل والولد في حيز النعم) وجعلتها من الخيرات والفضائل (وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسوله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جائران أرسلنا في غنم بافسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والدارمي والطبراني من حديث كعب بن مالك وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والخل (وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب الناس أبناء ما يحسنون و) قال أيضاً (قيمة كل امرئ ما يحسنه) رواههما الشريف الموسوي في نهج البلاغة وهما من جوامع كلامه (وقيل المرء بنفسه لا بابيه) ومثله قول الآخر الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ومثله من اصحاح الحريري * تباله نخر * بعظم نخر (فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرراً فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب مالم يتدبر نور الله تعالى الى ادراك الامور على ماهي عليه ثم ينزل النقل على وفق مظهره بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر

فمن هذا الجنس تكاموا في تفضيل الغنى (٢٨٨) والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تتبع مناقضتها

ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جعله وصفه فقد تحقق بالعبودية والخلق العبودية هي اخلاق الايمان وهي التي احبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها واصناف الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن يقول لما رأيت الله تعالى جعل البقاء الا لا بغض خلقه اليه وهو وابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا في البقاء في هذه الدار فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى انما يراد بالبقاء (فمن هذا الجنس تكاموا في تفضيل الغنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغنى) على الفقر (بانه صفة الحق بالتكبر) ولعز والبقاء (فكذلك يناقض قول من ذم الغنى) وفضل الفقر (بانه وصف العبد بالعلم) والعرفة (والقدرة) فانه وصف الرب تعالى والجهل) والغفلة (والجزو وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة والجزو على العلم والقدرة فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان لا يراد لعينه بل لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله) وابطاح ذلك انه تقدم ان الفقر مطلق ومقيد والطلق يراد لذاته والمقيد يراد لغيره والغنى كذلك فالغنى الميراد لذاته والفقر الميراد لذاته سيأتي في أصل المقام لان من افتقر الى الله استغنى به ومن استغنى بالله افتقر الى الله فالتفاوت في كمال المقام لا في أصله فليبقى الالمقيد من كل واحد وقد قلنا ان المقيد ماله تعلق الوجود السال وفقدته فلنذكر آفات السال وفوائده فمن تخلى من آفاته وتخلى بفوائده فهو الافضل والا فالعكس واحال فوائده ثلاث * الاولى ان ينفقه على نفسه اما في عبادة أوفى الاستعانة على عبادة والقلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين والفقر محروم من فضل ذلك * الثانية ما بقي به العرض ويحصل به المروءة وحسن الخلق وما يتبقى به اضاءة الاوقات كالخدام فان الاوقات التي يصرفها في خدمة نفسه اذا تولاهما غيره استفاد عمرا جديدا يصرفه في الفكر والعلم ويستفيد من الفكر والعلم بحجة الله والانسان به * الثالثة وهو ما يتعدى نفعه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطرقات وغير ذلك مما هو مستحب لادعية الصالحين والعمال ايضا آفات ثلاث * الاولى انه يجري الى المعصية ومن العصية ان لا يجد والصبر مع القدرة شديد * الثانية انه يجري الى التمتع بالمباح ومتى تعودت النفس ذلك تولد منها آفات عظيمة والنقيض بمعزل عن ذلك * الثالثة وهي التي لا ينفك عنها أحد وهي انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله عز وجل وكل ما شغل عن الله تعالى فهو وخسران فلا فضل من قامت به هذه الفوائد وسلم من هذه الآفات ومن لم يكن كذلك والافنى الفقر السلامة الكبرى وهذا حاصل ما يذكره المصنف فلنشرع فيه قال (والدنيا ليست بمحذورة لعينها) أي لذاتها (ولكن لكونها عاتقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم اكرمهم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانسان به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسأولك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع محبة الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله ودر بما يكون شغله في الفراق أكثر ودر بما يكون شغله في الوصال أكثر) باختلاف الأشخاص والاحوال (والدنيا معشوقة الغافلين) والفقرين (المحروم عنها مشغول بطالها) باى وجه

اذ كما يناقض قول من فضل الغنى بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الغنى لانه وصف العبد بالعلم والمعرفة فانه وصف الرب تعالى والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد أن يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان لا يراد لعينه بل لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست بمحذورة لعينها ولكن لكونها عاتقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غنى لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم اكرمهم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانسان به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسأولك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع مع محبة الله في القلب والمحبة للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله ودر بما يكون شغله في الفراق أكثر ودر بما يكون شغله في الوصال أكثر

اتفق واصله ودر بما يكون شغله في الفراق أكثر ودر بما يكون شغله في الوصال أكثر كثير والدنيا معشوقة الغافلين المحروم منها مشغول بطالها

والقادرو عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فإذا انقضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استنهي الفقير والواجد إذا
كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده إذا جازع بسلك سبيل الميت لا سبيل المارقة وإن أخذت الامر باعتبار
الا كبر فالفقير عن الخبز أبعد أذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان (٢٨٩) لا يقدر ولا قال الصحابة رضي الله عنهم

بليبا بفتنة الضراء فصبرنا
وبليبا بفتنة السراء فلم نصبر
وهذه خلقة الادميين كلهم
الا ان الشاذ الذي لا يوجد
في الامصار الكثرة الانادر
ولما كان خطاب الشرع
مع الكل لامع ذلك النادر
والضراء أصح للكل دون
ذلك النادر جزر الشرع عن
الغنى وذمه وفضل الفقر
ومدحه حتى قال المسيح
عليه السلام لا تنظروا الى
أموال أهل الدنيا فان بريق
أموالهم يذهب بنور إيمانكم
وقال بعض العلماء تغليب
الاموال على حلاوة
الايمن وفي الخبر كل أمة
عجلا وعجل هذه الأمة الدينار
والدرهم وكان أصل عجل
قوم موسى من حلية الذهب
والفضة أيضا واعتواء
المال والماء والذهب والخمر
انما يتصور للانبياء عليهم
السلام والاولياء ثم يتبعهم
ذلك بعد غسل الله تعالى
بطول المجاهدة اذ كان
النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا الدنيا اليسك عنى اذ
كانت تمتثل له بزيتها
وكان على كرم الله وجهه
يقول يا صفراء غري غبرى
ويا بيضاء غرى غبرى

افق (واقادر انما مشغول بحفظها) ورعايتها وتمتعها (وبالتمتع بها فاذا انقضت فارغين عن حب
المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استنهي الفقير والواجد إذا كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة
الضرورية (ووجه قدر الحاجة أفضل من فقده إذا جازع بسلك سبيل الميت لا سبيل المارقة وإن أخذت
الامر باعتبار الا كبر فالفقير عن الخبز أبعد أذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر ولا
القدرة شريد (اذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر) وهو من قول علي رضي الله
عنه كما تقدم (ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بليبا بفتنة الضراء فصبرنا وبليبا بفتنة السراء فلم نصبر)
روى ذلك من قول عبد الرحمن بن عوف كفى الحلية وقد تقدم (وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ
الذى لا يوجد في الامصار الكثرة الانادر) والنادر كالمعدوم (ولما كان خطاب الشرع مع الكل
لامع ذلك النادر والضراء أصح للكل دون ذلك النادر جزر الشرع عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه
حتى قال المسيح عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم) نقله
صاحب القوت (وقال بعض العلماء تغليب الاموال على حلاوة الايمان) نقله صاحب القوت (وفي
الخبر ان لكل أمة عجلا وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم) قال صاحب القوت ويزناه من طريق وقال
العراقى روى الديلمى فى مسند الفروس من طريق أبى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة باسناد فيه
جهالة اه قلت لفظ الديلمى لكل أمة عمل يعبدونه وعن أمى الدراهم والدنانير وروى أيضا من حديث
أبي هريرة لكل نبي آفة تفسد وأعظم الآفات آفة تصيب أمى حبهم الدنيا وحبهم الدينار والدرهم
وفي القوت وفي الاثر لكل أمة فتنة وان فتنة أمى هذا المال (وكان أصل عجل قوم موسى) عليه السلام
(من حلية الذهب والفضة أيضا) كما هو بنص القرآن (فاستواء المال والماء والذهب والخمر انما يتصور
للالنباء والاولياء) روى ابن أبى الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال ضرب عيسى عليه السلام
بيده الى الارض فقبض منها ثم بسطها فاذا فى احدى يديه ذهب وفى الاخرى مدرة قال لا صحابه أيمه ما أحلى فى
قلوبكم قالوا الذهب قال فانه ما عدى سواء (ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى) عليهم (بطول المجاهدة اذ
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا الدنيا اليسك عنى اليك عنى اذ كانت تمتثل له بزيتها) روى الحاكم مع
اختلاف وقد تقدم فى ذم الدنيا (وكان على رضي الله عنه يقول يا صفراء غرى غبرى ويا بيضاء غرى غبرى)
رواه أحمد فى الزهد حدثنا وهب بن اسمعيل حدثنا محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالى عن علي بن أبى
طالب قال جاء ابن النباغ حتى قام على بيت مال المسلمين فقال هذا خبائى وخياره فيه اذ كل جان يده الى نفسه
يا ابن النباغ على بأسباع الكونة قال فنودى فى الناس فاعطى جميع ما فى بيت المال وهو يقول يا صفراء
ويا بيضاء غرى غبرى ها وها حتى ما بقى منه دينار ولا درهم ثم أمر بنفخه وصلى فيه ركعتين (وذلك
لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادئ الاغترار به والولان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله
عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس) متفق عليه من حديث أبى هريرة وقد
تقدم (واذا كان ذلك بعد الاصل لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات)
ووجوه البر (لأنهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة

(٣٧ - (انحاف السادة المتقين) - ناسع) وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادئ الاغترار به والولان رأى
برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيسد فاذا
الاصح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون فى القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها
واستشعار راحة

في بذلها لكل ذلك ثورث الانس هذا العالم وبقدروا يا انس العبد بالدينيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفتين صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدينيا تحافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تحافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لاصحالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تحافى عنه ومن أقبل عليه تحافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تحافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها ما مثل المشرق والمغرب فانهم حاجته ان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وأنسه بها فاذا

في بذلها) وصرفها (وكل ذلك ثورث الانس هذا العالم وبقدروا يا انس العبد بالدينيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدينيا تحافى القلب عن الدنيا وزهرتها) أي تباعد (والقلب اذا تحافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لاصحالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ) عن شغل (وليس في الوجود الا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره فقد تحافى عنه ومن أقبل عليه تحافى عن غيره ويكون اقباله على أحدهما بقدر تحافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ومثلها ما مثل المشرق والمغرب فانهم حاجته ان فالتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما ويبعد من الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض الله فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا وأنسه بها فاذا افضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبه بما المال فقط فان تساوى اياه تساوت درجتهما الا ان هذا منزلة قدم وموضع غرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا نقده فليحرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتاً فليعلم انه كان مغروراً فكم من رجل باع سره له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق انه اذا كان مغروراً وان العشق كان مستكناً في الفؤاد استكأن النار تحت الرماد أو) استكأنها في قلب (الزناد وهذا حال كل الاغنياء والا انبياء) فقد عصمهم الله تعالى عن الغرور (وان كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بان الفقر أصل لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته) بها (يتضاعف ثواب تسبیحاته وعبادته فان حركات اللسان) بالاذكار (ليست مرادة لاعيانها بل لبتأ كذبها الانس بالذكور فلا يكون تأثيره في اثاره الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كما نيره في قلب مشغول) وهذا هو المراد من الخبر ان تموت واسانك وطيب بذكر الله (ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبده وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالخلفاء) وكان يحیی بن معاذ يقول اذا كان التعبده والاجتهاد على غير زهد لم يكن للعمل ميراث يعني من حكمة ولا معرفة (و) قال آخر مثل من زهد في الدنيا مع التمتع فيها (مثل من يغسل يده من الغمر بالسمن) كذا في القوت (وعن النخاع) بن مزاحم الهلالي المفسر المشهور صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعه مات بعد المائة (قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهي فصبر واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها) الحيا في رجه الله

فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبه بما المال فقط فان تساوى اياه تساوت درجتهما الا ان هذا منزلة قدم وموضع غرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا نقده فليحرب نفسه بتفريقه أو اذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتاً فليعلم انه كان مغروراً فكم من رجل باع سره له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار مستكنة فيه فتحقق اذا أنه كان مغروراً وأن العشق مستكناً في الفؤاد استكأن النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء والا انبياء والاولياء واذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بان الفقر أصل لكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته

للكافة الخلق وأفضل لان علاقة الفقير وأنسه بالدينيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبیحاته وعبادته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل لبتأ كذبها الانس بالذكور ولا يكون تأثيره في اثاره الانس في قلب فارغ من غير المذكور كما نيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبده وهو في طلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالخلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمن وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وعن النخاع قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهي فصبر واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله

أدع الله لي فقد أضرب العيال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندك دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك كان من دعائي وكان يقول مثل الغني المنعبد مثل روضة على ضربه ومثل الفقير المنعبد مثل عقد الجوهري في جسد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال (٢٩١) أصح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ

تعالى (ادع الله لي فقد أضرب العيال فقال) بشر (إذا قال لك عيالك ليس عندك دقيق ولا خبز فادع الله في ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي) كذا في القوت (وكان) بشر (يقول مثل الغني المنعبد مثل روضة على ضربه ومثل الفقير المنعبد مثل عقد الجوهري في جسد الحسناء) كذا في القوت (وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء) لانهم ليسوا أهلا لان يؤخذ عنهم ذلك (وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني أسألك الذل عند النصف من نفسي) النصف بحركة اسم من الانتصاف (والزهد فيما جاوز الكفاف) نقله صاحب القوت (وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه (في حال كماله) ومع شدته وقوته (يحذر من الدنيا وجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصح من وجوده) أو يتردد فيه (هذا مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب) كذا في الخبر وتقدم (ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية الطبراني من حديث أبي امامة وقد تقدم قريبا (ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه (ما أحب أن لي حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر واربح كل يوم خمسين دينارا أو أتصدق به في سبيل الله قبل وما تذكره قال سوء الحساب) رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو عمرو بن حمدان حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن عبد الله حدثنا عمر بن زرارة حدثنا الحماري عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال قال أبو الدرداء والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين دينارا أو أتصدق بها كلها في سبيل الله قبل له يا أبا الدرداء وما تذكره من ذلك قال شدة الحساب ورواه محمد بن جندب التماري عن الحماري فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه (ولذلك قال شقيق بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى (اختار الفقراء ثلاثة أشياء و) اختار (الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب) فان الفقراء فقدوا المال فارتاحت نفوسهم وتفرغت قلوبهم لله تعالى وسخف حسابهم غدا بخلاف الاغنياء الواجدى المال فانهم اتعبوا أنفسهم في حفظه وتبته وشغلوا قلوبهم بحبه وسيشدد حسابهم غدا (وما ذكره ابن عطاء) رحمه الله تعالى في جواب السائل لما سأله أي الوصفين أفضل (من ان الغني وصف الحق تعالى (فهو بذلك أفضل) لان أوصاف الحق كلها مفضلة (صحح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهاه غناه غنى الله تعالى (غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور أن يسرق) أو يفرق أو يصيبه غير ذلك من حوادث الدهر (وما ذكر في الرد عليه) أي على ابن عطاء (بان الله ليس غنيا بالاسباب والاعراض) هو أيضا (صحح) لكن (في ذم غنى يريد بقاء المال) أما (ما ذكر من ان صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد) فهذا (غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى) كمال (العبد) وسعادته (ان يتخلق باخلاق الله تعالى) وان يتخلق بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه ومن لم يكن له منها حظ الابان يسمع لفظا يفهم في اللغة تفسيره ووصفه ويعتقد

حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نوقش الحساب عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حانوئا على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر واربح كل يوم خمسين دينارا أو أتصدق بها في سبيل الله تعالى قبل وما تذكره قال سوء الحساب ولذلك قال شقيق بن إبراهيم اختار الفقراء ثلاثة أشياء اختار الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغني وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود

المال وعدمه جميعا بان يستوى عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه فلا يضاهاه غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بان يسرق وما ذكر من الرد عليه بان الله ليس غنيا بالاسباب والاعراض في ذم غنى يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد بل منتهى يتخلق باخلاق الله تعالى

وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يرفع الطريق نصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطابع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والافتخار والابذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والعبد مأمور بأنه يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس فعلى العبد ان يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطابع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من الهيمنة والجدار والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه به - هذه الصفة رؤى بحقيقة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولا تقتبه وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له

بالقلب وجود معناه الله تعالى فهو مضمون الحظ نازل الى وجهه ليس بحسن ان يتجسس بماله فقد روى الطيالسي والحكيم وأبو يعلى من حديث عثمان بن مسعود ضعيف ان لله مائة خلق وبعثة عشر خلقه فمن أنى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وحظوظ المقرين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة الاول ان ينكشف لهم اتصاف الله تعالى به ان يكشفوا بحجى البقى الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة الثانية استغناءهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات لينتقروا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان الثالث السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخاقق بها والتخلي بها عنها وبه يصير العبد بانوارها قريبا للملازمة الاعلى من الملازمة (وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق نصير الاسماء التسعة والتسعون أوصافا له أي يكون له من كل واحد نصيب) ولفظ المصنف في خاتمة المقصد الاسنى ولقد سمعت الشيخ أباعلى الفارمدى يحكى عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله روحهما انه قال ان الاسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في الدلو غير واصل ثم قال وهذا الذي ذكره ان أراد به شيئا يناسب ما أوردناه في التنبيهات يعني في أول المقصد الاسنى فهو صحيح ولا يظن به الا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة والافان معاني الاسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة غيره ولكن معناه من يجعل ما يناسب تلك الاوصاف ومن أراد غير ذلك فهو باطل لان قول القائل ان أسماء الله تعالى صارت أوصافا لا يخلو اما ان عني به عين تلك الصفات أو مثلها فان عني به مثلها فاما ان عني به مثلها مطلقا من كل وجه واما ان عني به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني وهذان قسمان وان عني به عينها فاما أن يكون بطريق الانتقال لصفات الرب الى العبد أولا بالانتقال فان لم يكن بالانتقال فاما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فيكون صفة صفاته واما أن يكون بطريق الحول وهذه أقسام ثلاثة وهو الانتقال والاتحاد والحول وقسمان متقدمان فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد وهو ان ثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجلة وتشاركها في الاسم ولكن لا تماثلها مائة تامة وبقيت الاقسام كلها محال وباطل وحيث يناق الاتحاد يقول هو ولا يكون الا بطريق التوسم اللائق بعادة الصوفية وعليه ينبغي ان يحمل قول الشيخ أبي يزيد حيث قال انسلخت نفسي عن نفسي كتنسج الخية عن جلدتها فظرت فاذا أنا هو ويكون معناه ان يتشأن من شهرات نفسه وهواها وهما فليبقى فيه متسع اغبر الله ولا يكون همه سوى الله واذا لم يجد في الباب الاجلال لله وجهه حتى صار مستغرقا به يصير كانه هو لانه هو حقيقة وافرقت بين قولنا هو وبين قولنا كانه هو وهذه منزلة تقدمان من ليس له قدم راسخ في المعنويات بل بالميراث أحدهما عن الآخر هذا جاصل ما ذكره المصنف في خاتمة المقصد الاسنى (وأما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى بل اللائق منه في صفات الله تعالى رؤى الكل حذرا بالاضافة الى ذاته ولا يتصور ذلك على الاطلاق الا بالله تعالى (وأما التكبر على من يستحق كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطابع على العاصي يليق به نعم قد يراد بالتكبر الزهو والافتخار والتبذير والابذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك) ولا يرى العظمة والكبرياء النفسه فيمنظر الى غيره تنزل الملوكة الى العبيد (والعبد مأمور بان يطلب أعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبس فعلى العبد ان يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطابع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانسان أكبر من الهيمنة والجدار والنبات وأقرب الى الله تعالى منها فلو رأى نفسه به - هذه الصفة رؤى بحقيقة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولا تقتبه وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فجهله بذلك وجب أن لا يعقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يحتمل لا كافر بالايان وتديختم له بالكفر فلم يكن ذلك لا ثمة له لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالإني حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضمره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضرفه رفعة الامور التي لا ضرر منها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا حرج هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى بضاهي (٢٩٣) بوجه من لوجوه الغنى الذي يوصف به

الله سبحانه وهو فضيلة أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهو ذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر * المقام الثاني في بيان نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص * ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وله لوجود فإى حائمه أتقلى فيقول ننظر فان كان مطعونه مالا بد منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل لان الفقر يشغله بالغلب وطالب الفقر لا يقدر على الفكر ولذلك القدرة مدخوله بشغل والكفى هو القدر وله لأن قال صلى الله عليه وسلم اللهم جعل قوت آل محمد كقفا وقال كذا الفتر أن يكون كقرا (وان كان المدلول فوق الحاجة) الضرورية (أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح) في حقه لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأخذ به في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفقر لا يطمئن الى الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا (أي ميلا اليها) فله أشد لاجالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فجهله بذلك وجب أن لا يعقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر (اذ ربما يحتمل لا كافر بالايان) فينجو (وتديختم له بالكفر) فيهلك (فلم يكن ذلك لا ثمة له لقصور علمه عن معرفة العاقبة) وقال المصنف في المقصد الاسنى حظ العبد من اسمه تعالى المتكبر أن يتزعم بما يشغل سره عن الحق ويتكبر على كل شيء سوى الحق تعالى يمكن مستحق الدنيا والآخرة وترفعه عن كل ما يغله عن الحق تعالى (ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالإني حقه لانه من صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الاشياء قد تضمره صار ذلك نقصا في حقه اذ ليس من أوصاف الله تعالى علم بضرفه رفعة الامور التي لا ضرر منها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى فلا حرج هو منتهى الفضيلة) وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذا لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى بضاهي بوجه من لوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة) وكما (أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغنى الشاكر) وبه تم بيان المقام الاول

* (المقام الثاني في) * بيان (نسبة حال الفقير الحريص الى حال الغنى الحريص) ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر وحالة الوجود فإى حاله أفضل فنقول ننظر فان كان مدلوله مالا بد منه في المعيشة كان قصده أن يسلك سبيل الدين لمج وجهاد وصلة وقربان (ويستعين به عليه) كلام وما يسكن ونحو ذلك (فحال الوجود أفضل) في حقه (لان الفقر يشغله بالغلب) والغلب اذا انصرف الى ذلك لم يتفرغ للدين (وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر القدرة مدخوله بشغل والمسكن هو القادر) وليس هذا من حظوظ الدنيا فان أخذ الكفاية من الدنيا على نية القوى على سلوك سبيل الدين كان ذلك كفاية وهذا احدى فوائد المال المشار اليها في الاجاب (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كقفا) تقدم قريبا (وقال) صلى الله عليه وسلم (كاد الفقر أن يكون كذرا) تقدم مرارا (أي الفتر مع الاضطرار فيما لا بد منه) فهذا هو الذي يكاد أن يكون كذرا (وان كان المدلول فوق الحاجة) الضرورية (أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح) في حقه لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأخذ به في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفقر لا يطمئن الى الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا (أي ميلا اليها) فله أشد لاجالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحال الفقر أفضل وأصلح لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصده الاستعانة على طريق الدين واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في أن الواحد يأنس بما وجده فيأخذ به في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفقر لا يطمئن الى الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي ينبغي الخلاص منه وهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلا أحدهما أشد ركونا الى الدنيا فله أشد لاجالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر

ما أكد أنه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أحب من أحبب من أحبب فانك مفارقة وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقد رآه وأمس الواحد بالدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقدها وان كان حريصا عليها فاذا انكشف به هذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة انطلق الا في موضعين أحدهما غني مثل (٢٩٤) غني عائشة رضي الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مريدا

له اذ يستغني به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبق حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجرد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفساد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر والاطهر أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفساده والعلم عند الله تعالى فيه

تأكد أنه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس (أي جبريل عليه السلام) نفث في روعي (أي التي فيه) (أحب ما أحببت فانك مفارقة) وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وراه الشيرازي في الاقواب من حديث سهل بن سعد نحوه ورواه الطبراني في الاوسط من حديث علي وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم (وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب من لا يفارقك) أبدا (وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك) ولو بعد حين (وهو الدنيا فانك اذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه) له (وقدر أنسه به) والفقه (معهم وأنس الواحد للدنيا بالدنيا أكثر من أنس الفاقدها وان كان حريصا عليها) ولنفقنا التحصيلها (فاذا قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين أحدهما غني مثل غني عائشة) رضي الله عنها (يستوى عنده الوجود والعدم فيكون الوجود) مع هذا الحال (مريدا له) في حاله (اذ يستغني به) حينئذ (أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم) وتوجهات بواطنهم وفيه فضيلة ظاهرة (والثاني الفقر عن مقدار الضرورة) المسألة (فان ذلك يكاد أن يكون كفرا) كما ورد به الخبر (فلا خير فيه) أي في الكفر أو في هذا الفقر (بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبق حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر) أو ما يغضى اليه (و) على (المعاصي) أو ما يغضى اليها (ولو مات جوعا لكانت معاصيه أقل فالاصلح له أن يموت جوعا ولا يجرد ما يضطر اليه أيضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني هو دورته في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفساد المال لو فقده) بمسرفة أو تفريق أو غير ذلك (كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر) والتأمل (والاطهر) من القولين (ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفساد المال وقربهما) من الله تعالى (بقدر ضعف تفجعهما بفساده والعلم عند الله تعالى فيه) والله الموفق

(بيان آداب الفقير في فقره)

(اعلم) ونقل الله تعالى (ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته) مع الناس (وأفعاله ينبغي ان يراعيها) ويحافظ عليها (فاما أدب باطنه فان لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر) لانه تعالى قسم له محنته (أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر) فان قلت الطباع تنفر من المؤلم فاقول الشرع لا يؤاخذ العباد على النفرة الطبيعية وهذا (كالمنجبر يكون كراهة للحجامة لتألمه بها ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة) فالنفرة من حديدية الحجام طبيعية لا خلاص منها الا بالاستغراق في ذلك مقام الصديقين (بل ربما يتقلد منه منة) ويعطيه أجرة وهذه أفعال اختيارية فهكذا ينبغي ان تفهم هذه المسئلة (وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني في فقره)*

اعلم أن لفقر آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها فاما أدب باطنه فان لا يكون فيه

كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني انه لا يكون كراهة فعل الله تعالى من حيث انه فعله وان كان كراهة للفقر كالحجبروم ويكون كراهة للحجامة لتألمه بها ولا يكون كراهة فعل الحجامة ولا كراهة للحجامة بل ربما يتقلد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معني

قوله عليه السلام يا مفسر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا وارفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقير بل يكون راضيًا به وارفع منه أن يكون طالبًا له وفرحًا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلًا في باطنه على الله (٢٩٥) تعالى وإيقابه في قدر ضرورته

قوله صلى الله عليه وسلم يامعشر الفقراء اعلموا الله الرضامن قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والافلا) رواه
الديلمي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريباً (وأرفع من هذا ان لا يكون كراهة النذر بل يكون راضياً به
وأرفع منه أن يكون طالباً له وفقره) وبحاله (اعلمه بقوائل الغنى) ونهاؤه (ويكون متوكلاً في باطنه
على الله وانقباه في قدر ضرورته انه يأتيه للاحالة) على كل حال (ويكون كراهة الزيادة على الكفاف
وقد قال على رضي الله عنه ان الله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة
أن يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته اذا كان
عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء) نقلة صاحب القوت (وهذا
يدل على ان كل فقر ليس محموداً) بل بعض النقر مذموم وهذا منه (بل الذي لا يتسخط ويرضى) بما
قضاؤه مولاه (أو يفرح بالفقر ويرضى لعله بثمرته) فهذا هو المحمود (اذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا
الا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث) ثالث (شغل) به (و) ثالث (هم) ملازم وهذا في الدنيا (و) ثالث (طول
حساب) وهذا في الآخرة وروى الطبراني من حديث ابن مسعود من أشرب قلبه حب الدنيا التا ط منها
بثلاث شقاء لا ينفد عنه وحرص لا يباغ غناه وأمل لا يباغ منهته (وأما أدب ظاهره) وفي نسخة وأما أدبه
في ظاهره (فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر) لاجل (بل يستتر فقره) أعلى من
ذلك ان (يستتره بستره في الحديث ان الله تعالى يحب) عبده المؤمن (الفقر المتعفف أما العيال)
رواه ابن ماجه والطبراني وابن عدي والبيهقي من حديث عمران بن حصين وقد تقدم (وقال) تعالى
(يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (أفضل الاعمال التجمل عند
الحننة) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر) وروى أبو نعيم في الحلية من حديث
ابن عمر من كنوز البر كتمان المصائب والامراض والصدقة وروى الطبراني وابن عساكر من حديث
أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة (وأما في أعماله فادبه) وفي
بعض النسخ وأما أدبه في أعماله (ان لا يتواضع لغنى لاجل غناه) فقد روى الديلمي من حديث أبي ذر
لعن الله فقيراً تواضع لغنى من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه وروى البيهقي في الشعب
من حديث ابن مسعود من دخل على غنى فتضع له ذهب ثلثا دينه والطبراني في الصغير من حديث أنس
من تضع لغنى لينال ما في يديه أسخط الله عز وجل (بل يتكبر عليه) الله تعالى ان كان ذلك الغنى ممن
يفخر بغناه فان التكبر عليه حينئذ بما يكون بمنزلة الصدقة اذا كان الفقير وانقباه عز وجل والمدي
فيما الله أعلم أن ينظر الى زجهم وهياتهم بنظر الحفاوة والاعراض ليصغر في عيونهم بذلك ما عظم في
نفوسهم من أمر الدنيا فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذي هو التطاول والتفاخر والتظاهر فهو
من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس (قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الغنى للفقير رغبة
في ثواب الله وأحسن منه تبه الفقير على الغنى ثقة بالله تعالى) وقد رأى بعض الصوفية علياً رضي الله عنه
في المنام وطلب أن يسمع منه شيئاً فقال له ذلك وقد تقدم (فهذه تبة وأقل منها أن لا يخالط الاغنياء ولا
يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادئ العالم) والطباع تسرق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بعض
الفقر ومحبة الدنيا (قال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مرء
واذا خالط السلطان فاعلم انه لص) رواه أبو نعيم في الحلية وروى الديلمي من حديث أبي هريرة اذا رأيت
العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لس وقد تقدم في الامر بالمعروف (وقال بعض العارفين اذا مال
الفقر الى الاغنياء انحلت عروته) أي عروته فقره اذ يميل اليهم يبعض الفقر ويحب الدنيا (فاذا طمع

بل يتكبر عليه قال علي كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل
فهذه رتبة وأقل منها ان لا يخاطب الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادئ الطمع قال الثوري رحمه الله اذا خاطب الفقير الاغنياء فاعلم
انه مرءوا اذا خاطب الساطن فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا خاطب الفقير الاغنياء انحلت غرته فاذا طمع

ففيهم انقطعت عصمتهم فاذا سكن اليهم نزل وينبغي أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة لا غشياً وطمعاً في العطاء وما اديه في افعاله فان لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل منه فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٦١) درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال

ففيهم انقطعت عصمتهم) أي عصمة بقوله بل تنكسر زجاجة زهد (فاذا سكن اليهم نزل) عن طريق الوصول الى الله تعالى وصار ذلك السكون من أكثف الحب وكان سهل التسترى رحمه الله تعالى قول ياتي الله في قلب الفقير لرغبة في أبناء الدنيا والطمع فيهم حتى يخرج اليهم ويأتي في قلوبهم المذم له والجناء عليهم يؤبه بذلك الا يستعليه ويمتاده فيرده بذلك اليه بعد ان منعهم ثم يفتح له من عنده رزقاً من حيث لا يحتسب الغنى) ولا ينبغي ان يسكت عند ذكر الحق مداهنة لا غشياً وطمعاً في العطاء) وهذا واجب روى البهقي في الشعب من قول ابن مسعود من خضع لغنى وضع له نفسه اعظاماً وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا ثمرة وعنه وشطرينه) وأما أدبه في أفعاله فان لا يغتر بسبب الفقر عن عبادة الله عز وجل أي لا يمنع عنها لان الفقر أفرغ للشواغل فهو أزيد للعبادة (و) ان لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وهو أفضل الصدقات كما في الخبر) وفضله أكثر من اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى روى زيد بن اسلم) العدو مولاهم التابعي المدني مرسل (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بها وأخرج رجل درهمين من درهمين لا يملك غيرهما طيبة ثم انفسه صار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف) قال العراقي روى النسائي من حديث أبي هريرة متصلاً وتقدم في الزكاة والاصل له من رواية زيد بن اسلم مرسل (قلت وكذلك رواه ابن حبان والحاكم ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي ذر) انظر جميعاً سبق درهم مائة ألف رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها (وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ) منه (قدر الحاجة ويخرج الباقي) في سبيل الله تعالى (وفي الادخار ثلاث درجات احدها ان يدخر ليوومه وليته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لاربعةين يوماً) ولا يزيد (فان ما زاد عليه داخل في طول الامل) وهو مذموم (وقد فهم العلماء ذلك) الحد (من ميعاد الله تعالى اوسى عليه السلام) اذ كان ميعاده أربعين ليلة (ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوماً) ويأتي للمصنف في كتاب التوكل ما يورده (وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب والدرجات في الرخصة) وهي رتبة الصالحين (من خواص المؤمنين) (ومن زاد في الادخار على هذا) القدر (فوق واقع في غمار العموم) من المؤمنين (خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه) وفقدية منه (في قوت سنه وغنى الخصوص في أر بعين يوماً وغنى خصوص في طمانينة قلبه) وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لسنائه على مثل هذه الاقسام فبعضهم كان يعطها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوماً وبعضهم يوماً ولبه منهم عائشة وحفصة والله الوفاق

(بيان آداب التقير في قبول العطاء اذا جاءه من غير سؤال)

اعلم انه (ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه) من غير سؤال (ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه في الاخذ) أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً طيباً (خالياً عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذها) وليجتنبه الا أنهم أجازوا أخذها للحاجة القريبة من الضرورة ولطيب قلب المعطى ان كان ولداً أو قريباً أو صديقاً وان كان حراماً فلا يأخذها لحاجته ولا لطيب قلب المعطى (وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب) فلينظر هناك (وأما غرض

أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهمين من درهمين لا يملك غيرهما طيبة ثم انفسه صار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احدها ان لا يدخر الا ليوومه وليته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لاربعةين يوماً فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى اوسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوماً وهذه درجة المتقين والثالثة أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب والدرجات في الرخصة وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة قلبه في قوت سنه وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم

نسائه على مثل هذه الاقسام فبعضهم كان يات بها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوماً وبعضهم يوماً المعطى وليلة وهو قسم عائشة وحفصة *(بيان آداب الفقير في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال)* وينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور نفس المال وغرض المعطى وغرضه في الاخذ) أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً طيباً خالياً عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز من أخذها وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض

المعطي فلا يخلو اما ان يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة أو الزكاة أو الباء والسمعة أما على التجرد واما ماز وجابية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها (٢٩٧) سنقرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن

ينبغي أن لا يكون فيها منة
فان كان فيها منة فالاولى
تركها فان علم أن بعضها
عما تعظم فيه المنة فليرد
البعض دون البعض فقد
أهدى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمن وأقط
وكبس فقبل السمن والاقط
وردا الكبش وكان صلى الله
عليه وسلم يقبل من بعض
الناس ويرد على بعض وقال
لقد هممت أن لا أذهب
الامن قرشي أو ثقيف أو
انصاري أو دومي وفعل
هذا جماعة من التابعين
وجاءت الى فتح الموصل
صرة فيها خسون درهم
فقال حدثنا عطاء عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال
من اتم رزق من غير مسألة
فرد فاعلم برده على الله ثم
فخ الصرة فاخذ منها درهما
ورد سائرهما وكان الحسن
يروى هذا الحديث أيضا
ولكن جعل الیه رجل
كبس ووزمة من رقيق ثياب
خراسان فرد ذلك وقال من
جلس مجلسي هذا وقبل من
الناس مثل هذا لقي الله عز
وجل يوم القيامة وليس له
خلاق وهذا يدل على أن
أمر العالم والواعظ أشد
في قبول العطاء وقد كان

المعطي فلا يخلو اما أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو (الثواب) المجرد (وهو الصدقة أو الزكاة أو) كان غرضه (الزكاة أو الباء والسمعة أما على التجرد واما ماز وجابية الاغراض أما الاول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وقد تقدم (ولكن ينبغي ان لا تكون فيها منة فان كان فيها منة فالاولى) للخاصين من الصادقين (تركها فان علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض) وذلك ممن يرى المنة لا تأخذ (فقد أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) من رجل أو امرأة (سمن وأقط وكبس فقبل السمن والاقط ورد الكبش) قال العراقي رواه أحمد في أثناء حديث يعلى بن مرة فاهدت اليه كبشين وشيأ من سمن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ السمن والاقط وأحد الكبشين ورد عليهما الآخر واسناده جيد وقال وكبش مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه انتهى قلت هو يعلى بن مرة بن وهب بن جابر الثقفي له ولأبيه محبة وهو الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بقطع اعناب ثقيف والده ذكره البغوي وغيره في الصحابة في ابن ماجه حديث اختلف في اسناده على الاعمش (وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض) قال العراقي روى أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه لا أقبل بعد يوي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجرا الحديث وفيه محمد بن اسحق ورواه بالنعنة (وقال) صلى الله عليه وسلم (لقد هممت أن لا أذهب) أي لا أقبل الهبة (الامن قرشي أو ثقيف أو انصاري أو دومي) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات انتهى قلت ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي ولفظهم لقد هممت أن لا أقبل هدية وأما اللفظ المنصف فرواه أحمد والطبراني والبراز من حديث ابن عباس لقد هممت أن لا أذهب هبة الا من أنصاري أو قرشي أو ثقيف ورجال أحمد رجال الصحيح (وفعل هذا جماعة من التابعين) فقبولوا من البعض وردوا على البعض (و) يحكى أنه (جاءت الى فتح) بن شخرف (الموصل) رحمه الله تعالى من أحد أصدقائه (صرة فيها خسون درهم) فقال حدثنا عطاء (ان كان هو ابن أبي رباح فان فتحه لم يدركه) (عن النبي صلى الله عليه وسلم) مر سلا (من أتاه رزق من غير مسألة فرد فاعلم برده على الله) عز وجل قال العراقي لم أجده مر سلا هكذا وسيأتي بعد هذا الحديث ما يوضح معناه (ثم فسخ الصرة وأخذ منها درهما ورد سائرهما) أي باقياها يحتمل انه أخذ درهما قدر حاجته وود ما لم يتخج اليه ويحتمل انه أخذ الدرهم لم تطيب قلب صديقه (وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يروى هذا الحديث أيضا) عن جماعة من الصحابة (ولكن) روى أنه (جعل الیه رجل كبس) فيه دراهم (وزمة من رقيق ثياب خراسان فرد ذلك) كله (وقال) يا هذا (من جلس مجلسي هذا) أي في التعليم والتذكير (وقبل من الناس مثل هذا) الذي أهدى اليه (لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق) أي حظ ونصيب من الثواب (وهذا) بظاهره (يدل على أن أمر العالم) الذي انتصب لقيادة الناس (والواعظ) الذي انتصب للتذكير (أشد في قبول العطاء) من غيرهما (وقد كان الحسن) رحمه الله تعالى مع ذلك (يقبل من أصحابه) تطيبا لقلوبهم (وكان ابراهيم) بن يزيد (اليماني) مع ورعه (يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه) ويأخذ منهم وكانوا يعرفون له المنة والفضل في قبوله منهم (ويعرض عليه غيرهم المئين) من الدراهم من غير سؤال (فلا يأخذ) منهم (وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول) له (ان تركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم اليماني (٣٨ - (تحاف السادة المتقين) - ناسع)
يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المئين فلا يأخذها وكان بعضهم اذا أعطاه صديقه شيئا يقول ان تركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل

القبول فاتخبرني حتى آخذوه والافلا وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم أنه عازر جهمته فآخذ مباح ولكنه مكره عند الفقهاء الصادقين وقال بشر ما سألت أحمدا قطبيا لانه قد صرح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء (٢٩٨) من يده ويتبرم ببقائه عنده فاكون عوناه على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد

رحمه الله بحال وسأله أن يأكله فقال أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه في الخلل والبقل بل في الخلاوات والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الامن مثلك * الثاني أن يكون للشواب المجرود وذلك صدقة أو زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فان اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فليمنظر الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم أن المعطى لو علم ذلك لغير طبعه ولما تقرب الى الله بالتصدق عليه فهذا حرام أخذته ولم يكن فان أخذته حرام محض لاشبهة فيه * الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والا فان التزكيات التي ذكرناها في المعطى

القبول فاتخبرني حتى آخذوا الافلا) آخذوا اختبأوا صداقته (وأما هذا أن يشق عليه الرد لورده) عليه (ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه) والفضل (في قبول صديقه هديته فان علم أنه عازر جهمته فآخذ مباح) ولكنه مكره عند الفقهاء الصادقين (فان صدقهم في فقرهم يحملهم على رد ما فيه منة) وقال بشر (من الحرب رحمه الله تعالى) ما سألت أحمدا قطبيا لانه قد صرح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده (ويرى للاخذ منة) ويتبرم (ببقائه عنده فاكون عوناه على ما يحب) نقله صاحب القوت (وجاء رجل خراساني الى الجنيد) رحمه الله تعالى (بمال) هدية (وسأله أن يأكله) أي بصرفه على ما يأكله (فقال) أقبلوه (أفرقه على الفقراء فقال ما أريد هذا) انما أراد أن تصرفه على أكله (قال) الجنيد هذا مال كثير (ومتى أعيش حتى آكل) وفي نسخة الى أن آكل (هذا قال) الرجل (ما أريد أن تنفقه في الخلل والبقل) وما أشبه ذلك (بل) تنفقه (في الخلاوات والطيبات) من لذا نذا لا طعمة (فقبل ذلك منه) تطييبا لخطره وعرف منه صدق ارادته (فقال الخراساني ما أجد في بغداد أمن على منك) أي أكثر منة منك على * حيث قبلته مني (فقال الجنيد ولا ينبغي أن يقبل الامن مثلك) وهذا يدل على أنه يجوز قبول العطاء ممن يرى للاخذ منة ولو كان زائدا على قدر حاجته (الثاني أن يكون للشواب المجرود وذلك صدقة أو زكاة) فان كان (زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه أنه هل هو مستحق للزكاة) أم لا فان كان مستحقا أخذ والافلا وهذا واجب (فان اشتبه عليه) ذلك (فهو محل شبهة) أي شبهة صفة الاستحقاق وهي آفة وأيضافه تضيق على الفقراء فهي آفة ثانية فلا يترجأ أخذها على الصدقة ولكن في قبولها فوائد الاعانة على الواجب وعدم المنة وعدم الاخذ بالدين والاخذ للحاجة وأبعد من التكبر وفي الصدقة عكس ذلك (وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة) فليطلب من هناك (وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه) أي يغان فيه الصلاح (فان كان مقارفا لمعصية في السر) ولم يتب منها أو كان مصرا على معصية وهو (يعلم أن المعطى لو علم ذلك لغير طبعه ولما تقرب الى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام أخذته) أي لا يحل له القبول (كلوا أعطاه لظنه انه عالم أو علوي) أي شريف هاشمي (ولم يكن) كذلك (فان أخذته حرام محض لاشبهة فيه) وفي قبول الصدقة للمتصف بالوصف الذي يعطى بسببه فائدة عظيمة اذا كان المصدق لا يسمع بتلك الصدقة الا ان يدعيه فقيلوا لعائله على البر وتوسع على الفقراء ومن أخذته انتفى عنه الكبر والمنة وهذه علامات باطنة بين العبد وربه والقيام بها يبلغ درجة الصديقين واهمالها يبلغ درجة الغافلين (الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصده) ولا يعان فيه (ولا يقبله) منه (اذا يكون) في قبوله منه (معينا على غرضه الفاسد) وهو حرام (وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى) رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخاراه (بين الناس) لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة) من أصدقائه (فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك) بين الناس (ويحبون أن يعلمهم) ليدكروا به (فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم) لفساد نياتهم (وأما غرضه) أي الفقير (في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا وقد سلم من الشبهة والا فان التزكيات التي ذكرناها في المعطى)

فالا فضل

على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري رد ما يعطى ويقول لو علمت أنهم لا يذكرون

ذلك افتخاراه لاخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال انما أردت صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلمهم فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم * وأما غرضه في الاخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج اليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والا فان التزكيات التي ذكرناها في المعطى

فالأفضل له الأخذ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعلى من سعة باعظم أجرامن الأخذ إذا كان محتاجاً وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو رزق ساقه الله إليه وفي لفظ آخر فلا (٢٩٩) يرده وقال بعض العلماء من أعطى

ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقلى يوصل الى أحد بن حنبل رجة الله عليهما شيئاً فرد مرة فقال له السرى يا أحد احذر آفة الردفانها أشد من آفة الأخذ فقال أحد أعد على ماقلت فاعاده فقال أحد ما رددت عليك إلا لان عندى قوت شهر فاجبته على عندك فاذا كان بعد شهر فأنه الى وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبته من ابتلاء بطامع أو دخول فى شبهة أو غيره فاما اذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو اما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والانفاق عليهم لما فى طبعهم من الرقى والسخاء فان كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لاخذه وامساكه ان كان طالباً طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل ليس لله فهو فى سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فى الحمى وهو لا يشعر وقد ورد ذلك فى الخبر وتقدم هذا وجه الاولوية فى عدم أخذه (ثم) ان جوزنا (له) الأخذ فله فى الاخفاء والاطهار والاخذ والرد (مقامات) وأحوال (أحدهما) أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهدة فى الزهد لانه ينشأ عن الزهد فى المال والجاء وفى اطهار الأخذ آفة عظيمة فلما أخذ حذره منها وهى احداث المعلى وغيره على العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة) والتهديب وهذا الذى ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالهم ولكن قد يكون الحال مقاماً بالنعكس كما تقدم (والثانى أن يترك رأساً) ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية (تركه علانية وعدم تولي صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت الى المقامين الأولين صارت ستة والاخذ فى العلانية والاخراج فيها أيضاً هو مقام المقرين لانهم لا يشهدون

(فالأفضل له الأخذ) فان رد ذلك عوقب باستشراف نفس او طمع او أخذ شبهة (قال النبي صلى الله عليه وسلم ما المعلى من سعة باعظم أجرامن الأخذ إذا كان محتاجاً اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وقد تقدم فى كتاب الزكاة وفى لفظ ما الذى يعطى من سعة باعظم أجرامن الذى يقبل من حاجة رواه صاحب الحلية من حديث أنس (وقال صلى الله عليه وسلم من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو رزق ساقه الله اليه وفى لفظ آخر فلا يرده) قال العراقى روى أحد وأبو يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا اشرف نفس فليقبله ولا يرده فأنما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه ولا جد وأبي داود الطيالسى من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله الحديث وفى الصحيحين من حديث عمر ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذ الحديث انتهى قلت حديث خالد بن عدى الجهنى رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان والبخارى والبيهقى والحاكم وأبو يعلى والبيهقى والبيهقى بلفظ ما جاءه عن أخيه معروف والباقي سواء قال البخارى لا أعلمه غيره ويرى من حديث يزيد بن خالد الجهنى نحوه رواه كذلك ابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله فليقبله فأنما هو رزق ساقه الله وتتمام حديث عمر نفسه وتأموله ومالا فلا تتبعه نفسك وقد رواه كذلك النسائى ورواه أحد والطبرانى من حديث أبي الدرداء نحوه ثم أشار المصنف الى آفات الرد وعقوباته فقال (وقال بعض العلماء من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط وقد كان سرى السقلى) رحمه الله تعالى (يوصل الى) الامام (أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى (شيئاً) من باب الهدية (فرد مرة) ولم يأخذ (فقال له السرى يا أحد احذر آفة الردفانها أشد من آفة الأخذ فقال له أحد أعد على ماقلت فاعاده) ما قال (فقال أحد ما رددت عليك إلا) أنه (عندى قوت شهر فاجبته على عندك فاذا كان بعد شهر فأنه الى) فانا أقبله نقله صاحب القوت وهذا يدل على جوار الرد اذا كان لغير حاجة (وقد قال بعض العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة) اليه (عقوبته من ابتلاء بطامع أو دخول فى شبهة أو غيره) من العقوبات (فاما اذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء والقيام بمهماتهم) والانفاق عليهم لما (فى طبعهم من الرقى والسخاء فان كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لاخذه لامساكه) عنده (ان كان طالباً طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى) وانما هو اختبار وابتلاء من الله تعالى (وكل عمل ليس لله فهو فى سبيل الشيطان أو داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فى الحمى) وهو لا يشعر وقد ورد ذلك فى الخبر وتقدم هذا وجه الاولوية فى عدم أخذه (ثم) ان جوزنا (له) الأخذ فله فى الاخفاء والاطهار والاخذ والرد (مقامات) وأحوال (أحدهما) أن يأخذ فى العلانية ويرد فى السر بحيث لا يطلع عليه أحد (أو يأخذ فى العلانية ويفرق فى السر وهذا مقام الصديقين) من الزاهدين ويسمونه الزهدة فى الزهد لانه ينشأ عن الزهد فى المال والجاء وفى اطهار الأخذ آفة عظيمة فلما أخذ حذره منها وهى احداث المعلى وغيره على العطاء (وهو شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة) والتهديب وهذا الذى ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالهم ولكن قد يكون الحال مقاماً بالنعكس كما تقدم (والثانى أن يترك رأساً) ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية (تركه علانية وعدم تولي صرفه بنفسه وتركه سرا كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سرا وتولى صرفه بنفسه فهى أربع مقامات فاذا أضيفت الى المقامين الأولين صارت ستة والاخذ فى العلانية والاخراج فيها أيضاً هو مقام المقرين لانهم لا يشهدون

شاق على النفس لا يطيقه الا من اطعمت نفسه بالريضة والثانى أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل الى من هو أحوج منه فيفعل كليهما فى السر أو كليهما فى العلانية

وقد ذكرنا هل الأفضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رجهما الله فانما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا (٣٠٠) والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال

مع الله غير الله لان كل ما سوى الله من الله وبالله والله والى الله فلا غير حيث دلان الغير هو المضاى الظاهر ولو كان فيها آلهة الا الله لفسد ناو من شاهد الوجود على ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال وهذا لا يخفى في الاخذ والعطاء فتوقا على نفسه لا لاجل المعطى والاخذ لان من المتصدقين من يقصد اظهار الصدقة ونشرها فلا يعان على قصده ومن المتصدق عليهم من يشتهي ستر حاله فيعان عليه لان ستر حال المؤمن واجب وأما الاخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين اذا سلم من آفاته ومن آفاته خوف الجاه واسقاط المنزلة من القلوب والنظر اليه بعين الرغبة والحسد في أن يرى المعطى بعين الاحسان وأما الاخذ في السر والاخراج في العلانية فان سلم من الآفات التي ذكرت في الاخفاء ومن آفة الرياء في الاخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة وأما من يأخذ سرا ولا يخرج سرا ولا علانية فهذا الذي ياكل الدنيا بالدين نسأل الله أن يعبدنا من شره فانه اذا مات فضح أهل الطريق (وقد ذكرنا هل الأفضل اظهار الاخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه وأما امتناع أحد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رجهما الله تعالى فانما كان لاستغناؤه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات وأخطارا) أعظمها الاشتغال بغير الله تعالى (والورع) من شأنه (يكون حذرا من مظان الاخطار) وفي نسخة الآفات فيتجنب عنها (اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه) ومن يكون في الورع مثل أحد رجه الله تعالى (وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت مرة (فقيرا قد فرغ من طوافه) وصلاته وتعلق باستار الكعبة (وهو يقول بصوت خفي) يارب اني (جائع كاتري) يارب اني (عريان كما نرى فيما نرى فيما نرى يامن يرى ولا يرى) قبل أنه كان من فقراء الحجاج ودعابا الجمجمة وهذه ترجمته (فنظرت فاذا عليه خلقان) أي ثياب رثة (لان كاد تواريه) لقصرها ونقطعها (فقلت في نفسي لا أحد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مترين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فرده) الى (قال فرأيت الدليلة الثانية يطوف وعليه متران جديان فهجس في نفسي شيء) أي ساء طئي فيه (فالتفت الى فاختذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخسش) أي يتحرك مع صوت (تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال) لي (هذا كله قد أعطانيه) ربي (فرهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لان هذه ائقال وقتنة) وامتحان (وذلك) أي الاخذ من أيدي الخلق (للعباد فيه رجة ونعمة) أوردته صاحب القوت في كتاب التوكل وفيه ثم قال له نحن مكاشفون بسر الملك وظاهر لنا كنوز الارض ولكن لا نأخذ منه شيأ وهذا فيه ولان له أنقالا فتركه أفضل ونأخذ أرزاقنا من أيدي الناس وبالاسباب لانه أحب الى الله لمنافع العباد ولان الحكمة والاحكام في هذا أكثر (والمقصود من ذكر هذا ان الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء واختبارا) وقتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك) من حيث كان (رفقائك) وشقة عليك (فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم) أي نتجربهم (أيهم أحسن عملا) أيهم أرشد في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكتنه) من الحر والبرد (فما زاد فهو حساب) قال العراقي رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان الا انه قال

بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أنا جائع كاتري عريان كما نرى فيما نرى فيما نرى يامن يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لان كاد تواريه فقلت في نفسي لا أحد لدراهمي موضعا أحسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال أربعة ثمن مترين ودرهم أنفقه ثلاثا ولا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرأيت الدليلة الثانية وعليه متران جديان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الى فاختذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الارض يتخسش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد أعطانيه فرهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لانه هذه ائقال وقتنة وذلك للعباد فيه رجة ونعمة والمقصود من هذا ان

الزيادة على قدر الحاجة انما تأتيك ابتلاء وقتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة تأتيك رفقاك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لاحق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكتنه فما زاد فهو حساب

فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للحساب وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب ومن الاختبار أيضا ان تعزم على ترك لذته من اللذات تقر بالى الله تعالى وكسر الصفة النفس فتأتيك عطاياها فتعجز بها فتوقفتك فلاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم ألقت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن (٣٠١) فتهرأه فردد ذلك مهم وهو الزهد

فان أخذته وصرفته الى محتاج

فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحق الفقراء وتعهده جماعة من الصالحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليله واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلوفى قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتشم في المطعم والمشر ب وذلك هو الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال فضاء وان مات قبل القضاء فضاء الله تعالى عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغير المقرض ولا يخذله بالمواعيد بل يكشف حاله عندئذ فليس يتقرض بجاهه فذلك مما قد آناه الله وقال بعضهم لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائهم الموجودة عندهم (ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى) وهؤلاء اعلى مقام (ومات بعضهم فاوصى بجاهه) أى ثلثه لثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فصيل له (من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى) انقطعوا الى الله تعالى فاغناهم عن غيره (فاذا هما وجدت هذه الشروط

وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح انتهى قلت لفظه في جامعته ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه ونوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابنه عبد بن حميد والحاكم والضياء وروى ابن النجار من حديث ثوبان يكفيلك من الدنيا ما سد جوعتك ووارى عورتك فان كان لك شئ يظلك فذلك وان كانت لك ذابة تركها فنج (فاذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب) لان لك فيها حقا وقد أذن لك الله في أخذها (وفيما زاد عليه ان لم تعص الله متعرض للعقاب) فمأخذته وفيه صرفته (وان عصيت الله فانت متعرض للعقاب) فهذا معنى قوله حلالها حساب وحرامها عقاب (ومن الاختبار أيضا ان تعزم على ترك لذته من اللذات) الدنياوية (تقربا الى الله تعالى وكسر الصفة النفس) أى لثورتها (فتأتيك) تلك اللذة (عطاياها) من غير تبعة ولا كد ورة (ليمتحن بها فتوقفتك) هل تلبسها أو تتركها (فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم ألقت نقض العهد وعادت لعادتها) القديمة (ولا يمكن قهرها) بعد الفتها (فرد ذلك مهم) من أكد المهمات (وهو الزهد فان أخذته) في العلانية (وصرفته الى محتاج) سرا (فهو غاية الزهد) ويسمى زهد الزهد (ولا يقدر عليه الا الصديقون) من الزاهدين وقد أشترنا الى ذلك في أول الفصل (واما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحق الفقراء وتعهده جماعة من الصالحاء) بالخدمة وقضاء الحاج (فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء) اذا حاجتهم كثيرة (وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخره فان امساكه ولو ليله واحدة فيه فتنة واختبار) من الله تعالى (فربما يحلوفى قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك) الا امر ضرورى لا بد منه (وقد تصدى لخدمة الفقراء) فى الربط (والزوايا جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتشم في المطعم والمشر ب) والملبس (وذلك هو عين الهلاك) ويليه أن يتخذها وسيلة الى تحصيل الجاه (ومن كان غرضه الرفق بالفقراء (وطالب الثواب) من الله تعالى (فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة) أن يأتي منهم شئ فيؤديه منه (فان رزقه الله من حلال فضاء وان مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغير المقرض ولا يخذله بالمواعيد بل يكشف حاله عنده) أى يظهر له بانه لا يهلك شيئا من متاع الدنيا الذى يستقرضه انما هو لاجل الصرف على مواضع الثواب وان سداده انما هو من الفيض المطلق لاعتناء جهة معلومة معينة (ليقدم المقرض على اقرضه) وهو (على بصيرة) ويقين من أمره (ودين مثل هذا الرجل) اذا عجز أو مات (واجب أن يقضى من بيت المال ومن الزكوات) بعد ان يرفع أمره الى رولى الامر (فقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه) أى ضيق وحسب (فليسفق مما آناه الله قبل معناه ليسع أحد ثوبيه) ويكتفى بالثوب الواحد (وقيل معناه فليس يتقرض بجاهه فذلك) مما قد آناه الله وقال بعضهم لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائهم الموجودة عندهم (ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى) وهؤلاء اعلى مقام (ومات بعضهم فاوصى بجاهه) أى ثلثه لثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فصيل له (من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى) انقطعوا الى الله تعالى فاغناهم عن غيره (فاذا هما وجدت هذه الشروط

الزكاة وقد قال تعالى ومن قدر عليه رزقه فليسفق مما آناه الله قبل معناه ليسع أحد ثوبيه وقيل معناه فليس يتقرض بجاهه فذلك مما آناه الله وقال بعضهم ان لله تعالى عبادا ينفقون على قدر بضائهم (ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى) ومات بعضهم فاوصى بجاهه لثلاث طوائف الاقوياء والاشقياء والاغنياء فصيل من هؤلاء فقال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله تعالى فاغناهم عن غيره (فاذا هما وجدت هذه الشروط

وهو مضطرا اليه بماسلطا عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات * وقد حكى ان بعض الناس دعا شقيقا في خسين من أصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قد قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول من لم يربي صنعت هذا الطعام وقدمته فطعماي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الاشباة منهم كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل الشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغدني هذا يوما يغشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجزى أراقتهم على أيدي البطالين من عبادي لبؤجر ورافهم فلا ينبغي ان يرى المعطى الامن حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى نسأل الله حسن التوفيق لما رضاء * (بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه) * اعلم انه قد وردت منه كسيرة في السؤال وتشديدات وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسان حق ولو جاء على فرس

فيه وفي المال وفي المعطى فليأخذ (وهو الافضل) وينبغي أن يرى ما يأخذ من الله تعالى (لأن المعطى انما المعطى) في الظاهر (واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطرا اليه بماسلطا عليه من الدواعي) والبواعث (والارادات والاعتقادات) والمعطى الحق في الحقيقة هو الله تعالى هذا هو التوحيد الكامل وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة (وقد حكى أن بعض الناس) من المعتقدين (دعا شقيقا) بن ابراهيم البلخي رحمه الله تعالى (في خسين من أصحابه) فأتى بهم الى منزله (فوضع الرجل مائدة حسنة فلما نعد) شقيق (قال لأصحابه ان هذا الرجل يقول) يعني صاحب المائدة (من لم يربي صنعت هذا الطعام وقدمته فطعماي عليه حرام فقاموا كلهم) ولم يأكلوا (وخرجوا) من المنزل وكانوا ممن ينظرون الى الحقائق (الاشباة كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل الشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم) هل كمل توحيدهم أم لا فان كمال التوحيد أن لا يرى في الوجود دفاعا لاله ولا ينكر الوسائط فانهم مسخرون بأذن الله تعالى ولما كان الشاب لم يكمل في معرفته بعد كل من الطعام ولم يرقم فان مقامه يعطى ان الذي صنع الطعام وقدمه اليه هو صاحب المنزل ولا يعدو علمه ذلك (وقال موسى عليه السلام يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغدني هذا يوما يغشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى اليه هكذا أصنع بأوليائي أجزى أراقتهم على أيدي البطالين) وفي لفظ العاصمين (من عبادي لبؤجر ورافهم) نقله صاحب القوت وقال فعلم هذا المحتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤمنين مقام للجمع في المعرفة واليقين فهو حال المعطى الموصل وطريق لا تأخذ المتوكل (فلا ينبغي أن يرى المعطى الامن حيث انه مسخر ماجور من الله تعالى) لأنه المعطى حقيقة والله الموفق

(بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر اليه)

(اعلم) أغناك الله تعالى (انه قد وردت منه في السؤال وتشديدات) عظيمة تدل على تخريمه والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامة ويكون ذلك لنفسه وخرج بذلك ما إذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخل في تلك التشديدات بل هو معونة وخرج من ذلك أيضا ما إذا كان لنفسه لكنه سأل الاقارب والاصدقاء فهو طريق القوم وعليه العمل لان الاصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنة للصديق القاصد واليه يشترطه (وورد فيه أيضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسان حق ولو جاء على فرس) قال العراقي روى أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي في الاول يعلى بن أبي يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسمه وسكت عليهما أبو داود انتهت قلت ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردى وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والفضلاء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها والرواية الثانية رواها أيضا البيهقي وقال السخاوي في المقاصد وهو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقيل عنها عن أبيها عن علي وقيل بدون علي وقيل عنها عن جدتها فاطمة الكبرى وهذه الرواية عندنا حتى بن راهويه وعلى كل حال في الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف وعن ابن عباس وعن زيد بن أسلم رفعه عن سلا بلقظ اعطوا السائل ولو جاء على فرس أخرجه مالك في الموطأ هكذا ورواه ابن عدي من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبد الله ضعيف بل رواه ابن عدي أيضا من طريق عمر بن يزيد المداثني عن عطاء عن أبي هريرة وعمره ضعيف أيضا ولذا رُفِط في الأفراد من طريق الحسين بن علي الهاتمي عن الاعرج عن أبي هريرة مرفوعا لا يمنع أحدكم السائل أن يعطيه وان كان في يده قلبه من ذهب وقال تفرد به الحسن عن الاعرج وهو في مسند الضياء ثم قال العراقي وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث انه بلغه عن أحمد بن حنبل انه قال أربعة أحاديث تدور في الاسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهت قلت وجدت بخط الحافظ نقلا عن خط ابن رجب الحنبلي

فالكاشف للغطاء فيه أن
السؤال حرام في الأصل
وانما يباح بضرورة أو حاجة
مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها بد فهو حرام
وانما قلنا أن الأصل فيه
التحريم لانه لا ينفك عن
ثلاثة أمور محرمة * الاول
اظهار الشكوى من الله
تعالى اذ السؤال اظهار
للفقر وذ كر لقصور نعمة
الله تعالى عنه وهو عين
الشكوى وكما أن العبد
المملوك لو سأل لكان
سؤاله تشديعا على سيده
فكذلك سؤال العباد
تشجيع على الله تعالى وهذا
ينبغي أن يحرم ولا يحل الا
لضرورة كما تحل الميتة
* الثاني أن فيه اذلال
السائل نفسه لغير الله تعالى
وليس للمؤمن أن يذل
نفسه لغير الله بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه
فاما سائر الخلق فانهم عباد
أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم
الا لضرورة وفي السؤال ذل
للسائل بالاضافة الى المسؤول
* الثالث أنه لا ينفك عن
ايداء المسؤول غالبا لانه ربما
لا تسمع نفسه بالبذل عن
طيب قلب منسه فان يذل
حياه من السائل أو يراه
فهو حرام على الآخذ
وان منع ربما استجبا وتاذى
في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه
في صورة البخل في البذل

مانعه و رد ذلك عن أحمد بمجرد روايته له في مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يصح وقد
أخرجه في مسنده ومن كتب العلل لعبد الله بن أحمد والاشرم والحلال علم صحة هذا انتهى وبخط الحافظ
أيضا الصحيح عن أحمد انه أنكر حديث لوصدق السائل ما أفصح من رده كذا نقل عنه مهنا وكذا قال ابن
المديني ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي صلى الله عليه وسلم منها لوصدق السائل (وفي الحديث ردوا السائل
ولو بظلف محرق) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم
بجيد وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى قلت رواه بهذا اللفظ أيضا مالك وأحمد والبخاري في التاريخ وابن
ماجه وابن حبان والبيهقي كلهم من طريق ابن بجيد الانصاري عن جدته ورواه ابن سعد والطبراني من
رواية عمرو بن معاذ الانصاري عن جدته حواء هكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي وقال الحافظ في
الاصابة حواء أم بجيد مبعودة وجيم مصغر صحابي روى حديثه مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد
الانصاري عن جدته عن النبي صلى الله عليه وسلم انها سمعته يقول ردوا السائل ولو بظلف محرق هكذا
أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عباد عن مالك وترجم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه أصحاب
الموطأ فيه عن مالك عن زيد بن بلال عن أنس المومنان لا تحقرن أحدا كن لجارتها ولو كراعا محرقا ورواه مالك
أيضا عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحقرن جارة
لجارتها ولو فرسن شاة وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد الانصاري عن جدته مثله
وقال الليث حدثني سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد عن جدته وكانت ممن يابح رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسكين ليقيم على بابي فلا أجده شيئا أعطيه فقال لها ان
لم تجدى له شيئا تعطيه اياه الا لظلم محرقا فدفعه اليه في يده هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي الوليد عن الليث
وقال في القسم الثالث فرق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الانصارية وبين حواء أم بجيد وهما واحدة
(ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه) عن
وجه الصواب (أن السؤال حرام في الأصل) وانما يباح بضرورة داعية له (أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة
فان كان عنها) أي عن تلك الحاجة وفي نسخة عنه أي عن السؤال (بد فهو حرام) والحاجة الخفيفة فيها
تردد (وانما قلنا أن الأصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة) هي في الحقيقة آفات مملوكة
(اما الاول اظهار الشكوى من الله تعالى) لقصور النعمة (اذ السؤال اظهار للفقر وذ كر لقصور نعمة الله
تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما أن العبد المملوك) لرجل (لو سأل) الناس (لكان سؤاله تشديعا على
سيده فكذلك سؤال العباد تشجيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم) لما في ضمنه من الشكاية من الله
تعالى (ولا يحل الا لضرورة) ماسة (كما تحل الميتة) عند الضرورة (والثاني أن فيه اذلال السائل نفسه
لغير الله تعالى) وقد قبل ثلاث من الذل الذين ولدوا ولودهم ما والبنت ولومريم والسؤال ولو أن الطريق (وليس
للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد في الخبر أي الا في عبادة كتعليم علم أو غيره وقد تقدم في كتاب العلم (بل عليه أن
يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه) بل هو عين العبودية (فاما سائر الخلق فانهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل
لهم الا لضرورة) دعيته لذلك (وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول) ومن دعاء الامام أحمد اللهم
كما صنت وجهي عن عبوديتك فصن وجهي عن مسئلة غيرك (الثالث أنه لا ينفك عن ايداء المسؤول
غالبا) لتردده بين العطاء والمنع (لانه ربما لا تسمع نفسه بالبذل عن طيب قلب منه) وانما يستحي أو يرائي
(فان يذل حياه من السائل أو يراه فهو حرام على الآخذ) بلا خلاف بين الامتعة على هذا قولهم ما أخذ بسيف
الحماية فهو حرام (وان منع ربما استجبا وتاذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه) حينئذ (في صورة البخل في
البذل) على الوجه المذكور (نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان) أحدهما في الظاهر
والثاني في الباطن (والسائل هو السبب في الايداء) المذكور (والايداء حرام الا لضرورة) فلا جل هذه

المغاسد كان السؤال حراما في الاصل فلا يباح الاضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر وكل ذلك يحرم مع الغنى كما سيأتي ذلك (ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما أحل) أي ما أبج (من الفواحش غيرها) قال العراقي لم أجده أصلا (فانظر كيف سماها فاحشة) وهي ما تفاحش جرمها فتوجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى (ولا يخفى أن الفاحشة انما يباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها) أي غير الخمر (وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع ليس له لحم) قال العراقي رواه أبو داود وابن جرير وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصر على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة وسلم من حديث أبي هريرة من سأل الناس أموالهم تكثر أفاغنيا يسأل جرا الحديث وللبراز والطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يتخاق وجهه وفي اسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه ضرة لحم انتهى قلت لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان من سأل وعنده ما يغنيه فأنما يستكبر من جرحهم ورواه كذلك أحمد وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي من سأل مسألة عن ظهر غنى استكبر به من رضى جهنم وروى ابن حبان وابن شاهين وتمام والضياع من حديث عمر من سأل ليتري ماله فأنما هو رضى من النار بلقمة من شاء فليقل ومن شاء فليكثر ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم من سأل الناس أموالهم تكثر أفاغنيا يسأل جرحهم فليستقل منه أو ليستكبر وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياع من حديث حبشي بن جنداء من سأل من غير فقر فأنما ياكل الجرو في رواية لابن جرير والطبراني من سأل الناس ليتري به ماله كان خوشافي وجهه ورضف من جهنم ياكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر وفي رواية أخرى للطبراني من سأل الناس في غير مصيبة باحثة فكانت ما يلزم الرضفة وقول المصنف ومن سأل وله ما يغنيه الحديث يقرب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس على وجهه ضرة لحم (وفي لفظ آخر) من سأل وله ما يغنيه (كانت مسئلة خدوشا وكدوحا في وجهه) قال العراقي رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى قلت رواه أحمد بلفظ من سأل مسئلة وهو عنها غني جاء يوم القيامة كدوحا في وجهه وفي رواية له من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وم مسئلة في وجهه خوش أو خدوش أو كدوح ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي وحديث ابن عمر عند الشيخين ما زال الرجل يسأل الحديث رواه أيضا النسائي كلهم من طريق جرير بن عبد الله بن عمر عن أبيه (وهذه الالفاظ مرمجة في التحريم والتشديد وبابيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة فولاتسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثير بالتعفف عن السؤال ويقول لمن سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال

ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله صلى الله عليه وسلم مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى أن الفاحشة انما يباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فأنما يستكبر من جرحهم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقعقع وليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسئلة خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ مرمجة في التحريم والتشديد وبابيع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة فولاتسألوا الناس شيئا وكان صلى الله عليه وسلم يامر كثير بالتعفف عن السؤال ويقول لمن سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا وقال

صلى الله عليه وسلم استغفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى وسمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشته فنظر عمر فإذا تحت يده مخللة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ المخللة ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضرب به فهو تادييب وقد ورد الشرع بالتعزير أما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف (٣٠٤) استجازه وهو استبعاد مصدره القصور في

الفقه فابن يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباني معصية الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله وهيات فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شأ فأنما أعطاه على اعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ما سكه بأخذه مع التلبس وعسر تميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعسر ف أعرف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا لا مال له فوجب صرفه إلى المصالح وأبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله كاذبا كاخذ العلوي بقوله انى علوى وهو كاذب فانه لا علك ما يأخذه وكأخذ الصوفى الصالح الذى يعطى

صلى الله عليه وسلم استغفوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك قال ومنى قال العراقي رواه البزار والطبراني من حديث ابن عباس استغفوا عن الناس ولو بشوص السؤال واسناده صحيح وله في حديث لعدى الجذامى قفعفوا ولو بجزم الخطب وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ انتهى قلت حديث ابن عباس رواه أيضا ابن جرير في تهذيبه والعسكري في الامثال والبيهقي ولا بن عدى من حديث أبي هريرة استغفوا بغير الله (وسمع عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه سائلا يسأل) الناس (بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل) فأخذه (فعشاه ثم سمعه ثانية فقال ألم أقل لك عش الرجل قال قد عشته فنظر اليه عمر فإذا تحت يده مخللة مملوءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذ المخللة ونثرها بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد) الر صنيعة هذا (ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضرب به ولا أخذ المخللة) ولما أنكر عليه فعله ونهاه عنه (ولعل الفقيه الضعيف المنة) بضم الميم أى القوة (الضيق الحوصلة) بتشديد اللام (يستبعد هذا من فعل عمر) رضى الله عنه (ويقول أما ضرب به فهو تادييب وقد ورد الشرع بالتعزير) فهو لا بأس به (فأما أخذه ماله) وهو كسر الخبر لالتى كانت في المخللة (فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فابن يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو) أنه (علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباني معصية الله وحاشاه) من ذلك (أو) أنه (أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله) صلى الله عليه وسلم (وهيات فان ذلك أيضا معصية بل الفقه الذى لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيأ فأنما أعطاه على اعتقاده محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ما سكه بأخذه مع التلبس) والتخليط (وعسر تميز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقى مالا لا مال له فوجب صرفه إلى المصالح وأبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوى) الشئ (بقوله انى علوى وهو كاذب) فى دعواه (فانه لا يملك ما يأخذه وكأخذ الصوفى الصالح الذى يعطى لصلاحه) وتوصوفه (وهو فى الباطن مقارف لمعصيته لوعرفها المعطى لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى ما سكه) لعدم تحقق الاستحقاق (فاستدل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر) رضى الله عنه (فأذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ انما يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال) وهى فى الحقيقة ثلاثة الاضطراب أو الاحتياج أو الاستغناء والاحتياج على قسمين امامهم أو خفيف (أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا) يؤدى إلى الموت (وسؤال العارى وبده مكشوف ليس مع ما يوارى به وهو)

لصلاحه وهو فى الباطن مقارف لمعصية لوعرفها المعطى

(٣٩ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع)

لما أعطاه وقد ذكرنا فى مواضع أن ما أخذه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى ما سكه فاستدل بفعل عمر رضى الله عنه على صحة هذا المعنى الذى يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه فى مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشئ انما يكون مضطرا اليه أو محتاجا اليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه فهذه أربعة أحوال أما المضطر اليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العارى وبده مكشوف ليس مع ما يوارى به وهو

مباح مهم ما وجدت بقية الشروط في المسؤل بكونه مباحا والمسؤل منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا طرفان واضعان وأما المحتاج حاجته مهمة فكالمرض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لم يستعمله ولكن لا يتخلو عن خوفه وكن له جبة لا تقص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الاباحة لانها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا (٣٠٦) يسمى سؤله مكر وهما مصادق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قبص والبرد يؤذيني

أى هذا السؤال (مباح مهم ما وجد بقية الشروط في المسؤل) أى الطعام أو الثوب (بكونه مباحا) في (المسؤل منه بكونه راضيا في الباطن) غير مستحي في اعطائه ولا مرء (وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال الا اذا استغرق في طلب العلم) أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب (وكل من له خطا) يقرأ (فهو قادر على الكسب بالوراقة) أى النسخة (وأما المستغني وهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا طرفان واضعان) وهما الاضطرار والاستغناء فالاضطرار مبيع والاستغناء محرم (وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمرض الذي يحتاج الى دواء ليس يظهر خوفه لولم يستعمله ولكن لا يتخلو عن خوفه وكن له جبة لا تقص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسأل لاجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل الاباحة لانها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤله مكر وهما مصادق في السؤال وقال ليس تحت جبتى قبص والبرد يؤذيني أى طيقه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قبصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه (ليستر به الخروق من ثيابه عن أعين الناس) كيلا يزدروا به (وكن يسأل لاجل الادم وهو واحد للغبر وكن يسأل للكراء الفرس في الطريق وهو واحد كراء الجار أو يسأل كراء الجمل وهو قادر على الرحلة فهذا ان كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غيره هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة) المذكورة (من الشكوى أو الذلل أو ايداء المسؤل فهو حرام) لاشتماله على الامور المحرمة (لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباع بها المحظورات فان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة) ولذلك قلنا ان الحاجة الخفيفة فيها تردد (فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحظورات) الثلاث (فاعلم ان الشكوى تندفع بان يظهر الشكر لله تعالى بلسانه والاستغناء عن الخلق) بان لا يلتفت لما في أيديهم (ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا) بحمد الله تعالى (مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونته النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذلل فان يسأل أباه أو قريبه) في النسب (أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله) ولا يحتقره وهو سبيل العارفين (أو) يسأل (الرجل السخى الذي قد أدماله مثل هذه المكارم فيفرح بوجوده له ويتقدمه بقبوله) منه ذلك (فيسقط عنه الذلل بذلك فان الذلل لازم للمنة لا محالة وأما الايداء فسيبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق) أى منظور اليه (لوم يبذل لكان يلام فهذا ايداعا غير بما يبذل كرها) لا عن رضا قلبه (خوفا من الملامة

أذى طيقه ولكن يشق على فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان شاء الله تعالى وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قبصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليس تار الخروق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لاجل الادم وهو واحد للغبر وكن يسأل للكراء الفرس في الطريق وهو واحد كراء الجار وهو قادر على الرحلة فهذا ونحوه ان كان فيه تلبس حال باظهار حاجة غيره هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وايداء المسؤل فهو حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباع بها المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى تندفع

بان يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونته النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حد الشكوى وأما الذلل فان يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخى الذي قد أدماله مثل هذه المكارم فيفرح بوجوده له ويتقدمه بقبوله فيسقط عنه الذلل بذلك فان الذلل لازم للمنة لا محالة وأما الايداء فسيبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق لوم يبذل لكان يلام فهذا ايداعا غير بما يبذل كرها خوفا من الملامة

ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة وأما إذا كان يسأل شخصاً معيناً فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضاً يليق له سميلاً الى التغافل ان أراد فاذالم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل عنه فان الحياء من السائل يؤذى كما ان الرياء مع غير السائل يؤذى فان قلت فاذأخذ مع العلم بان باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأ به فهل هو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام من خلاف فيه بين الامّة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذا لفرق بين أن يضرب باطنه بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط (٣٠٧) الحياء وخوف الملام وضرب الباطن

أشد نكايته في قلوب العقلاء ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدر ضربه وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذا لم يكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاصطروا الى الحكم

بظاهر القول باللسان مع انه ترجح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك وان أقولك وأقولك فان المفتي مع علم للقاضي والسلطان بالحكم في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كما أن مفتي الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذأما أخذ مع الكراهة لا يمكنه بينه وبين الله تعالى ويحب عليه مردا الى

ويكون الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة وأما إذا كان يسأل معينا فينبغي ان لا يصرح باسمه (بل يعرض له تعريضاً يليق له سميلاً الى التغافل ان أراد) ذلك (فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وانه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستحي منه لورده أو تغافل من السائل يؤذى كما ان الرياء مع غير السائل يؤذى فان قلت فاذأخذ مع العلم فان باعث المعطى هو الحياء منه أو من الحاضرين) في المجلس (ولولاه لما أعطاه) وفي نسخة لما ابتدأ به (فهو حلال أو شبهة فاقول ذلك حرام من خلاف فيه بين الامّة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذا لفرق بين أن يضرب باطنه بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكايته في قلوب العقلاء) من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قبل

العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامة

(ولا يجوز أن يقال هذا في الظاهر قدر ضربه وقد قال صلى الله عليه وسلم انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر) قال العراقي لم أجده أصلاً وكذا قال المزي لماسئل عنه (فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذا لم يكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاصطروا الى الحكم بظاهر القول باللسان مع انه ترجح كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كاللسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا الا الى قلبك) ولا تستفت الامته (وان أقولك وأقولك) كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره (فان المفتي مع علم للقاضي والسلطان) ومن في معناهم من الحكم (احكموا) بنتواه (في عالم الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة ويطوهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما أن مفتي الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فاذأما يأخذ مع الكراهة لا يمكنه بينه وبين الله تعالى ويحب عليه رده الى صاحبه) ان أمكنه (فان كان يستحي من أن يسترده) فلم يسترده (فعليه أن يشبهه على ذلك) أي يجازيه (بما يساوي قيمته) في الوقت (في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى) أي يتخلص (عن عهده فان لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك الى ورثته) بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من الاحوال (فان تلف في يده) قبل الاسترداد (فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه) تصرف الملاك فانيا (وبالسؤال الذي حصل به الاذى) أولاً (فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضاً فاقول لهذا) السر (ترك المتقون السؤال رأياً سافها كانوا يأخذون من أحد شيئاً) أصلاً (فكان بشر) الخافي رجه الله تعالى (لا يأخذ الامن السري) السقطي رجه الله تعالى (وقال) لماسئل عن ذلك (لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعيننه على ما يحب) وقد تقدم قريبا وأين مثل السري حتى يؤخذ منه (وانما عظم النكير في السؤال واشتد الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحصل) أي يصير مباحاً (بضرورة وهو أن يكون شرفاً على

صاحبه فان كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فعليه ان يشبهه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهده فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الاذى فان قلت فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل الى الخلاص منه فربما يظن السائل انه راض ولا يكون هو في الباطن راضاً فاقول لهذا ترك المتقون السؤال رأياً سافها كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً الامن السري رجه الله عليهم ما وقال لاني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فانا أعيننه على ما يحب وانما عظم النكير في السؤال وتأكداً كذا الامر بالتعفف لهذا لان الاذى انما يحصل بضرورته وهو ان يكون السائل مشرفاً على

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الاستناع طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والسمن والافط وكان هذا فيما يأتهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحتززون من ذلك فاما السؤال (٣٠٨) فقد امتنعوا عنه وأسألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في

موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم ما سألو الا من علموا أنه يرغب في اعطائهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لان أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون ببساطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والافس كانوا يستغنون عن السؤال وحدا باحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بلك من الحاجة لا يتدألك بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فلاخذ في

الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الاستناع (طريق الورعين ومن أرباب القلوب من كان واثقا بصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ الا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش) حيث رده (والافط) والسمن حيث أخذهما (وكان هذا فيما يأتهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون الا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طمعا للرياء والسمعة فكانوا يحتززون من ذلك وأما السؤال فقد امتنعوا عنه وأسألوا في موضعين أحدهما الضرورة فقد سأل ثلاثة من الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام) اما سؤال سليمان فقد تقدم بيانه في كتاب الصبر وأما قصة موسى والخضر فذكر في القرآن (ولا شك انهم ما سألوا الا من علموا أنه يرغب فيهم والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان) كما تقدم في آداب الصعبة والاخوة (لان أرباب القلوب) قد علموا (أن المطلوب رضا القلب لانطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون ببساطتهم فاذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والافس كانوا يستغنون عن السؤال وحدا باحة السؤال ان تعلم أن المسؤل بصفة لو علم ما بلك من الحاجة لا يتدألك بالعطاء (دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيرا لا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل فلا يتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك فيها في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الاحوال فلاخذ في الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزار القلب) وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحل كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (فانه الاثم) كما في الخبر والاثم ما حلك في الصدر (وليدع ما يريه الى ما لا يريه) كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم (وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان أطيع ما كل الرجل من كسبه) رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وعمامة وان ولده من كسبه فكلوا من أموالهم وروى ابن أبي شيبة والبزار في التاريخ بلفظ ان أطيع ما كلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم وقد تقدم في آداب الطعام (وقد أوتي صلى الله عليه وسلم (جوامع الحكم) واختصر له الكلام اختصارا رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم (لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه

الحالة الاولى حلال طلاق وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها

وليترك حزار القلب فانه الاثم وليدع ما يريه الى ما لا يريه وادرالك ذلك بقرائن الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوى الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيع ما كل الرجل من كسبه وقد أوتي جوامع الحكم لان من لا كسبه ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد اقربيه فيأكل من أيدي الناس وان أعطى بغير سؤال فأنما يعطى بدينه ومتى يكون

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياتخذ حراما وان أعطى بسؤال فابن من (٣٠٩) يطيب قلبه بالعطاء اذا سئل وأبى من

يقصر في السؤال على حد
الضرورة فاذا قنشت
أحوال من يأكل من أيدي
الناس علمت أن جميع
ما يأكله أو أكثره حرام
وان الطيب هو الكسب
الذي اكتسبه بحلال أنت
أو مورثك فاذا بعبد أن
يجتمع الورع مع الاكل
من أيدي الناس فنسأل
الله تعالى ان يقطع طمعنا
عن غيره وان يغنينا بحلاله
عن حرامه وبفضله عن
سواه بمنه وسعة جوده فانه
على ما يشاء قدر

*(بيان مقدار الغنى المحرم
للسؤال)* اعلم ان قوله
صلى الله عليه وسلم من سال
عن ظهر غنى فأنما يسال
جرا فليستقل منه أو ليستكثر
صرح في التحريم ولكن
حد الغنى مشكل وتقديره
عسير وليس النواضع
المقادير بل يستدرك ذلك
بالتوقيف وقد ورد في
الحديث استغوا بغنى الله
تعالى عن غيره قالوا وما هو
قال غدا يوم وعشاء ليلة
وفي حديث آخر من سال
وله خسون درهم أو عدلها
من الذهب فقد سال الحافا
وورد في لفظ آخر أربعون
درهما ومهما اختلفت
التقديران وصحت الاخبار
فينبغي ان يقطع بورودها
على أحوال مختلفة فأن

باطنه بحيث لو انكشف لا يعطى بدينه فيكون ما ياتخذ حراما وان أعطى لسؤال فابن من يطيب قلبه بالعطاء
اذا سئل وأبى من اقصر في السؤال على حد الضرورة فاذا قنشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت
ان جميع ما يأكله أو أكثره حرام وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بحلال أنت أو مورثك فاذا بعبد أن
الله تعالى ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عن سواه) يشهد الى الدعاء المأثور
اللهم اغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك (بمنه وسعة جوده) زاد في بعض النسخ انه على ما يشاء
قدر

(بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال)
(اعلم) أغناك الله تعالى (أن قوله صلى الله عليه وسلم من سأل عن ظهر غنى فأنما يسال جرا فليستقل منه
أو ليستكثر) رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقد ذكر قريبا وفي كتاب الزكاة
والغنى ما من سال شيئا وعنده ما يغنيه فأنما يستكسر من جر جهنم وأما قوله فليستقل منه أو ليستكثر ففي
حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه وفي حديث حبشي بن جنادة عند ابن جرير والطبراني وفي
حديث عمر بن عبد بن حبان كذا كر كل ذلك قريبا (صرح في التحريم) أي تحريم السؤال (ولكن حد
الغنى مشكل وتقديره عسير وليس النواضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف) من الشرع (وقد ورد في
الحديث) الآخر (استغوا بغنى الله تعالى عن غيره) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن
غيره وقد تقدم قريبا (قالوا وما هو) أي غنى الله تعالى (قال غدا يوم وعشاء ليلة) هو من بقية حديث أبي
هريرة عند ابن عدي كما يرشد اليه كلام العراقي وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير
للسيوطي هو ما ذكرنا وادعى المناوي ان السيوطي ترك تلك الزيادة سهوا وليس كما ظن بل هذا التقدير
وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا وما يغنيه يا رسول الله قال قدر ما يغنيه أو يعيشه رواه أحمد وأبو داود
وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم وفي حديث علي قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة رواه
عبد الله بن أحمد واسناده حسن وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه (وفي حديث آخر من سأل
وله خسون درهم أو عدلها من الذهب فقد سال الحافا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه
وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة
ومسئلته في وجهه خجوش أو خدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما الغنى قال خسون درهم أو قهقهة من
الذهب وفي رواية لا جد ولا تحمل الصدقة لمن له خسون درهم أو عرضها من الذهب رواه أحمد والبيهقي من
حديث رجل من بني أسد من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل الحافا وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب
الزكاة فقال وروى عطاء بن يسار منقطعاً من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال قال العراقي هناك رواه
أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كذا كره المصنف لان الرجل
صحابي فلا يضر عدم تسميته وقد تقدم الكلام عليه هناك وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني
من حديث أبي سعيد من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف (وورد في لفظ آخر أربعون درهما) رواه النسائي
والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من سال وله أربعون درهما فهو ألحف (ومهما اختلفت
التقديران وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها على أحوال مختلفة) جمعا بين الاخبار كيلا تنضاد (فان
الحق في نفسه لا يكون الا واحدا) كما هو مذهب الأصوليين (والتقدير بمنع وغاية الممكن فيه تتريب
ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث
طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب) رواه الترمذي من حديث عثمان

الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير بمنع وغاية الممكن فيه تتريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين فنقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب

فلجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاحناس والمقادير والاقوات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراه للمسا فر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالتة كالديابة أيضا وأما المقادير فالثوب براعى فيه ما يليق بذوى الدين وهو ثوب واحد وقبص ومنديل وسراويل ومداس وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليتقس على هذا أثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الاواني من النحاس والصفري فيما يكفي فيه الخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر (٣١٠) من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة

ابن عفان نحوه وقد ذكر قريبا (فلجعل هذه الثلاث أصلا في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاقوات فاما الاجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراه للمسا فر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من) يكون (تحت كفالتة كالديابة أيضا وأما المقادير فالثوب براعى فيه ما يليق بذوى الدين) والمرآت (وهو ثوب واحد قميص) يوارى جسده (ومنديل يربط) به رأسه (وسراويل) أو أزار (ومداس) في رجليه فهو لاء كاهن منزلة ثوب واحد لا يستغنى عنها فان فرضنا ثوبا واحدا عريضا طويلا فالتخف به من رأسه الى قدمه فهو كذلك الا أنه ليس من ثياب ذوى الدين في الاعصار المتأخرة (وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه وليتقس على هذا أثاث البيت جميعه) أى براعى فيه ما يكفي فيه (ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب) ورفعها (وكون الاواني من النحاس والصفري فيما يكفي فيه الخرف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على نوع واحد ومن النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة وأما الطعام فقدره في اليوم مد) بالضم (وهو ما قدره الشرع) وهما حفتان بالكفين هما قوت الحافق غدا وعشاء كفا لا اقترارا ولا اسرافا (ونوعه ما يقتات) من طعام بلده (ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضله وقطاعه بالكفاية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فالسؤال لازمة والتوسع فهو سؤال عن طهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شئ فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غدا والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بان من معهما يكفيه له) وحده أوله (ولعليه ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بان يأكل في كل شهر خمسين نصف افضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار مترابحة (أما الماعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فكيف غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنظلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف باح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبق مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الفتور تراخي المدة التي

وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والادم على الدوام فضله وقطاعه بالكفاية اضرار في طلبه في بعض الاحوال رخصة وأما المسكن فاقله ما يجزى من حيث المقدار وذلك من غير زينة فالسؤال لازمة والتوسع فهو سؤال عن طهر غنى وأما بالاضافة الى الاوقات فمما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتنه فلا شئ فيه فاما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات احدها ما يحتاج اليه في غدا والثانية ما يحتاج اليه في أربعين يوما والثالثة ما يحتاج اليه في السنة) وقد تقدم ذكرها قريبا (ولنقطع بان من معهما يكفيه له) وحده أوله (ولعليه ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى) في حقه (وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهما في الحديث) المروي عن ابن مسعود (فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد) بان يأكل في كل شهر خمسين نصف افضة على ان خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن وهذه الكفاية متيسرة ان كانت الاسعار مترابحة (أما الماعيل فربما لا يكفيه ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فكيف غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنظلية (وان كان تفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف باح له السؤال) حينئذ (لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبق مضطرا عاجزا عن يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الفتور تراخي المدة التي

ذلك وان كان يحتاج اليه قبل السنة فان كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يجعل له السؤال لانه مستغن في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج اليه فكيف غدا يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجدم يعطيه ولو أخرف باح له السؤال لان أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبق مضطرا عاجزا عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان مالا لاجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطراب وخوف الفتور تراخي المدة التي

فيما يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان
سالك طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بجمعي الرزقي المستقبل أتم وقناعاته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى
فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيا لك الامن ضعف اليقين (٣١١) والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد

قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين
وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال
من الفحشاء التي أبيضت بالضرورة وحال من يسأل
لحاجة مترامية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في
السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة
ملا الموروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما
مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب
الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بفضل الله وهذه
الحصول من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق
بلفظه وكرمه

(بيان أحوال السائلين)
كان بشر رحمه الله يقول
الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل
وان أعطى لا يأخذ فهذا
مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسأل وان أعطى
أخذ فهذا مع المقربين في
جنات الفردوس وفقير
يسأل عند الحاجة فهذا
مع الصادقين من أصحاب
اليمن فاذا اتفق كلهم
على ذم السؤال وعلى انه
مع الفاقة يحط المرتبة

يحتاج فيها الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى
فيستفتى فيه قلبه ويعمل به ان كان سالك السبيل الآخرة وكلما كان يقينه أقوى وثقته بجمعي الرزقي
المستقبل أتم وقناعاته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى وهو داخل في حد قولهم الصوفي ابن وقته
أى يقنع بما يتسرله من كل شئ في وقته سواء كان قوتا ظاهريا أو معنويا ولا يعلق قلبه بما سياتى (فلا يكون
خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيا لك الامن ضعف اليقين) بالله تعالى (والاصغاء الى
تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى موقنين فعبس عن اليقين هنا
بالإيمان لان اليقين الإيمان كنه (وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم
مغفرة منه وفضلا والسؤال من) جلة (الفحشاء الذي أبيض بالضرورة) واليه يشير خبر مسألة الناس من
الفواحش ان ثبت وروده كما تقدم (وحال من يسأل الحاجة مترامية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في
السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره حاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة)
نظر الى ظاهر الحال (ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل وعدم الثقة بالله تعالى وهذه
الحصول من أمهات المهلكات) وأصول المرديات فنسأل الله تعالى حسن التوفيق
بلفظه وكرمه

(بيان أحوال السائلين)
من السالكين (كان بشر) بن الحرث الحافى (رحمه الله تعالى يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى
لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين) لكمال تجرده عن العلائق (وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ) على قدر
حاجته ورد الباقي (فهذا من المقربين في جنات الفردوس) وهو أترل درجة من الأول (وفقير يسأل عند
الحاجة) وفي نسخة عند فاقته (فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمن) وهو أترل درجة من الذي قبله وهذا
القول رواه القشيري في الرسالة في باب التوكل فقال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن
المخزومي يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح حدثنا محمد بن عبدون حدثنا الحسن الحياطي قال كنت عند بشر
الحافى فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم ثم ساق القصة وفي آخرها ثم قال بشر أحسن الفقراء ثلاثة فقير
لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذلك من جلة الروحانيين وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذلك توضع له موافق في
حظائر القدس وفقير يسأل وان أعطى قبل قدر الكفاية فكفارة بصدقه (فاذا اتفق كلهم على ذم
السؤال) مطابقا (وعلى انه مع الحاجة يحط المرتبة والدرجة) ثم هذا الذي يسأل لا يتخلو من أن يسأل لنفسه
أو لغيره فان سأل لغيره فهو معونة وان سأل لنفسه فلا يتخلو من أن يسأل الاقارب والاصدقاء وأساتر الناس
الأول طريق القوم والثاني حرام وقد تقدم تفصيل ذلك (قال شقيق) بن ابراهيم (البطحى) رحمه الله تعالى
(لأبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال
تركهم ان أعطوا وشكروا وان منعوا) من الاعطاء (صبروا ووطن انه لما وصلهم بترك السؤال فقد أننى
عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا ان أعطوا أو كانوا شكروا وان منعوا صبروا
(فقال له ابراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا) وعلموا ان المنع
منة من الله عليهم لئلا يشغلهم بسواه (وان أعطوا آثروا) غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا بما لاح لهم من
العطاء (فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ) هكذا سباق هذه القصة في النسخة وهو من الاصل والصواب
ان السائل هو ابراهيم والمسؤل هو شقيق وقوله فقال شقيق صوابه فقال ابراهيم وقوله فقال له ابراهيم صوابه

والدرجة قال شقيق البطحى لأبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركهم ان أعطوا وشكروا
وان منعوا صبروا ووطن انه لما وصلهم بترك السؤال قد أننى عليهم غاية الشناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له ابراهيم فكيف
الفقراء عندك يا أبا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ

فأذا درجات أرباب الاحوال في الرضا (٣١٢) والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها

وقال له شقيق بدليل قوله يا أبا اسحق فانه كنية ابراهيم وأما كنية شقيق فابو علي وقدر واه أبو نعيم في الحلية على الصواب حيث قال سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخزومي البغدادي الصوفي يقول حدثني أحمد بن محمد الخزازي عن حذيفة المرعشي قال دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم فاذا شقيق البلخي قد حج تلك السنة فاجتمعنا في شق الطواف فقال ابراهيم لشقيق على أي شيء أصليتم فقال أصلنا أصلنا على ان اذا رزقنا أصلنا واذا منعنا صبرنا فقال ابراهيم هكذا تفعل كلاب بلخ فقال له شقيق فعلا أصليتم قال أصلنا على ان اذا رزقنا آثرنا واذا منعنا شكرنا ووجدنا فقام شقيق فجلس بين يدي ابراهيم فقال يا أستاذ أنت أستاذنا ثم راجعت نسخة أخرى من الكتاب صحيحة بخط العجم فاذا فيها على الصواب كما أشرت اليه وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق حين قدم عليه فساقتها وفيه فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ وفيه فقال له شقيق فكيف الفقراء عندك يا أبا اسحق وذكر القسيري في باب الفتوة من الرسالة هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال وقيل سألت شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال ما تقول أنت فقال ان أعطينا شكريا وان منعنا صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم قال ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا وفي بعض النسخ فقال شقيق الله أعلم حيث يجعل رسالته (فأذا درجات أرباب الاحوال) من السالكين (في الرضا والصبر والشكر والسؤال) والايثار والفتوة (كثيرة) مختلفة (فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها ودواجها فانه اذا لم يعلم لم يقدر في الرقي من حضضيها الى يفاعها) أي ذرونها (ومن أسفل السافلين الى أعلى عليين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم) بنص القرآن (ثم ردا الى أسفل السافلين) بنص القرآن أيضا (ثم أمر أن يترقى الى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الترقى مطلقا وانما الشك فبين عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه) فالترقى تابع للمعرفة والتمييز (وأرباب الاحوال) في أثناء سلوكهم (قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم) في بعض الاحيان وبعض المواطنين (فان مثل هذه الاعمال) لا يطلع عليها وهي مربوطه (بالنيات) ففي الخبر انما الاعمال بالنيات (وذلك كما روي ان بعضهم رأى أبا الحسن) أحمد بن محمد (النوري) رحمه الله تعالى بغدادى المولد المنشأ بغوى الاصل وكان من أقران الجنيد وكان كبير الشأن مات سنة خمس وتسعين ومائتين (يحمده ويسأل الناس في بعض المواطن قال) الراى (فاستعظمت ذلك واستبحته) أي عددته فبحسب مثله (فايت الجنيد) رحمه الله تعالى (فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك) ولا تتعجب منه (فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم) لا يأخذ منهم فانه في غنى عن ذلك (انما سألهم ليشبههم من الآخرة فيخرجون من حيث لا يضره) قال المصنف (وكأنه) أي الجنيد (أشار) بذلك (الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اه فأت وروى الطيالسي والنسائي والبعوى وابن قانع والباوردى والطبراني والبيهقى والضياء من حديث ثعلبة ابن زهدم الحنظلي يد المعطى العليا وابدأ بمن تعول ورواه أحمد والطبراني أيضا من حديث أبي رزمة ورواه النسائي أيضا وابن حبان والحاكم من حديث طارق المحاربي ورواه أحمد أيضا من حديث رجل من بني يربوع (فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للمال لانه يعطى الثواب والقدر له لما يأخذ) وظاهر هذا يخالفه ما رواه الطبراني من حديث رافع بن خديج يد المعطى العليا ويد الآخذ السفلى الى يوم القيامة وما رواه مالك والشيخان والنسائي من حديث ابن عمر واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة الا أن يقال ان المراد بالمعطى الآخذ اذا كان من غير سؤال والآخذ بالسؤال هو الذى اقضى كون يده سفلى وهو وجهه الا أنه لا يطابق واقع حال النورى فتأمل (ثم قال الجنيد) رحمه الله تعالى (هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة) من الدراهم (فالقها على المائة) جزافا (ثم قال اجملها اليه) أي الى النورى (فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن

واختلف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضضيها الى قلاعها ومن أسفل سافلين الى أعلى عليين وقد خلق الانسان في أحسن تقويم ثم ردا الى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى الى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفلى والعلو لا يقدر على الرقي قطع وانما الشك فبين عرف ذلك فانه لا يقدر عليه موأرباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم واسكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا اسحق النورى رحمه الله يحمده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستبحته له فايت الجنيد رحمه الله فاخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان النورى لم يسأل الناس الا ليعطيهم وانما سألهم ليشبههم في الآخرة فيخرجون من حيث لا يضرهم وكانه أشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا فقال بعضهم يد المعطى هي يد الآخذ للمال لانه يعطى الثواب والقدر له لما يأخذ ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فآلقها على المائة ثم قال اجملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم واستحييت أن

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى فقال هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له أنا لأقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال
فزد تعجبي فسأله فقال الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه فوزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل
فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى (٣١٣) وقال أخذ ما له ورد ما لنا الله المستعان

فانظر الآن كيف صفت
قلوبهم وأحوالهم وكيف
خلصت الله أعمالهم حتى
كان يشاهد كل واحد منهم
قلب صاحبه من غير منطقة
باللسان، ولكن بتشاهد
القلوب وتناجي الاسرار
وذلك نفحة كل الحلال
وخلو القلب عن حب
الدنيا والاقبال على الله
تعالى بكنه الهمة في أنكر
ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل كمن يشكر مثلا كون
الدواء مسهلًا قبل شربه
ومن أنكره بعد أن طال
اجتهاده حتى بذل كنهه
مجهوده ولم يصل فانكر ذلك
لغيره كان كمن شرب المسهل
فلم يؤثر في حقه خاصة لعله
في باطنه فأخذ يشكر كون
الدواء مسهلًا وهذا وان كان
في الجهل دون الاول ولكنه
ليس خاليًا عن حفاظ
من الجهل بل البصير أحد
رجلين أمار جل سلك
الطريق فظهر له مثل ما
ظهر لهم فهو صاحب الذوق
والعرفة وقد وصل الى عين
اليقين ومار جل لم يسلك
الطريق أو سلك ولم يصل
ولكنه آمن بذلك وصدق به
فهو صاحب علم اليقين وان
لم يكن واصلا الى عين اليقين

أسأله فذهبت بالصرة الى النورى) فاستشرف (على) باطن (الامر) فقال هات الميزان فوزن مائة درهم
وقال ردها عليه وقل له أنا لأقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال) الرجل (فزد تعجبي فسأله) يعنى
النورى (فقال) أبو القاسم (الجنيد) جل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفه وزن المائة لنفسه طلبا
لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه
قال فرددتها) أى الصرة المذكورة (الى الجنيد) رحمه الله تعالى (فبكى وقال أخذ ما له ورد ما لنا والله
المستعان) أى فن كان بهذه المثابة من المعرفة والاستشراق على الخواطر كيف لا يكون السؤال مرديا في
دوجاته (فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت الله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد
قلب صاحبه من غير منطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نفحة كل الحلال وخلو
القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله بكنه الهمة) أى خالصها (فن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو
جاهل) وهو (كمن يشكر مثلا كون الدواء مسهلًا) للبعث (قبل شربه) واستعماله (ومن أنكره بعد أن
طال اجتهاده حتى بذل كنهه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة
لعله في باطنه) كالليس البالغ وتجوهر المعدة (وأخذ يشكر كون الدواء مسهلًا وهذا وان كان في الجهل دون
الاول ولكنه ليس خاليًا عن حفظ وافر من الجهل) بل ضرره أشد (بل البصير السالك أحد رجلين أمار جل
سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى) مرتبة (عين اليقين) وهو
مقام المشاهدة والكشف (وامار جل لم يسلك الطريق) رأسا فهدى الا كلام فيه (أو سلك ولم يصل) لقصوره
في جهده (ولكن آمن بذلك وصدق به) وسلم لاهله (فهذا صاحب علم اليقين) تصديقه اعطاه الدليل
بتصور الامر على ما هو عليه (وان لم يكن واصلا الى عين اليقين ولعلم اليقين أضرار تبة) بالاضافة الى ما قبله
(وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم
القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل العقول الضعيفة وتابع الشياطين فنسأل الله تعالى
أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عنده بنا وما يدكر الاولو الالباب) ولندكر ما يتعلق
بالفقر مما ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب البصائر وغيرهم تكميلا للباب وتكميلا للفوائد قال
القشيري في الرسالة الفقر شعار الاولياء وحلية الاصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقاء
والانبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسرار بين خلقه بهم بصون الخلق وبركاتهم يسطر
الرزق قال معاذ النسي ما أهلك الله قوما وان عملوا ما عولوا حتى أهانوا الفقراء وأذلواهم وقبل لولم تكن للفقر
فضيلة غير ارادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لانه يحتاج الى شرائها والغنى يحتاج الى بيعها
وهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته أن لا تستغنى الا
بالله ورسمه عدم الاسباب كلها وقال ابراهيم القصار الفقر لباس يورث الرضا اذا تحقق العبد فيه وقدم على
الاستاذ أبى على الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من رزق وعليه مسح وقلنسوة مسح
فقال له بعض أصحابنا بكم اشترى هذا المسح على وجه المطايبة فقال اشترى به بالدنيا فطلب بالآخرة فلم
أبعه سمعت الاستاذ أبى على يقول قام فقير في مجلس يطلب شيئا وقال انى جئت منذ ثلاث وكان هناك بعض
الشايع فصاح عليه قال كذبت ان الفقر سر وهو لا يضر سره عند من يحمله الى من يذيعه وقال جدون
القصار اذا اجتمع ابليس وجنوده لم يفر حواشي كفرهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤمنًا ورجل

(٤٠ - (تحاف السادة المتقين) - تاسع) ولعلم اليقين أضرار تبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين
اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وتابع الشياطين
فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عنده بنا وما يدكر الاولو الالباب

يموت على الكفر ورجل قلبه فيه خوف الفقر وقال الجنيد يا معشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكلمون
 بالله فانظروا كيف تكفون مع الله اذا خلوت به وسئل محمد بن عبد الله الفرغاني عن الافتقار الى الله اتم أم
 الاستغناء بالله فقال اذا صح الافتقار الى الله فقد صح الاستغناء بالله واذا صح الاستغناء بالله فقد كمل الغنى
 به فلا يقال أيهما أتم الافتقار أم الغنى لانهما حالتان لا يتم احدهما الا بالآخرى وسئل رويم عن ذمت
 الفقير فقال ارسل النفس في أحكام الله وقبلت الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره واداء فرضه وصيانة
 فرجه وقبل للخرازمي ما خرج عن الفقراء وفق الاغنياء فقال لثلاث خصال لان ما في أيديهم غير طيب ولانهم
 غير موفقين ولان الفقراء مرادون للبلاء وقبل أوحى الله الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء
 فساثلهم كما تسائل الاغنياء فان لم تفعل فاجعل كل شيء علمك تحت التراب وروى عن أبي الدرداء قال لان
 أقم من فوق قصر فأنحطام أحب الى من مجالسة الغنى لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم
 ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء وقبل للربيع بن خيثم قد غلا السمر فقال نحن أهون على الله
 من أن يجيعنا اغنياء يجمع أوليائه وقال ابراهيم بن أدهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى
 فاستقبلهم الفقر وقبل ليجي بن معاذ ما الفقر قال خوف الفقر قيل فما الغنى قال الامن بالله وقال ابن الكرنبي
 ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما ان الغنى ليحترز من الفقر حذرا
 ان يدخل عليه فيفسد غناه عليه وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه فقال وماذا للفقير ان يقدم به
 على ربه سوى فقره وقبل أوحى الله الى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات
 الخلق اجمع قال نعم قال عد المرص وكن لثياب الفقراء فاليابفعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر
 سبعة أيام يطوف على الفقراء يقلى ثيابهم ويعود المرضى وقال سهل خمسة أشياء من جوهر النفس فقير
 يظهر الغنى وجائع يظهر الشبع ومحزون يظهر النرح ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة
 ورجل بصوم بالنهار ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفا وقال بشر أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر الى
 العبر وقال ذو النون علامة سخط الله على العبد خوفا من الفقر وقال الشبلي أدنى علامات الفقر ان
 لو كانت الدنيا باسرها لا حداثتها في يوم ثم خطر بباله ان لو أمسك منها قوت يوم ماضى في فقره سمعت
 الاستاذ أبا علي يقول تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل وعندى ان الأفضل ان يعطى الرجل
 كفايته ثم يسان فيه وسئل ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر فقال اذا لم يبق عليه بقية منه فقيل كيف
 ذلك فقال اذا كان له فليس له واذا لم يكن له فهو له فأت وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذي
 يشير اليه القوم وهو أن يصير كماله لا يتبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه فلو بقي عليه شيء في أحكام
 نفسه ففقره مدخول فيه اه ثم قال القشيري وقيل صحة الفقر ان لا يستغنى الفقير في فقره بشئ الا ان
 اليه فقره وقال ابن المبارك اظهر الغنى في الفقر أحسن من الفقر وقال بنان المصري كنت بمكة فاعدا
 وبين يدي شاب فجاءه انسان وجلس اليه كبسا فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال لاحاجة لي فيه فقال
 فرقه على المساكين فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئا فقلت لو تركت لنفسك شيئا مما كان
 معك فقال لم أعلم اني أعيش الى هذا الوقت وقال أبو حفص أحسن ما يتواصل به العبد الى مولاه دوام
 الفقر اليه على جميع الاحوال وملازمة السنة في جميع الاعمال وطلب القوت من وجهه حلال وقال
 المرتضى ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته وقال أبو علي الروذباري كان أربعة في زمانهم واحد
 كان لا يقبل من الاخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها
 شيئا وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا وهو أبو اسحق الفزارى
 فكان ما يأخذ من الاخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان كان
 يخرج به في أهمل طرسوس والثالث كان يأخذ من الاخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك

يأخذ من الاخوان ويكافئ عليه والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن
 الحسين كان يقول السلطان لا يمن والاخوان يمنون سمعت أبا علي الدقاق يقول في الخبر من تواضع لغني
 لاجل غناه ذهب ثلثا دينه انما ذلك لان المرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه
 فلو اعتقد فخله بقلبه كما تواضع بلسانه ونفسه ذهب دينه كما وقيل أول ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء
 علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه وقيل من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا
 ومن أراد الفقر لثلايشغل عن الله تعالى مات غنيا وقال الثوري نعت الفقير السكون عند العدم والانشاء
 عند الوجود وسئل الشبلي عن حقيقة الفقير فقال أن لا يستغني بشئ دون الله وقال الجنيد اذا قيمت الفقير
 فالحق بالرفق ولا تلغى بالعلم فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فقيل وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال نعم اذا
 كان الفقير صادقا في فقره فطارحت عليه علمك ذاب كذئب الرصاص في النار وقال مظفر القرمي سبني الفقير
 هو الذي لا تكون له الى الله حاجة وكأنه يشير الى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجري الحق
 وقال ابن خفيف الفقر عدم الاملاك والخروج عن أحكام الصفات وقال أبو حفص لا يصح لاحد الفقر
 حتى يكون العطاء أحب اليه من الاحتذول ليس السخاء أن يعطى الواجد المعدم وانما السخاء أن يعطى
 المعدم الواجد وقال ابن الجلاء لو اشرف التواضع اكان حكم الفقير اذا مشى أن يتختر وقال يوسف بن
 أسباط منذ أربعين سنة ماملكت قصين وقال بعضهم رأيت كان القيامة قامت فيقال ادخلوا مالكم بن
 دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي
 انه كان له قصيص واحد ومالك بن دينار قصيصان وقال محمد السوحي الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة
 الى شئ من الاسباب وسئل سهل متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه وتذاكروا
 عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى فقال لا يوزن عند الفقر ولا الغنى وانما يوزن الصبر والشكر وقيل
 أوحى الله الى بعض الانبياء اذا أردت أن تعرف رضا عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك وقال الزقاق
 من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام النص وقال أبو بكر بن طاهر من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة
 فان كان ولا بد فلتأجو وزرغبته كفايته وسئل أبو بكر المصري عن الفقير الصابر فقال الذي لا يملك ولا يملك
 وقال ذو النون دوام الفقر الى الله مع التخليط أحب الى من دوام الصفاء مع العجب ومكث أبو جعفر الخزاز
 عشرين سنة يعمل كل يوم دينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيصدق من
 الابواب وقال محمد بن علي الكاظمي كان عندنا بركة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يدناخلنا ولا يجالسنا فوقع
 محبة في قلبي ففتح لي بمائة درهم من وجهه لئلا يملأ اليه ووضعها على طرف سجاده وقلت انه فجع لي
 ذلك من وجهه لئلا تصرفه في بعض أمورك فنظر الى شئرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة مع الله على
 الفراع بسبعين ألف دينار غير الضباع والمستغلات تريد أن تحذ عنى عنها هذه وقام وددها وقع دنت
 النقط فلأرأيت كغزه حين مر ولا كذلي حين كنت ألثقتها وقال ابن خفيف ما وجبت على زكاة الفطر
 أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام وسئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل
 مقدار كفايته ابش يقال فيه فقال مكدي كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفصمكم كلكم وسئل
 الدقي عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم فقال انحطاطهم من الحقيقة الى العلم وقال خير النساء
 دخلت بعض المساجد واذا فيه فقير فلأرأيت تعلق بي وقال أيها الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت
 وما هي فقال فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فاذا هو قد دفع عليه بشئ من الدنيا وقال أبو بكر الوراني
 طوبى للفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب الى
 هنا كلام القشيري وقال السهروردي في العوارف قال ابن الجلاء الفقير ان لا يكون لك واذا كان لك
 لا يكون لك حتى تؤثروا وقال بعضهم نعت الفقير السكون عند العدم والاضطراب عند الوجود وتقدم مثله

في قول النوري الا انه قال والبذل بذل الاضطراب وقال الدراح فثبت كفن أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحيرت فلما جاء قلت اني وجدت في كفك قطعة قال قد رأيتها ردها ثم قال خذها فاشتر بها شيئاً فقلت ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني الله تعالى من الدنيا لا صفرها ولا يبيض غيرهما فأردت أن أوصي أن تشد في كفي فأردها الى الله تعالى وقال ابراهيم الخواص الفقرر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال لا يسأل ولا يرد ولا يحبس وقال أبو علي الروذباري سألتني الزقاق فقال يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة قال قلت لانهم مستغنون بالمعطي عن إعطائهم قال نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت هات فافدني قال لانهم قوم لا ينفعهم الوجود اذاله فاقتمهم ولا تضرهم الفاقة اذاله وجودهم وقال بعضهم الفقرو قوف الحاجة على القلب ونحوها عن أسوي الرب وقال المسوحي الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تغنيه المحن وقال أبو بكر الطوسي بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجيني أحد بجواب يقنعني حتى سألت نصر بن الحناني فقال لي لانه أول منازل التوحيد ففقت بذلك وقال فارس قلت لبعض الفقراء مرة رأيت عليه أثر الجوع والضر لم لا تسأل فيطعموك فقال أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفكحون اهـ وقال صاحب البصائر الفقير له بداية ونهاية وظاهر وباطن فبدايته الذل ونهايته العز وظاهره العدم وباطنه الغنى كما قال رجل لا خير فقر ودل فقال لا بل فقر وعز فقال فقر وثرى فقال لا بل فقر وعز وعز وكرهوا ان يصيبوا من الغنى والصابر والغني الشاكر وترجع أحدهما على الآخر عند المحققين ان التفضيل لا يرجع الى ذات الفقر والغنى وإنما يرجع الى الاعمال والاحوال والحقائق فالمسألة فاسدة من أصلها وان التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الايمان لا بفقر وغنى قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ولم يقل أفقركم أو أغناكم ثم اعلم ان الفقر والغنى ابتلاء من الله للعباد فليس كل من أعطاه ووسع عليه قدأ كرمه ولا كل من ضيق عليه قدأ أهانه والالزم أن يكرم العبد بطاعته ومحبته ومعرفته وان يهان اذا سلب ذلك ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى وقال بعضهم هذه المسئلة محال أيضا من وجه آخر وهوان كلام من الغنى والفقر لا بدله من صبر وشكر فان الايمان نقصان نصف صبر ونصف شكر بل قد يكون قسط الغنى من الصبر أوفى لانه يصبر عن فدية فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز ويكون شكر الفقير أتم لان الشكر هو استفرغ الوسع في طاعته والفقر أعظم فراغا بالشكر من الغنى وكلاهما لا تقوم قائمة ايمانه الاعلى ساق الصبر والشكر نعم الذي رجع الناس اليه في المسئلة انهم ذكروا نوعان الشكر ونوعان الصبر وأخذوا في الترجيع فجدوا غنيا منقفا متصدقا باذلامه في وجوه القرب شاكر الله عليه وفقير امتفرغ الطاعة لله تعالى ولا وراد العبادات صابرا على فقره هل هو أكمل من ذلك الغنى أم بالعكس فالصواب في مثل هذا ان أكلهما أطوعهما فان تساوت طاعتهما تساوت درجاتهما والله أعلم اهـ وقال صاحب القوت قال الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم قبل على الفقر وقد سمي الله الفقراء الصابرين محسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فقال تعالى ما على المحسنين من سبيل ثم أوقع الحجة والمطالبة على الاغنياء وسميهم ظالمين ووصفهم بأوصاف النساء وجعلهم من الخلفين فقال من المغنين في الآيتين إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالب يعني النساء لان هذا جمع التأنيث وقال إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيبون في الارض بغير الحق يعني يطالب العلوق فيها ضد الفقراء الصادقين الذين قال في ذكرهم تجعلها للذين لا يريدون علوا في الاوض وقد يتحجج متوهم لفضل الاغنياء المسكين لفضول الغنى على الفقراء عنده بقوله تعالى مخبر عن الفقراء تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر لاقرآن من يدلفقراء التمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال تماما على الذي أحسن وقال ستر يد المحسنين فكان مريدهم الحزن

والاشتقاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون حتى بشرهم الله بأنهم محسنون لما قال ما على المحسنين من سبيل لانه أضافهم اليه في الوصف وعطف بهم عليه في المعنى وأيضاً فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى عدوهم بصبرهم عن الدنيا ويزم الدنيا اليهم لكن لما كان خزنهم على طلب المزيد من الفقر ايجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا ومنه فيزدادوا فقراً من الدنيا ببذل المال على فقرهم فعلى كثرة الانفاق وخيفة الفقر من الدنيا كان خزنهم فهذا افضل ثاب للفقر لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذي فضل به الفقراء من هذه الآتية عند أهل الاستنباط والدراسة هو مشاركتهم الرسول في حاله ووصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم من قوله تعالى قلت لا أجد ما أحل لكم عليه ثم نعمهم بمثله لانهم هم الامثل فالمثل به فقال تعالى أن لا يجحدوا ما ينفقون فمن كان برؤس الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو الافضل وجعل ابن مسعود الفقر حقيقة الايمان أو عبر عن ذروة الايمان فقال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحمل بذروته ولا يحمل بذروته حتى يكون الفقراً أحب اليه من الغنى والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وأما وهب بن منبه فانه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول ما من شيء الا وهو مطروح في الخزانة الا الفقر مع المعرفة فانه مخزون مخنوم عليه لا يعطاه الا من طبع بطابع الشهادة وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى

*) الشطر الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاناث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد وذلك في فصول خمسة مرتبة

*) (بيان حقيقة الزهد)

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين) وهو السادس من مقامات اليقين على مراتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر منها وانما ذكره في ضمن مقام الزهد ونحن قلناه في سابقه واما السهروردي وشيخ الاسلام الهروي وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جهة مقامات الدين وهي مائة مقام في سياق منازل السائرين (وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات) المذكورة والآتية (لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل) فالحق يرجع الى القلب والقول يرجع الى اللسان والعمل يرجع الى الجوارح (وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القول مراد العينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلا ما ولم يسم ايمانا) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وأتته والحال ما ينشأ عنه من الواجبات والعمل هو ما تنشئه الواجبات على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمر والعمل من الحال) يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به (هنا ما يسمى زهدا وهو) الآلة التي لا يستغنى عنها عابد ولا عارف لان الدنيا عدوة محبوبة اما كونها عدوة فلانها قاطعة شاغلة واما كونها محبوبة فلان أصل الحياة وكما لها لا يتأتى الا بها وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة وكما الحياة بالتعميم هو القاطع ان كان محظورا او الشاغل ان كان مباحا واما الزهد فلا يتعلق بالترك المباح وترك المباح منوط بثلاثة آفات الآفة الاولى أن الانهماك فيه يحمل على ترك الواجبات وفعل المحظورات ولا يدرك على فعل الواجبات وترك المحظورات والابتعاد فيقول الشهوات المباحات الآفة الثانية اعتماد النفس والفهامة فيشق عليها مفارقتها والمفارقة للدنيا ضرورة الآفة الثالثة الاشتغال به عن معرفة الله التي ما خلقت الا لاجلها والقلب لا يتسع لحالين اما اقبال على الدنيا أو على الآخرة أو على الله تعالى فاذا عرفت هذا عرفت أن الزهد في الدنيا ضرورة السالك فاما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى لعلمكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وقال ما عندكم ينفذ وما عند الله باق

*) (الشطر الثاني من الكتاب في الزهد) وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والاناث وضرورات المعيشة وبيان علامة الزهد

*) (بيان حقيقة الزهد)

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لان أبواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والافليس القول مراد العينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلا ما ولم يسم ايمانا) فالعلم هو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله وأتته والحال ما ينشأ عنه من الواجبات والعمل هو ما تنشئه الواجبات على القلوب والجوارح من الاعمال (والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى الثمر والعمل من الحال) يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل أما الحال فنعني به (هنا ما يسمى زهدا وهو)

عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فالتماثل عدل عن طرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فخاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وجبا فاذا استندى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من (٣١٨) المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون هو ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن

فقد عرفك طريق الفكر في الآيات الاولى وهو ان تنظر الى فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتى كأنهم لم تكن وفي بقاء الآخرة وثباتها حتى كأنهم لم تزل مع ما اشتملت عليه الدنيا من الحساسة والقذارة والمكابدة ومحاصرة الشركاء وكذلك ما اشتملت عليه الآخرة من النفاسة والهباء وعدم الاوقات والامان بهاتين المعرفتين واجب لانهما من عقود الايمان بالله فاذا أضفت المعرفة بالآخرة الى المعرفة بالدنيا وكانت ارادتك مائلة الى الدنيا انصرفت ارادتك من الدنيا الى الآخرة فحينئذ تعرف حقيقة الزهد بالذوق ان كنت مصدقها بربها أو تقليدا لحقيقة الزهد انصراف الارادة عن الدنيا حقارة لاستعظام ما عين من نفاسة الآخرة واليه أشار المصنف بقوله وهو (عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فالتماثل عدل عن طرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته في غيره فخاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وجبا فاذا استندى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه) فهذا شرط المرغوب فيه (وشرط المرغوب عنه أن يكون هو ايضا مرغوبا فيه) ولو (بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا) هو (في نفسه لا يسمى زهدا) في الحقيقة (اذ تارك الحجر والتراب والحشرات) وما أشبه ذلك من المحقرات (لا يسمى زهدا وانما يسمى زهدا من ترك الدراهم والدنانير لان) الدراهم والدنانير مطلوبة في نفسها و (الحجر والتراب ليسا في مظنة الرغبة) اليهما (وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة) وانما قال عنده لانه اذا كان في نفس الامر خيرا منه الا انه ليس عنده ذلك فلا تغلب رغبته فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لاجل غلبته رغبته (فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة وجبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع) فيقولون شريت بمعنى بعت كما يقولون ابتعت بمعنى اشتريت وهم امن الاضرار (ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا ان يخلوهم وجه أبيهم) منه (وكان ذلك عندهم أحب من يوسف فباعوه طمعا في العوض) فلما باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين (فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة) هذا ما تقتضيه اللغة (ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهدين بزهد في الدنيا كما خص اسم الاخادعين بعمل الى الباطل خاصة وان كان هو الليل في وضع اللسان) العربي وكذا تخصيص اسم الخفيف بمن يعمل الى الحق وان كان في أصل اللسان بمعنى الميل أيضا (ولما كان الزهد) عبارة عن (رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو أحب منه والافتراء المحبوب بغير الاحب محال) وهذا يفارق الفقرفان حقيقة الفقر الفقد والاحتياج (والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس) وحتى نسيم الاسمار (ولا يجب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق) وهذا أعلى المراتب (والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والقوا كه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي

رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زهدا اذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زهدا وانما يسمى زهدا من ترك الدراهم والدنانير لان الترابط والحجر ليسا في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبائع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده خيرا من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض عنه رغبة فيه وجبا ولذلك قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا أن يخلوهم وجه أبيهم وكان ذلك عندهم أحب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذا كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما

خصص اسم الاخادعين بعمل الى الباطل خاصة وان كان هو الليل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجله لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو أحب منه والافتراء المحبوب بغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يجب الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والقوا كه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي

ترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجته من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زاهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة عبارة (٢١٩) عن ترك المحظورات والزهد عبارة

عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا الى الآخرة أو عن غير الله تعالى وهي الدرجة العليا في مراتب الزهد) وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده (لغالب رغبته) فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وهذا يفارق الفقر (فان ترك ما لا يقدر عليه محال) فان قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة الى التمتع بمشاهدة الله تعالى فان نعيم الجنة غير مقدور عليه فاقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذه سائر البدن من ما كول ومشروب وملبوس ومشهور ومموج ومنكوح فلا تختلف الذات الحسية في أصل ذلك انما الاختلاف في كمال اللذة لان قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال اللذة فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقل فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة انما يختلف في كمالها لان اللذة بتعظيم العظم عظمه فلما ذاق العارفون في الدنيا لذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذاقوا لذة معرفة الله تعالى عطا لذة جماله وكلامه واستغروهم ذلك في وقت الانس بمحاسنه وموادته ومصافاته استحقروا عند اللذة بهذه المعرفة جميع لذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة الى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل الابهيمة لم يخلق لها الادراك الانساني (و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فانكر على القائل (فقال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق ان يسمى زاهدا (اذ جاءته الدنيا رغبة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيم اذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتردها فاما أنا في أي شيء زهدت اه فهذا ما يتعلق بالحال بقى الكلام على طريقه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو ثمرة هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجران العوض خيرا من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان زول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان) ما عندكم ينفد (ما عند الله باق وان الآخرة خير وأبقى لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة الى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق اشارة حسنة حيث أضاف الدنيا البنا ليدلنا على ان أهل الغنى لا يزهدوا فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة الى الآخرة الاعلى ليعزنا بها ويشرفنا بها لانه أهل البقاء نخسبهم أهلها اذ منحها البقاء والايمان بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل لذات الآخرة مثلا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) والادنى (خيرا من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والادنى فهكذا امثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وافتنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجميل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجته من يتوب عن بعض المعاصي دون البعض في التائبين وهو زاهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة (فان التوبة عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات فاذا الزهد (أي الزهد) بترك المباحات فاذا الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا) واعراضه عنها (عدولا الى الآخرة أو) عن رغبته (عن غير الله تعالى عدولا الى الله وهي الدرجة العليا) في مراتب الزهد) وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيرا عنده (لغالب رغبته) فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه) وهذا يفارق الفقر (فان ترك ما لا يقدر عليه محال) فان قلت هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة الى التمتع بمشاهدة الله تعالى فان نعيم الجنة غير مقدور عليه فاقول نعيم الجنة ضربان حسي وعقلي فالحسي ما يتلذذه سائر البدن من ما كول ومشروب وملبوس ومشهور ومموج ومنكوح فلا تختلف الذات الحسية في أصل ذلك انما الاختلاف في كمال اللذة لان قوة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال اللذة فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا وأما العقل فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضا موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضا فلا يختلف أيضا في أصل اللذة انما يختلف في كمالها لان اللذة بتعظيم العظم عظمه فلما ذاق العارفون في الدنيا لذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذاقوا لذة معرفة الله تعالى عطا لذة جماله وكلامه واستغروهم ذلك في وقت الانس بمحاسنه وموادته ومصافاته استحقروا عند اللذة بهذه المعرفة جميع لذات العقلية والحسية وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة الى اللذة العقلية كنسبة الحسية ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل الابهيمة لم يخلق لها الادراك الانساني (و بالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى (يا زاهد) فانكر على القائل (فقال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز) أي هو حقيق ان يسمى زاهدا (اذ جاءته الدنيا رغبة) أي صاغرة ذليلة (فتركها) وزهد عنها (وأما أنا ففيم اذا زهدت) ولفظ القوت وقد كان مالك بن دينار يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتردها فاما أنا في أي شيء زهدت اه فهذا ما يتعلق بالحال بقى الكلام على طريقه العلم والعمل فقال (وأما العلم الذي هو ثمرة هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ) وهذا (كعلم التاجران العوض خيرا من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان زول الرغبة عن المبيع فكذلك من عرف ان) ما عندكم ينفد (ما عند الله باق وان الآخرة خير وأبقى لذاتها خير في أنفسها وأبقى) بالاضافة الى لذات الدنيا وفي قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق اشارة حسنة حيث أضاف الدنيا البنا ليدلنا على ان أهل الغنى لا يزهدوا فيها زهدنا في أنفسنا الامارة بالسوء وأضاف الآخرة الى الآخرة الاعلى ليعزنا بها ويشرفنا بها لانه أهل البقاء نخسبهم أهلها اذ منحها البقاء والايمان بهذه المعرفة واجب لانه من عقود الايمان بالله ثم مثل لذات الآخرة مثلا في عالم الملك فقال (كما تكون الجواهر) والادنى (خيرا من الثلج مثلا وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والادنى فهكذا امثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة) بخساسة الدنيا وقذارتها وافتنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (تقوى

خبر أو أبقى من الثلج مثلا ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر والادنى فهكذا امثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجواهر الذي لا فناء له فيقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى

الرغبة في البيع والمعاملة حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فلما اشترى الله تعالى عبداً باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين وهذا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المادى فاذا كان العوض واحداً والجنة ذكراً للمعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله عز وجل بمعنى النهى عن الهوى فيهما الذى هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه اعنى المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا اذ ليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لانه نهاية الخير فصار نهياً لها عن الهوى الذى هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا سوء كله فن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرهابها بالسوء واذالم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعاً واذالم يبيعها لم تكن مشترية (ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فن باع حياة نفسه وفرق بمجموع ماله فاشترى المولى الكريم منه فعوضه داره واسكنه عنده في جواره فقد ربح بصفقته واهتدى بسبيله فاجابن الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التي هي الهوى ولدخول اليقين على ايمان التصديق (فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وأبقى) وصفها بالخيرية لبعائهم في المال ونسخها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال والله خير وأبقى فاذا شهد العبد بيمين قلبه ويقين ايمانه ما صدق به ما علمه بفهم سمعه وادراك خبره ان ما يفتنى آخوه كانه لم يكن وما يفتنى آخوه كانه لم يزل كان من المتفكرين في مثل هذه الآسى المشاهدين لها كما قال تعالى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة (وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان واما لاغتراره بجوارحه الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى حين (الى أن يختطفه الموت ولا يبقى الا الحسرة بعد الفوت) ومن دامت غفلته عظمت في الآخرة حسرته ونحسارته ألم تسمع الى قوله تعالى اولئك هم الغافلون لاجرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون مع قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة فهذه صفات الجاهلين وأحلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجود عدم اليقين ومعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم فن دخل في بعض مدارخلهم ووقع به التهديد والوعيد والخوف الشديد لهم في قوله مخبر عنهم من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآخرة وقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بالذين هم عن آياتنا غافلون فما أعظم حسرة الفوت على من خسرها ربحه الزاهدون بعد الموت (والى تعريف حساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل) والآخرة خير لمن اتقى والمعاد بالدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى تخبر عنهم وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا اخرتنا الى أجل قريب فالتقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشى بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقتننا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فأنكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون في سبيله صفاء كآتهم بنيان مرصوص فعند هاريج الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون (والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل) اذ وصف فارون فخرج على قومه الى قوله (وقال الذين أوتوا العلم) فجعل أهل الزهد علماء (ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون (فتبين على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاضة ورغبة عن محبوب عن أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أراها فان الله لا يراها كما تراها) (ولكن قل) اللهم (أرني الدنيا كما أراها الصالحين من عبادك) ولفظ

حتى ان من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ثم بين أن صفقتهم رابحة فقال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به فليس يحتاج من العلم في الزهد الا الى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان واما لاغتراره بجوارحه الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف حساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فبينه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغوب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاضة ورغبة عن محبوب في أحب منه قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أراها الصالحين من عبادك

وهـ لان الله تعالى براها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلالة حقير والعبد براها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الارض مثلالانه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى السك في درجة واحدة بالاضافة الى جلالة (٢٢١) و يراه متفاوياً بالاضافة الى غيره والزاهد

هـ والذى يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره * وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحدة لانه يبيع ومعاملة واستبدال الذى هو خير بالذى هو أدنى فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلمة وهى الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب جهاد يدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين فى الاخذ والترك فليس يبيعه الذى يبيع به فان الذى يبيع به هذا المبيع وفى بالعهدهدفن سلم حاضراً فى غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى فى طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه وبالعهده ومادام ممسكاً بالدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف (بالزهد فى بنيامين) وهو أخو يوسف لانه قد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم فى يوسف لانه كان نظيره عند أبيه (وان كانوا قد) هموا بالزهد فيه أيضاً لخل لهم وجه أبيهم منهم ما لم يسمع الى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابعادهم كما عزموا على يوسف فقد جاء فى الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أحاهم معه فى الحب حين ألقى نفسه عليه (حتى تشفع فيه أحدهم) وهو يهودا تشفع فيه ورجه ومنعه وكان شديداً بينهم منيعاً مهيأ بهم وقد قيل فى السيران أحاهم الا كبير روييل هو استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه ساقية وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه اياهما معافوه وبهواه ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه وكانوا فيه مامن الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد فى يوسف اذ لم يخرجوه من أيديهم (ولا وصفهم أيضاً بالزهد فى يوسف عند العزم على اخراجه) من الحب (بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج) فاذا كان

القوت كما براها الصالح من عبادك وقال العراقى ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك ولم يخرج له ولده (وهذا لان الله تعالى براها حقيرة كما هي) ولذلك لم ينفار اليها منذ خلقها لحقارتها كما ورد ذلك فى الخبر وتقدم فى ذم الدنيا (وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلالة) وكبريائه وعظمته (حقير والعبد براها حقيرة فى حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض مثلالانه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى السك في درجة واحدة بالاضافة الى جلالة و يراه متفاوياً بالاضافة الى غيره) وفى نسخة و يراه متفاوياً بالاضافة الى غيره (والزاهد هو الذى يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره) وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنى آخر فقال واطهار سر المكون معصية اذ الله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه فسيحان من خص الشاهدين الذين عنده فى طلبه بمعنى من شهادته كما أعطاهم حيلة بشئ من علمه فأحاط علمهم بما شاء وأحاط لهم ما شاء ولذلك قال صاحب السر الذى عنده حقيقة الخبر لرجل الذى قال اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال لا تقل ثم ساق الحديث ثم قال فهذا على نحو ما أمر الآخر به اذ قال له أوصنى قال استحي من الله كما تستحي من رجل صالح فهذا الذى يمكنه معرفته اذ كان حقيقة الحق ممنوعة وكنه صفاته الموجهة للعباء وغيره مخفية فرده الى ما يعلم وخاطبه بما يعقل اه هذا ما يتعلق بأحد طرفي الحال وهو العلم ثم شرع فى بيان الطرف الثانى الذى هو العمل فقال (وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحدة لانه يبيع ومعاملة واستبدال الذى هو خير بالذى هو أدنى) هو تذكير الدين من الدناءة وهى الخساسة (فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهد فيه بالكلمة وهى الدنيا بأسرها) أى بنماها (مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها فيخرج من القلب جهاد يدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين فى الاخذ والترك فليس يبيعه الذى يبيع به فان الذى يبيع به هذا المبيع وفى بالعهدهدفن سلم حاضراً فى غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى فى طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد من يوثق بصدقه وقدرته ووفائه وبالعهده ومادام ممسكاً بالدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله اخوة يوسف (بالزهد فى بنيامين) وهو أخو يوسف لانه قد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم فى يوسف لانه كان نظيره عند أبيه (وان كانوا قد) هموا بالزهد فيه أيضاً لخل لهم وجه أبيهم منهم ما لم يسمع الى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابعادهم كما عزموا على يوسف فقد جاء فى الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أحاهم معه فى الحب حين ألقى نفسه عليه (حتى تشفع فيه أحدهم) وهو يهودا تشفع فيه ورجه ومنعه وكان شديداً بينهم منيعاً مهيأ بهم وقد قيل فى السيران أحاهم الا كبير روييل هو استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه ساقية وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه اياهما معافوه وبهواه ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وعزمهم عليه وكانوا فيه مامن الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد فى يوسف اذ لم يخرجوه من أيديهم (ولا وصفهم أيضاً بالزهد فى يوسف عند العزم على اخراجه) من الحب (بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج) فاذا كان

(٤١ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد فى بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وعزموا على ابعادهم كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك ولا وصفهم أيضاً بالزهد فى يوسف عند العزم على اخراجه بل عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج

فان أخرجت عن اليد بعض الدينادون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر (٣٢٢) على تركه وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك أن الدنيا وان لم تاتك

الشيء موجود عندك وأنت تمسكه لنفسك ثم قوهمت انك زاهد فيه لخواطر الارادة أو لارادة الزهادة فقد كذبت على نفسك بتسميتك اياها زاهدا (فان أخرجت عن يدك بعض الدينادون البعض فانت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد) فان زهدك فيما لا تملك غير جائز وكذا الزهد في معدوم باطل وكان التصرف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصح زهدك فيه (لان ما لا تقدر عليه لا تقدر على تركه) ولعله لو كان موجودا تغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يوهم ويشبه والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة (وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل اليك ان الدنيا وان لم تاتك فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجعل غروره دون أن تستوثق أو تستظهر بموثق غليظ من الله تعالى فانك اذ لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها) لان للنفس بدوات لما أطبعت عليه من الشهوات والمال والتقلبات وحب المتعة بالموجود وادخار المحصول فلا تجعل ظنا معدوما كيقين موجود (فكم من طان بنفسه كراهة المعاصي وبغضها عند تعذرها) أو تعذر أسبابها (فاذا تبسرت له أسبابها من غير) مانع (مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذ كان غرور النفس في المحظورات) التي الترتك عنها عبارة عن التوبة (فاياك أن تثق بوعدها في المباحات) الذي الترتك عنها عبارة عن الزهد ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه وهو ان لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقدته وتكون معتبطا بعدمك مسرورا بفقدك يعلم الله من غيبك ويطالع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك لان قلبك قانع بالله راض به عن الله بما لك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا فكان لك باحده هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر (والموثق الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف) أي الموانع (والاعذار ظاهرا وباطنا) وتلك الاعذار تختلف باختلاف الاشخاص والازمان (فلا بأس ان تثق بها وثوقا تاما) أي أدنى وثوق (ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سرية النقص للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع) فانها أطبعت على الشهوات والمال والتقلبات (وبالجمله فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى (هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سني الحفظ جد امان سنة ثمان وأربعين روى له أصحاب السنن (ابن شبرمة) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين روى له البخاري في صحيحه تلميذا ومسلما وأبو داود والنسائي وابن ماجه (الآثرى الى هذا ابن الحائك لانفتي في مسألة الارد عليا يعني أبا حنيفة) الامام رحمه الله تعالى (فقال ابن شبرمة لأدري أهو ابن الحائك أم ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت) أي صارت (اليه فهر بـ منها) كأنه يعني القضاء (وهربت منا فطلبناها) فان كلا منهما ما تولى قضاء الكوفة واماها الامام وضرب وامتنح لذلك واقعد انصف ابن شبرمة في جوابه وأما ابن أبي ليلى فكان يحسد الامام دائمًا يعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام سماح الله عن الجميع وجعلهم اخوانا على سر ومقابلين (ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا ولو علمنا في أي شيء يحببناه لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولوانا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود

فانت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بجعل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله فانك اذ لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من طان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تبسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها واذ كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك أن تثق بوعدها في المباحات والموانع الغليظ الذي تاخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا وثوقا تاما ولكن تكون من تغيرها أيضا على حذر فانها سرية النقص للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجمله فلا أمان منها الا عند الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن أبي ليلى (ابن شبرمة) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الانصاري الكوفي القاضي أبو عبد الرحمن صدوق سني الحفظ جد امان سنة ثمان وأربعين روى له أصحاب السنن (ابن شبرمة) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة أربع وأربعين روى له البخاري في صحيحه تلميذا ومسلما وأبو داود والنسائي وابن ماجه (الآثرى الى هذا ابن الحائك لانفتي في مسألة الارد عليا يعني أبا حنيفة) الامام رحمه الله تعالى (فقال ابن شبرمة لأدري أهو ابن الحائك أم ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت) أي صارت (اليه فهر بـ منها) كأنه يعني القضاء (وهربت منا فطلبناها) فان كلا منهما ما تولى قضاء الكوفة واماها الامام وضرب وامتنح لذلك واقعد انصف ابن شبرمة في جوابه وأما ابن أبي ليلى فكان يحسد الامام دائمًا يعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام سماح الله عن الجميع وجعلهم اخوانا على سر ومقابلين (ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا ولو علمنا في أي شيء يحببناه لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولوانا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود

منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما تحبب بنا ولو علمنا في أي شيء يحببناه لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ولوانا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود رحمه الله

رضي الله عنه (قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل) قال العراقي لم أقفله على أصل
 اه قات سياق هذه العبارة في القوت قال وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد في البقاء ومظنوناً بهم
 حب الباقي الاعلى حتى نزلت ألم ترالى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب
 عليهم القتال اذ افرق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية وحتى نزل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا
 تنفعون كانوا قالوا انما نخبر بنا ولو علمنا في أي شيء نجبت له علمناه فلذلك قال كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا
 تنفعون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وكذلك قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حين نزلت ولولا ان كتبنا عليهم ان يقتلوا أنفسهم أو يخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال
 ابن مسعود قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فأنت منهم أي من القليل الذي كان يفعل ذلك اه ففي
 سياق المصنف سقط ظاهر بيينه سياق القوت ولذلك قال العراقي لم أقفله على أصل أي لأصل لهذه القصة
 في نزول قوله تعالى ولولا ان كتبنا عليهم الآية وسياق صاحب القوت صحيح فرى ابن المنذر وابن أبي حاتم
 وابن مردويه عن ابن عباس قال كان ناس من المؤمنين قبل ان يفرض الجهاد يقولون لوددنا ان الله دلنا على
 أحب الاعمال ففعل به فاحسب الله نبيه ان أحب الاعمال ايمان بالله لا سلك فيه وجهاد أهل معصيته الذين
 خالفوا الايمان ولم يقر به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فأنزل الله تعالى يا أيها
 الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط
 قال كان عبد الله بن ربيعة واحدة مع نفر من أصحابه يذكرون الله تعالى فيفسحوا الذكر واشتاقوا فقالوا لو تعلم الذي
 هو أحب اليك فعلناه فأنزل الله تعالى هذه الآية الى قوله مرصوص فلما كان يوم موته وكان ابن ربيعة أحد
 الامراء نادى في القوم يا أهل المجلس الذين وعدتم بكم قولكم لو تعلم الذي هو أحب اليك فعلنا ثم تقدم
 فقاتل حتى قتل وروى عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية عند قولهم والله لو
 تعلم أحب الاعمال لفعلناه فدلهم على أحب الاعمال اليه وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا لو كان تعلم
 أحب الاعمال الى الله فنزلت هذه الآية وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال نزلت في نفر من
 الانصار منهم عبد الله بن ربيعة واحدة قالوا في مجلس لهم لو تعلم أي عمل أحب الى الله لعلمناه حتى غوت فقال ابن
 ربيعة لا أبرح حبساً حتى أموت فقتل شهيداً ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه وروى ابن أبي
 حاتم عن مقاتل قال قال المؤمنون لو تعلم أحب الاعمال الى الله لعلمناه فدلهم على أحب الاعمال فقال ان
 الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً فيهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين
 فأنزل الله تعالى في ذلك يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (وقال ابن مسعود أيضاً) ما عرفت ان
 فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة (ولفظ القوت
 ما أحسب ان فينا أحداً يريد الدنيا حتى نزلت وقال العراقي واه البهق في الدلائل باسناد حسن) واعلم
 انه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والجود والفتوة (وعلى سبيل استمالة القلوب ولا
 على سبيل الطمع فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وانما الزهد ان تترك
 الدنيا لعلك بحقايرها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك فانه يتصور من لا يعرف بالآخرة
 فذلك قد يكون مروعة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهداً (والثناء والطيب
 (وميل القلوب) اليه بالمحبة (من حظوظ العاجلة) أي الدنيا (وهي ألدواهن من المال وكان ترك المال
 على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة
 والسخاء) والبذل (واستئقالاته) لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلطين
 والاغنياء ليس من الزهد أصلاً بل هو استعجال حظ آخر لنفسه في الدنيا ولفظ القوت من جاد بما له الله
 كان زهداً فيه لوجه الله ووقع أجره على الله ومن جاد بما له لاجل الناس كان أيضاً زهداً في ذلك وصوفاً

قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم يعني من القليل
 قال وما عرفت أن فينا من
 يحب الدنيا حتى نزل قوله
 تعالى منكم من يريد الدنيا
 ومنكم من يريد الآخرة
 واعلم انه ليس من الزهد
 ترك المال وبذله على سبيل
 السخاء والفتوة وعلى سبيل
 استمالة القلوب وعلى سبيل
 الطمع فذلك كله من
 محاسن العادات ولكن
 لا مدخل لشيء منه في
 العبادات وانما الزهد ان
 تترك الدنيا لعلك بحقايرها
 بالاضافة الى نفاسة الآخرة
 فاما كل نوع من الترك فانه
 يتصور من لا يعرف بالآخرة
 فذلك قد يكون مروعة
 وفتوة وسخاء وحسن خلق
 ولكن لا يكون زهداً اذ
 حسن الذكر وميل القلوب
 من حظوظ العاجلة وهي
 ألدواهن من المال وكان
 ترك المال على سبيل السلم
 طمعاً في العوض ليس من
 الزهد فكذلك تركه طمعاً
 في الذكر والثناء والاشتهار
 بالفتوة والسخاء والحاجة الى
 التذلل للسلطين والاغنياء
 ليس من الزهد أصلاً بل هو
 استعجال حظ آخر لنفسه

بل الزاهد من أتته الدنيا
راغبة صفوا عفا وهو قادر
على التمتع بهم من غير نزع
جاء وقبح اسم ولا فوات حظ
لأنفس فتركها خوفا من
أن يأنس بها فيكون آتسا
بغير الله وبجانب ما سوى الله
ويكون مشركا في حب الله
تعالى غيره أو تركها طمعا
في ثواب الله في الآخرة فترك
التمتع بأثر به الدنيا طمعا
في أشربة الجنة وترك التمتع
بالسراري والنسوان طمعا
في الحور والعين وترك
التفرج في البساتين طمعا
في بساتين الجنة وأشجارها
 وترك التزين والتجمل بزينة
الدنيا طمعا في زينة الجنة
 وترك المطاعم اللذيذة طمعا
في فواكه الجنة وخوفامن
أن يقال له أذهبتم طبيعتكم
في حياتكم الدنيا فأتري
جميع ذلك ما وعد به في الجنة
على ما تبسر له في الدنيا عفا
صفوا العلم بان ما في الآخرة
خير وأبقى وأنما سوى هذا
فمسايلات دنيوية لا
جدوى لها في الآخرة أصلا
(بيان فضيلة الزهد)
قال الله تعالى فخرج على
قومه في زينته إلى قوله تعالى
وقال الذين أوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير بان
آمن فنسب الزهد إلى العلماء
ووصف أهله بالعلم وهو غاية
الثناء وقال تعالى أولئك
يؤتون أجرهم مرتين بما
صبروا جاء في التفسير على
الزهد في الدنيا

بالسخاء وإن كان ذلك لنفسه ولاجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوة ولا أجله إذ لم يكن من
عمال الله فبطل أجره لانه عمل لاجل نفسه لا لوجه ربه وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضا له من حرث
الآخرة لان هذا حرث الدنيا فلم يكن له في الآخرة أضعاف كثيرة وهذا هو الراجح الذي أرى في أموال
الناس لانه عمل لاجل الناس ففنى نصيبه مما كسب وذهب خلاقه في الآخرة إذ لم يحتسبه لفناء الدنيا
وأهلها لانه عمل لاجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم والباقيات الصالحات ما يراد به الباقي
يبقى ببقائه لصالحى أولياته وكان ابن مالك يقول ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقا إلا في شيء وأنه ما حظرت
القراءة شيئا إلا فحتمه الفتوة وإنما يفترقان في أن القراءة يراد بها وجه الله والفتوة يراد بها وجه الناس
ومدحهم وقد كان أستاذنا سفيان الثوري يقول من لم يحسن يتقنى لم يحسن يتقنى أى من لم يعرف أحكام
التقنى فيقوم به ويصبر عليه ويراعى حسن الادب فيه حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقوى ولم
يقم بحسن الرعاية فيه حتى يوصف بأنه قارئ (بل الزاهد من أتته الدنيا راغبة صفوا عفا وهو قادر على
التمتع بهم من غير) مانع من (نقصان جاء وقبح اسم) بسببها (ولافوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن
يأنس بها) ويحبها (فيكون آتسا بغير الله وبجانب ما سوى الله) ويكون مشركا في حب الله غيره أو تركها
طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأثر به الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري
والنسوان طمعا في الحور والعين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك
التجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفامن أن يقال له
أذهبتم طبيعتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فأتري جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تبسر له في الدنيا
عفا صفوا) من غير تعب (العلم بان ما في الآخرة خير وأبقى) وما يفنى آخره كانه لم يكن وما يبقى آخره
كانه لم يزل (وانما سوى هذا فمسايلات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا) والله الموفق *(تنبيه)*
اعلم ان الزهد على قسمين مراد لذاته وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن عين الشهود وهو
من عقود الايمان بالله لتعلقه بالجلال والكمال ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة وكلما ازدادت تركا
للدنيا ازدادت بالله معرفة والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يبحث على الفراغ لارقات الواجبات وهو
لعمري سبب لا قامة الاخلاص الذي هو شرط في صحة العبادات فلا يقدر على ترك جملة من الشرور والظواهر
والباطنة إلا بترك الدنيا إلا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لاجل نفسه والمباحات منهى عنها لادائها
إلى ما ذكرنا في الغالب ومن أهل التمكن من يعطى قوة تدبر بها العلمين ولا يشغله شيء عن الله ففهم من وصل
إلى هذا المقام الشريف بالكسب والاجتهاد وهو المسمى مریدا ومنهم من وصل إليه بنفسه نفع الرحمة
في كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الامر بغير مدافع ولا منازع وهو المسمى عند القوم مرادا
وكل منهما مراد إلا أن هذا مراد بوسائل كثيرة وهذا مراد بغير واسطة وقد أخبر الله عن كلا الحالين
فقال الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وينبغي ان يجري بينهما الخلاف الجارى في التفاضل
بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقى هذا اذا اتحدت المعرفتان فان اختلفتا كانت
الفضيلة على حسب المعرفة فافهم والله أعلم

(قال الله تعالى) اذ وصف قارون (فخرج على قوم في زينته) من خيول وبغال وعلمان عليها ربة حسنة من
أصفر وأحمر وأخضر (إلى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير) لمن آمن وعمل صالحا
ولا يلقاها إلا الصابرون (فنسب الزهد إلى العلماء) أى سماهم كذلك لخصوصهم وشرط له الصبر (ووصف
أهله بالعلم) اذ جاء في التفسير ان المراد بهم الزاهدون في الدنيا (وهو غاية الثناء) ونهاية المدح وهذه الآية
كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين (وقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير)
صبروا (على الزهد في الدنيا) وقال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم بما صبرتم قبل

قال عز وجل اناجعلنا ما على

الارض زينة لها لنبلوهم
أهم أحسن علقا قلى معناه
أهم أزهدهم أوصف الزهد
بانه من أحسن الاعمال
وقال تعالى من كان يريد
حرف الآخرة نزله في حرفه
ومن كان يريد حرف الدنيا
نوته منها وما له في الآخرة
من نصيب وقال تعالى ولا
تعدن عينك الى ما تمنياه
أزواجهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك
خير وأبقى وقال تعالى الذين
يستحبون الحياة الدنيا على
الآخرة فوصف الكفار
بذلك ففهموه أن المؤمن
هو الذي يتصف بنقيضه
وهو أن يستحب الآخرة
على الحياة الدنيا * (وأما
الاخبار) * فصار دمنها
في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا
بعضها في كتاب ذم الدنيا
من ربح المهلكات اذبح
الدنيا من المهلكات ونحن
الاثن نقصر على فضيلة
بعض الدنيا فانه من المنجيات
وهو المعنى بالزهد وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصبح وهمه الدنيا شئت
الله عليه أمره وفرق عليه
ضعفته وجعل فقره بين عينيه
ولم ياته من الدنيا الا ما كتب
له ومن أصبح وهمه الآخرة
جمع الله له همه وحفظ عليه
ضعفته وجعل غناه في قلبه
وأنته الدنيا وهي راحة
وقال صلى الله عليه وسلم اذا

على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال
الذين أوثوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أى عن
زينة الدنيا التي خرج فيها من وعظه الزاهدون الصابرون عنها قال في مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم
مرتين بمصابروا فقد حصل للزاهد أمران بصره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على
الغنى لو جود فقره وعدم زهده فلحق بمقام الخوف الذي أعطى به الخائف جنتين بفضل الأخرى على
مقام الرجا اذا الخوف مقتضى العلم بالله لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك قال عيسى عليه
السلام خشية الله وحجب الفردوس بيباعدان عن زهرة الدنيا بورثان الصبر على المشقة فجعل الخشية لله
تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا بورثانه وبسهلان الصبر على شداها يشار المحبة لله على محبة
نفوسهم فيها وخيفة من الله ان يحاسبهم على التكاثر منها (وقال عز وجل اناجعلنا ما على الارض) من
المعادن والجواهر والنبات (زينة لها لنبلوهم أهم أحسن علقا قلى معناه أهم أزهدهم فيها) رواه ابن أبي
حاتم عن سفيان الثوري ورواه عن الحسن فقال أهم أشد تركا للدنيا (فوصف الزهد بانه من أحسن
الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرف الآخرة نزله في حرفه ومن كان يريد حرف الدنيا نوته منها وما له
في الآخرة من نصيب) معنى نزله في حرفه أى لانحاسبه بما نعطيه منها بعد ان لا يدها وان لا يكون
من همه فساد دخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة فهذا مجاز الدنيا لان الرزق لا يزد فيه ذرة
على ما قسم له أول مرة فجعل ذلك له مجازا على زهده فيها وحري بحري المكافاة لخروج همه منها
(وقال تعالى ولا تعدن عينك الى ما تمنياه أزواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير
وأبقى) فأمره بان لا يمد عينه الى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد ووصف رزق الآخرة بما وصف به
نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال والله خير وأبقى وهذا غاية الثناء وقال تعالى الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة قد (وصف الكفار بذلك ففهموه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان
يستحب الآخرة على الحياة الدنيا) فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بنطوقها ومفهومها (وأما الاخبار
فصار دمنها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربح المهلكات اذبح الدنيا من
المهلكات) اذ هو أس الخطايا (ونحن الاثن نقصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من المنجيات) فناسب
ابراده هنا (وهو المعنى بالزهد) أى وهو المراد به اذا اطلقوا اللفظة (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه ضعفته) أى عياله وما يخاف عليه من الضياع (وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه
ضعفته وجعل غناه في قلبه وأنته الدنيا وهي راحة) وان لم يرها قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث زيد بن
نايث بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه اه قلت حديثه رواه أيضا ابن النجار
ولفظه من أراد الآخرة وسعى لها سعيها كتب الله له غناه في قلبه وكف عليه ضعفته فيصبح غنيا وعسى
غنيا ومن أراد الدنيا وسعى لها سعيها فاشا الله ضعفته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيرا وعسى فقيرا (وقال صلى
الله عليه وسلم اذا رأيتم العبد قد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقر بوامنه فانه يلقى الحكمة) قال العراقي
رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بسند فيه ضعف اه قلت لفظ ابن ماجه اذا رأيتم الرجل قد أعطى
زهدا في الدنيا وقله منطلق فاقر بوامنه فانه يلقى الحكمة وكذلك رواه ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في الحلية
والبيهقي وابن عساكر ورواه أيضا الطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة وقال القشيري في الرسالة
أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني حدثنا أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ببغداد
حدثنا جعفر بن مشاجع حدثنا زيد بن اسمعيل حدثنا كثير بن هشام حدثنا الحكم بن هشام عن يحيى
ابن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له محبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل قد

رأيتم العبد قد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقر بوامنه فانه يلقى الحكمة

أوتى زهدا في الدنيا وقلة منطلق فاقتر بؤامسه فانه يلقي الحكمة انتهى أخرجه البزار من طريق الحكم بن هشام بن يحيى بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد وأخرجه ابن منده من طريق هشام بن عمار عن الحكم وقال في رواية عن ابن خلاد ويقال اسمه عبد الرحمن بن زهير وكانت له حجة وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار قال أبو الحسن القطان أبو فروة لا يعرف وائس هو الجزري قال الحافظ قد ذكر البخاري أن أحمد بن إبراهيم رواه عن الحكم فقال عن أبي فروة الجزري ورجح البخاري أن الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد وأخرجه سويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام وقال في سياقه وكانت له حجة ولم يذكر تسميته ووقع في رواية لابن أبي عامر عن أبي خالد والصواب عن أبي خلاد وقال فيها عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال) الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فهذا الخبر الكثير هو ظاهر عطاء الزاهدين وأوله فكيف يباطن عطايتهم ونهايتهم (ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محمود القاب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محمود القلب قال النقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا (أي يبغضها) (ويحب الآخرة) قال العراقي رواه ابن ماجه بأسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو ودون قوله قيل يا رسول الله فن على أثره وقد تقدم رواه بهذه الزيادة بالاسناد المذكور الخرائطي في مكارم الاخلاق اه قات لفظ الخرائطي خير الناس ذوالقلب الخمووم واللسان الصادق قيل قد عرفنا اللسان الصادق في القلب الخمووم قال هو النقي النقي الذي لا غم فيه ولا بغي ولا حسد قيل فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة قيل فن على أثره قال مؤمن في خلق حسن وهكذا رواه الحكم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسل وقد تقدم في ذم الدنيا وأورده صاحب القوت ثم قال والشئ يعرف بضده كما يعرف بمثله فضعف الشئ المحبة وضده الزهد الرغبة (ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا) وأن الراغب فيها هو المحب لها كيف (و) قد قال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم قلت كانه يشير الى حديث سهل بن سعد ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس هذا الذي رواه ابن ماجه ورواه أيضا الطبراني والحاكم ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم (فجعل الزهد سبيلا للمحبة) أي محبة الله التي لا مثل لها (فن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محبة الدنيا تعرض للبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا في الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا هكذا في النسخ وقد قال العراقي لم أجده أصلا قلت والحديث منزل من أصله وصوابه الإيمان والحياة يجولان في القلوب كل ليلة فاذا صادقا في الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا وهكذا أورده صاحب القوت غير أنه قال بطوفان بدل يجولان ثم قال وكأنه أراد به هذا محض الإيمان وخالصه الذي هو يقين المعينة والحياة الذي هو نظر المشاهدة ان وجود ذلك على حقيقته في مكان

وقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال كل مؤمن محمود القاب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما محمود القلب قال النقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبيلا للمحبة فن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ومفهومه أيضا أن محبة الدنيا تعرض للبغض الله تعالى وفي خبر من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فان صادقا في الإيمان والحياة أقاما فيه والارتحلا

شرطاً للاسلام وهو التجاني وهو الزهد جعله (شرطاً للاسلام) أي لحقيقته (وهو التجاني عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفر يابى وابن أبي شيبة وعبد بن جيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني هو عبد الله بن المسور ومن ولد جعفر بن أبي طالب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشر له قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها قال نعم قال نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه عبد بن حميد عن الفضل بن رجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف الشرح قال إذا أراد الله بعبد خيراً أقذف في قلبه النور فانه يفتح لذلك صدره فقال يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التجاني عن دار الغرور والإجابة إلى دار الخلود وحسن الاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكرك الموت عن الحسن نحوه وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي عمير وابن السكيت وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق وقد تقدم في كتابي الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا أناستحي منه فقال) ليس كذلك (تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تآكلون فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا قال العراقي رواه الطبراني من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بأسناد ضعيف اهـ قلت أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في الاخوة وقال روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى قال الحافظ حديثها إنما قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس الاستحيون قالوا مم ذلك يا رسول الله قال تجمعون مالا تآكلون وتبنون مالا تعمرن وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منبجه رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (ولما قدم عليه) صلى الله عليه وسلم (بعض الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا) أنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرضا والرضا بواقع القضاء وترك الشهامة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تآكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنكم ترحلون فجعل الزهد تكملة لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط به غيره وجبت له الجنة فقال على كرم الله وجهه فقال نأبى أنت وأمي يا رسول الله مالا يخلط به غيره صفة لنا فسر لنا فقال حب الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة

هو الزهد جعله (شرطاً للاسلام) أي لحقيقته (وهو التجاني عن دار الغرور) وهذا الحديث رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفر يابى وابن أبي شيبة وعبد بن جيد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني هو عبد الله بن المسور ومن ولد جعفر بن أبي طالب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشر له قالوا فهل لذلك من أمانة يعرف بها قال نعم قال نعم الإجابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت ورواه عبد بن حميد عن الفضل بن رجل سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف الشرح قال إذا أراد الله بعبد خيراً أقذف في قلبه النور فانه يفتح لذلك صدره فقال يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها قال نعم قال فما آية ذلك قال التجاني عن دار الغرور والإجابة إلى دار الخلود وحسن الاستعداد للموت قبل نزول الموت ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكرك الموت عن الحسن نحوه وقد روى ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن أبي عمير وابن السكيت وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طرق وقد تقدم في كتابي الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا أناستحي منه فقال) ليس كذلك (تبنون مالا تسكنون وتجمعون مالا تآكلون فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى) فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا قال العراقي رواه الطبراني من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بأسناد ضعيف اهـ قلت أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في الاخوة وقال روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى قال الحافظ حديثها إنما قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال أيها الناس الاستحيون قالوا مم ذلك يا رسول الله قال تجمعون مالا تآكلون وتبنون مالا تعمرن وتؤملون مالا تدركون أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي عن الوازع بن نافع عن سالم بن عبد الله بن عمر عنها وقال ابن منبجه رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع قال الحافظ والطريقان ضعيفان (ولما قدم عليه) صلى الله عليه وسلم (بعض الوفود) من العرب قال لهم ما أنتم (قالوا) أنا مؤمنون قال وماعلمة إيمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرضا والرضا بواقع القضاء وترك الشهامة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تآكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنكم ترحلون فجعل الزهد تكملة لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط به غيره وجبت له الجنة فقال على كرم الله وجهه فقال نأبى أنت وأمي يا رسول الله مالا يخلط به غيره صفة لنا فسر لنا فقال حب الدنيا طلبها واتباعها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون عمل الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة

فصغرت بعد كبرها وهانت بعد صعوبتها حالها فاستبدل بها الرغبة في الآخرة فساروا إليها بقصد هربه
من الدنيا ونافس فيها بقدر عزوفه عن ضدها عند التحقق بإرادة الآخرة وسعى لها سعيها المار كبطريقها
وصار ابن سبيلها فوجب حقه على الراغبين في الدنيا كما وجب حق ابن السبيل الذي ركب الطريق فتدبر
(وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والنجل من الشك ولا يدخل الجنة من شك) قال
صاحب القوت ورواه في خبره مقطوع وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء
ولم يخرج له ولده في مسنده وقال أيضا السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والنجيل
بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل مخنى أحب إلى الله من عبد نجيل رواه الترمذي
وقال غريب الدارقطني في الأفراد وابن عدي والبيهقي والخراطي في مكارم الأخلاق والخطيب في كتاب
ذم الجلاء من حديث أبي هريرة ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله ورواه الدارقطني والطبراني
في الأوسط والخطيب من حديث عائشة قال الدارقطني له طرق ولا ثبت منها شيء قال السيوطي وأورده
ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم النجل قال صاحب القوت الخبر الأول منسرا للخبر
المجمل الثاني بأي معنى كان السخى قريبا من الله لأن السخاء من اليقين والسخى موقن فصار من المقربين
وبأي معنى كان النجل بعيدا من الله بعيدا من الناس قريبا من النار أي بالشك لأنه ضد اليقين فصار به من
المباعد من السخاء أيضا وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخي لأنه لما زهد في الدنيا سخط نفسه بها وطابت
عنها لا استبدلها بالتعويض عنها (والنجل ثمرة الرغبة في الدنيا) ووصف الراغب فيها لا يكون الحرير
لا نجلا ولا يكون النجل زاهدا (و) قد يكون (السخاء) سبيلا للزهد إذا سخط نفسه عن الشيء زهدت فيه
كما إذا زهدت في شيء أخرجه إلى غيره فصار السخاء (ثمرة الزهد) فنفس الزهد سخاء وعين النجل رغبة
(والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا بحاله وروى) سعيد بن (بن المسيب) رحمه الله تعالى (عن أبي ذر رضى
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها
لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام) وألفظ القوت وبصره داءها ودواءها
فبنوا الحكمة أبصر داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معارف الداء فبرئ ولا ترى ذلك قبل نور
الحكمة وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأخرجت من ظلمات الهوى إلى نور التقوى
إذا لا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه إلى هاديه وزاد في موضع آخر ومن حرص عليها
توهمه الله فيها ولم يبال في أي أوديتها هلكه وقال العراقي لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في
ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسل وابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري
من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أحرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال
حديث منكروا رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية مختصر من حديث أبي أيوب من أخلص
لله الحديث وكلها ضيقة انتهى قلت حديث أبي موسى الأشعري تقدم الكلام عليه قريبا ما حديث أبي
أيوب من أخلص العبادة لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فقد رواه الشيخ وأبو
نعيم عن مكحول عن أبي أيوب ورواه هنادي الزهد وأبو نعيم أيضا عن مكحول مرسل وأورده ابن الجوزي
في الموضوعات وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود من جعل الهموم هموا واحدا هم المعاد كفاه الله
سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك (وروى أنه صلى الله
عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي) النوق (الحوامل) وهو تفسير للعشار يقال عشت
الناقة مشددا فهي عشراء أتى على حلالها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولانالت لهما
وأما الحفل فهي جرح حافلة وهي التي ترك حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محفلة أيضا أصله في
الشاة (وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم) وأنها داء أكرمها عليهم (لأنها تجمع الظاهر)

وفي الخبر السخاء من
اليقين ولا يدخل النار
موقن والنجل من الشك
ولا يدخل الجنة من شك
وقال أيضا السخى قريب
من الله قريب من الناس
قريب من الجنة والنجيل
بعيد من الله بعيد من الناس
قريب من النار والنجل ثمرة
الرغبة في الدنيا والسخاء
ثمرة الزهد والثناء على الثمرة
ثناء على المثمر لا بحاله وروى
عن ابن المسيب عن أبي ذر
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال من زهد
في الدنيا أدخل الله الحكمة
قلبه فانطق به لسانه وعرفه
داء الدنيا ودواءها وأخرجه
منها سالما إلى دار السلام
وروى أنه صلى الله عليه
وسلم مر في أصحابه بعشار من
النوق حفل وهي الحوامل
وكانت من أحب أموالهم
إليهم وأنفسها عندهم
لأنها تجمع الظاهر

واللحم واللبن والوبر ولعظمهم اني قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقبيل له
بارسول الله هذه انفس اموالنا لم لاتنظر (٣٣٠) البها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به

للكروب عليها (والحم) لا كلهم (واللبن) لشربهم (والبور) للبسهم وكنهم والولد فهي خمسة وهي الراحلة من الابل التي ضرب بها المثل في قلة وجودها مع الكثرة فان التي تجمع هذه الخمس من الابل الجولة قليل فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجملة يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع (ولعظمها في قلوبهم - قال الله تعالى) في خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها اذا الشمس كورت (واذا العشار عطلت) علمت نفس ما حضرت يعني يومئذ تشهد ما قدمت من مثاقيل النرمن الخير والنشر (قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أعني عن العشار الحوامل (وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفاس أموالنا) وكراحتها أعرضت عنها (لم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتنعابه الآية) وتعامها أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنتهم فيه ورزق بلخير وأبقي هكذا أورده صاحب القوت بعد ان قال وقد نهى الله رسوله أن يوسع نظره الى أبناء الدنيا بما تمنا لهم وأخبر ان ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم وأعلمه إن الزهد والقناعة خير وأبقى تنظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتنعابه الآية وفي خبر أنه صلى الله عليه وسلم فساقه وقال العراقي لم أجده أصلاً قلت وروى عبد بن حديد وابن أبي حاتم عن قتادة قال واذا العشار عطلت أي سبها أهلها أنا هم ما مشغلهم عنها فلم تصر ولم تجلب ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عروة انه كان اذا دخل على اهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع الى أهله فدخل الدار قرأ ولا تمدن عينيك الى قوله نحن نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة وحكم الله وقال صاحب القوت بعد ان آورد قصة العشار وبمعناه روي في الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر في الحوار بين علي شجرة خضرة نصرة تحتها غدر فنظروا اليها فاعرض هو فلم ينظر فلما جاوزها قال بحق أقول لكم لقد نقض من عقولكم بمقدار نظركم الى الدنيا (وروى عن مسروق) بن الاجدع الهمداني التابعي الكوفي (عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله في طعامك قالت وبكى لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت رب أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لاجرها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقير الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة ان الدنيا لاتنبغي لمحمد ولا لأل محمد يا عائشة ان الله لم ير ضلالي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم رض لي الآن يكفيني ما كفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله مالي بد من طاعته وانى والله لا صبرن كما صبر واجتهدي ولا قوة الا بالله) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصراً ان الله لم ير ضلالي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم رض لي الآن يكفيني ما كفهم فقال فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ومجالد مختلف في الاحتجاج به (وروى عن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها) بأبت (البس لين الثياب اذا وفدتك عليك الوفود من الآفاق ومن بصنعة طعام تطعمهم) أي تأكله (وتطعم من حضر) منهم (قال عمر يا حفصة ألست تعلمين ان أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الاجاعوا عشية ولا شبعا وعشية الاجاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله

الآية ورؤى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجزى معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عائشة إن الدنيا لا تتبعي لحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض لاولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكافئني ما كافهم فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مالى بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا ويحجى ولا قوة إلا بالله وروى عن عمر رضي الله عنه أنه حين فزع عليه الفتوحات قال لله ابنته حفصة رضي الله عنها البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر يا حفصة أأستعملين أن أعلم الناس بحال الرجل

اهل بيته فقالت بلي قال ما شد تلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع عليه هو ولا اهل بيته غيرة الا جاعوا عشيبة ولا شبعوا عشيبة الا جاعوا وغدوة وما شد تلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فزع الله عليه خيبر وما شد تلك الله هل تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى (٣٣٢) الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباة

معهما عيشهما الرخي هكذا رواه أحمد في الزهد عنه ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد ان حفصة وابن مطيع وابن عمر كلوا عسرا فقالوا لو كانت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق قال أكاسكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت انه ليس منكم الا ناصح ولكن تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهما لم أدر كهما في المنزل قال وأصاب الناس سنة فمأكل كل عامئذ سهوا ولا يسمينا (وعن أبي سعيد الخدري) رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس الا العباة وان كان أحدهم ليبتل بالقمل حتى يقتله القمل وكان أحب اليهم من العطاء اليكم) قال العراقي رواه ابن ماجه باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعظ الحديث دون قوله وان كان أحدهم ليبتل بالقمل اه قلت وروى أحد باسناد صحيح ان كان النبي من أنبياء الله ليعرى حتى ما يجي دما يوارى به عورته الا العباة يدريها (وعن ابن عباس) رضى الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسوله وهم أعرف بخلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم لم تبال الدنيا تبال دينار والدرهم فقالتا ما نأكل من ثمن الدنيا تبال دينار والدرهم فقالتا يا رسول الله نعم انما الله عن كثر الذهب والفضة فأى شيء نذخر فقال صلى الله عليه وسلم ليأخذكم لسانا إذا كرا وقلبا إذا كرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته (رواه الترمذي وابن ماجه دون قوله تبال للدينار والدرهم وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا قال العراقي وهو من حديث ثوبان وأما قال المصنف انه حديث عمر لان عمر هو الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي المال نأخذ كما في رواية ابن ماجه وكرا واه البراز من حديث ابن عباس (وفي حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقير لا يستغنى به أبدا وحرص لا يشبع أبدا) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أجده من حديث حذيفة ولا طبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث شقاء لا ينفذ عنه وحرص لا يبلغ غناه وأمل لا يبلغ منتهاه وفي آخره زيادة انتهى قلت وتلك الزيادة الدنيا طالبة ومطالبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريقه ورواه ابن عسار عن شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام والله ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاث شغل لا ينقل عنه وفقير لا يدرك غناه وأمل لا يبلغ منتهاه ثم ساقه بتلك الزيادة (وقال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن يعرف أحب اليه من كثرته) قال صاحب القوت وبناء من سلا عن علي بن ميمون عن علي بن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه قال العراقي لم أجده استنادا ذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن أبي طلحة عن سلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته وحتى يكون ان يعرف في ذات الله أحب اليه من أن يعرف في غير ذات الله ولم يخرج له في مسنده وعلي بن أبي طلحة أخرجه مسلم وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسله والحديث اذا مضى (وقال المسبح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تصمروها) هذا قد رواه صاحب الفردوس من حديث ابن عمر الا انه قال قنطرة الآخرة ولم يذكر له سندا وأما قول عيسى عليه السلام فاعبروها فخرجها أبو نعيم في الحلية في ترجمته هيب قال ابغى أن عيسى عليه السلام قال قبل أن يرفع يده في الحوار بين ابي قد كبت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدى فإنه لا خير في دار قد عصى الله فيها ولا خير في دار

وان كان أحدهم ليبتل بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسوله وهم أعرف بخلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث عمر رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم لم تبال الدنيا تبال دينار والدرهم فقالتا ما نأكل من ثمن الدنيا تبال دينار والدرهم فقالتا يا رسول الله نعم انما الله عن كثر الذهب والفضة فأى شيء نذخر فقال صلى الله عليه وسلم ليأخذكم لسانا إذا كرا وقلبا إذا كرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقير لا يستغنى به أبدا وحرص لا يشبع أبدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن يعرف أحب اليه من كثرته حتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته

وقال المسبح صلى الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تصمروها

وقبل له يابني الله لو أمرتنا أن نبني لعبادته فيه قال اذهبوا فابنوا بيتنا على الماء فقالوا كيف يستقيم بيتان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال يينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عز وجل عرض على ان (٣٣٣) يجعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب

ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما لمسي لآل محمد كفس سويق ولا سنفذيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء فظفعتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا امر اقبل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحبيت أن تسير معك جبال ثم انا زمردا وياقوت وذهب وفضة وان شئت نبيما ملكا وان شئت نبيما عبدا فرجع رأسه الى جبريل كأنه يستشيره فأتوا جبريل أن تواضع لله فقال بل نبيما عبدا ثلثا قد تقدم في ذم الكبير مختصرا وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه قال العراقي واه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقعه في الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمي اذا أراد الله بعبد خيرا فقعه في الدين وزهده في الدنيا وبصره عبود به ورواه كذلك البيهقي في الشعب ورواه البيهقي أيضا عن محمد بن كعب القرظي مرسل (وقال صلى الله عليه وسلم ازهدي في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) ورواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ازهدي في الدنيا يحبك الله وأما الناس فان هذا بهم هذا فحجبوك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدي بغير هداية فليرزق في الدنيا) قال العراقي لم أجده أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بن يقطين عن زهدي في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهدي بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حلفص حدثنا علي بن حفص العباسي حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله

لا تدرك الآخرة الا بتركها فاعبروها ولا تعمروها وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن سعيد قال كان عيسى عليه السلام يقول أعبروا الدنيا ولا تعمروها وهو في القوت بلفظ الدنيا فنظرة يعبر عليها الى الآخرة والباقي سواء (وقيل له يابني الله لو أمرتنا أن نبني بيتنا لعبادته فيه قال اذهبوا فابنوا بيتنا على الماء فقالوا وكيف يستقيم بيتان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا) قال صاحب القوت وروينا عنه في آخر قالوا اننا نريد أن نبني بيتا نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاخترنا موضعنا في فيه فقال تعالى واشوا معه فوق على فنظرة فقال ابنوا ههنا فقالوا نبني على فنظرة وهي مدرجة للناس لا يدعوننا فيها فقال كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها انتهى وروى أحمد في الزهد عن سفیان الثوري قبيلى لعيسى عليه السلام الاتي بيتا قال ابني على طريق السبيل (وقال يينا صلى الله عليه وسلم ان ربي عرض على أن يجعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك) رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وفي القوت والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن اختيار الله لما خيره من أن يجري له الاودية مالا ويجعل له ذهب وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيئا فاختار بحسن توفيق الله وعهده له الاحبال الى الله والاخير عند الله اذ قد ضمن له ان اعطاه لا ينقصه فلم يبق الا محبة الله فكانت آتو عنده من تركه نقضه فقال لا حاجة لي بذلك بل أجوع يوما وأشبع يوما أحمدا اذا شبع وأتضرع اليك اذا جعت (وعن ابن عباس) رضي الله عنه (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق ما لمسي لآل محمد كفس سويق ولا سنفذيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أظفعتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الله القيامة أن تقوم قال لا ولكن هذا امر اقبل عليه السلام قد نزل اليك حين سمع كلامك فأناه اسرافيل فقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثنى بمفاتيح الارض وأمرني أن أعرض عليك ان أحبيت أن تسير معك جبال ثم انا زمردا وياقوت وذهب وفضة وان شئت نبيما ملكا وان شئت نبيما عبدا فرجع رأسه الى جبريل كأنه يستشيره فأتوا جبريل أن تواضع لله فقال بل نبيما عبدا ثلثا قد تقدم في ذم الكبير مختصرا (وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعبود نفسه) قال العراقي واه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد فقعه في الدين واسناده ضعيف جدا انتهى قلت لفظ الديلمي اذا أراد الله بعبد خيرا فقعه في الدين وزهده في الدنيا وبصره عبود به ورواه كذلك البيهقي في الشعب ورواه البيهقي أيضا عن محمد بن كعب القرظي مرسل (وقال صلى الله عليه وسلم ازهدي في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس) ورواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس ازهدي في الدنيا يحبك الله وأما الناس فان هذا بهم هذا فحجبوك وقد تقدم أيضا (وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدي بغير هداية فليرزق في الدنيا) قال العراقي لم أجده أصلا قلت بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بن يقطين عن زهدي في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهدي بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى قال حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق حدثنا محمد بن الحسين بن حلفص حدثنا علي بن حفص العباسي حدثنا نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله

عليه وسلم لرجل ازهدي في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس وقال صلوات الله عليه من أراد ان يؤتبه الله علما بغير تعلم وهدي بغير هداية فليرزق في الدنيا

وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
 وروى عن يمينه وأما صاحب الحلية فأورد من طريق خلاص بن عمرو عنه مرفوعا بلفظ وللصبر أربع
 شعب الشوق والشفقة والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار
 رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانوا بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات قال ورواه
 كذلك الاصبغ بن نباتة عن علي مرفوعا ورواه الحارث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن
 علي من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله (و يروى عن يمينه وعن المسج صلى الله عليه
 وسلم أربع لا يتركها الا يحب الصمت وهو أول العبادات والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ) قال العرفي
 ورواه الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم انتهى قلت ذكر في كتاب الصمت ورواه البيهقي أيضا
 وصححه الحاكم وتعقب ورواه ابن عساكر عن أنس مرفوعا وروى لا يصيب الا يحب وفي رواية وذكر
 الله بدل وكثرة الذكر وأما قول عيسى عليه السلام فرواه ابن أبي الدنيا في الصمت (وايراد جميع الاخبار
 الواردة في بغض الدنيا ودم حبها لا يمكن) لكن ثمة (فان الانبياء) عليهم السلام (مابعثوا الا لصراف
 وجوه الناس عن) حب (الدنيا) حب (الآخرة فاليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق) لمن تتبع
 السباق (وفيما أوردناه كفاية والله المستعان) وأما الآثار فقد جاء في الآثار (لا اله الا الله
 تدفع عن العباد سخط الله) أي غضبه (مالم يملوا ما نقص من دنياهم) بسلامة دينهم (وفي لفظ آخر مالم
 يؤثر واصفة دنياهم على دينهم فان فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم بها صادقين)
 وفي لفظ آخر فاذا قالوها ردت عليهم أو رد المصنف هذا في الآثار على انه ليس مرفوع متصل وليس كذلك
 بل يروى ذلك من حديث زيد بن أرقم لا تزال لا اله الا الله تحجب غضب الرب عن الناس مالم يملوا ما ذهب
 من دينهم اذا صلت لهم دنياهم فاذا قالوها قيل كذبتم لستم من أهلها ورواه ابن النجار في تاريخه وروى
 الحاكم في تاريخه من رواية أبان عن أنس رفعه لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها حتى يستغفروا بجمعها
 والاستغفار بجمعها ان يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكره ولا يغيره (وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم
 انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نرى في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا) ولفظ القوت تابعنا الاعمال كلها
 بعضها على اثر بعض فلم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهادة في الدنيا (وقال بعض الصحابة اصدروا من التابعين)
 أي للصدر الاول منهم لما رأوا شدة اجتهادهم في العبادة (أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم) هم (كانوا أخيرا منكم قبل ولم ذلك قال كانوا أزهد في الدنيا منكم) نقله صاحب
 القوت قال وكذلك قال أبو الدرداء لما وصف الابدال فذكر قلوبهم ومواجيدهم وعلم البقيين منهم وأحوال
 الصديقين فيهم فقال له صاحبه والله ما سمعت صفة أحسن من هذه ولا أعجب الي منها فكيف لي أن أكون
 من أهلها فقال يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون من أوسطهم أو في أوسطها حالا الآن زهد في الدنيا
 فيقدر زهدك فيها ويغضلك لها يدخل حب الآخرة والرغبة والروح في قلبك وبقدرك ذلك يحبك ربك قلت
 والمراد ببعض الصحابة هو عبد الله بن مسعود قال يوتنعم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل
 حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال أنتم
 أكثر صلاة وصياما واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا أخيرا منكم قالوا يا أبا عبد
 الرحمن فقال لهم كانوا أزهد في الدنيا وأزغب في الآخرة (وقال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه الزهادة في
 الدنيا راحة القلب والجسد) وهذا قد روى مرفوعا من حديث أبي هريرة ورواه ابن لال في مكارم الاخلاق
 ولفظه الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد والرغبة في الدنيا تعقب القلب والجسد (وقال بلال بن سعد)

وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات
 وروى عن يمينه وأما صاحب الحلية فأورد من طريق خلاص بن عمرو عنه مرفوعا بلفظ وللصبر أربع
 شعب الشوق والشفقة والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار
 رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانوا بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات قال ورواه
 كذلك الاصبغ بن نباتة عن علي مرفوعا ورواه الحارث عن علي موقوفا مختصرا ورواه قبيصة بن جابر عن
 علي من قوله ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله (و يروى عن يمينه وعن المسج صلى الله عليه
 وسلم أربع لا يتركها الا يحب الصمت وهو أول العبادات والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ) قال العرفي
 ورواه الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم انتهى قلت ذكر في كتاب الصمت ورواه البيهقي أيضا
 وصححه الحاكم وتعقب ورواه ابن عساكر عن أنس مرفوعا وروى لا يصيب الا يحب وفي رواية وذكر
 الله بدل وكثرة الذكر وأما قول عيسى عليه السلام فرواه ابن أبي الدنيا في الصمت (وايراد جميع الاخبار
 الواردة في بغض الدنيا ودم حبها لا يمكن) لكن ثمة (فان الانبياء) عليهم السلام (مابعثوا الا لصراف
 وجوه الناس عن) حب (الدنيا) حب (الآخرة فاليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق) لمن تتبع
 السباق (وفيما أوردناه كفاية والله المستعان) وأما الآثار فقد جاء في الآثار (لا اله الا الله
 تدفع عن العباد سخط الله) أي غضبه (مالم يملوا ما نقص من دنياهم) بسلامة دينهم (وفي لفظ آخر مالم
 يؤثر واصفة دنياهم على دينهم فان فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم بها صادقين)
 وفي لفظ آخر فاذا قالوها ردت عليهم أو رد المصنف هذا في الآثار على انه ليس مرفوع متصل وليس كذلك
 بل يروى ذلك من حديث زيد بن أرقم لا تزال لا اله الا الله تحجب غضب الرب عن الناس مالم يملوا ما ذهب
 من دينهم اذا صلت لهم دنياهم فاذا قالوها قيل كذبتم لستم من أهلها ورواه ابن النجار في تاريخه وروى
 الحاكم في تاريخه من رواية أبان عن أنس رفعه لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها حتى يستغفروا بجمعها
 والاستغفار بجمعها ان يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكره ولا يغيره (وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم
 انه قال تابعنا الاعمال كلها فلم نرى في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا) ولفظ القوت تابعنا الاعمال كلها
 بعضها على اثر بعض فلم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهادة في الدنيا (وقال بعض الصحابة اصدروا من التابعين)
 أي للصدر الاول منهم لما رأوا شدة اجتهادهم في العبادة (أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم) هم (كانوا أخيرا منكم قبل ولم ذلك قال كانوا أزهد في الدنيا منكم) نقله صاحب
 القوت قال وكذلك قال أبو الدرداء لما وصف الابدال فذكر قلوبهم ومواجيدهم وعلم البقيين منهم وأحوال
 الصديقين فيهم فقال له صاحبه والله ما سمعت صفة أحسن من هذه ولا أعجب الي منها فكيف لي أن أكون
 من أهلها فقال يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون من أوسطهم أو في أوسطها حالا الآن زهد في الدنيا
 فيقدر زهدك فيها ويغضلك لها يدخل حب الآخرة والرغبة والروح في قلبك وبقدرك ذلك يحبك ربك قلت
 والمراد ببعض الصحابة هو عبد الله بن مسعود قال يوتنعم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا محمد بن شبل
 حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال أنتم
 أكثر صلاة وصياما واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا أخيرا منكم قالوا يا أبا عبد
 الرحمن فقال لهم كانوا أزهد في الدنيا وأزغب في الآخرة (وقال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه الزهادة في
 الدنيا راحة القلب والجسد) وهذا قد روى مرفوعا من حديث أبي هريرة ورواه ابن لال في مكارم الاخلاق
 ولفظه الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد والرغبة في الدنيا تعقب القلب والجسد (وقال بلال بن سعد)

كفى به ذنباً ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال الرجل لسفيان اشتهى (٣٣٥) أن أرى عالماً زاهداً فقال ويحك تلك

ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان الجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهد من في الدنيا العاشقين للجنة وقال يوسف بن أسباط رحمه الله أتى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس في مالي درهم ولا يكون علي دين ولا عطاءيا (فقبلها وأرسل إلى الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى) بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم أردتم ذبحي على كبريى موتوا يا أهلى جوأ خير لكم من ان تدبحوا فضيلاً) رواه ابو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن اجد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابو عمر الجرمي النخعي حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعني هرون الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك فقال لي ويحك قد حكت في نفسي شئاً فانظر لي رجلاً سأله فذكر لقيه لجاعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وانه أعطاهما الجوائز ولقي الفضيل بن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء المولود وذكر وعظه وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين ربي لم يحاسبني عليه قالوا لي ان سألني وناقشني قال انما أعني من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربهم اعل عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال فخرجت من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى مانحين فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتهرحنا به فقال له مائلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين يجمع على ثقته روى له الجماعة) كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغداً يوماً أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبت حيث آواه الليل لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ورواه أحمد في الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداً ولا عشاء يقول مع كل يوم وليلة ورزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل كل الشعر ويعشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطحب بالسراج ولا يلبس القطن ولم يحس النساء ولم يحس الطيب ولم يخرج شرابه بشئ قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الارض وجلده شيئاً قط الا لباسه ولم يهتم لغداً قط ولا لعشاء قط ولا أشتهى شيئاً من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المديني التابعي العابد الفقيه (هذا الشئ قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والخبط فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى وقد روى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

ابن نعيم الاشعري أو الكندي أبو عمر وأبو زرعة الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام روى له البخاري في كتاب الادب وأبو داود في كتاب القدر والنسائي (كفى به ذنباً ان الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها) نقله صاحب القوت عن بعض السلف قال والاخر يقول كفى من الذنوب التي لا نعتز منها ولا نتوب حبنا الدنيا ولا بناتها (وقال رجل لسفيان) الثوري (اشتهى ان أرى عالماً زاهداً) في الدنيا (فقال ويحك تلك ضالة لا توجد) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى (للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون) أي الملائكة الموكلون بالأبواب (يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل) الناس كلهم (الا الزاهد من في الدنيا والعاشقين في الجنة) أي المحبين لها (وقال يوسف بن أسباط) السيمياني رحمه الله تعالى (أتى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان أموت حين أموت وليس في مالي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطى ذلك كله) ترجم له أبو نعيم في الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشي (وروى ان بعض الخلفاء) من بني العباس (أرسل إلى الفقهاء بجوائز عطاءيا) (فقبلها وأرسل إلى الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى) (بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه) يا ابتاه (قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه) أي من الخصاصة (فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت) (أرسل إلى الفقهاء بجوائز عطاءيا) (فقبلها وأرسل إلى الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى) (بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه) قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال أندرون مائلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرقون عليها فلما هربت ذبحوها لاجل ان ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم أردتم ذبحي على كبريى موتوا يا أهلى جوأ خير لكم من ان تدبحوا فضيلاً) رواه ابو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال حدثنا سليمان بن اجد حدثنا محمد بن زكريا الغلابي حدثنا ابو عمر الجرمي النخعي حدثنا الفضل بن الربيع قال حج أمير المؤمنين يعني هرون الرشيد فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك فقال لي ويحك قد حكت في نفسي شئاً فانظر لي رجلاً سأله فذكر لقيه لجاعة من الفقهاء منهم سفيان بن عيينة وعبد الرزاق بن همام وانه أعطاهما الجوائز ولقي الفضيل بن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء المولود وذكر وعظه وفيه فبكى هرون وقال له عليك دين قال نعم دين ربي لم يحاسبني عليه قالوا لي ان سألني وناقشني قال انما أعني من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربهم اعل عبادتك فقال سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال فخرجت من عنده فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى مانحين فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتهرحنا به فقال له مائلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر تحروه فأكلوا لحمه (وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين يجمع على ثقته روى له الجماعة) كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغداً يوماً أدركه المساء نام) روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبت حيث آواه الليل لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ورواه أحمد في الزهد عن سفيان كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداً ولا عشاء يقول مع كل يوم وليلة ورزقها ليس له بيت يخرب وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل كل الشعر ويعشى على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطحب بالسراج ولا يلبس القطن ولم يحس النساء ولم يحس الطيب ولم يخرج شرابه بشئ قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط ولم يجعل بين الارض وجلده شيئاً قط الا لباسه ولم يهتم لغداً قط ولا لعشاء قط ولا أشتهى شيئاً من شهوات الدنيا (وقالت امرأة أبي حازم لابي حازم) مسلمة بن دينار الاعرج المديني التابعي العابد الفقيه (هذا الشئ قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والشراب والخبط فقال أبو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى وقد روى عليه ثوب وسخ (لم لا تغسل

كلمة ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار وقيل للحسن لم لا تغسل

ذلك وقال ابراهيم بن ادهم قد حجت قلوبنا بثلاثة أعطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحب الفرح بالوجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فانت حريص واذ حزن على المفقود فانت ساخط والسخط معذب واذ سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدأ سرمد وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف الينا وكأنه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحصى عبدة المؤمنين الدنيا وهو يحبه كما تحبون من يضكم الطعام والشراب تخافون عليه فاذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدى الى الصفة أكبر منها في الاعطاء المؤدى الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لادار استواء ودار ترح لادار فرح من عرفها لم يفرح برحها ولم يحزن على شفاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعب حتى لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل

ثيابه قال الامر اعجل من ذلك) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (قد حجت قلوبنا بثلاثة أعطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحب) الاول (الفرح بالوجود) الثاني (الحزن على المفقود) الثالث (السرور بالمدح فاذا فرحت بالوجود فانت حريص) والحريص محروم (واذا حزن على المفقود فانت ساخط والسخط معذب واذ سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل) نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني حدثنا العباس بن أحمد الرمي عن بعض أشياخه قال قال ابراهيم بن ادهم على القلب ثلاثة أعطية الفرح والحزن والسرور فاذا فرحت بالوجود فانت حريص والحريص محروم وساقه الى آخره كسابق صاحب القوت ثم قال ودليل ذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ثم قال صاحب القوت وهذان الوصفان هما أتم حال من الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذي لا يأسى على ما فاتته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما آتاه منها لانه مثله والذي لا يفرح بما آتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاتته منها اذ هو نحوه والاسى على المفقود بعد الفرح بالوجود وهذان الوصفان هما غرة اليقين بما أمر به من ستر النصيب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفيق للنصيب لا بحالة مع الزهد لقوله تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ثم أحكمه وفرغ منه لقوله تعالى وانما المؤمنون نصيبهم غير منقوص كذلك كان أول الخبر عن فقد الاسى على القوت وترك الوجد بالفرح على ما لا يفوت فأول الكلام قوله ما أصابكم من مصيبة في الارض فهذا المنفصل عن النفس ولا في أنفسكم وهذا المتصل بالجسم الا في كتاب من قبل أن نبرأها نخلق النفس والمصيبة معاً ثم عقبه بقوله لكيلا تأسوا على القوت فيقطعكم الحزن عن الغيب ولا تفرح بما آتاكم بما قد كتب في الكتاب فيضلك السبب عن ولى الاسباب وهذا وصف عبد غير متمالك وسمي عبد قائم بحكم رب ونعمت عبد موقن بحب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لخدمة الدنيا وقد فرغته معاينة الغيب عن الاشتغال بما يغني والله أعلم (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدأ سرمداً) رواه مسروق عنه كفاي القوت قلت وقد روى نحوه مرفوعاً من حديث أنس ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط رواه أبو نعيم وروى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم وروى الشيرازي في الالقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن علي رفعه ركعتان من عالم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله (وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف عنا) من الدنيا (أكثر من نعمته) علينا (فما صرف الينا) نقله صاحب القوت (وكانه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحصى عبدة المؤمنين الدنيا وهو يحبه كما تحبون من يضكم الطعام والشراب تخافون عليه فاذا فهم هذا علم ان النعمة في المنع المؤدى الى الصفة أكبر منها في الاعطاء المؤدى الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التواء لادار استواء ودار ترح لادار فرح من عرفها لم يفرح برحها ولم يحزن على شفاء وقال سهل لا يخلص العمل للمتعب حتى لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل) نقله صاحب القوت ولفظه لا يصح التعب لادار

وقال الحسن البصري أدركت أقواما وصحبت طوائفما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا يأسفون على شئ منها أدبر ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بين يمين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفتشون وجوههم تجرى (٢٣٧) دموعهم على خدودهم ينادون ربهم في

فكذلك رقابهم كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أخرتتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه * (بيان درجات الزهد وأقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه

والى المرغوب فيه) * اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة (الدرجة الاولى وهي السفلى منها أن يزهّد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه الهامائل ونفسه الهاملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الاسباب التي ذكرناها مع قصر الامل (وهذا يسمى المترهد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من الثقل ورئاسة الحال في كل شئ مثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصبرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقاة عادته بجر يانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يفته الدواء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحاه وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة ان من أكره نفسه على اخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى يذله على تكرهه من النفس ان هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعا من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه ولكراهة النفس واكراهها اه (والمترهد) غير الزاهد فان المترهد (يذيب أولا نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كسبه) باخراج المرغوب منه (والزاهد أولا يذيب كسبه) باخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيب نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الاصم الزاهد يذهب كسبه قبل نفسه والمترهد يذهب نفسه قبل كسبه نقله القشيري (والمترهد على خطر) لا يامن على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعا) أي اختيارا وجعله طاعة مع القدرة (لاستحقاقه اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل) تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحالة زهده ويلتفت اليه) لانه ترك شيئا لم هو أعظم يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهده ويطن انه ترك شيئا قد لم هو أعظم

ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء والباقي سواء (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت أقواما وصحبت طوائفما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا) اذا (أقبل) عليهم (لا يأسفون على شئ منها) اذا (أدبر) عنهم (ولهم كانت في أعينهم أهون من التراب) فضلا عن أن تكون مساوية له (كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة) أو أقل أو أكثر (لم يطوله ثوب ولم تنصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا) سوى الثوب الذي على جسده (ولأمر من في بيته بصنعة طعام قط) وانما يأكل ما وجد ويسر (فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم) في العبادة (يفتشون وجوههم) تذلا (تجري دموعهم على خدودهم) تخوفا (يناجون ربهم في فكذلك رقابهم) من النار (كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها) حيث أنعم الله عليهم بها (وسألوا الله أن يقبلها) منهم (واذا عملوا السيئة أخرتتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك) الحال والدوب (ووالله ما سلموا) مع ذلك (من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة) رحمة الله عليهم ورضوانه والله الموفق * (بيان درجات الزهد وأقسامه)

وذلك (بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم) وفق الله تعالى (ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة) وهي درجات الزاهد في بدايته (الدرجة الاولى وهي السفلى منها أن يزهّد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه الهامائل ونفسه الهاملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها) ويجنبها الاسباب التي ذكرناها مع قصر الامل (وهذا يسمى المترهد) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من الثقل ورئاسة الحال في كل شئ مثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصبرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر (وهو) أي الزهد بالمعنى المذكور (مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد) قال صاحب القوت ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقاة عادته بجر يانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يفته الدواء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحاه وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة ان من أكره نفسه على اخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى يذله على تكرهه من النفس ان هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعا من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا الفضل المجاهدة فيه ولكراهة النفس واكراهها اه (والمترهد) غير الزاهد فان المترهد (يذيب أولا نفسه) بأن يجاهدها على الزهد (ثم كسبه) باخراج المرغوب منه (والزاهد أولا يذيب كسبه) باخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (ثم يذيب نفسه في الطاعة) ويوطنها عليها (لا في الصبر على ما فارقه) وهذا من قول أبي حاتم الاصم الزاهد يذهب كسبه قبل نفسه والمترهد يذهب نفسه قبل كسبه نقله القشيري (والمترهد على خطر) لا يامن على حاله (فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والاستراحة بها في قليل أو كثير) الدرجة (الثانية الذي يترك الدنيا طوعا) أي اختيارا وجعله طاعة مع القدرة (لاستحقاقه اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل) تحصيل (درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحالة زهده ويلتفت اليه) لانه ترك شيئا لم هو أعظم يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهده ويطن انه ترك شيئا قد لم هو أعظم

(٤٣ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع)

الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاقه اياها بالاضافة الى ما طمع

فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لاحالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهده ويطن انه ترك شيئا قد لم هو أعظم

قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا أن زهد طوعا وزهد في زهد فلا يرى زهدا إلا يرى أنه ترك شيئا أذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كن ترك خرقه وأخذ جوهره (٣٣٨) فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة

قدرا منه وهذا أيضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا منها (أن زهد طوعا) أي اختيارا (و زهد في زهد فلا يرى زهدا إلا يرى أنه ترك شيئا أذ عرف أن الدنيا لا شيء) في الحقيقة كما ورد في الخبر أن الله تعالى يقول للدنيا يوم القيامة أسكتي بالاشئ (فيكون كن ترك خرقه وأخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تارك شيئا) كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين لم يبق على من الدنيا الامص النوى فهذا يرى هذا بعيدا عن الرغبة فقال ياهذا انظر لك الى مص النوى لزهديك هو بقية من الدنيا أراد منه نسيان ذلك بالزهد في زهد على ترك النظر الى وصفه لما يستغرقه في الجريان عليه فلا يبقى همهم بغير مجريه ويكون بحكم المجري فيه فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القرب المصطلح (والدنيا بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة أحسن من خرقه بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة) وانما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت المعرفة (ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقه بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع) وفي القوت وقال أبو سعيد بن الاعرابي عن أشياخه انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذهي لاشئ وهذا العمري هو الزهد في الزهد لانه زهد لم ينظر الى زهد فزهد فيه اذ لم يره شيئا لانه زهد في لاشئ وهذا يشبه ما يقال ان حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لانه قد زهد في الدنيا لنفسه طالبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد في النفس التي يريد لها الاعراض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهو يشبه قول من قال ان حقيقة الزهد في الغنى هو الزهد في البقاء لان العبد ربح ما زهد في الغنى ولم يزد في البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فاذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الغنى اذ كان الغنى يراد للبقاء واذا لم تنع به البقاء بغير غنى (قال أبو زيد) البسطاخي وهو من أعلى الطوائف اشارة وأغلقهم عبارة (لابي موسى) هرون بن سليمان الكوفي مولى عمرو بن حريث المخزومي روى له أبو داود والترمذي والنسائي (عبد الرحيم) بن يحيى الاسود الارموي الدمشقي (في أي شئ يتسكلم قال) فقلت (في الزهد قال) أبو زيد (في أي شئ قال) فقلت (في الدنيا فنفض يده) وأعرض (وقال فظننت انه يتسكلم في شئ الدنيا لاشئ ايش زهد فيها) أوردته صاحب القوت ولفظه ثم قال يتسكلم بالزهد في لاشئ وأي شئ الدنيا حتى تذكر بالزهد فيها ثم قال وكانت رابعة رجعها الله تعالى من قبله اذا ذكر جلساؤها الدنيا تقول نوهتم بالدنيا اذ تذكر ونها أي قدر لها حتى نقطع الوقت بذكرها ولكن من أحب شيئا أكثر من ذكره (ومثل من ترك الدنيا لا آخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالتقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفقرى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز فزلقها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمة أخبرنا أكلت فلذتها في حال المضغ وتة ضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنهى الى الثقل

أحسن من خرقه بالاضافة الى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخرقه بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال أبو زيد رحمه الله تعالى لابي موسى عبد الرحيم في أي شئ يتسكلم قال في الزهد قال في أي شئ قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتسكلم في شئ الدنيا لاشئ ايش زهد فيه او مثل من ترك الدنيا لا آخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعجورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فالتقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته أفقرى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز فزلقها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كالقمة أخبرنا أكلت فلذتها في حال المضغ وتة ضى على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنهى الى الثقل

والقدر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهى الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتماهى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانسبة لها الى نعيم الابد (بوجه من الوجوه) فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات

الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها الى نعم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فبسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا (٣٣٩) تفاوت درجات الزهد وكل درجة من

هذه أيضا لها درجات اذ تصير المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده) ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجاتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهد له لعله يتوفيق الله ومسته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترده هابين الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخالها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرج واذا علم مراد الله في الادخال ادخل ان بواعثه في الادخال والاخراج تهذب وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا للسيدة فصار كفه خزانة من خزائن الله كحل الوديعه المنتظر به ما قدوم مال كها عررها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبران الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحوض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتسبت بعدك محتسبا فظايغا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حض لصدرت عنه رواء وفيه يدو يد غير منسوب محتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اه قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كأنني الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتسبت حتى خفت عليك فقال أي أخي اني حبست بعدك بحسب اظطيمعا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند فيه عليه الخافض ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليحجمه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا أزهد الخائفين وكأثمهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا فاقناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم همما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هنادي في الزهد من حديث حذيفة من أصبحوا كبرهمه غير الله فليس من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها الى نعم الابد فاذا لا يلتفت الزاهد الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به الا لقصور معرفته فبسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا (٣٣٩) تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات اذ تصير المتزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته الى زهده) ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجاتان فالمجموع خمسة الاولى منهما أن يزهد في رؤيته لزهد له لعله يتوفيق الله ومسته ورؤية التوفيق واجبة وهي من عقود الايمان بالله ولله لترده هابين الصفات الذاتية والفعلية وهكذا في كل حال قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكمتكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم الثانية منهما وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد وهو أن لا يكون له اختيار في اخراج الدنيا ولا في ادخالها لانه اذا علم مراد الله في الاخراج أخرج واذا علم مراد الله في الادخال ادخل ان بواعثه في الادخال والاخراج تهذب وسكنت وصار عبدا مفقودا لنفسه موجودا للسيدة فصار كفه خزانة من خزائن الله كحل الوديعه المنتظر به ما قدوم مال كها عررها وردها اليه والله أعلم (وأما أقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو أيضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الاهوال والشدائد كما وردت به الاخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد (وفي الخبران الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الابل عطاشا) من ٧ الحوض (على عرقه لصدرت رواء) قال العراقي رواه أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير الحديث وفيه اني احتسبت بعدك محتسبا فظايغا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني العرق مالو ورده ألف بعير كلها آكلة حض لصدرت عنه رواء وفيه يدو يد غير منسوب محتاج الى معرفة قال أحمد هذا حديث منكر اه قلت بقية الحديث بعد قوله ومؤمن فقير كأنني الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس ثم أدخل الجنة فلقية الفقير فقال أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتسبت حتى خفت عليك فقال أي أخي اني حبست بعدك بحسب اظطيمعا كرمها ما وصلت اليك حتى سال مني من العرق ثم ساق الحديث وقول العراقي نقلا عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادئ الرأي انه قاله في المسند وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند فيه عليه الخافض ابن حجر رحمه الله تعالى وروى الطبراني من حديث ابن مسعود ان الرجل ليحجمه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحني ولو الى النار (فهذا أزهد الخائفين وكأثمهم رضوا بالعدم لو أعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم) لان احتباس الغني انما كان لسبب غناه (الدرجة الثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فان هؤلاء ما تركوا الدنيا فاقناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد) قائم (لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا) منها (ان لا تكون له رغبة الا في الله ولقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد) روى الحاكم من حديث ابن عمر من جعل الهموم همما واحدا كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة الحديث وقد تقدم (وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده) روى هنادي في الزهد من حديث حذيفة من أصبحوا كبرهمه غير الله فليس من الله في شيء (وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين) وصاحب هذا المقام قد سباه الحب وشغفه الشوق فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير

ليقصد الخلاص منها ولا الى الذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق اللهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين

وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الامن عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم يعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالخور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الله تعالى يبقى لذة الخور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة (٣٤٠) الى لذة نعيم أهل الجنة كذمة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة

الى لذة الاستيلاء على عصفور واللاعب والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللاعب بالعصفور في نفسه أعلى والأذن الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الاقاول ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرف لا حاد الاقسام وبعضها أجل للعامل أما الاجال في الدرجة الاولى من الدرجات الثلاث (فهو) أي المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهديه حتى يزهديه أيضا) فانه أيضا ما سوى الله (والاجال في الدرجة الثانية أن يزهديه كل صفة للنفس فيها متعة) أي بقاء لها ومساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفي الدرجة الثالثة أن يزهديه في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه (وفي الدرجة الرابعة أن يزهديه في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال) هو ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه من

مضيع لما ألزمه الله من حقوقهم فاني لا بدليس أن يطامع في هذا ومعه من الله عصمة وتأييد فلو لا القدر لرفعه اليه من حبه له (وهم العارفون) المتمكنون الداخلون مع الخلق بالاجسام الخارجون بالقلوب واحدهم منقطع الوجود بهمة ناظر الى مولاه بنظره اليه بما قواه فتوحده بوصفه من حيث انجمله واحده بوجهه وتخلق له خلقه لما ألبسه من نوره فيحسبه به عن خلقه فهو ظاهر باطني نبوي رباني ينظر بعين التعبد بل ظاهره حكمة وباطنه قدرة فهذا مقام رائد على حال الزهد وهي صفات فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بعد حقيقة زهده في الدنيا فهي ثمرة حب الله تعالى له عن فرع بغضه للدنيا عن أصله فرفته بمقت الله لها (لانه لا يحب الله خاصة الامن عرفه) اذ المحبة ثمرة المعرفة (وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار) لعزته (فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالخور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار) وجريان الانهماك من تحتها (غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر) الى وجهه الكريم (ولا يؤثر غيره) عليها (ولا تظن أن أهل الجنة عند النظر الى وجهه الله تعالى يبقى لذة الخور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كذمة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى الاستيلاء على عصفور) واللاعب (والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لان اللاعب بالعصفور في نفسه أعلى والأذن الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق وأما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاول ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نستغل بنقل الاقاول ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرف لا حاد الاقسام وبعضها أجل للعامل أما الاجال في الدرجة الاولى من الدرجات الثلاث (فهو) أي المرغوب عنه (كل ما سوى الله فينبغي أن يزهديه حتى يزهديه أيضا) فانه أيضا ما سوى الله (والاجال في الدرجة الثانية أن يزهديه كل صفة للنفس فيها متعة) أي بقاء لها ومساك لقوتها (وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها) من كل ما تقتضيه النفس (وفي الدرجة الثالثة أن يزهديه في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه (وفي الدرجة الرابعة أن يزهديه في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه) كما سبق (هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال) هو ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه من

الزهد

كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيره اذ في الدرجة الثالثة أن يزهديه في المال والجاه وأسبابهما اذ الله ما ترجع حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة أن يزهديه في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه اذ الاموال وان كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت أسبابه فيرجع الى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما كان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكايد يخرج ما فيه

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا ثم رده في آية (٣٤١) أخرى الى خمسة فقال عز وجل اعلموا

انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده تعالى في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف لبعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجال أخرى فالخاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغبت عن حظوظ النفس ورغب عن البقاء في الدنيا فقصر أماله لا محالة لانه انما يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنهم لم يردوها واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والقضاء بين السيفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والاشرة خبر لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي مصطفين (كانهم بنيان مرموص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكمه (وانظروا احدي الحسينين)

الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرف ذلك متاع الحياة الدنيا) ثم قال ذلك متاع الحياة الدنيا فوصف حب الشهوات بالتزيين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار اليها بقوله ذلك فذا إشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذلك والكاف للتأكيد والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جلة الدنيا المرغوب عنها وان الدنيا هي هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى أصل من أصول هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جلة الدنيا بما فيها الحب ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورتها ليست بدنياً فاذا لم تكن الحاجة دنياً دل أنها لا تسمى شهوة (ثم رده) أي مجموع هذه الاوصاف السبعة (في آية أخرى الى خمسة) معان (فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة (ثم رده) أي مجموع تلك الخمسة (في موضع آخر) من كتابه العزيز (الى) معنيين (اثنين) هما جامعان للسبعة (فقال تعالى) انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل (الى) وصف (واحد في موضع آخر) من كتابه العزيز وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الاثنين اليه الاذان هما الهوى واللعب هو الهوى وانه رجعت السبعة فيه (فقال) تعالى (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى (فالهوى لفظ جامع يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا) اذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهي عنه ضد الاشارة في نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي بان لم ينه نفسه عن الهوى بايثارة الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وايثارة في كل شيء (فينبغي أن يكون الزهد عنه) أي يكون الزهد عبارة عن مخالفة الهوى من كل شيء (واذا فهمت طريق الاجال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجال أخرى) وأما المعنى الآخر الذي عبر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنياً أيضاً وهو حب البقاء لمتعة النفس فقد أشار اليه المصنف بقوله (فالخاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغبت عن حظوظ النفس ورغب عن البقاء في الدنيا فقصر أماله لا محالة لانه يريد البقاء ليمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء فان من أراد شيأ أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة الا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فاذا رغب عنهم لم يردوها واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار اليه المصنف بقوله (ولذلك لما كتب عليهم القتال) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشي بالسيف الى السيف والقضاء بين السيفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل) والاشرة خبر لمن اتقى (أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا) فانكشف الناس (فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين) بالافتضاح وابتلى هنالك المؤمنون عند فرض القتال (أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي مصطفين (كانهم بنيان مرموص) في تراصهم من غير فرجة والرص اتصال بعض البناء ببعض واستحكمه (وانظروا احدي الحسينين)

أي لستم تريدون البقاء للمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرموص وانظروا احدي الحسينين

وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمان) في الهجرة (الى الماء البارد حرصا على نصره دين الله) لتكون كلمة الله هي العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبته عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي (رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الأصح أو بمدينة حصص على الأشهر (كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من أنار الجراحات) في سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث وأبلى في غزوة الفج بلاء حسنا ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى والبرموك وأسراً كيدر رومة وقاتل أهل الردة قتلاً عظيماً وافتح دمشق قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد الله بن محمد بن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد بن مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان في الأرض ليلة أحب الي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد ماله يهدي الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بعلام أحب الي من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في أبي وائل قال لما حضرت خالد الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي الآن أموت على فراشي وما من علي شيء أرحى عندي بعد لاله الا الله من ليلة بنها وأنا متوسر والسماء تهيلني تنتظر الى صبح حتى تغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين في الايمان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكتهم فاشارهم البقاء) في الدنيا (على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة الاعلى الابقي اذناعوه (فما ربح تجارتهم) فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف ترج تجارتهم (وما كانوا مهتدين) أي ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشترى بها بقاءاً أبدياً فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فشتان بين التجار بين وفراق ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل اتباع الهوى الذي هو الدنيا فن زهد في الحياة الفانية لامتعة في ما له المجموع بالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستجلى الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه حقيقة الرغبة في الدنيا فالزهد في هوى نفسه هو حب البقاء لنفسه متافق في دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصبهم بمرض القلوب وظهر بما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين في الآخرة لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس انما يكون حب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لا تراخى على الهوى ولو أيسر من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو حب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

مننى الحسنى تانيث الاحسن كما قال تعالى تتر بصون بنا الا احدى الحسينيين (وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عيانا (ويبادرون اليه) أى الى القتال (مبادرة الظمان) في الهجرة (الى الماء البارد حرصا على نصره دين الله) لتكون كلمة الله هي العليا (أونيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة) لعلو رتبته عندهم (حتى ان) سيف الله أبا سليمان (خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله المخزومي القرشي (رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه) بالمدينة على الأصح أو بمدينة حصص على الأشهر (كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من أنار الجراحات) في سبيل الله شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث وأبلى في غزوة الفج بلاء حسنا ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى والبرموك وأسراً كيدر رومة وقاتل أهل الردة قتلاً عظيماً وافتح دمشق قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عبيد الله بن محمد بن اسمعيل بن أبي خالد عن زياد بن مولى آل خالد قال قال خالد عند موته ما كان في الأرض ليلة أحب الي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد وروى أبو يعلى من طريق اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال قال خالد ماله يهدي الى فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بعلام أحب الي من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل ثم شك حماد في أبي وائل قال لما حضرت خالد الوفاة قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي الآن أموت على فراشي وما من علي شيء أرحى عندي بعد لاله الا الله من ليلة بنها وأنا متوسر والسماء تهيلني تنتظر الى صبح حتى تغير على الكفار (وكذا كان حال الصادقين في الايمان وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقبل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكتهم فاشارهم البقاء) في الدنيا (على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) يعني رغبوا في البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة الاعلى الابقي اذناعوه (فما ربح تجارتهم) فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بالف ألف وبأبد الآباد فكيف ترج تجارتهم (وما كانوا مهتدين) أي ممن هدى سبيله فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشترى بها بقاءاً أبدياً فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية (وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فهم لانفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين الآية (فلما رأوا أنهم تركوا مجتمع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به) كما قال تعالى فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فشتان بين التجار بين وفراق ما بين الربحين (فهذا بيان المزهود فيه) فاذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل اتباع الهوى الذي هو الدنيا فن زهد في الحياة الفانية لامتعة في ما له المجموع بالجهاد للنفس والانفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ولذلك صار الجهاد من أفضل الاعمال لانه حقيقة الزهد في الدنيا ولان الله يحب من زهد فيها بانه قد قتل نفسه فيها فاستجلى الخروج اليه منها ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه حقيقة الرغبة في الدنيا فالزهد في هوى نفسه هو حب البقاء لنفسه متافق في دين ربه وبه كشف الله الكاذبين ووصبهم بمرض القلوب وظهر بما ذكرنا ان حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى في حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فدخل أحد هذين في الآخرة لان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس انما يكون حب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعة لا تراخى على الهوى ولو أيسر من البقاء لما رغب في العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو حب البقاء فكان ذلك هو حقيقة

واذا فهمت هذا علمت أن

هذا ما ذكره المتكلمون في حسد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو على من كان يحاط به فقال بشر رحمة الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الدنيا هو الزهد في الدنيا خاصة (وهذا إشارة الى الزهد في الجاه خاصة) وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تأكل من بطنك كذلك تأكل من الزهد وهذا إشارة الى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي الشهوات لا كثر الشهوات (وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامر وهو جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء في طول امله ومن قصر امله فحاشاه رغب عن الشهوات كلها وقال أويس اذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد به هذا أحد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد وقال أويس أيضاً الزهد هو ترك الطلب للمضمون وهو إشارة الى الرزق وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة

الدنيا فصار أقصر الناس أملاً للبقاء أزهدهم في الدنيا وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملاً (واذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون) من الصوفية (في حسد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه) اذ كان مقامه أقيم فيه أحواله (أو على من كان يحاط به) فحاط به على قدر حاله أو مقامه (فقال بشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس) وفي ملاقاتهم اذ الرغبة هي فيهم وفيما عندهم نقله صاحب القوت وقال في موضع آخر وكان بشر يقول الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس لانه كان يقول سب لقاء الناس هو من الدنيا لانه الموعوب فيه عندهم ويتسبب اليه بهم فلذلك صار الزهد فيهم ولذلك قال بعض الحكماء اطلب الزاهد الناس فاهرب منهم واذا هرب من الناس فاطلبه وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه (وهذا إشارة الى الزهد في الجاه خاصة) ومثله قول السري ما رست كل شئ من أمر الزهد فقلت منه ما أريد الا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطقه رواه القشيري عن أبي عبد الله الصوفي سمعت أبا الطيب السامري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول فذكره (الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تأكل من بطنك كذلك تأكل من الزهد) فكان الدنيا عنده هو الشبع وأكل الشهوات وتناول المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات نقله صاحب القوت (وهذا إشارة الى الزهد في شهوة واحدة) وهي شهوة البعان (ولعمري هي أغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لا كثر الشهوات وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (الزهد هو القناعة) وكانت الدنيا عنده هي الحرص والشره والضراعة وفي لفظه القناعة هي الزهد (وهذا إشارة الى المال خاصة وقال) سفيان الثوري رحمه الله تعالى (الزهد هو قصر الامر) وانتظار الموت فصارت الدنيا عنده طول الامر ونسيان قرب الاجل كذا في القوت وقال القشيري في الرسالة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول حدثنا أحمد بن اسمعيل الأزدي حدثنا عمران بن موسى الاسفنجي حدثنا الدورقي حدثنا وكيع قال قال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامر ليس باكل الغليظ ولا لبس العباء اه وهو (جامع لجميع الشهوات فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء في طول امله ومن قصر امله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا) فكانه رغب عن الشهوات كلها وقدر وي مثل قول سفيان أيضاً عن أحمد بن حنبل وعيسى بن نونس وغيرهما قال القشيري وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والاسباب الباعثة والمعاني الموجبة له (وقال أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين في قول رجل سأله عن الزهد (اذا خرجت تطلب) أي الرزق (ذهب الزهد) ولفظ القوت اذا خرج العبد يطلب ذهب الزهد وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد في أي شئ خرجت فقال أطلب المعاش فقال له فان الزهد يعني أن الزهد عنده أن يقطع العبد يدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله وأن ينسى في جنب ذكر الله ترك الطلب شغلاً بما يرد عليه من المطالب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب فهذا غاية الزهد هو طريق طائفة من الابدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا في القوت (وما قصد به هذا أحد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد) أي لا يكمل مقام الزهد الا بالتوكل على الله تعالى (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضاً الزهد هو ترك الطلب للمضمون) أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه (وهو إشارة الى الرزق) وهو بمعنى ما تقدم قال هرم بن حيان اقيمت على شاطئ الفرات يغسل كسراً وخرقا قد التقطها من المنبذ وكان ذلك أكله وليس له قال فسألت عن الزهد أي شئ هو فقال في أي شئ خرجت قلت أطلب المعاش قال اذا وقع الطلب ذهب الزهد (وقال) بعض العلماء من (أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كلهم ويناعن سفيان قالوا الزهد أي ما الزهد قال لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع

الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر اهـ (وهذا أن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطالب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أوالى بعض ماهون فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة) بل يكون وبالافها وسببها الهلاكه (وقد طولوها) أى تلك العلوم (حتى ينقضى عمر الانسان في الاستقلال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده) والالم يخص له الزهد وقال صاحب القوت ومن الزهد عند الزاهد من ترك فضول العلوم التي معلوماتها أول إلى الدنيا وتدعو إلى الجاه والمنزلة عند أنبياءهم وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قرب به عنده الله وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدى الله تعالى ويقسى القلب ويحجب عن التفكير في آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علماء جعلها البطالون شغلا انقطعوا به عن الله وحجبا به عن مشاهدة علم الحقيقة لا يستطيع ذكره لكثرة أهاليها الآن يسأل عن شئ أعلم هو أم كلام أوحى أو تشبيه أو صدق وحكمة أو زخرف وغرور أسنة هو أم بدعة أعتق أم محدث وتشديد يخفى بخبر بصواب ذلك (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني) قال صاحب القوت (فذهب إلى أن الزهد هو النواضع) وقد قال يوسف بن اسباط غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترى أحدا إلا رأيت أنه خير منك رواه أبو نعيم في الحلية (وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد انما هو (طلب الحلال) وانه واجب مفترض في مثل زماننا هذا الاختلاط الاشياء وغلبة الشهوات وهو قول عاد في أهل الشام وطريقة عبادهم مثل ابراهيم بن أدهم وسليمان والخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وأبي اسحق الفزاري وشعيب بن حرب والداراني وهيب بن الورد وقضيل بن عياض وهم عشرة معروفون بأكل الحلال قالوا فقد تعين فرض الزهد ووجب تفقد المطاعم والسؤال عنها لقلة المتقين وقد الورعين) وأين هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس) رحمه الله تعالى وذكر قريبا (ولاشك في أنه) أى أويسا (أراد به) ترك (طلب الحلال) ولكل من القولين وجه (وقد كان يوسف بن اسباط) الشيباني رحمه الله تعالى (يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد) نقله صاحب القوت (وفي الزهد أقاويل) كثيرة (وراء ما نقلناه فلم نرفى نقاه فائدة) مع ان بعضها عند التأمل يرجع إلى بعض ما ذكر في ذلك قول بعضهم الزهد أن لا تفرح بوجود من الدنيا ولا تتأسف على مفقود منها تزع بذلك إلى قوله تعالى لكيلا تسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال أبو عثمان الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي من أخذها وقال أبو علي الدقاق الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطا ولا أعمر مسجدا وقال ابن الجلاء الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الاعراض عنها وقال الجنيد الزهد خلوا القلب مما خلت منه اليد وقال ابن المبارك الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر وبه قال شقيق البخلي ويوسف بن اسباط قال القشيري وهذا أيضا من أمارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله وقال عبد الله بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم وسأل روم الجنيد عن الزهد فقال هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ويرى عنه أيضا الزهد خلوا اليد من المال وخلوا القلب من التبع وقال الشبلي الزهد أن تزهّد فيما سوى الله تعالى وقال ذوالنون الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس وقال الحسن البصري الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها وقال بعضهم الزهد في الدنيا هو ترك ما فيها على من فيها هذه ثلاثة عشر قولنا نقلها القشيري في الرسالة وفي القوت وقالت طائفة الزهد هو بغض المحمّدة وأن لا تحب أن تحمد على شئ من أعمالك وقال آخرون الدنيا هي الاكل واللباس والمساكن والزهد هو ترك فضول هذه الاشياء وقال آخرون حقيقة الدنيا هو حب

وهذا أن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطالب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أوالى بعض ماهون فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوها حتى ينقضى عمر الانسان في الاشتغال بواحد منها فشرط الزاهد أن يكون الفضول أول مرغوب عنه عنده وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وطلب الحلال وأين هذا من يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ باصل الزهد وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نرفى نقلا فائدة

الشرف والعز والرياسة فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الجول والذلة وطلب الخضوع والضعفة وقال آخرون الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شيء وكان سفيان يقول الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شيء وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الاخلاص فادخل فيه التوكل وجه له أوله لانه لا يزهد حتى يتق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه وجعل الصبر حالاً منه أراد لثبات الإيمان أو يخرج فيرجع إلى الرغبة وجعل ثانياً له الاخلاص وهذا الاخلاص الصادق أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعاً إلى عوض ولا تطالباً بالسبب هو دون الله تعالى وكذلك جعل أجند بن حنبل الاخلاص هو الزهد ففسره به لانه اذا بالغ حقيقة الاخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقاً بمعنى تقارباً فيه أما أحدهما ففسر الزهد بالاخلاص جعله نهاية وهو حاتم وأجند - برعن الاخلاص بالزهد لانه حقيقة وأما ثوب السخيتاني فانه سئل عن الزهد ما هو فقال هو أن تعبد في بيتك فان كان تعبدك لله رضا والاخرجت تنفق درهمك فان كان رضا والا أمسكت تمسك مالك فان كان رضا والا أخرجه تهكت فان كان سكوتك لله رضا والاتكاهم تتكلم فان كان كلامك لله رضا والاسكت هذا هو الزهد - والا فلا تلعنوا وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراقب للوقت فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء اذ جعل الزهد فيها هو اتباع مرضاته في الاشياء وقال بجاهد الزهد الاثرة لله على ماسواه اذا أتاه شيء من الدنيا استعمل الخوف والحياء فيؤدي الى كل ذي حق حقه وكان ابن عيينة يقول حد الزهد أن يكون شاكر عند الرخاء صابراً عند البلاء فهذا قد صير الشاكر على النعمة والصابر على البلية زاهداً وجعل له الزهد باجتماع الشكر والصبر وهذا زهد عموم المؤمنين وقيل ليحيى بن معاذ ينبغي يكون الرجل زاهداً اذا فقال اذا بالغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهداً وقال الداراني الزهد التخلي من الدنيا والاشتغال بالعبادة فاما من تركها وتبدل فالتما طلب الراحة لنفسه وقال سهل أول الزهد التوكل وأوسطه اظهار القدرة وقال أيضاً لا يزهد العبد زهداً حقيقياً لاربعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة وقال بعضهم الزهد هو اخفاء الزهد وقال سهل لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فعل الزهد - مقام في الخوف رفعة عليه وفي الخبر انما الزهد أن تكون بما في يدك الله تعالى أو وثق منك بما في يدك فهذا مقام التوكل وقال قوم الزهد هو ترك الادخار فكانت الدنيا عندهم الجمع وقال بعضهم الدنيا ما شغل القلب واهتم به فعملوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصرف الاحكام وهذا هو التقوى والرضا وقال الداراني التورع أول الزهد وقال أبو هشام المغازلي الزهد قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وقال ابن السمعاني الزهد أن لا يفرح بشئ من الدنيا أتاه ولا يحزن على شئ منها فانه لا ينبغي على عسر أصبح أم يسر وقال طيفور البسطامي الزهد أن لا يملك ولا يملك وقال علماء الظاهر الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام باحكام الشرع وأخذاً بشئ من وجهه ووضعه في حقه وما خالف العلم فهو جهل كله وهو يقدحوا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا غرائبه وباطنه ذلك مباهجهم من العلم ونصيبهم من الفهم وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالاعتلال وقال الجنيد الزهد معنيان ظاهر وباطن فالظاهر تنقض ما في الابدى من الاملاك وترك طلب المنة وود الباطن زوال الرغبة عن القلب وجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فهذه الاقوال مع ما ذكره المصنف تنيف على أربعين قولاً وانما المصنف في نقلها فائدة (فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الخبرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصور وريسة - يرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا في البصيرة لكونهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا حرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجة تختلف فلا حرم الكلامان تختلف في نفسه والاحوال تختلف فلا حرم

فان من طلب كشف حقائق الامور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد الا الخبرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصور بقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا في البصيرة لكونهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا حرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجة تختلف فلا حرم الكلامان تختلف في نفسه والاحوال تختلف فلا حرم

الاقوال المخيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف (على الصحيح من مذهب الأصوليين) وإنما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله (قارئ أهل الشام الامام (أبو سليمان) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (الداراني) رحمه الله تعالى (اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل) ولفظ القشيري قال الداراني الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى ولفظ القوت وكان الداراني أبو سليمان يقول الدنيا كل ما يشغل عن الله وكان الزهد عنده دوام التفرغ لله تعالى بحسن الاقبال عليه اه وقال شارح الرسالة أراد بترك ما يشغل عن الله اي بقلبة ولا فهو من غرات الزهد فقد ترك الانسان ما يشغله عن الله لا لزهد بل لشغله بما هو أشرف منه اه هذا على سبيل الاجمال (وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا) ولفظ القوت من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا (فجعل جميع ذلك ضد الزهد) ويقرب من قول الداراني قول داود الطائي كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أموال فهو عليك مشؤم (وقرأ أبو سليمان) الداراني (قوله تعالى الا من أتي الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله) فهذا زهد الصديقين وإنما تكون هذه الثلاث دنيا لان أراد الدنيا العاجل متعة النفس بها فاما من أراد بها الآخرة فهي طرقات الى الآخرة (وقال) مرة (انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها والآخرة) فاذا رزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التي ذكرت كن له قربات الى المذكر وقد كان رحمه الله تعالى ذاعبالي ولم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله ولا يدخلون عليه في مقامه فيخرجونه من المقام كذا في القوت (فهذا بيان أنقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المرهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فالفرع هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات) فكأنه جعل الورع زهدا وهو التوسط بين الزهدين زهدا ومبدأية وزهدا خصوصا في نهاية (وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام) وقال سلام بن أبي مطيع الزهد على ثلاثة وجوه واحد أن يخص العمل لله والقول فلا يريد بشيء منه الدنيا ولا ما عند الخلق ولثاني ترك ما لا يصلح القلب والدين والثالث الحلال أن يزهد في فضله وهذا تطوع وقال القشيري اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال الزهد في الحرام لان الحلال مباح من قبل الله تعالى فاذا أنعم الله على عبد بحلال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه باختياره وبحق لا يقدم على امساكه بحق اذنه ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة فان اقلل المال والعبد صابر في حال راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا ومنهم من قال اذا أنفق ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهيه الشرع عنه في حال التيسر حينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم منه في الحرام ومنهم من قال ينبغي أن لا يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول فيه المحتاج اليه ويراعى القسمة فان رزقه الله مالا من حلال شكره وان وقفه الله على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال وقال صاحب القوت وكان الشاميون من العلماء يقولون ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن ان يكون ذامك وما دخلك سواء وتكون حالك في المصيبة وحالك اذ لم تصب بها سواء وتكون بما في يداك الله أثق منك بما في يد غيره فهدامة التوكل وحال الرضا (وذلك من الزهد اذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى) فاصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع بعده الفضلات كذلك وقال أبو حفص التقوى في الحلال المحض لا غير وقال الداراني الورع أول الزهد كان القناعة طرف الرضا وقال ابن عطاء للتقوى ظاهر وباطن فظاهاه بحفاظة الحدود وباطنه النية والاخلاص وكان سهل يقول أرهد الناس في الدنيا أصنافا مطعما وقال أيضا أقصى مقام من الورع أوفى مقام من الزهد وتحقيق ذلك ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى

الاقوال المخيرة عنها تختلف وأما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني اذ قال سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى الا من أتي الله بقلب سليم فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها والآخرة فهو ذا بيان أنقسام الزهد بالاضافة الى أصناف المرهود فيه فاما بالاضافة الى أحكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابراهيم بن أدهم فالفرع هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى

وأما بالاضافة الى خفايا ما

يتركه فلا نهاية للزهد فيه
اذلا نهاية لما تتمتع به النفس
في الخطرات والخطرات
وسائر الحالات لا سيما خفايا
الرياء فان ذلك لا يطالع عليه
الاسماسة العلماء بل
الاموال الظاهرة أيضا
درجات الزهد فيها لا تتناهي
فن أقصى درجاته زهد
عيسى عليه السلام اذ
توسد حجرا في نومه فقال له
الشيطان أما كنت تركت
الدنيا فما الذي بدالك قال
وما الذي تجدد قال توسد
الحجر وأي تنعمت برفع رأسك
عن الارض في النوم فرمى
الحجر وقال خذه مع ما تركته
لك وروى عن يحيى بن
زكريا عليه السلام انه
لبس المسوح حتى نقب
جلده ثم كاللتنم بلين
اللباس واستراحة حس
اللمس فسأله أمه أن
يلبس مكان المسح جبة من
صوف ففعل فأوحى الله
تعالى اليه يا يحيى آثرت على
الدنيا فبكى وثرع الصوف
وعاد الى ما كان عليه وقال
أجد رجاء الله الزهد زهد
أو يس بلغ من العري أن
جلس في قوصرة وجلس
عيسى عليه السلام في ظل
حائط انسان فأقامه صاحب
الحائط فقال ما أقتنى أنت
انما أقامني الذي لم يرض
لي أن أتنعم بظل الحائط
فاذا درجات الزهد ظاهرا

وباطنا لا حصر لها

وما دنا من قلبه من الشهوات فن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذه احوال الزهد المفترض ومن
زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذه احوال الزهد المفضل يرجع ذلك الى حظوظ
جوارحه التي هي أبواب الديناميته وطرقها اليه فالزهد في محرمانه زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد
في شبهاتهم زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالهم من فضائل حاجات النفس زهد الزاهدين به يصفو
يقينهم وفي حديث عمرو بن ميمون عن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا زبير اجهد نفسك عند نزول
الشهوات والشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب (وأما بالاضافة الى خفايا
ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه اذلا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات والخطرات وسائر الحالات لا سيما خفايا
الرياء فان ذلك لا يطالع عليه الاسماسة العلماء) أي نقادهم وجهادتهم وفي القوت ومن أفضل الزهد
الزهد في الرياسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم والزهد في حب الثناء والمآرج منهم لان هذه المعاني هي
أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثوري يقول الزهد في الرياسة
ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قديمان لان في طلب ذلك وكان يقول
هذا باب غامض لا يتبصر به الاسماسة العلماء وقال الفضيل نقل الصخور من الجبال أبسر من ازالة الرياسة
قد ثبتت في قلب جاهل قلت وقال أحد بن أبي الحواري حدثنا اسحق بن خلف قال الورع في المنطق أشد منه
في الذهب والفضة والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لانك تبدلهمافي طلب الرياسة وقد روى
عن يوسف بن اسباط نحوه كما في الخلية (بل الامور الظاهرة أيضا درجات الزهد فيها لا تتناهي فن أقصى
درجاته زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا فما الذي
بدالك قال وما الذي تجدد قال توسد الحجر وأي تنعمت برفع رأسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه
فيما تركته لك) ولغز القوت ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه قد يقع عن نهاية معارفهم
بدقائق أبواب الدنيا وخفايا الواح الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتورع عن كل شيء
لنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كماروى عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكانه لما ارتفع
رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك زهدت في الدنيا قال نعم قال
فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو قال فرمى عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت اه قلت
أنخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري قال ان عيسى عليه السلام مر به ابليس يوما وهو متوسد حجرا وقد
وجد لذة النوم فقال له يا عيسى تزعم انك لا تريد شيئا من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا فقام عيسى
عليه السلام فاخذ الحجر فرمى به وقال هذا لك مع الدنيا (و) مثله (روى عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه
لبس المسوح حتى نقب جلده) أي أثريه لحشوته وكان عليه السلام قد طلب من أمه ذلك حين مر
ببيت المقدس ورأى الرهبان لا يلبس كذلك (ترك للتنم بلين اللباس واستراحة حس اللبس فسأله أمه
أن يلبس مكان المسح جبة من صوف) لانه ألين من الشعر (ففعّل) طاعة لأمه لانه كان بارا بها (فأوحى الله
تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى وثرع الصوف وعاد الى ما كان عليه) وليس مدرعته من الشعر نقله
صاحب القوت (وقال أحمد) بن حنبل رحمه الله تعالى (الزهد زهد أو يس) القرني رحمه الله تعالى (بلغ من
العري الى أن جلس في قوصرة) نقله صاحب القوت والقوصرة بالتخفيف والتثقيب وعاء الثمر يتخذ من قصب
(وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أقتنى أنت انما أقامني الذي لم
يرض لي أن أتنعم بظل الحائط) رواه ابن عساكر عن أبي سليمان الداراني قال بينما عيسى عليه السلام عشي
في يوم صائف وقد مسه الحر والشمس والعماس فجلس في ظل خيمة فخرج اليه صاحب الخيمة فقال يا عبد الله
قم من ظلمنا فقام عيسى وجلس في الشمس وقال ليس أنت الذي أقتنى انما أقامني الذي لم يرد أن أصيب من
الدنيا شيئا (فاذا درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها) اذلا نهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب

وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومحذور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان قلت مهما كان الصريح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله تعالى هو الاتقبال بكل القلب عليه ذكره أو فكره ولا يتصور (٣٤٨) ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرويات النفس فهما اقتصرتا من الدنيا على دفع

الدينيا وخفايا الواغ الهوى (وأقل درجاته الزهد في كل شبهة ومخافور) وهو زهد الورعين به يكمل إيمانهم كما سبق قريبا (وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحذور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدين إلا يتصور الزهد الآن) روى ذلك عن جماعة منهم يوسف بن أسباط قال صاحب الحلية حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا المسيب بن واضح سألت يوسف بن أسباط عن الزهد ما هو قال أن ترهق فيما أحل الله فاما ما حرم الله فان ارتكبه عبدك الله وحدثنا أبو محمد بن حبان - حدثنا محمد بن يحيى - حدثنا الحسين بن منصور - حدثنا علي بن محمد الطنافسي - حدثنا سهل أبو الحسن سمعت يوسف بن أسباط يقول لو أن رجلا في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلناه زاهدا لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم (فإن قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد هو ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى فاعلم أن معنى) العزوف (الانصراف من الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا) والتوجه بكنه الهمة إليه (ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بضروريات النفس) مما تحتاج إليه اضطرارا (فهما اقتصر من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان) قصدا (و غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فالمشغول بغير الله الناقص بسقيها) ورعايتها في خدمتها (في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقك بالذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى) تحملك (تسير بك إلى مقصدك فكذا ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش والمهلك بالاكل والشرب وعن الحر والبرد والمهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ) والتنعم (بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد) لأنه به حصوله (وان قلت فلا بد وان أتلتذبا كل ذلك عند الجوع فاعلم أن ذلك لا ضرر إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منهرفا إليه فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الاسحار وصوت الطيور) الناعية (ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فإصابه من ذلك بغير قصد ولا يضره واقد كان في الخائفين) من الزاهدين (من طلب لنفسه) موضعا لإصابه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدين والنقصان) في الأنس بالله (بقدر وقوع الأنس بغير الله) و يروى أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن برخ يعني الأسود الذي كان موسى استسقى لبني إسرائيل نعم العبد هو إلا أن فيه عيبا قال وما هو قال يعجبه نسيم الصحر فيسكن إليه ومن أحبني لم يعجبه شيء أؤلم يسكن إلى الشيء فعابه باستراحة النفس إلى روح القضاء ونقصه عن التمام يسكن قلبه إلى نسيم السحر (ولذلك كان) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (له حب مكسور) وهو بضم الحاء المهملة الخاسية للماء جمع حباب بالكسر وجمبة

المهلكات عن البدن وكان
غرضك الاستعانة بالبدن
على العبادة لم تكن مستغلا
بغير الله فان ما لا يتوصل الى
الشيء الا به فهو منه فاشتغل
بغاف الناقه وبسقيها في
طريق الحج ليس معرضا عن
الحج وليكن ينبغي أن يكون
بدنك في طريق الله مثل
ناقلتك في طريق الحج ولا
غرض لك في تنعم ناقلتك
بالذات بل غرضك مقصور
على دفع المهلكات عنها
حتى تسير بك الى مقصدك
فكذلك ينبغي أن تكون
في صيانة بدنك عن الجوع
والعطش المهلك بالاكل
والشرب وعن الحر والبرد
المهلك باللباس والمسكن
فتقتصر على قدر الضرورة
ولا تقصد التلذذ بل التقوى
على طاعة الله تعالى فذلك
لا يناقض الزهد بل هو شرط
الزهد وان قلت فلا بد وأن
أتلذذ بالاكل عند الجوع
فاعلم أن ذلك لا يضر اذا لم
يكن قصدا للتلذذ فان
شارب الماء البارد قد يستلذ
الشرب ويرجع حاصله الى
زوال ألم العطش ومن يقضى
حاجته قد يستريح بذلك

ولكن لا يكون ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالاقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم مثل
الاسحار وصوت الاطيار ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فاصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره ولقد كان في الخائفين من طلب
موضعا لا يصيبه فيه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة وأنس القلب معه فيكون فيه أنس بالدينيا ونعمان في الانس بالله بقدر وقوع الانس
بغير الله وانك كان داود العاني له حب مكشوف

فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجـد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا فلهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتمدين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين (٣٤٩) رضى الله تعالى عنهم أجمعين * (بيان

تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة) *

اعلم أن ما الناس منهم مكدون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول كالخيل المستومة مثلا اذا غالب الناس

انما يقتنئها للترفيه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم كالاكل والشرب ولستنا نغفل على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر

وانما ينحصر المهم الضروري والمهم أيضا ينقسم الى فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور المطعم والملبس والسكن واثائه والمنكح

والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه الستة من جللتها وقدرنا معنى الجاه وسبب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في

كتاب الرياء من ربيع المهلكات ونحوه الآن نقصر على بيان هذه المهمات الستة (الاول المطعم) ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه (ويقويه على العبادات) ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فلا بد من قوت حلال يقيم صلبه (ويقويه على العبادات) ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله

مثل غيبة (فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجـد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا) قال أبو نعيم في الحلية حدثنا إسحق بن أحمد حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول كان داود الطائي له دنانير المائة ودن للخبز فلما دن الماء فكان قد جعله في الأرض لئلا يصيبه الروح فيبرد وروى من طريق حفص بن عمر الجعفي قال دخل رجل على داود الطائي فقال يا أبا سليمان أتعطشان قال اخرج واشرب ففعل يدور في الدار لا يجد ماء فرجع اليه فقال يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة فقال اللهم غفر لي هذا ما قال فخرج يلتمس فاذا دن من هذا الاصيل الذي يفعل فيه الطين وقد دعت خرفة أسفل كوز فاحذ تلك الخرفة يغرف بها فاذا ماء حار كانه يغلي لم يقدر أن يسقيه فرجع اليه فقال يا أبا سليمان مثل هذا الحر الناس يكادون ينسحقون ودن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت حربة وقلة فقال داود حب حبري وجرة ملارية وقلال منقشة وجارية حسنة واثاث وناض وفضول لو اردت هذا الذي يشغل القلب لم أتعن نفسي ههنا انما أطلقت نفسي عن هذه الشهوات وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا الى روح الاخرة وروى من طريق سهل بن سليمان النبلي حدثنا عبد الله الاعرج أو غيره قال أتيت داود فعلمت معه المغرب ثم تبعته الى داره فذكر الحديث وفيه ثم قام داود الى شن في الدار في يوم صائف فاخذ يشرب منه فقلت يا أبا سليمان لو أمرت أن يبرد لك هذا الماء فقال أما علمت ان الذي يبرذه الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله (فهذه مخاوف المحتاطين) لدينهم (والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فذته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يتقل على أهل المعرفة القاهرين لانفسهم بسياسة الشرع المعتمدين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين) والله الموفق

*(بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة) *

(اعلم) وفقك الله تعالى (ان ما الناس منهم مكدون فيه ينقسم الى فضول) وهو ما زاد على الحاجة (والى مهم) ضروري (والفضول كالخيل المستومة) اي المعلقة او المرعية كقاي الصحاح وقال الازهرى هي الرسالة وعليها ركبانها (اذ غالب الناس انما يقتنئها) ويتخذها للترفيه بركوبها وهو قادر على رجليه (أو على خيل أقل منها) والمهم كالاكل والشرب ولستنا ندور على تفصيل أصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر (لكثرةها وانما ينحصر المهم الضروري) الذي لا بد منه (والمهم) الضروري (أيضا تنقسم الى فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور) الاول (المطعم) والمشرع تابع له (و) الثاني (الملبس) الثالث (السكن) الرابع (اثائه) الخامس (المنكح) السادس (المال) (و) اما (الجاه) فانه (يطلب لاغراض وهذه الستة من جللتها) أي الاغراض (وقدرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز عنه في كتاب الرياء من ربيع المهلكات) فلا نعيده (ونحن الآن نقصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم) فنقول (ولا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه) ويقويه على العبادات (ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما طوله فبالإضافة الى جلته العمر) وفي نسخة جميع العمر (فان من يملك طعام يومه فلا يتقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله وأما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله اذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه) ولا من عشائه

فبالإضافة الى جلته العمر فان من يملك طعام يومه فلا يتقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله فلا يقصر الا بقصر الامل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه

وهذه هي الدرجة العليا (الدرجة الثانية أن يدخر شهر أو أربعين يوماً) الدرجة الثالثة أن يدخر سنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخلوا أكثر من ذلك فسميت زهاداً محالاً لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد الا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فامسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا الاضداد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه (٣٥٠) فبالإضافة الى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد

واحد وهو ما قدره الله تعالى في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغناء به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة الى الجنس فاقله كل ما يعوق ولو الخبز من الخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البرغيم مخول فاذا ميز من الخالة وصار حوارى فقد دخل في التمتع وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما الادم فاقله الملح أو البقل والخل وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أى دهن كان وأعلاه اللحم أى لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائماً أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائماً وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن ينتهي

لغداً (وهذه هي الدرجة العليا) كما سبق في الادخار (الثانية أن يدخر شهر أو أربعين يوماً) وهي الدرجة الوسطى (الثالثة) أن يدخر سنة فقط) وهي اثنا عشر شهراً (وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخلوا أكثر من ذلك فسميت زهاداً محالاً لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد الا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من أيدي الناس كداود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى فإنه ورث عشرين ديناراً فامسكها لنفسه (وأنفقها في عشرين سنة) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم حدثنا عثمان بن زفر أخبرني ابن عم لداود قال ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً فاكلها في عشرين سنة كل سنة ديناراً منه يصل ومنه يتصدق (فهذا الاضداد أصل الزهد الا عند من جعل التوكل شرط الزهد) وسماي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا (وأما عرضه فبالإضافة الى المقدار وأقل درجته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد) وهو رطل وثلاث بالبغدادى عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أرطال وثلاث والمد رطلان عند أهل العراق (وهو ما قدره الله في اطعام المسكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاستغناء به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة الى الجنس فاقله كل ما يعوق ولو) كان (الخبز) المتخذ (من الخالة) وأوسطه خبز الشعير والذرة) والدخن (وأعلاه خبز البر) من دقيق (غير مخول فاذا ميزت الخالة وصار حوارى فقد دخل في التمتع وخرج من آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله وأما الادم فاقله الملح) الجربش (أو البقل) من نبات الارض (والخل) منفرداً وبمجموعاً (وأوسطه الزيت أو يسير من الادهان أى دهن كان وأعلاه اللحم أى لحم كان وذلك في الاسبوع مرة أو مرتين فان صار دائماً) في كل يوم (أو أكثر من مرتين في الاسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة) واحدة (وهو أن يكون صائماً) فيفطر عليه (وأوسطه ان يصوم ويشرب ليلة) عند الافطار (ولا يأكل ولا يشرب) عند الافطار (ولا يشرب وأعلاه ان ينتهي الى ان يطوى ثلاثة أيام) تباعاً (وأُسبوعاً) تباعاً (وما زاد عليه) فلا حله (وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع المهلكات فلانعبده ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة) رضوان الله عليهم (في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء) ولفظ القوت قد جاءت الاخبار في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وحال أهل بيته وأزواجه ان كان يأتي عليهم سم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ولا توقد في بيوت أزواجه نار ولا يرى دخان لخبز ولا طبخ قال عروة فقلت لعائشة يا أمه فما كان تعيشنكم قالت الاسودان النمر والماء وكان لنا جيران من الانصار برباين البنات اللين في الحين بعد الحين اه قال العراقي روى ابن ماجه من حديث عائشة يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه بنار ولا حمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نار وفي رواية ثلاثة أهلة (وهذا) أي تعيشهم بالاسودين (ترك اللحم والمرقة والادم

الى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع المهلكات ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم

وقال

في ربيع المهلكات ولننظر في أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعصاة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وتركهم الادم قالت عائشة رضي الله عنها كانت تأتي علياً بأربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قبل لها فم كنتم تعيشون قالت بالاسودين النمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم

وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الجمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويأكل على الأرض ويقول
انما أنا عبد كل كيانا كل العبيد وأجلس كل العبيد وقال المسيح عليه السلام بحق أقول لكم انه من طاب الفردوس نخبنا الشعيرة
والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ (٣٥١) قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر

وكان المسيح صلى الله عليه وسلم يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخبنا الشعيرة وياكم ونخبنا البر فانكم لن تقوموا بشكركم وقد ذكروا ناسيرة الانبياء والسلف في المطعم والمشرّب في ربيع المهلكات فلانه دولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء نوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه نواضع الله تعالى وأني عسر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى ابن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوله ما وجدولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا بحجته والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع ادامته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الجمار ويلبس الصوف ويتعلل الخوص ويلقى أصابعه ويأكل على الأرض ويقول انما أنا عبد كل كيانا كل العبيد وأجلس كل العبيد) قال العراقي تقدم دون قوله انما أنا عبد فانه ليس من حديث الحسن انما هو من حديث عائشة وقد تقدم اهـ قلت وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب كان يركب الجمار ويخفف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وروى الطبراني من حديث ابن عباس كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة ويحب دعوة المملوك على خبز الشعيرة وروى ابن ماجه من حديث أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويحب دعوة المملوك ويركب الجمار وروى أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن آكل كيانا كل العبد وأجلس كل العبد وأجلس كل العبد وعند ابن عدي انما أنا عبد آكل كيانا كل العبد وأشرب كل العبد (وقال عيسى عليه السلام بحق أقول لكم انه من طلب الفردوس نخبنا الشعيرة والنوم على المزابيل مع الكلاب كثير) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بل فقط قال عيسى عليه السلام أكل الشعيرة مع الرماد والنوم على المزابيل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر) وأفظ القوت في الخبر ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته من خبز بر ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل وتقدم في اخلاق النبوة (وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخبنا الشعيرة وياكم ونخبنا البر فانكم لن تقوموا وبشكركم) كذا في القوت وروى ابن عساكر من طريق كعب الاحبار نحوه (وقد ذكروا ناسيرة الانبياء) عليهم السلام (والسلف) الصالح (في المطعم في ربيع المهلكات فلا نعيده) ثانيا (ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال أما اني لست أحرمه ولكن أتركه نواضع الله تعالى) رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه أوس ابن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال فذكره في آخره فانه من نواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بنى افرقه الله وقد تقدم (وأتى عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف) فذاقها فاذا ماء وعسل (فقال اعزلوا عني حسابها) اعزلوا عني مؤثرها رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم (وقد قال يحيى بن معاذ الرازي) رحمه الله تعالى (الزاهد الصادق قوله ما وجدولباسه ماستر ومسكنه حيث أدرك) أي حيث يدركه الليل يأوي (الدنيا بحجته والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شعاره والجوع ادامته والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرقته والجنة مبلغه ان شاء الله تعالى) فقد ادرج فيه جملة من المقامات الاعتبار والحزن والحياة والصبر والتوكل والتقوى وقال ذو النون المصري الزاهد قوته ما وجدوثه ما ستره وبينه ما آواه وماله وقته (المهم الثاني) الملبس وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلىه أن يكون منديل لربط الرأس (وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت) حتى يحجب (فاذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد

ان شاء الله تعالى) (المهم الثاني الملبس) وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يغطي به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان وأعلىه أن يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت فاذا صار صاحب قميص وسراويلين ومنديلين فقد

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث (٣٥٢) المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الحسن وأعلى القطن الغليظ

خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار أما الجنس فأقله المسوح الخشنة) وهي ثياب تنسج من الشعر (وأوسطه الصوف الحسن وأعلى القطن الغليظ) وهو الكرياس (وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمسك عليه شهر أو ما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد) لما سبق أن الزهد عبارة عن قصر الأمل (الأذا كان المطلوب خشونته) وفي نسخة جشونته أي غلظه (ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان مجبالا الدنيا) ومجبة الدنيا بخالف صفة الزهد (ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء عليهم السلام) والصحاب (رضوان الله عليهم) (كيف تركوا الملابس) وأعرضوا عنها (قال أبو بردة) هاني بن دينار رضي الله عنه (أخرج لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبدا وازار اغليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين) رواه الشيخان وتقدم في آداب المعيشة (وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس) قال العراقي لم أجده أصلا اه قلت وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه هذا عجيب فهو في مسند الفردوس من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة ولفظه إن الله عز وجل يحب المؤمن المتبذل الذي لا يبالي باللبس اه قلت ورواه كذلك من هذا الطريق ابن النجار في تاريخه (وقال عمرو بن الأسود العنسي) بالنون ويقال الهمداني ويقال له غير بالتصغير وهو به أشهر وهو والد الحكيم بن غير يكنى أبا عياض وأبا عبد الرحمن سكن ديار من دمشق وسكن خص أيضا له روايات عن عمرو ومعاذ وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأم حرام بنت ملحان وأبي هريرة وعائشة وغيرهم وقال ابن حبان عمير بن الأسود كان من عباد أهل الشام وكان يقسم على الله فيبره وقال ابن عبد البر أجمعوا على أن عمرو بن الأسود كان من العلماء الثقات وأنه مات في خلافة معاوية وكان يقول (لا لبس مشهورا أبدا) أي ثوب شهرة (ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على ما ثور أبدا) أي ليناسه لا يقال وثور الشئ ونارة لأن وسهل فهو وثير وفراش وثير تخين لين ووثير مركبه بالشديد وطاه ومنه ميثرة السرج بكسر الميم وأصلها الواو والجمع موثر وميثار على الأصل ولفظ المفرد (ولأما لجوفي من طعام أبدا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا مسلم بن سعيد حدثنا جاشع بن عمرو بن حسان حدثنا عيسى بن لويس حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي قال قال عمرو بن الأسود لا لبس مشهورا أبدا ولا أملا لجوفي من طعام بالنهار أبدا حتى القاه (فقال عمر) رضي الله عنه (من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحيى بن جابر الطائي بالسند المذكور قال وكان عمرو بن الخطاب يقول فذكره وقال العراقي رواه أحمد بإسناد جيد عن عمر لكن في الإضافة لتلميذه بسند لين قال وأورده ابن أبي عاصم في الوجدان به - هذا الأمر وليس في ذلك ما يقتضي أن له محبة ولكن يقتضي أن له ادراكا وقد خرج الطبراني في مسند الشاميين من وجه آخر أن عمرو بن الأسود قدم المدينة فرآه عبد الله بن عمر يصلي فقال من سره أن ينظر إلى أشبه الناس صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هذا (وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر - إسناد جيد قوله وإن كان عنده حبيبا اه قلت وفي رواية لابن ماجه من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه وقد رواه كذلك أيضا في المختارة وروى الطبراني من حديث أبي سعيد من لبس ثوبا مشهورا من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة ورواه هو وعمام وابن عساكر من حديث أم سلمة بإسناد لين من لبس ثوبا يبالي به ليراه الناس لم ينظر الله إليه حتى ينزعه وروى الحارث والطبراني من حديث أنس من لبس رداء شهرة أو ركب ذاهرة أعرض الله عنه وإن كان له ولدا (واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربع مئذراهم) كذا في القوت وقال العراقي

وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يسترسنه وأقله ما يبقى يوما حتى رفع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمسك عليه شهر أو ما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فان أمسكه لم يكن زاهدا بل كان مجبالا الدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحاب كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وازار اغليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالي باللبس وقال عمرو بن الأسود العنسي لا لبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دنار أبدا ولا أركب على ما ثور أبدا ولا أملا لجوفي من طعام أبدا فقال عمرو بن سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى عمرو بن الأسود وفي الخبر ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا عرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيبا واشترى رسول

روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى
 البرازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث واسناده ضعيف (وكان قيمة ثوبيه) صلى الله عليه وسلم
 (عشرة) إلى دينار كذا في القوت وقال العراقي لم أجده (وكان ازاره) صلى الله عليه وسلم (أربعة أذرع
 ونصف) ولفظ القوت وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصف وفي خبر سبعة أشبار وقال العراقي روى أبو الشيخ
 في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلًا كان رداء النبي صلى الله عليه
 وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن أبي عمير وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة
 وكان له ازار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر وفيه محمد بن عمر الواقدي (واشترى
 سراويل بثلاثة دراهم) كذا في القوت وقال العراقي المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي
 يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس لأنه لم يذكر فيه مقداره ثم قال
 الترمذي صحيح انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله بثلاثة دراهم وكان قميصه إلى أطراف أصابعه وقيل
 مرة إلى الرسغ فاذا تشيخ وقاص صار إلى أنصاف ٧ سابقه وكذلك الازار إلى عضلة الساق (وكان) صلى الله عليه
 وسلم (يلبس شملتين بيضاوين من صوف) ومرة سوداوين من شعر (وكانت تسمى حلة لانها ثوبان من
 جنس واحد) يشير إلى قول أهل اللغة قالوا الحلة بالضم لا تكون الا ثوبين من جنس واحد قال المروزي
 وكافوا يا زنون ببرد ويردون باسخر ويسميان حلة والجسح حلال مثل غرفة وغرف (وربما كان) صلى الله
 عليه وسلم يلبس (بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ) من قرية باليمن تسمى سحول وفيهما كفن
 مع الثالث مثلها موربما كانت البردة مخططة بتلوين الاصابع كبرود أهل اليمن اليوم وربما كانتا
 خضراوين كلهما من خيط واحد وربما كانت شملت بيضاء لاشية فيها غير صبغ عليها الأبيض كل ذلك
 في القوت وقال العراقي قد دم في آداب المعيشة وأخلاق النبوة لبسه للشهلاء والبردة والحبرة وأما لبسه
 للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيت في حلة جرهم ولابي داود من حديث ابن عباس حين خرج
 إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أحسن ما يكون
 من حلل اليمن وقال رأيت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من
 حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما ازار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب
 المعيشة ولابي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رزمة وعليه بردان أخضران سكت عليه أبو داود
 واستغربه الترمذي والبرازين حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف
 قاله الذهبي (وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات) قال العراقي رواه الترمذي
 في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحته كان ثوبه ثوب زيات
 (و) قد (لبس صلى الله عليه وسلم يوما واحدا فواسيرا) بكسر السين وفتح التخمية ومدودا ضرب من
 البرود فيه خطوط صفر (من سندس) ففعل من سندس اسم لما روى من الديباج (قيمة ما ثلث دراهم) فلبسه
 وخطب فيه (فكان أحبابه يلبسونه) بأيديهم (ويقولون يا رسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجبا)
 من لونه ولينه (وكان قد أهدها له المقوقس) جريح بن ميناء (ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه)
 ويرى رسله قبل هديته (ثم نزعها) وقد لبس نحوه من قميص معمد بحر بر أهدها إليه النجاشي ملك الحبشة
 فخطب فيه مرة ثم نزعها حين نزل من المنبر (وأرسل به إلى رجل من المشركين وصلبه ثم حرم لباس الحرير
 والديباج) بعد ذلك (وكان اتخا لنبسه أولا) ولفظ القوت فقد يكون لبسه إياه (تأكيدا للتحريم كالبس
 خاتم من ذهب يوما) واحدا (ثم نزعها) ورحى به كافي الصحيحين وتقدم (فحرم لبسه على الرجال) ولفظ القوت
 وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور (وكما قال لعائشة) رضى الله عنها (في شأن بريدة) مولاة لقوم
 من الأنصار وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها (اشترطى لاهلها الولاء) وذلك حين أرادت أن تشتريها

وكانت قيمة ثوبيه عشرة
 وكان ازاره أربعة أذرع
 ونصف واشترى سراويل
 بثلاثة دراهم وكان يلبس
 شملتين بيضاوين من
 صوف وكانت تسمى حلة
 لانها ثوبان من جنس
 واحد وربما كان يلبس
 بردين يمانيين أو سحوليين
 من هذه الغلاظ وفي الخبر
 كان قميص رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كأنه قميص
 زيات ولبس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يوما واحدا
 فواسيرا من سندس قيمته
 ما ثلث دراهم فكان أحبابه
 يلبسونه ويقولون يا رسول
 الله أنزل عليك هذا من الجنة
 تعجبا وكان قد أهدها إليه
 المقوقس ملك الاسكندرية
 فأراد أن يكرمه بلبسه ثم
 نزعها وأرسل به إلى رجل
 من المشركين وصلبه ثم
 حرم لبس الحرير والديباج
 وكانه اتخا لنبسه أولا تأكيدا
 للتحريم كالبس خاتم من
 ذهب يوما ثم نزعها فحرم
 لبسه على الرجال وكما قال
 لعائشة في شأن بريدة
 اشترطى لاهلها الولاء

منهم وطلبوا منها ان يكون الولاء لهم فأقرها صلى الله عليه وسلم على هذا الشرط أولاً (فلما اشترطته) بعد ان اشترتها وأعتقتها (صعد صلى الله عليه وسلم المنبر فخرمه) وقال انما الولاء لمن أعتق لينوه بذلك فهذه حكمة من الحكمين ونعيم من العليم وقصة بررة في الصحيحين وقد جمع العز بن جماعة فوائد هذا الحديث في رساله فزادت على ثلاثمائة وخمسها الحافظ في فتح الباري (وكما أباح المتعة) أي متعة النساء (ثلاثاً) وذلك في غزوة اوطاس (ثم حرمها ثانياً كيد أمر النكاح) وحديث اباحه المتعة رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع قال صاحب القوت وقد يحتج بمثل هذا علماء الدينوا بمارقوا به لانفسهم ويدعون الناس منه اليهم سراوا بظهورون الدعوة الى الله علانية تاو لا بمشابه الحديث كما تأول أهل الزبيغ متشابه القرآن على أهوائهم ابتغاء الفتنة وطلباً للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاني كلام الله تعالى منه محكم ومنشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فعدل علماء الدينوا أهل الاهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ما ذكرناه ونبذوا المحكم وراهم ظهرياً (وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة) وهي كساء اسود مربع (لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهنم) بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي رضي الله عنه من مسلة النخع وكان من معمرى قرشي ومن مشيختهم (واتنوني بانيجانيته يعني كساءه) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت صلى النبي صلى الله عليه وسلم في خيصة لها أعلام فقال اذهبوا بكم بصي هذه الى أبي جهنم واتنوني بانيجانية أبي جهنم فانها ألهتني آتفاعن صلاتي وقد تقدم في كتاب الصلاة وذكر الزبير بن بكار من وجه آخر مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بخميصتين سوداوين فلبس احداهما وبعث الاخرى الى أبي جهنم فصلى في تلك الخيصة وبعث اليه التي لبسها هو ولبس هو التي كانت عند أبي جهنم بعد ان لبسها أبو جهنم لبسات (فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم) كذا في القوت قال وفي هذا حجة على من كان اذا أعجبه الشيء واستحسنه كسره وأحرقه وفيه شاهد وحجة لمن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته لحصول الزهد بالانحراج ولا تنفعا الغيرة وفيه حجة على من ادعى الزهد بلبس الناعم وان ذلك لا يضر الزاهد ولا يخرج عن حقيقة الزهد وفيه ابطال لمن ادعى ان النظر الى الزينة لا يشغله وان الروق والفتنة لا تدخل عليه اذ لا يقدر ان يقول انه غير مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر والعقول تخويه الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول (وكان شركاً نعلله) صلى الله عليه وسلم (قد خلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم) من الصلاة (قال أعبدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الشراك الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة) تقدم في كتاب الصلاة (ولبس) صلى الله عليه وسلم مرة (خاتماً ونظر اليه) وهو (على المنبر نظرة فرمى به وقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم) قال فلا يدري من أخذه رواه الشيخان وقد تقدم قال صاحب القوت وقد يحتج بهذا محتج لما كرهناه من اتلاف المال المنظور اليه وليس فيه حجة لانه صلى الله عليه وسلم لم يتلفه اذ لم يرم به في بر ولا بحر ولا مضية ولا أفسده وانما نزع ورعيه بين المسلمين ووجهه لمن اخذه فجاء ذلك عن وجد الوقت وحده (وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخرساجدا وقال أعجبتني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمتقني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه) وأمر علياً فاحتذى له نعلين سبتين قال فرأيناه وقد لبسهما يعني جرداوين وقد تقدم في كتاب الصلاة قال صاحب القوت وهذا مثل الحديث الاخر في اخراج الخيصة زهدا فيها واخراج النعل ولم يقطعها فيكون فسادا اذ هو صلى الله عليه وسلم ينهى عن اضاءة المال الا أن فيه شاهداً لمن اذا استحسن شيئاً خاف المقت عليه الا أنه لا يبلغ فيه اتلافه فيكون افساداً وفيه دليل على دخول التغيير والرد الى الصفة بالمناطرة الجسنة خلاف من ادعى البراءة من ذلك وفيه شاهد آخر لن تطرق بالحسن من الاشياء الى الله تعالى وشهدا الحسن الاعلى بها وكان المحاسن طريقاً الى الحسن الجليل لانه صلى الله عليه وسلم لما قال أعجبتني حسنهما خرساجدا فكان ذلك اقتراباً له من القريب وتقرباً منه ونظراً

فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فخرمه وكما أباح المتعة ثلاثاً ثم حرمها ثانياً كيد أمر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيصة لها علم فلما سلم قال شغلني النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبي جهنم واتنوني بانيجانيته يعني كساءه فاختر لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شركاً نعلله قد خلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعبدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلاة ولبس خاتماً من ذهب ونظر اليه على المنبر نظرة فرمى به فقال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة نعلين جديدتين فاعجبه حسنهما فخرساجدا وقال أعجبتني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمتقني ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه

حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أثمار وجعلت خاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبالي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجبل به قال فدفعها اليه وأمر أن تحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحماكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطعن بالراحا وعليها كساء من نخلة الأبل فلما نظرت إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لعنم الأبدا فآزر عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى قال العرقي روى أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوما يصحكون جهرا من سعة رجة الله ويكون سرمان خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة (وأفندتهم عند العرش) قال صاحب القوت ورواه من حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تنفع عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتباعدون باليسير منها ليسوا من الدنيا وليس الدنيا منهم في شيء اه قلت ورواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعبق بالبيهقي في الشعب وضعفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له حبة ولفظه خبار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوم يصحكون جهرا من سعة رجة ربه ويكون سرمان خوف عذاب ربه يذكرون ربه بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونهم بالسنتهم رغبوا رهبانهم يسألونه بأيديهم خفصا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرج ولا بدخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤن القرآن ويقرؤون القرآن ويلبسون الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويثفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم الا ما أمامهم أعدوا للجهاز لقبو رهم والجواز لسيلهم والاستعداد لقامهم ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو قال ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت ورواه الحاكم في المستدرک من طريق الوليد بن مسلم عن جزي بن جاد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد بن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) روى أبو يعلى من حديث ابن عباس باللفظ من أحب فطرق في فلسطين بسنتي وفي رواية بزيادة وان من سنتي النكاح ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياع من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) قال العرقي روى أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (و) قد (قال) الله (تعالى) قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان لا تأخذ منها الا زادا أو بقلعة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

الى الحبيب وقد قال الله تعالى واستجدوا تقريب (وعن سنان بن سعد) هكذا في سائر النسخ والصواب سهل ابن سعد كإني عليه العرقي وليس في الصحابة من اسمه سنان بن سعد (قال حكيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف أثمار جعلت خاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما أحسنها ما ألينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا رسول الله هبالي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يجبل به قال فدفعها اليه وأمر أن تحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وأمر أن يحال له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم وهي في الحماكة) قال العرقي روى أبو داود الطيالسي والطبراني من حديث سهل بن سعد قوله وأمر أن تحال له واحدة أخرى فهي عند الطبراني فقط وفيه رمة بن صالح ضعيف (وعن جابر) رضى الله عنه (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطعن بالراحا وعليها كساء من نخلة الأبل فلما نظرت إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لعنم الأبدا فآزر عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال العرقي روى أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق بسند ضعيف اه قلت ورواه كذلك العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار (وقال صلى الله عليه وسلم ان من خيار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوما يصحكون جهرا من سعة رجة الله ويكون سرمان خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم في الأرض) وقلوبهم في الآخرة (وأفندتهم عند العرش) قال صاحب القوت ورواه من حديث عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفي رواية أخرى تنفع عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتباعدون باليسير منها ليسوا من الدنيا وليس الدنيا منهم في شيء اه قلت ورواه أبو نعيم من طريق مكحول عن عياض بن غنم ورواه هو أيضا من وجه آخر والحاكم وصححه وتعبق بالبيهقي في الشعب وضعفه وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له حبة ولفظه خبار أمتي فيما أنبأني الملا الأعلى قوم يصحكون جهرا من سعة رجة ربه ويكون سرمان خوف عذاب ربه يذكرون ربه بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونهم بالسنتهم رغبوا رهبانهم يسألونه بأيديهم خفصا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرج ولا بدخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة يقرؤن القرآن ويقرؤون القرآن ويلبسون الخلقان عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة يتوسمون العباد ويثفكرون في البلاد وأرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم الا ما أمامهم أعدوا للجهاز لقبو رهم والجواز لسيلهم والاستعداد لقامهم ثم تلا ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد قال الذهبي هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو قال ابن النجار ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اه قلت ورواه الحاكم في المستدرک من طريق الوليد بن مسلم عن جزي بن جاد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد بن أبي حميد (فهذه كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه اذ قال من أحبني فليستن بسنتي) روى أبو يعلى من حديث ابن عباس باللفظ من أحب فطرق في فلسطين بسنتي وفي رواية بزيادة وان من سنتي النكاح ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة والبيهقي أيضا والضياع من حديث عبيد الله بن سعد وقد تقدم في كتاب النكاح (وقال) صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ) قال العرقي روى أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرياض بن سارية (و) قد (قال) الله (تعالى) قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد كان أبو محمد سهل يقول من علامة حب الله تعالى حب النبي صلى الله عليه وسلم ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا فان القوم كانوا زاهدين وقال مرة من علامة حب السنة بغض الدنيا ومن علامة بغضها ان لا تأخذ منها الا زادا أو بقلعة وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة من كان على

عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال إن أردت الحقوق بي فأياك وبجالساة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترضيه وعد على قبص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة ببعضها من آدم واشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثوباً بثلاثين دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كعبه من الرغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه وقال الثوري وغيره البس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان الفقير ليربى وأنا أصلي فادعه بجوز وعربي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرزة فامقته ولا أدعه بجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سيفيان ونعائيه بدرهم وأربع دنانق وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخاطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال أبو سليمان الداراني الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جهور العلماء من

مثل ما تأمله اليوم من الدنيا فلذلك كان أئوديقه يقول لأصحابه أما أحبكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقربكم منه غذا مجلساً قالوا كيف ذلك قال لأنني اليوم على مثل ما فارقت عليه وكلكم قد غيرتم هذا الزهد وكان مالك بن دينار في التابعين بدلاء عن أبي ذر في الزهد لأنه زاد على أصحابه في التزهد والتعشف بلبس الخشن وأكل الخشن وترك الادخار وبذاذة الحال ولم يكن يغلق بابه إنما كان يشده بشرط وقال لولا الكلاب لما شدته بشرط وأما الحسن البصري فان مالك بن دينار كان يقول أيم الناس معلمي والله الحسن به نادب ومنه تعلم ولم يفارقه حتى مات فهو يدل عنه والحسن كان بدلاء عن صاحب السر حذيفة بن اليمان وكان الامام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله فكان بدلاء عنهم وخلفاء منهم ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولا قوة الا به (وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها خاصة وقال) يا عائشة إذا أردت الحقوق بي فأياك وبجالساة الأغنياء (ان لا تنزعي ثوباً حتى ترضيه) رواء الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (وعد على قبص عمر) رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة (بعضها من آدم) رواء جعفر بن سليمان حدثنا مالك بن دينار حدثنا الحسن ان عمر خطب وهو خليفة وعليه ازاريه اثنتا عشرة رقعة وروى عفان عن مهدي بن ميمون حدثنا الجري عن أبي عثمان قال رأيت عمر يطوف عليه ازاريه اثنتا عشرة رقعة احداها من آدم أحمر وروى أسد بن موسى حدثنا أبو سفيان عطية سمعت مالك بن دينار حدثني نافع حدثني ابن عمر انه رأى عمر يري الجرة عليه ازاريه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم (واشترى علي رضي الله عنه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كعبه من الرغين وقال الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه) رواء أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الأزدي وكان اماماً من أئمة الزيد قال رأيت علياً أتى السوق وقال من عنده قبص صالح بثلاثين دراهم فقال رجل عندي فجاءه فاعجبه فقال له خير من ذلك قال لا ذلك ثم قال رأيت علياً يقرض رباط الدرهم من ثوبه فاعطاه فلبسه واذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فامر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه (وقال) سفيان (الثوري وغيره البس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال) نقله صاحب القوت (وكان) الثوري رحمه الله تعالى (يقول ان الفقير ليربى وأنا أصلي فادعه) أي أتركه (يجوز) أي يمر (ويعربي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرزة فامقته ولا أدعه بجوز) نقله صاحب القوت وتقدم للمصنف عن المؤمل قال ما رأيت الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري وقال آخر كما إذا جلسنا عند سفيان تمنينا اننا فقراء لما تری من اقباله عليهم واعظامه لهم رواء أبو نعيم في الحلية وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم انما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنياً يقوم الغني من عنده فقيراً ولا يستحي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على نفسه (وقال بعضهم قومت ثوبي سيفيان ونعائيه بدرهم وأربعة دنانق) نقله صاحب القوت قال فهكذا كان علماء الاسرة الزاهدون في الدنيا فخلف من بعدهم خلف يأخذون عرض هذا الاذني الآية (وقال) عبد الله (بن شبرمة) الكوفي قاضيا (خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته) نقله صاحب القوت (وقال بعض السلف البس من الثياب ما يخاطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك) وبعضهم يقول شر الثياب ما يرفع الناس رؤوسهم فينظرون الى صاحبها وكانوا يقولون كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله (وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة) وتؤدى فيه الفريضة (وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه) ونقاؤه (وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه) وهو شرها ثم قال وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس نقله صاحب القوت (وقال بعضهم من رق ثوبه فقد رق دينه) فان الثوب الرقيق يحوجه الى احضار غن كثير والحلال ضيق فيحتاج ان يمد يده الى الشهوات بل الى الحرام المحض وهذا هو رقة الدين وقد كان بعض العلماء يكره ان يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز رقة أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعد سرفاً فيما جازها (وكان جهور العلماء) و(من) خيار

(التابعين قيمة ثيابهم مائتين العشر بن الى الثلاثين) درهمهما وكان المتقدمون من الصحابة اثمان ازوهم اثني عشر درهمهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثيف وعشرين بن الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الامرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه فوجده ناعما فقال لكم اخذت هذا فزعت منه فقلت بعشرين بن قال كثير ففها بعشرة وقد مت عشرة لغد ليوم ففرك وفاقك قال وقد كنت اشتريته بثلاثين واخفيت عشرة رهبة منه (وكان سليمان (الخواص) رجه الله تعالى أحد زها دهمره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو قميص ومئزر تحته ورجل يغطي ذيل قميصه على رأسه وقال بعض الساف أول النسك الزى وفي الخبر البرازة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جبال وهو يقدر عليه تواضع الله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عبقرى الجنة في تحت الباقوت وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لا ولياى لا يلبسوا ملبس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى وناف رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبي ذر في برته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فمهم جعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقبديهم الغنى ولا يزرى بهم الغنى ولا يزرى بالفقر فقره وما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب الى تواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم

(التابعين قيمة ثيابهم مائتين العشر بن الى الثلاثين) درهمهما وكان المتقدمون من الصحابة اثمان ازوهم اثني عشر درهمهما وكانوا يلبسون ثوبين قيمة ثيف وعشرين بن الى الاربعين وكان الاحنف بن قيس يقول ما كذبت كذبة منذ علمت ان الكذب يضر أهله الامرة واحدة فان عمر بن الخطاب نظر الى ازارى من العيبة فحسه فوجده ناعما فقال لكم اخذت هذا فزعت منه فقلت بعشرين بن قال كثير ففها بعشرة وقد مت عشرة لغد ليوم ففرك وفاقك قال وقد كنت اشتريته بثلاثين واخفيت عشرة رهبة منه (وكان سليمان (الخواص) رجه الله تعالى أحد زها دهمره وكان (لا يلبس أكثر من قطعتين) مئزرين أو قميص ومئزر تحته ورجل يغطي ذيل قميصه على رأسه وقال بعض الساف أول النسك الزى وفي الخبر البرازة من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جبال وهو يقدر عليه تواضع الله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقا على الله أن يدخله من عبقرى الجنة في تحت الباقوت وأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائه قل لا ولياى لا يلبسوا ملبس أعدائى ولا يدخلوا مداخل أعدائى فيكونوا أعدائى كما هم أعدائى وناف رافع بن خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى أبي ذر في برته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فمهم جعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكاه الى عمر فقال أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البرة وقال على كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقبديهم الغنى ولا يزرى بهم الغنى ولا يزرى بالفقر فقره وما عوتب في خشونة لباسه قال هو أقرب الى تواضع وأجدر أن يقتدى به المسلم

ابن حنيفة حدثنا علي بن حكيم ح وحدثنا محمد بن علي حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد قال
حدثنا شريك عن عثمان بن أبي زرعقة عن زيد بن وهب قال قدم علي بن علي رضي الله عنه وقد من أهل البصرة
فيهم رجل من رؤس الخوارج يقال له الجعد بن بجة فعاتب عليا في لبوسه فقال مالك وللبوسي ان لبوسي
أبعد من الكبر وأجدوان يقتدي بي المسلم (ونهي صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال الا ان عباد الله ليسوا
بالمتنعمين) رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بن عمار قال والتنعم فان الله عبادا ليسوا بالمتنعمين وقد تقدم
(وروى فضالة بن عبيد) بن ناقد بن قيس الانصاري الاوسي أول مشاهده أحد وشهد فقم مصر ثم نزل دمشق
وولي قضاءها ومات سنة ثمان وخسين زوى له مسلم والاربعة (وهو والى مصر اشعث) اخبر (حافيا فقيلا له أنت
الامير وتفضل هذا فقال نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاة) أي التنعم (وأمرنا ان نخشى احيانا)
وروى نخفي رواه أبو داود باسناد جيد والاحتفاء البذاذة والتبذل (وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان
أردت أن تلحق بصاحبك فارتع القميص ونكس الأزار واخصف النعل وكل دون الشبع) نقله صاحب
القوت (وقال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر) ولطف القوت وكان عمر
يقول اخلوا لقوا واخشوشنوا وتمددوا واياكم وزى العجم كسرى وقبصر واقطعوا الركب وانزوا على
الخليل نزوا وعليكم بالمعدية الاولى سنة أبيكم اسمعيل انتهى رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان
قال أنا نا كلب عمر ونحن بأذربيجان يا عتبة بن فرقد اياكم والتنعم وزى أهل الشرك وللبوس الحر برقان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اناعنه الا هكذا ورفع رسول الله أصبعيه وقدرناه أحد في مسنده حدثنا
حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا عاصم الاحول عن أبي عثمان فذكره وبه قال حدثنا زيد أنبا نا عاصم
عن أبي عثمان ان عمر قال انزروا واربدوا وانتعلوا والقوا الخفاف والسراريات والقوا الركب وانزوا
نزوا وعليكم بالمعدية وارموا الاغراض وذروا التنعم وزى العجم واياكم والحرير وقال أبو نعيم في الغريب
حدثنا أبو بكر بن عباس عن عاصم عن أبي العديس الاسدي عن عمر انه قال اخشوشنوا وتمددوا واجعلوا
الرأس رأسين ومعنى تمددوا اتبعوا معدن عدنان في الفصاحة وقيل تشبهوا بعبثه من الغلظ والتعسف
فكونوا مثله ودعوا التنعم وزى الاعاجم وقال الرامهرمزي في الامثال المعنى اقتدوا بمعدن عدنان
والبسوا الخشن من الثياب وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهي عن الافراط في الترفه والتنعم
وقد روى الرامهرمزي في الامثال عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الادرع له
خبيبة رفعه تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة وروي تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة
رواه الحاكم في الكنى والبغوي والطبراني وابن منذه من حديث ابن أبي حدرد قال ابن عساكر اعتقد
البغوي ان ابن أبي حدرد هو عبد الله فاخرجه في ترجمته وانما هو القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد وكذلك
رواه صفوان بن عيسى ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري فيكون الحديث مرسل
لان القعقاع لا صحبة له وعبد الله بن سعيد ضعيف بمره هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير
وقال الحافظ السخاوي في المقاصد رواه أبو الشيخ في السبق وان شاهين في الصحابة والطبراني في الكبير
وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن عبد الله بن سعيد المقبري
عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه تمعددوا واخشوشنوا واخولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة وهو
عند أبي الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسى عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن أبي
حدرد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان لكن جعله عن
القعقاع كالأول ورواه أيضا من طريق اسمعيل بن زكريا عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن القعقاع بن
أبي حدرد وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع لكنه لم يسمه اذ ساقه بل قال عن ابن
أبي حدرد وأعاده في عبد الله من العبادة من حديث اسمعيل أيضا ولم يسمه كذلك رواه الطبراني في الكبير

ونهي صلى الله عليه
وسلم عن التنعم وقال
ان الله تعالى عبادا ليسوا
بالمتنعمين وروى فضالة بن
عبيد وهو والى مصر اشعث
حافيا فقيلا له أنت الامير
وتفضل هذا فقال نعم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
الارفاة وأمرنا ان نخشى
أحيانا وقال علي لعمر رضي
الله عنهما ان أردت ان تلحق
بصاحبك فارتع القميص
ونكس الأزار واخصف
النعل وكل دون الشبع
وقال عمر اخشوشنوا واياكم
وزى العجم كسرى وقبصر

من طريق منده بن علي عن عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عبد الله بن أبي حذردوا أبو الشيخ أيضا من طريق
 سعيد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه هو عبد الله عن جده عن أبي هريرة رفعه مثله ورواه
 الرامهرمزي في الامثال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعيد عن أبيه
 عن رجل من أسلم يقال له ابن الادبر ع رفعه ثم مددوا الحديث فهذا ما فيه من الاختلاف ومداره على عبد الله
 ابن سعيد وهو ضعيف (وقال علي رضي الله عنه من تزيارني قوم فهو منهم) وقدر روى نحوه مرفوعا من
 حديث ابن عمر من تشبه بقوم فهو منهم واه أجدوا أبو داود والطبراني من طريق ابن منيب الجرجسي عنه
 وفي السند ضعف ورواه البزار من حديث حذيفة وأبي هريرة ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث
 أنس وهو عند القاضي من حديث طاوس مرسل وله شاهد جيد من قول الحسن البصري قلما تشبه رجل
 بقوم الا كان منهم واه العسكري في الامثال من طريق حماد عن جند الطويل قال كان الحسن يقول
 فذكره ومن قول عمر بن عامر البجلي من تشبه بقوم لحق بهم ورواه العسكري أيضا من طريق رافعه
 (وقال صلى الله عليه وسلم ان من شر أمتي الذين غذبوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب
 ويتشدقون بالكلام) قال العراقي رواه الطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي امامة سيكون رجال من
 أمتي يأكلون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شر أمتي وقد تقدم قلت ونعمامة ويشربون ألوان
 الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام فاولئك شر أمتي وقدر واه أبو نعيم في الحليمة
 كذلك روى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها رفعته شر أمتي الذين غذبوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام
 ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقدر واه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة كذلك وتقدم وروى
 الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر شر أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذبوا به يأكلون من الطعام ألوانا
 ويلبسون من الثياب ألوانا ويركبون من الدواب ألوانا يتشدقون في الكلام وقد صححه الحاكم وتعقب
 وتقدم (وقال صلى الله عليه وسلم أزره المؤمن الى انصاف ساقية ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعابين وما
 أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة الى من حرازه بطرا) قال العراقي رواه مالك وأبو داود
 والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ورواه النسائي أيضا من حديث أبي هريرة قال سمعت النبي
 صلى الله عليه وسلم يقول كذا الحديث محفوظ انتهى قلت لفظ مالك في الموطأ أزره المؤمن الى نصف الساق ولا جناح عليه
 فيما بينه وبين الكعابين وما كان أسفل من الكعابين فهو في النار من حرازه بطرا لم ينظر الله اليه وكذلك
 رواه الطيالسي وأجدوا ابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء من حديث أبي سعيد ورواه
 الطبراني من حديث ابن عمر وفي رواية أزره المؤمن الى نصف الساق وليس عليه حرج فيما بينه وبين
 الكعابين وما أسفل من ذلك ففي النار ورواه كذلك الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل وفي رواية أزره
 المؤمن الى عضلة ساقه ثم الى الكعابين فما كان أسفل من ذلك ففي النار واه كذلك أحمد من حديث أبي
 هريرة واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر على الجملة الاولى فقط وكذلك النسائي والبيهقي من
 حديث أبي سعيد وكذلك ابن أبي عاصم وسمويه والضياء من حديث أنس وروى الطيالسي ومسلم من
 حديث ابن عمر من حرازه يريد بذلك الخلاء فان الله لا ينظر اليه يوم القيامة وروى أحمد والسنة من
 حديثه من حرجه به خيلا لم ينظر الله اليه يوم القيامة وروى أحمد من حديث أبي سعيد من حرجه به من
 الخلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة الحديث (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا يلبس الشرع من أمتي الامراء أو أئمة) قال العراقي لم أجده اسنادا (وقال) أبو عمرو
 (الاوراعي) رحمه الله تعالى (لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة) كذا في القوت (ودخل محمد بن
 واسع) أبو يحيى البصري العابد رحمه الله تعالى (علي قتيبة بن مسلم) الباهلي صاحب خراسان وكان أمير

وقال علي كرم الله وجهه
 من تزيارني قوم فهو منهم
 وقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان من شر أمتي الذين
 غذبوا بالنعيم يطلبون ألوان
 الطعام وألوان الثياب
 ويتشدقون في الكلام
 وقال صلى الله عليه وسلم أزره
 المؤمن الى انصاف ساقية
 ولا جناح عليه فيما بينه وبين
 الكعابين وما أسفل من ذلك
 ففي النار ولا ينظر الله يوم
 القيامة الى من حرازه بطرا
 وقال أبو سليمان الداراني
 قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا يلبس الشرع من
 أمتي الامراء أو أئمة
 الاوراعي لباس الصوف في
 السفر سنة وفي الحضر بدعة
 ودخل محمد بن واسع علي
 قتيبة بن مسلم

وأوسطها أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف أو خوص أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشييد والتخصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالسكينة حد الزهد في المسكن (٢٦١) فاختلاف جنس البناء بأن يكون من

الحص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ولزهد مدخل في جميع ذلك بالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدرة الضرورة من الدنيا آلة الدين وسيلته) بها يصل إليه بل لا يعد من الدنيا (وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد و (دفع العين) لئلا تطالع إليه (والأبدى) لئلا تصل إليه (وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول أول بدعة حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد (أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فأنها كانت تشل شلاً والشلالة هي الخبطة الخفيفة والتدريز هي الكفافة وهي إعادة الخبطة على الشلالة (والتشديد هو البنين بالحص والآخر) يقال تشيد بناءه إذا بناه بالشيء بالكسر وهو الحص ولا يتم ذلك إلا بالآخر (وأنما كانوا يبنون بالسعف والجريد) وأعلامه بالطين والرهوص كذا في القوت قال العراقي أما مثل الثياب من غير كف فروى الحاكم والطبراني أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من السكم من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصفا النخل قبله المسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهم من حديث أبي سعيد وكان المسجد على عريش فوكف المسجد الحديث (وقد جاء في الخبر يأتي على الناس زمان يوشون) أي يزينون (ثيابهم) كذا في النسخ وفي بعضها يبنينهم (كأنوشي البرود البمانية) فأنما تخطط بالالوان المختلفة من الحرير أو رده صاحب القوت وأغفل العراقي (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمه (العباس) بن عبد المطلب رضي الله عنه (أن يهدم عليه) بكسر العين واللام والياء المشددين هي الغرفة المشرفة وجعلها علالي (كان قد علابها) أي رفع بناءها قال العراقي واه الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه (أن يهدم عليه وسلم) أهدمها الحديث وهو منقطع (ومر صلى الله عليه وسلم) يوماً (بجنيذة معلاة) أي قبة مرتفعة (فقال لمن هذه قالوا الفلان) وسموا رجلاً من أصحابه (فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره) بالسبب (فذهب فهدمها فرسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها) فسأل عنها (فأخبر بأنه هدمها فذاع الخبر) أو رده صاحب القوت وقال العراقي واه أبو داود من حديث أنس بأسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنيذة القبة انتهى قلت ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببني قبة لرجل من الأنصار فقال ما هذا قالوا قبة

من ذلك فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته واه أجد في الزهد) وأوسطها أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف (النخل وجريده) وهو بالضم بيت من قصب فارسي والجمع أخصاص (أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية) بطين ولبن (إما بشراء أو إجارة) أو استعارة (فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشييد والتخصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالسكينة حد الزهد في المسكن واختلاف جنس البناء بأن يكون من الحص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ولزهد مدخل في جميع ذلك بالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدرة الضرورة من الدنيا آلة الدين وسيلته) بها يصل إليه بل لا يعد من الدنيا (وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد و (دفع العين) لئلا تطالع إليه (والأبدى) لئلا تصل إليه (وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول أول بدعة حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد (أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التشييد يعني بالتدريز كف دروز الثياب فأنها كانت تشل شلاً والشلالة هي الخبطة الخفيفة والتدريز هي الكفافة وهي إعادة الخبطة على الشلالة (والتشديد هو البنين بالحص والآخر) يقال تشيد بناءه إذا بناه بالشيء بالكسر وهو الحص ولا يتم ذلك إلا بالآخر (وأنما كانوا يبنون بالسعف والجريد) وأعلامه بالطين والرهوص كذا في القوت قال العراقي أما مثل الثياب من غير كف فروى الحاكم والطبراني أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من السكم من غير كف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة فصفا النخل قبله المسجد وجعلوا عضادته الحجارة الحديث ولهم من حديث أبي سعيد وكان المسجد على عريش فوكف المسجد الحديث (وقد جاء في الخبر يأتي على الناس زمان يوشون) أي يزينون (ثيابهم) كذا في النسخ وفي بعضها يبنينهم (كأنوشي البرود البمانية) فأنما تخطط بالالوان المختلفة من الحرير أو رده صاحب القوت وأغفل العراقي (وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) عمه (العباس) بن عبد المطلب رضي الله عنه (أن يهدم عليه) بكسر العين واللام والياء المشددين هي الغرفة المشرفة وجعلها علالي (كان قد علابها) أي رفع بناءها قال العراقي واه الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه (أن يهدم عليه وسلم) أهدمها الحديث وهو منقطع (ومر صلى الله عليه وسلم) يوماً (بجنيذة معلاة) أي قبة مرتفعة (فقال لمن هذه قالوا الفلان) وسموا رجلاً من أصحابه (فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره) بالسبب (فذهب فهدمها فرسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها) فسأل عنها (فأخبر بأنه هدمها فذاع الخبر) أو رده صاحب القوت وقال العراقي واه أبو داود من حديث أنس بأسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والجنيذة القبة انتهى قلت ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببني قبة لرجل من الأنصار فقال ما هذا قالوا قبة

(٤٦ - (تحاف السادة المتقين) - (تاسع) كأنوشي البرود البمانية وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد علابها وأمر عليه السلام بجنيذة معلاة فقال لمن هذه قالوا الفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فرسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فذاع الخبر

وقال الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمر مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصافاً قال ما هذا قلنا خص لنا قدهي فقال أرى الأمر أعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له لو بنيت فقل هذا كثير لمن يموت وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قدمال عليه فقيل له لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كاف أن يجعله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً إنه الرياسة والتطاؤل في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناع وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حروبر وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك البصيق منزله اتسع في السماء أي في الجنة

فقال كل بناء وأشار بيده على رأسه أكبر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة وروى في الكبير حديث وثلة كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا وأشار بكفه الحديث (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة) قال العراقي رواه ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلوا والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأل عني أو سره أن ينظر إلى فلانة فلانة إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث واسناده ضعيف انتهى قات وتماه ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشر إليه اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة والنار وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية (وقال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين) قال العراقي رواه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد بلفظ خضر له في الطين واللبن حتى يبنى انتهى قلت ورواه كذلك الطبراني في معاجيمه الثلاثة والخطيب من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني قال الهيثمي لم أجده من ضعفه وله في الأوسط عن أبي بشير الأنصاري إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في البنيان وفي لفظ له زيادة الماء والطين وهكذا رواه به هذه الزيادة الحسن بن سفيان وابن أبي الدنيا والبغوي وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي كلهم عن محمد بن بشير الأنصاري قال البغوي وماله غيره ورواه أيضاً ابن عدي من حديث أنس (وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما (مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصافاً فقال ما هذا قلنا خص لنا قدهي قال أرى الأمر أعجل من ذلك) قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه انتهى قلت ورواه أحمد كذلك وأظنه قال الأمر أسرع من ذلك (واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب) بأن ربط بعضه على بعض (فقيل له لو بنيت) بالطين (فقال هذا كثير لمن يموت) ومن هنا قولهم المشهور بيت العنكبوت كثير لمن يموت (وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (دخلنا على صفوان بن يحيى) هكذا في النسخ وهو غلط والصواب صفوان بن محرز وهو ابن زياد المازني البصري العابد ثقة له فضل وورع قال ابن حبان في الثقات مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك قال وكان من العباد اتخذ لنفسه سريراً بيكي فيه وقال الواقدي توفي في ولاية بشر بن مروان روى له الجماعة غير أبي داود (وهو في بيت من قصب قدمال عليه فقيل له) أي قال له أحد أصحاب الحسن (لو أصلحته فقال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يجعله يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد فيه لين وانقطاع اهـ قلت لكن بلفظ كلف يوم القيامة أن يجعله على عنقه وقدرناه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر (وفي الخبر كل نفقة) ينفقها (العبد يؤجر عليها إلا ما أنفق في الماء والطين) قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الارت باسناد جيد بلفظ الآتي التراب أو قال في البناء انتهى قلت ورواه الطبراني بلفظ كل نفقة ينفقها العبد يؤجر عليها إلا البنيان (وفي قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) قيل هو حب الكثرة وطلب (الرياسة والتطاؤل في البنيان) كذلك (قال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حروبر) وفي لفظ الامسجد من بيوت الله قال العراقي رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد إلا ما لا مالا يعني مالا بمنه انتهى قلت سبق ذكره قريبات حديث القبة عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير قال صاحب اللقوت ولذلك جعل التطاؤل في البنيان من اشراط الساعة وقر بوقع وقوعها في خبر الجساسة ان الدجال سأل هل تطاول الناس في البنيان قالوا نعم قال الا تنذروا جي في اشياء عددها (وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكك اليه ضيق منزله اتسع في السماء) قال المصنف (أي في الجنة) قال العراقي رواه أبو داود في المراسيل من رواية البصيص بن المغيرة قال شككنا الذين لا يريدون فذكره وقد وصله الطبراني فقال عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد أنه قال ارفع إلى السماء واسأل الله السعة وفي اسناده لين انتهى ولفظ القوت وشكا

ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى مصر قد بني بحص وأجر فكبر وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامم من بيني وبين همامان
لفرعون يعني قول فرعون فاقدي يا همامان على الطين يعني به الآخر ويقال ان فرعون هو أول من بنى له بالجص والآجر وأول من عمله همامان
ثم تبعهما الجبارة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيت
مبنياً من رصاص ثم رأيت الآت مبنياً باللبن فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرصاص (٣٦٣) وكان أصحاب الرصاص خيراً من أصحاب

اللبن وكان في السلف من
يبني داره مراراً في مدة عمره
لضعف بنائه وقصر أمله
وزهده في أحكام البنين
وكان منهم من إذا حج أو غزا
تزع بيتته أو وهبه لجيرانه
فإذا رجع أعاده وكانت
يسوءهم من الحشيش
والخلود وهي عادة العرب
الآن يسلاد اليمن وكان
ارتفاع بناء السقف قامة
وبسطة قال الحسن كنت
إذا دخلت بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضربت
بيدي السقف وقال عمرو
ابن دينار إذا علي العبد
البناء فوق ستة أذرع ناداه
ملك إلى أين يا أفسق
الفاسق وقد نسي سفيان
عن النظر إلى بناء مشيد
وقال لولا نظر الناس لما
شيدوا فالنظر إليه معين
عليه وقال الفضيل إلى
لا أعجب من بني وترك ولكن
أعجب من نظر إليه ولم يعتبر
وقال ابن مسعود رضي الله
عنه يأتي قوم يرفعون الطين
ويضعون الدين ويستعملون
البراذين يصلون إلى قلوبكم
ويعنون على غير دينكم
(المهم الرابع أنات

العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيق منزله فقال يا عم اتسع في السماء يعني في طلب الآخرة ولا
تطلب سعة الأرض بالدنيا (ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام) حين توجهه إليه (إلى مصر) قال
(قد بني بحص وأجر فكبر) أي قال الله أكبر (وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الامم من بيني وبين
همامان لفرعون يعني قول فرعون فاقدي يا همامان على الطين يعني به الآخر ويقال ان فرعون هو أول من بنى
له بالجص والآجر وأول من عمله همامان ثم تبعهما الجبارة وهذا هو الزخرف) كل ذلك في القوت لأنه
قال وهذا من الزخرف (ورأى بعض السلف) مسجداً (جامعاً في بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد
مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيت) بعد سنين (مبنياً من رصاص ثم رأيت الآت مبنياً باللبن) والآجر
(فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرصاص وكان أصحاب الرصاص خيراً من أصحاب اللبن) نقله صاحب
القوت (وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام
البنين) واتقاه (وكان منهم من إذا حج أو غزا تزع بيتته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده) (و) العذر في ذلك أنه
(كانت يبيونهم من الحشيش) والتمام (والخلود) وهي عادة العرب إلى (الآن يسلاد اليمن) كل ذلك في
القوت (وكان ارتفاع بناء السقف) ولفظ القوت وكان سمك بناء الصحابة (قامة وبسطة قال الحسن)
البصري رحمه الله تعالى (كنت إذا دخلت بيوت) أصحاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدي إلى
السقف) كذا في القوت (وقال عمرو بن دينار) المسكي أبو محمد الأثرم الجهمي مولا هم ثقة ثبت مات سنة ست
وعشرين ومائة توفي له الجماعة (إذا أعلى العبد البنين فوق ستة أذرع ناداه ملك) الهواة (إلى أين يا أفسق
الفاسق) كذا في القوت (وقد نسي سفيان) الثوري رحمه الله تعالى (عن النظر إلى بناء مشيد وقال لولا
نظر الناس لما شيدوه فالنظر إليه معين عليه) ولفظ القوت وقال بعضهم كنت أمشي مع سفيان في طريق
فنظرت إلى باب مشيد بالجص فقال لا تنظر إليه فقلت يا أبا عبد الله ما تذكره من النظر إليه فقال إذا نظرت
إليه كنت عوناً له على بنائه لأنه انما بناء لينظر إليه ولو كان كل من عمره لينظر إليه ما عمله (وقال
الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (إني لا أعجب من بني وترك ولكني أعجب من نظر إليه ولم يعتبر) رواه
أبو نعيم في الحلية (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون
البراذين) وهي خيل الروم (يصلون إلى قلوبكم ويعنون على غير دينكم) وهذا من جملة الاخبار بما سبق
المهم * (الرابع أنات البيت) أي متاعه (ولله هديه) أي ضار جات أعلاها حال عيسى المسيح عليه السلام
إذا كان لا يعبه منه (الامشط وكوز) فالمشط للعبته والكوز لشربه وبينه هو عيسى (فرأى انساناً)
قد غسل وجهه وهو (يمشط لحيته بأصبعه) يخالها به (فرى بالمشط) أذ رأى الاصابع كافية (ورأى آخر
يشرب من النهر بكفيه فرى بالكوز) أذ رأى كفيه كافية وصحبراً هدمسوا كافرأى رجلاً يمشو
بأصابعه فرى بالمسوا (وهذا حكم كل أنات فانه انما أراد المقصود فإذا استغنى عنه فانه وبال في الدنيا
والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف) في آلات
الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها (ولا يبالي بان يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به)
وذلك في الزهد ولا يتشاهم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من أبقى كذلك فانه من الجهل بالسنة

البيت) * (ولله هديه) أي ضار جات أعلاها حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفي إذا كان لا يعبه الامشط وكوز فرأى
انساناً يمشط لحيته بأصابعه فرى بالمشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرى بالكوز وهذا حكم كل أنات فانه انما أراد المقصود فإذا استغنى
عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخرف في كل ما يكتفي فيه الخرف ولا يبالي بان يكون
مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به

وأوسطها أن يكون له آتأ بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذى معه قسعة يأكل فيهاو يشرب فيها
وبحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون (٣٦٤) استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعالها ان يكون له بعد ذلك حاجة آلة من

الجنس النازل الخسيس
فان زاد في العدد أو في نفاسة
الجنس خرج عن جميع
أبواب الزهد وركن الى طلب
الفضول ولينظر الى سيرة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسيرة الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين فقد قالت
عائشة رضي الله عنها كان
ضجاع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي ينام عليه
وسادة من آدم حشوها ليف
وقال الفضيل ما كان من
فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا عبادة مثنية
وسادة من آدم حشوها
ليف وروى أن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه دخل
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو نائم على سرير
مرمره - ول بشرط فجلس
فراى أثر الشرط في جنبه
عليه السلام فدمعت عيناه
عمر فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ما الذي أبكاك
يا ابن الخطاب قال ذكرت
كسرى وقبصر وما هما فيه
من الملك وذكرتك وأنت
حبيب الله وصفيته ورسوله
نائم على سرير مرمره - ول بشرط
فقال صلى الله عليه وسلم أما
ترضى يا عمر أن تكون لهما
الدنيا ولنا الآخرة قال بلى
يا رسول الله قال فذلك
كذلك ودخل رجل علم أبى

(وأوسطها أن يكون له أناث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصده كالذي معه قصعة يا كل فيها) الطعام (ويشرب فيها) الماء (ويحفظ المتاع فيها) فهذا ثلاثة مقاصد في آلة واحدة (وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف وأعلاه أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد) بان اتخذ حخين أو امرئيين أو قصعتين أو قدرين (أو زاد) (في نفاسة الجنس) بان اتخذ من خرف الصين الساج أو الموه بالنعوش فقد (خرج عن جميع أبواب الزهد) آخرها وأولها (وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم) أي جلد مدبورغ (حشوها ليف) التخل قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه انتهى قلت ولفظهم كانت وسادته التي ينام عليها من ادم حشوها ليف وكذلك رواه أحمد (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعباءة من ثنية وسادة من ادم حشوها ليف) قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه (وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير) من جريد (مرمول) أي منسوج (بشرط مجلس) ولفظ القوت (فقد فرؤى أثر) حبال (الشريط في جنبه) عليه السلام (قدمت عيناهم) ولفظ القوت فادرت عيني في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمارأيت الاصابع من شعير مصبوب في زاوية البيت ٧ واهب في ناحية منه غير مدبوعة قال فلم أملك عيني فبكيت (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب) ولفظ القوت قال فاي بكبك يا ابن الخطاب (قال) فقلت (ذكرت كسرى وقصر وماهما فيه من الملك) ونعيم الدنيا (وذكرتك وأنت حبيب الله وصفه برسوله) ولفظ القوت وأنت رسول الله وخبرته من خلقه على ما أرى (نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم) أفى شك أنت يا عمر (أما ترى أن تكون لهم) وفي نسخة لهما (الدنيا ولنا الآخرة قال) قلت (بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك) وفي لفظ فقلت رضيت وفي لفظ آخر أولك فدخلت لهم طبائهم في الدنيا فدل قوله صلى الله عليه وسلم أفى شك أنت على ان القلة والزهد من اليقين لانه ضد الشك في شك في ذلك أو رغب فهو غير موثق قال العراقي وهو متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم (ودخل رجل على أبي ذر) رضي الله عنه (فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الاناث فقال ان لنا بيتا فوجه اليه صالح متاعا فقال انه لا بد لك من متاع عما دمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا بدعنا فيه) وقدرى صاحب الخلية في ترجمة أبي الدرداء نحو هذه القصة عن خالد بن حدير الاسلمى أنه دخل على أبي الدرداء فرأى تحته فراشا من جلد أو صوف وعليه كساء صوف وسبئية صوف وهو وجع وقد عرق فقال لو شئت لكسيت مما يبعث به أمير المؤمنين قال ان لنا دارا وانا لنطمئن اليها ولها نعمل ومن طريق الاوزاعي عن حسان بن عطية ان أصحابا لابي الدرداء تصفوه فصفهم ففهم من بات على لبدته ومنهم من بات على ثيابه كما هو فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال ان لنا دارا فلها نجمع والها نرجع (ولما قدم عمر ابن سعد) بن عبد بن النعمان بن قيس بن عمر وبن عوف الانصاري الاوسى هكذا نسبة الواقدي وتبعه ابن عبد البر وكان يقال له نسج وحده قيل كان عمر يسميه بذلك لانجابه به صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح الشام واستعمله عمر على خص الى ان مات وكان من الزهاد روى عنه راشد بن سعد وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمر قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقيل في خلافة عثمان وقيل في

خلافة

ذرفعل يقلب بصره في بيته فقال يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأنث فقال ان لنا بيتا فوجه اليه

صالح متاعنا فقال انه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عيسى بن سعيد

خلافه ماويه وكان (أمير حصن) استعمله عمر (على عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما) أي عن عمر
وعن عمر (قال له مامعك من الدنيا فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حبة إن لقيتها معي جرابي أحمل
فيها طعامي ومعى قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعى مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة
فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت (رحمك الله) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا
سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن المرزبان الادمي حدثنا محمد بن حكيم الرازي حدثنا عبد الملك بن هرون بن
عذرة حدثني أبي عن جدي عن عمر بن سعد الأنصاري قال بعثه عمر بن الخطاب عاملا على حصن فكثرت
حول الأياديه خبره فقال عمر لكاتبه اكتب الى عمر فوالله ما أراه الا قد خاننا اذا جاءك كتابي هذا فاقبل واقل
بما جئت من في المسلمين حين تنظر في كتابي هذا قال فاخذ عمر جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق اداونه
وأخذ عنقه ثم أقبل يمشي من حصن حتى دخل المدينة قال فقدم وقد شرب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته
فدخل على عمر وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فقال عمر ما شئت فقال عمر ما ترى من شأني
ألمست ترى صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أحرها بقرنها قال ومامعك فظن عمر انه قد جاء بمال فقال معي
جرابي أبعلي فيه زادي وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وادواني أحمل فيها وضوئي وشرابي
وعزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواني عرضني فوالله ما الدنيا الا تبع لما معي قال عمر فحقت عشي قال نعم قال
ما كان لك أحد يتبع لك بداية تركها قال ما فعلوا وما سألتهم ذلك فقال عمر بنس المسلمين خرجت من عندهم
فقال عمر اتق الله يا عمر قد نك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة قال عمر فإني بعثتك وأي شيء
صنعت قال وما سألك يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله فقال عمر ألو لاني أخشى أن أعلمك ما أخبرتك
بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليهم جباية فيهم حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ولو
نالك منه شيء لا يتك به قال فما جئتنا بشي قال لا قال جددوا لعمر عهدا قال ان ذلك لشيء لا عملت لا ولا احد
بعدك ثم ساق الحديث بطوله وفيه وفاته بالمدينة وشهود عمر جنازته وقوله وددت لو اني رجلا مثل عمر بن
سعد أستعين به في أعمال المسلمين وروي الواقدي هذا القول عن عمر ولفظه وددت لو أني رجلا مثل عمر بن
سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين (وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله
عنها) وكانت من أول من يدخل عليها من أهلها اذا قدم من سفر (فراى على باب منزلها سترًا وفي يدها قلبي
من فضة) مثنى قلب بضم فسكون وهو السوار (فرجع) ولم يدخل (فدخل عليها أبو رافع) مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم (وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقالت لا مزارع جمع فقال
أنا أسأله ماردة (فسأله أبو رافع فقال من أجل السترو السوارين) فاخبرها بذلك فهتكت السترو وترعت
السوارين (فارسلت بها بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد صدقت بهما فضعهما حيث ترى
فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع) بلال (القلبي بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل
عليها صلى الله عليه وسلم) وضمها اليه (فقال بابي أنت وأمي قد أحسنت) أنت مني كذا في القوت وقال في
موضع آخر ونظر صلى الله عليه وسلم الى فاطمة رضي الله عنها في عنقها عقد من خرز فيه شيء من ذهب وعلى
بها ستر فرجع ولم يدخل فقال مالي وللدنيا فترعت ذلك وأرسلت به الى بعض الفقراء ورأى صلى الله
عليه وسلم في يد الحسن والحسين رضي الله عنهما قلبي من فضة فخرز بينهما ما فاطمة رضي الله عنها
فترعهما وأمر بلال ان يتصدق بهما على أهل الصفة وقال العراقي لم أره مجموعا ولا يداودا بن ماجه
من حديث سفينة باسناد جيد انه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عضادتي الباب فرأى القرام
قد ضربت في ناحية البيت فرجع فقال فاطمة لعلني انظر ما أرجعه الحديث وللناس من حديث ٧ باسناد
صحيح قال جاءت ابنة هبيرة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها افتح من ذهب الحديث وفيه انه وجد في يد
فاطمة سلسلة من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وانه خرج ولم يقعد فامرت

أمير حصن على عمر رضي
الله عنهما قال له مامعك
من الدنيا فقال معي عصاي
أتوكأ عليها وأقتل
بها حبة إن لقيتها معي
جرابي أحمل فيه طعامي
ومعى قصعتي آكل فيها
وأغسل فيها رأسي وثوبي
ومعى مطهرتي أحمل فيها
شرابي وطهورتي للصلاة
فما كان بعد هذا من الدنيا
فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت
رحمك الله وقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سفر
فدخل على فاطمة رضي
الله عنها فرأى على باب
منزلها سترًا وفي يدها قلبي
من فضة فرجع فدخل
عليها أبو رافع وهي تبكي
فاخبرته برجوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله
أبو رافع فقال من أجل
السترو السوارين فارسلت
بهما بلالا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالت
قد صدقت بهما فضعهما
حيث ترى فقال اذهب
فبعه وادفعه الى أهل
الصفة فباع القلبي بدرهمين
ونصف وتصدق بهما عليهم
فدخل عليها صلى الله عليه
وسلم فقال بابي أنت قد
أحسن

آل فلان وفرشته عائشة ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فلما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لهما عبيدي العبادة الخلقه ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة وكذلك أتت دنائير خمسة أوسنة ليلاً فيبتهافسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن أدركت سبعين من الاختيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط كان اذا أراد النوم بأشرف الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه * (المهم الخامس المنسكح) * وقد قال قائلون لامعنى الزهد في أصل النكاح ولا في كثرة واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبيب الى سيد الزاهدين النساء فكيف زهد فيهن ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة على ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة و بضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله اذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك شؤم والمرأة قد تكون شاعلة عن الله

بالسلسلة فبعت فاشترت بثمنها عبداً فاعقته فلما سمع ذلك قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار انتهى قلت وروى أبو نعيم في الخلية من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع قال لما ولدت فاطمة حسنا قالت يا رسول الله الا أعق عن ابني قال لا ولكن احلني رأسه وتصدي بوزن شعره ورقاً وقضة على الاوافض والمساكين يعني بالاوافض أهل الصفة (ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة) رضي الله عنها (سترافهتكم وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا) ارسلى به الى آل فلان (وفي القوت سترافيه صورة وفيه ما في اذاريته ذكرت الدنيا وقال العراقي رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (وفرشته عائشة) رضي الله عنها (ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عباءة مثنية فلما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعبيدي العبادة الخلقه ونحى هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة) كذا هو في القوت وفي موضع آخر منه وأهدت لعائشة امرأة فراشاً ففرشته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فراشه عباءة مطوية فلما اضطجع عليها أنكر ليلته ونوطته ووطاه فسأها فآخبرته فقال ردى العباءة ونحى هذا انتهى وقال العراقي روى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعت الى بفراش حشوه صوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه انه أمرها بده ثلاث مرات فردته وفيه مجالدين سعيد مختلف فيه والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشرائع (وكذلك أتت دنائير ستة أوسنة ليلاً فيبتهافسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة) رضي الله عنها (فنام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده) كذا في القوت قال وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يبيت عنده مالا ولا يقبله ان جاءه عبداً أو عبداً لم يبيته وان جاءه غدة لم ينتظر به القابلة قال العراقي رواه أحمد من حديث عائشة باسناد حسن انه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما فعلت الذهب فاعت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد الحديث وفيه رواية سبعة أو تسعة دنائير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساهم الوجه قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت يا بني الله مالك ساهم الوجه فقال من أجل الدنائير السبعة التي أتتني أمس أمسينا وهي في خصم الفراش وفي رواية أم مسينا ولم تنفقا (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (أدركت سبعين) رجلاً (من الاختيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط كان اذا أراد النوم بأشرف الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه) نقله صاحب القوت (المهم الخامس المنسكح وقد قال قائلون) من الصوفية (لامعنى الزهد في أصل النكاح ولا في كثرة واليه ذهب) ابو محمد (سهل بن عبد الله) التستري رحمه الله تعالى (وقال قد حبيب الى سيد الزاهدين) صلى الله عليه وسلم (النساء) فكيف زهد فيها ولا معنى لمحبتهم الا النكاح كانه يشير الى الخبر المشهور ورجب الى من دنيا كم الطيب والنساء جعلت قرعة عني في الصلاة ولغظ سهل لا يصح الزهد في النساء لانه قد حبيب الى سيد الزاهدين (ووافقه) في ذلك الامام أبو محمد سفيان (بن عيينة) الهلالي مولا هم المكي رحمه الله تعالى (وقال) ليس في كثرة النساء دنيا (كان أزهد الصحابة) وأعلاهم شأنًا فيه (على بن أبي طالب) رضي الله عنه (كان له أربع نسوة) بالصدق (وبضع عشرة سرية) مات عنهن (والصحيح) في ذلك (ما قاله أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (اذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤم) هكذا نقله القشيري وروى أيضاً من قول داود الطائي كما تقدم قريباً ونقل القشيري أيضاً عن الداراني قال الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى وقال أحمد بن حنبل زهد العارفين ترك العبد ما يشغل عن الله تعالى (والمرأة قد تكون شاعلة عن الله تعالى) فيكون الزهد تركها

وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن (٣٦٧) عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك

النكاح احترازا عن ميل القلب اليهن والانسان بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فتترك ذلك من الزهد فان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذّة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربان لما في الخبر تزوجوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم وتقدم (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تنضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذّة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه) لما عثر به من الضعف ووهن القوى (فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أي قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد في النساء (لإحالة ولا حله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذنبت هذا فن) كان (حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والافتاق عاين) كما تقدم ذلك في النكاح (فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذّة الوقاع والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أوجال المرأة فليترك واحدة) وليقتصر عليها أو ليسكن (غير جميلة) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو البتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد في النساء ان تختار المرأة الدمية والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل البتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أحرى في ذلك وكان له في ثواب الآخرة ويزوج ابنة فلان وفلان بالجملة الاقتصاد في شأن النساء والتقل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعاني الثلاث لا الحسناء ولا الحسناء ولا المالها فبقى الدين والصلاح فهذه زوجة أخرى لبيت من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبدلات وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الذين لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله حتى أدخل لحيتته وقال لست منهم قد فتحت لي السدد بعني الابواب ونكحت المتنعمات بعني أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي حتى يندس وكان يحيى بن معاذ الرازي يشك في تزويج الزاهد فيقول النكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقي المرأة هذه الخصال فان هي اجابته والترك أو اياه في شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

(وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة أفضل) للسالك (في بعض الاحوال كما سبق) بيانه (في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة) عن سبق كشيق الحمار لا يعوى ولا ينتهي الا بالسفاد (فهو واجب) حينئذ (فكيف يكون تركه من الزهد وان لم تكن عليه آفة في فعله ولا تركه ولكن ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانسان بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فتترك ذلك من الزهد) اذ الانس بغير الله من الدنيا (وان علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى ولكن ترك ذلك احترازا من لذّة النظر) اليها (والمضاجعة) لها (والمواقعة) بها (فليس هذا من الزهد أصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير) سواد (أمة محمد صلى الله عليه وسلم من القربان) لما في الخبر تزوجوا تناسلوا فاني أباهي بكم الامم وتقدم (واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تنضره اذ لم تكن) تلك اللذة (هي المقصد والمطلب وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذّة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه) لما عثر به من الضعف ووهن القوى (فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز أن يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة أخرى) تعرض عليه (وهذا ما عناه) أي قصده (سهل) التسترى رحمه الله تعالى من قوله لا يصح الزهد في النساء (لإحالة ولا حله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذنبت هذا فن) كان (حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والافتاق عاين) كما تقدم ذلك في النكاح (فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذّة الوقاع والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء) عليهم السلام (والاولياء) الذين على قدمهم (فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله) عن الله تعالى (وان لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أوجال المرأة فليترك واحدة) وليقتصر عليها أو ليسكن (غير جميلة) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار اليها (وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو البتيمة على الجميلة والشريفة) نقله صاحب القوت وروى عنه أيضا الزهد في النساء ان تختار المرأة الدمية والقريبة الامر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء وذهب الى ذلك مالك بن دينار فكان يقول يترك الرجل البتيمة أو الضعيفة لله فان أطعمها أو كساها أو فرحها أحرى في ذلك وكان له في ثواب الآخرة ويزوج ابنة فلان وفلان بالجملة الاقتصاد في شأن النساء والتقل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا من ذلك ان لا ينكح المرأة لما ينكح ابناء الدنيا من المعاني الثلاث لا الحسناء ولا الحسناء ولا المالها فبقى الدين والصلاح فهذه زوجة أخرى لبيت من الدنيا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفقراء انهم لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات أو المتنعمات فدل انهم ينكحون المتبدلات وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم قيل من هم قال الشعث رؤسا الذين لا تفتح لهم الابواب ولا ينكحون المتنعمات فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله حتى أدخل لحيتته وقال لست منهم قد فتحت لي السدد بعني الابواب ونكحت المتنعمات بعني أم البنين بنت عبد الملك ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي حتى يندس وكان يحيى بن معاذ الرازي يشك في تزويج الزاهد فيقول النكيس من الزهاد من اذا أراد التزويج لله وعلى الزاهد أن يلقي المرأة هذه الخصال فان هي اجابته والترك أو اياه في شأن الكفاية والمعاش فيقول لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

والنظر ولكن اني يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان فينبغي أن يترك الأصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أوجال المرأة فليترك واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال أبو سليمان الزهد في النساء ان ولو كسب دانتين والثانية أن يعلم انه ليس عنده مال وان يده في مالها ان كان عندها

وقال الجنيد رحمه الله أحب العبد المبتدئ أن لا يشغل قلبه بثلاث ولا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزويج وقال أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيهما جميعا * (المهم السادس ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه) * (٣٦٨) أما الجاه فعنه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض

والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا يحاله في قلب خادمه لأنه إن لم يكن له عنده محل وقد لم يقيم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا أول قريب ولكن يتمادي به إلى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الجني يوشك أن يقع فيه وانما يحتاج إلى المحل في القلوب اما الجلب نفع أول دفع ضرر والخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لاجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدرا الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهدان لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا (فان اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراقبة وعزلة (عهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الاذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهيمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة اذ من طلب الجاه باطلا (اذ من طلب الجاه) أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا ولا يسير منه داع إلى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليجتر زمن قليله وكثيره) وأما المال فهو ضروري

كيد في ماله في اخراجهم الثالثة يقول ان أردت الخروج إلى حج أو زيارة أو غزاة ولزمت الرضا وكنت عوناً في انفاذهم والرابعة أن تزوجت عليك ثلاثاً لم تعرضي وجهك ولم تتغيري والخامسة خفة الصداق والسادسة خذوها والسابعة سرعة البناء فان وافق منها هذه الخصال فليست تقدم ولا يتوقف ٧ وكانت امرأته زاهدة وكان يحكي عنها زهد النساء قال قالت لي أهلي ما زهد النساء قالت ترك الزينة والرياء قالت أعلى من هذا قلت ما هو قالت تطيب نفسها لزوجها بان يتزوج عليها من النساء فان الزوج من الدنيا وهو يشتد على النساء وتعلق قلبها به من الدنيا قال فقلت لهاهي بضاعتكم أتمن بها أعرف قال وقلت لها قد أذن الله في تزويج أربعة من النساء فقالت ليس يفرض عليك أن تزوج بأربعة وفرض عليك أن تعدل بين اثنين (وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (أحب للعبد المبتدئ) في إرادته وسلوكه (أن لا يشغل قلبه بثلاث) خصال (ولا تغير حاله) ونقص من يده من سلوكه (التكسب وطلب الحديث والتزويج) نقله صاحب القوت أي فان في هذه الخصال ركوبنا إلى الدنيا وهو مثل قول أبي سليمان الذي تقدم قريبان تزويج أو سافر أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا (وقال) الجنيد أيضاً (أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه) نقله صاحب القوت أي فان الاشتغال بالقراءة والكتابة يشتت همه وبغير حاله (فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فاشغل عن الله فهو محذور وفيهما جميعا المهم السادس ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة) من المهمات المذكورة (وهو المال والجاه) أما الجاه فعنه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته واقتصر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا يحاله في قلب خادمه ليتوصل به إلى قضاء حاجاته (لأنه إن لم يكن له عنده محل وقد لم يقيم بخدمته) بل لم يعن به أصلاً (وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه) كما سبق بيان ذلك في كتاب ذم الجاه (وهذا أول قريب ولكن يتمادي) أي ينجر (إلى هاوية لا عمق لها) أي لا آخر (ومن حام حول الجني يوشك أن يقع فيه) كما في الخبر (و) هذا ان طلبه بالعبادات حرم قليله وكثيره وكان كطالب المال بسبب محرم والقدر المباح منه (فانما يحتاج إلى المحل في القلوب) لأحدى ثلاث (أما الجلب نفع أول دفع ضرر والخلاص من ظلم أما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن عنده للمستأجر قدر وانما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجره وأما دفع الضرر فيحتاج لاجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان وقدرا الحاجة فيه لا ينضبط لاسيما إذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهدان لا يسعى (أطلب المحل في القلوب) أصلاً (فان اشتغاله بالدين والعبادة) من ذكر ومراقبة وعزلة (عهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الاذى ولو كان بين) أظهر (الكفار فكيف بين المسلمين وأما التوهيمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة اذ من طلب الجاه باطلا (اذ من طلب الجاه) أيضا لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً ولا يسير منه داع إلى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر) في عسر الانفكاك منه (فليجتر زمن قليله وكثيره) وأما المال فهو ضروري

القلوب أصلاً فان اشتغاله بالدين والعبادة بعهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين فاما التوهيمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة اذ من طلب الجاه أيضاً لم يحل عن أذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه فاذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً ولا يسير منه داع إلى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليجتر زمن قليله وكثيره * وأما المال فهو ضروري

في المعيشة أعنى القليل منه فان كان كسواً فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين ورفع سبطه وقام هذا شرط الزهاد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقربا بهم جميعا وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته وان يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه أبو اليسر القرني (٣٦٩) رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد

وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهد في الدار الآخرة من المقامات المحموده لا يناله والافاسم الزهد فلا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل * وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا واتركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه أن التصديق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عماله نعم لا ينبغي أن يجيهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب سر وقلبين لان ذلك من الزينة لامن الحاجة فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاءه وما ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما مدرجات متشابهة في اقرب من يشاهد

في المعيشة أعنى القليل منه فان كان كسواً فاذا اكتسب حاجة يومه (ففينبغي أن يترك الكسب) (كان بعضهم) أي من المتكسبين الزاهدين (اذا اكتسب حبتين ورفع سبطه وقام) والسفط محرك وعاء المتاع (هذا شرط الزاهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حد ضعفاء الزهاد وأقربا بهم جميعا وان كانت له ضيعة) مثل أرض يستعملها (ولم تكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه) وهو ما يفيض من غلال الضيعة (لسنة واحدة فلا يخرج به هذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من ضعفاء الزهاد) لامن أقربا بهم (فان شرط التوكل في الزهد) بان لا يكمل الاب (كما شرطه أبو اليسر القرني) رحمه الله تعالى فيمافهم من كلامه السابق ذكره (فلا يكون هذا من الزهاد) لفقد وصف التوكل فيه (وقولنا انه خرج عن حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهد في الدار الآخرة من المقامات المحموده لا يناله والافاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة) فاطلاق الزهد عليه بهذا الاعتبار فقط وعلى الجملة فالزهد ثواب مخصوص موعود عند الله في ما نال منه شيئا أخذ من ذلك الثواب بقسطه (وأمر) الاعزب (المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل) أي ذى العيال كما قيل

مال المعالي والمعيل وانما * يسعى اليهن الفريد القادر

(وقد قال أبو سليمان) الدار اني رحمه الله تعالى (لا ينبغي ان يرهق الرجل أهله) أي يكافهم (الى الزهد بل يدعوهم اليه فان أجابوا واتركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التصديق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عماله) هذا ما فهم من كلامه (نعم لا ينبغي أن يجيهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب سر) كانت علقته في ناحية البيت (وقلبين) في يدها أو يد الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريبا (لان ذلك من الزينة لان الحاجة) وكذلك لما تزيت أم سلمة بخرص من ذهب جعلته في أذنها قالت فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعت قناعي عن اذني رجاء ان ينظر الى زينتي قالت فاعرض ولم يلتفت فقلت يا رسول الله انما تزيت لك فقال عن زينتك اعرض ما ضررك لو جعلت من فضة ثم لطختها بالزعفران فكان كانه ذهب فامرها بفعل من لا يجب الدنيا لعينها وانما يدخل فيها الظاهر مرافقها لان الفضة والزعفران وان أشبهت الذهب في اللون فانما هو متاع في الوقت لان لها قيمة الذهب وقدره لا وجود حلاوته في قلبه فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا لعينها فيستعمل الدنيا فيما يقرب ودناو يبدل دقة ما منها اقيمة يسير دونه (فاذا ما يضطر الانسان اليه من جاءه وما ليس بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما مدرجات متشابهة في اقرب من يشاهد وان لم يكن سم قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافع لكنه قليل الضرر وسم محذور وشربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره في احتياط فانما يحتاج لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ الدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه وهو من الفرقه الناجية (وهم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنهم ما أتا عليه وأصحابي) والمقتصر

(٤٧ - اتخاف السادة المتقين) - (تاسع)

الزيادة وان لم يكن سم قاتلا فهو مضر وما

يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافع لكنه قليل الضرر وسم محذور وشربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشبه أمره في احتياط فانما يحتاج لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ الدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه وهو من الفرقه الناجية لا محالة والمقتصر

على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يعرضه فرجع مهموماً فآوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لا أعطاك فقال يا رب عرفت مقتك الدنيا نغفت أن أسألك منها شيئاً فآوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال (٣٧٠) في الآخرة وهو في الدين أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة

على قدر الضرورة) على (المهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يعرضه فرجع مهموماً فآوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لا أعطاك) ولفظ القوت لو بخيلك أنزلت حاجتك لقضاءها لك يعني نفسه تعالى (فقال يا رب عرفت مقتك الدنيا نغفت أن أسألك منها شيئاً) فتمقتني (فآوحى الله إليه) أما علمت أنه (ليس الحاجة من الدنيا) وفي لفظ القوت ليس هو من الدنيا نقله صاحب القوت وقدر روى مرفوعاً نحوه من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح يموتاً في ملكوت السماء ومن صبر على القوت نزل في الفردوس حيث أحب فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناءه منها مدحه على الصبر عليه بعد ذمها وفي خبر آخر لا يعذب الله مؤمناً جعل رزقه في الدنيا قوتاً (فإذا قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة) والتعب (في كسب المال وجمعه وحفظه واحتماله الذل فيه) في معاملاته (و غاية سعادته به أن يسلم لورثته) إذا مات (فياً كونه وهم أعداؤه) إذا كانوا يمتنون موته وينظرونه (وربما يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها) أذوهم ما أطغاهم فهو جمع ما لا ذرية يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة ويخيبهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلاكته في عاقبته فصار نعيمهم وشقاؤه عليه ترفهوا فيه بعده وهلاك هو به (وكذلك يشبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القراذل يزال ينسج على نفسه) لجهله وعدم معرفته بنفسه (حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه) فصار عمله وكدحه لغيره متعمداً ومات هو فيه (فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيد به بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل) أي تتفاوت (فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراعاة الاصداق وسائر حظوظ الدنيا فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها) عنه (ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينهما وبين جميعها دفعة واحدة) فن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه وقد قيل بعد ما وسحقاً لتقبل الدنيا لا يقادله منها فان قوى حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره لغلبة هواه وقلة مبالاته لمن محبهه والاهل واطراحه لاحكام مولاه (فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها) وراء ظهره (فهى) أى تلك السلاسل (تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى علبين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب) ولذا قالوا

في كسب المال وجمعه وحفظه واحتماله الذل فيه وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فياً كونه ورعاً يكون أعداءه وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القراذل لا يزال ينسج على نفسه حباً ثم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فأنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيد به بما يشتهي حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء ومراعاة الاصداق وسائر حظوظ الدنيا فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينهما وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا

أشد

دفعه واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهى تجاذبه إلى الدنيا

ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالإنذار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجازبة من الجانبين والذي ينشر بالإنذار إنما يترك المؤلم بيدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أنه لم يتمكن أولاً من صميم القلب خصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة قوت النزول في أعلى علبين وجوار رب العالمين فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم إذا النار غير مسيطرة الأعلى محبوب

أشد العذاب الحجاب (قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى عن رؤيته ولقائه (ثم انهم لصوالحيم) فترتب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا أضيف العلاوة اليه) فيكون أشد فاشد (فتسأل الله أن يقذف) وفي نسخة يقرر (في أسما عنا منفتح) وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة) رواه الطيالسي والشيخان والبيهقي من حديث جابر قال لي جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت واحبب من أحببت فانك مفارقة واعمل ما شئت فانك ملاقيه وقد تقدم (وفي معنى ما ذكرنا من المثال قال الشاعر)

والسكود وفعول من السكد وهو التعب (ولما انكشف لاولياء الله تعالى أن العبد مهلك نفسه بأعماله
واتباعه هو ي نفسه اهلاك دود القر نفسه) ينسجه على نفسه (رفضوا الدنيا بالسلابة) حلالها وحرمانها
ولم يتعاقوا باعراضها (حتى قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى (رأيت سبعين بدرية) أى بمن شهد بدرامع
رسول الله صلى الله عليه وسلم (كانوا) والله (فيما أحل الله لهم أزهدهم منكم فيما حرم عليكم) كذا في القوت
مع انهم من قد اطلع الله عليهم فغفر لهم (وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء) والسدة تصيبهم (أشد فخرامنكم
بالخصب والرخاء لو رأيتهم وهم قاتم مجانين)

(ولورأواخباركم لقالوا مال هؤلاء من خلاق) أي من نصيب (ولورأواشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب) كذا في القوت وتقدم ذكره أيضا في كتاب عجائب القلب قال (وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول) لا حاجة لي به (أخاف أن يفسد علي فني كان له قلب فهو لا يحالة يخاف من فساده) ومن تغيره وابعاده ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده (والذين أمات حب الدنيا قلوبهم) فهم يتقلبون في ظلمات الهوى فرموا انقلابوا على وجوههم فهم من خسر الدنيا والآخرة أو يكونون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله فهم من رضي بلا شيء (فقد أخبر الله تعالى عنهم) في كتابه العزيز (اذ قال تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أي تجاوز الماسنهي عنه مقصر عما أمر به وقيل مقدم على الهلاك فهو لا يستحقون الاعراض من الحبيب ويستوجبون الموت من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم (و) ترك القبول منهم اذ (قال تعالى وأعرض عن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبطلهم من العلم فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام اجلني معك في سياحتك فقال أخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عليه السلام بمحج يدخل الغنى الجنة أو قال بشدة) نقله صاحب القوت وتقدم قوله بمحج يدخل الغنى الجنة قريبا (وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه) أي طلعت شمس (الا وأربعة أملاك ينادون في الاتفاق باربعة أصوات ملكان بالشرق وملكان بالغرب يقول أحدهم بالشرق يا باغي الخير) أي طالبه (هلم) أي أقبل (ويا باغي الشر) أي طالبه (اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقاً خلفاً) أي عوضاً (واعط مسكاً) أي بخيلاً (تلقا) أي هلاكا (ويقول اللذان

العالم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام اجلني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام
يجب يدخل الجنة أو قال بشدة وقال بعضهم مامن يوم فرسارقه الا أو ربعة أملاك ينادون في الا فاق بأربعة أصوات مملكان بالشرق
وملكان بالمغرب يقول أحدهما بالشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر افر و يقول الاخر اللهم أعط من خلقك خلفا واعط مسكاتلفا و يقول
الذنان

بالمغرب أحدهما الدوا للموت وابنوا للغراب ويقول الآخر كلا وتمعوا الطول الحساب * (بيان علامة الزهد) * اعلم انه

قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد فكهم من الرهابيين من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا بابله وانما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموتون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرون بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخله اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجوا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص

بالمغرب أحدهما الدوا للموت وابنوا للغراب ويقول الآخر كلا وتمعوا الطول الحساب) هكذا عزا المصنف لبعضهم تبعا لصاحب القوت وقدرى ذلك مرسل من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس رواه البيهقي في الشعب ولفظه ما من يوم طلعت شمس الا يقول من استطاع أن يعمل في خيرا فليعمله فاني غير مكر عليكم أبدا وما من يوم الا ينادى مناديان من السماء يقول أحدهما يا طالب الخير ابشر يا طالب الشر أقصر ويقول أحدهما اللهم اعط منفقًا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكًا خلفا ورواه الديلمي عن عثمان بن محمد المذكور عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس مرفوعا وزاد بعد قوله أبدا وكذلك يقول الليل وروى الحاكم في المستدرک من حديث أبي سعيد ما من صباح الا وملكان يناديان يقول أحدهما اللهم اعط منفقًا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط مسكًا خلفا وملكان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان وملكان يناديان يا باغي الخير هلم ويقول الآخر يا باغي الشر أقصر وملكان يناديان يقول أحدهما ويل للرجال من النساء ويقول الآخر ويل للنساء من الرجال وقد صححه الحاكم وتعبق وروى البيهقي من حديث الزبير ما من صباح يصبحه العباد الا وصارخ يصرخ يا أيها الناس ادلوا للتراب واجعوا للفناء وابنوا للغراب وروى الديلمي من حديث أبي هريرة ان الله تعالى ملكا يباب من أبواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازعدا وملك آخر يباب آخر ينادى اللهم اعط منفقًا خلفا وعمل لمسكًا خلفا

(بيان علامات الزهد)

(اعلم) وفقك الله تعالى لولا الامتحان لكثير الصادقون ولا يدل لكل مؤثر من أثر يدل عليه فكذلك لا يدل لكل مقام من علامة تدل على صحته واليه أشار المصنف بقوله (انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واطهار الخشونة في العيش (سهل على من أحب المدح بالزهد فكهم في الرهابيين) جمع رهبان جمع رهاب (من ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا بابله) ولا منفذ للهواء فيه (وانما مسرة أحدهم) وفي نسخة مشرب أحدهم (معرفة الناس حاله ونظرهم اليه ومدحهم له) بترك الدنيا والزهد فيها (فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لابد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال) أبو اسحق ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى هو من أقران الحنيد والنوري مات بالري سنة ٢٩١ (في وصف المدعين) في الزهد اذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموتون بذلك على الناس ليهدي اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم بالعين التي ينظرون بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخله اليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجوا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص) أو وده في كتاب شرف الفقراء ونقله صاحب القوت وتقدم أن الخواص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزرين أو قبض ومئزر تحته ورجل يعطف ذيل قميصه على رأسه او يحمله من وسطه فيغطي به رأسه وقد كان يحيى بن معاذ الرازي يصف الزاهدين من العارفين والمتحققين بالحال المستحقين لاسم الزهد ومعناه في تنف من كلامه هي من أحوال أهل المعرفة زادوا على مقام الزاهدين من المؤمنين وكان يقول في وصفهم الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر زهد الرجل وفي قصده أمثال التصاوير النساء لو نظر الزاهد الفقير الى وصيفة منهن غشي عليه وقال اذا زهد في الدنيا حجبته عن العامة واذا عرف حجب عن الزاهد وقال اذا حجب العارف لعزته اصطيد بالطعمة يدعى الى طعام فيجب فيظفرون به بذلك وكذلك اصطيد أبو آدم بالطعمة من الشجرة وكان يقول لا يمكن العابد والزاهد أن يستتر عن الخلق والعارف مستور كأنه رجل من الناس وهو أفضل من تحمله صفاتهم فغلبتهم فادعوا حالهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كلام الخواص رحمه الله

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه (٣٧٤) الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المرح والذم والوجود والعدم ولا

يستدل بامساكه قليلا من المال على قدر زهده أصلا قال ابن أبي الحواري قلت لابي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ بحقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كما فعله المسيح عليه السلام فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيبا وان قل فان أمثالنا لا تستجري على الطمع في غايته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غيره أذن فهو اذا احطنا بما ثبت نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاطم شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود المجاوز لكل كمال فاذا علمنا الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والذم والمدح والثناء والحمد والذم وذلك لغاية الانس بالله ويتفرع

يكون في أحد هذين المقامين ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى عنده المرح والذم والوجود والعدم وهذا مقام المشاهدة لا آخره ويكون بعد الزهد الذي يكون عن حقيقة الايمان ثم تستوى الاشياء عنده ويستوى عدمها ووجودها وعنده يكون استواء المرح والذم لاستواء قلبه في المشاهدة وقد روي من حديث الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف استوى قال يستوى عندك المدح والذم فهذا يكون لسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها يسقط الرياء والرغبة فيثبت الاخلاص والزهادة (ولا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده أصلا) وقد روي عن السفيانيين أنهم ما سئلوا يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان ممن اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبي الحواري فقلت لابن عيينة يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحس النعمة كيف يكون زاهدا فضر بني بيده وقال أسكت من لم تمنع النعماء من الشكر ولا البلى من الصبر فذلك الزهد ووافقهما الزهري كذلك وقد فصل أبو سليمان ذلك (قال) أبو الحسن أحمد (ابن أبي الحواري) الدمشقي صحب أبا سليمان الداراني وغيره وكان يسميه الجندري بحياة الشامات سنة ٢٣٠ (قلت لابي سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (أكان داود) بن نصير (الطائي) أبو سليمان (زاهدا قال نعم قلت قد بلغني انه ورث عن أبيه عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يملك الدنانير) رواه كذلك عثمان بن زفر عن ابن عمه داود وقد تقدم وروي أبو نعيم في الحليسة عن أبي محمد بن حبان حدثنا اسحق بن حسان حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو سليمان الداراني ورث داود الطائي من أبيه دنانير فكان ينفق منها حتى كفن بآخرها (فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة لغاية فان الزهد ليس له غاية) ينتهي السالك اليها (لكثرة صفات النفس ولا يتم الزهد الا بالزهد في جميعها) والحب للجميل والانس بالعافيه هما غاية الطالبين فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس وسر ان الغيب المكتوبة في مقام الحب والحيلة اليقينية وغيابات السر العزبة الجبروتية في حال الانس (فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه) وهذا قوله وله درجات (وآخره أن يترك كل ما سوى الله) تعالى (حتى لا يتوسد حجرا) أي لا يضع رأسه على شيء مرتفع ولو حجرا فانه من جملة نعيم الدنيا لحصول الراحة للنفس بسببه (كما فعله المسيح) عيسى (عليه السلام) وتقدم ذكره قريبا وبين هذين مقامات وتلك المقامات درجات وقد عين بعضهم للزهد أربع عشرة من مقامات ونوعهم منهم من أوصل الى ثلاثة وسبعين مقاما (فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه) أي الزهد (نصيبا) وان قل فان أمثالنا لا يستجري على الطمع في غايته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله غيره أذن فهو اذا احطنا بما ثبت نعم الله تعالى علينا (ظاهرة وباطنة) علمنا ان الله تعالى لا يتعاطم شيء فلا بعد في أن نعظم السؤال اعتمادا على الجود) الالهى (المجاوز لكل كمال) فلا يدرك كله لا يترك كله ومن فاته من الكمال وباله لا يفوته طله (فاذا علمنا الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم لقلبه الانس بالله) المتوحد بالافعال وقال يحيى بن معاذ لا يكمل الزاهد زهده الا باستواء الحال في هذه الخصال الموجودة والمقصود والسفر والحضر والعز والذل والمدح والذم والغنى والفقر (وتتفرع عن هذه العلامات علامات آخرها بحالة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها) أي لا يكثر نقله القبر شيئا عن أبي عثمان المغربي وجعله حدا للزهد وهو من علاماته (وقيل علامته ان يترك الدنيا كما هي) وليس من علاماته خلوايل من المال لانه قد عساه ان يغرض ديني وقيل لا يستحب ذلك (فلا يقول أبني) بها (رباطا وأمر) بها (مسجدا) أو تحوه مما تراج النفس اليه من حب الثناء عليها به نقله القشيري قال سمعت أبا علي الدقاق يقول ذلك وقد جعله حدا للزهد وهو من علاماته وبالجملة فشرط الزهد ان لا يكون بقلبه التفات للدنيا اذا

اعرض

عن هذه العلامات علامات آخرها بحالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها وقبل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبني رباطا وأمر مسجدا

اعرض عنها وقال محمد بن اسحق الصوفي والصحيح عندي اذا وجد في نفسه هذه العلامات فليخرج الدنيا الى
 الاحوج والاولى فان لم يوجد ذلك وعلم وجود الافضل والمحتاج في ثاني الحسب فلا يضره ابقاء المال في يده
 حتى يجد موضعه وايالك ان تغتر بهذا قبل وجدان العلامات فهلاكك سم المال قبل ان تنتفع بدرايقه نعم
 الا ان يكون متبوعا يخاف من اقتداء الغيرة فيتركها في الوقت تاسيا بالانبياء عليهم السلام فانهم ذلك
 (وقال) أبو زكريا (يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة الزهد السخاء بالموجود) وقال مرة
 الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح نقله القشيري فالزاهد لا يكلف عليه في بذل
 الموجود وان جمل والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشأن بين المقامين (وقال) أبو عبد الله محمد (بن
 خفيف) الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير وهو رئيس الطريقة البكرية (علامة الزهد وجود الراحة
 في الحر وج من الملك) نقله القشيري وله به بما لحق القلب عند وجوده من التشويش في حفظه ومن
 خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه (وقال أيضا الزهد هو عزوف النفس) أي انصرافها (عن
 الدنيا بلا تكلف) فيه لان قلبه مائلا بصغر قدرها وما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتردد فانه يتكاف
 للاعراض عنها فقوله بلا تكلف إشارة الى الفرق بين الزاهد والمتردد ثم ان هذا القول الذي عزاه المصنف
 لابن خفيف قد عزاه القشيري لغيره وهذا لفظه بعد ان ذكر قوله الاول وقال أيضا الزهد سلو القلب عن
 الاسباب ونقض الايدي من الاملاك وقيل الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ولعل في سياق المصنف
 سقطا فتأمل (وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى (الصوف) أي لبسه (علم من اعلام الزهد فلا ينبغي)
 الزاهد (أن يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم) نقله القشيري أي رغبة لبس صوف
 بخمسة دراهم أشار بذلك الى أن الزهد في القلب ليس بلبس الغلظ ولا باكل الخشن وان كان ذلك علامة
 له لان الزهد ضد الرغبة وهو من أعمال القلوب وفي القوت قال أحد بن أبي الحواري لبست عباءة
 فنظر الى وقال هذا يكون آخر الزهد جعلته موه أوله أما يستحي أحدهم بلبس عباءة بدرهمين وفي قلبه
 بهوة بخمسة دراهم وقال لوستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب الي (وقال أحد بن حنبل وسفيان)
 الثوري وعيسى بن يونس وغيرهم (علامة الزهد انما هو قصر الامل) قال القشيري وهذا الذي قاله يحمل
 على أنه من اشارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له انتهى أي عرفا فان العبد متى أقصر
 أمه واستشعر سرعة موته وراقه للدنيا قلت رغبته فيها وقررت همته عن تحصيلها وقد جاء في الخبر كفي
 بذكر الموت فزهذا وتقدم في أول الباب ان هذا أحد للزهد والصحيح انه من العلامات (وقال السري)
 السقفي رحمه الله تعالى (لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه) أي بغيرها من الشهوات لان شغله
 بنفسه انما هو باعراضها عن محبوها بالدينوية فاذا عدل عنها الى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها
 عن ذلك فلا يكون زاهدا ومتى زهد في شيء من الدنيا بقي عليه شيء لم يكمل زهده ولذلك لما سئل
 الجنيد عن لم يبق عليه من الدنيا الا التمتع بمص النواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم أشار به الى ان
 من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حرمة من رزق الشهوات (ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه) عن موله
 لان شغله انما هو بموله عن سواه نقله القشيري (وقال) القشيري سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي
 يقول سمعت (النصر اباذي يقول) وهو أبو القاسم ابراهيم بن محمد شيخ خراسان في وقته صاحب الشبلي وأبا
 علي الروذباري والمرعشي وكان اماما محمدا صوفيا مات بمكة سنة ٣٦٧ (الزاهد غريب في الدنيا
 والعارف) بالله (غريب في الآخرة) اي لان أكثر العمال لها انما يعملون خوفا من العقاب أو رجاء
 للثواب بخلاف العارف فانه بمعرفة جلال الله وعظمته وبحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك
 العمل أصلا وهذا غريب قليل في ابناء الآخرة (وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (علامة
 الزهد ثلاث) احداها (عمل بلا علاقة) اي خالصا لله تعالى لالعله من علل الدنيا ولا خوف العقاب

وقال يحيى بن معاذ علامة
 الزهد السخاء بالموجود
 وقال ابن خفيف علامته
 وجود الراحة في الخروج
 من الملك وقال أيضا الزهد
 هو عزوف النفس عن الدنيا
 بلا تكلف وقال أبو سليمان
 الصوف علم من اعلام الزهد
 فلا ينبغي أن يلبس صوفا
 بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة
 خمسة دراهم وقال أحد بن
 حنبل وسفيان رحمه الله
 علامة الزهد قصر الامل
 وقال سري لا يطيب عيش
 الزاهد اذا اشتغل عن نفسه
 ولا يطيب عيش العارف اذا
 اشتغل بنفسه وقال
 النصر اباذي الزاهد غريب
 في الدنيا والعارف غريب
 في الآخرة وقال يحيى بن
 معاذ علامة الزهد ثلاث
 عمل بلا علاقة

وقول بلا طمع وعز بلا
رياسة وقال أيضا الزاهد
لله يسعك الخلق والخرذل
والعارف يشمك المسك
والعنبر وقال له رجل
متى أدخل حانوت التوكل
وألبس رداء الزهد وأقعد
مع الزاهدين فقال اذا صرت
من ربابتك لنفسك في
السراي حد لو قطع الله
عنك الرزق ثلاثة أيام لم
تضعف في نفسك فاما ما لم
تبلغ هذه الدرجة فخلوسك
على بساط الزاهدين جهل
ثم لا آمن عليك أن تفتضح
وقال أيضا الدنيا كالعروس
ومن يطلبها ما شطنها والزاهد
فيها يسخم وجهها وينتف
شعرها ويحرق ثوبها
والعارف يشتغل بالله تعالى
ولا يلتفت اليها وقال السري
مارست كل شيء من أمر
الزهد فقلت منه ما أريد
الا الزهد في الناس فاني لم
أبلغه ولم أطقه وقال الفضيل
وجه الله جعل الله الشر كله
في بيت وجعل مفتاحه حب
الدنيا وجعل الخير كله في
بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا فهذا ما أردنا أن
نذكره من حقيقة الزهد
وأحكامه واذا كان الزهد
لا يتم الا بالتوكل فلتشرع
في بيانه ان شاء الله تعالى

ورجاء الثواب في الآخرة فكل زهد في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عمله وجهه به خاصة
دون غيره (و) الثانية (قول بلا طمع) أي عاجل ولا أجل فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله
(و) الثالثة (عز بلا رياسة) بان يكون عزيراعن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطى الامور الخسيسة
التي تزرى بقدره فلا يكون عزه الا بولا ورجاء اغناؤه بفضل من سواه وهذا القول نقله القشيري ولفظه
وقال يحيى بن معاذ لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال فذكرها ولا يخفى ان المراد
بحقيقة هي غلبة أحواله على القلب فلا يكون حجابا مع الزهد ولذلك عبر المصنف عنها بالعلامة (وقال أيضا
الزاهد لله) لكون قلبه امتلاء بهم وان الدنيا عند الله وكثرة آفات ما يحث انك تجد أكثر كلامه في بيان
نقاها كأنه (يسعك) يا طالبا (الخل والخرذل) من حيث انه يؤلم بكلامه وينكد عليك ما أنت فيه
ويصغر قدرك (والعارف) بالله لكون قلبه قد امتلأ بمعرفته وبجماله وبحلوه وتوالي انعامه وادخاله على
خلقه بحيث انك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنه (يشمك المسك والعنبر) من حيث انه يرغبك في نيل
المقامات ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه فكل من الزاهد والعارف تسلك بما غلب عليه
من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا ولفظ القوت ينشر عليك المسك والعنبر (وقال له) أي ليحيى
ابن معاذ (رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين) وفي بعض نسخ الرسالة
وسئل أيضا متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين (فقال اذا صرت) أي وصلت (من ربابتك لنفسك
في السراي حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فخلوسك في بساط
الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح) بينهم نقله القشيري في الرسالة وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للعبد
أن يقطع الاسباب ويتجرد عنها حتى يحد من نفسه قوة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام ولا يحد منها
الضعف عن عبادته والا كان مغرورا ومعرضا لنفسه الى سؤال الخلق ولا يخفى ان هذا من علامات الزهد لانه
من حقيقته (وقال أيضا الدنيا كالعروس) المجلوة تراها الا بدار وتحبها القلوب وتعددها اللسان من حيث
ان الله تعالى خلقها وجعلها بالمال والبنين وغيرها (ومن يطلبها) ويعمرها (ما شطنها) من حيث انه
يدبرها حسنا للمغرورين (والزاهد فيها يسخم) أي يسود (وجهها وينتف شعرها) الذي هو من جملة
الزينه (ويحرق ثوبها) من حيث انه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهد الخلق
فيها وتبقي محاسنها (والعارف) بالله (يشغل بالله) تعالى لا يلتفت اليها لكمال شغله بالله بمعرفته وجماله
وجلاله ومناجاته غنى ذمها فضلا عن مدحها وهذا القول نقله القشيري أيضا وليحيى بن معاذ تنف كلام في
مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف وقد تقدم بعضه وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب (وقال السري)
السعة على وجهه الله تعالى (مارست كل شيء من أمر الزهد) فقلت منه ما أريد كالزهد في المطعم والملبس
والمنام وفصول الكلام (الا الزهد في الناس) أي في لقائهم والتبسط معهم والاستئناس بمحادثتهم (فاني لم
أبلغه ولم أطقه) أي لمزته نقله القشيري وهذا أيضا من علامات الزهد وقد جعله بعض حذاله كما تقدم
(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا) ولذلك
جعل أساس كل خطيئة وقال بعضهم أصول الشر ثلاثة الحرص والحسد وحب الدنيا وفروعه ستة طلب
الرياسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم (وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد
في الدنيا) فاذا أعرض العبد عنها تبسرت له الخيرات كلها وهذا القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال
سمعت محمد بن عبد الله يقول حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت الفضيل بن عياض يقول
فذكره وعزاه صاحب القوت الى سفيان الثوري والفضيل أي ان هذا القول قد روى عن كل منهما (فهذا
ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه) ونحوه (واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل) لكونه شرطاً فيه
(فلنشرع في بيانه ان شاء الله تعالى) وانتهى هذا الباب بفصول فيها بيان لأهم منه المصنف وتفصيل لما أجله
ومزى لما أشار اليه تارة وتارة أخرى فنقول

* (فصل) * الورع لا يوصل اليه الا بعد الزهد في الدنيا لانه اذا لم يزهد في شيء لم يمكنه أن يرجع عنه فاذا أعطى الزهد فيه وعوّض من الرغبة بدلا منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهدا في الدنيا ورغبة فيما وعد الله وخيفته من المطالبة به وحبا لما افقته بحجة الله بتركه ألم تسمع الى حسان بن أبي سنان وكان من خيار التابعين اذ يقول ما زاولت شيئا أيسر من الورع على قيسل وكيف ونحن نطن أنه من أشد الاعمال فقال اذا رابني أمر تركته فلما وهب له الزهد فيه وعوّض عنه بحجة الله به ان عليه الورع

* (فصل) * قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقير أحب اليه من الغني والتواضع أحب اليه من الشرف والذل أحب اليه من العز وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء فهذا هو تفسير حقيقة الزهد في النفس وهو يستوعب كاية الزهد في الدنيا والثلاث الاخر التي قرنها بالفقير من انجاب الفقه اذا كان صادقا زاهدا كان ذليلا في نفسه متواضعا بنفسه لا يكثر مدح ولا ذم لاسه ويطرح نفسه عنده واطراح الخلق عنده فهذا علم وجود اليقين الذي عنده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال يكون الفقير أحب اليه من الغني والذل أحب اليه من العز والتواضع أحب اليه من الشرف فهذا عقل العالمين بالله وهم عقلاء الموقنين وهو عقل هداية الآخرة المنوط بعرفة الآخرة لاعتقل الواله على الدنيا المرتبط بالعكوف على الخلق لقوة مشاهدة الخلق بعين اليقين واضعف شاهد المعقول باستجلاب حظوظ النفس من الفضول فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الايمان وذروته ولعمري ان كمال الايمان واعلاءه هو كمال العقل ونهاه فالعقل مكان الايمان مثله كالقبة مكان المصباح فاذا حقق الايمان وكلز يذيق تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته

* (فصل) * قال سعيد بن جبيرة رحمه الله تعالى انما فضل الله الانبياء بما أعطاهم من العلم به وما زهدوا في الدنيا مع القيام والصبر عليه فجعل العلم بالله معيارا على النبوة به تفاضل الانبياء وهو علم اليقين المكاشف لعين اليقين المتجلي به وصف الوحدانية وجعل سبب ذلك الزهد فالزهد مقتضى اليقين لانه موجب الزهد فهو عنه ولذلك فسروا الزهد باليقين

* (فصل) * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يدك أوثق بما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها الرغب فيها الوأنها أبقيت للكره والتمزى وقال غريب ضعيف من حديث أبي ذر ورواه البيهقي في الزهد كذلك ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي برداء وروى الديلمي من حديث ابن عباس الزهد في زمانى هذا في الدنيا والدرهم وليأتين على الناس زمان الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنيا والدرهم وروى أيضا من حديث أبي هريرة الزهد ان تحب ما يحب خالقك وان تبغض ما يبغض خالقك وان تخرج من حلال الدنيا كما تخرج من حرامها فان حلالها حساب وحرامها عذاب وان ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك وان تخرج عن الكلام فيما لا يعينك كما تخرج من الحرام وان تخرج من كثرة الاكل كما تخرج من المية التي قد اشتد تنهاوان تخرج من خطام الدنيا وزيوتها كما تخرج من النار وان تقصر املاك من الدنيا فهذا هو الزهد في الدنيا فهذه الاخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد

* (فصل) * قال سهل التستري رحمه الله تعالى الصديقون في بدايتهم طلبوا الدين من الله فزعمهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها فالحال الاول موضع العصمة ان منعهم منها الضعفاء لئلا يهلكوا بقبولها فلما تمكن منهم ومكنهم عنده ردها عليهم لانهم قد صلحوا لاخذ آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين فلما اذا قوا حلالة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا وزن ولا في قلوبهم قدر فاعرضوا عنها فاعرضها عليهم بحسن اقبالهم عليه

(فصل) كان عون بن عبيد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال ان من كان قبلكم كانوا انما يجعلون الدنيا هم ما فضل عن آخرتهم وانكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم أى لرحمان كلفة الآخرة في قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنهم فيبدون بان ينقلوا من دار عنها يرتحلون الى دار فيها يقيمون أحسن ما يدخرون ويقدمون لدار الحياة والبقاء المؤبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود أجود ما يقتنون اذا دارهم أمامهم وحياتهم بعد موتهم لانهم خلة واللاخرة للدين والبقاء للفناء ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم لانه متاع في الحال وبلاغ الى وقت وحين وهذا علامة حسن اليقين وهو يقين الزهد الذي صار الزهاد به زاهدين لايقين الايمان الذي صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد

(فصل) أصل الرغبة في الدين ان ضعف اليقين لان العبد لو قوى يقينه نظر بنوره الى الآجل فغاب في نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فأثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولولاه أرضى وقدم ما يقنى وينة قطع الى ما يدوم ويتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن لان الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل ألم تسمع الى وصية تعالى ابراهيم عليه السلام في قوله لا أحب الاقلين بعد قوله ليكون من الموقنين فالموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم وليس بشهد الوعد والوعيد بنور العقل انما يشهد بنور اليقين

(فصل) الزهد يكون بمعنيين ان كان الشيء موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع تبقينه للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن الشيء موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الرضا بالحال والغبطة بالفقد وهذا زهد الفقراء وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح الامع وجود الابتلاء في قدر عليه فصبر عنه لمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو وقطع سبب فذلك زهد فيه فاما أن يريد أن يزهد فيه أو يتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهدا فيه بل نيات واردة من غير حقيقة فمن أخرج من يده الشيء طوعا ونفسه تنبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشيء وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فذلك تأميل وتغنيدخل في باب نيات الخير لاني المسارعة الى الخيرات ولا المسابقة بالقرابات بالسعي لها والمنافسة فيها ولا مقام في المنافسة لمن لم يتبع الارادة بالسعي والمعاملة ولا مقام في الزهد لمن لم يردف الارادة باخراج الزهد وفيه لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة قائمة فالامساك للشيء المذموم لازهد بانظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما أن لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفي شهوة النفس ولطيف تمنها من معدن حسن ظنها بوصفها هذا ان لم يحو على الراغبين ولم يكذب على وجهه لاجل خفي الرغبة فيهم والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه والممسك للشيء المغتبط بامساكه الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وكذلك كل من أمل شيئا وادخله لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرج من يده وقلبه استصغار له وتعوضانه

(فصل) قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده اذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يملكه ويسكن اليه بل كان موقفا في خزائنه الله تعالى التي هي يده منتظر الحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله أن ينفعه ويكون كانه غيره من اخوانه أو سبيل من سبل الله وقد يصح الزهد مع الوجود ان دون العارف من المريدين اذا أمسك الشيء لاوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع ويقمع به طبعه عن الشر والضرع ويكون سببا لقطع التشرف وحسم النفس من التصنع والتكاف وقد يكون هذا المقام للغة وص من العلماء بهذه النيات زائدا على مقامات من الزهد للمريدين قال عبد الرحمن بن مهيدي خرج محمد بن يوسف الاصبهاني الى مكة ومعهم مائة دينار وليس معه الاكساء أدبت وما رأيت مثله وكذلك يحيى بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري ولما

قدم عبد الجليل الزاهد الى واسط اجتمع اليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال اصبر واحتسب أبيع دقاق
 ثم جلسته من البصرة وأفرغ لكم للمسائل وكان يجبر فيجعل ثلثا لاهله وعباله وثلثا لخواه الفقراء وثلثا
 يرده في تجارته وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيدا في
 حالهم وطريقا لهم الى مقامهم من الزهد وهو وصف الاقوياء من الزهاد

* (فصل) * خالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم
 الوجود على الاستغفار والاحتقار والتقال في هذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا
 في زهده لرغبته في زهده وهذا يكمل الزهد وهذا به وحقيقته وهو أعز الاحوال في مقامات اليقين وهو
 الزهد في النفس لا النفس لاجل الزهد ولا الرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين
 عند وجد عين اليقين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه
 وهو زهد المؤمنين والورع من الزهد كان الزهد من الايمان والقناعة باب من الزهد والرضا بالسير من
 الاشياء حال من الزهد والتقليل في الاشياء مفتاح الزهد

(فصل) * قال بعض السلف ابي اهل العلم بالله أن يسموا بالحكمة والوعظ الامن الزاهدين في الدنيا
 وقالوا ليس أهل الدنيا بذلك أهلا ولا يليق بهم وفعله رجاء بن حيوة عالم الشام بانغمائه كان يجلس الى رجل
 زاهد بيت المقدس فيستمع اليه فجاء يوما الى مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس وراهم وهو يحسبانه
 فيهم فلما أبطأ تكلم شيخ في المجلس وهو مؤذن ببيت المقدس لا بأس به فأنكر رجاء صوته فقال من هذا
 المتكلم فقال الشيخ انار حنا الله فقال اسكت عافاك الله قاتنا نهينا أن نسمع الزهد الامن أهله وقال نحوه
 سلمان لعمر بن الخطاب وذلك انه جل اليه اراد فكسا الصحابة بردا بردا فلما كان في يوم الجمعة خرج في
 بردين فخطب فلما قال في وعظه الاسمعو افقام سلمان فقال والله لا نسمع قال ولم قال لانك كسوتنا بردا بردا
 وخرجت علينا في حلة فقال رجل ان الله اني غسلت ثوبي ولم يكن لي غيره فاستعرت هذا وهو برد عبد الله بن عمر
 فقال قل الآن حتى نسمع وهذا أبو عبد الله أحد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ما هو قال
 هو الاخلاص قال فما الاخلاص قال هو الزهد فقبيل يا أبا عبد الله وأي شيء الزهد فسكت فقال سلوا الزهاد
 سلوا بشرا وقال أبو طالب الوراق دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث كنت قد نسخت لهم كتاب
 الزهد الذي جمعه لأقرأ لهم عليه ففرس لنا في الدار حصير جديد ونزل البنان من غرفة له فلما قعدوا أخذ
 الاصل بيده أظفقه ثم قال يا أبا طالب الزهد لا يقرأ الا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعدنا
 على التراب

* (فصل) * بروي ان عمر رضى الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في عيبا الا أخبرني به فقام
 شاب في المجلس فقال يا أمير المؤمنين فيك عيبان اثنان قال ما هو رجل الله قال تذييل بين البردين وتجمع بين
 الادمين قال فما ذال بين البردين ولا جمع بين الادمين حتى لقي الله عز وجل هكذا بروي تذييل بالذال المجعولة
 معنيين أشهرهما أي تجمع بين ذيل ثوبك فتتفق ذيل البرد الاعلى مع ذيل البرد الاسفل لطوله واغرب
 الوجهين ان معنى تذييل تضع ثوبين معا أي تتركهما موضوعين لك ولا يبعد أن يكون بالذال المهملة والمعنى
 تبدل بردا ببرد دولة هذا ودولة هذا وأراد أن يكون له واحد لا يذيله بالآخر

* (فصل) * تقدم قول الاحنف بن قيس ما كذبت كذبة الامرة وله قصة وهي انه وقدم مع قومه من
 البصرة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فلما قاروا ودخل المدينة فرعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس
 كل واحد ثوبين جديدين أو غسيلين أو قال أبيضين قال وفعات مثل ذلك فلما دخلنا اطراف المدينة فرئد
 الدخول الى عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بابصارهم ويعرضون وجعواوا يلحظوننا وتنووا ابصارهم عنا
 فنهتهم يقولون أبناء دنيا قال فعلمت ان القوم ليسوا أمثالنا وانهم هم أهل الآخرة فطفت رأس راحلتي

وزعت ثوبى ووردت مالى العيبة ثم أخرجت ما كنت خلعت من ثياب سفرى وبذلتى فلسته ثم دخلنا على عمر قال فجعل الناس تنبوا أعينهم عن أصحابى وينظرون الى من بينهم كأنهم يغبطونى قال فلما نظر اليهم عمر وكان أول يوم رأيته فاذا رجل عليه خلق من قوع وعلى كفه درة فلما أقبلنا من بعيد أخذ كفان حصى فحصبنا به قال ثم لحطاني بعينه فقال هذان هم فادناى وقربنى من بينهم وقال من أنت لله درك أو قال أبوك فقلت أنا الاحنف بن قيس التميمى فقال أنت سيد قومك قال وأعجبه هيتى فقام واتكأ على يدي فجعل يسألنى عن الطريق وعن الركاب وكيف كان سيرهم الى أن وافى رحلنا وموضع مناخنا فرمى عيتى فرأى طرف الثوب خارجا فلسه وذ كر أول الخبر انذى تقدم ذكره

*(فصل) * روينافى الاسرائيليات ان موسى عليه السلام وصف الزهد لبنى اسرائيل فقام اليه رجل منهم فقال يابى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام اليه آخر فقال يابى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال ذلك ما تتبع قال نعم قال اجلس فلست منهم فقام اليه آخر فقال يابى الله أنا منهم قال أنت اذا تغديت تجد ما تتعشى قال لا قال ذلك ما تتبع قال لا قال ذلك من يقرضك قال نعم قال اجلس فلست منهم ثم قام آخر فقال أنا منهم فقال له مثل ذلك الى أن قال ذلك من يقرضك قال لا ولا أملك من الدنيا الا هذه الشاة من الصوف ولقد آذنى فيه الدواب وأنا استحي من ربى عز وجل ان أترعها فافلقها واتعري بين يديه قال اجلس أنت منهم فهذا الذى أراده موسى عليه السلام من الزهد هو حقيقة وهو زهد أولى العزم من الزهاد وهذا الحال من عزائم الامور وتفصيل مقاماته ان الزهد فى حال الفقر مقامات * فالماقام الاول هو أن لا يجد الفقير معلوما غير ما جل فى جوفه وعلى ظهره وهذا هو حال الفقير الاول الذى قاله موسى است منهم يعنى من أولى العزم من الزهاد اذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لاجل وجد العوض المعتاد وهو فضل ما يبيعه من العوض فقام له مقام العلوم من النقود والمقام الثانى من الفقر فى الزهد هو فقد العوض الذى هو عوض عن الناض وهذا حال الثانى * والمقام الثالث هو أن بعدم الاعراض والاعراض وليس هو حقيقة الفقر لاجل بقاء الاسباب التى تقوم مقام الاعراض وهو الجاه الذى يستقرض به فيقرض وهو أيضا سببه يعرف لاجل معرفته اقترض فهذا يتحججه عن حقيقة الفقر وينقصه عن عزيمة الزهد فحسب موسى عليه السلام وجود الجاه له رغبة منه هى دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذى وصف الله به أوليائه فى الغاية من قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت فهذا مثل فقد العلوم الذى تقوم به الاشياء وهو بمعنى حال الاول ثم قال وضافت عليهم أنفسهم فلم يبق له عوض يقوم مقام العلوم الذى له قيمة شئ فيبيعه وهذا يعنى حال الثانى ثم قال وطنوا ان لا لجأ من الله الا اليه فهذا سقوط الاعراض بعد فقد الاعراض وعدم الجاه الذى هو سبب الاستعراض فلم يبق له جاه يعول عليه ولا معرفته من الخلق ولا سبب بينه وبينهم ففارق به اليه ولم يبق بينه وبين الله الى الله ماوى يسكن فيه ولا ظل يستظل به ولا لجأ يستند اليه حينئذ قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية ثم ناب عليهم ليموتوا أى عطف عليهم لينعطفوا عليه ونظر اليهم لينتظاروا اليه وهذا وصف الثالث الذى قاله موسى عليه السلام أنت منهم اذ قد تحقق بالفقر وبلغ عزيمة الامر فلم يجد دون الله سبيبا منفصلا من مال ولا معنى متعلما من حال وهو الجاه والمثله الذى يقوم مقام الاعراض ويتسبب به الى الاسباب فهذا وصف فقير فقير ونعت غريب غريب الدار فى وطنه غريب الوجد من مسكنه غريب العلم من دمنه غريب الحال من أمته غريب فى غربته غريب فى فقره غريب فى فقره لا يعرف ما بناء جنسه متوحدا بانيته عن أنفسه قد طمست نفسه فى رسمه وشغل بيوم عن غده وأمه فهو هذا من وحش الملل فى داره وأتسله زواره قد قرت عينه بقراره وفر من ايلافه وفراره وصلى روحه من اقداره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيب بلادته وروح عباده ومن خالص وداده قد زهد فى زهده وعدم وجوده بوجوده وفنيت نفسه عن جهله وبقيت روحه بوجده وكذلك

روينا ان داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة وكأنه تشوق اليها فأوحى الله اليه أنت لابد لك من سبيل
وابدومن عرفني لم يسكن الى سبيل ولبد والله الموفق

(فصل) * قال صاحب القوت حدثني عبد الكريم بن أحمد حدثني جعفر بن محمد حدثنا الطواص
عبد الله بن الحسين حدثني سعدون بن سهل بن عبد الرحمن المسكي عن المغيرة بن قيس عن شهر بن
حوشب عن أبي امامة قال أتينا على أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسود مولاهم
ميت بالامس ليس له ثوب يكفونوه وما عندهم غاسل يحسن غسله قد قطع به لا يدرون كيف يأتون
فهم منا عليهم من الغد ظهر اودق أروح وترك القوم خباءهم وخرجوا كراهية لجوارحه فكان أول من نزل
منار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مشى حتى دخل عليه فجاء القوم يعتذرون اليه من تركهم اياه فانطلق
النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام على نهر لهم عادية فقتل فيها فاستحالت عذابا فاسقين وأمر عليا وأبا امامة
فغسلاه وكفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بردقه ما زاده عليها ثم صلى عليه وولى ادخاله في قبره على وأبو
امامة فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحبه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا
خصلته كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا ما هي يا رسول الله قال انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر
حله الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حله الشتاء من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة
الصبر ومن أعطى منهم ما لم يبالي ما فاته من قيام الليل وصيام النهار الحديث وقد تقدم مرارا اختصر ا على
قوله من أقل ما أوتيتم اليقين الخ وسبق قول العراقي انه لم يحبه فتنبه لذلك

(فصل) * الزاهد في الدنيا مسجون مضيق عليه وليس كل من أراد وصل الى المسجون وكلما كان
المسجون أضيق عليه وأشد كان الوصول الى الزهد أبعد وأشق ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس
لا يصل اليهم كل انسان الا من توصل أو توصل على قدر تضاييق المسجون

(فصل) * في سياق كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة وقد تقدم بعضه ونذكر الآن ما وعدناه
به قال حبل الدنيا حب بلاء وحبل الآخرة حب بلوى ومن رغب في اختيار الله دام فرجه لان العارف من
أخذ الآخرة بيمينه والدنيا بشماله وأقبل على الله بقلبه لا يلهيه شيء وما دام يخاف من وقوع الدنيا عليه فانه
لم يصل بعد وقد علمه مرة رجل من الزهاد فجعل يحذر نه الزاهد با حديث في فضل القلة والفقر ويحجي ينظر
الى وجهه كالمتجيب فلما قام قال لولم يعلو المساكين بمثل هذه الاحاديث لتفقت مرارتهم من الغم وكانوا
لا يصبرون على الفقر هيبت لم يتقدم القوم عند الله بفقر ولا غنى ولكن بالعلم والمعرفة قيل له وما عبادة
العارف قال الدنيا دار سيرا الى الله تعالى فان لم يسر باعمال جوارحه فهو سائر بقلبه خطو القدم ذراع وخطو
القلب ألف فرسخ وقال أيضا التماسك العطري حوائث الصبابة جهل انما هو الشغل بالله عن الدنيا
والآخرة معا وقال طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها الزاهد ألج من يرى ثبت على ترك الشيء أربعين سنة
ولكنه كلما كان ألج كان أصدق بما لم يوافق نفسه هو انه في الاخذ فلا سبيل له اليه الا بالترك حتى يترك
اخلاق العبيد ويتخلق معه باخلاق الاحرار ولا يوجد صدق العبودية الا في منازل المحبة والمعرفة وقال في
تفسير قول عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا لا أنتم عبيد اتقياء يعني الزهاد ولا احرار اقوياء يعني العارفين
وقال خض بحار المعرفة اليه تستهين جهل الزهد والعبادة في جنب ما تدفع اليه مما لا قوام للعقل عليه فان
البهاء مع العبادة والكفاية مع الزهد والبصيرة مع العلم والجواهر السنية مع المعرفة وحتى مرة فقال النبي
أجد من حرب وابن خضرويه وأبو حامد فقالوا لاجدين حرب ان جعلت لله الدنيا فأنسأ أنت صانع بها قال
كنت أرضى بها خصمائي لثلاث لحقني تبعة يوم القيامة قالوا لابن خضرويه فما كنت صانعها أنت قال
كنت اجعلها كلها القمة واضعها في فم مؤمن فاستريح منها قالوا لابي حامد فما كنت تصنع بها أنت قال
كنت اجعلها الطلاب الآخرة فاحوزوا ب ذلك قال يحيى اما ابن حرب فانطقه لسان العصاة ودوحته

درجة التواضع وأما ابن خضرويه فأنطقه لسان المحبة ودرجته درجة المشتاقين وأما أبو حامد فأنطقه لسان الشفقة ودرجته درجة الزاهدين قبل يحيى بعد ذلك ما كنت صانعاً لهم أقال وما حكم العبد في مال سيده انتظر قضاءه فيها فاصرفها فيه فهو أعرف بالتدبير وكان يقول الزاهد عيشه الى يوم واحد والعارف أسقط الأمل أصلاً لان حياته بيد غيره وقال من صدق في الترك عذري لاخذ يعني الدنيا وقال الصوف لباس العجم ماراً يتم على أحد استبرع عقله وقال نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين وكان يقول الدنيا كلها لا تعدل عند ربها جناح بعوضة فكم مقدار ما تركت منها ينبغي لك ان تضعها على طبق وتقول ما صنعت شيئاً لأنه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يترك الزهد وقال ترى الزاهد اذا دخل في الزهد جوع نفسه وباع شيئاً كله من الخوف من الدنيا لا بشك حتى اذا قوى يقينه ورأى الامر كائناً وجوده بغير الاسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان باع من كتب ومتاع وقال الزاهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة وقال انما يتركون ويحزنون ليفرحوا يأخذون ويفرحون ليفرحوا فاعلمهم تركوا وأخذوا وخزنوا وفرحوا اذا كان فرحه موجوداً لهم في الحالين فقيل له هو يفرح قال نعم اليس في الخبر لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل بعيره الحديث وقال يا زاهد ان كنت تعجب ممن ترك الجنة في جنب دنياه فالعارف أشد تعجباً حين شغلته الجنة عن خالقها وكل حالة تظهر بها في سيرك اليه الا كسر هاء عليك الوصول ليكون غرك به لا بغيره قال صاحب القوت وجملة الامران يحيى بن معاذ لم يكن يتكلم بلسان الزهد ولم يكن عمله يصلح للمريدين ولا للسالكين لأنه لم يكن من علماء الطريق وقد هلك بمثل هذا فريق وهموا مقام المعرفة وتظننوا حال العارف حتى فاتهم بذلك مقام الزهد ولم يدركوا حال العارفين وأولى الاشياء بالعاقل مراعاته لما هو حاصل ومعرفة بقدر حاله وأعمال نفسه في سرائر حاله وقال في موضع آخر وأما طريق يحيى بن معاذ وبعض العارفين في شأن الدنيا فان من لم يملك الملك لم يضره ما ملك بعد أن لا ينظر الى نفسه فيه كما لا يشهده له بل يحبه في خزائنه التي هي يده وعليه ويكون موقفاً فيها الى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه واخراجها في أوقاته الى أهله فهذا مستودع يؤدي الامانة فيه ووكيل مستخلف بطبيع الموكل به فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزبد على مقامات الزاهدين وهذا وصف الصحابة الاعلى وكان يقول لا تأمن مكره ولا تغترن انظر ان لا تكون قد تركت الزهد والعبادة طنائمك بانك قد وصلت الى درجة الحب والمعرفة فتصير في القيامة عارياً منها كلها لا في منازل العارفين ظهرت ولا فضل الزهد والعبادة أدركت هذا مع قوله اذا صبح الزهد خرج شهوة النساء من قلبه فلم يردهن فاذا أقيم مقام المعرفة ترددوا عليه وقال مرة اذا زهد ترك الشهوات فاذا عرف عاودها ويكون وجده أفضل من تركه وقال اذا صبح زهده لم يلحظ من الدنيا مشتهيه فاذا لحظه قالوا اخذه فيجعلونه عليه لان قلبه قد وقع عليه قال وكذلك اذا عرف لم يلحظ من الآخرة شيئاً بقلبه فان وقع قلبه على شيء منها جعل له كأنه يقول اذا صبح تركه للدنيا والآخرة لاجل الله فانه يردهما عليه اذا الله تعالى لا يعاينهما شيئاً وكان يقول الزهد يورث السخاء بالنفس عن الآخرة وحسب الله يشغل عن الدارين جميعاً وقال ترك الدنيا مهر الآخرة ونفسك خير من الدنيا فلا تبعها بما ومن علامة المعرفة بهذا بيع الدنيا كلها في جنبها وقبل له ما عاين الزهد فقال ان لا يعجب من الدنيا ما يلزمه حفظه

*** (فصل) * الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزق الزاهد من الآخرة على هذه الصفتين حرمان نصيبه من الدنيا وجايبته عن التوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنفعة من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختبار من الله تعالى بوحيلة نظروا عمل بطلا لا عايناً يحتاج لتوسعه بهواه فيقول ان الزهد في الدنيا لم ينقص من رزقي شيئاً قد فقم لي مقام مع التوسع والاستكثار لاني انما آكل رزقي وأخذ قسيمي فلي من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال يترخف على من لا يعرف الزهد ويغتر بمقاله من لا يعرف طرائق الزاهدين ولعله عن يأكل الدنيا**

بالدين فسمى الاحتجاج لنفسه به واما الاعتزاز عند الجاهلين زهدا خيفة لوهم اياه فكان ذلك معه احتجازا
عن الزهد لزهده في الزهد وقوته رغبت في الرغبة ولا يعلم الغرور بدار الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا
ويأخذ قسمه من العطاء فيحكم البعد والبغض ويوصف الرغبة والحرص لان السارق والغاصب أيضا يأكل
رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق
الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار لاولياءه فقد حرم المدي
لذلك رزقه من الزهد بخس نصيبه الا وفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الاسخنة اذ كانت الدنيا
ضدها وجعل ما صرف فيهم وما صرف اليه سببا لنقصان مرتبته من طريق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا
وعما فتح عليه من السراء لظهر صدقه من كذبه فوقع في الفتنة ولم يظن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه
عن وجوده حجابا له عن علوم العارفين فاستدرج بعلمه هذا وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين
الزاهدين هذا اذا كان صادقا في مشاهدته تلك وان كان كاذبا في دعواه فهو من اولياء الشيطان ومن
المحرورين الغافلين قد مكر به وعدل عن علوم الموقنين وقد قال بعض العارفين من كتم ما يحبه من آفات
نفسه عوقب بادعاء منزلة لم يبلغها نعوذ بالله من الاعتزاز بعلم الاظهار ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق
* (فصل) * الزهد في الدنيا على ثلاثة احوال رجل قد غلبها موجودة ومفقودة ورجل قد غلبته موجودة
ومفقودة ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة تفسيره ان من الناس من قهر هواه وملك نفسه وشهوته
وهو قادر عليها وهي موجودة له فذلك احدى ان يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه وهذا مقام الصديقين
والثاني قد غلبته نفسه واهوا الهوى واملته الشهوات موجودة اذا قدر عليها ومفقودة بالاهتمام بها
والفكر والخواطر فيها والارادة لها فهذا ساقط لا مقام ولا وصف وهذا حال الجاهلين ونعت الغافلين
والثالث قد غلبته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة فاذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم
وملكها عند الفقد وهذا حال المجاهدين وطريق السائر بن ونعت المريد بن وقد قيل ليجي بن معاذ ا يصل
العبد الى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد الى درجة يستغنى فيها عن الدنيا فقال هذا لا يكون لا يستغنى
عن الدنيا احد وانما وقع التفاضل بين الناس على القليل والكثير فازهدهم فيها اقلهم حظا منها كما لا يسلم من
الذنب احدوا لكن افضلهم اقلهم ذنبا وكان رحمه الله يقول في العدل قولا فضلا قال ان زهادكم يامر ونكرهم
بان يكون الدرهم اول شئ تتركونه من الدنيا واما امركم ان يكون الدرهم آخر شئ تتركونه منها قيل له
لم ذلك قال لان الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على النفس فترك الدرهم من قبل ازالة
الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع البلاء حتى اذا زالت بحسن
السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئت أم أبيت ضرورة اذ كانت علة حبك له
الشهوة والشهوة قد ذهبت وبالدرهم يتم امر هذه السياسة فلماذا قلت اجعل الدرهم آخر شئ تتركه بعد
الفرار من النفس واعلم ان امساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به
وكان يقول راحة الابدان في زهد القلوب ومشقة الابدان في حرص القلوب وقال طلبت الدنيا فلم أسترخ
وطلبت العلو فلم أسترخ وطلبت العبادة والعلم فلم أسترخ ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترحت
وكان يقول مادامت شهوة النفس معلقة فانت معيبة الدنيا وتساق المطية حيث يريد صاحبها لا حيث
تريد هي واذا ذهبت الشهوة فالدنيا مطية يسوقها حيث يريد وقال بعض أهل المعرفة ان الله لا يرضى ممن
عرفه أن يعلق بشئ دونه فان فعل ذلك غم الله ولوعه من ذلك حتى يرجع اليه ويقال ان من صرع زهده في
الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء وفيه قال الشاعر

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في * وصلى مشيت بلا شك على الماء

وقال بجي بن معاذ اولياء الاسخنة ثلاثة قانع وزاهد وصدوق فالقانع المحترف الطالب للحلال المنطق على

السبيل والسنة النازل عن جناح الرغبة في طلب الفضول من حطام الدنيا والزاهد التارك للطلب ومعه شهوته فان أصاب نعيم الدنيا من غير كلفة أكل ونكح وان منع صبر ورضى والصديق هو واجبة النعيم لا يريد له لمزاولة الشهوة اياه وقال أيضا ليس بزاهد من استخدم غيره بما يصل هو الى فعله وقد قال أبو سليمان لأحمد بن أبي الخوارى اذ قال قلت لبعض أصحابنا استقنى ماء فناولني شربة فقال لي أبو سليمان رأيت من زهد في الدنيا يستخدم ويقول استقنى ماء وكان يحيى بن معاذ يدخل العلم والعبادة في الزهد يجعل الثلاثة كالشيء الواحد لا يتم بعضه الا ببعض فقال الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب سده الزهد ولحمته العبادة ونساجه العلم لا يلحم الثوب بغير هذه الثلاث كذا لا يلحم أمر الاخرة الا بثلاث او كان يحيى بن معاذ يقول اذ وصل فرح فاذا اتصل استأنس فقبل له نراك تفرق بين الوصول والاتصال تجعل الاتصال أعلى وأقرب فقال اضرب لكم مثلاً رجل سار طريقاً وقد صدمه كركباً ثم وصل اليه حتى اذا قدم عليه فقد وصل ثم يتصل بمخادمة المالك شيئاً بعد شيء يتقرب به اليه ويقرب منه حتى يدنيه المالك ويؤنسه فالسير والتعب لقطع المنازل والفرح في الوصول والانس في الاتصال والاتصال كان مقام أبي يزيد والوصول كان مقام يحيى بن معاذ رحمة الله عليهما

(فصل) قال أبو يزيد البسطامي حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وهو أن يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الأشياء باظهار السكون في زهد في ذلك حب الله تعالى أن يعمل له ويتركه حب الله تعالى أن يقوم مقام القدرة وكشف هذا المقام يخرج الى علم غير يبلا يعرفه سر عجب لا يوصف وفننا الله واياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل منه بفضل ورحمة هو هذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد والاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم نجز ذلك على يد مسودة أبي الفيص محمد بن نضري الحسيني تاب الله عليه بمجته في ضوئه ثم اراد ان يبعثه لتسع بقين من شوال سنة ١٢٠٠ حامداً لله مصلياً مسالماً مستغفراً

(كتاب التوحيد والتوكل)
وهو الكتاب الخامس من
ربيع النجيات من كتب
احياء علوم الدين *

(بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر)
الحمد الذي من توكل عليه كفاه ما نابه * ومن عمل صالحاً هداه لتوحيد واثابه * ومن لجأ اليه بفقره وزهده نفى عنه ما أراه * أحده على عظيم احسانه * وتوالت فضله وامتنانه * جدا يكون موجبا لحسن المزيدي * ومقر با الى الثواب العتيد * وأومن به ايمان من رجاه موقنا * وخضع له مدعنا * وأخلص له موحدا * ولاذبه راغباً مجتهدا * وأشهد أن لا اله الا الله الها ألهم الصواب * وأجزل للمتوكل عليه الثواب * وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله * وصفيته وخليله * الذي بعثه بالحق * وأرسله رحمة للخلق * واختصه بعقائل كراماته * واصطفاه لكارم رسالته * وأوضح به اشراط الهدى * وجلا به غريب العمي * صلى الله عليه وعلى آله الابرار * معادن العلوم والاسرار * وعلى أصحابه الامثال الاخيار * وعلى كل انسان من المتابعين لهم باحسان * ما افتقر روض بسيم * ولا ح وجه وسيم * وسلم تسليماً كثيراً كثيراً بعد فهذا شرح *(كتاب التوحيد والتوكل)*

وهو الخامس من النجيات والخامس والثلاثون من كتب الاحياء للامام الزباني * والعهود انصمداني * بحجة الاسلام أبي حامد المستوجب للمعاهد محمد بن محمد بن محمد النزالى روى الله بالرحمة تراه * وأجزل من المغفرة قراه * يلعب بالباب أولى النهى * ويشوق الاحباب الى بلوغ درجته المنتهى * اذ قد بين ما أهم منه من الفوائد الرجيمة * لنوى الافهام الصحيحة * ورفع نقاب كتاباته الفصيحة * وأرى في تلطيف الطباع ما أورده على سبيل النصيحة وقد أعرضت فيه عن التطويل اختصارا * واقصرت على ما سأورده اختصارا * ايثارا في التخفيف * لارغبة في التطفيف * على ان صنوت المصنف جليل * وفضله بين العلماء شهير * فكتم له من اشارات تلقى وحكم تثبت ولا تنفى * وباقيات تقرب الى الله زلنى * والله تعالى أسأله الاعانة والامداد * والهداية الى سبيل

(بسم الله الرحمن الرحيم). الحمد لله مدبر الملك والمالكون المنفرد بالعزة والجبروت الرافع للسماء بغير عمد المقدر فيها أرزاق الغباد الذي صرف أعين ذوى القلوب والالباب عن ملاحظة الوسائط (٣٨٥) والاسباب الى مسبب الاسباب ورفع

همهم عن الالتفات الى ماعده والاعتماد على مدبر سواء فلم يعبدوا الاياه علمانية الواحد الفرد الصمد الله وتحققات بان جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يتغنى عندهم الرزق وانه مامن ذرة الا الى الله خلقها وما من دابة الا على الله رزقها فلما تحققوا انه لرزق عباده ضامن وبه كفيلا توكلوا عليه فقوالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قاطع الابطال الهادي الى سواء السبيل وعلى آله وسلم تسليما كثيرا (أما بعد) فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين بل هو من معالي درجات التقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غوضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتثاقل عنها بالكيفية طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تبسيري ووجه العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض (أي الشدة ولا يقوى على كشف هذا الغطاء) أي رفع هذا الحجاب (مع شدة الخفاء الاسماء العلية) أي الجهازة النقاد (الذين اکتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أي

السادس انه ولي كل احسان * والملي بكل امتنان * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) معين كل موحد متوكل ذي قلب سليم (الحمد لله المدبر للملك) وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية (والمالكون) وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (المنفرد بالعزة) وهي الغلبة الاتية على كلية الظاهر والباطن (والجبروت) وهو عالم الاسماء والصفات الالهية (الرافع للسماء بغير عمد) نعمه عليه (المقدر فيها أرزاق العباد) وأقواتهم الحسية والمعنوية يشير بذلك الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (الذي صرف أعين ذوى القلوب والالباب) المشاهدين بانوار الغيوب بحقائق الامور (عن ملاحظة الوسائط والاسباب) الجلية والخفية (الى مسبب الاسباب) وأصل السبب ما يتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير لكل شئ يتوصل به الى أمر من الامور فقبل هذا سبب هذا وهذا سبب على هذا (ورفع همهم عن الالتفات الى ماعده و) عن (الاعتماد على مدبر سواء فلم يعبدوا الاياه) كل ذلك لئلا يكون توحيدهم ومزيد توكلهم كما ينبغي المصنف بقوله (علما) منهم يقينيا (بانه) تعالى (الواحد) فلا يصح عليه التجزى ولا التكثر ولا ينسب بين غيره نسبة توجع (الفرد) فلا يتخطاه غيره (الصمد) الذي يصمد اليه في الامور ويعتمد عليه (الله) جل وتقدس عن الاشياء (وتحققات) منهم (بان) جميع (أصناف الخلق) أحرها وأسودها (عباد أمثالهم لا يتغنى) أي لا يتطلب (عندهم الرزق) كما أخبر به سبحانه في كتابه وهو الحق في آيتين الاولى قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والثانية قوله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه (وانه مامن ذرة) من ذرات الوجود (لا الى الله خلقها) أي ابداءها وتقدر بها كما قال تعالى (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) ويعلم مستقرها ومستودعها (فلما تحققوا لانه لرزق عباده ضامن) أي ما نزل به باعطائه اياهم (وبه كفيلا) يحيط بجميع جهاته (توكلوا عليه) في سائر الامور ولم يخشوا أحدا سواه كما قال تعالى في شأنهم فزادهم إيماناً (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يحسبهم سوء (والصلاة على) سيدنا (محمد قاطع) خبيثات (الابطال) بسيف الحق والابطال جمع باطل وهو كل ما يصاد الحق (الهادي) أي المرشد (الى سواء السبيل) وهو سبيل التوحيد والتوكل (وعلى آله) وصحبه (وسلم تسليما كثيرا) وفي بعض النسخ وعلى آله وأصحابه دون قوله وسلم تسليما كثيرا وفي الجمل المذكورة من أول الخطبة الى آخرها براعة الاستهلال مما لا يخفى على الممارس المتأمل لما تضمنه هذا الكتاب (أما بعد فان التوكل منزل من منازل الدين ومقام شريف من مقامات الموقنين) وهو السابح من مقامات اليقين على النسق الذي أورده صاحب القوت (بل هو من معالي درجات المقربين) ولفظ القوت من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين (وهو في نفسه غامض من حيث العلم) ولغموضه اختلفت أقوال المشايخ في حده (ثم هو شاق من حيث العمل) به (ووجه غوضه من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها) بعد ملاحظتها (شرك في التوحيد) عند أهله (والتثاقل) وفي نسخة التبعاعد (عنها) أي عن الاسباب (بالكيفية طعن في السنة وقدح في الشرع) فان غالب المأمورات الشرعية مبناها على الاسباب (والاعتماد على الاسباب من غير أن ترى أسبابا تبغير في وجه العقل) فان العاقل كيف يعتمد على شئ وهو لا يرى به (وانغماس في غمرة الجهل) والغمرة معظم الماء وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض (أي الشدة ولا يقوى على كشف هذا الغطاء) أي رفع هذا الحجاب (مع شدة الخفاء الاسماء العلية) أي الجهازة النقاد (الذين اکتحلوا من فضل الله تعالى بانوار الحقائق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب) أي

عما شاهدوه من حيث
استنطقوا ونحن الآن
نبدأ بذكر فضيلة
التوكل على سبيل المقدمة
ثم نردفه بالتوحيد في الشطر
الأول من الكتاب ونذكر
حال التوكل وعمله في الشطر
الثاني

(بيان فضيلة التوكل)
(أما من الآيات) فقد قال
تعالى وعلى الله فتوكوا وان
كنتم مؤمنين وقال عز وجل
وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وقال تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقال
سبحانه وتعالى ان الله يحب
المتوكلين وأعظم مقام
موسوم بمحبة الله تعالى
صاحبه ومضمون بكفاية
الله تعالى ملاسه في الله
تعالى حسبه وكافيه ومحببه
ومراعية فقد فاز الفوز
العظيم فان المحبوب لا يعذب
ولا يبعد ولا يحجب وقال
تعالى أليس الله بكاف عبده
فطالب الكفاية من غيره
هو التارك للتوكل وهو
المكذب لهذه الآية فانه
سؤال في معرض استنطاق
بالحق كقوله تعالى هل
أتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيأ مذكورا
وقال عز وجل ومن يتوكل
على الله فان الله عز يزككهم
أي عز يزلا يذلل من استجار
به ولا يضيع من لا ينجبانه

الاطهار والافصاح (عما شاهدوه) بيصيرتهم (من حيث استنطقوا) أي طلبوا البيانه (ونحن الآن
نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل المقدمة) والتوطئة (ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأول من الكتاب
ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني) منه بعون الله تعالى وحسن توفيقه
(بيان فضيلة التوكل)

ولوا حقه التفويض والتسليم والثقة والرضا (أما من الآيات) القرآنية (فقد قال الله تعالى وعلى الله
فتوكوا ان كنتم مؤمنين) فمع شرفه قد أوجب على سائر المؤمنين لان الايمان يوجب على المؤمن مدلوله
ومدلولات الايمان هي الناشئة عن نفس الايمان بحسب الملاحظات فنلاحظ عن زيدانه قائم بالامر عقول
عليه واعتمد على كفايته وان لاحظ مع كونه قائما بالامر انه حكيم في علمه وأفعاله فيما يقدم ويؤخر وفيما
يرفع ويخفض سلم الامر اليه واستسلم لحكمه لان التفويض معناه ترك اختيار العبد لحسن اختيار الله
والاستسلام هو انقياد العبد واذعائه لما اختاره الله وبما حكم به عليه من الامر والنهي وملازمة الحدود التي
حددها وان لاحظ مع ذلك كمال صدقه وفاء وعده وثيقه لان الثقة نتيجة التصديق ومعناه الرباط على
القلب وعدم الانفصام على ما حواه من التصديقات فالثقة اذا على هذا مكملة لجميع المقامات والاحوال
ولهذا قال أبو اسمعيل الهروري الثقة سواد عين التوكل ونقطة دائرة التفويض وسويدها قلب التسليم وان
لاحظ بعد ذلك الوهية مال اليه بوجهه وانصرف اليه بكيته وان لاحظ المعنى الجامع لصفات الوهية هو المعبر
عنه بقول الله حصل الدهش والتحير فهكذا ينبغي أن يفهم ملاحظة مدلولات الايمان وقال صاحب العقوت
وقد أمر الله بالتوكل وقرنه بالايمان ليدل بذلك انه حاشية ان اذا التوكل على الوكيل هو من الايمان بالمؤمن
لانه عن حقيقة الايمان وهو اليقين وبمشاهدة الوكيل وهو الحسب الحسب ونعم الوكيل فامر بالتوكل
قولا وفعل بعد الاخبار عن محبته للمتوكل عليه فقال تعالى قل هو الرحمن آمناء عليه توكلنا مع اشراط
التوكل للايمان بعد الامر به في قوله تعالى وعلى الله فتوكوا ان كنتم مؤمنين وفي قوله ان كنتم آمنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم المتوكل كالم يخرج خصوص المؤمنين
من شرط وجود الاسلام وكما كل مؤمن حقا مسلما لادعلا كذلك كل مسلم صدقا يكون على الله متوكلا
فقد صار المتوكل من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم
الكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب بالهون والسكينة ونعتهم بالسلامة والخوف وذكرهم بالسجود
والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر
الآيات (وقال عز وجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فرفع المتوكلين اليه وجعل مريدهم منه (وقال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه عن سواه (وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين) فجعل
المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته (فاعظم مقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملاسه
في الله حسبه وكافيه ومحببه ومراعية) فهو شافيه ومعافيه فلا تسأل عما هو فيه (فقد) تناهى من كان
بهذا الوصف في حسن المراعاة (فاز الفوز العظيم) الابدى المقيم (فان المحبوب) المرامي (لا يعذب) بنار
الفرار (ولا يبعد) عن حضرة الوصال (ولا يحجب) عن المشاهدة (و) هذا الذي (كفاية في هذه الار
المهمات ووقاه بنفويض أمره اليه السيئات كقوله تعالى أليس الله بكاف عبده) مع قوله وأقوض
أمرى الى الله فوفاه الله سيئات ما مكروا (وطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه
الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن
شيأ مذكورا) قال أبو يعقوب السوسي أول التوكل المعرفة بالوكيل وانه عز يزككهم يعطى لعزته ويمنع
بحكمته فيصير العبد لعزه ويرضى بحكمه ويستسلم لحكمته كذلك أخبر عن نفسه وثبه المتوكلين عليه اذ
(قال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عز يزككهم أي عز يزلا يذلل من استجار به ولا يضيع من لا ينجبانه

الرجال فقيل لي أَرْضَيْتِ فَقَاتِ رَضَيْتِ يَارَبِّ رَضَيْتِ يَارَبِّ فَقِيلَ إِنَّ مَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
بِغَيْرِ حِسَابٍ فَدَيُّ لَكُمْ أَبِي وَأُمِّي أَنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَاذْهَبُوا فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا
مِنْ أَهْلِ الطَّارِبِ فَإِنْ قَصُرْتُمْ فَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْأَفْقِ فَإِنْ قَدْ رَأَيْتَ نَاسًا يَتَهَارَشُونَ كَثِيرًا إِلَى أَرْجُو
أَنْ يَكُونَ مِنْ يَتَبَعِي رُبْعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَامَ عَكَاشَةٌ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ
لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَني مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا فَدَعَا لَهُ فَقَامَ آخِرُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ فَقَالَ قَدْ
سَبَقْتُ بِمِائَةِ عَكَاشَةٍ فَقِيلَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّبْعُونَ أَلْفًا فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَكْتُمُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَبَّرُونَ
وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ رَوَاهُ هَكَذَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَحْمَدُ وَالتَّيْمِيُّ وَالحَاكِمُ وَعَنْ عَبْدِ الطَّيْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ شُبَيْبٍ عَنْ
طَرِيقِ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي شِجَاعٍ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ ابْنَةِ مَحْمَدٍ قَالَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي حَتَّى
أَتَيْنَا الْبَقِيعَ فَقَالَ يَا أُمِّ قَيْسٍ يَبْعَثُ مِنْ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ
أَنَا مِنْهُمْ قَالَتْ نَعَمْ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ فَقَالَ سَبَقْتُ بِمِائَةِ عَكَاشَةٍ وَأُمِّ قَيْسٍ هَذِهِ أُخْتُ عَكَاشَةَ صَحَابِيَّةٌ طَالَ
عَمْرُهَا وَالتَّيْمِيُّ فِي الْكَبِيرِ مَخْتَصِرًا يَا أُمِّ قَيْسٍ أَتَرَيْنَ هَذِهِ الْمَقْبَرَةَ يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى
صُورَةِ الْقَمَرِ لِأَنَّ الْبَدْرَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَعْنِي الْبَقِيعَ وَقَدْ رَوَى الدَّيْلَمِيُّ حَدِيثَ ابْنِ مَسْعُودٍ
مَخْتَصِرًا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبَقِيعَةِ وَمِنْ هَذَا الْحَرَمِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يَشْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا وَجَوْهَهُمُ الْقَمَرُ لِأَنَّ الْبَدْرَ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوَانَكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ)
بِأَنْ تَعْمَلُوا بِقِيَانٍ لَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ كُلُّ مَوْجِدٍ مِنْ خَلْقِ وَرَزَقٍ وَعَطَا وَمَنْعٍ مِنَ اللَّهِ ثُمَّ تَسْعُونَ فِي الطَّلَبِ
عَلَى الْوَجْهِ الْجَمِيلِ (لِرِزْقِكُمْ كَمَا تَرْزُقُ الطَّيْرُ) بَضْمُ الْمِثْلَةِ الْفَوْقِيَّةِ عَلَى صِبْغَةِ الْمَجْهُولِ زَادَ فِي رَوَايَةِ فِي جَوَابِ السَّمَاءِ
(تَعْدُو وَخَاصًا) جَمْعُ خَيْصٍ أَيْ ضَامِرُ الْبَطُونِ مِنَ الْجُوعِ (وَتَرْجِعُ) (بَطَانًا) جَمْعُ بَاطِنٍ
أَيْ عَمَلَاتُ الْبَطُونِ وَانْمِثْلُ بِالطَّيْرِ لِأَنَّ الْأَرْكَانَ الْمُجْتَمِعَةَ فِي الْأَبْدَانِ طَوَّارَةً وَطَائِرَةً أَوْ كَرَاهًا وَمَرَكَزَهَا فَخَبِرَ
بِأَنَّ الرِّزْقَ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ لَا بِالْحِيلِ وَالْعَلَاجِ قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَمُسْنَدُهُ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَهْلُ قُلْتِ وَرَوَاهُ أَيْضًا ابْنُ الْمُبَارَكِ وَالتَّيْمِيُّ وَأَحْمَدُ وَالتَّنَائِي وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ حَبَّانَ
وَالْبَيْهَقِيُّ وَالضَّيَاءُ وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ وَأَقْرَبُهُ الذَّهَبِيُّ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
انْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) بِأَنْ كَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الْأَسْبَابِ (كَفَاءَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ مَوْثِقَةٍ) أَيْ مَشَقَّةٍ
(وَرَزَقَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمِنْ انْقِطَاعِ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَهَا) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ الطَّيْمِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَإِنْ
أَبِي الدُّنْيَا مِنْ طَرِيقَةِ الْبَيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ مِنْ رَوَايَةِ الْحَسَنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْحَصَنِ وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ وَفِيهِ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْأَشْعَثِ تَكْلَامُ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ أَهْلُ قُلْتِ وَرَوَاهُ كَذَلِكَ الْحَكِيمُ فِي النُّوَادِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالْخَطِيبُ
وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ خَادِمُ الْفَضْلِ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ كُنَّا نَنْظُرُ بِهِ الْخَبِيرَ فَقَدْ جَاءَ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سِرِّهِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ أَغْنَى النَّاسَ فَلْيَكُنْ بِمِثْلِهِ أَوْثَقُ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ
الْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ أَهْلُ قُلْتِ لَفْظُ الْحَاكِمِ وَالبَيْهَقِيُّ مِنْ سِرِّهِ أَنْ
يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَوَاهُ كَذَلِكَ عَبْدُ بَنِي جَدٍ وَاسْمُهُ بَنِي زَاهِرِيَّةٍ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي التَّوَكُّلِ
وَأَبُو يَعْلَى وَالتَّيْمِيُّ وَصَاحِبُ الْحَلِيقَةِ كَاهُمْ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ أَيْ الْمَقْدَامِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقُرْطُبِيِّ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الزَّهْدِ تَكْلَامُ فِي هِشَامٍ بِسَبَبِ هَذَا الْحَدِيثِ (وَرَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ) كَانَ (إِذَا أَصَابَ أَهْلَهُ خِصَاصَةٌ) أَيْ فَقْرٌ وَحَاجَةٌ (قَالَ قَوْمُوا إِلَى الصَّلَاةِ) (كَانَ) يَقُولُ بِهَذَا أَمْرٌ فِي رَبِّي
قَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمْرٌ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) قَالَ الْعِرَاقِيُّ رَوَاهُ الطَّيْمِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ
جَزْءٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَلَّى بِأَهْلِهِ الضَّيْفَ أَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ
الْآيَةِ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَزْءٍ مِنْ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ إِذَا ذَكَرُوا رِوَايَتَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ فَيُعَدُّ سَمَاعَهُ مِنْ
أَبِي جَدِّهِ أَهْلُ قُلْتِ وَبِهِذَا اللَّفْظِ رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي الْمَصْنُوعِ وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَصَاحِبُ الْحَلِيقَةِ

وقال صلى الله عليه وسلم
لو أنكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقكم كما
يرزق الطير تغدو وخصا
وتروح بطانا وقال صلى
الله عليه وسلم من انقطع
إلى الله عز وجل كفاه
الله تعالى كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن
انقطع إلى الدنيا وكسبه
الله البها وقال صلى الله عليه
وسلم من سره أن يكون
أغنى الناس فليكن بما عند
الله أوثق منه بما في يديه
و روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه كان إذا
أصاب أهله خصاصة قال
قوموا إلى الصلاة ويقول
بهذا أمرني ربي عز وجل
قال عز وجل وأمر أهلك
بالصلاة واصطبر عليها
للآية

وقال صلى الله عليه

وسلم لم يتوكل من استترقى
واكتوى وروى انه لما قال
جبريل لابراهيم عليه
السلام وقد روى الى النار
بالتجنيق االك حاجة قال اما
اليك فلا وفاء بقوله حسبي
الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك
حين اخذ لبري فانزل الله
تعالى و ابراهيم الذي وفى
وأوحى الله تعالى الى
داود عليه السلام يا داود
ما من عبد يعتمنى دون
خلقى فتكبد السهوات
والارض الاجعت له مخرجا
(وأما الاسرار) فقد
قال سعيد بن جبيرة لذغثي
عقرب فاقسمت على أمي
لتستترق فتناولت الراقي
يدى التي لم تلدغ وقرأ
الخواص قوله تعالى وتوكل
على الحى الذى لا يموت الى
آخرها فقال ما ينبغي للعبد
بعده هذه الآية أن يلجأ الى
أحد غير الله تعالى وقيل
لبعض العلماء فى منامه من
وثق بالله تعالى فقد أحرز
قوته وقال بعض العلماء
لا يشغلك المضمون لك من
الرزق عن المفروض عليك
من العمل فتضيع أمر
آخرتك ولا تنال من الدنيا
الاما قد كتب الله لك وقال
يحيى بن معاذ فى وجود العبد
الرزق من غير طلب دلالة
على أن الرزق مأمور بطلب
العبد وقال ابراهيم بن
أدهم سألت بعض الرهبان

والبيهقي فى الشعب وقد صحح البيهقي اسناده وكأني أنه أثبت سماعة من أبي جده وأنه سقط فى سياق الطبراني
عن أبيه وأما لفظ المصنف فرواه أحمد فى الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي فى الشعب عن ثابت قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة صلوا صلوا قال ثابت كانت الانبياء اذا نزل بهم
أمر فزعوا الى الصلاة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا دخل على أهله بعض الضيق فى الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية وأمر أهله
بالصلاة الآية (وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل على الله من استترقى واكتوى) قال العراقي رواه الترمذى
وحسنه والنسائى فى الكبرى وابن ماجه والطبراني واللفظه الا أنه قال أو اكتوى من حديث المغيرة بن شعبه
وقال الترمذى من استترقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل وقال النسائى ما توكل من اكتوى أو استترقى
اه قلت وبلغنا الترمذى رواه أحمد والحاكم والبيهقي ولفظه المصنف رواه الطيالسى والبيهقي الا انه بلفظ
أو (وروى انه لما قال جبريل لابراهيم عليه السلام وقد روى الى النار بالتجنيق االك حاجة قال اما اليك فلا
وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ لبري) روى عبد بن حميد عن سليمان بن صرد وكان
قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذهب ابراهيم ليطرح فى النار قال انى ذاهب الى ربى - سعيد بن
فلما طرح فى النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وروى ابن جرير
عن معمر بن سليمان عن بعض أصحابه قال جاء جبريل الى ابراهيم وهو يوق ليلى فى النار قال يا ابراهيم
الك حاجة قال أما اليك فلا ورواه أحمد من وجه آخر فزاد قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين
الى أحبهما اليه (وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ما من عبد يعتمنى دون خلقى فتكبد
السموات والارض الاجعت له مخرجا) رواه تمام وابن عساكر والديلى عن عبد الرحمن بن كعب بن
مالك عن أبيه رفعه بلفظ وعزى يا داود ما من عبد يعتمنى دون خلقى أعرف ذلك من ينسب فتكبد
السموات بمن فيها والارض بمن فيها الاجعت له من بين ذلك مخرجا ما من عبد يعتمنى بخلق دونى أعرف ذلك
من ينسب الا فاضت أسباب السماء بين يديه وارضفت الهوى من تحت قدميه وما من عبد يطغى الا وانا معطيه
قبل ان يسألنى ومستجيب له قبل ان يدعوى وغافله قبل أن يستغفرنى وفيه يوسف بن الغرمرزك يكذب
وقال البيهقي هو فى عداد من يضع الحديث ورواه صاحب القوت فقال وفى أخبار وهب وكعب من الكتب
السالفة يقول الله تعالى أقسم بعزى فذكر نحو ما ذكرناه (وأما الاسرار) فقد قال سعيد بن جبيرة التابعى رجه
الله تعالى (لذغثى عقرب) مرة (فاقسمت على أى لتستترقين) وكان بارابا من فتاوت الراقي يدى التي لم
تلدغ) ولم تناول يدى التي لذغث فرأى من الاسترقاع ورواى بقسم أمي (وقرأ) ابراهيم بن أحمد (الخواص)
رجه الله تعالى (قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية)
ان فهم معناها (ان يلجأ الى أحد غير الله تعالى) نقله صاحب القوت (وقيل لبعض العلماء فى منامه من وثق
بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من
العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك) نقله صاحب القوت وهذا هو توكل
العموم (وقال يحيى بن معاذ) الرازى الزاهد رجه الله تعالى (وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على
أن الرزق مأمور بطلب العبد) نقله صاحب القوت (وقال ابراهيم بن أدهم) رجه الله تعالى (سألت بعض
الرهبان من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى) رواه أبو نعيم فى الحلية
(وقال هرم بن حبان) العبدى قال ابن عبد البر وهو من صغار الصحابة وفى الزهد لا جدانه كان يصعب حمة
الدوسى وحمة مات فى خلافة عثمان وفيه عن الحسن انه لما مات دفن فى يوم صائف فصاحت بحبابة فرشت
قبره وماحوله وعده ابن أبي حاتم فى الزهاد الثمانية من كبار التابعين وقال ابن سعد ثقة له فضل وكان على
عبد القيس فى الفتوح وأورده أبو نعيم فى الحلية وقد تقدم (لاويس) بن عامر (القرنى) رجه الله تعالى
من أين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من أين يطعمنى وقال هرم بن حبان لاويس القرنى

أَنْ تَأْمُرَنِي أَنْ أَكُونَ فَأَوْمَأَ إِلَى الشَّامِ قَالَ هَرَمَ كَيْفَ الْمَعِيشَةُ قَالَ أَوْيَسُ أَفْ هَذِهِ الْقُلُوبُ فَدَخَلَ طَهَا الشَّكَّ فَمَا تَنْفَعُهَا الْمَوَاعِنَةُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَتَى رَضِيتَ بِاللهِ وَكَيْلَا وَجَدْتَ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ سَبِيلًا نَسَأَلُ اللهَ تَعَالَى حَسَنَ الْإِدْبِ * (بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل) * اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب (٣٩٠) الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو

(أين تأمروني أن أكون فأوما إلى الشام قال هزم كيف المعيشة قال أو يس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فانتفعها الموعظة) ولفظ القوت وقال أبو السليل قال رجل لا ويس أصح بك استأنس بك فقال سبحان الله ما ظننت أن أحدا يعرف الله يستوحش معه فقال له الرجل ما المعيشة فقال أو يس أف خالط القلوب الشك فانتفع بموعظة (وقال بعضهم متى رضيت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سبيلا) والوكيل هو الموكل بالله الأمور كلها

(اعلم أن التوكل من أبواب الايمان) وهو عماد المؤمنين وموطن المقربين وسبيله المحبين لا يستغنى عنه عابد في عبادته ولا ذو عادة في عاداته لتعلقه بسائر الاحوال عباداة أو عاده وجعله ما يحتاج اليه من أمر الدنيا والآخرة ولذلك أوجب الله تعالى على سائر المؤمنين أن حقيقة اعتماده القلب على الله تعالى في جلب المنافع أو حفظها ودفع المضار أو قطعها كما سيأتي (وجميع أبواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل) كما سبق ذلك في شرح كتاب التوبة (والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل) الذي يتبنى عليه حاله (وعمل هو الثمرة وحال) هو ثمر العمل (هو المراد باسم التوكل) ويحتاج شرح كل من ذلك على انفراده (فلانيد بينان العلم الذي هو الاصل) الذي يتبنى عليه حال التوكل (وهو المسمى ايمانا في أصل اللسان) وله مراتب وبعضها أشرف من بعض (إذا الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذ أقوى) نوره في القلب (سمى يقينا ولو لكن أبواب اليقين كثيرة) وقد ذكر بعضها وبعضها سيذكر (ونحن انما نحتاج منها الى ما يتبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له) قائم بنفسه (والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك) وهذا الايمان من لازم التوحيد فان من علم انه قائم بنفسه علم انه مقيم لغيره (والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك له الحمد) وهو من لازم الايمان بالقدرة فان من علم انه مقيم لغيره علم انه متولى أمورههم وكافهم وحسبهم واذ اعلم ذلك علم سعة جوده وحكمته وكمال قدرته وينتج ذلك ان الوجود كله في قبضته وملكوته وتحت قهره وأمره وانه المنفرد بإيجاد المتوحد بخلق حركات العالم وسكاته (فن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) له أصل الايمان الذي هو أصل التوكل أعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه) وفيه قد وردت آثار فن قالها عشرًا كان يكن أعنى رقة من ولد اسمعيل رواه الشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة وروى الترمذي من حديث أبي أيوب بلفظ كانت له عدل أربع رقاب من ولد اسمعيل ورواه البيهقي بلفظ كان له عدل نسمة ورواه الطبراني بلفظ كان له كعدل عشر رقاب (فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه بطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالاعمال بواسطة الاحوال) فان الاحوال هي التي تثمر الاعمال وهي مواجيد القلوب (ولا يتم علم المعاملة الا بها) أي بالاعمال التي هي نتيجة عن الاحوال (فاذا انتعرض الالقدر الذي يتعلق بالمعاملة) فقط (والافتالتوحيد هو البحر الخضم) أي العميق الواسع (الذي لا ساحل له) فينتهي اليه (فنقول للتوحيد أربع مراتب وهو ينقسم الى لب ولب اللب وقشر وقشر القشر ولتمثل ذلك تفريرا الى الافهام الضعيفة بالجور في قشرته العليا فان له قشرتين لب ولب اللب وهو الدهن وهو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان بلسانه لا اله الا الله وقلبه غافل عنه) أي عن معناه المقصود (أو منكركه كنوحيدين المتناقضين) فانهم كانوا كذلك كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون اما غفلة أو انكار أو منهم من كان يجمع بينهما (والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ

الثمرة وحال هو المراد باسم
 التوكل * فليبد أيبين العلم
 الذى هو الاصل وهو المسمى
 ايمانا فى أصل اللسان اذ
 الايمان هو التصديق وكل
 تصديق بالقلب فهو علم واذا
 قوى سمى يقينا ولكن
 أبواب اليقين كثيرة ونحن
 انما نحتاج منها الى ما ينفع
 عليه التوكل وهو التوحيد
 الذى يترجمه قولك لا اله
 الا الله وحده لا شريك له
 والايمان بالقدرة التى يترجم
 عنها قولك لا المالك والايمان
 بالجود والحكمة الذى يدل
 عليه قولك له الحمد فى قال
 لا اله الا الله وحده لا شريك
 له لا المالك وله الجود وهو على
 كل شئ قد برحمته الايمان
 الذى هو أصل التوكل أعنى
 أن يصبر معنى هذا القول
 وصفا لازما لقلبه غالبا عليه
 فاما التوحيد فهو الاصل
 والقول فيه بطول وهو من
 علم المكاشفة ولكن بعض
 علوم المكاشفات متعاق
 فالاعمال بواسطة الاحوال
 ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذا
 لا نتعرض الا للقدر الذى
 يتعلق بالمعاملة والا
 قال التوحيد هو البحر الخضم
 الذى لا ساحل له فنقول
 للتوحيد أربع مراتب

وهو يفتهم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولتمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوهر في قلبه
فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد هي أن يقول الانسان بلسانه لاله الا الله وقابه غافل عنه
أو منكزه كتمجيد المنافقين والاثابة أن يصدق بمعنى اللفظ

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد الوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقر بين وذلك بان يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على أكثرها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود الا واحدا هو مشاهدة الصديقين وتسميته الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرتفعه لكونه مستغرقا بالتوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق فالاول موحد بمجرد اللسان وبعض ذلك (٣٩١) صاحبه في الدين عن السيف والسنان

والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعم عليه بقلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة ان توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقده ولهذا العقد حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف به يسمى متكاما وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحدين حيث انه يحكي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا وليس له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة

قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف (بواسطة) فيضان (نور الحق) في قلبه (وهو مقام المقر بين وذلك بان يرى أشياء كثيرة) مختلفة الانواع والاجناس (ولكن يراها على أكثرها صادرة عن الواحد القهار والرابعة أن لا يرى في الوجود) في سائر مراتبه (الا واحدا هو مشاهدة الصديقين وتسميته) طائفة (الصوفية) قدس الله أسرارهم (الفناء في التوحيد) وهو مقام شريف عال وهو الفناء عن النفس وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم (لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه أيضا واذا لم يرتفعه لكونه مستغرقا في التوحيد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه والخلق) واذا فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا بهم ولا احساس ولا خبر غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهم وبها وقد نرى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى اذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الانذار عن شيء (فالاول موحد بمجرد اللسان وبعض ذلك صاحبه في الدين عن السيف والسنان) فلا يهرق دمه واليه الاشارة في الخبر فاذا قالوا هاعصم وامني دماءهم وأموالهم (والثاني موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعم عليه بقلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه) أي في القلب (انشراح و) لا (انفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة ان توفي عليه) ولم يتحل بينه وبين ذلك الاعتقاد شيء (ولم تضعف بالمعاصي عقده) فان المعاصي تضعف عقدة الايمان وتحللها شيئا (ولهذا العقد حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة) وهي أعظم حالا من المعاصي لكون صاحب البدعة لا يعتقد هامعصية فلا يتوب منها الذلوعلم ان المعصية لتاب عنها (وله حيل يقصدها دفع حيل التحليل والتضعيف ويقصدها أيضا احكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بهما) بهذين القصدين (يسمى متكاما وهو في مقابلة المبتدع) فلا يكون المتكلم مبتدعا كما لا يكون المبتدع متكاما وما وقع في سياق بعضهم وبه قال جمهور متكلمي المعتزلة وما أشبه ذلك فنظر الى ظاهر اللفظ أو ان هذا الذي ذكره المصنف اصطلاح له فلا معارضة (ومقصده) أي المتكلم (دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحدين حيث انه يحكي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فعلا واحدا اذا انكشفت له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلا بالحقيقة الا واحدا وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليها الا انه كاف قلبه أن يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد) اذ هما سوا عقده (بل في صناعة تلقين الكلام الذي به تدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة) وقد تقدم الكلام في المراد بالعوام من هم في شرح قواعد العقائد (والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد) فتضعف الكثرة في جنب الوحدة (وهذه الغاية القصوى في التوحيد) وليس بعده مقام للسالك ينتهي اليه (فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى منه) (والثالث كالب) الذي داخل القشرتين (والرابع كالدهن المستخرج من الب) وهو خلاصة الخلاصة

كله عليه الا انه كاف قلبه أن يعتقد على مفهوم لفظ الحقيقة فان تلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صناعة تلقين الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث كالب والرابع كالدهن المستخرج من الب

وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل أن كل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كرم به المنظر وإن اتخذ حطباً أطفأ النار وأكسرت
اللسان وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الآن يترك مدة على الجوز للصون ثم رمى به عنه فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق
بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مضموم (٣٩٢) الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة

السفلى هي القلب والبدن

وتوحيد المناق يصون بدنه
عن سيف الغزاة فانهم لم

يؤمروا بشق القلوب
والسيف إنما يصيب جسم

البدن وهو القشرة وإنما
يتجرد عنه بالموت فلا يبقى

لتوحيد فائدة بعده وكما أن
القشرة السفلى ظاهرة

النفع بالاضافة إلى القشرة
العليا فانهم اتصون باللب

وتحرسه عن الفساد عند
الادخار وإذا فصلت أمكن

أن ينفع بها حطباً لكنها
نازلة القدر بالاضافة إلى

اللب وكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف كثير النفع

بالاضافة إلى مجرد نطق
اللسان ناقص القدر

بالاضافة إلى الكشف
والمشاهدة التي تحصل

بأنشراح الصدر وانفساحه
واشراف نور الحق فيه إذ

ذلك الشرح هو المراد بقوله
تعالى فمن يرد الله أن يهديه

يشرح صدره للإسلام
وبقوله عز وجل أفمن

شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه وكأن

اللب نفيس في نفسه
بالاضافة إلى القشرة وكله

المقصود ولكنه لا يخلو عن
شوب عصارة بالاضافة إلى

الدهن المستخرج منه
فكذلك توحيد العقل مقصود

(وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل أن كل فهو مر المذاق وإن نظر إلى باطنه فهو كرم به المنظر
وإن اتخذ حطباً أطفأ النار) (وأكثر النحان) وسود الألوان (وإن ترك في البيت ضيق المكان
فلا يصلح) (لشيء) (الآن يترك مدة على الجوز للصون) أي الحفظ على باطنه من طرق الالتفات (ثم رمى به
عنه فكذلك التوحيد) (الحاصل) (بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى) (أي الفائدة) (كثير
الضرر مضموم الظاهر) (لمرارته) (والباطن) (لبشاعته) (لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت
الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن وتوحيد المناق يصون بدنه عن سيف الغزاة) (والحكماء) (فانهم
لم يؤمروا بشق القلوب) (كأن خبر أسامة هلا شقت قلبه) (والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشر
وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده) (أي بعد الموت) (وكأن القشرة السفلى ظاهرة
بالاضافة إلى القشرة العليا فانهم اتصون باللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار وإذا فصلت أمكن أن ينفع
بها حطباً) (للويد) (لكنها نازلة القدر) (وفي نسخة نافذة القدر) (بالاضافة إلى اللب وكذلك مجرد الاعتقاد
من غير كشف) (بواسطة نور) (الحق كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى
الكشف والمشاهدة التي تحصل بأنشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه إذ ذلك الشرح هو المراد
بقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام وقوله عز وجل أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو
على نور من ربه) (وقد تقدم الكلام على الآيتين مراراً) (وكأن اللب نفيس في نفسه بالاضافة إلى القشرة
وكأنه المقصود) (من القشرتين) (ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك
توحيد العقل مقصود عال للساكنين) (يتبعون حتى يحصلونه) (لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات
إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق) (ومثال شرف بعض هذه المراتب على البعض
مثال دار لها علو وسفل وكلما ارتفعت من أسفلها إلى أعلاها زددت علماً بالدار وكلما زددت علماً زددت
لبانها ومالكها محبة والمحبة موجبة لمجاورة المحبوب وملازمته وموافقته) (فان قلت كيف يتصور أن
لا يشاهد الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون
الكثير واحداً فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب) (فيطلع عليه
من ليس بأهل لمرادها فيقع في وحلة لا يكاد يتخلص منها) (فقد قال العارفون افشاء سر الر بوبية كفر) (وقد
نسب هذا القول لسهل التتري وقيل لابي يزيد البسطامي وهي من جملة الاسئلة التي سئل عنها المصنف
وأجاب عنها في كتاب سماء الاملاء على مشكلات الاحياء قال فيه في تقرير السؤال وماعني قول من تقدم
من أهل هذا الشأن افشاء سر الر بوبية كفر وأين أصل ما قالوه في الشرع اذا الايمان والكفر والهداية
والضلال والتعريب والتبعية والصدقية وسائر مقامات الولاية ودركات الخالفة إنما هي مأخذ شرعية
وأحكام نبوية فقال في الجواب عنه انه يخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفراً دون كفر
ويسمى ذلك تغليظ لما أتى به الغشبي وتغليظ ما ارتكبه ويعترض هذا بان يقال لا يسمى هذا كفراً لانه
ضد الكفر اذا الكافر الذي يسمى هذا على معناه سائر وهذا الغشبي لا سائر وأين التشر من السوء والاطهار
من التغلية والاعلان من الكتم واندفاع هذا بان يقال ليس الكفر الشرعي تابعا للاشتقاق وإنما هو حكم
بمخالفة الامر واتكباب النهي فمن رد احسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين احدهما
لجهة الاشتقاق ويكون اذ ذلك اسما يبنى على وصف والثانية من جهة الشرع ويكون اذ ذلك حكماً واجب

فكذلك توحيد العقل مقصود عال للساكنين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد الواحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحداً فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فقد قال العارفون افشاء سر الر بوبية كفر

ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادكم يمكن وهو أن الشيء قد يكون (٣٩٣) كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون

واحد بنوع آخر من
المشاهدة والاعتبار وهذا
كأن الإنسان كثيران
التفت إلى روحه وجسده
وأطرافه وعروقه وعظامه
وأحشائه وهو باعتبار آخر
ومشاهدة أخرى واحد إذ
نقول إنه إنسان واحد فهو
بالإضافة إلى الإنسانية
واحد وكم من شخص
يشاهد إنسانا ولا يحظر
بباليه كثرة أمعائه وعروقه
وأطرافه وتفصيل روحه
وجسده وأعضائه والفرق
بينهما أنه في حالة الاستغراق
والاستهتار به مستغرق
بواحد ليس فيه تفرق
وكأنه في عين الجمع
والملتفت إلى الكثرة في
تفرقة فكذلك كل مافي
الوجود من الخالق والمخلوق
اعتبارات ومشاهدات
كثيرة مختلفة فهو باعتبار
واحد من الاعتبارات
واحد باعتبار آخر
سواء كثير وبعضها أشد
كثرة من بعض ومثاله
الإنسان وإن كان لا يطاق
الغرض ولكنه ينبه في
الجملة على كيفية مصير
الكثرة في حكم المشاهدة
واحد ويستبين بهذا
السلام ترك الانكار
والجود لمقام تبلغه وتؤمن
به إيمان تصديق فيكون
للمؤمن حيث أن المؤمنين

عقوبة والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم لا تذهب مع اللفاظ ولا تسترق العبارات ولا تتجمل التسميات
وتفطن لخداعها واحترس من استدراجها فإذا من أظهر ما أمر بكتمه كان كتم ما أمر بنشره وفي مخالفة
الأمر فيها حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تتحدوا
الناس بمالم تصله عقولهم وفي ارتكاب النهي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور وكفرانا والوجه
الثاني أن يكون معناه كفر السامع لا المخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا للحديث المذكور
لا تتحدوا الناس بمالم تصله عقولهم أثر يدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدكم بمالم يصله عقله بما
سارع إلى التكذيب وهو لا أكثر ومن كذب بقدره الله تعالى وبما أوجدهم بافقد كفر ولو لم يقصد الكفر
فإن أكثر الميوذ والنصارى وسائر النحل ما قصدت الكفر إلا بظنهابا نفسها وهي كفار بلاريب وهذا وجه
واضح قريب ولا يلتفت إلى مالم إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكم ولا
الراغبين في العلم إذ قل أن ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان والأسلام يتعلق بخبره ويلحق
قائله وهذا لا يخرج الأهل المذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصي وأهل السنن لا يرضون بذلك
وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله تعالى بالقول الذي يبرمه والعمل الذي يقصده المتعبد
لوجهه والكفر الذي يستزديه إيمانا والمعرفة له سبحانه ثم يكفره الله تعالى ذلك بفوائد المزيد وينه ما شرف
من المخ وبريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنده وأطراحه
وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل عقارنته وليس في إفشاء الولي شيء مما يناقض الإيمان اللهم الآن
يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عابس مفرود ليس بولي ومن أراد من خلق الله أن يكفر بالله
فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم
ثم أنه من سب أحدا منهم على معنى ما يجده من العداوة والبغضاء قبل له أتم وأخطأت من غير تكفير وإن
كان الخافعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالإجماع انتهى نص الأملاء
(ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادكم يمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع
مشاهدة واعتبار ويكون واحد بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كأن الإنسان كثيران التفت
الروح وجسمه وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ تقول
إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يحظر بباليه كثرة أمعائه
وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به
مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه في عين الجمع والمملتفت إلى الكثرة في تفرقة) قال القشيري من أثبت
نفسه وأثبت الخلق ولكن شهدا لكل قائما بالحق فهذا هو الجمع وإذا كان محتفيا فاعن شهود الخلق
مصطلما عن نفسه مأخوذا بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستوى من سلطان الحقيقة فذلك
جمع الجمع فالفرقة شهود الأغيار بالله والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء
الاحساس بما سوى الله عند غلبان الحقيقة انتهى (فكذلك كل مافي الوجود من الخالق والمخلوق له
اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد باعتبار آخر سواها كثير
بعضها أشد كثرة من بعض ومثال الإنسان في الكثرة والوحدة) وإن كان لا يطاق الغرض الذي هو
إثبات الغناء في التوحيد ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحد وتستفيد
بهذا الكلام ترك الانكار والجود لمقام تبلغه (لقصورك) وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من
حيث أنك مؤمن بهذا التوحيد الذي هو الغاية القصوى (نصيب) وحظ (وإن لم يكن ما أمنت به
صفتك) ومقامك (كما أنك إذا أمنت بالنبوة) وهو أعلى مقامات السالكين (وإن لم تكن نبيا) متحققة بهذا

المقام (كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك) به وتصديقك له وعدم إنكارك عليه (وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق) وهو مقام الفناء بشهود الفناء بالاستهلاك في وجود الحق (تارة تدوم) في سائر الأحوال (وتارة تظهر كالسبرق الخاطف) ثم تغيب (وهو الأكثر) في أحوال السالكين (والدوام نادر عزيز) لكنها إذا غابت بقيت آثارها فصاحبها بعد سكون غلباته يعيش في بركات ضيائها إلى أن تلوح ثانية بزجي وقته على انتظار عودها ويعيش بما وجد في حين كونه (والى هذا أشار) أبو المغيث (الحسين) بن منصور (الحلاج) رحمه الله تعالى (حيث رأى) إبراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (يدور في الأسفار) وقد ذكر صاحب القوت له الجواب مما وقع له في أسفاره (فقال) له (فيما إذا أنت فقال أدور في الأسفار لا صحح حالتي في التوكل وقد كان من) نبلاء (الموكلين) وله كتاب في تحقيق مقامات التوكل (فقال) الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك أي في مشاهدة الخلق فأعيا بالحق (فأين) أنت من (الفناء في التوحيد) رواه القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور ولا إبراهيم الخواص ماذا صنعت في هذه الأسفار وقطع هذه المفارز قال بقيت في التوكل لا صحح نفسي عليه فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد اه (فكان الخواص) رحمه الله تعالى (كان في صحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه) الحلاج (بالمقام الرابع) الذي هو آخر المقامات فيه وكانه شتم من الخواص التفاتاً لما أقيم فيه فنهه على أن المقصود وراء ذلك (فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الأجبال) وقد اعترض على المصنف في تقسيمه لهذه المقامات وأجاب عنه وهذا اللفظ في الاملاء ذكر مرتين فذكره وجعلك تعقل به بيته وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربع مراتب والمظة التوحيد تنافي التقسيم المشهور وكما ينافي التكرير بالتعدد وان صرح انقسامه على وجه لا يدفع فهل نصح تلك القسمة فيما يوجد وفيما يقدّر وغبت في مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها وان كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز والقشور واللُب ولم كان الأول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل اقتضاؤه ثم ساق الأسئلة بنماها ثم قال في الجواب عا لفظه جرى الرسم في الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيهاً بالجوز لموافقة الغرض في التمثيل به وذكر بان المعترض وسوس بالخواطر بان لفظ التوحيد ينافي التقسيم الذي لا يخالف يتعلق بلفظ الواحد الذي ليس برائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالحس ولا بالعقل ولا بغير ذلك وما ان يتعلق بوصف المكافين الذي يوجب لهم حكمهم اذا وجد فيهم فذلك لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقد وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا يتصور فيه مذهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطنين أحدهما شرك والآخر تلاش وكلا الطرفين كفر والوسط إيمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بنماثل إيمان جميع المؤمنين من الملائكة والنبين والرسلين وسائر عموم المسلمين وانما تختلف طرق إيمانهم التي هي علومهم ومذهبهم في ذلك معروف ونحن لانسلم في هذه الاجابة بشئ من انحاء الجدال ومقابلة الأقوال بالأقوال بل نقصد إزالة عين الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال فاعلم ان التقسيم في الاطلاق يستعمل انحاء لا يتوجه ههنا بشئ مما قد جرح به المعترض وهجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحاء ما يتميز به بعض الأشخاص بما اخص به من الأحوال وكل حالة منها يسمى توحيداً على جهة يتفرد بها بالإشارة كما فيها غيرها فمن وجد بلسانه سمى لاجله موحداً مادام الظن به ان كان قلبه موافقاً للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع من الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون اليه والميل الى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يعصبه فيه ولا برهان يبرمه به سمى أيضاً موحداً على معنى انه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيًا والحنبلي حنبليًا ومن رزق علم التوحيد وما تحقق به عنده وتنقي من أجله شكوكه العارضة فيسمى موحداً من جهة انه عارف به كما يقال جدلياً ونحوياً وفيها ومعناه أي

كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تظهر كالسبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال فيما إذا أنت فقال أدور في الأسفار لا صحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان في صحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه بالمقام الرابع فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الأجبال

يعرف الجدل والنحو والفقه وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جلته حتى لا يوجد فيه فضل
لغيره الا على طريق التبعية ويكون شهود التوحيد اسكل ماعده سابقا له مع الذكر والتذكير صاحباً من
غير ان يعتز به ذهول عنه ولا نسيان له لاجل اشتغاله بغيره كالعاده في سائر العلوم فهذا يسمى موحد او يكون
القصد بما يسمى به من ذلك المبالغة فيه فهذه أربع مراتب يصح اطلاق اسم التوحيد عليها * فأما الصنف
الاول وهم ارباب النطق المجرد فلا يضر بون في التوحيد بسهم ولا يفرزون منه بنصيب ولا يكون لهم شئ
من احكام أهله الا في الحياة الاولى اذ الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما تعبد القول عليه بعد
هذا ان شاء الله عز وجل * وأما الصنف الثاني وهم ارباب الاعتقاد الذين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم
أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل ويأمر به ويلزم البشر قول لا اله الا الله المنى عنه فقبلوا
ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد فكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم
الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم * وأما الصنف الثالث والاربع فهم ارباب البصائر السليمة
الذين نظر وابها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فزادوا على كل نوع منها خطأ منطبقاً فيها
ليس يعرف ولا سراني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر الى قراءته من لم يستجهم عليه وتعلمه
منهم من استجهم عليه فاذا هو الخط الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبق فيه من مفرد ومركب
وصفة وموصوف وحجر وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذي يسمى نارة بعلامة
ونارة بسمة ونارة بأثر القدرة ونارة بآية كما قال الشاعر ولا أدري عن سماع أو رؤية قلب

فوا عبا كيف يعصى الاله * أم كيف يحمد جاحد

وفي ككل شئ له آية * تدل على انه واحد

فلما قرأ ذلك الخط وجدوا تفسيره حدوث المكتوب ونمرجه أبدية تملكه والتصريف له بالقدرة على
حكم الارادة بما ثبت في سابق العلم من غير مزيد ولا نقص فتركوا السكابة والمكتوب ونزلوا منها الى معرفة
الكاتب الذي أحدث الاشياء وكونها لم يخرج عن ملكه شئ منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته
طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا افتقرت الى الحرية عن رقب استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثل
شئ وهو السميع البصير فصلت التفرقة لهم والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيداً خالقها بذاته
واتحاده عن غيره وعقلت انها عقلت توحيداً سبحانه من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها ان تذكره
الابه وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثاني لم يعد كل منهم ان عرف نفسه موحد الرب في عالم يرز وهم
المقربون والصنف الرابع لم يقصد كل واحد منهم ان عرف به موحداً بنفسه في عالم يرز وهم الصديقون
وبينهما تفاوت كبير وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء بأسرهم لا يتخلو كل واحد منهم ان
يوجد فيه أثر التوحيد باحد الانحاء المذكورة عنده أو لا يوجد فأمّا من عدم عنده فهو كافران كان في
زمن الدعوة أو على أقرب يمكن وصول علمها اليه أو في فترة لا يتوجه عليه فيها التكليف وهذا منصف بعد
عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد فيه فلا يتخلو ان يكون مقلداً في عقده أو عالماً به فالمقلدون هم العوام
وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب وأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يتخلو كل واحد منهم ان يكون بلغ الغاية
التي أعدت لصفته دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون
وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا
تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دأب بين النبي والاثبات ومحصور بين المبادئ والغايات ولم يدخل أهل المرتبة
الاولى في شئ من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هو من أهله الا بالنسب كاذب ودعوى غير صادقة ثم لا بد من
الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث وشرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله تعالى حقيقة كل مرتبة
ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والامكان بما يجزى به الواحد الحق على القلب واللسان * (بيان)

أهل النطق المجرد وتخيير قرفهم) * اعلم ان أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه ولا تصوروا صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطاه ولا صوابه اذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه ما بعدهم منهم وقلة اكثر انهم واما لنفورهم عن البحث وخوفهم انهم ان تكافوا البحث عما نطقوا به ان يبدولهم ما يلزمهم الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموه فارقوا راحة أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيئا من ذلك وقد حصل لهم العلم فيكون عيشهم منغصا ولا ذمهم مكدر من خوف عقاب ترك ما علموا الزومه فاذا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما نعتقد وما دعانا الى النطق به شيء الا مساعدة الجاهل وانخرطنا باظهار القول في الجمل الغفير ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبيل العرف او التكبير ولا شك ان هذا الصنف الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حاله مساءه المالكين أحدهم في القبر اذ يقولون له من ربك ومن ربك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقولون له لا دريت ولا تلبت وسماء النبي صلى الله عليه وسلم الشاك والمراتب الصنف الثاني نطقوا كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا رضي الله عنه هو الاله وبلغ أمرهم على ارضى الله عنه وكانوا في زمنه ففرق منهم جماعتوا مثال من نطق بالشهادتين كثيرا ثم حجب نطقه مثل هذا التكبير ويسمون الزنادقة وهم في النار كما في الخبر الصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم أسروا والتكذيب واعتقدوا الرد واستبطنوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذا رجعوا الى أهل الاتحاد اعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهو لا المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه بقوله واذا قالوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلو الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ولا نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا اليها أو وصل أحد مناهم خوطبوا بالامر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقراء به مما قالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق وأمر وان يظهر والرضا بالقول ثم يتفهموا بمجهله فسكنوا الى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون وان احترم أحد منهم من حينه من قبل ان يتأق منه استغفاهم أو تصور يمكن ان يكون له معتقد اهذ ارجى ان لا تضيق عنه سعير حته تعالى والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله تعالى ورجى ما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البسالة ان يدعو الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاكاة ثم يدعو الى تفهم المعنى من كل وجه فلا يتأق منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما يخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا حكم على مثله بخلود في النار ولا يبعد ان يكون مع هذا الصنف بأسرة أعنى المحترم قبل تحصيل العقيد مع هذا البلد البعيد بعض من ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة وتكون في أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله والحديث فيه طول وهو صحيح وانما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الاول والثاني والثالث أجمعين أعنى أهل النطق المذكورين قبل في التوحيد ان لا تجب لهم حرمة ولا تكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين ووجه الهالكين فان عثر عليهم في الدنيا قتلوا فيها بسيف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صارتون الى جهنم خالدين فيها تلقى وجوههم النار وهم فيها كالخون

* (فصل) * ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع له في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاته من السيف ان يراق دمها واليدان تساط على ماله اذ لم يعلم حقي حاله حسن ان يشبهه بقشر الجوز الاعلى فهو لا يحمل في الاكلم ولا يرفع الى البيوت ولا يحضر في مجالس الطعام

ولا تشبيه النفوس الامداد منطوية على مطعمه صوانا على لبه فاذا اثير ليل عنه بكسر أو علم منه انه منطوي على فراغ أو سوس أو طعم فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا الانخفاء لصحته والغرض بالتمثيل تقريب ما غرض الي فهم الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع وليس من شرط المثال ان يكون مطابقا للممثل به من كل الوجوه فمكان يكون هو هو ولكنه من شرطه ان يكون مطابقا للوجه المراد منه * (فصل) * وأما الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالدلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود الى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروا في أنفسهم وانكسروا عن غير عارفين باستدلال على ما اعتقدوه وذلك لقرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتباس طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم موحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين ثم لم يلبثوا ان اعترض أحدا سلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمروق عنه ولا كفوا مع قصورهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الأدلة وقراءة طرق البراهين وترتيب الحاجج بل تركوا على ما هم عليه وهو لا عندى معذورون ببعدهم ومقبولون بما توافقوا عليه من اقرارهم وعقدتهم والله تعالى قد عذرهم مع غيرهم بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآية بحال وسنبدى طريقا من الاعتقاد تعرف صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله تعالى الصنف الثاني اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدوا الى ذلك أنواعا من الخيال قام في نفوسهم انها أدلة وظنوها براهين وليست كذلك وقد وقع في هذا كثير ممن يشار اليه فضلا من دونهم فان وقع الى هذا الصنف من نزاع عليهم تلك الخيال بالقدح وببطلانها عليهم بالمعارضة والاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا الى ما يأتي به ويرفعوا أن يجابوا به لما يحملون عليه من سوء الفهم أو ردا على الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك الخيال في باب الاستدلال أرسخ من شواخ الخيال فمنهم من يعتد دليله مذهب شيخه الرقيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبر أحد ومنهم من يكون دليله بعض احتمالات آية توحيد صحيح ولعمري انه لينبغي اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا في شيء من الضلال ان يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يغبطوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكونوا اذا تبسح الحال معهم ربما تلقفوا شبهة ورسخ في نفوسهم بدعة تعمس انحلالها أو يقع في تكفير مسلم أو تضليله بلا سبب كبير وهو لا أثبت إيماننا من الصنف الأول وأوثق رباطنا منهم وأحسن حالا الصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقد عمووا العلم أيضا ولكن لعدم سواكهم سبيله من القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة واليقظة والنظر والعلوم اولوا استدلو بالتحقق ولو طلبوا الادراك سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستنقوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالعود في حضيض الجهل فهو لا فهم اشكال عند كثير من الناس في البدية وتردد وفي حالهم نظر وهل يسمون عصاة وغير ذلك مما يحتاج الى تغيير آخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام من غير تفريق بين بليد بعيد ومتيقظ فطن فمنهم من لم يراهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم اطلاق اسم الكفر عليهم ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب عليهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبارة وجوب العبارة في الشرع ساقط على هذا النحو وهو لا يخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهو لا أوجبوا الايمان لمن أضافوا اليه المعرفة المشروطة في صحة الايمان وانما الفرع والاعن الشناعة الظاهرة فتستر واعن الجمهور بهذا الاحتمال ومنهم من أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وانما غرضنا تقييد ما أشاعه في الاحياء أهل الغلو والاعلاء فلا نفخ مثل هذا الباب وقد أبدى لنا وجه ذلك في مراقب الزيف ما ينبغي فيها باذن الله تعالى

(فصل) * بقي في أصناف أهل الاعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى وهو من تمة ماضى فلتعلم ان مامهم صنف الاول على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم عن أحدها بحكم الاحتمال الضرورى فاحد الحالات لهم ان يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التقليد كما سبق الحالة الثانية ان لا يعتقد البعض الأركان مما فيه خلاف اذا انفرد ولم ينصف اليه في اعتقاده سواء هل يكون به مؤمنا أو مسلما مثل ان يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد انه موجود حتى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويخالف عن اعتقاد باقي الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا يعتقد فيها حقولا بلاطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن القدر الذي اعتقده من الأركان موافق للحق غير مشوب بغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا أو الوجود والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق بما هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صراح فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع ان أرباب الحالة الأولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلكت خلاص ووصف ايمان واسلام وسواء في ذلك الصنف الاول والثاني من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية فالتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان او الاسلام والمتأخرون مختلفون وكثير خاف ان يخرج من اعتقاد وجود الله عز وجل وظهور الانفراد به وبنييه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير من أسلم من الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع هذا عقده بالامر يد عليه والحكم على من هو بمثل هذا بالخود في النار عسير جدا مع ثبوت الشرع بأنه من قال لا اله الا الله دخل الجنة وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد المتدعة في الصفات أو في بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل اطالة المذكورة قبل هذه واسلامهم حققنا أمره ولا فيما يعتقده اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن اتصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فبإوراء ذلك فان أمكن ردهم في دار الدنيا وزجرهم عنه ان أظهر والتمنع عن الافلاح والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك وان ماؤا فاموت لم يقصر بهم اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجى والهالك من خلقه والطابع والعاصى من عباد.

(فصل) * ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بعخته ضعيفا وتفرد عن المعرفة مريب البقي عليه شبه القسر الثاني من الجوز لان ذلك القسر يوكل مع ما هو عليه صوابا واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجامع وبالجملة فهو لمن لا شئ معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشئ من الأدلة ضعيفا فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر. بيان المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين * اعلم ان الكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها ان تتكلم في الأسباب التي توصل اليه والمسالك التي يعبر عليها نحوها والاحوال التي تخذها لحصوله كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضيه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في تفسير ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف ينصور السالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث في غرات ذلك التوحيد وما يليق أهله به ويعلمون عليه بسببه ويكرمون به لاجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته فاما الحد الاول فالكلام عليه والكشف لبقائه والصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعدا بالنار على كتمه وبه بعث الرسل وأتت الكتب وجميعه محصور في اثنين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على اثنين الحرص الشديد والنية الخالصة وشرط في تحصيلهما اتقان نظافة الباطن وسلامة الجوارح ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثاني فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تنبيهها بالرمز تارة وتارة بالتصريح ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن اشرف بذلك اليبس الخاذق على بعض المرادو يظهر منه كثيرا من المقصد

وينكشف له جسر ما يشار اليه اذا كان سالما من شرك التصعب بعد اعن هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله مع علمهم به على سبيل التذكار لا على سبيل التعليم والحد الاول قد تقرر عمله في كتب الرواية والدراية وهو غير محبوب عن طالب قدأ من الجهال به أن يتعلموه والعلماء به ان يذلولوه فلا نعيد فيه هنا قولا وحكم الحد الثالث الكتم فلم يكن لنا سبيل الى تعدي حدود الشرح فلننث العنان الى الكلام بالذي يليق بهذا المقام فنقول أر باب الفن الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف على الجملة وكلهم نظر والى المخالقات فرأ واعلامات الحدوث فيها لا تحتمل عاينوا حالات الاقتدار الى المحدث عليهم وانفتحوا سمعوا واجمعها يدل على توحيده وتفريد مراشدة فاصحة ثم وألله عز وجل بآيات قلوبهم وشاهدوه بنقيب أرواحهم ولا حظوا بجلاله وجماله يخفى أسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على حفظ وكلهم انما عرفوا الله عز وجل بمخلوقاته ولسبب انقسامهم في المعرفة اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والغناء والبقاء انما هو بالمقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيران المعرفة والعلم فلا يبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والبعدهم والقرب هنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما في هذا الفن احدى الحالتين عى البصيرة وانطماص القلب وذلوه عن معرفة الرب سبحانه فسمى هذا بعدا ما خوذ من البعد عن محل الراحة وموضع العماراة والانس والانقطاع في مهامه القفر وامكنه الخوف والحالة الثانية عن ايقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة السر بمشاهدة ما غاب عنه

(فصل) * المرتبة الرابعة وهو توحيد الصديقين وهم قوم رآوا الله تعالى وحده ثم رآوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غير مولانا طمعا في الوجود على سواء وأهل هذه المرتبة في حال حصولهم فيها صنفان مریدون ومرادون فالمریدون في الغالب لا بد لهم ان يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة والله أعلم وأما المرادون فهم في الغالب مبتدئون بمقامهم الاخير وهي المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها من أهل هذا المقام يكون القطب والازداد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النجباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود يشترك فيه الحادث والقديم والمألوه والآله ثم المعلوم ان الآله واحد والحوادث كثيرة فكيف صاحب هذه المرتبة يرى الاشياء شيئا واحدا أذلك على طريق قلب الاعيان فيقول الحوادث قديمة ثم يتحد بالواحد فتراجع هي هرو في هذا من الاستحالة والورق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخيل للولي لا حقيقة له فكيف يتحج به أو بعد حال الولي أو فضيلة لبشر والجواب عن ذلك ان الحادث لم ينتقل الى القديم ولم يتحد بالفاعل ولا عثرى الولي تخيل فتخيل ما لا حقيقة له وانما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله بمعرفة على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عيانا ما ازداد يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل لاحد من خلقه فبأعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين تست الخلق بمقدارك وكنتمهم بمعيارك وفضلت نفسك على الجميع اذ لا سبيل لانكارك ان صم الا انك تخيل ان يرزق أحد ما لم ترزق أو ينقص من المعرفة ما لم تنقص فاذا تقرر هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه في حال من أحواله وهذا موجود في كثر اهتمامه بشئ وثبت في قلبه حاله انه اذا نام واشغل لم يفقد في شغله ونومه كما لا يفقد في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولي الممكن في رتبة الصديق مقيمة مخلوقا حيا كان أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدره وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم ادام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهورة آثارها في المخالقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل ففى الولي عن غيره ومصار لم ير سواء ومعنى ذلك ان لا يتميز بالذكري في سر القلب وحين المعرفة ولا بالادراك في ظاهر الحس دون

فان قلت فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث (٤٠٠) وأما الاول وهو النفاق فواضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين

وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل اذ يجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله أن ينكشف لك أن لافاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفاً وتوالياً له رجاءاً وبه تقتل وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر ومن لا استقلال لهم بتحريل ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا حاتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتفي به أن يطرق

ما كان موجبا له وصار عنه فاني يبعد هذا على من أصحبه الله توفيقه وفخه له منهاجه وطريقه وعلى هذا جاء المثل في الاحياء برؤية من يرى انسانيات الانسان المرفق لاشك ذواجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائي مع ذلك الا واحدا ولا يخاطر ببالك شيء من اجزائه من حيث ان اجزاء الانسان الظاهرة لا تحرك لها ولا سكوت ولا قبض ولا بسط ولا تصرف فيما يظهر الا بمعنى ما كان انسانا من أجله وهو الركب للعبد المستولي على سائر الاجزاء المصدق بقدره الله تعالى للأعضاء الملقب بالروح تارة وبالقلب أخرى وقد يعبر عنه بالنفس فاذا رأى اليد من الانسان مثلا لم يرها من حيث انها لحم وعصب وعظم وغير ذلك من مجموع أشخاص الجواهر وانما يراها من حيث ما ظهر عليها من آثار صفاته التي هي القدرة والعلم والارادة والحياة والصفات التي لا تقوم بنفسها دون الموصوف فلها لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهودا ترها في الاعضاء والجواهر فظهر صحة رؤية الرائي الانسان واحدا وهو ذواجزاء كثيرة ومثل هذا يعتزل داخلين على الملوك والمجبن مع من شغفواي بحبه من المخوفين والامثال غير هذا كثيرة من هذا المعنى وارجوا لا يحتاج اليها مع هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الامنه ولا نور الامن عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم اه ما ذكره المصنف في الرد على المعترض وقد حذف منه فصولا كثيرة مما لا يتعلق لها بما نحن فيه ولنعد الى شرح كلام المصنف بعون الله وتوفيقه (فان قلت لا بد لهذا من شرح) وبيان (بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه فاقول أما الرابع) الذي هو منتهى المراتب (فلا يجوز الخوض في بيانه) لانه من جهة علوم المكاشفة (وليس التوكل) الذي نحن فيه (مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث وأما الاول وهو النفاق واضح وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تأكيده) وشدة عقده وحراسته (بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في) الكتب المصنفة في علم (الكلام وذكري في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه وأما الثالث فهو الذي يبنى عليه التوكل) دون الثاني (اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل) اذا الاعتقاد علم والاحوال انما هي ثمرات الاعمال (فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب وحاصله) انك اذا علمت ان الله تعالى واحدا لا شريك له وانه قائم بنفسه مقيم لغيره وانه متولى أمورهم وكافهم وحسيبهم علمت سعة حكمته وعلمه وكمال قدرته فتستفيد من هذا (أن ينكشف لك) ان الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأمره (وان لافاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقير الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم) من كل حركات العالم وسكاته (فالمنفرد بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل) وحده (لا شريك له فيه) وهو المتوحد بخلق ذلك كله (واذا انكشف لك هذا) رأيت النواصي يلهي يلقبها كيف شاء وحينئذ (لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفاً وتوالياً له رجاءاً وبه تقتل وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخر ومن لا استقلال لهم بتحريل ذرة في ملكوت السموات والارض) وحينئذ ينكشف لك تحقيق قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على اعلى الله رزقها وكذلك قوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها وحينئذ تتحقق ان بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت فيستد ترجع اليه ويعتمد قبلك عليه فترداد نور ابوجهل واهتمامك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيشرق في قلبك بهديته ما أشرق في قلوب أنبيائه (واذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا ايضا حاتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدق الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينتفي به أن يطرق الى الجادات الى الحيوانات والثاني) الالتفات (الى الجادات أما الالتفات الى الجادات على المطرفي خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغسيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء

السفينة وسيرها) وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مستغيثين له الدين فلما نجاههم الى البر اذاهم يشركون قيل معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا يتحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفت العبد في النجاة الى الريح يضاهي التفت من أخذ العجز حقيقته فكذب الملك توقيعا بالاعفوع عنه وتخليته فاخذت تغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت في نجاته من القتل (١٠١) محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب) لانه هو

السفينة وسيرها) في البحر (وهذا) كله (شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذلك قال تعالى) في حق مثل هؤلاء (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم الى البر اذاهم يشركون قيل معناه) أي معنى قوله يشركون (انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا) فينسبون النجاة الى استواء الريح واعتد لها فهذا شركهم وقال صاحب القوت وقد روينا في تفسير هذه الآية قالوا كان الملاح فارها رملته في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلب وزفاد الديك لا اخذنا السرقة (ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه لا يتحرك بنفسه) وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا يتحرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل) اذا الحركة من امارات الحدوث والبارى تعالى منز عن ذلك (فالتفت العبد في النجاة) من شدة البحر (الى) استواء (الريح يضاهي التفت من أخذ العجز) أي تقاطع (رقبته) لامرنا (فكتب الملك توقيعا) في كاغدا يكتب في (بالاعفوع عنه وتخليته) عن القتل (فاخذت تغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع) المذكور (ويقول لولا القلم لما تخلصت) من القتل (في نجاته من القلم لان محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب) لانه هو الاصل (بل ربما يدعوه فرح النجاة وشكر الملك المرفع من ان يحضر به القلم والحبر والدواء فالشمر والقمر والنجوم والمطر والغيم) والريح (والارض وكل حيوان وجاد مسخران في قبضة القدرة) مقهورة تحت الاسر (كنسخير الزلم في يد الكاتب) يحركه كيف شاء (بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك ان الملك الموقع) على الرقعة (هو كاتب التوقيع والحق) عند أهل الحق (ان الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما رميت اذ رميت واكن الله رمي) وهـ ذام مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مرارا (فاذا انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك به هذا الشرك) وسأت من اغوائه (فربما ياتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك) يقول له (هذا الشخص هو الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه فيقول نعم) وفي نسخته يقول له أيضا نعم (ان كنت لا ترى القلم انه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان (فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النمل مثلالو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت ان القلم

علم أن القلم لا يحكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدعوه فرح النجاة وشكر الملك الكاتب من أن يحضر به القلم والحبر والدواء والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجاد مسخران في قبضة القدرة كنسخير القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لا اعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى وما رميت اذ رميت واكن الله رمي فاذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فاتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات الى اختيار

(٥١ - (الحاف السادة المتقين) - ناسع) الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء أعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص الذي يحزر قبلك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء خرق قبلك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وامرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر فكيف لا ترى الكاتب الكاتب وهو المسخر له وعند هذا زلت أقدام الاكثرين الاعداد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النمل مثلالو كانت تدب على الكاغد فتري رأس القلم يسود الكاغد ولم تعد بصرها الى اليد والاصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم

هو الأسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حد قتها فكذلك من لم يشرح لنور الله تعالى صدره للاسلام قصرته بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا واداء الكل فوقه في الطريق على الكاتب وهو جمل محض بل أر باب القلوب والمجاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها ونسبها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالجز بلسان ذائق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون وأعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الجار شريك (٤٠٣) فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وانما أرى يديه سمعا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو

عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقهاها العقل فصلى كيفية نطقها وانما كيف انطقت وبماذا انطقت وكيف سمعت وودست وكيف شهدت على نفسها بالجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك لا يحد ولا ينتهي فانما كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية ثم انما تتناجى بأسرار الملك والمكون وافشاء السر لوم بل صدور الاحراق قبور الاسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد فوجي بحفياها فنأدي بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا ما قال صلى الله عليه وسلم لو علمت ما علمتكم قليل ولا بكمتم كثيرا رواه أحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذ كر ذلك لهم حتى يكون ولا يفهمون والماتهم عن افشاء السر القدر) قال العراقي وام ابن عدي وأبو نعيم في الحديث من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدي لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتعامه فلا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحديث وابن مصرية في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما) ببعض الاسرار (وقد تقدم فاذا عن حكاية مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أرباب المشاهدات) العباينة (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهي (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكننا في المثال الذي كافيه هو حركة القلم ومناجاة نذ كر قدرنا سيرا يفهم به على طريق الاجال كيفية انتهاء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأمواتا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أي بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

هو الأسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حد قتها فكذلك من لم يشرح لنور الله صدره) ولم ينفسح (قصرته بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهرا) وفي نسخة قهرا (وراء الكل فوقه في الطريق على الكاتب وهو جمل محض بل أر باب القلوب والمجاهدات قد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي بها انطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها ونسبها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالجز بلسان ذائق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون) وهم أهل الحجاب (ولست أعني بالسبع الظاهر الذي لا يجاوز الاصوات فان الجار) وهو أبلد الحيوانات (شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه الهائم وانما أرى يديه سمعا) باطنا (يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه أعجوبة لا يقهاها العقل فصلى كيفية نطقها وانما كيف انطقت وبماذا انطقت وكيف سمعت وودست وكيف شهدت على نفسها بالجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر ولا ينتهي فانما كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لانهاية له) (لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قيل ان تنفذ كلمات ربي الآية ثم انما تتناجى بأسرار الملك والمكون وافشاء السر لوم) أي يدل على لوم الطبيعة (بل صدور الاحراق قبور الاسرار) كفي الامثال السائرة (وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد فوجي بحفياها فنأدي بسره على ملا من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لنا ما قال صلى الله عليه وسلم لو علمت ما علمتكم قليل ولا بكمتم كثيرا) رواه أحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ لو تعلمون ما أعلم وقد تقدم (بل كان يذ كر ذلك لهم حتى يكون ولا يفهمون والماتهم عن افشاء السر القدر) قال العراقي وام ابن عدي وأبو نعيم في الحديث من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره هذا لفظ أبي نعيم وقال ابن عدي لا تكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى قلت وتعامه فلا تفشوا لله سره (ولما قال) صلى الله عليه وسلم (اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وأبو نعيم في الحديث وابن مصرية في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ اذا ذكر أصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا وقد تقدم (ولما خص) صلى الله عليه وسلم (حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما) ببعض الاسرار (وقد تقدم فاذا عن حكاية مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أرباب المشاهدات) العباينة (مانعان أحدهما استحالة افشاء السر) لما ورد فيه من النهي (والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية) لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى (ولكننا في المثال الذي كافيه هو حركة القلم ومناجاة نذ كر قدرنا سيرا يفهم به على طريق الاجال كيفية انتهاء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأمواتا) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق (ولكن هذه ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى) أي بعين البصيرة (للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

ولما نهي عن افشاء السر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا واما بعض حذيفة رضي الله عنه ببعض الاسرار فاذا عن حكايات مناجاة ذوات الملك والمكون لقلوب أرباب المشاهدات مانعان أحدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكن في المثال الذي كافيه هو حركة القلم تحكي من مناجاة قدرنا سيرا يفهم به على الاجال كيفية ابتناء التوكل عليه ونزد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا وأمواتا ولكن هي ضرورة التفهم فتقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان

أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المقالة فإني مأسودت وجهي بنفسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلماء وعدوانا فقال صدقت فقال الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فإني كنت في الهجرة وادعاسا ككنا عازما على أن لا أبرح منها فاعتدى على القلم بطمعه الفاسد واختطفني من وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا على فقال صدقت ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصبانا بيا (٤٠٣) على شط الانهار متزها بين خضرة الاشجار

لخاء تني اليد بسكين
فتحت عني قشري ومزقت
عن ثيابي واقتلعتني من
أصلي وفصلت بين أنابيبي
ثم بزني وشقت رأسي ثم
غمستني في سواد الخبر
ومرارتني وهي تستخدمني
وتعشني على قشر رأسي
ولقد نثرت الملح على جرحي
بسؤالك وعتابك فتخ
عني وسل من قهري فقال
صدقت ثم سألت اليد
عن ظلمها وعدوانها
على القلم واشتداهمها
فقال اليد ما أنا اللحم
وعظم ودم وهل رأيت
لحما يظلم أو جسم يتحرك
بنفسه أنا مركب مسخر
ركبني فارس يقال له
القدرة والعزة فهي
التي ترددني وتجول بي في
نواحي الارض أما ترى
المدر والحجر والشجر لا
يتعدى شيء منها مكانه
ولا يتحرك بنفسه اذ لم
يركبه مثل هذا الفارس
القوى القاهر أما ترى

أبيض مشرقا) أي منبرا (والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المقالة فإني مأسودت وجهي بنفسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي مستقره ووطنه) ومحل اقامته (فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلماء وعدوانا) فهذا السواد الذي تراه منه (فقال) الناظر للكاغد (صدقت فسأل الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتني فإني كنت في الهجرة وادعاسا ككنا عازما على أن لا أبرح منها) أي لا أزول عنها (فاعتدى على القلم بطمعه) وفي نسخة بطمعه (الفاسد) فاخذني (واختطفني من وطني) ومستقرى (وأجلاني عن بلادي) أي أبعدني عنها (وفرقت جعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء) يعني على صفحة الكاغد (فالسؤال) يتوجه (عليه لا على فقال) الناظر (صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والاصابع فإني كنت قصبانا بيا على شط الانهار متزها بين خضرة الاشجار) مما يلاطربا عند نسائم الاشجار (لخاء تني اليد بسكين) حاد (فتحت عني قشري) أي ازاله (ومزقت عني ثيابي) هي تلك القشور التي عليه بمنزلة الثياب (واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي) جمع انبوب بالضم وهو ما بين السكعين من القصب والقنا (ثم بزني وشقت رأسي وغمستني في سواد الخبر وممرارته) كانوا يدخلون في تركيبه شيئا من التلثيق عليه الذباب ولا تقطعه الا رضة (وهوذا يستخدمني ويعشني على قشر رأسي) وفي كل شيء أعلاه (ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك) وهو كناية عن شدة التالم (فتخ عني وسل من قهري فقال صدقت ثم التفت) (سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم) واقتطاعها اياه عن منبته ووضع أصله وجعه (واستخدامها) كيف نشاء (فقال اليد ما أنا اللحم وعظم ودم) ركبت بالعروق والاعصاب (وهل رأيت لحما يظلم) أو يعتدى (أو جسم يتحرك بنفسه) من غير محرك له (وانما أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الارض أما ترى المدر والشجر والحجر لا يتعدى شيء منها مكانه) الذي أقيم فيه (ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فإنا أيضا من حيث لا معاملة بيني وبين القلم فسأل القدرة عن شأني فإني مركب أرغبني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنهم في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقال تدع عنك لومي) فان اللوم اغراء (و) دع (ومعائتي) فالتعب ازراء (فكم من لائم) غيره هو (ما لم) في نفسه أو المراد كم من لائم غير ملئم (وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتهما ولقد كنت راكبا اياها قبل التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة فوما ظن الظافون بي اني ميتة أو معدومة) نظر الى ظاهره سكوني (لإني ما كنت أتتحرك ولا أتحرك حتى جاءني موكل أرغبني وأرهبني الى ما ترامني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهو موصياله) وبطشه (اذ أرغبني من غيرة النوم وأرهبني الى ما كان لي مندوحة) أي سعة

أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينهما وبين القلم فإنا أيضا من حيث لا معاملة بيني وبين القلم فسأل القدرة عن شأني فإني مركب أرغبني من ركبتي فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنهم في استعمالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقال تدع عنك لومي ومعائتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتهما ر كنت لهارا كبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة فوما ظن الظافون بي اني ميتة أو معدومة لاني ما كنت أتتحرك ولا أتحرك حتى جاءني موكل أرغبني وأرهبني الى ما ترامني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا أعرفه الا باسمه وهو موصياله اذ أرغبني من غيرة النوم وأرهبني الى ما كان لي مندوحة

عنه لو خلا في وراعي فقال صدقت ثم سألت الارادة فما الذي جرك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التفريل وأرهقتها اليه
 ارهاقاً لم تجدد عنه مخاضاً ولا مناصاً قالت الارادة لا تجعل على فاعل لنا عذراً وأنت تلوم فاني ما انتهت بنفسى ولكن أنقضت وما انبعت
 ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص
 للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري باي جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكنى أدري
 انى فى دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وفقر الزمت طاعته الزما بل لا يبقى لى
 معهم ما حزم حكمه طاعة على المخالفة (٤٠٤) لعمري ما دام هو فى التردد مع نفسه را تحبى فى حكمه فاناسا ساكنة لكن مع استبعاد

وانتظار لحكمه فاذا
 انجزم حكمه أزعجت
 بطبع وقهر تحت طاعته
 وأشخصت القدرة لتقوم
 بموجب حكمه فسل العلم
 عن شأني ودع عني عتابك
 فاني كما قال القائل
 متى ترحلت عن قوم
 وقد قدروا
 ان لا تدارقهم فالراحلون
 هم فقال صدقت واقبل
 على العلم والعقل والقلب
 مطالباً لهم ومعاتباً ايهاهم
 على استنراض الارادة
 وتسخيرها لاشخاص
 القدرة فقال العقل أما
 أنا فسرّاج ما شئت غلت
 بنفسى وأكن أشعلت
 وقال القلب أما أنا فلوح
 ما انبسطت بنفسى ولكنى
 بسطت وقال العلم أما
 أنا فنقش نقشت فى
 بياض لوح القلب لما
 أشرق سراج العقل وما
 انحططت بنفسى فكلم
 كان هذا اللوح قبل خال
 عني فسلم العلم عني لان
 الخط لا يكرن الا بالعلم

(عنه لو خلا في وراعي) و لو تركي وشأني (فقال صدقت ثم سألت الارادة ما الذي جرك على هذه القدرة
 الساكنة المطمئنة حتى صرفتها الى التفريل وأرهقتها اليه ارهاقاً لم تجدد عنه مخاضاً ولا مناصاً قالت الارادة
 لا تجعل على فاعل لنا عذراً وأنت تلوم) وهو مضراع بيت من غير فاء من فاعل (فاني ما انتهت بنفسى ولكنى
 انتهت وما انبعت ولكنى بعثت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على من
 حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار فاني اذا (مسكينة مسخرة
 تحت قهر العلم والعقل ولا أدري باي جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته لكنى أدري انى فى دعة)
 أى راحة (وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقعت عليه وفقر
 وألزمت طاعته الزما بل لا يبقى لى معهم ما حزم حكمه طاعة على المخالفة لعمري ما دام هو فى التردد على نفسه
 والتجبر فى حكمه فاناسا كن لكن مع استبعاد وانتظار لحكمه فاذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت
 طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فاني كما قال القائل
 متى ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا أفرقهم فالراحلون هم)

وفى نسخة ان لا تفرقهم (فقال صدقت واقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً ايهاهم ومعاتباً ايهاهم على استنراض
 الارادة وتسخيرها لاشخاص القدرة فقال العقل اما أنا فسرّاج ما شئت غلت بنفسى ولكنى أشعلت وقال القلب
 اما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكنى بسطت وقال العلم اما أنا كنعش نقشت فى بياض لوح القلب لما أشرق
 سراج العقل وما انحططت بنفسى فكلم كان هذا اللوح خالياً عني فسل العلم) عني (فان الخط لا يكون الا بالعلم
 فعند هذا تتعق السائل) أى اضرب (ولم يقنع جوابه وقال قد طال تعبي فى هذا الطريق وكثرت منازلتي ولا
 يزال يجلى من طمعت به فى معرفته هذا الامر على غيرى ولكنى كنت أطيب نفساً بكثرة لترداد ما كنت أسمع
 كلاماً مقبولاً فى الفؤاد وعذرا طاهر فى دفع السؤال فاما قولك) أيها العلم (اننى خط ونقش وانما خطى فلم
 فلت أفهمه فاني لأعلم فلما الامن القصب واللوحة الامن الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالخبر ولا سراجا الا من
 النار وانى لا أسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه شيئاً أسمع جميعه ولا أرى
 طمعا) وهو مثل مشهور يضرب للعبان يوعده ولا يوقع ولا يخيل بعد ولا ينجز ولن يكثر الكلام ولا يعمل
 والجميع صوت الرحى والطحن بالكسراسم بمعنى المطحون (فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاءت
 من جاذ) تدفع بها الايام اقاتها (وزادك قليل ومركبك ضعيف هزيل والله لاك فى الطريق الذى توجهت
 اليه كثير فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه فها هذا بعشك قادر عني) واصل المثل لبس بعشك
 قادر جى (وكل ميسر لا خلق له) كفى الخبر (وان كنت راغباً فى استتمام الطريق الى المقصد) العالى (فالتى

فعند ذلك تتعق السائل ولم يقنع جواب وقال قد طال تعبي فى هذا الطريق وكثرت منازلتي ولا يزال يجلى من طمعت به فى معرفة
 هذا الامر منه على غيرى ولكنى كنت أطيب نفساً بكثرة لترداد ما كنت أسمع كلاماً مقبولاً فى الفؤاد وعذرا طاهر فى دفع السؤال فاما
 قولك اننى خط ونقش وانما خطى فلم فلت أفهمه فاني لأعلم فلما الامن القصب واللوحة الامن الحديد أو الخشب ولا خطا الا بالخبر ولا سراجا
 الامن النار وانى لا أسمع فى هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه ذلك شيئاً أسمع جميعه ولا أرى طمعا فقال له العلم ان
 صدقت فيما قلت فبضاءت من جاذ وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان الممالك فى الطريق انى توجهت اليها كثيرة فالصواب لك ان
 تنصرف وتدع ما أنت فيه فها هذا بعشك قادر عني فكل ميسر لا خلق له وان كنت راغباً فى استتمام الطريق الى المقصد فالتى

سمعك وأنت شهيد واعلم ان العوالم في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة وأولها أولاد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو وراني فاذا جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفجر والجبيل الشاهقة والبحار المفرقة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت (١٠٥) ولقد قطعت منها ثلاث منازل في

أرائها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لان عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منها وانما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل من يعيش على الارض يعيش في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يعيش في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يعيش على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنفع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يعيش به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى عليه السلام ما يرى شيء يعيش على الماء قال لا أحد واليقين قد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المفوظ لو ازداد أحدكم يقيناً لمشي على الهواء (فقل السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفاً مما) وفي نسخة بما (وصفته من خطر الطريق واستدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمعك وأنت شهيد) أي شاهد بقلبك (واعلم ان العوالم في طريقك هذه ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها) وهو عبارة عن عالم المحسوسات الطبيعية والملك بالضم التصرف بالامر والنهي في الجمهور والعالم كل ما سوى الله تعالى من الموجودات وسعى عالم الشهادة بالاضافة الى الملكوت الذي هو عالم الغيب (ولقد كان الكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت) وهو فعلوت من الملك وهو عالم الغيب المنص بارواح النفوس كما تقدم مراراً (وهو وراني فاذا جاوزتني انتهيت الى منزله وفيه المهامه الفجر) جمع أفجع وهو الواسع (والجبيل الشاهقة) أي المرتفعة (والبحار المفرقة) لتلاطم أمواجها (ولا أدري كيف تسلم فيها) واليه الاشارة بقول القائل

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قل الجبال دونهن ختوف

(والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت) وهو البرزخ المحبط بالآيات الحجة هذا هو قول الأكثرين وعند أبي طالب المكي عالم الجبروت عالم العظمة أي عالم الاسماء والصفات الالهية ويقرب منه قول من قال الجبروت هو حضرة الاسماء كان الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها واسائط التصرف بين الاسماء والاتعال كالطيف والقهر المنوس ما بين اللطيف والمظوف والقهار والمقهور وقال بعضهم عالم الملك هو الظاهر المحسوس وعالم الملكوت هو الباطن في القول وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما لا يحد بطرف من كل منهما ولا ذهب بعضهم الى ان عالم الملك هو المدرك بالحواس وعالم الجبروت هو المدرك بالماوراء وقال بعضهم كل عالم اتفق أهله على كلفه فهو عالم الملك وليس ذلك الا العالم العلوي وعالم الملكوت باعتبار أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم وعالم الجبروت باعتبار انوار التي تهب عليهم لتقي بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بهم مقاماتهم فلكل انوار كما في فلقه جميع ما سبق من أحوالهم وقال القاشاني عالم الارض وعالم الملكوت وعالم الغيب هو عالم الارواح والروحانيات لانها وجدت بامر الحق بلا واسطة مادة ومدة (ولقد قطعت منها ثلاث منازل اذني أرائها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت) آخذ بظرف من كل منهما (لان عالم الملك أسهل منه) أي من عالم الجبروت (طريقاً) لتعلمها بظاهر المحسوس (وعالم الملكوت أوعر منه) أي من عالم الجبروت (منهاجاً) أي مسلكاً (وانما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الارض والماء فلا هو في حد اضطراب الماء وتلاعبه) ولا هو في حد سكون الارض وثباتها وكل من يعيش على الارض يعيش في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يعيش في عالم الجبروت فان انتهى الى أن يعيش على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنفع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي) من ملابسة كدورات الارض وهكذا شأن مياه القدرة فانها صافية أبداً (وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يعيش به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء) وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال قيل لعيسى عليه السلام ما يرى شيء يعيش على الماء قال لا أحد واليقين قد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر ان المفوظ لو ازداد أحدكم يقيناً لمشي على الهواء (فقل السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفاً مما) وفي نسخة بما (وصفته من خطر الطريق واستدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة)

سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي على الهواء لما قبل له انه كان يعيش على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في أمرى واستشعر قلبي خوفاً مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطبق قطع هذه المهامه التي وصفتها أم لا فهل لذلك من علامة

قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع (٤٠٦) بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أماترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف

بالقلم اذ أنزل عليه قرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت بصري وحدقته فوائده ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلم الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات وكذلك لا تشبهه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهيمنة من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته يجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظام ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره راج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك الا تخشبا بين خولة التنزيه وأتونة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف تزهت ذاته وصفاته تعالى عن

استدل به اعلى سلوكه هذا الطريق (قال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوى) أى اصرفه الى (فان ظهر لك القلم الذي به اكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أماترى ان النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره كوشف بالقلم اذ أنزل عليه قرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وهو أول ما نزل من القرآن بمكة كإبراهيم مردويه عن ابن عباس والحاكم عن أبي موسى والبيهقي عن عائشة وقال مجاهد أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم كإبراهيم وعبد بن جبر ورواه ابن أبي شيبة عن عبيد بن عمير مثله (فقال السالك قد فتحت بصري وحدقته فوائده ما أرى قصبا ولا خشبا ولا أعلم قلم الا كذلك فقال العلم لقد أبعدت النجعة) يقال نجح القوم واتبعوا اذا ذهبوا اطلب السكالا في موضعه ثم كثرا استعماله في كل طلب والاسم النجعة بالضم (أما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت ان الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات وكذلك لا تشبهه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور الهيمنة من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته يجسم ولا هو في مكان) تعالى الله عن ذلك (بخلاف غيره ولا يده لحم ولا عظام ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره راج وعص فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك الا تخشبا) وفي نسخة متحيرا (بين خولة التنزيه وأتونة التشبيه مذبذبا بين هذا وذاك الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف تزهت ذاته وصفاته عن الاجسام وصفاته وزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات وأخذت تنوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه ان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق آدم على صورته) رواه أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة بلقفا خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر الحديث وفي آخره فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينعص بعد حتى الآن وهو عند البخاري وحده في كتاب الاستئذان بلقفا المصنف وعند مسلم وحده اذا قاتل أحدكم فليجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته وعند الطبراني على صورة وجهه وعند الدارقطني فان وجه الانسان على صورة الرحمن وقد تقدم في قواعد العقائد (الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا) فقد أثبت له ما هو من أوصاف الاجسام (كما يقال) في الاقوال السائرة (كن يهوديا صرفا) أى خالعا (والا فلا تلعب بالثوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصرة لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا خلا) فالتنزيه من أوصاف الفعولية والتشبيه من أوصاف الاثنية وعلى هذا فالمنزّه خال والمشيء مؤنث وهذا الذي ساقه المصنف هو على ظواهر قواعد الشريعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب العرفان هو الجمع بين التنزيه والتشبيه وقد أشار الى ذلك الشيخ الاكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفصوص وقد طعن عليه علماء الرسوم طعنا كيا ومنشؤه عدم الفهم ونحن نسوق كلامه قال في فص فوح عليه السلام اعلم ان التنزيه عند أهل الحقائق في الجانب الالهى عين التعديد والنقيذ فالمنزّه اما جاهل واما صاحب سوء أدب ولكن اذا ألقاه وقال به فالقاتل بالشرائع المؤمن اذا تزهه ووقف عند التنزيه ولم يرغب ذلك فقد أساءه الادب واكذب الحق والرسول عليهم السلام وهو لا يشعر ويخيل انه في الحاصل وهو في الفات وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ولا سيما وقد علم ان السنة الشرائع الالهية اذا انطقت في الحق بما انطقت به انما جاءت به في العموم على المفهوم الاول وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ باى لسان كان في وضع ذلك اللسان فان للعق في كل خلق ظهورا خاصا فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن من كل فهم الاعن فهم من

قال الاجسام وصفاته وزهت كلامه عن معاني الحروف والاصوات وأخذت تنوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالثوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالابصار لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا خلا

قال ان العالم صورته وهو بية وهو الاسم الظاهر كما انه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن ف نسبتة لما ظهر من صور العالم نسبة الروح المدبر للصورة فيؤخذ في حد الانسان مثلاً باطنه من ظاهره وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حد وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها ولا تعلم حدود كل صورة منها الا قدر ما حصل لكل عالم من صورته فكذلك يحهل حد الله تعالى فانه لا يعلم حده الا من يعلم حد كل صورة وهذا محال حصوله فالحق محال وكذلك من شبهه ومن تزده فقد قديمه وحده وماعرفه ومن جع في معرفته بين التنزيه والتشبيه وصفه بالوصفين فقد عرفه على الاجمال لانه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطة بمافي العالم من الصور فقد عرفه مجمل لا على التفصيل ولذلك ربط النبي صلى الله عليه وسلم معرفته الحق بمعرفة النفس فقال من عرف نفسه عرف ربه ثم قال

فان قلت بالتنزيه كنت مقيداً * وان قلت بالتشبيه كنت محدداً

وان قلت بالامر بن كنت مسدداً * وكنت اماما في المعارف مسدداً

فمن قال بالاشفاق كان مشركاً * ومن قال بالافراد كان موحداً

واباك والتشبيه ان كنت ثانياً * واباك والتنزيه ان كنت مفرداً

قال الله تعالى ليس كمثله شئ فتزده وهو السميع البصير فشبهه قال الله تعالى ليس كمثله شئ فشبهه وثني وهو السميع البصير فتزده وأفراد انتهى نصه مع اختصار وتقر بهذا الكلام من وجهين * الوجه الاول فاعلم ان الانبياء عليهم السلام تزدهم الحق تعالى وبالغوا فيه ومع هذا فقد بلغوا عن الله تعالى ومن عند أنفسهم كلمات تدل على التشبيه فالتنزيه واراد عنهم والتشبيه أيضا صادر عنهم فوجب الجمع بينهما فان قيل ان أولنا أو توقفنا أو أحدهما لم ذلك على الله تعالى مع الجزم بانه منزّه عن شائبة الامكان ارتفع التشبيه مطلقا ولم يبق منه أثر وبقي التنزيه المجرد الذي ليس فيه رائحة من التشبيه فكيف يجب الجمع بينهما وان لاحظنا التشبيه الصرف ولم نضم اليه التنزيه المحض لزم الجمع بين النقيضين لان التنزيه ينفي التشبيه والتشبيه يرفع التنزيه والجمع بين الاثبات والنفي في أمر واحد من وجه واحد محال * والجواب عنه في مقامين المقام الاول لما كانت هذه العبارات التشبيهية صادرة عن الانبياء عليهم السلام من غير شك وجب علينا الايمان بهم اسواء أولنا أم توقفنا ونحن نغني بالتشبيه مجرد الايمان بتلك العبارات وليس هذا اصطلاحا مجردا فان تلك الالفاظ تدل على التشبيه بلاشك غاية ما في الباب اننا ما ننوّل أو نتوقف ونكل علمها الى الله تعالى وهذا لا ينافي التشبيه بهذا المعنى المقام الثاني ان أهل السنة أثبتوا الصفات الزائدة بقياس الغائب على الشاهد فهي معان مشتركة بيننا وبين الله تعالى وهذا القدر من التشبيه واف كاف ولهذا سميت المعتزلة أهل السنة مشبهة وهذا بواسطة قياس الغائب على الشاهد الذي هو عين التشبيه وهذا المقام أقوى وأظهر من الاول لان فيه التشبيه واضح بغير شبهة وكما ذكرنا التشبيه فهذا المعنى هو مرادنا به لا غير * الوجه الثاني اعلم ان الذات كما تقر عندهم مبدؤ جميع الاحكام والاثار ولها وجه العينية بالنسبة الى الاشياء ولها أيضا وجه الغيرية بوجه العينية تشبيه بوجه الغيرية تنزيه وفي الواقع انه عين من وجه وغير من وجه لا جرم كان التنزيه فقط تحديدا وتقييدا والتشبيه فقط أيضا تحديدا وتقييدا وكلا الطرفين افراط وتفریط وكلا الاعتدال هو ان نسبة الذات من حيث هي تنزيه ومن حيث العينية تشبيه بحيث لا يكون هذا مانعا من ذلك ولا ذلك مانعا من هذا فاذا المنزه الصرف ان علم هذا المعنى أولم يعلم وجرد التنزيه عن التشبيه فهو قليل الادب والتشبيه الصرف الخالي عن التنزيه كفر وضلال فالتنزيه من حيث الذات المنزه عن الكيف والتشبيه من حيث المعية والمقارنة ومبدئية لساير الاحكام وقال قدس سره في هذا الفصل أيضا لو أن نوحا عليه السلام جع في دعوته بين التشبيه والتنزيه كما جع محمد صلى الله عليه وسلم في آية ليس كمثله شئ لقبلا وأجابوا دعوته كما أجابت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانه شبه ونزه في آية بل في نصف آية على تقدير أن تكون الكافي غير زائدة فثبت ان المثل تشبيه وفي مثل المثل تنزيه فإدعاء محمد صلى الله عليه وسلم قومه ليله ونهارا بل دعاهم ليله ونهارا في ليل يعني شبهه في تنزيه ونزه في تشبيه اهـ ويوضحه ما قاله الفخر الرازي

واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى انى انا ربك فلما سمع السالك (٤٠٨) من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة

غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان في نسبة الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسسه نارا فلما نفخ فيه العلم بجودته اشتعل زينة فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الالهى فاذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كما هم أصناف العلوم وكأن له في كل قلب رأسا ولا رأس له ففضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم خذاه الله تعالى عن خبر اذا الآن ظهر لي صدق أنبيائه عن أوصاف القلم فاني أراه قلمالا كالأقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك وأنا عازم على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات

في كتابه تأسيس التقديس وليس في القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح الا قوله تعالى ليس كمثل شيء ودلالته على التنزيه ضعيفة اه وكان مراده بصف الدلالة تعظيمه به والسبب البصير مع وجود الكف لان المعنى مع وجوده ليس مثل مثله شيء وأما قول الشيخ قدس سره في قوله تعالى انى دعوت قومي ليلائهم اراى معنى ايسل التنزيه فتم ارا التشبيه فهو من باب الاشارة لا من باب العبارة والتفسير اذا التنزيه نفي المعادلة والمساواة وهو أمر سلبى عدى فلا يدرك من الذات المتزهة لا السلب وأما هي في حد ذاتها فلم تدرك كمان القلم عبارة عن الليل لانها أمر عدى ولا يصرف فيها شيء فهو عدم الادراك فالليل يناسب التنزيه والهاز عبارة عن النور والنور أمر وجودى وهو يدرك ويدرك بواسطة الاشياء أيضا والتشبيه اثبات صفات وجودية حقيقة مثل السمع والبصر والكلام والبدن وغيرها والصفات الوجودية لها ظهور فالنار يناسب النور وقس قوله في قوله تعالى انى أعلنت لهم وأسرت لهم أسرار ان الاعلان تشبيه والأسرار تنزيه والدعوة قد تكون الى التنزيه فقط وقد تكون الى التشبيه فقط والكلام في الجمع بينهما حاول التنزيه فقط مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال والتشبيه فقط نوعان أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق في الذات كما توله المجسمة وهو كفر والثاني محمود وهو التشبيه بمعنى اثبات الصفات الثبوتية له وهذا التشبيه أيضا مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال وأكملها الجمع بينهما وهذه المرتبة من خواص أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم ذلك بتدبر ولا تجمل بالانكار والله أعلم ولنعنى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى (واطو الطريق) الطى خلاف التنزيه يقال طوى به طيا فانطوى وطى الطريق قطع المسافة فيه بسرعة (فانك بالواد المقدس طوى) عطف بيان للوادى وهو اسم بقعة بالقرب من جبل الطور (واستمع بسر قلبك لما يوحى) أى لما يلقى اليك وحيا وأوالها ما أوحى فى الروح (فلعلك تجد على النار) المتوقفة فى شجرة خضراء (عدى) أى هاديا يبدلك على طريق سلوكك الى مولائك (ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى) عليه السلام (انى انا ربك الاعلى) وذلك من جميع جهاتك وجميع أعضائك (فلما سمع السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وانه مخنث بين التشبيه والتنزيه) لم يكمل فى أحد المقامين فضلا عن الجمع بينهما (فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زينه الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم تحسسه نارا فلما نفخ فيه العلم بجودته) مسسته النار و (اشتعل زينه فاصبح نورا على نور) الذى كان فيه (فقال له العلم اغنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار) التى اوقدت فى شجرة قلبك (هدى فانفتح بصره وانكشف له القلم الالهى واذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر كما هم أصناف العلوم) وأنواع المعارف والفهوم (وكأن له فى كل قلب رأسا ولا رأس له ففضى منه العجب وقال نعم الرفيق العلم خذاه الله تعالى عن خبر اذا الآن ظهر لي صدق أنبيائه) أى أخبره (عن أوصاف القلم فاني أراه قلمالا كالأقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامى عندك ومرادنى لك) فى السؤال والجواب (وأنا عازم) على أن أسافر الى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر اليه وقال له ما بالك أيها القلم تخط على الدوام فى القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات

الى أشخاص القدر وصرفه الى المقدورات فقال أوقد نسيت ما رأيت فى عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم اذ سأله فأحالت على اليد قال لم أنس ذلك قال بخوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال غسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى نبضته وهو الذى

برددني وأنامقهوور مسخر فلا فرق بين القلم الالهسي وقلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال فن عين الملك فقال القلم
أما سمعت قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي بردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى
شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه (٤٠٩) بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر

عشر وصفه والجله فيه
انه عين لا كالأيمان ويد
لا كالأيدي وأصبع لا
كالأصابع فرأى القلم
محركا في قبضته فظهر له
عذر القلم فسأل اليمين
عن شأنه وتحرريك للقلم
فقال جوابي مثل ما سمعته
من اليمين التي بدأتني
عالم الشهادة وهي الحوالة
على القدرة ذاليد لا حكم
لهافي نفسها وانما يحركها
القدرة لا محلة فاسافر
السالك الى عالم القدرة
ورأى فيمن العجائب
ما استعجز عنه ما قبله
وسألها عن تحريك
اليمين فقالت انما أنا
صغرة فاسأل القادر
العمدة على الموصوفات
لاعلى الصلوات وعند هذا
كاد أن يزيغ ويطلق
بالجرأة لسان السؤال
فثبت بالقول الثابت
ونودي من وراء حجاب
سراقات الحضرة لا يستل
عما يفعل وهم يستلون
فغشيت هيبه الحضرة فخر
صعقا يضطرب في غشيت
فلما أفاق قال سبحانك
مأعظم شأنك ثبت اليك
وتوكلت عليك وآمنت

برددني وأنامقهوور مسخر فلا فرق (اذا بين القلم الالهسي و) بين (قلم الآدمي في معنى التسخير وانما الفرق في
ظاهر الصورة فقال فن عين الملك فقال القلم أما سمعت قول الله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم قال
والاقلام أيضا في قبضة يمينه هو الذي بردها فاسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه
ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا تحوى مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه
واذا جاز وصف شيء منها لم تحتمله العقول لتصورها عن فهمها (والجله فيه انه عين لا كالأيمان ويد لا كالأيدي
وأصبع لا كالأصابع) هذا هو مذهب السلف من أكابر المحدثين والفقهاء والمتكلمين قالوا ان اليمين والاستواء
والوجه واليمين والجنب والقدم وأمثالها كلها صفات حقيقية قائمة بذات الحق جل جلاله كما يقول به سائر أهل
السنة في الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام من انها صفات حقيقية وقائمة بذات الحق
تعالى ومع هذا يقولون ان سمعه لا كسمعنا وبصره لا كبصرنا وكلامه لا ككلامنا وقال الامام أحدان يديه
ليست كيدينا ولكن له يدان هما صفتان حقيقتان وكذا قال في الوجه وافقهم الامام أبو الحسن الاشعري في
هذا المعنى لكنه في بعضه ادون جميع المنشآت وقد تقدم التفصيل في ذلك في شرح قواعد العقائد (فرأى
القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين عن شأنه وتحرريك للقلم فقال جوابي مثل ما سمعته من اليمين
التي رأيتها في عالم الشهادة) والملك (وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لهافي نفسها وانما يحركها القدرة
لا محلة فاسافر) السالك (الى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استعجز عنه ما) رأى (قبله وسألها عن
تحريك اليمين فقالت انما أنا صغرة فاسأل القادر اذ العدة على الموصوفات لا على الصفات) فان الموصوفات هي
التي قامت بها تلك الصفات (وعنده هذا كاد) السالك (أن يزيغ) أي يميل (ويطلق بالجرأة لسان السؤال)
فادركته العناية الالهية (ثبت بالقول الثابت) في قلبه (ونودي من وراء حجاب سراقات الحضرة) الربانية
(لا يستل عما يفعل وهم يستلون فغشيت هيبه الحضرة) فلم يستطع القيام معها (فخر صغرة) مندهشا
(يضطرب في غشيت تلك مدة) كما جرى ذلك لوسى عليه السلام حين - ألقى الرؤية (فلما أفاق) من غشيت (قال
سبحانك مأعظم شأنك) وأجل سلطانك (ثبت اليك) أي رجعت عما كنت عازما عليه في السؤال عن مثل هذه
الحوادث (وتوكلت عليك) فلا يتم مقام التوكل الا بعد ملاحظة عظمة شأنه وألوهيته والانصراف اليه بكلية
(وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك
وبرضائك من سخطك) أشار بالأول الى المقام الموسوي اذ قال عقب افاقته سبحانك ثبت اليك وبالثاني الى المقام
المحمدي اذ قال أعوذ بعفوك من عقابك وبرضائك من سخطك (ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتل بين
يديك فأقول) رب (اشرح لي صدري لأعرفك) كما ينبغي أن تعرف فالنور اذ ادخل الصدر انشرح له وانفتح
فانكشف له أسرار المعرفة (واحلل عقدة من لساني) أي رقة تمنع عن كمال الافصاح والافهام (لا تثنى عليك)
بما أنت أهله وهذا أيضا إشارة الى المقام الموسوي (فنودي من وراء الحجاب اليك أن تطمع في الثناء) أي في
الوصول الى غاياته (وتريد على سيد الانبياء) محمد صلى الله عليه وسلم (بل ارجع اليه) واقتدبه (فما آتاك
نغذه وما نهالك) عنه (فانته عنه) كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وما قاله
فقله) فبايغ أحد مقام ما باغه هو وليس لغيره الا اتباعه كفي الخبر لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي (فانه)
لما لاحظ المعنى الجامع لصفات الألوهية كاد أن يحصل له الدهش والتعجب فادركته المنع حتى تحقق في تحجيره ولذلك

(٥٢ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا

أرجو سواك ولا أعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضائك من سخطك ومالي الا أن أسألك وأتضرع اليك وأبتل بين يديك فأقول اشرح لي صدري
لاعرفك واحلل عقدة من لساني لا تثنى عليك فنودي من وراء الحجاب اليك أن تطمع في الثناء وتريد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك نغذه
وما نهالك عنه فانته عنه وما قاله لك فقله فانه

ما زاد في هذه الجزيرة على أن قال سبحانه لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال الهى ان لم يكن للسان جراحة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك فتودى اياك أن تختلج رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الا كبر فاقتدبه فان أصحاب سيد الانبياء كالنجوم باهم اقتديتم اهتديتم امامه يته يقول (١٠)

حضرتنا عاجز عن ملاحظة

(ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانه لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) فهو المثنى على نفسه وهو المثنى عليه أزل وأبد وأجمع الحمد راجعة اليه (فقال) السالك (الهي ان لم تكن اللسان جراحة في الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك) أي في منتهى درجتها (فردى اياك أن تخطف رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الأكبر) رضى الله عنه (فاقتديه) واسلك سبيله (فان أصحاب سيد الانبياء) صلى الله عليه وسلم (كالنجوم) المشرقة في السماء (بأبهم) أي المسافرون في سلوك طريق الحق (اقتديتم اهتديتم) الى من اليه السلوك يشير الى مارواه عبد بن حديد من حديث ابن عمر أصحابي كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم ورواه غيره من حديث أبي هريرة وأسانيده ضعيفة وقال أجد لا يصح وقال البراز منكر وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد وروناه في حديث موصول بساند غير قوي في حديث آخر منقطع قال والحديث الصحيح يؤدي بعض معناه وهو حديث أبي موسى المرفوع النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يودعون وأصحابي أمنة لامتني فاذا ذهبت أتى أمتي ما يودعون (أما سمعته يقول العجز عن ذلك الادراك ادراك فيكفيل نصيبا من حضر تنان تعرف انك محروم عن حضرتنا عجز عن ملاحظة جلالنا) قال المصنف في المقصد الاسنى فان قلت فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى فاقول نهاية معرفة العارفين بعجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي انهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل ان يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنهه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشفافره انما فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي أشار اليه الصديق الاكبر حيث قال العجز عن ذلك الادراك ادراك بل هو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه ان لا احيط بمجمل وصفات الهيئتنا وانما أثبت المحيط بها وحده فاذا لا يحيط بخلق من ملاحظة حقيقة تذاذه الاباحية والدهشة واما اتساع المعرفة فانما يكون في معرفة اسمائه وصفاته (فمنه هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتبته وقال للبين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها قبلوا عذري اني كنت غريبا حديث العهد بالدخول في هذه البلاد) في الكلام السائر (اسكل داخل دهشة) وتعامه فلقوه بمرحبا (فما كان انكارى عليكم الامن قصور وجهي) مني (والآن قد صرح عندي عذركم وانكشف لي ان المنفرد بالملك والملكوكة والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما أنتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة) الذي هو أول عوالم السير (استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس بأخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول بالاضافة الى الموجودات اذ صدر منه السكل على الترتيب واحدا بعد واحد وهو الآخر بالاضافة الى سير السائر الى اليه فانهم لم يزلون مترقين من منزل الى منزل) ومن مقام الى مقام (الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطامنين لادراكه بالحواس الجنس ظاهري بالاضافة الى من يطالبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم المسكوت) قال المصنف في المقصد الاسنى اعلم أن الاول يكون أولا بالاضافة الى شيء وان الآخر يكون آخر بالاضافة الى شيء وهما متناقضان فلا يصح أن يكون الشيء الواحد من وجه بالاضافة الى شيء واحد أولا وآخر اجمع بل اذا انفارت الى ترتيب الوجود ولا خفت سلسله الموجودات المترتبة قاله تعالى بالاضافة اليها أول اذا موجودات كلها استغاثت الوجود منه

جانا وجالنا فاعند
 هذا رجع السالك
 واعتذر عن أسئلته
 ومعاتبته وقال لليمين
 والعلم والعلم والارادة
 والقدر وما بعدها قبلوا
 عذري فاني كنت غريبا
 حديث العهد بالدخول
 في هذه البلاد ولكل داخل
 دهشة فما كان انكارى
 عليكم الا عن قصور وجهل
 الا ان قد عذري صرح عذركم
 وانكشف لي ان انفرد
 بالملك والمكوت والعزة
 والجبروت هو الواحد
 القهار فأنتم الامم مخزون
 تحت قهره وقدرته
 مرددون في قبضته وهو
 الاول والاخر والظاهر
 والباطن فلماذا ذكر ذلك
 في عالم الشهادة استبعد
 منه ذلك وقيل له كيف
 يكون هو الاول والاخر
 وهما صفان متناقضان
 وكيف يكون هو الظاهر
 والباطن فالاول ليس باخر
 والظاهر ليس بباطن
 فقال هو الاول بالاضافة
 الى الموجودات اذ صدر
 منه الكل على ترتيبه واحدا
 بعد واحد وهو الاخر
 بالاضافة الى سائر السائر من

البه فأنهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى أن يقع الانتهاء الى تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخرى وأما
المشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة الى من يطلبه
في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الماكوت

وأما هو فهو جود بذاته وما استفاد الوجود من غيره ومهم ما نظرت الى ترتيب السلوك ولا حظت مراتب السائر
اليه فهو آخر اذ هو آخر ما ترقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته
والمزلة الاقصى هي معرفة الله سبحانه فهو آخر بالاضافة الى السلوك اليه أول بالاضافة الى الوجود فنه المبدأ أولا
واليه المرجع والمصير آخر وأما الظاهر والباطن فهما أيضا من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجه
وباطنا من وجه آخر ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجه وبالاضافة الى
ادراكه وباطنا من وجهه وبالاضافة الى ادراكه فان الظهور والبطون انما يكون بالاضافة الى الادراكات والله
سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهرا ن طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان
قلت اما كونه باطنا بالاضافة الى ادراك الحواس فظاهر وأما كونه ظاهرا بالاضافة الى ادراك العقل فغامض
اذ الظاهر ما لا يتماهى فيه ولا يختلف الناس في ادراكه وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون
ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره وكل ما جاوز من
حدده انعكس على ضده فبسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي
لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه ولا تخبين من هذا في صفات الله تعالى فان المعنى الذي به الانسان انسان
ظاهر باطن فانه ظاهرا ن استدلل عليه بافعاله المرتبة المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما
يتعلق بظاهر بشرته وليس الانسان انسا با بالبشرة المرتبة منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر اجزائه فهو هو
والاجزاء متبدلة ولعل اجزاء كل انسان بعد كبر سنه غير الاجزاء التي كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول
الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاعتداء وهو يته لم تبدل تلك الهوية باطنية عن الحواس ظاهرة للعقل
بطريق الاستدلال عليها بانارها وفعالها (فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل أعني من
انكشف له ان الفاعل واحد) وحيث انتهت بنا الكلام الى هنا فلنورد ما عترض على المصنف في هذا السياق
من أوله الى هنا قال المعتبر في جملة كلامه وكيف يتصور مخاطبة العقلاء للجمادات والجمادات للعقلاء وبماذا
تسمع تلك المخاطبة ابحاسة الاذن أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهي وما حد عالم الملك
وعالم الجبروت وعالم الملكوت وما معنى ان الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي
معتقدها يكون مشبهاصرفا والصورة الباطنة التي يكون معتقدها منزها خلا وما معنى فاطو الطريق فانك
بالواد المقدس طوى ولعله يبعد ادواصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه
السلام كلام الله تعالى وما معنى فاستمع بسر قلبك لما يوحى أهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع
ما يوحى من ليس بنبي اذلك على طريق التعميم أم على طريق التخصيص ومن له بالتسليق الى مثل ذلك المقام
حتى يسمع أسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص فالنبوة ليست بمنجورة على أحد الامن قعد عن سلوك تلك
الطريق وما يسمع في النداء اذا سمع هل اسم موسى أو اسم نفسه وما معنى الامر للسالك بالزجوع ونبيه
أن يتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصلهم الى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة هو توحيد المقر بين وما معنى
انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرقيب الاعلى والى أين وجهته في الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذي
يمنعه من البقاء في الذي وصل اليه وهو أرفع من الذي خلفه وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في
غير الاحياء ولو اواصل من رجع وقد أجاب المصنف عن هذه الاسئلة في الاملاء بما انصه اما خطاب
العقلاء للجمادات فغير مستنكر قديما نذب الناس الديار وسألوا الاطلاع واستخبروا والآثار وقد جاء في أشعار
العرب وكلامهم كثيرا وفي الحديث اسكن حرافة فاعلم انك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم سل الارض تخبر
عن شئ أنهارها وغربحارها وفتق أهواءها ورتق أجوافها وأرسي جبالها ان لم تحبك حوار الجابتك اعتبارا
وانما الذي يتوقف على الاذهان ويتغير في قبوله السامعون ويتعجب منه كلام الجمادات والحيوانات الصامتات
ففي هذا وقع الانكار واضطرب النظر وكذب في تصحيح وجوده ذرو السمع من أهل الاعتبار واسكن لتعلم أن

فهكذا كان توحيد
السالكين لطريق
التوحيد في الفعل أعني
من انكشف له أن
الفاعل واحد

تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعهد عنه في المشهور يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي كما يتلقى أهل
النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين في بعض الاوقات
كحنين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم وكان بكفة حجر يسلم عليه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم في طريقه ومنها تلقى
الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود في خارج الحس ويعتري هذا في سائر الحواس كمثل ما يسمع
النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال والمرنى للنائم ليس له وجود في غير سمعه وأما ما يجده غير النائم
في اليقظة فمنها خاصة وعامة والعامة تشهد بصفة الخاصة كجاء في الحديث عن اليهود آخر الزمان الحجر ينادى
المسلم يا مسلم خلقي يهودى فاقته فان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا يذهب عنه معنى الحجر به أو يوكل بالحجر
من يتكلم عنه من يستتر عن الابصار في العادة من الملائكة والجن أو يكون كلامه يخلق الله تعالى في آذان
السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما قال في العرض الاكبر اذا نودي فيه باسم كل واحد على
الخصوص في الخلائق مثل المنادى اسمه به كثير وقد قالت العلماء انه لا يسمع النداء في ذلك الجمع الامن نودى
فيحتمل ان ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة اذنه ليحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه في اسمه ولا
يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة في الشرع وفيما سمعت منه مقنع ومنها تلقى الكلام في العقل وهو المستفاد
بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير عن اللفظ المسمى بالسان الحال كما قال قيس

وأجهشت للتو بادحين رأيتهم * وكبر للرجن حين رأيت

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك في عيش وخفض جنات

فقال مضوا واستودعوني بلادهم * ومن ذا الذي يبقى على الحدائن

وفي أمثال العوام قال الخاطا لا تدلم تشقني فقال الوندل للخناسل من يدقني فلو كانت العبارة يتأني منها ما عبرت
الابحافا فاستعير لها وعلى هذا المعنى حل كثير من العلماء قوله عز وجل عن السماء والارض حين قالتا أتينا
طائعين وقوله عز وجل عن السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وأشققن منها ومنها تلقى الكلام
في الخيال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى نونس بن مقي عليه عباة تان قطوانيتان يلبي وتجيبة الجبال
والله يقول لبيك يا نونس فقوله كأني يدل على انه تحلى حالة سمعت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لان نونس عليه
السلام قد مات وتلك الحالة منه قد سلفت وفي هذا الحديث اخبار عن الوجود والخيال في البصر والوجود والخيال
في السمع ومنها تلقى الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو أصواتا من شخص حاضر فيلقى عليه شبه غيره
بما غاب عنه كقوله صلى الله عليه وسلم في صوت أبي موسى الأشعري وقد سمعه بترنم بالقرآن لقد أوتى من سارا من
من امير آل داود ومن امير آل داود قد عدمت وذهبت وانما شبه صوته به او كذا اذا سمع المرء بصوت من مرار وعود
لغناء على غير قصيد تغنييل من بر أبواب الجنة وتشبهها بم الجاه صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فانت اذا
أحسن التصرف بين اثباتها ولم يعتكز غلط في بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عن نظر بمسكة نور الله
تعالى الى الكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له ما بال وجهك وكان أبيض مشرقا من نقا والآن قد ظهر عليه
السواد فلم سودت وجهك فقال الكاغد ما أنصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي بشيء لكن سل الحبر
فانه كان مجموعا في المهبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي فلما وعدونا فقال
ما أنصفت فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعلم الفكر وحدد النظر وحل الكلام الى
أجزاء التي انتظم منها جلة ما بلغت فتسأل عن معنى الناظر ومعنى نور الله سبحانه وما سبب ان لم يعرف الناظر
الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما اذا صدق الناظر الكاغد ولم
صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيه ذلك ههنا أن الناظر هو ناظر القلب فيما أورد عليه الحس والمشكاة
استعارة نقلت من مشكاة الزجاج التي أعمرت بسراج النار الى حبر المعرفة الملقب بسر القلب تشبيهها بالانها
مسرجة الرب تعالى يشعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتغال السر بطلوع نيران

كتب المعارف المذهبة بأذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافته الى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر
 لاجل التخصيص بالشرف واليكافد والخبر كناية عن أنفسهم لاعتبار غيرهما وجعلها مبداء طريقته وأول
 سلوكة اذهم ما في عالم الملك والشهادة الذي هو محل جملة الناظر في حال نظره واما سبب انه لم يعرف الكتابة ولا
 المكتوب فلاجل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي وانما يروم معرفة قراءه الخط الالهي الذي هو أبين وأدل
 على ما يفهم منه وأما مخاطبة الناظر للكاغد وهو جواد فقد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغده فعلى
 قدر حال الناظر ان كاد مراد فينتقي الكلام في الحس بما ينبيه على المطلوب من الحق وهو من الالتقاء في الروح
 فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فينتلقاه بلسان الحال
 المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصدق الناظر للكاغد في عذره وحالته على الخبر لم يكن بمجرد
 قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة وهذا صيقل الى اليد وهو آخر ما سئل عن أجزاء عالم
 الملك وأما ما يسمعه في عالم الجبروت وذلك من القدرة المحدثه الى العقل والعلم الموجودين في الانسان فمستقره
 في القوة الوهيمية المدركة جنيح ما يستدعي وجوده جسميا ولكن قد يعرض له أن يكون في جسم كما تدرك
 السخلة عداوة الذئب وعطف امها فتنبع العطف وتنفر عن العداوة وأما ما يسمعه في حد عالم الملكوت وذلك
 من العلم الالهي الى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه معد ومنه فسر القاب الذي يأخذ به عن الاثمة ويسمع
 ما بعد مكانه ودق معناه وغرب عن القلوب من جهة الفكر تصويره فاما أي شيء حقائق هذه المذكورات
 وما كنه واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة فذلك من علم لا يتنفع بسماعه مع عدم الشهادة
 والله قد عرفك بأسمائهم فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة كعلمك انك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات
 الى أن يخلق الله تعالى بأولي المشاهدات ويحصل بخالص الكرامات ومن كفر فان الله غني جيد

(فصل) والفرق بين القلم المحسوس في عالم الملك وبين القلم الالهي في عالم الملكوت أن القلم المحسوس كما
 علمته مجسم باطنية الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهالك خلفا عن مثله في الظاهر مجمعا تحت قهر سلطان
 الآدمي الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته مصرفا بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والظلم والعدل والشك
 والصدق وأما القلم الالهي فعباره عن خلق لله تعالى في عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر
 الحسية الكائنة في عالم الملك يرى انه من أوصاف ما سمي به القلم المحسوس كلها مصروف بين الخالق بحكم ارادته
 على ما سبق به علمه في زل الأزل وانما سمي بهذا الاسم لاجل شبه لعمل ما يشتهي به غير انه لا يكتب الاحقا
 بحق والفرق بين عيني الآدمي وعين الله عز وجل أن عيني الآدمي كما علمت مركب من عصباء تعصى بقاؤها
 وعسل تعضل ادلاؤها وعظام يعظام بلاؤها ولحم تمتد وجلد غدير ذي جلد موصولة بمثلها في الضعف والافصال
 ملقبة باليد وهي عاجزة عن كل حال وعين الله تعالى عند بعض أهل التأويل هي عبارة عن قدرته وعند بعضهم
 صفة لله تعالى غير القدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق الله تعالى وهي واسطة بين
 القلم الالهي الناقس للعلوم المحدثه وغيرها وبين قدرته التي هي صفة لها مصروف اليه الكاتب بالقلم المذكور
 بالخط الالهي المنبوت على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الاميون اذا شرحته
 صدورهم ويستجم على القارئ اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك عيني الآدمي في بعض الاسم لاجل الشبه
 اللطيف الذي بينهما في الفعل وتقريرا الى كل ناطق الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله من الذكر

(فصل) وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله عز وجل بعضه من بعض وصحبه التغير وحد
 عالم الملكوت ما وجد الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما أشبه أن
 يكون في الظاهر من عالم الملك غير بالقدرة الازلية تجاه من عالم الملكوت

(فصل) ومعنى أن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الاحاديث والعلامة فيموجها من
 بروي الحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فنهأ وقال ان الله خلق آدم على

صورته وتأولو اعدوا الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضوع ويكون الايمان به الى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غير موطن دليل السبب المنقول مما يعز وبعسر فليبق السبب على حاله وليتظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمله ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير في صورته عائدا على الله سبحانه ويكون في معنى الحديث على صورة هي مضافة الى الله سبحانه وهذا المضروب على صورة آدم فاذا هو العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله عز وجل ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى الاضافة وعلى أي جهة يحتمل في الاعتماد العلي على الله سبحانه ففيها وجهان احدهما أن يكون اضافة ملك الله تعالى كما يضاف العبد والبيت والناقة واليمن على أحد الأوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة تخصيص به عز وجل فن جلهما على اضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الاكبر بحملته لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزأه وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الاكبر واذا شابهت جملة أجزاء جملة أخرى فالجملتان بلا شك متشابهتان فن نظر الى تحليل صورة العالم الاكبر فقسّمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحو من منهما شيئا من ذلك انقسم قسمين ظاهري محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك انقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة وأشباه ذلك وقسمة أخرى وذلك أن العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس والى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منها وهو الانسان انقسم الى ما يشابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمثابه لعالم الملكوت فضل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمثابه لعالم الجبروت كالادراكات بالحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن وقسمة أخرى وذلك أن العالم انحل الى ما علم من أجزائه بالا استقرار فرأس الانسان يشابه سماء العالم من حيث ان كل ما علا فهو سماه وحواسه تشابه حواس الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشقة تستمد من نور الشمس فتضيء لها والحواس أجسام لطيفة تستمد من رواح قضى بذلك المدركان وروح الانسان مشابهة للشمس فيضيء العالم وهو نباته وحركته حيوانه وحياته فيما يظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل في الظاهر عن أجزاء بدنه ونبات شعره وخلق حيوانه وجعلت الشمس وسط العالم تقطع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط العالم وهي تغرب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية محمودة والنفس مثلها ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في أن لا يكون عقلها منها وبعثرى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوفه وبعثرى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهي العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في جميعها تطويل وفيها ذكرنا يحصل به لذوى العقول تنبيه فهذا آخر الكلام في أخذ وجهي الاضافة الذي في ضمير صورته والوجه الآخر هو ان من جل الاضافة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لان الله عز وجل أنبأنا بأنه حي قادر سميع بصير عالم يريد مستكلم فاعل وخالق آدم عليه السلام حيا قادرا سميعا بصيرا عالميا يريد امتكاما فاعلا وكانت لا آدم عليه السلام صورة محسوسة مكونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي الله سبحانه وتعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الاسماء تجتمع مع صفات آدم الالهي الاسماء التي هي عبارة بلفظ فقط لا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا وانما مرادنا تبين ما بين الصورتين بابتداء وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله عز وجل وتطلق عليها حالة الوجود

فافهم هذا فانه من أدق مليق قرع سمك وبلغ قلبك ويهرع قلبك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان جلت احدى الصورتين على الاخرى في الوجود تكن مشبهامطلقا ومعناه لتتبعن انك من المشبهين لا من المنزهين فقررت على نفسك بالنسبية معتقدا ولا تنكرو كما قيل كن يهوديا ولا تلعب بالثوراة أى تتلبس بدِينهم وتريد أن لا تنسب اليهم وتعتكف على قراءة التوراة ولا تعمل بها وان كنت لا تعتقد الصورة فكأن منزها فلا مقصد ساخلا أى ليس تعتقد من الصورة المضافة الى الله تعالى الا الاسماء دون المعاني وتلك المعاني المسماة لا يقع اليه اسم الصورة وقد حفظ عن السجلى كلام فى معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قولا بل يغاخصرا حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على معنى الاسماء والصفات لا على الذات فان قلت فكذلك قال ابن قتيبة فى كتابه المعروف بتناقض الحديث حيث قال صورة لا كالصورة فلم أخذ عليه فى ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرض به أكثر العلماء أهل التحقيق فاعلم أن الذى ارتكبه ابن قتيبة رحمه الله تعالى نحن أشد اعراضا منه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى الممنابه وأقدناك به بحول الله وقوته بل بدل منك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن عقل مرادنا حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم نخبرك اننا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتنا فى حالة الذات الذى يغلب على الظن فى ابن قتيبة رحمه الله تعالى انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أسرنا اليها وأخر جناها الى حيز الوجود بتأيد الله تعالى بالعبارة عنها وانما أظهره شئ لم يكن له به الف تحجير وعلاء الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذى عند ذوى القصور تشبيه وبين التأويل لم ينفعه فأثبت المعنى المرغوب عنه وأزال النقي ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما عترف فقال هو صورة لا كالصورة واسلك ساقطة لا قطة فتبادر الناس الى الأخذ عنه

*** (فصل) *** ومعنى فاطموا الطريق فانك بالوادي المقدس طوى أى دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي المقدس عبارة عن مقام الكلام مع الله تعالى فى الوادى وانما يقدم الوادى بما أنزل الله فيه من الذكر وسمع كلام الله سبحانه وأقيم ذكر الوادى مقام ما حصل فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقام هو الا فالقصود منه ما نفي لا ما ظهر بالقول اذ الموضع لا تأثير لها وانما هى ظروف

*** (فصل) *** ومعنى فاسمع بسر قلبك لما يوحى فله لك تجدد على النار هدى ولعلك من سرادات العرش تنادى بما نودى به موسى انى أنار لك الاعلى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وموارث الصدق وغمار المعارف وارباح سلوك الطريق وبشارات قرب الوصول وسر القلب كما تقول اذن الرأس وسمع الاذن وما يوحى أى ما يرد من الله عز وجل بواسطة ملك أو القاء فى روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب مثل مع العلم بتأويله واعل حرف ترج والمعنى ان لم تردك آفة تقطعك عن سماع الوحي من اعجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أو فتور بما وصلت اليه واستبداد به عن غيره وسردقات المجدى بحجب الملكوت وما نودى به موسى عليه السلام هو علم التوحيد الذى وقعت العبارة اللطيفة عنه بقوله اننى أنا الله لا اله الا أنا فالننادى باسمه ازل وأبد هو اسم موسى لا اسم السالك لانه الموجود فى كلام الله تعالى فى ازل الازل قبل أن يخلق موسى وكلام الله صفة لا تتغير كما لا يتغير هو وقد زل قوم وعظم افتراؤهم حين جعلوا صدد هذا القول عن اعتقاد اكتساب النيرة وعباد الله من أن يحتمل هذا القول ما جلا من الذهب السوء وهم يعرفون ان كثيرا من يكون بحضرة ملك من الملوكة الدينية وهو يخاطب انسانا آخر قد ولاد ولاية كبيرة فووض اليه عملا عظيما وجباة جباة خطيرا وهو يناديه باسمه ويأمره بما يعتدل من أمره ثم ان السامع للملك الماض غير المولى لم يشارك المولى والمخلوع عاياه والمفوض اليه فى شئ مما ولى وأعلى ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من خطوة القرية وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية والمفوض اليه الامر كذلك هذا السالك المذكور اذا وصل فى طريقه بذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمباشرة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم فلا يتمتع أن يسمع لغيره ما يوحى من غير أن يقصده هو بذلك اذ هو محل سماع الوحي على الدوام وموضع الملازمة

وكفى بهم انهم حضرة الربوبية وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا النبوة ولا استوجب التكليم وسماع
الوحي مقصودا بذلك بحاوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين
خصه بمعنى آخر ربي على ذلك المقام اضعا فاجاز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الاولياء اول مقامات الانبياء
وموسى عليه السلام نبي مرسل فقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لان هذا المقام الذي هو المرتبة
الثالثة ليس من غايات مقام الولاية بل هو أول مبادئها أقرب منه الى غاياتها فمن لم يفهم درجات المقامات
وخصائص النبوات وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها واللعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يظن
أنه مؤاخذ بكلامه ومحاسب بظنه ويعينه مكتوبة عليه خطراته محفوظة عليه خطاياه محصاة منه يقظاته
وغفلاته فبإلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له سماع نداء الله تعالى ونداء الله
كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبهنا ان
تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح ان يكون لغيره ممن ليس
بنبي ولا رسول فنقول اذ قيدنا التشعيب وقصدنا درة الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية
ما ورد ما قلناه ولا يكسره فمأوجبتنا ان يكلمه قصدا ولا يتجرأ بالخطاب عدا وانما قلناه يجوز ان يسمع
ما يخاطب الله عز وجل غيره ممن هو أعلى منه فليس من سمع كلام الانسان مثلاما يكلم به غير السامع يقال
انه كلمه وقد حكى أن طائفة من بني اسرائيل سمعوا كلام الله الذي خاطب به موسى عليه السلام حين كلمه
ثم اذا ثبت ذلك لم تجب لهم درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على أن يقول نفوس ورود
الخطاب الى السامعين من الله عز وجل لا يمكن الاختلاف فيه فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله الذي القديم
بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يليق في روعه وبما
ينادي به في سمعه أوسره أو أشباه ذلك مما ذكرنا قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله تعالى
مع موسى انهم سمعوا صوتا كالناقور وهو القرن فاذا سمع ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب في موسى
عليه السلام سمع كلام الله بالحقيقة التي هي صفة بلا كيف ولا صورة فظم بحروف وأصوات والذين كانوا معه
أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة عليه كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المكتوبة بها القرآن كلام
الله عز وجل اذهي دلالة عليه فان قلت فما ينبغي على السامع اذا سمع كلام الله تعالى يستفيد به معرفة وحدانيته
وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه بما يلحقه العلم الضروري فما أرى فانه النبي المرسل الابان شغل
باصلاح الخلق ودونه ولو كان عوضا منسه أخرأ عنه وقام مقامه فاعلم ان هذا الذي أوجب غورك ودوام ذلك
واعراضك عن العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالغمائل أثبت بعيد عن غور المطالب بعيد في شرك المعاطب فبعد
صوب الصواب عنيد عند صاحب الصواب ان الذي استحق به الناظر السالك الواصل الى المرتبة الثالثة سماع نداء
الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاول وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة
بالخطاب والقصد وبين من لا يستحق أكثر من سماعه حين يخاطب به غيره هذا مع الإشارة باختلاف ورود
الخطاب اليهم مما يوجب ويقرر تبان ما بينهما فان فهمت الآن والافدعني لا تدر بحالي فان قيل ألم يقل الله
تعالى فلا ينظر على غيبه أحد الا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بتعاني بتجيب أو بتعير بحجاب وسماع
ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحسن أن أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس
برسول قلنا في الكلام تقديم وتأخير وحذف يصح على صحة تعدد الشرع الصادق والمشاهدة الضرورية
وهو أن يكون معناه الامن ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول باخلاص واستقامة أو عمل بما جاء به لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل ينفي ما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال
ان يكن منكم محدثون فكمروا كما قال وقال المؤمن ينظر بنور الله وفي القرآن العزير وقال الذي عنده علم من
الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلعل ما غاب عن غيره من امكان اتيان ما وعده به وزاد أنه قد روي عليه

ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد نبأ الله سبحانه عن ذى القرنين من اخباره عن الغيب وصدق فيه حين قال فاذا جاء
وعدر بي جهله ذكاه وكان وعدى حقا وان كان وقع الاختلاف في نبوة ذى القرنين فالاجماع على أنه ليس برسول
وهو خلاف المشر وط في الآية وان أراد أحد المرافعة بالاخبار لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يد الذي
عنده علم من الكتاب وأراد أن يروجه على غير لا يفرق بين السنة والحقائق فما يصنع فيما جرى للتخضر
وما نبأ الله سبحانه عنه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من
الجميع والله تعالى يقول الامن ارتضى من رسول فدل على أن في الآية حذف ينضاف معناه الى ما ظهر من الكلام
فكان سعد رضى الله عنه يرى الملائكة عليهم السلام وهو غيب الله وأعلم أبو بكر رضى الله عنه بما في البطن
وهو من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا تجز العقول وتبهر المعاندو يحتمل أن يكون المراد من الآية
بالرسول المذكور فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنزل العلوم وتكشف الغيوب فحق لم يرسل الله ملكا باعلام
غيب اما بخطاب مشافهة أو القاء معنى في روع أو ضرب مثل في بقطة أو منام لم يكن الى علم الغيب سبيل ويكون
تقدرا الآية فلا يظهر على غيبه أحد الامن ارتضى من رسول أن يرسله الى من يشاء من عباده في بقطة أو منام
فانه يتلصق على ذلك أيضا وتكون فائدة الاخبارهم ذاتي الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شئ من مكفونااته
واعلامه انه لم يصل اليها بنفسه لا بمخلوق سواء الا بالله عز وجل حين أرسل اليه الملك بذلك وبعثه اليه حتى
يبرأ المؤمن من حوله ومن قوته ويرجع الى الله سبحانه وحده ويتحقق أنه لا يرد عليه شئ من علم أو معرفة
أو غير ذلك الابارادته ومشيتته ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون والله أعلم الامن ارتضى من رسول يريد من
سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من رسول على يد رسول من الملائكة

(فصل) ومعنى ولا تتخطى رقاب الصديقين وما الذي أوصله الى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في المرتبة الثالثة
حال المقرين فاعلم أنه ما وصل حيث طنت فكيف يجاوزه وانما خاصة من في مرتبة الصديقية عدم السؤال
الكثرة التحقيق بالاحوال وخاصة من هو في مرتبة القرب كثرة السؤال طمعاني بلوغ الآمال وأمثالهما فيما
أشهر اليه مثال انسانين دخلا في بستان وأحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار
ويعلم أسماءها وما نفعها فهو لا يسأل عن شئ يراه ولا يحتاج الى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيئا أو يعرف
بعضها ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقي وكذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال
عساه يتجاوز سؤال حاله ويختلف مقامه الى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما في ذلك الوقت أو أبدا لا بد
وتلك العلوم لا تنال بالكسب وانما تنال بالتحقيق الى الالهية فليس له لا تتخطى رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما
لا يتخطى به وليس هو من الطرق الموصلة الى مقامهم فارجع الى الصديق الأكبر فاقننه في أحواله وسيرته
ففساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حال القرب وهو تلوا الصديقية هذا معناه

(فصل) ومعنى انصرف السالك الناطر بعد وصوله الى الرفق الاعلى انه لما وصل اليه بالسؤال صرف الى
مالا يقبه من الاحوال ليحكم ما بقى عليه من الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه من غرائب
العلم اذهب فاحكم ما هنالك وكذلك أعلمك من غرائب العلم فاما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع
بالتذكير وفوائد المزيد ووجه آخر ان لم يستطع المقام في ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق جزء المعرفة
بالبدن وممكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن في العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت
الاورصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا قدر ما سبق في علمه ولم تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبي سليمان
الداراني لو وصلوا ما رجعوا الى حال الانتفاص من وصل الى حال الاخلاص والذي طمع الناطر في
الحصول فيسه بسؤاله وتماديه الى حال القرب منه اذا لم يصلح لذلك ولم يصفه ولم يخلص في أعماله انتهى لفظ
الاملا ولنعلم الى شرح كلام المصنف (فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد) المشار اليه (الى أنه ينبغي على
الايان بعالم الملكوت فن لا يفهم ذلك أو يحجده فباطريقه فاقول أما الجاحد فلا علاج له الا أن يقال انكارك

فان قلت فقد انتهى
هذا التوحيد الى أنه
يتبنى على الايمان به الم
الملكوت فن لا يفهم ذلك
أو يحجده فباطريقه
فاقول أما الجاحد فلا
علاج له الا أن يقال
انكارك

لعالم المملوكون كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا القدرة والارادة والعلم لانهم لا يدركون بالحواس الخمس فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس فان قالوا انهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه (٤١٨) مما داروا بالحواس الخمس كانكار السوفسطائية بالحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لانتق

به فاعلمنا نراه في المنام فان قالوا انهم جلستهم فاني شاك ا ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك اياما قلائل وما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يمجّد ولكن لا يفهم فطريق السالكين معه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم المملوكون فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الازالة والتقية اشتغلوا بتقية اشتغال الكمال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره أرشد الى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه ان يسمع كلام ذرات الملك والمملوكون بشهادة التوحيد بكلوه بحرف و صوت وردوا ذرة التوحيد الى حضيض

لعالم المملوكون كانكار السمنية) يضم السين المهملة وفتح السين الخفيفة (لعالم الجبروت) وهم فرقة تعبد الاصنام وتقول بالتناسخ وتنكر حصول العلم بالخبر (وهو الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس وأنكروا القدرة والارادة والعلم لانهم لا يدركون بالحواس الخمس) قبل نسبة الى سومنات بلدة من الهند على غير قياس كما في المصباح أو نسبة الى صنم كانوا يعبدونه اسمه كذلك وسميت البلدة به (ولازموا حضيض عالم الشهادة) وأنكروا وتحقيق الحقائق واتصافها بالوجود في نفس الامر (فان قالوا انهم فاني لا أهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئا سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مجاوزا للحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس) وهم طائفة من حكماء اليونان ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون انه ليس ههنا ماهيات مختلفة وحقائق متميزة فضلا عن اتصافها بالوجود اثبات بعض الى بعض على وجه شتى بل كاهها أو هاهم لأصل لها وسوفسطائية موانية معناها طالب الحكمة (فانهم قالوا ما نراه لانتق به فاعلمنا نراه في المنام) شبه الخيالات الباطلة (فان قالوا انهم) ومن جلستهم (فاني شاك في المحسوسات ايضا فيقال هذا شخص) قد فسد مزاجه واختل نظام تركيبه (وامتنع علاجه فيترك) ولا يعالج (فما كل مريض يقوى على علاجه الاطباء) وفي حكم هذين ان كان يرفض الشهادة القوية والمشهدات الجلية لشبهة فاسدة ومغلطة كأمدة فيكون من العنادية وهم أسوأ حالا من السمنية والسوفسطائية وأمثل طريقة هؤلاء الأدبية حيث توقفوا عند اشتباه الامر لديهم والتباس الحال عليهم ولكنهم لا يتخلون عن الجحود أيضا (هذا حكم الجاحد وأما الذي لا يمجّد ولكن لا يفهم) لجفاء في تابعه وبلادة في فهمه (فطريق السالكين فيه أن ينظروا الى عينه التي يشاهد بها عالم المملوكون فان وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء أسود) أو أصفر منعه عن النظر (يقبل الازالة والتقية اشتغلوا) أولا (بتقية) وازالته بتجو القدر وغيره مثل (اشتغال الكمال) الخاذق (بالابصار الظاهرة) بما دواها بالكمال اللطيفة (فاذا استوى بصره) وقوى نوره (أرشد الى الطريق ليسلكه) بلا مانع (كفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص أصحابه) أزال بنظره الباطنة فاشرفت الانوار في صدورهم وأعينهم ثم أرشدهم (فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والمملوكون بشهادة التوحيد) كما سبق من قول الشاعر وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد

(كلوه بحرف وصوت وردوا ذرة التوحيد الى حضيض فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيدا اذ يعلم كل أحد ان المنزل بفسد بصاحبين والبلدي بفسد باميرين) وان السفينة تفسد برئيسين ومن الحال عقلا تغاف الحاكمين المشتركين على تدبير واحد لا يعارض بعضهم بعضا (فقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدر) في الكائنات (واحد اذ لو كان فهما آلهة الا الله لفسدتا) أي لغالب بعضهم بعضا ففسد نظام العوالم بسببه ولم يبق على طريقة واحدة لكن الشمس والقمر تجريان بحسبان واحد والجوار الخنس والبروج من السكواكب وسائر النجوم لم تتخل أحوالها فمما خلقت له ولم تتخل مرا كزها ومسالكها والسماء قائمة قياما لا يتخلف والسحاب يجري بالماء المنافع أهل الارض في أوقات الحاجة اليه والجوب والثمار تخرج على وتيرة واحدة والبشر كلهم وكل جنس من الحيوان على ما هو عليه من الصور المخصوصة بكل جنس فانتفاء لازم التعدد وهو الفساد معلوم قطعاً يقينا فالمرم وهو التعدد متفق قطعاً يقينا فهذه الدلالة عقلية محضة على وحدانية البارئ جل جلاله (فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه فهذا الطريق اللائق بقدر

فهمه فان في عالم الشهادة أيضا توحيد اذ يعلم كل أحد ان المنزل بفسد بصاحبين والبلدي بفسد باميرين فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدر واحد اذ لو كان فهما آلهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق مارآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه فهذا الطريق اللائق بقدر

عقله وقد كاف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عاداتهم في المحاوراة فان ذلت فذل
هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان (٤١٩) الاعتقاد اذا قوى عمل الكشف

في اثاره الاحوال
الا أنه في الغالب
يضعف وينسارع اليه
لاضطراب والتزلزل غالبا
ولذلك يحتاج صاحبه
الى متكام يحرسه
بكلامه وألى ان يتعلم
هو الكلام لبحر من به
العتيدة التي تاقظهم
استاذة أو من أوبه أو
من أهل بلده وأما الذي
شاهد الطريق وسلكه
بنفسه فلا يخاف عليه
شي من ذلك بل لو كشف
الغطاء لما ازداد يقينا
وان كان يزداد وضوحا
كما ان الذي يرى انسانا في
وقت الاسفل لا يزداد يقينا
عند طلوع الشمس بأنه
انسان ولكن يزداد
وضوحا في تفصيل خلقه
وما شال المكشفين
والمعتدين الا كسحرة
فرعون مع أصحاب
السامري فان سحرة
فرعون لما كانوا مطلعين
على منتهى تأثير السحر
اطول مشاهدتهم
وتجسرتهم وأمن
موسى عليه السلام
ما جاوز حدود السحر
وانكشف لهم حقيقة
الامر فلم يكثر توبه

عقله) ولا يجدي معه الا ذلك فيصلى عقله الى ادراكه بطريق العبارة تكميلا للحمية (وقد كاف الله الانبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم) وذلك فيما ورد نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم -
رواه الديلمي من حديث ابن عباس (ولذلك نزل القرآن على لسان العرب وعلى حد عاداتهم في المحاوراة)
وهذا يشير الى أن الملازمة في الآية عادية والحجة اقتناعية على ما هو الابق بالخطايات وقد سبق لهذا البحث المام
بالتفصيل في شرح الكتاب الثاني عند ذكر برهان التامع (فان قلت فذل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح
أن يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد اذا قوى) في القلب ورسخ (عمل عمل الكشف
في اثاره الاحوال) من مكائدها (الا أنه في الغالب يضعف وينسارع اليه الاضطراب والتزلزل غالبا) وقيل معتقد
ثبت في اعتقاده (ولذلك يحتاج صاحبه الى متكام يحرسه بكلامه) بان يثبت بالدلة القوية وينفي عنه ما يرد عليه
من الشكوك (أولى أن يتعلم هو الكلام لبحر من به العتيدة التي تاقظهم استاذة أو من أوبه أو من أهل بلده
وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك) أي من الاضطراب والتزلزل وهو الذي هداه
الله بنور العقل المجرد عن الامور العادية وشرح صدره (بل لو كشف الغطاء) عن حقائق الامور (لما ازداد
يقينا) فيها عما كان قد ظهر له وهذا القول قد نسب الى علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما زدني يقينا وهذا
المقام لا يخص به الا الاحكام من هذه الامة (ولكن يزداد وضوحا) وترقيها وهذا (كان الذي يرى انسانا في وقت
الاسفل) قبل طلوع الشمس (لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس) بانه انسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل
خلقته وما شال المكشفين (المشاهدين الذين انكشف لهم سر الطريق) (والمعتدين الا كسحرة فرعون) الذين
كان جهم لقاومة موسى عليه السلام وكان أكثرهم من صعيد مصر وكانوا زهاء سبعين ألفا (مع أصحاب
السامري) منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة والسامري هذا اسمه موسى بن طفر كان
عاجلا منافقا من كرمات وقيل من باحري قال المسعودي السامرة فرقة من اليهود تخالفهم في أكثر الاحكام
وينكرون نبوة داود عليه السلام وما بهداه من الانبياء وقالوا الانبياء بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون بن
عمران ويقولون لامساس ويزعمون ان نابلس هي بيت المقدس وهم صفات الكوشان والدوشان (فان سحرة
فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر اطول مشاهدتهم) كثرة (تجسرتهم فرأوا من موسى عليه
السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الامر) وتحققوا انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة
من معجزاته فالتقاهم ذلك على وجوههم سجدوا لله توبة عما صنعوا واعتابوا وعظما الساروا (فلم يكثر توبه
فرعون) لانهم لما قالوا آيات هرون وموسى قال فرعون لا آمنتم به قبل أن أذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم لسحر (فلا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) ولا صلبكم في جذوع النخل (بل قالوا لن نؤثر) أي
لن نتخارك (على ما جاءنا) موسى به (من البينات) المعجزات الواضحات (والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض) أي
ما أنت قاضيه أو صانعه أو حاكم به (انما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي انما تصنع ما نهوا أو تحكم بما تراه في هذه
الحياة الدنيا (فان البيان والكشف يمنع التغيير) كما هو شأن عالم الملكوت (وأما أصحاب السامري) وكانوا زهاء
خمس مائة ألف (لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان) وهو العصا التي كانت في عنقه أمر بالقائم فاذا هي
ثعبان مبين فتلقفت ما القوا من الحبال والعصى وقد دهنها بالزيت فلما أحست بحر الشمس تحركت (فلما
نظروا الى عمل السامري) الذي كان اتخذ من حلي القوم وكانوا استعاروا أحلاما منهم القبط ليعيدهم فلم
يردوها بخافة ان يعلمهم وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه وأوهم لهم السامري ان
موسى انما أخلف معكم مبعاده لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان تحفروا حفرة وتمجروا فيها نارا

فرعون لا تطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف بل قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض هذه
الحياة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغيير وأما أصحاب السامري لما كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى عمل
السامري

وسمعو اخواره تفسير او سمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا انه لا يرجع اليهم قولوا ولا تلك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى
 ثعبان يكفر لا بحالة اذا نظر الى عمل لان كلهم ممن عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم المالكوت فهو من عند الله
 تعالى فذلك لا يتجدد فيه اختلافات وأضدادا أصلا فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهرهما ثبت أن الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك
 ظاهر الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد ان يشاء ولا يشاء ان
 لم يرد ان يشاء لكان هذا امزلة القدم (٤٢٠) وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ان يشاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه

ونعقد كل ما معناه انفعلا فخرج لهم بجلا جسد من تلك الحلي المذابة (وسمعو اخواره) أي صوته وكان قد
 قبض قبضة من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام فبذرها في جوفه فجي وظهر له صوت (تغيروا وسمعوا قوله هذا
 الهكم واله موسى) وهو من قول السامري قال ذلك أول ما رآه فسمعوه واتبعوه (ونسوا انه) أي العجل
 (لا يرجع اليهم قولاً) أي كلاما ولا يرد عليهم جوابا (ولا تلك لهم ضرا ولا نفعاً) أي لا يقدر على انفعائهم
 واضرارهم (وكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا بحالة اذا نظر الى عمل لان كلهم ممن عالم الشهادة والاختلاف
 والتضاد في عالم الشهادة كثير وأما عالم المالكوت فهو من عند الله تعالى فذلك لا يتجدد فيه اختلافات وأضدادا أصلا
 فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهرهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر) لا مرية فيه
 (الا في حركات الانسان فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا) فان من شأن المسخر ان
 لا يكون له اختيار أصلا (فاعلم انه لو كان مع هذا يشاء ان أراد ان يشاء ولا يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان
 هذا امزلة القدم وموقع الغلط ولكن علم انه يفعل ما يشاء اذا شاء ويشاء شاء أم لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ
 لو كانت اليه لا تقترن الى مشيئة أخرى وتسلسل الى غير نهاية) والتسلسل باطل (واذا لم تكن المشيئة اليه
 فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا بحالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة
 فالحركة لازمة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في
 القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة ولا انصرف القدرة الى
 المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع فان قلت فهذا جبر محض
 وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى من غير أن تثبت للقدرة لا موقرة ولا كاسية وهو مذهب جهنم بن
 صفوان واتباعه (والجبر يناقض الاختيار) وهو طلب ما فيه خير (وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون
 مجبوراً فاقول لو انكشف الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبر) لانه تعالى اجبر الناس على أمور
 لا انفكاك لهم منها حسب مقتضيه الحكمة الالهية لا على ما يتوهمه الغواة كإكراههم على المرض والموت
 والبعث وسخر كل منهم لحرفة يتعاطاها وطريقة من الاعمال والاخلاق يتجرها فاما راض بصنعة لا يبغي عنها
 حولا واما كاره يكادها مع كراهته كانه لا يجد عنها بدلا (فهو اذا مجبر على اختيار) أي في صورة مجبر
 (فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا يليق بما نذكر
 متطافلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا بيان (علم المعاملة) ومباحث علم الكلام انما نذكر فيه على
 سبيل التبعية (ولكنني أقول لفظ الفعل في الانسان) الذي هو التأثير من جهة مؤثر أعني أن يكون بإيجاده
 أو بغيره و يعلم أو بغيره ويقصد أو بغيره (يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصبع ويتنفس
 بالزئ والخنجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
 الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد) فانه مضطر مجبر في كل منها (ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور
 فاعرب لك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه) أي وجه الماء (فلا طبعها) نسب

اذ لو كانت اليه لا تقترن
 الى مشيئة أخرى وتسلسل
 الى غير نهاية واذا لم تكن
 المشيئة اليه فمهما وجدت
 المشيئة التي تصرف القدرة
 الى المقدورها انصرفت
 القدرة لا بحالة ولم يكن
 لها سبيل الى المخالفة
 فالحركة لازمة ضرورة
 بالقدرة والقدرة متحركة
 ضرورة عند انجزام
 المشيئة فالمشيئة تحدث
 ضرورة في القلب فهذه
 ضروريات ترتب بعضها
 على بعض وليس للعبد
 أن يدفع وجود المشيئة
 ولا انصرف القدرة الى
 المقدور بعدها ولا وجود
 الحركة بعد بعث المشيئة
 للقدرة فهو مضطر في
 الجميع فان قلت فهذا
 جبر محض والجبر يناقض
 الاختيار وأنت لا تنكر
 الاختيار فكيف يكون
 مجبوراً فاقول لو
 انكشف الغطاء لعرفت
 انه في عين الاختيار
 مجبور فهو اذا مجبور

الى
 على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحا جريلا
 يليق بما ذكره متطافلا وتابعا فان هذا الكتاب لم يقصد به الا علم المعاملة ولكنني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه اذ يقال
 الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالزئ والخنجرة ويحرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه
 الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فاعرب لك عنها ثلاث عبارات فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على
 وجهه فعلا طبيعيا

ويسمى تنفسه فعلا اراديا ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهمما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون انخرق بعد التخطى ضرور ياوالتنفس في معناه فان نسبة حركة الخبيرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا بعد وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان اضطرازا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الاجفان اضطرازا فعل ارادى واسكنه اذا تامل صورة الالة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة لتغميض ضرورة وحدثت الحركة بمأولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدره والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا وأما الثالث وهو الاختباري فهو (٤٢١) مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال

فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه وبينا ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه موافقك من غير تحير وتردد الى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك ووافق فلا جرم تتبع الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما

الى طبيعة الانسان وهو المزاج المركب من الاخلاط (ويسمى تنفسه في الماء فعلا اراديا) منسوب الى الارادة وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل (ويسمى كتابته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لانه مهمما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق) كل من الماء والهواء (لا محالة فيكون انخرق بعد التخطى) والوئوع (ضرور ياوالتنفس) من الرئة وان لم يكن مثله فهو (في معناه فان نسبة حركة الخبيرة الى ارادة التنفس كنسبة انخرق الماء الى ثقل البدن فهما كان الثقل موجودا بعد وليس الثقل اليه وكذلك الارادة ليست اليه وكذلك لو قصد عين الانسان بارة طبق الاجفان) عليها (اضطرازا ولو اراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان اضطرازا فعل ارادى ولكنه اذا تامل صورة الالة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بمأولو اراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدره والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا) فصار حكمه حكمه في ظهور الجبر فيه (وأما الثالث وهو الاختيار فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي ينال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا) في بادئ الرأي (ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكتشف عنه) بايضاح (وبينا ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بانه موافقك من غير تحير وتردد الى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد) ولا تحير (أن يقصد عينك مثلاً بارة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك ووافق) لك (فلا جرم تتبع الارادة بالعلم) وتتبع (القدرة بالارادة) وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكرة حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والرؤية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه لارادة اختيارا مشتقا من الخير (أي هو انبعث الى ما ظهر للعقل انه خير) بشير الى انه لازم ومن قال انه متعسفان معناه طلب الخير (وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخيرية في دفع السيف) عنه (ظهرت من غير روية) وفكر (بل على البدنية وهذا اقتصر الى الروية) والفكر (فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيماله في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو يحكم خرم من العقل ولذلك لو اراد الانسان

يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج الى روية وفكرة حتى يتميز ان الخير في الفعل أو الترك فاذا حصل بالفكر والرؤية العلم بان أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكرة فانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان فاذا انبعثت لتفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه لارادة اختيارا مشتقا من الخير أي هو انبعث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعثها الى ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الآن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البدنية وهذا اقتصر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيماله في ادراكه توقف وعن هذا قيل ان العقل محتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الابحكم الحس والتخييل أو يحكم خرم من العقل ولذلك لو اراد الانسان

ان يحزرقبة نفسه مثلام يمكنه لا العدم القدرة في اليد ولا العدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها
تنبعث بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقا وقته نفسه ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة
لائطاق فان العقل هنا يتوقف في (٤٢٢) الحكم ويتدللانه تردد بين شر الشرين فان ترجله بعد الروية ان ترك القتل أقل شرالم يمكنه

قتل نفسه وان حكم بان
القتل أقل شرا وكان
حكمه جزا لا ميل فيه
ولا صارف منه انبعثت
الارادة والقدرة وأهلك
نفسه كالذي يتبع
بالسيف للقتل فانه يرى
بنفسه من السطح مثلا
وان كان مهلا كولا يبالى
ولا يمكنه أن لا يرى نفسه
فان كان يتبع بضرب
خفيف فان انتهى الى
طرف السطح حكم العقل
بان الضرب أهون من
الرمي فوقت أعضائه
فلا يمكنه أن يرى نفسه
ولا تتبع له داعية البتة
لان داعية الارادة مسخرة
بحكم العقل والحس
والقدرة مسخرة للداعية
والحركة مسخرة للقدرة
والكل مقدر بالضرورة
فيه من حيث لا يدري
فانما هو محل ويجري لهذه
الامور فاما أن يكون منه
فكلا ولما فاذا معنى
كونه مجبور ان جميع
ذلك حاصل فيه من غيره
لامنه ومعنى كونه مختارا
انه محل لارادة حدثت
فيه جبر بعد حكم العقل
بكون الفعل خيرا محضا
موافقا وحدث الحكم

ان يحزرقبة نفسه مثلام يمكنه (لا لعدم القدرة في يده ولا لعدم السكين) أو بالسيف (ولكن لفقد
الارادة الداعية المشخصة للقدرة وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقا له
(وقته نفسه ليس موافقا له) فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لائطاق
لشدتها (فان العقل هنا يتوقف في الحكم ويتدللانه متردد بين شر الشرين فان ترجله بعد الروية)
والفكر (ان ترك القتل أقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل أقل شرا وكان حكمه جزا لا ميل فيه
ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف) وقد شهره (للقتل فانه يرى نفسه
من) أعلى (السطح مثلا وان كان مهلا كولا يبالى) من ذلك (ولا يمكنه ان لا يرى نفسه فان كان يتبع بضرب
خفيف) غير هلك كصا أو حجر أو نحوها (فان انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب أهون من
الرمي فوقت أعضائه فلا يمكنه ان يرى نفسه ولا تتبع له داعية البتة لان داعية الارادة مسخرة لحكم العقل
والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يصدر منه بالضرورة فيه من حيث لا يدري
فانما هو محل ويجري لهذه الامور واما أن يكون منه فكلا ولا فاذا معنى كونه مجبرا ان جميع ذلك حاصل فيه من
غيره لامنه ومعنى كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبر بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا موافقا وحدث
الحكم أيضا جبرا فاذا هو مجبر على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض
وفعل الانسان منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فنانا لما
نوعا آخر (واتموا) أي اقتدوا (فيه بكاتب الله تعالى فسموه كسبا) يشير الى قوله تعالى لهما ما كسبت
وعلمهما ما اكتسبت والمراد باهل الحق هنا الاشاعة فانهم الذين سموا ذلك كسبا ولذلك ضربوا به المثل فقالوا
أدق من كسب الاشعري وأما ما تريد به فانهم استمروا على اطلاقهم بلنظ الاختيار وقد تقدمت الإشارة الى
هذا في شرح قواعد العقائد (وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه) وحاصل
ما ذكره في الكسب بعد نقل أقوال تقدم ذكرها في محلها ان القدرة بالنسبة الى المقدر تعلقين فغنى الكسب
أن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل تعلقا لا يترتب عليه وجود المقدر ومن ههنا قيل لم يثبت من
معنى الكسب غير مقارنة بالقدرة بالفعل والذي يلوح بالتأمل الصادق ان الانسان اذا فعل فعلا اختاريا فلا
محالة يتصوره أولا بوجه ملام وهذا التصور ليس من قبل نفسه عند غير المعبر له على انه قد يقع ذلك في نفسه
من غير توهم اختيار منه ثم ينبعث من ذلك التصور شوق اليه فتشتاق نفسه الى حصوله وهذا الشوق أيضا من
قبل الفياض لكنه يتفاوت قوة وضء فحسب تناوت النفات النفس الى ذلك المنصور واستحسانه فربما
يعرض عنه ويتصوره بوجه غير ملام على وجه ما يضعف شوقه اليه وتقل رغبته فيه وربما يعجب به ذلك الامر
زيادة إعجاب قديم ملاحظته اياه ذلك الوجه ويكسب عليها فيكمل شوقه اليه على حسب ذلك فينبعث منه
طلب الى نعله وقصد الى تحصيله ليرتب منه الفعل عليه اما تخلفه تعالى على مجرى عادته أو بتأثير قدرة العبد
ثم ان تمكن الانسان من الفعل والترك انما يتوهم من أمرين من هذه الامور الاول الاعراض عن تصور
المطلوب على الوجه الملام والالتفات الى وجه آخره وترك ذلك وينبغي لمن يقول بكون الانسان قادرا أن يقول
بذلك ان ليس فيه ما ينافي استبعاد الخالق بخاق الموجودات لكن الاظهر ان ذلك أيضا تابع للهيئات المزاجية
والعوارض النفسانية الجبلية المكتسبة الخلقية أو غير الخلقية كما هو مذهب الحكماء وامام الحرمين وان
كان له أن يغير تلك الهيئات ويبدلها بتوفيق الله تعالى بان يتمل في أفعاله وما هو داع اليها من أحواله والثاني

الطاب أيضا جبرا فاذا هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض
الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار وطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فنانا لما
كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه

وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من الاستعارة والتجوز وذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قيل فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من المتقدم فان ذلك فقد حكمت بحديثي لامن قدرة الله تعالى وان أثبت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم أن القول بان (٤٢٣) بعض ذلك حدث عن بعض جهل

الطلب المنبعث عن الشوق المسمى بالقصد والارادة فينبغي أن لا يستند ذلك الى الانسان ولا يجعل متمكنا من تركه مثل الحياء والكسل ترتب سائر العادات على أسبابها والله أعلم (وفعل الله تعالى يسمى اختيارا بشرط أن لا يفهم من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال) لانه أحدى الذات واحد الصفات وأمره واحد وعلمه بنفسه وبالاشياء واحد فلا يصح لديه تردد ولا مكان حكمين مختلفين بل لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في نفسه فالاختيار الالهى انما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس (وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى الاعلى نوع من الاستعارة والتجوز) اذا كانت حقائقها توهم ما لا يليق بذاته تعالى (وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه فان قيل فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وان كل متأخر حدث من مقدم فان قلت ذلك) واتخذته مذهباً (فقد حكمت بحديثي لامن قدرة الله تعالى) وذلك باطل (وان أثبت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم ان القول بان بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو غيره) والقول بالتولد باطل بل لا يصدر من فعل من أفعالنا الا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته ويدل على ذلك قوله تعالى توحي أكلها كل حين باذن ربها والقول بالتولد هو قولنا ناسمه المعتزلى فانه زعم ان الافعال المتولدة لا يقدر عليها أحد الا فاعل لها عند هذا الجواب انه لو جاز ثبوت فعل لافاعله ولا قادر قدر على احداثه لم ينكر أن يكون ذلك حكم سائر الافعال فلا يكون في الفعل داليل على اثبات فاعل ولا صانع قادر كما انه لو جاز حدوث جسم لامن محدث لم ينكر حدوث جميع الاجسام لامن محدث أحدثها ولم يكن حينئذ في حدوث الاجسام دلالة على محدثها (بل حواله جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية) وهى الصفة التى لا جها لها يكون القادر قادراً (وهو الاصل الذى لم تقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة) من غيرهم (وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا) على قياس الغائب على الشاهد (وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول) وقد سبقت مباحث القدرة في شرح الكتاب الثانى من هذه الكتب (ولكن بعض المقدرات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة ارادة الابداع علم ولا علم الابداع حياة ولا حياة الابداع محال الحياة) فوجود الحياة شرط في وجود القدرة والعلم والارادة وحدث القدرة والارادة فيما ليس بحى محال وكل نوع من الادراك مختص بالحي وما لا حياة فيه لا يصح أن يكون مدركا (وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازم) فهمه من فهمه وجهله من جهله (وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا) لا فائدة فيه (بضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا أشار قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث) بقدرة القادر (على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذى وجد) وهذا أحد الوجوه فى تصحيح قول المصنف الا ترى ليس فى الامكان أبدع مما كان (فما تأخر متأخر الا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حواله جميع ذلك على المعنى الذى يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذى لم يقف كافة الخلق عليه الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيهه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول ولكن بعض المقدرات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الازلية ارادة الابداع علم ولا علم الابداع حياة ولا حياة الابداع محال الحياة وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحل من الجسم الذى هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر الا بالحق والازم وكذلك جميع أفعال

الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثا بضاهى فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا الى هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا لعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون الا كما حدث وعلى هذا الترتيب الذى وجد فاما تأخر متأخر الا لا انتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه

مقدورا فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمه وتوحيده وتفهيم ذلك عسير ولا كان ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلا لا يقرب مبادئ الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرفع وهو ملاقه فقدرة القدرة الازلية حاضرة ملاقيه للمقدورات متعلقة بملاقاة الماء للاعضاء ولكنه لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل لرفع الحديث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان (٤٢٤) الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيب اذ يغسل كان الماء ملاقا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير

يكن رافعا والماء لم يتغير
هما كان فكيف حصل
منه ما لم يحصل من قبل
بل حصل ارتفاع الحدث
عن اليدين عند غسل
الوجه فاذا غسل الوجه
هو الرفع للحدث عن
اليدين وهو جهل بضاهي
ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة
بالارادة والارادة بالعلم
وكل ذلك خطأ بل عند
ارتفاع الحدث عن الوجه
ارتفع الحدث عن اليد
بالماء الملاقي لها لا يغسل
الوجه والماء لم يتغير
واليد لم تتغير ولم يحدث
فيها شيء ولكن حدث
وجود الشرط فظهر أثر
العلة فهكذا ينبغي أن
تفهم صدور المقدورات
عن القدرة الازلية مع أن
القدرة قديمة والمقدورات
حادثه وهذا فرع باب
آخر لعالم آخر من عوالم
المكاشفات فلنترك جميع

مقدورا) فان كل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه وكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستعمل في العقل وجوده فأنه قادر على ايجاده واحداثه (فلا يتأخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة) بالغة (وتدبير) خفي (وتفهيم ذلك عسير ولا كان ضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثلا لا يقرب مبادئ الحق من الافهام الضعيفة) القاصرة عن المدارك الخفية (وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في ماء الى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وان كان الماء هو الرفع للحدث وهو ملاقه فقدرة القدرة الازلية حاضرة وملاقية للمقدورات متعلقة بملاقاة الماء للاعضاء ولكنه لا يحصل بم الماقدور كما لا يحصل لرفع الحديث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه لانه حدث عقيب اذ يقول كان الماء ملاقا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه فاذا غسل الوجه هو الرفع للحدث عن اليدين وهو جهل بضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا يغسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الازلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثه وهذا فرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع

ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه الفعل التوكل والاعتماد ولم تقدر على أن تذكر من بحار التوحيد الاقطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واستيفاء ذلك في عمرفوخ بحال كاستيفاء ماء البحر باخذ القطرات منه وكل ذلك منطوي تحت قول لا اله الا الله وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب وما أعز حقيقة قلبه عند العلماء الراغبين في العلم فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل الا الله تعالى ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلا وان كان الله تعالى فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم) عند أهل المعرفة اذ ظهور

الفعل من فاعلين شركاً (فاعول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيين ويكون الاسم مجمل مردداً بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الأمير فلانا يقال قتله الجلاد ولكن الأمير قاتل بمعنى) هو أمره بذلك (والجلاد قاتل بمعنى آخر) هو مباشرته له (فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى آخر فمضى كون الله تعالى فاعلاً له المخترع الموجد) لتلك الافعال (ومعنى كون العبد فاعلاً له المحل الذي خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم) فالفاعل الثاني هو المظهر الذي فعل بيده وأجرى الفعل بواسطة هو بان ومحدث مفعول والاول القديم هو الفاعل الاصل (فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعامل بالعلة وارتبط المخترع بالخبر وعمل ماله ارتباط بقدرة فان محل القدرة يسمى فاعله كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً ان القتل ارتبط بقدرة ماولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلاً له ما فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولا جمل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الافعال في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد) لانهم وسائط ومحال قدرته ومظاهر حكمته (ونسبها) أي تلك الافعال بعينها (مرة أخرى الى نفسه) لانهم اخترعوا وخلقوا وآياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر لانه تعالى ذو قدرة وحكمة فاطهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء على معاني الحكمه فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لاجل ما شهد هو من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمه صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حاكمه جاعله نافعة ضارة فيشرى في توحيده من قبل ان الله سبحانه قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل نافع ضار لا شرى له في أسمائه ولا ظهر له في أحكامه كما قال ان الحكم الله ولا يشرى في حكمه أحد اول قوله تعالى وما لهم فهم ما من شرك وماله منهم من ظهر وكما هو الفاعل لكل شيء وحده لانه الاول كذلك هو القائم به المتهم له بعد ظهوره وحده لانه هو الآخر (فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت) الذي وكل بكم فاضاف التوفي اليه باعتبار انه مظهر لذلك وهذا هو التفصيل (ثم قال عز وجل) في التوحيد (الله يتوفى الانفس حين موتها) والتي لم تمت في منامها في الاول اظهر الاواسط اسباباً وأثبت نفسه فيها في الثاني رفعها وأظهر نفسه (وقال) تعالى (أفرأيتم ما تعرجون) فذكر الاواسط لان الحرب عمل ونحن عبيد عمل ولانه صنعنا وحكمها عائد علينا ولذلك (أضاف البنائهم قال تعالى ان اصيبنا المصيبة ثم شققنا الارض شقنا) الايات فاضاف تلك الافعال الى نفسه لانها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر (وقال عز وجل) في التفصيل (فارسلناها) أي الى مريم (روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) أي صورة رجل أجل ما يكون (ثم قال) تعالى في التوحيد (فنفخنا فيها من روحنا وكان النافع جبريل عليه السلام) فاضاف النفخ اليه هنا (و) كذلك (قال الله تعالى) في التفصيل والامر اقبلوا المشركين وفي مثله من ذكر الواسطة لاجل الامر (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل) ففي آية واحدة تفصيل وتوحيد ولكن بطريق التلويح في التوحيد (بل صرح) في التوحيد (وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم و) كذلك (قال) تعالى في نفي الاولية والآخرية من فعل الخلق للتوحيد (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جوع بين النفي والاثبات ظاهراً) فالتفي قوله وما رميت واثبات المكان للتفصيل قوله اذ رميت (ولكن معناه) باطنا (اذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد رامي ما رميت بالمعنى الذي يكون به الرب رامي اذ هما

(٥٤ - (الحفاف السادة المتقين) - تاسع) فاتبع قراءته قبل في التفسير معناه اذ قرأ عليك جبريل وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله يا ايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النقي والاثبات ظاهر اولكن معناه وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به رامبا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به رامبا اذهما

معنيين مختلفان وقال الله تعالى الذي (٤٢٦) علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه

وقال أفرأيتم ما تخفون
أأنتم تخفونه أم نحن
الخالقون ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في
وصف ملك الارحام انه
يدخل الرحم فيأخذ
النفطة في يده ثم يصورها
حسدا فيقول يارب
أذكر أم أنثى أسوي أم
معوج فيقول الله تعالى
ما شاء ويخلق الملك وفي
لفظ آخر يصور الملك ثم
ينفخ فيه الروح بالسعادة
أو بالشقاوة وقد قال
بعض السلف ان الملك
الذي يقال له الروح هو
الذي يولج الارواح في
الاجساد وأنه يتنفس
بوصفه فيكون كل نفس
من أنفاسه وحاليج في
جسم ولذلك سمي روحا
وما ذكره في مثل هذا الملك
وصفته فهو حق شاهده
أر باب القلوب ببصائرهم
فاما كون الروح عبارة
عنه فلا يمكن أن يعلم الا
بالنقل والحكم به دون
النقل تخمين مجرد وكذلك
ذكر الله تعالى في القرآن
من الأدلة والآيات في
الارض والسموات ثم
قال أولم يكف بربك أنه
على كل شيء شهيد وقال
شهادته أنه لا اله الا هو
فبين انه الدليل على نفسه
وذلك ليس متناقضا بل

معنيين مختلفان وقال الله تعالى الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن (ومثله في اثبات
الاسباب ورفع حقيقته بقوله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم فأنبت رسمة مكانا للعلم ثم رفع حكمه اظهارا للعالم فقال
فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبسدون وما كنتم تكتمون
(وقال) تعالى (علمه البيان) وهو شرح المجمع والمهم من الكلام (وقال) تعالى (ان علينا بيانه) أي كشف
مشكله ومبهمه (وقال) تعالى (أفرأيتم ما تخفون أأنتم تخفونه أم نحن الخالقون) (أضاف الامناء لبيان انه عمل
من الاعمال وهو وصفنا وحكمه عائد علينا كما أضاف الينا الحرف في التي بعد هذا ذلك وأضاف الخلق اليه لانها
آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر كما أضاف الزرع اليه في التي بعد هذا ذلك) ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (في جعل الله تعالى بحكمته وعزته عن مباشرة الاشياء بنفسه للخلق والحياة واسطة وذلك) (في وصف
ملك الارحام انه يدخل الرحم فيأخذ النفطة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوي) أي
معتدل (أم معوج فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك) (وفي لفظ وطبع الملك) (وفي لفظ آخر ويصور الملك
ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة) قال العراقي رواه البزار وابن عدي من حديث عائشة ان الله تبارك
وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فامن شئ الا
وهو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدي انه منكر وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود
انتهى قلت وتعام الحديث عند البزار بعد قوله ماذا فيقول غلام أو جارية أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم فيقول
يارب شق أم سعيد فيقول شق أو سعيد فيقول يارب ما أجله ما خلقتة فامن شئ الا ويخلق معه في الرحم الا أن
الهيثمي قال ان رجالا سبوا البزار ثقات وحديث ابن مسعود الذي أشار اليه العراقي في المتفق عليه لفظه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة
مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا ويؤمر بربع كلمات ويكتب عمله ورزقه وأجله
وشق أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ورواه ابن جريح
في مجمعته والحاجي في فوائد بلفظ ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح فيؤمر بربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله
وشق أو سعيد (وقد قال بعض السلف ان الملك الأعظم الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد
(وقيل انه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه وحاليج في الجسم ولذلك سمي روحا) هكذا نقل القولين
صاحب القوت بقوله ويقال وقيل (وما ذكره) أي بعض السلف (في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده
أر باب القلوب ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم الا بالنقل) الصريح (والحكم به دون النقل
تخمين مجرد) ثم قال صاحب القوت في العبد يظهر بين أربعة وهي حدود الحكمة ظاهران وهما الابواب
وباطنان وهما ملك الارحام وملك الارواح ثم ان الله تعالى قال في وصف نفسه البارئ المصور كما قال الخالق
ومفهوم الحديث السابق أن المصور هو الملك فالحديث يدل على التفصيل ووصفه تعالى نفسه يدل على التوحيد
(وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الارض والسموات) في عدة آيات وهو مقام التفصيل
(ثم قال) تعالى (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وهذا مقام التوحيد (وقال) أيضا في مقام التوحيد
(شهد الله أنه لا اله الا هو بين انه الدليل على نفسه) وقال أيضا فيمباري عن الله تعالى في الاسرار ثلثات الدليل
على نفسه لا دليل أدل على مني (وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله
تعالى بالنظر الى الموجودات) وهو من أهل المرتبة الثالثة من التوحيد واليه الاشارة بقوله تعالى سترهم آياتنا
في الآفاق وفي أنفسهم (وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله) وهو من أهل المرتبة الرابعة من التوحيد
وهم قوم رآوا الله سبحانه وتعالى ثم رآوا الاشياء بعد ذلك فلم يروا في الدار من غيره ولا اطلعوا في الوجود على
سواه (كما قال بعضهم عرف ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي) ومقام من قبله لولا المرئيد اعرفت ربي (وهو

وكذلك لما قال الثائب
أتوب الى الله تعالى ولا
أتوب الى محمد فقال صلى
الله عليه وسلم عرف الحق
لا الهه فكل من أضاف
الكل الى الله تعالى فهو
المحقق الذي عرف الحق
والحقيقة ومن أضافه الى
غيره فهو المتجاوز والمستعبر
في كلامه وللتجاوز وجه
كأن الحق حقيقة وجهها
واسم الفاعل وضعه
واضح اللغة للمخترع
ولكن ظن أن الانسان
مخترع بقدرته فسماه
فاعلا بحركته وظن أنه
تحقيق وتوهم أن نسبته
الى الله تعالى على سبيل
المجاز مثل نسبة القتل
الى الأمير فانه مجاز
بالإضافة الى نسبته الى
الجلاد فلما انكشف الحق
لا الهه عرفوا أن الامر
بالعكس وقالوا ان الفاعل
قد وضعه أيها اللغوي
للمخترع فلا فاعل الا الله
فلا اسم له بالحقيقة ولغيره
بالمجاز أي تجوز به عما
وضعه اللغوي له ولما
جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب
قصدا أو اتفاقا صدقه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أصدق بيت
قاله الشاعر قول لبيد
ألا كل شيء ما خلا الله
باطل

ذكر ذلك كمال البغية في قول المعطى أن يتبد من غير أن يسأل عند ارادة اظهار العطاء الامير أعطاني على يد
عبيده فلان هذا الغلو يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك (وكذلك لما قال الثائب أتوب الى الله ولا أتوب
الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لا الهه) وهو الايسر الذي قال اللهم اني أتوب اليك رواه أحمد عن
الاسود بن سريع به مرفوعا وقد رواه كذلك الطبراني والبيهقي والحاكم والضياء وتقدم في كتاب الزكاة
قال صاحب القوت وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بهم والاحكام عائدة الى الاسماء بالثواب
والعقاب فلم يصلح أن لا يذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن ذلك انه هو بيدى ويعبد بيدى الاحكام من
الحاكم ويعبدها على المحكوم وهذا هو سبب اظهار المكان من الموت والحياة لئلا يكون تعالى محكوما وهو
الجليل الحاكم ولا يكون مأمورا وهو العزيز الامر وتوجهت الاوامر منه قبل المأمورات ومن هذا قوله
عز وجل ما عندكم ينفذ وما عند الله باق وجعلها عند في خزائنه الا انه أضاف الدنيا اليها ليرجع الاحكام
عنا وليزهدنا فيها أو أضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا لغير غيبتها وقد قال تعالى نخبرها عن عيسى عليه
السلام واذننا من الطين ومثله قال فارزقوهم منها فسماه خالقا اذ خلق الله على يده وسماههم رازقين لما جرى
على أيديهم رزق أهلهم فهو عندى كقوله في مريم وهزى اليك بحدع النحلة تساقط عليه كرتها جنيها وقد علمت
أن الرطب لم يتساقط به زهوا ولا فعل ولا جعل له زهوا في الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه
بيدها ومثله قوله تعالى اركض برجلك هذا مقتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعث عينا أشد بياضا من الثلج
وأحلى من العسل فشرب من احدهما فغسل ماني جوفه من البلاء واغتسل من الاخرى فزال ماني جسمه من
السقم والاذى ولا فعل لرجليه في اظهار العينين ولكن الله عز وجل خلق ذلك على يده وأجراه بواسطة تكريمه
له وآية وهبها ونحو ذلك قوله تعالى لا إبراهيم ثم ادعهم يا تينك نسيها فغسل كيفية احياء الموتى بيده تعالى
بدعوته عليه السلام وكان ذلك جوابا لمساءلة أنه أرنى كيف يحيى الموتى ولا مكان له في الاحياء وكان الله في الدعوة
كيف شاء وكذلك الموقن العارف ينطق عن الله فيكون الله تعالى المظهر لبيانه والمجرى على لسانه كما كلم موسى
عليه السلام من الشجرة وكان هو الحكم لعبد وصارت الشجرة حجابا أو جده والله غالب على أمره وكما ينطق
الروحاني من الملائكة على السنة النبوية وينطق الجناني من الارواح على السنة المجانية والله من ورائهم محيط
(فكل من أضاف الكل الى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لا الهه ومن أضافه الى غيره فهو
المتجاوز والمستعبر في كلامه وللتجاوز وجه كما كان للحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضح اللغة للمخترع)
وهو المبتدع من غير سبب (ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم
أن نسبته الى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الأمير فانه مجاز بالإضافة الى نسبته الى الجلاد فلما
انكشف الحق لا الهه عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا ان الفاعل قد وضعه أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا
الله فلا اسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي تجوز به عما وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على
لسان بعض الاعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أصدق بيت
قاله الشاعر قول لبيد
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لاحماله زائل

قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بل فقط قاله الشاعر وفي رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب

أى كل الماقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيقة وحقيقته (٢١٩) بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة

الى الحى القيوم الذى
ليس كمثل شئ فانه قائم
بذاته وكل ما سواه قائم
بقدرته فهو الحق وما
سواه باطل ولذلك قال
سهل يمسكين كان ولم
تكن ويكون ولا تكون
فلما كنت اليوم صرت
تقول أنا أو أنا كن الآن
كلم تكن فانه اليوم كما
كان فان قلت فقد ظهر
الآن أن السكلى جبرفا
معنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف
غضبه على فعل نفسه
فاعلم أن معنى ذلك قد
أشرنا اليه فى كتاب
الشكر فلا نقول بعادته
فهذا هو القدر الذى
رأينا الرضى اليه من
التوحيد الذى يورث
حال التوكل ولا يتم هذا
الا بالاعيان بالرجة
والحكمة فان التوحيد
يورث النظر الى مسبب
الاسباب والاعيان بالرجة
وسعتها هو الذى يورث
الثقة بمسبب الاسباب ولا
يتم حال التوكل كما سيأتى
الا بالثقة بالوكيل
وطمأنينة القلب الى
حسن نظر الكفيل وهو
الاعيان أيضا باب عظيم
من أبواب الاعيان وحكاية
طريق المكاشفين فيه
تطول فلنذكر حاصله
ليعتقد الطالب لمقام

انتهى قلت لفظا الصحيحين أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لم يد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكذا دأب أمية بن أبي
الصلت أن يسلم ورواه كذلك أجدوا بن ماجه وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لم يد
* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقد رواه الترمذى كذلك قال صاحب القوت قال الشاعر ذلك وهو يعلم ان فى
الاشياء واسطى حق وأسباب صدق ثم لم يمنع ذلك ان قال هذا ايثارا منه للتوحيد وتوحيد الامتنوح هذا مع
قرب عهدهم بتكذيب الرسل وابطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون بعد ان كانت
أشبهت الباطل الذى لا حقيقة له أولية ولا ثبات له آخرية وكان الله تعالى الاول الازلى والاخر الابدى فهو
الحق ولا هكذا سواه انتهى وقد زاده المصنف وضوحا بقوله (أى كل الماقوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو
باعتبار نفسه باطل وانما حقيقة وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذا لاحق بالحقيقة الى الحى القيوم الذى ليس كمثل
شئ فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل) وقال المصنف فى المقصد الحق فى مقابلة
الباطل والاشياء قد تستبان باضدادها وكل ما يخبر عنه فاما باطل مطلقا وأما حق مطلقا وأما حق من وجهه
باطل من وجهه فاما منع لذاته هو الباطل مطلقا والواجب لذاته هو الحق مطلقا والممكن لذاته الواجب بغيره
فهو حق من وجهه باطل من وجهه فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل وهو من جهة غيره مستفيد للوجود
فهو من هذا الوجه الذى يلى مفيد الوجود موجود فهو من ذلك الوجه حق ومن جهة نفسه باطل فكذلك
كل شئ هالك الا وجهه وهو كذلك أزلا وأبدا ليس ذلك فى حال دون حال لان كل ما سواه أزلا وأبدا من حيث ذاته
لا يستحق الوجود وهو من جهة تعالى يستحق فهو باطل بذاته حق بغيره وعند هذا تعرف ان الحق المطلق هو
الموجود الحقيق بذاته الذى منه يوجد كل حقيقة ثم قال وحظ العبد من هذا الاسم ان يرى نفسه باطلا ولا
يرى غير الله حقما والعبد وان كان حقا فليس هو حقا لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله تعالى فهو موجود به لا بذاته
بل هو بذاته باطل لولا ايجاد الحق له وقوله فاذا لاحق بالحقيقة الى الحى القيوم الخ الحى الكامل المطلق هو
الذى تدرج المدرجات بأسرها تحت ادراكه والموجودات جميعها تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا
عن فعله مفعول وذلك هو الله تعالى والقيوم هو الذى قوامه بذاته وقيام كل شئ به وليس ذلك الا الله تعالى وما
كان محتاجا فى قوامه الى وجود غيره لا يكون قائما بنفسه والقائم بنفسه مطلقا اذا قام به كل موجود فهو القيوم
لان قوامه بذاته وقوام كل شئ به وليس ذلك الا الله سبحانه وتعالى (ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى
(يا مسكين كان) الله تعالى أزلا وأبدا (ولم تكن) أنت متصفيا بالوجود (ويكون) كما كان (ولا تكون)
أنت بل تبنى (فلما كنت اليوم) بين العدمين صرت (تقول أنا أو أنا كن) فيما أنت فيه (الآن كالم تكن
فانه اليوم كما كان) فى الازل نقله صاحب القوت وهو اشارة الى مقام اسقاط التدبير كما سيأتى الكلام عليه عند
قوله التوكل ترك التدبير (فان قلت فقد ظهر الآن ان السكلى جبر) فى صورة اختيار (فامعنى الثواب والعقاب
والغضب والرضا وكيف غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد أشرنا اليه فى كتاب الشكر) من الركن الثالث
منه عند قوله وفى كل فقر ومرض وخوف وبلاء فى الدنيا خمسة أمور ينبغي ان يفرح العاقل بها الى آخره راجعه
هناك (فلا تطيل بعادته) نائبا (فهذا هو القدر الذى رأينا الرضى اليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل)
والتسليم ويثمره اذا ثبت فى النفس ثبوت الاعتقاديا أو كسفياء أو ذوقيا أو عرفانيا نتج عنه حال التوكل (ولا يتم هذا
الا بالاعيان بالرجة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب) بأن الوجود بأسره فى قبضته
وقدرته وتحت قهره وأسره (والاعيان بالرجة وسعتها هو الذى يورث الثقة بمسبب الاسباب) ويتكشف لك
ان الرزق لا يتعدى المرزوقين لانه مخلوق لهم (ولا يتم حال التوكل كما سيأتى) قريبا (الا بالثقة بالوكيل وطمأنينة
القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الاعيان أيضا باب عظيم من أبواب الاعيان) أى الاعيان بسعة الرجة والوجود
والحكمة (وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقد الطالب لمقام التوكل اعتقادا طاعما
لا يستريب فيه) أى لا يدخله الريب والشك فيه (وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب ان الله

التوكل اعتقادا طاعما لا يستريب فيه وهو أن يصدق تصديقا يقينيا لا ضعف فيه ولا ريب أن الله

(or.)

الامكان أصلاً أحسن منه
يناقض العدل ولو لم يكن

والشمام

قوله لم يفضله بفعله لكان بخلاف ناقض الجود وظلما

بناقض العدل ولولم يكن قادر ال كان عجزا يناقض الالهية

والشحام وثمامة ومعمر والاسواري والنظام والكرامية مجسمة خراسان مبسوط في محله والامر الثاني ان
 النفي في هذا الكلام ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجود انما هو منصب على كونه ابدع من الموجود
 فانفي هنا كون شئ مما يمكن وجوده ابدع مما وجد مع قطعه بصلاحيته القدرة لايجادها فاذا فهمت الامرين
 سهل عليك حل الكلام وسيأتي ما يتعلق به تسليم اوردا (بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا
 وزيادة من الآخرة) قال صاحب القوت اعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع
 والفقر فيكون هذا رزقا للزاهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وجاميته عن التكاثر منها
 والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ماصرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة
 والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيلة نظار كاحد ثوانع بعض العلماء ان بقا لاجاء اليه فقال اني
 كنت ابيع في محله لابقال فيها غـ برى فكنت ابيع الكثير ثم قد فتح على يقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شئاً
 فقال لا ولكن يزيد في بطلانك عن البيع (وكل نقص في الآخرة بالاضافة الى شخص) قد نقص حظ الاوفر منها
 (فهو نعيم بالاضافة الى غيره) اذا كانت الدنيا ضدها (اذلولا الليل لماعرف قدر النهار) ولولا الكفر لماعرف قدر
 الايمان (ولولا المرض لماتنعم الاصحاء بالصحة) ولولا المعصية لم يعرف قدر الطاعة (ولولا النار لماعرف أهل الجنة
 قدر النعمة) فهذا اقل وخط فيه من حيث الحكمة التي يجب الايمان بها فهذا بعض أسرار كونه ابدع (وكما ان
 فداء ارواح الانس بأرواح البهائم وتسلطهم على ذبحها ليس بظلم بل بتقديم الكامل على الناقص عين العدل)
 والمراد بالكمال الانسان ووصفه بذلك بالاضافة الى البهائم فانها ناقصة ولما كان بقاء الانسان يحتاج الى غذاء
 يستملكه قوته امتن الله عليه بخلق البهائم فكانت لحومها أغذية له يشير الى ذلك قوله تعالى ومن الانعام
 حوله وفرشا (فكذلك تفخيم النعم) أي توفيرها وتكبيرها (على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران
 وفداء أهل الايمان باهل الكفران عين العدل) كما ورد في الخبر انه يقال للمسلم هذا الكافر فداؤك من النار
 (ومالم يخلق الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر
 بالاضافة) فان درجات الاحياء ثلاثة درجات الملائكة ودرجة الانس ودرجة البهائم فامداد درجة البهائم فهي
 أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها لان الحى هو الإدراك الفعال وفي ادراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص وأما
 درجة الملائكة فهي أعلى الدرجات لقرهم امن حضرة القدس وأما الانسان فدرجته متوسطة بينهم ما كانه
 مركب من ما والاغلب عليه في الأول البهيمة ثم بشرق عليه في الآخر نور العقل فيأخذ بذلك شهابا من الملائكة
 والمقصود ان الكمال والنقص من الامور المتضادتين (فقتضى الجود) سعة (الحكمة خلق الكامل
 والناقص جيعا) ولولا ذلك لماعرف أحد ههنا من الآخر فهذا بعض أسرار كونه ابدع (وكما ان قطع اليد اذا
 تأكلت) أي أصابها مرض الاكلة ولادواء لها الا القطع (ابقاء على الروح) أي على حياته (عدل لانه
 فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت) الواقع (الذي) هو (بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة)
 من الغنى والفقر وحسن الصورة وقبحها والصحة والمرض والتوفيق والخذلان والايمان والكفر والطاعة
 والمعصية (فكل ذلك عدل لاجور فيه وحق لالعب فيه) ويشهد لابدية هذا التفاوت ما أخرجه عبد الله بن
 أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهم واللالكا في السنة وابن منده في
 كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن أبي بن كعب في قوله تعالى واذا خدر بك من بنى آدم الآية قال جمعهم
 فجعلهم أرواحا ثم صورهم فاستنطقهم وأدم ينظر اليهم فرأى الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال
 يا رب لا حوليت بين عبادك قال اني أحببت ان أشكر وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده في الرد على الجهمية من
 حديث أبي هريرة قال ان الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فخرت منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم عرضها
 على آدم فاذا فهم الاجذم والابرص والاعمى وأنواع الاسقام فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذي بيتي فقال كي
 تشكر نعمتي فهذا نص من الله تعالى على الحكمة في خلق الناس متفاوتين في صفته الكمال والنقص حتى انه

بل كل فقر وضرر في الدنيا
 فهو نقصان في الدنيا
 وزيادة في الآخرة وكل
 نقص في الآخرة بالاضافة
 الى شخص فهو نعيم
 بالاضافة الى غيره اذ لولا
 الليل لماعرف قدر النهار
 ولولا المرض لماتنعم
 الاصحاء بالصحة ولولا النار
 لماعرف أهل الجنة قدر
 النعمة وكما أن فداء
 أرواح الانس بأرواح
 البهائم وتسلطهم على
 ذبحها ليس بظلم بل
 تقديم الكامل على
 الناقص عين العدل
 فكذلك تفخيم النعم على
 سكان الجنان بتعظيم
 العقوبة على أهل النيران
 وفداء أهل الايمان باهل
 الكفران عين العدل
 ومالم يخلق الناقص لا
 يعرف الكامل ولولا
 خلق البهائم لما ظهر
 شرف الانس فان الكمال
 والنقص يظهر بالاضافة
 فقتضى الجود والحكمة
 خلق الكامل والناقص
 جيعا وكما أن قطع اليد
 اذا تأكلت ابقا على
 الروح عدل لانه فداء
 كامل بناقص فكذلك
 الامر في التفاوت الذي
 بين الخلق في القسمة في
 الدنيا والآخرة فكل
 ذلك عدل لاجور فيه
 وحق لالعب فيه

جعل أنواع البلاء متفاوتة إرادة الشكر فلا ترى ذابلاء الا وهو يرى من هو اشد بلاء منه ولا ذالحال سى الا وهو يرى من هو اسوأ حالاً منه ولو من نوع آخر فتري مثلاً الفقير الذى لا يجد قوته ويبيت البالي طوا يا يرى من هو ذئف ملازم الوساو وهو كثير المال فيشكر الله تعالى على العافية وذلك الدنف يرى ذلك الفقير وهو يقنى القوت فلا يجده فيشكر ان رزقه الله الغنى مع سقمه ولم يجعله يتكفف الناس وثرى الملك ينظر الى ما حوله من النعيم ونفوذ الامر فيشكر الله ان جعله امر الامور وما كالا يملو كاترى آحاد الرعية ينظر الى ما يقاسيه الملك من انكاد الدين و همومها وخروج الخوارج عليه وانتشار المفسدين والقطاع وخوفه على نفسه مما يغتاله أو يسلب منه ملكه أو يقصد با أنواع المكاييد ثم ما يتبع ذلك من الحساب يوم القيامة على كل فرد فرد من رعاياه وهل قام فيهم بما أمر الله تعالى من العدل فيهم وتخليص مظلومهم من ظالمهم وانفاذ أوامر الله فيهم وايصال حقوقهم اليهم وعلى كل ذرة من مال قبضها أو صرفها هل أخذ كما أمر الله تعالى وصرفها فيما أمر الله تعالى فيحمد الله ذلك المسكين ان لم يجعله ملكاً فينشذ لا ترى من الناس الا شاكر كل بحسب حاله فانظر الى هذه الحكمة البديعة فى جعل الخلق مع تباين أحوالهم متفاوتين فى الحال الواحد مقولين بالتشكيك لا بالتواطؤ فذوو الفقر متفاوتون ليرى كل دونه وكذا ذور البلاء الى غير ذلك وإرادة الشكر من المقاصد المعتمدة بدليل ما فى الخبر ما أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ووجه آخر فى خلق المكر وهات وما فيها من الفوائد الدينوية والاخرية وهى خمسة كما تقدم للمصنف فى كتاب الشكر وأوصلها العز بن عبد السلام الى سبعة عشر فى تأليف مخصوص وقد قال خيرة الله لعبده فيما يكره أكثر من خيرته له فيما يحب وفى الخبر عجبت للمؤمن وقضاء الله له خير ان أصابه خير أو شر وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له أوصنى اذهب ان لا تنهم الله على نفسك فهذا نوع من أنواع الموجودات تبين فيه وجه الابدعية بالنسبة الى ضده فقس على ذلك سائر الأنواع وقد يكون الشئ أبدياً فى وقت وخلافه أبدياً فى وقت آخر ومن ثم يوجد الله الرخا فى وقت والغلاء فى وقت آخر وفى مكان دون مكان وكذا الحياة والموت والعسر واليسر والامن والخوف والصحة والسقم وذلك لعلم الله بحكمته البالغة ان الابدع فى هذا الوقت ايجاد أحد الضدين الى وقت كذا فاذا جاء ذلك الوقت فالابدع ايجاد ضده فيوجد على حسب حكمته ومن قدح فى شئ من هذا فقد قدح فى الحكمة وعارض حكمة الحكيم برأى من عنده زعم بحججه انه أسد ما اقتضته الحكمة وشرع ذلك قصة المنسوخ من الشرائع والاحكام فان الله تعالى عالم بحكمته البالغة ان الابدع شرع هذا الحكم فى هذا الوقت فشرعه الى وقت كذا فاذا جاء الوقت فالابدع شرع خلافه فيشرعه وقد نص بعض أرباب البيان فى نقد بروجع اعجاز القرآن على ما يشبه ذلك فقال لاشك فى ان البارئ تعالى عالم بجميع أصناف الكلام فاختر لكتابيه أفصحها وجهاً فآثره عليه فلا يمكن أفصح منه وكذلك نقول فى الموجودات علم الله فى كل موجود جميع الوجوه الممكنة ايجادها على أوجه كثيرة غير ذلك الا أنها ليست بابدع والابدع الوجه الذى أوجده الله عليه ونقول فى خلق الانسان انه يمكن بروجه على أوجه غير الصورة التى أبرزها الله عليها من جعل رأسه أسفله أو فى ظهره مثلاً أو كونه بعين واحدة أو كونه يديه أو عينيه خلف أو كونه فى رأسه أو بطنه أو غير ذلك من الوجوه الممكنة التى لا نشك فى صلاحية القدرة لها لكانها ليست بابدع والابدع هذه الصورة الموجودة لما فيها من المحاسن والحكم وشاهده قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وهذا نص قاطع فى ان الصورة التى خلق عليها الانسان لا ابداع منها وكذلك نقول فى سائر الحيوانات انهم موجودون على الصورة التى لا ابداع منها مع صلاحية القدرة لايجادها على صور شتى لكن ما وجدت عليه ابداع وشاهده قوله تعالى الذى احسن كل شئ خلقه قال ابن عباس احسن كل شئ خلقه فجعل السكاب فى خلقه حسناً واه ابن أبي حاتم وقال أيضاً خلق الله لكل شئ ما يشاكله من خالق وما يصلحهم من رزقه فخلق البعير خلقاً لا يصلح شئ من خلقه على غيره من الدواب وكذلك كل شئ من خلقه وخلق الدواب البر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البر وخلق لدواب البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها فى البحر فذلك قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر رواه الطبرانى فى المعجم الكبير

(وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الأطراف مضطرب الامواج قريب السعتم من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين) اذ توغلو فيه ولم يكونوا اقوياء في علوم المكاشفة فاضطربت عليهم امواج القدرة فاندشت عقولهم وفغرت سماسج العزة فاهما فاصطكت افهامهم (ولم يعلموا) قبل دخولهم (ان ذلك غامض) خفي المدرك (لا يعقله الا العالمون) بالله وبافعال الله المكشفون بانوار الله (وراء هذا البحر) العظيم المتلاطم (سر القدر الذي تخبر فيه الاكثرون) واندش فيه المخلصون (ومنع افشاء سره المكشفون) روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس قال لما بعث الله موسى وانزل عليه التوراة قال اللهم انلرب عظيم ولوشئت أن تطاع لا مطعت ولوشئت أن لا تعصى لماعصيت وأنت تحب أن تطاع فكيف هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا أسئل عما أفعل وهم يسألون ثم سأل عزير مثل ذلك فاجابه اني لا أسئل عما أفعل وهم يسألون فابت نفسه حتى سأل ثلاثا فقال الله تعالى أتستطيع أن تصر صرة من الشمس قال لا قال أتستطيع أن تنجي بمكالم من ربح قال لا قال أتستطيع أن تنجي بمقال من نور قال لا قال فهكذا لا تقدر على ذلك الذي سألت عنه اني لا أسئل عما أفعل وهم يسألون ثم سأل عيسى فاجابه كذلك فجمع عيسى من تبعه فقال القدر سر الله فلا تكفه ورؤى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تنفوا الله عز وجل سره وقد تقدم ونقل المصنف في مقدمة التفات وانما منع عن ذكر سر القدر يعني وهو القدرة من شأنها أن تتعلق بالمال لانه يومهم عند العوام عجز قال فالصواب أن يلقي الهم ان الاول قادر على كل شيء ليجب ذلك تعظيما في صدورهم فلو فصل وفسر الامور الى تمكينة وغير تمكينة لظنوا ان ذلك عجز قال فهذا سر القدر على ما قيل (والحاصل ان الخير والشر) كل منهما (مقضى به) ومرضى به فان الخير بالذات والشر بالعرض وكل بقدر (وقد صار ما مضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه) قال المصنف في المقصد الاسنى اذا كان معنى الحكمة ترتب الاسباب وتوجهها الى المسببات كان المتصف بها على الاطلاق حكيم ما لم يلقاها لانه مسبب كل الاسباب جللتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره اصل وضع الاسباب لتوجه الى المسببات هو حكمه واجبا له لاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تتحول ولا تزول الى وقت معلوم كالارض والسموات والكواكب وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم الى أن يبلغ الكتاب أجله ووضعه اياها ونصبه لها وقضاؤه وتوجيه هذه الاسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره فالحكم هو التدبير الاول الكلي والامر الازلي هو كالمع البصر والقضاء هو الوضع السكلي للاسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الاسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة الى مسياتها المحدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وكذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره (بل كل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) أي سطر في اللوح رواء ابن المنذر عن ابن عباس قال فتادة أي محفوظ مكتوب رواء عبد بن حميد (وحصوله بقدر معلوم مستطر وما أصابك) من الخير والشر والنفع والضرر (لم يكن ليخطئك وما أخطاك) منها (لم يكن ليصيبك) رواء أحمد والطبراني والبرازن من حديث أبي الدرداء لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه ورجال الطبراني نقات فالعلم بهذه الاشياء وطمانينة القلب بها وسكينة العقل عند دور ودها وان لا يضارب بالرائي والمعقول ولا ينزع بالتشبيه والتمثيل هو من فرائض الايمان لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله ومنه قول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحده الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقصا في التوحيد فجعل الايمان بالاقدار كلها انهم الله تعالى مشيئة وحكما بمنزلة الحيط الذي ينظم عليه الحب وان التوحيد منظم فيه فاذا انقطع الحيط سقط الحب قال كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقاد ان جميعها قضاؤه وقدره وأما فضل التوكل فيكون عن مشاهدة الوكيل لانه في مقام المعرفة برؤية عين اليقين (وانتقصر على هذه المرامض) أي الاشارات (من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام

وهذا الآن بحر آخر
عظيم العمق واسع
الأطراف مضطرب
الامواج قريب في السعة
من بحر التوحيد فيه
غرق طوائف من
القاصرين ولم يعلموا ان
ذلك غامض ذلك لا يعقله
الا العالمون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي
تخبر فيه الاكثرون
ومنع من افشاء سره
المكاشفون والحاصل
ان الخير والشر مقضى
به وقد كان ما مضى به
واجب الحصول بعد
سبق المشيئة فلا راد
لحكمه ولا معقب
لقضائه وأمره بل كل
صغير وكبير مستطر
وحصوله بقدر معلوم
منتظر وما أصابك لم يكن
ليخطئك وما أخطاك لم
يكن ليصيبك ولنتقصر
على هذه المرامض من
علوم المكاشفة التي هي
أصول مقام

(التوكل) وعليها بناؤه ومستقره (ولنعلم الى علم المعاملة ان شاء الله تعالى) وسياق المصنف هذا من أول قوله ولا يتم هذا الا بالايان والرحمة الى هنا شوهد تبدل على صحته من أقواها وأقربها اليه قول المصنف نفسه في كتابه جواهر القرآن وهذا نصه لا يكفي الايمان بالتوحيد في انارة حالة التوكل حتى يضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو ان تعتقد ختماً أو ينكشف لك بالبصرة ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلها على عقل أعقلهم بل على أكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل ثم زادهم اضعاف ذلك علماً وحكمة ثم كشف لهم عن عواقب الامور وأطلعهم على أسرار الملكوت ولطائف الحكمة ودقائق الخبير والشر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو عليه ولم يمكنهم أن يزبدوا ولا ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضرب وجه وكفر ولا أن يغيروا قسمة الله من رزق وأجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلاً لمحض الجور فيه وخفاصراً لا نقص فيه واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقصاً يرتبط به كمال آخر أعظم منه لا يتوصل الى ذلك النفع الا به وعلموا قطعاً ان الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يخل على الخلق أصلاً ولم يدخر في اصلاحهم أمراً وهذا بحر زالح في المعرفة يحرك أمواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون وبحيرته الاكثرون ولا يعقله الا العالمون ولا يدرون في تأويله الا الراسخون هذا نصه بحروفه وقال في موضع آخر من الجواهر أيضاً قد أنكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط والجواب ان الرضا بالبلاء وبما يخالف الطبع يتصور من ثلاثة أوجه أحدها أن يدهشه مشاهدة المحبة وافرطها عن الاحساس بالالم والثاني أن يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وايمانه لمع تبرع الله الثواب على البلاء كما يرضى بالمدد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشيئا وكذلك يرضى التاجر بمسقة السفر وهو خلاف طبعه وهذا ايضا شاهد مثله في الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الآخرة الثالث ان يعتقد ان الله تعالى تحت أقداره عجوبة لطيفة من لطائفه وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجري في العالم ان تعجبه تعجب موسى عليه السلام من الخضر عن السر الذي أطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما في عنه من تلك الاسرار وكذلك افعال الله تعالى ثم ساق قصتين احدهما للرجل الذي كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله والثانية للقارص الذي نسي صرة فيها الف دينار ولولا أنه سيأتي سياقه في كتاب الرضا لذكرتهما فن أيقن بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من أفعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فقد رضى بما دبره الله في ملكوته وههنا جوه أربعة تشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذي هو كماله البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء فانها ترتبت على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها أو أكمل ولو كان وادخل كان بخلا لا جوداً وعجزاً يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك سر القدر وكان من عرف ذلك لم ينطوئه سيره الاعلى الرضا فكذلك كل ما يجري من الله تعالى وبلى هذين السياقين ما ذكره في كتابه المسمى بالاربعين في أصول الدين قال في الاصل التاسع من أصول الدين الرضا بالقضاء ان المسببات ترتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها وايسر في الامكان أحسن منها وأكمل ولو كان لمكان بخلا لا جوداً أو عجزاً يناقض القدرة وبلى هذه السياقات الثلاثة ما قاله الشيخ كمال الدين أبو بكر محمد بن اسحق الشافعي الصوفي في كتابه مقاصد منجيات الاحياء وهذا نصه بعد ان ذكر مراتب الايمان فقال حينئذ ترجع أيم الناظر اليه ويعتمد قلبك عليه فتزداد نوراً بتوجهك واعمالك لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلاً فنشرق في قلبك بهذا ما أشرق في قلوب أنبيائه كآل الله تعالى كما كان نبيه ان ربي على صراط مستقيم أي مستقيم في أحكامه وأفضيته التي قدرها في ازاله وانها على أتم أنواع الكمال والاتقان وان الله تعالى لو خلق الخلائق كلها على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وأعطاهم من العلم والحكمة ما تحتمله نفوسهم

التوكل ولترجع الى علم
المعاملة ان شاء الله تعالى
وحسبنا الله ونعم الوكيل

وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زاد كل واحد منهم عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف
لهم عواقب الامور وأطلعهم على سائر الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على
الخير والشر والنفع والضر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة والعلوم لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزيدوا فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والاخرة جناح
بعوضة ولم يقدر واعلى ذلك بل كل ما خلقه الله من السموات والارض ان يرجع فيه البصر وطول فيه النظر ما يرى
فيه من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وقدرة وعجز وإيمان وكفر
وطاعة ومعصية فكله عدل محض وحق صرف لانه لو لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل ولو لا خلق البهائم لما
ظهر شرف بنى آدم فقطضى الحكمة والجود خلق الكامل والناقص جميعا والقدرة صالحة واسعة لغير ذلك فلو
شاء لقطع الاسباب عن المسببات والمسببات عن الاسباب ولا وجد العالم على هيئة أخرى ولو شاء لخلق كلهم
سعداء أو كلهم أشقياء ولو شاء لخلق المعدمشقياء المشقى مسعدا الا ان الارادة خصت هذا التخصيص والله
فعل لما يريد وانما أوجدت الخلق القدرة فعل ما خصته الارادة جرت المقادير في الازل واستمرت في الابد
وجفت الاقلام بما اقتضى على الانام فلم يتقدم احد منهم قدرا ثملة ولم يتأخر الا بقدار سابقة وكتابة لاحقة ولو
تهيأت أسباب السعادة كلها للاشقياء لماسعدوا ولتهيأت أسباب الشقاوة كلها للسعداء لما شقوا واذا أراد
الله بغيرهم سوا فلا مرد له وان عيسى الله بغيره فلا كاشفه الا هو وان ردك بخير فلا راد لفضله بل كل صغير وكبير
مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطأك وما أخطأك لم يكن ليصيبك انتهى وفيه تفصيل لما
أجله المصنف من قبل صلوحيه القدر وسعته الغير ما ذكر وتأويل لقوله الذي أسقطه وهو ليس في الامكان أبدع
مما أبرزه وهو ان الارادة خصته هذا التخصيص وسيأتي لذلك مزيد في بيان وجوه التأويل ويشهد له ما قاله
الامام أبو العباس الاقليشي في كتاب الانباء في شرح الصفات والاسماء واما تأخر العالم مع تمام قدرة القادر
سبحانه فنه ما هو ضروري وليس بجعل جاعل ومنه ما هو اختياري والضروري استحالة قديم غير الله تعالى
فوجب بالضرورة أن يكون العالم متأخر الوجود عن الله تعالى واما الاختياري فوجوده في الوقت الذي وجد
وعلى الهيئة التي وجدت وكان في الامكان أن يوجد قبله وبعده وعلى هيئة أخرى الا ان الارادة خصته
هذا التخصيص والله تعالى اختار هذا التخصيص فكان فعله واقعا بقدرة وارادته واختياره وليس لفاعل سواه
استبداد في ابراده واصداره انتهى فهذا أحد وجوه أبعيته اذا تأملت عبارته وقال المصنف في المقصد الاسنى
في شرح اسمة العدل قال معناه العادل وهو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للظلم والجور وان يعرف العادل من لم
يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علما بأفعال الله تعالى
من ملكوت السموات الى منتهى الترى حتى اذا لم يرفى خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فصار أى من فطور ثم
رجع مرة أخرى فانقلب اليه البصر خاسئا وهو حسير قد بهر به جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها
لحقه تنذيع بقضاه شئ من معاني عدل الله وقد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملة وانقصها
وأعطى كل شئ خلقه وهو بذلك جواد ورثه في موضعه الاثنية وهو بذلك عدل فن الاجسام العظام في العالم
الارض والماء والهواء والسموات والكواكب وقد خلقها ورتبها فوضع الارض في أسفل وجعل الماء فوقها
والهواء فوق الماء والسموات فوق الهواء ولوعكس الترتيب لبطل النظام ولعل شرح وجه تحقيق هذا الترتيب
في العدل والنظام مما يصعب على أكثر الافهام فلننزل الى درجة العوام ونقول لينظر الانسان الى بدنه فانه مركب
من اعضاء مختلفة كما ان بدن العالم مركب من اجسام مختلفة قاو لا اختلافه أنه مركب من العظم واللحم والجلد
وجعل العظام عمادا واللحم صونا لها مكنتها لها والجلد صونا للحم ولوعكس هذا الترتيب وأظهر ما بطن لبطل
النظام وان خفي عليك وقد خلق الانسان من اعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين والانف والاذن فهو يخلق
هذه الاعضاء جوادا ويضعها مواضعها الخاصة عدل لانه وضع العين في أولى المواضع بها من البدن اذن خلقها

على القفا وعلى الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من نقصان والتعرض للآفة
وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولو علقهما من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل
وكذلك وضع جميع الجوارح على الرأس فانه اجواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن ولوضعها على الرجل
اختل نظامها قطعاً وشرح ذلك في كل عضو بطول فينبغي ان تعلم انه لم يخاف شيئا في موضعه الا انه متعين له ولويتم
عنه أو تيسر أو تسفل أو تعالى لكان ناقصاً أو باطلاً أو قبيحاً أو خاف جاعن التناسب كره في المناظر وكان الانف
خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق النقصان الى فوائده وربما يقوى فهمك على ادراك
حكيمته فاعلم ان الشمس أيضاً لم تخلق في السماء الرابعة وهي في وسط السموات السبع هزلا بل ما خلقها الا
بالحق وما وضعها الا موضعها المستحق لها لخصول مقاصدها منها الا انك ربما تعجز عن ذلك الحكمة فيها لثقل
التفكير في ملكوت السموات والارض وعجائبها ولو نظرت فيم الرايت من عجائبها ما تستعجز عنه عجايب بدنك
كيف لا وخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولينك وفيك بعرفة عجائب نفسك فتفرغ للتأمل فيها
وفيما يكتنفها من الاجسام فتكون ممن قال الله تعالى فيهم سترهم اياتنا في الاتفاق وفي أنفسهم ومن أين لك
ان تكون ممن قال فيهم وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وانما تفتح أبواب السماء لمن لم يستغفره
هم الدنيا ثم قال في بيان حظ العبد من هذا الاسم ويكون الايمان به قطع الانكار والاعتراض ظاهر او باطنا
وتعامة ان لا ينسب شيئا الى الدهر ولا ينسب شيئا من الاشياء الى الفلك ولا يعترض عليه بما أجرى به العادة فحرت
مستمرة بحكمه وتقديره الى حين يعاينها وينقضيها بل يعلم ان ذلك كله أسباب مسخرة وانما ترتب ووجهت
الى المسببات أحسن ترتيب وتوجهت باقصى وجه العدل وقال في اسمه تعالى اللطيف والبالغة فهو من حيث دبر
الامور حكيم ومن حيث أراده اجواد ومن حيث رتبها مصور ومن حيث وضع كل شئ موضعه عادل ومن حيث
لم يترك فيه افاق الرفق لطيف وان يعرف حقيقة هذه الاسماء من لم يعرف حقيقة هذه الافعال وقال في اسمه
تعالى المصور وأما اسم المصور فهو له من حيث ترتب صور الاشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من
أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقة الامن يعلم صورة العالم على الجلالة ثم على التفصيل فان العالم كله في حكم شخص
واحد مركب من أعضائه متعاون على غرض مطلوب منه وانما أعضاؤه وأجزاءه السموات والكواكب والارضون
وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتب أجزاءه ترتيباً محكما لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام لخصص بوجهه
الفوق ما ينبغي ان يعالو وبجهة السفلى ما ينبغي أن يسفل وكان البناء بضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها
لا بالاتفاق بل بالحكمة والقصد لارادة الاحكام ولوقلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب في أسفلها
لانهم دم البناء ولم تثبت صورته أصلاً وكذلك ينبغي ان تفهم السبب في علو الكواكب وتسفل الارض والماء
وسائر أنواع الترتيب في الاجزاء العظام من أجزاء العالم ولودهيها نصف أجزاء العالم أو تخصيصها ثم تذكر الحكمة
في ترتيبها الطال والنصور موجود في كل جزء من أجزاء العالم وان صغر حتى في النملة والذرة بل في كل عضو من
أعضاء النملة بل الكلام بطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان ومن لم يعرف طبقات
العين وعددها وحيثها وشكلها ومقاديرها وألوانها ووجه الحكم فيها قل يعرف مصورها بالبرسم الجميل

(فصل) وهذه نبذة من كلام أئمة السنة الموافقة في المعنى والملاحظة لعمدة ما تقدم تقرر به قال البيضاوي
في تفرقه تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الى قوله وهو بكل شئ عليم فيه تعليل كانه قال وليكونه
عالمًا بكنية الاشياء خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان هذا فعلة على
هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عالمًا فان اتقان الافعال باحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع
لا يتصور الا لمن عالم حكيم رحيم وقال في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض آية اعلم أن دلالة هذه
الايات على وجود الاله ووحده من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلاً والكلام الجميل انها أمور محكمة وجد
منها وجه مخصوص من وجوه محتملة واتجاه مختلفة اذ كان من الجائز مثلاً ان لا تتحرك السموات أو بعضها

كالارض وان تحرك بعكس حركاتها وبجيت تصير دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها ورج وحضيض أصلا
 أو على هذا الوجه لبساطتها وتسواى أجزائها فلا بد لها من موجود قادر حكيم يوجد لها على ما تستدعيه حكمته
 وتقضيه مشيئته وقال في قوله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم الى قوله والله يعلم وأنتم لا تعلم فيه دليل
 على ان الاحكام تتبع المصالح والاراحة وان لم يعرف عنها ونقل الطيبي في هذه الآية عن الزجاجة أنه قال معنى
 كراهتهم القتال أنه من جنس غلظه عليهم ومشيئته لان المؤمن يكره فرض الله لانه تعالى لا يفعل الا ما فيه
 الحكمة والصالح وقال الطيبي في حاشية الكشف عند قوله تعالى والله لا يحب الفساد الفساد في الحقيقة اخراج
 الشيء من حاله المحمودة لا الغرض وذلك غير موجود في فعل الله تعالى ومتراه من فعله افساد فهو بالاضافة البناء
 وباعتبارنا فاما بالنظر الالهى فكذلك اصلاحه - هذا قيل يا من افساده اصلاح أى مانعه نحن افساد فهو
 بالاضافة البناء باعتبارنا القصور ونظرنا وقال الفخر الاصمباني في أول سورة آل عمران القيوم هو القائم باصلاح
 مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بجموع أمرين كونه عالما بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على
 وقها والاول لا يتم الا بكونه عالما بكل شيء والثاني لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن أشار الى الاول بقوله ان الله
 لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء والى الثاني بقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء قال وفى
 هذا لطيفة أخرى وهى ان قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء لا يجوز اثباته بالسمع لان
 معرفة السمع موقوفة على العلم بكونه عالما بكل شيء بل بالدلائل العقلية وهو أن يقال ان أفعاله تعالى بحكمة
 متقنة والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدلائل العقلية الدال عليه وهو انه هو الذى صورهم
 فى الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة وركب الاعضاء المختلفة فى الشكل والطبع والصفة
 فبعضها عظام وبعضها أعصاب وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على
 أحسن التركيب وأكمل التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نقطة أو على كمال علمه من
 حيث ان الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر الا عن عالم فكان قوله هو الذى يصوركم دالا على الامرين
 معا انتهى وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وقوله الرحمن الرحيم كالجنة على
 الوحدةانية فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفرعها وما سواه امانعة أو منعم عليه لم يستحق العبادة
 أحد غيره قال السعد فان قيل الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بتعنة ولا منعم عليها قلنا هى كلها من
 حيث القابلية والفاعلية وما يرجع الى الوجود والسببية تعنة ومرجع الشر والقبح الى العدم وقال
 السعد فى حاشية الكشف عند قوله تعالى أولئك لهم نصيب مما كسبوا من اللتبعض بمعنى انهم لا يعطون
 الا البعض مما طلبوا وهو القدر الذى استوجبوه فى الدنيا نظر الى المصالح وفى الآخرة نظرا الى الاستحقاق
 اذ الصانع حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يعطى ما ليس بمسحق وقال البيضاوى فى قوله تعالى والله يقبض
 ويبسط يده على من يشاء ويوسع على من يشاء حسب ما اقتضت حكمته وقال عند قوله تعالى قال ان الله اصطفاه
 عليكم لما استبعدوا تلك طالوت للفقر وسقوط نسبته رده عليهم ذلك بان العمدة فيه اصطفاه الله تعالى وقد
 اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وقال السعد عند قوله تعالى ان آناه الله الملك وقد حكى قول الكشف
 ان الله لا يوتى الكافر الملك يعنى انه قبيح قال لوسلم فامن قبيح الا يمكن ان يعتبر فيه غرض صحيح مثل الامتحان
 وقال التتبي السبكي فى تفسيره عند قوله تعالى حكمه بالغة أى تامة بلغت النهاية فى كل ما وصف به وقال الزجاج
 فى قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا معنى الكلام أنه قد فرض الفرائض
 على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتضعون الاموال على غير حكمته ولهذا
 أتبعه بقوله ان الله كان عليهما أى عليهما يصلح خلقه حكمهم فيما فرض وقال ابن عطية فى الآية هذا
 تعرض للحكم فى ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة وقال أبو جيان بين تعالى ان
 قصته هى القصة التى اختارها وشرعها وان الآباء والابناء شرع فى ميراثهم ما شرع لا ندرى نحن أيهم

أقرب نفعاً بل علم ذلك منوط بعلم الله وحكمته فالذي شرعه هو الحق لا ما يخاطر بعقولنا فإذا كان علم ذلك عاراً با
عنا فلا نخوض فيما لا نعلمه أذهى أوضاع من الشارع لا نعلم علماً ولا ندر كها بل يجب التسليم فيها لله ورسوله
وجميع المقدورات الشرعية في كونها لا نعقل علماً مثل قسمة الموارث سواء وحكى المفسرون في معنى قوله
تعالى ويهديكم سنن الذين من قبلكم قولين أحدهما أن هذا دليل على أن كل ما بين تحريره لنا وتخليه من
النساء في الآيات المتقدمة فقد كان الحكم كذلك أيضاً في جميع الشرائع والمثل الثاني أنه في بيان ما لكم في
المصلحة لأن الشرائع وإن كانت مختلفة في نفسها متفقة في باب المصالح ولهذا ختم الآية بقوله والله عليم حكيم
أي عليم بوجوه المصالح حكيم بوضع الأشياء مواضعها بحسب الحكمة والاتقان انتهى وهذا الثاني مؤيد
لما تقدم تقرر به أن الشيء قد يشرع في وقت ويكون اذذاك أبدياً من خلافه لحكمة تقتضيه ثم يشرع في وقت
بعده بخلافه ويكون هذا الخلاف أبدياً في هذا الوقت من المشرع لما اقتضاه من الحكمة ونقل أبو حيان
عن بعض المفسرين واستحسنه في قوله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال فهو من الحسد
وعن ثقي مفضل الله به بعض الناس على بعض من الجاهل والمال لأن ذلك التفصيل قسمة من الله صادرة عن
حكمته وعلمه بأحوال العباد بما يصلح للمقسوم له من بسط في الرزق أو قبض ولهذا ختم الآية بقوله إن الله
كان بكل شيء عليماً أي علمه محيط بجميع الأشياء فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض وما يصلح لكل منكم
من توسيع وتقتير فأياكم والاعتراض بنعم أو غيره انتهى وذكر البيضاوي في تفسير هذه الآية نحوه وقال
الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى وعلم آدم لأسماء كل شيء فلهذا دلالة على فضل العلم فانه سبحانه ما أظهر كمال
حكمته في خلقه آدم الأباة أظهر علمه فلو كان في الامكان وجود شيء أشرف من العلم كان من الواجب أن يظهر
فضله بذلك الشيء لا بالعلم انتهى فهذا تصريح من الامام بأنه ليس في الامكان أشرف من العلم وقال الفخر إنما
سأل الملائكة أسألو في حق آدم عليه السلام طلباً للحكمة فأجابهم بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أي ان
مصلحةكم ان تعرفوا وجه الحكمة على الاجال دون التفصيل بل ربما كان التفصيل مفسدة لكم وقال في
الآية بعدها علم أن الملائكة لما سألو عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته واسكانه اياهم الارض
وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الاجال بقوله اني أعلم ما لا تعلمون أراد تعالى ان يزيدهم
بيانا وان يفصل لهم المجهول فينبين لهم من فضل آدم ما لم يكن اذ ذلك معلوماً وذلك بان علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم
عليهم ليطهر لهم كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيبدأ كذلك الجواب الاجالي بهذا الجواب التفصيلي
انتهى وقال المفسرون في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن
ليبلوكم فيما آتاكم من الله تعالى بانه شرع الشرائع مختلفة على حسب ما اقتضته الحكمة وقال
البيضاوي في قوله تعالى بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء أي هو مختار في انفاقه بوسع تارة ويضيق
أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقال الراغب فيما نقله الطبري في حاشية الكشاف وكلاهما من
أئمة السنة والحكم والحكمة من أصل واحد الا انه اذا كان في القول قيل له حكم وقد حكم واذا كان في الفعل قيل له
حكمة وحكم له حكمه فاذا قلت حكمت بكذا فمعناه قضيت فيه بما هو حكمه وان كان كما يقال حكم فلان بالباطل
بمعنى أخرى الباطل مجرى الحكم فحكم الله تعالى مقتضى الحكمة لا بحالة فبه بقوله ان الله يحكم ما يريد على ما يريد
بجعل حكمه حثا للعباد على الرضا به فانه يحكم ما يريد وحكمه ماض ومن رضى بحكمه استراح في نفسه وهدى
لرشد ومن سخط تعدى حكمه واكتسب بسخطه سخط الله واهنته كما ورد من لم يرض بقضائي ولم يصبر على
بلائى فليطلب بأسواى وقال النووي في شرح المذهب في باب آداب العالم وطريقته في نفي الحسد ان يعلم ان
حكمته اقتضت جعل هذا الفضل في هذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة ولم يذمه الله
احترازاً من المعاصي هذه عبارته وهو صريح في ان المعاصي وقعت على مقتضى الحكمة وانما تكره لان الله
ذمها وقال أبو حيان في قوله تعالى وان خفيتم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ختم

الآية بهذين الوصفين للإشارة الى انه انما ينبغي بحسب المصلحة والحكمة وقال أبو طالب المكي في مقام الرضا من قوت القلوب الذي هو أساس كتاب الاحياء ومن الرضا أن لا يذم شيئا مباحا ولا يعيبه اذ كان ذلك بقضاء مولاه مشاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك عن معيار العقل والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء من الله ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله ومنهم من جعله من باب الادب بين يدي الله تعالى وأعظم من ذلك انها داخله في باب قلة الحياء ويصلح أن يكون هذا أحدهم الذي جاءه قلة الحياء كفر يعني كفر النعمة بان يذم ويعيب بعض ما أنعم الله عليه من الارفاق والالطاف اذا كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواء فيكون ذلك كفرا بالنعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدله كفر الان أحدا لو اصطنع طعاما فعبته وذمته كره ذلك منك فكذلك الله تعالى يكره ذلك منك وهذا داخل في معرفة معاني الصلوات وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها صنعة وتحتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تديره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له في كل شيء حكمة بالغة وفي كل صنعة صنع متقن لانك اذا عبت صنعة أحد وذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها اذ كانت الصنعة بمجهولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها وقد كان الورعون لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له وذلك ان الراضي عن الله تعالى متادب بين يديه يستحي أن يعارضه في داره أو يعترض عليه في حكمه فصاحب الدار يصنع في داره بحكمه ما يشاء ويأمر في خلقه كيف يشاء والحاكم يحكم بأمره والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكم حاكمه قال أيضا في آخر مقام التوكل لو تمنى أهل النهى من أولى الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية الاماني فكوت أمانهم على ماتموا لكان رضاهم عن الله عز وجل في تديره ومعرفة بحسن تقديره خيرا لهم من كون أمانهم على ماتموا وأنزل من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقد قال تعالى موخا للانسان بمجهلا للتمني لقلة الايقان أم للانسان ماتموني فته الآخرة والاولى أن يحكم فبما يترك الاماني لانه قال ولواتبع الحق أهواهم ففسدت السموات والارض ومن فيهن هذا السوء علمهم بالتدبير وقوة جهلهم بعراقب المصير واختلاف أهواهم في معاني التقدير فالتوكل بحسب الله تعالى فهو به مسرور وفرح له بملكه مستسلم له في جميع أموره قال له الآخرة والاولى يحكم فبما يشاء كيف شاء انه على كل شيء قدير فعال لما يريد والعبد جاهل عاجز لا يقدر على شيء وهذا أول مقام من المحبة وأوسط حال في التوكل فقد كفي الخلاق هذا كله حسن تدبير الخلاق العليم الخبير البصير وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة ومشاهدة للحكم والقدر الى بصيرة ويقين بالرجة والنعمة يقع بهم مافي القلوب تسكين ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد كشف حجاب العقل وسقوط سلطان النفس وسيطاع العموم على سر هذا من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطيفة القدر عند كشف الغطاء ومعاينة ما وراء من عجائب الخب في السموات والارض وقد اطعم الله على ذلك العلماء به في الدنيا قبل الآخرة وهو محمود مشكور له الحمد في الاولى على ما اظهر له الشكر في الاخرى على ما أخفى وستر ففي كل واحد منهما انعمة سابغة ورحمة واسعة وحكمة بالغة ولكن قد خلق العلماء باخلافة فليس يكشفون من سره الا بقدر ما كشف ولا يعرفون من وصفه الا من حيث عرف انتهى وقال الشيخ ابن عطاء الله قدس سره في لطائف المنن وناهيك به جلاله قدر أن النقي السبكي كان يفخر بحضوره في حلقة وعظمه كرفيه مانصه اعلم ان الله تعالى لم يأمر العباد بشئ وجوبا أو نهي الا والمصلحة لهم في فعل ذلك الامر ولم يقتض منهم ترك شيء يخرج عما أو كراهة الا والمصلحة لهم في تركه ولستنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى انه يجب على الله رعاية مصالح عباده بل على سبيل التفضل فليت شعري اذ قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه انتهى وهذا عين ما فهم من كلام المصنف وقرناه به

*(فصل) في نبذة أحاديث وآثار مناسبتا تقدم روى أبو تعيم في الخليفة وابن أبي الدنيا في كتاب

الاولياء من حديث أنس يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وأنا أغضب لاوليائي كما يغضب
 البيت الجرد الحديث وفيه وان من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخل عجب
 فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين
 لمن لا يصلح إيمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الصحة ولو أسقمته
 لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين ان لا يصلح إيمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك اني أدبر أمر عبادي
 بعلمي بقلوبهم اني أعلم خبير وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله تعالى ربمأسألتني وليي المؤمن
 الغني فاصرفه من الغنى الى الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شره وربمأسألتني وليي المؤمن الفقير فاصرفه الى
 الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان شره وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال قال موسى
 يارب أعطيني الدنيا أعداءك ومنعتها وأولياءك فما الحكمة في ذلك فأوحى الله اليه أعطينتها أعدائي ليمرغوا
 ومنعتها أوليائي ليتضرعوا وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث كليب الجهمي قال قال الله لولان الذنب
 خير لعبدي المؤمن من العجب ما خلقت بين عبدي المؤمن وبين الذنب وروى الديلمي من حديث أبي هريرة
 لولان المؤمن يحب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهيم به ولكن الذنب خير له من العجب وروى البخاري في
 تاريخه من حديث أنس عجا للمؤمن ان الله لم يقض له قضاء الا خيرا له وروى ابن جرير في التفسير عن ابن
 عباس قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وان كان خلاف هواك
 فانه ثبت في كتاب الله قالت يا رسول الله فإني قال وعسى أن تذكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو
 شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فهذه الاحاديث كلها شاهدة لسياق المصنف وأما الآثار فمن سعيد بن جبيرة
 قال قالت بنو اسرائيل يا موسى يخلق ربك خلقا لم يعذبهم فأوحى الله اليه ان ازرع فزرع ثم قال احصد فصد ثم
 قال ذره فذرا فاجتمع القشر فقال لا شيء يصلح هذا قال النار قال فكذلك لا أعذب من خلقي الا من استأهل
 النار ورواه الطبراني في الاوسط بسند صحيح وسئل ابن عباس عن القدر فقال وجدت أصوب الناس فيه حديثا
 أعلمهم به ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظرا ازداد تحيرا ورواه الطبراني وقال
 وهب بن منبه يقول الله تعالى ان من عبادي المؤمنين من يسألني الشيء من العبادة فأجيبها عنه مخافة ان
 يدخل عليه الا عجب فيفسد عليه عمله وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الغنى ولو صرفته الى الفقر لكان
 شره وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح له الا الفقر ولو صرفته الى الغنى لكان شره ورواه أحمد في الزهد عن أبي حازم
 قال ان الرجل ليدب الذنب وما عمل قط حسنة أنفع له منه ويعمل الحسنة وما عمل سيئة قط أضر عليه منها ورواه
 عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وقال وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب فوجدت الله يقول يا ابن آدم ان
 أحب ما تكون الي وأقرب ما تكون مني اذا كنت راضيا بما قسمت لك وأبغض ما تكون الي وأبعد ما تكون
 مني اذا كنت سائطا لاهيا عما قسمت لك يا ابن آدم أظنني بما أمرتك ولا تعاني ما يصلحك اني عالم بخلقك ورواه
 أبو نعيم في الحلية وغير ذلك من الآثار التي في ذكرها تطويل وفيما ذكرناه كفاية للمستفيد واغاطة للمستريب
 * (فصل) * وهذه المسألة التي نحن في سياقها بآراء الشواهد عليها شهيرة بين العلماء وهي في بادئ النظر
 سهلة ولكن عند التأمل عقدة تعبت في حلها كثير من الشيوخ واختلفت آراؤهم وكثر نزاعهم وتشعبوا فرقا
 وسلكوا فيها طرقا فنفهم من رد على المصنف ذلك ونسبه الى رأي الفلاسفة والاعتزال ومنهم من انتصر له وحاول
 عنه النضال ومنهم من زعم انها مدسوسة عليه وقوى ذلك الاحتمال وقد سبق مني وعدني مقدمة كتاب العلم
 حين ذكرت ترجمة المصنف واستطردت فيها الى ذكر مصنفاته ومقالاته والرد على الطاعنين في مؤلفاته وكلماته
 ان اذا وفقني الله تعالى ووصلت الى كتاب التوكل الذي هذه المسئلة مرسومة فيه أتسكلم عليها بما يسر الله
 لذهمي من مجموع كلام الأئمة تسليما وردا ونقدًا وها قد من الله تعالى علي وله الحمد المستقصي حتى يرضي
 ان وصلت الى هذا المقام بعد ان فات من ميقات الوعد الى اليوم نحو عشرة أعوام وقد أعطيت بمنة الله تعالى

لعبارة المصنف استحقاقها شرحا وكشفها بما له من الأدلة والشواهد وفي أثباتها فوائد ورائد وقد عني إلى الآن ان
أجمع كلام أولئك الفرق وأحكامهم بالانصاف تاركا سبيل الاعتساف فما كان صوابا فن الله تعالى وما
كان خطأ فن سوء فهمي وبلادة قريحتي والمطالع يساجني ويغض عن اساءتي فاني مقر بقلة بضاعتى وقولص
نقل حصاني ولنقدم قبل نقل كلامهم وصية تعرف ما عني من تقارفي كلام الناس في تصانيفهم كيف يكون نظره
فيها واقتباسه منها فذلك أكد عليه أن يتعلمه ان لم يعلمه وأولى ما يلزم العمل به اذا علمه فما أتى على أكثرهم الا
انهم أتوا البيوت من ظهورها فشردوا عنها وغلفت في وجوههم وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها
للقوا بالرحب والجوا على الرضا والحب وكشف لهم كثير من حجب الغيب قال المصنف رحمه الله تعالى في اول
الاملاء أيها الطالب للعلوم والناس في التصانيف والمتشرف على كلام الناس ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله
ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أو الى من جعلت نظرك به اذا كان غيره من فهم أو علم أو خطا
أو امام متبوع أو حجة ميزات أو ماشا كل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار عملا لغيره ونكصت على عقبيك
وخسرت في الدارين - فمقتك وعاد كل ما هو لك عليك فن كان رجولة ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه أحد وان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سراها واذا نظرت في كلام
أحد من الناس من قد شهر بعلم فلا تنظره بازدرأ كن يستغنى عنه في الظاهر وله اليه كبير حاجة في الباطن ولا
يقف به حيث وقف به كلامه فالعاني أوسع من العبارات والصدور أفتح من الكتب المؤلفات واطمع بنظر
قابل في كلامه الى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك وجه قدره ويفتح لك باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه
بفساد وليكن تحسین الظن أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك مما تتيقن من معانيه فاذا رأيت حسنة
وسيلة فانشأ الحسنة واطلب المبادئ والاسئلة ولا تكن كالذباب تنزل على أقذر ما تجده ولا تنجل على أحد بالتخطئة
ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لا تشعرك فاسلك عالم عور وله في بعض ما ياتي به احتجاب وناهيك
بما جرى بين ولي الله تعالى الخضر وموسى عليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن في الظاهر
بمحال واختلال فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل الـ لم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتي لك
فاحفظها وتذكرى اياك فلا تذهل عنه وأزيدك زيادة تقتضي التعريف باصناف العلماء لكي تعرف أهل
الحقيقة من غيرهم فلك في ذلك أكبر متعة وتولي في وصفهم ابلغ غرض قال بعض علمائنا العلماء ثلاثة حجة وبحاج
ومحجوج فالحجة والحجاج عالمان بالله وبامرء وبآياته علامتهما الخشية لله والورع والزهد والابتنان لكن الحجة
محفوظ من المراء والجدال فهو خير عليهم على صراط الله المستقيم والحجاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار
البسدة فقد أخرس المتكلمين وأغهم المخترعين برهانه ساطع وبيانه قاطع وبواضح برهانه ودلائله واضح
لحق المبين فهو رباني عليهم على صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبامرء وبآياته ولكنه فقد الخشية لله
برؤيته لنفسه وحجبه عن الورع والزهد وبعده من بركات علمه ومحمته العلو والشرف وخوف السقوط فهو عبد
العبيد الدنيا خادم لخدمته مامنون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد تقربه شانه الاحترار لنعم الله تعالى
والازراء بأوليائه ونفخه بلقاء أميره وصلة ساطعته قد أهلك نفسه حين لا ينتفع بعلمه وأهلك من اتبعه واقتدى
به فويل لمن يحبه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو كل بدينه غير منصف لله في نفسه ولا ناصح له في عبادة فنه وذ
بالله من الحور بعد السكور ومن الضلالة بعد الهدى فالصنفان الاولان من العلماء قد ذهبوا وان كان قد بقي
منهم فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالمخاطبة وذلك لما ظهر في القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل اصلاح
والرشاد وأعز شي في الغالب على وجه الارض ما يقع عليه في الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور وبه وانما
الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجترأ وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدا وبالم يفعلوا
وهم أكثر من هم الارض وصير وأنفسهم أو ناد البلاد وارسان العوام وهم خلفاء ابليس وأعداء الحقائق
واخذان العوائد السوء عنهم يردعيب الحكم الشرعية وانتقاص أهمل الارادة والدين فاحذرهم قاتلهم

الله أنى يؤفكون اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم
أضل أولئك هم الغافلون هذا كله كلام المصنف في خطبة الاملاء وقد اختصرته في بعض المواضع ولما أخذنى
ذكر ما وعدنا به واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السيرة وغفران الجبرية فهو ربي ورب كل شئ واليه
المصير فاعلم ان الطائفة الاولى وهم الذين ردوا على المصنف هذه الجملة ولم يقبلوها وقابلوها على كلام أهل السنة
فوجدوها غير دائرة عليه واستشكلوا فيها أمرين الاول قوله ليس في الامكان أبدع مما أوجده الله والثاني قوله
في اقامة الدليل عليه لانه لو كان واذخره مع القدرة لكان بخلاف يناقض الجود الالهى وظلما يناقض العدل أو
لامع القدرة كان بخلاف يناقض القدرة الالهية فنقدوه بهذا الدليل انه محال غير ممكن حتى يدخل تحت القدرة ومحال
التوقف في هذا الدليل قوله وظلما يناقض العدل فان الناس قد توقعوا فيه موقالوا انما يناسب أصول المعتزلة
القائلين بوجوب الاصلح على الله والافعلى أصول أهل السنة انه لا يجب عليه فعل الاصلح ولا يكون منافضا لعدل
لان فعل الاصلح عندهم من باب الفضل هذا الذى فهم من مجموع كلام المعترضين مع سعة وتشعب ارجائه ولكن
الحاصل ما ذكرته فن هذه الطائفة الامام أبو بكر بن العربي شارح الترمذى وتلميذ المصنف فانه وقد عليه بالعراق
وأخذ عنه علما جاكاذ كره في العواصم والقواصم قال أبو عبد الله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى
قال أبو بكر بن العربي قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولنا عظيم الله عليه أهل العراق وهو شهادة الله موضع
انتقاد قال ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الاتقان والحكمة ولو كان في القدرة أبدع منه واذخره
لكان ذلك منافيا للجود وأخذ ابن العربي في الرد عليه الى أن قال ونحن وان كنا فطرة في بحره فاننا لانرد عليه الا
بقوله ثم قال فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الحقائق ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق ومن تلاه
في الرد الامام أبو عبد الله المازرى والامام أبو الوائيد العارطونى وهما لم يخصا بالرد عليه في هذه المسئلة بل أطلقا
القول في هذه المسئلة وغيره في مواضع من كتاب الاحياء تبين فيها الفلاسفة المازرى لما سئل عن كتاب
الاحياء ومصفه قال في الجواب هذا الرجل وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم
يحتكى لى نوعا من حاله وطريقته فأتلوج بها مذهبه وسيرته ما قام لي مقام البيان فانا أقصر على ذكر حال الرجل
وحال كتابه ثم ذكر انه اكتسبه قراءته الفلسفة خراة على المعاني وتسهيلا للمجموع على الحقائق وعرفني بعض
أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ثم ذكر ابن سينا وانه يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من
الفلسفة وقد أجاب عنهما التاج السبكي بما مر أكثره في مقدمة كتاب العلم حاصله ان ابن سينا عنده من الهالكين
فكيف يعتمد عليه وليس في كتاب الاحياء للفلاسفة مدخل ولم يصنفه الا بعد ما زدرى علومهم ونهى عن
النظر في كتبهم وقد أشار هو الى ذلك في مواضع من الاحياء وأما هذه الجملة التي وقع فيها النزاع والخصام
ومكابرة الاداء الطغام فلا شك انها فلسفية وأوجب للمازرى ولا مثاله اعتقاد هذه الامور الزدية والخلاص منها
الحكم بانهم ادسوسه عليه معزوة كذباً وبهتاناً اليه فبح الله واضعها وعازيها اليه وضائعها * ومن المعترضين
عليه أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الاسكندرى المالكي صنف في ذلك رسالة سماها الضياء المتلالي في تعقب
الاحياء للغزالي وقال المسئلة المذكورة لا تنمى الاعلى قواعد الفلاسفة والمعتزلة ومع رده على المصنف قد أساء
القول فيه جدا اذ تنقص من مقامه وغض من رتبته وهذا لاوافقته فيه أحد فان المصنف امام الدنيا والدين
وقطب العلم والحال والمقام امام المسلمين رافى لم أقف على كتابه المذكور وانما اطلعت على نقول منه
بالوساطة * ومن نقل عنه الانكار امام عموما واما خصوصاً التقي ابن الصلاح و يوسف الدمشقي وابن الجوزي والتقي
السبكي وابن قيم الجوزي بقوا لحافظ الذهبي وقد ذكر في تاريخ الاسلام الانكار عليه عن جماعة من الائمة * ومن جاء
بعده هذه الطائفة الامام بدر الدين الزركشى فقد قال في تذكرة حين ساق هذه العبارة هذه من الكلمات العقم
التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع هكذا نقله غير واحد وله في توجيه الكلام أجوبة سيأتى ذكرها بعد ومن
جاء بعد هذه الطائفة بكثير فتعصب عليهم وطعن البرهان ابراهيم بن عمر بن حسن البهائى الشافعى أحد تلامذة

الحافظ ابن حجر فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه أحداها المقصد العالي في ترجعة الامام الغزالي مدحه في
أوله وأطال فيه ثم تعرض للرد عليه في هذه المسئلة والثانية تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان
والثالثة دلالة البرهان على ان في الامكان أبدع مما كان وكل من الثلاثة عندي قال في الثانية وبعد فهذا
كتاب سميت تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان اردفيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة
المطلقة بهذه العبارة التي عنوانها ان الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيئا أبدع من هذا الذي كان من هذا
الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ونعلم ما غاب عنا باعلام الرسل عليهم السلام لان ذلك على زعمهم من قبيل
المحال فلا تتعلق به القدرة لانصراف الارادة عنه لان من شأنها أن لا تتعلق بالمحال وهذا يشبه أن يكون قول من
يقول ان الاله يفعل بالذات لا بالاختيار وهو قول باطل يلزم عليه قدم العالم بالزمان أو انه قول من يقول بقدم
العالم بالذات حتى لا يكون شئ سوى هذا الوجود المشهود انما هو على زعمه ارحام تدفع وأرض تبلع وهو قول
أهل الطبيعة القائلين بان حوادث هذا العالم علتها امتزاج هذه العناصر بعضها من بعض وهو باطل من الاول
أو قول من يقول بانه تعالى يجب عليه رعايه الاصلح وقد تناظر أهل السنة على رده واغتر بقولهم هذا بعض
الناس وأكذغروا زعمهم بهذه المقالة ان أخذها الامام حجة الاسلام وأودعها بعض كتبه وهو الامام الذي
لا مطعن في دينه ولا علم ولم يقصد بها ان يثبت عنه الاخبار غير انه ليس بمعصوم وهي زلة منه وقد رد عليه صناديد
العلماء في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة وأقوال مرفوضة أمانق له هذه العبارة فقال في كتابه المسمى
بالجواهر والاربعين في أصول الدين وفي الاحياء ثم ساق عبارة الاخيرين ولم يسق عبارة الجواهر كأنه لم يطلع
عليه وقد سقناه نحن آنفا وهذه العبارة في موضعين منه ثم قال وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته
فاجاب كما عجزى اليه ان صح ذلك عنه في كتاب اسمه الاملاء على الاحياء فقال مانصه فساقيه الخ كما سند كره
بعد ثم قال انتهى جميع ما وقف عليه من كلامه على هذا المعنى حسبا عزي اليه والله أعلم بحقيقة الحال هل
هو كلامه أو مدسوس عليه كمنظومة قبل اطلاعي على هذه النقول كمدس عليه بعض المجرمين كتبها كاملة
كأنه على ذلك ليتوصل ذلك المفسد بذلك الى تشبیه فساد ما بالطنين في هذا الاستاذ واما تشبیه ما في تلك
الكتب من فساد الاعتقاد هذا وما تضمنته هذه النقول هو كما ترى ظاهر جرد في نسبة الله الى العجز عن ان
يبدع عالما أكمل من هذا العالم وفي انه بعد ابداع ما هو أكمل من هذا المحال حتى يصير مما ليس من شان القدرة
أن تتعلق به وليس ذلك كذلك قطعاً ولا يثبت كون الشئ محالاً بمجرد الدعوى بل نقول انه ممكن فهو مقدور
عليه وادخاره لا يلزم منه بخل ولا عجز كما يلزم ذلك من خلق شخص من الاشخاص الادميين على غاية البشاعة
في صورته ومعناه خلقاً وخلقاً مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق حتى يكون على صورة من هو أكمل
منه سواء بسواء لاشبهة في ذلك ولا شبهة في أنه كان قادر على أن يبدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة
مؤمنين على قلب رجل واحد لا تحاسد بينهم ولا تباغض بوجه ولو شاء الله ما اختلفوا ولو شاء الله ما اختلفوا
ولا شك ان ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا الخلف والتدابير والتباغض والتنافر ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى ولو شاء لا عطى كل نفس هذا ولو شاء لحفظ الارض من الفساد بعد اصلاحها ثم ذكر نقولاً من كتاب
الاحياء مما توافق مقصوده في ذلك عبارته في الصبر والشكر الذي يقول فيها ان كل مصيبة ومرض فيصور
أن يكون أكثر من ما قد متدورات الله لا تنتهي الخ قال فهذا نص في ان الله تعالى لو أراد أن يخلق عالماً أعظم
من هذا أو أبدع كان عليه هيناً ولا يلزم من ذلك محال ومن ادعى لزوم محال أو عجز أو بخل فليبينه حال كونه
مستغنياً لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل الذي من مفهومه انه لو فعل ما ينفي ما نسيه حكمته كان له ذلك ولم
يلزم منه محال مع أن الله تعالى انما يفعل ما ينفي الحكمة فكيف اذا فعل ما هو أحكم مما فعله أو لو كان قد ادخره لما
لأنه لم يخلق من الحكيم ومنها عبارته في كتاب المحبة تعالى عن سهل الله عباده في هذه البلدة وسألوا الله أن لا يقيم الساعة
لم يقمها قال المصنف وهذه أمور ممكنة في أنفسها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وبجانب الملك والملكون

كثيرة ومقدورات الله لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له اه قال وهذا نص آخر منه على انه خلق عالم ابدع من هذا العالم يمكن فانه من جملة المقدورات التي قال وهو الحق انه لانهاية لها والفضل الذي نص على انه لا غاية له وجوز عدم قيام الساعة لانه يمكن مع انه يحيط بالحكمة ولولا هو لكان خلق هذا العالم صورته صورة العيب وقد قرر هو ان ترتيب الدنيا على الاخرة من جملة ما هو في نهاية الابداع وقد قدم في تلك الكلمات المعترضة ان المسببات رتبت على الاسباب على اكل الوجوه واحسنها وليس في الامكان احسن منها واكل ومن جملة المسببات التي دخلت تحت هذا النص يوم القيامة الذي رتبت على نظام الناس في الدنيا ليظهر فيه العدل وتزاجهم ليظهر الفضل وقد جوز ان لا يكون فان كان تركه احسن من فعله وابدع انتقض قوله على اكل الوجوه واحسنها وان كان تركه اقل حسنا من وجوده وهو كذلك بل لاشئ من الحسن في تركه انتقض قوله في الاملاء فليس في الامكان ان يفعل لانهاية ما تقتضيه الحكمة فكان له ان يفعل ما هو حكمة وليس هو النهاية مما تقتضيه الحكمة وهذا هو الحق وهو لا يستل عما يفعل وهو المختار في أفعاله ولا حد لحكمته كما انه لا حد له هو تعالى جده وتقديس مجده ثم ذكر انه لا ريب في ان الله تعالى قادر ان يجعل الجبال كلها ذهباً وعلى ينقل ان جبل قاسيون الذي يحب عن دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدله اشجاراً وانهم اراؤا كراشياً من هذا النمط مما تعرض على أدنى الطلبة لم يشك في صلاحية القدرة له فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ثم قال غاية القول في هذا ان قائله ظن ان وجود الابدع محال غير داخل تحت القدرة وهو غلط في ذلك هذا حاصل ما ذكره في تهديم الاركان وقد رد عليه الحافظ السيوطي فاحسن وأجاد حاصبه ما قدمنا ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان وجود شئ غير الموجودات ما ومنصب على كونه ابدع من الموجودات في حجة الاسلام كون شئ مما يمكن وجوده ابدع مما وجد مع قطع بصلاحية القدرة لا يجاده فقوله ان في القدرة جعل الكافرين كلهم مؤمنين على الفطرة مسلم لاشك في صلاحية القدرة لذلك كيف وقد قال تعالى ولو شاعركم لآمن من في الارض كلهم جميعا لكن المنفي كون ذلك لو وقع ابدع والمدعى ان ما صنعه الله من جعل الناس قسمين مؤمنين وكفاراً ابدع من حيث الحكمة وكذا انقسامهم الى طائعتين وعصاة ابدع من جعلهم طائعتين وهذا هو السر الذي ورد انتهى عن كشف سره وقد لحظ فيه من حيث الحكمة انه لولا الكفر لم يعرف مقدار الامعان ولولا المعصية لم يعرف مقدار الطاعة ولولا النار لم يعرف مقدار الجنة فهذا بعض أسرار كونه ابدع وكذا نقول انه سبحانه قادر على جعل الناس كلهم اصحاء وغنياء وذوي حسن وجمال لكن جعلهم متفاوتين ابدع وقول المعترض في قدرة الله أن يجعل الجبال ذهبا مسلم ذلك وأكثر منه وقد عرض على نبيه صلى الله عليه وسلم ذلك لكن الابدع ما صنعه ولو كانت الجبال كلها ذهبا لتعطال الوجود وترك الناس الزراعة وسائر وجوه المعيشة فيؤدي الى هلاكهم وهذا هو السرف في انقسام الناس الى زاهد وحريص ووضع الامل والرغبة في الدنيا ولو كان الناس كلهم زهادا ولا آمال لهم لم تركوا المعاش والمناجر والاسفار وجلب الامتعة من البلاد القاصية فلم ينتظم للناس أمر المعيشة فكان صنع الله ابدع وأضافوا كانت الجبال كلها ذهبا لا تقتلوا عن آخوهم كما يقع لهم حين يحسروا الفرات عن كثرة من ذهب كما في الحديث ولما كان ذلك الامر في ذلك الوقت ابدع لاقترب الساعة أوجده الله حيث نذر وقول المعترض ان في قدرة الله ازالة جبل قاسيون الخ هذا مسلم كيف وذلك كان لا محالة قرب الساعة كما قال تعالى ويوم نسير الجبال لكن اثباته الا ان ابدع من ازالته وان كان حاجبا للريح الطيب عن دمشق فاعل البارئ سبحانه علم بحكمته ان الاصح لهذه البلدة بحب الريح الطيب عنها ولا يستنكر ذلك قرب أمر حجة لا يصلح لها شم الريح الطيب وقد قال الاطباء ان الامكنة الرديئة تصح في الازمنة الوبدية فتصح عند فساد الهواء وتفسد عند طيب الهواء فقد تكون دمشق في علم الله كذلك فلم ان الاصح لها بحب الريح الطيب عنها وقد تكون الحكمة في ذلك راجعة الى الارساء لان الجبال لما خلقت لارساء الارض حين مادت فوضع كل جبل في مستقره لحكمة فلهذا لو ازيل عن مكانه أدخل بحكمة الارساء فان الابدع وضعه هنا وان

أدى الى ضرر آخر من حبس الريح لان مراعاة الاشدد ضررا مقدما على الاخف والحسن يترك لها هو أحسن منه والضرر يرتكب لدفع ما هو أشد ضررا منه وقول المترضى ان الله تعالى لا يجب عليه الاصلح هذا مسلم ومن ادعى انه واجب وانما نقول انه تعالى فعل الابدع في مصنوعاته فضلامه ومثالا وجوبا تعالى عن ذلك كما نقطع بانه يدخل أهل طاعته الجنة فضلامه لا وجوبا عليه ولو شاء لدخلهم النار لكنه لا يفعل كرامته فالحاصل اننا نقول ان كل موجود على وجه يمكن ايجاده على عدة أوجه أخرى وان القدرة صالحة لذلك غير ان الوجه الذي أوجده الله عليه أبدعها العلم الله تعالى بوجه الحكمة فيه وايجاده عليه ولا ننفي أن يوجد بعده ضده ونقول انه اذا وجد ضده في الزمن الثاني كان ذلك الضد في ذلك الزمان الثاني أبداع من الضد الاول فكل موجود أبداع في وقته من خلافه والمعتزض فهم من الكلام انه اذا حكم على موجود بانه أبداع استمر ذلك الحكم فيه الى يوم القيامة واقتضى ايجاد ضده أحسن منه بعد ذلك فالزم عليه الاشكال وهذا غلط محض بل المقصود ان كل ما أوجده الله في وقت فهو فيه أبداع من غيره وله أن يوجد غيره في وقت بعده ويكون ذلك الغير في ذلك الوقت أبداع من الامر الاول وهلم جرا فبدى في اليوم الواحد اعداد كثيرة على سبيل التعاقب في كل ساعة منه ضد وكل واحد أو جد في ساعة أبداع فيها من غيره والذي أوجد في الساعة الثانية أبداع فيها من الذي أوجد في الاولى وهكذا وكل ذلك مناطه اعتبار الحكمة الله في أفعال الله وعلى هذا الاشكال البتة ولا يحتاج كلام حجة الاسلام الى تأويل ولا صرف عن ظاهره ونحن نرى أناسا أقامهم الله في أسباب وهم يظنون ان غيرها أحسن حالا منها فلا يزالون حتى ينقلوا منها الى غيرها فلا ينتظم لهم فيها أمر البتة يعودون الى شر ما كانوا عليه ويؤل أمرهم الى العود الى السبب الاول وهم اذا يعرف كل ذي بصيرة ان الابدع والاصح في حق كل أحد ما أقامه الله فيه فان قلت قد انتهت الكلام على الحكمة في أحوال العالم دون حكمة كله كاشتماله على الضدية مثلا من حيوان وجاد ومخلوق وساكن بحيث يمنع ايجاده وايجاد غيره على غيرها قلت قد تولى الله تعالى تبين حكمة ذلك في كتابه العزيز حيث قال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال المفسرون هذه اشارة الى المتضادات المتقابلات من الاشياء كالليل والنهار والسماء والارض والسواد والبياض والصحة والمرض والكفر والايمان والهدى والضلالة والشقوة والسعادة ونحو هذا وفي ذلك دلالتان الاولى على انه تعالى فرد لا ضده ولا شبه ولا عدل ولا مثل والثانية على القدرة حيث أوجدت الضدين بخلاف ما يفعل بطبيعته واحدا كالسجين والتبريد هذه عبارة السبكي في تفسير هذه الآية نقلا عن مجاهد والطبراني هذا كله سياق الحافظ السيموطي رحمه الله تعالى وسياقي ايراد اعتراضه على كلام المصنف في الاحياء وفي الجواهر والاربعة عند ذكر سياق جواب الاملاء

(فصل) ومن المعتزضين المتعصبين على المصنف شيخ بعض شيوخنا العلامة سيدي أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك السجلماسي الملقب بالمولد سنة ١٠٩٠ هـ فانه صنف كتابا سماه الذهب الابريز جمع فيه ما استفاده من شيخه الولي الصالح القطب العارف بالله تعالى سيدي الشريف عبدالعزيز بن مسعود الحسني الادريسي الشهير بالدباغ قدس سره ونفعنا به قال فيه وسألته رضي الله عنه عما نسب لوجه الاسلام من قوله ليس في الامكان أبداع مما كان فقال رضي الله عنه القدرة الالهية لا تحصر والرب سبحانه لا يجزه شيء ثم قال قلت وهذا الكلام في غاية الاتقان والعرفان وقد استخرت الله تعالى غير مرة في أن أكتب شيئا في هذه المسئلة بحجة للخير ونصيحة للغير فانها عقيدة ومع ذلك فانها من الضروريات ولكنك لما كتب فيها القميل والقال واختلقت فيها أجوبة الرجال كادت تلحق بذلك بأدق النظريات فنقول مستعينا بالله وحوله ثم ساق عدة آيات وأخبار تناسب سعة المقدورات وقد ساق تلك الآيات بعينها البقاعي في رسالته ثم قال واذا تأملت هذه الآيات والاحاديث علمت انه الحق الواضح والطريق المستقيم الراجح وقد اعتنيت بسؤال العامة عن هذه المسئلة الذين قالوا بهم ضالية عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق اليهم فأقول لهم هل يقدر ربنا على ايجاد أحسن من هذا

العالم فيقولون ومن يتوقف في هذا ويرى بنا على كل شيء قد روي قدرته نافذة لا يعجزها شيء من الاشياء اه قلت
 ومفهومه ان حجة الاسلام يتوقف في ذلك وينكر سعة القدرة وهذا من أعجب الجباب ولو سئل عنها حجة
 الاسلام ماذا كان جوابه وهل يستدل بكلام العامة على الخاصة ثم قال قلت مرة لبعضهم هل يقدر ربنا على
 ايجاد افضل من هذا العالم فقال لي ألا تسمع الى قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ولم يقيد الجديد
 بكونه دوننا فجاز أن يكون افضل منا أو مساوينا فأنعجبني والله فهمه اه قلت وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل
 فان في سعة قدرته ما يقتضي ذلك ولكنه لم يشأ باذهابنا فكأن وجودنا هو الابدع وليس في تنارة الحجة أن
 الابدع لا يدخل تحت القدرة هذا لا يخطر ببال أحد ولا الكفار ثم قال قلت لبعض الفقهاء ما قولك في
 قول أبي حامد ليس في الامكان أبدع مما كان فقال قد تكلم عليه الشعرا في غيره فقلت انما سألك عما عندك
 فيه فقال وأي شيء عندي فيه فقلت ويحك انها عقيدة أرايت ان قال لك قائل هل يقدر ربنا على ايجاد افضل
 من هذا الخلق فقال أقول له ان مقدورات الله تعالى لا تنهاه في قدرته على ايجاد افضل من هذا الخلق بألف
 درجة وأفضل من هذا الافضل وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت له وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان
 ينافي ذلك فتفطن عند ذلك لمعنى العبارة وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء فاذا سألتهم عن عبارة أبي حامد
 استشعر واجلالته فتوقفوا فاذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعوم القدرة وعدم
 نهاية المقدورات اه قلت لو تأمل السائل والمسؤول حق التأمل لعرفا أن العبارة المذكورة ليس فيها
 تعرض لنفي القدرة أصلا كيف وقد صرح باثباتها في الدليل حيث قال ولو لم يكن قادرا كان يحجزنا نقض
 الالهية فكيف يقال عليه مع ذلك انه نفي الدخول تحت القدرة وتبديل العبارة بسبب آخر غير مناسب
 خصوصاً للعامة فان التصرف في العبارات بغير المعاني وهم لو علموا أن مراد المصنف من سياق هذه العبارة في
 آخر مقام التوكل حيث العبد على الثقة بمولاه والرضا بقضاء الله حتى لا يأسى على شر أصابه ولا خير فاته
 لا استراحوا من القال والقال ثم هذه المسئلة لها طرفان فطرفها الخارج في علم الكلام الذي هو من توابع علوم
 المعاملة ان صحبت فيه النية وطرفها الداخل متصل بعلم كمال الايمان الذي هو داخل في جملة علوم المكاشفة ومن
 ورائه سر القدر المنهني عن افشائه كما أشار اليه المصنف في آخر السياق فالعلم بهام من عالم الملكوت ولا يفهمها الا
 من اطلع على هذا العالم ثم ان هذا المعارض لو تأمل ما أوردناه من الوصية المرضية لم يرجع الى نفسه بالسكوت
 وتأدب مع الله تعالى ومع أهله وخاصته ومن العجب أن مثل حجة الاسلام يحاطب بمثل هذه العبارات ويقال له انك
 تنكر قدرة الباري وتنسب اليها العجز وتنسبه الى البخل وتقول بوجوب الاصح عليه أو تقول انه قائل بتقديم
 الزمان وما أشبه ذلك أن تعلم أملك البضاع ودايتك الرضاع ولو سلوا لاهل التسليم سلوا ثم قال سيدي أجد بن
 مبارك وكذا وقع له مثل هذه العبارة في مقاصد الفلاسفة وقد اخذت العلماء فيها على ثلاث طوائف فطائفة
 أنكرونها وادخلوها وطائفة أولتها وطائفة كذبت النسبة اليه وذهبت مقامه عنها ثم ساق كلام ابن العربي
 شارح الترمذي الذي سقناه أولاً ثم ذكر ابن المنير واعتراضه ثم ذكر كلام ابن أبي شريف في شرح المسامرة بعد
 ان ذكر ان في مقدورات الله تعالى ما هو أبدع من هذا العالم مانعه ثم ان ما في بعض كتب الاحياء ككتاب
 التوكل مما يدل على خلاف ذلك والله أعلم صدر عن ذهل عن ابتناؤه على طريق الفلاسفة وقد أنكروه الاثمة
 في عصره اه قلت كيف يكون هذا ذهولاً من أبي حامد وقد ذكره في عدة كتبه كما تقدم نصراً ومحاولاً ويجا
 ومن شأن الذاهل انه اذا نبه عليه في ذهوله يتنبه ويرجع الى الحق من غير تلعثم اذا كان منصفاً قوياً بالحق كما
 وقع له في مسئلة الدور فانه لما طهره الحق رجوع وصنف رسالة في الرد على نفسه وأنصف وهذه المسئلة قد
 أجاب عنها بنفسه وصمم عليها والمسئلة كما ذكرنا من علم سر القدر ومن علوم المكاشفة ولا يخفى توافق بعض
 عبارات الفلاسفة معها فينبغي التسليم فيها فانه أعرف بهم ممن أتى بعده وكل من تكلم فيها فأنها هو من جهله
 بحقائق عالم الملكوت فان تطابق ما بين العالمين في الحقائق والقواعد صعب وهو قد أشار الى ذلك بأنه قد غرق

فيه طوائف من القاصرين وكل متوغل في عالم الملك غير مطلع على أسرار ما بعده فهو من القاصرين فينبغي أن يقف على ساحل هذا البحر ولا يتوغل فيه ولا يغرق مع الغارقين وله الويل ان لم يكن من الناجين

(فصل) * والطائفة الثانية قالت ان هذه المسئلة قد درست في كتبه قال البهائي في الرسالة الاولى قد ألحقها في كتابه من لم يراقب الله تعالى والدليل على ذلك انها مناقضة لكلامه في جبر عقائده المشهورة وانه نقلها عن الفلاسفة في كتابه الذي سماه مقاصد الفلاسفة وردها هو في كتابه تهافت الفلاسفة وأخذها أهل البدع منهم ونقلوها عنهم وأجمع الامم على انها لا تعلق على الله تعالى لاجتماعهم على أن ما يوهىهم نقض الا يقال عليه وهذه ان لم تكن تفهمه فهي اقوهمه ومن صرح بها بالخصوص البدر الزركشي كما تقدم النقل عنه ثم ساق النقول وقال في الرسالة الثالثة واذا تأمل حق التأمل مع تحكيم الشرع والخلو عن حظ النفس علم ان ما افعله الغزالي مما عزي اليه وهو شديد الشبه بكلام المعتزلة والفلاسفة كذب عليه لاتصع نسبته على هذا الوجه اليه لانه ان لم يكن عين ما نقل عن المعتزلة فهو شديد القرب منه عبارة ومعنى وانظر الى عبارة الاحياء الاملاء وعرضهما على كلامه في غيرهما تراها تنازعة الى ما يوهىهم نقضاً في حق الله البتة فان رأيتها أو كثيراً من جلهاء عين كلام المعتزلة الاخذين له عن الفلاسفة أو قريبة اليه جداً فانفها عن الغزالي لبعدها عما مضى من كلامه فان ذلك ممكن لان الحساد كثير ولهم مكر كبير وكيد تكاد منه الجبال تسير وقد كذبوا على غيره ليشوا باطلهم المقعد بحسن سيره وذلك أقعد في تزويه عنها وتبريته منها وان رأيت أن تثبتنا على وجهها وسبائرها من غير أن تجوز فيها تحريفاً أو دسائلاً أو زيفاً أو لبساً ثم تؤول وترتكب وعراضاً عابضاً وتعاسف خشناً عليها تقول فافعل ان استطعت ذلك الى ان قال ولا تستوحش من قولي ان ذلك مدسوس عليه لاجل كثرة الكلام وطوله مع أن الاحياء شهر النسبة اليه فاني لم أعن بذلك الجميع بل هو دون خسين كلمة وهي قوله في الجواهر ليس ليكون الكلام اثباتاً لا مكان الابدع وقوله ولو كان الى القدرة وقوله الواجب وقوله وليس في الامكان الى قوله الالهية اذا حذف هذه الكلمات استقام الكلام ولم يبق فيه شيء الا صيغة الفعل وقد جرت العادة بالاثبات بها في سياق الاثبات على قصد المبالغة في المدح واردة معنى من والذي دلنا على ارادته المبالغة مع استلزام الحقيقة المحال وهو تنهاى القدرورات قوله عقب ذلك في الدلالة عليه وأشار الى وجه اثباتهما أى العلم والقدرة بانه قادر على ابدائهم وابداء ما هو أعظم خلقاً وأعجب صنفاً فهذا هو العذر عن الاحياء وعن الجواهر وأما الاملاء فليس مشهوراً عنه فالظاهر ان الذي دس في الجواهر والاحياء اتقن دسه بما ذكره في الاملاء اه

ومن جوار الدس عليه واعتمده التقي السبكي واستحسنه مولاه التاج كما تقدم عنه في الكلام مع المازري وقال سيدي أحمد بن مبارك وأما الذين كذبوا نسبة هذه المسئلة اليه فستندهم انهم عرضوها على كلامي في كتبه فوجدوها معه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد النقيضين فضلاً عن أبي حامد فلذلك حكمتنا بطلان نسبتها اليه ثم ساق عن المستصفي والاقتصاد ثم قال وأنت اذا تأملت ما وقع للامام أبي حامد في الاقتصاد وفي مواضع من الاحياء أيقنت ان تناقض ما نسب اليه في المسئلة المتكلم فيها فانه قضى فيها بان ادخار الابدع مع القدرة عليه ظلم ويحل وقضى هنا بان صب العذاب والالام والاصاب على الخلائق عدل لا ظلم فيه والتناقض بينهما ظاهر لا يخفى فان ادخار الابدع اذا كان ظاهراً يناقض العدل كان صب العذاب والالام والاصاب ظاهراً يناقض العدل بالاولى والآخرى وقد حكم عليه هنا بانه عدل لا ظلم فيه وقد صرح في المسئلة بانه ظلم يناقض العدل في تهافت الكلامان وهذا المكان في الوضوح لا يخفى فان قلت كيف تكون المسئلة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ولا سيما في الاملاء فان ذلك يقتضى انه وقف على اشكالها واشتغل بالجواب عنها ولو كانت مكذوبة عليه لبادر الى انكارها وتبرأ من قبحها وعوارها قلت لا مانع من أن يقع الكذب عليه مرتين مرة في نسبة المسئلة اليه ومرة في نسبة الجواب عنها وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار ما معناه ان وجود مسئلة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة الى امام لا يدل على انه قالها حتى تنقل عنه نقل متواتراً

ليستوى فيه الطرفان والواسطة وذلك مفقود في مسئلتنا قطعاً فلذلك قطعنا بانه لم يقلها حيث وجدنا مخالفة لعقيدة أهل السنة والكلام الغزالي في سائر كتبه اه قلت هذا الذي ذكره بعيد ولو كان ذلك في كتاب واحد كان الامر سهلاً وما كان الغزالي من الموصوفين بالبلاغة حتى يمشي عليه الدس في كتابه ويسكت عليه ولا يتفطن له مع سؤخ قدمه في علم الكلام وسائر العلوم وهبه انه فطن له ونهوه عليه واستشكاه ما كان مقتضى ورعه وعلمه ان يتبرأ منها ويصحح بان هذا ليس من كلامي بل اشتغل بتحرير الجواب وقدمه بمقدمة في معرفة اصطلاح القوم ووصية جامعة تقدم ذكرها ومن جملتها اذا نظرت في كلام أحد من الناس فلا تقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني أوسع من العبارات واذا عرض لك فيه اشكال يؤذن في الظاهر بمحال واختلاف نغماً ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عنك فهمه الى آخر ما قال وهذه المسئلة المتنازع فيها كذلك فان ظاهرها يؤدي الى اختلال وقداعة اص عنها فهم العلماء الابطال فينبغي تسليمها لاهل فهمها والاشتغال عنها بما هو أهم في الحال وادعاء الدس في سائر كتبه حتى في الاملاء أبعد من الاول وما نقله عن القاضي أبي بكر الباقلاني فيه تضيق شديد فان الشرط الذي ذكره مفقود في غالب كتب الاسلام من الفقه والحديث التي عليها عمل الناس اليوم في الاحكام فضلا عن كتب الكلام والرفائق والتصوف ولئن سلمناه فانه يجبر الى فتح باب اللطعن على كثير من مؤلفات الائمة الاعلام فتنبه لذلك

(فصل) في ذكر الطائفة الثالثة وهم المنتصرون للمصنف فأولهم على الاطلاق وأعلمهم وأولاهم بالتقديم المصنف نفسه فانه سئل عنها في حياته وأجاب وهذا نصه في الاملاء قال السائل وما معنى ان ليس في الامكان أبدع من هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخروا مع القدرة على خلقه لمكان ذلك بخلاف يناقض الجود أو عجزاً يناقض القدرة الالهية فقال في الجواب معنى ان ليس في الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخروا مع القدرة عليه كان ذلك بخلاف يناقض الجود الالهى وان لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً يناقض الالهية وكيف يقضى عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار اخراج هذا العالم من العدم الى الوجود عجزاً مثل ما قيل فيما ذكرنا وما الفرق بينهما وذلك لان تأخيرهما بالعالم قبل خلقه عن أن يخرج من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل فاذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهائية ما تقتضيه الحكمة التي عرفناها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم بحجاري أفعاله ومصادر أموره وليتحقق أن كل ما قضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وادارته وقدرته وان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاقتان ومبلغ جودة الصنيع ليجعل كمال ما خلق دليلاً قاطعاً وبرهاناً واضحاً على كماله في صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان كل ما خلق ناقصاً بالاضافة الى غيره مما يقدر على خلقه ولم يخلقه لمكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما ظهر على من خلقه ناقصاً في أشخاص معينة ليدل بها على كمال ما خلقه من غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه فلنا ذلك خلق للخلق عقولاً وجعل لهم فهم ما وعرفهم ما أكن وكشف لهم عما يحب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله داهم على نفسه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرفهم بعجزه فتسأل الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضاً قد يعترض بهذا ولا نشير به الى من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الفكر الصحيح في منشأته وبخترعائه ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تميزه في عجائباتها ولا لاحظا المكوت ببصر قلبه ولا جاوز الخنوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم أن الجنة أغني التعيم وان النار أقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى السكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم اسنى الهبات ويرى أن العالم بأسره أخرج من العدم الذي هو نقيض الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله طبقات فنحن حى وميت ومغترل وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وجليل وحقيق وصغير وكبير وغنى وفقير

بأمور وأمر ومؤمن وكافر وجاهد وشاكر ومن ذكر وأنتى وأرض وسماء وذنبا وآخرى وغير ذلك مما لا يحصى والسكل قائم به وهو وجود بقدرته وباق بعلمه ومنته إلى أجله ومصرف بمشيئته ودال على بالغ حكمته فسا أكل من حديثه الأقدمه ولا من تصرفه الاستبداده ولا من ملكه الاملكه فيعود الحديث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلقه كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخيل المعتوهين وزيف الزائعين علوا كبيرا هذا آخر ما نص عليه في الجواب وقد نقض البقاعى عبارة الاربعين والاحياء والاملاء فقال في الرسالة الثانية وأما التفصيل فقوله في الاربعين ان الاسباب رتب على المسببات على أكل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكل يلزم عليه أن ندع كل أحد على ما هو عليه فان الذى هو عليه مرتب على سبب من الاسباب على الوجه الذى ادعى انه لا يكون أحسن منه فيلزم من ذلك أن يجب علينا أن ندع الكافر على كفره والعاصى على عصيانه الى غير ذلك مما أمرنا الله بخلافه وقوله ليس في الامكان أحسن منها من مفهومه ان هداية الكفار لا تتم لكن لانه دون ما تقتضيه نهاية الحكمة وهذا أمر يناقض صراخ آيات كثيرة وهو نقض للسريرة ولا سيما اذا قرنت هذا الكلام بما عقبه من قوله ولو كان أى غير ذلك ممكنا لكان أى إجماده لذلك الواقع مع ادخاره ذلك الاكمل بخلا لاجودا أو عجزا يناقض القدرة فان ذلك بوضع غاية الايضاح ما قلت ويفهم قوله وليس في الامكان أحسن منها ان ذلك غاية ما يمكن القدرة ان تصل اليه فيناقض حينئذ قول الحق نفسه ان المقدورات لانهاية لها وان كماله سبحانه لاحد له كما تقدم ويلزم عليه أن يكون سبحانه غير مختار في أفعاله وأن يكون مسه النصب في ايجاد كل شئ فان من بذل غاية وسعه في عمل شئ تعبد ولا يكون في العادة ولا يدخل في العقل غير ذلك وهذا يناقض قوله سبحانه وما من من لغوب وزير بهذا الذى فهمته مما ذكره في الاربعين وضوحا وقوله في الاحياء ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فسلكه عدل محض لاجور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذى ينبغي وليس في الامكان أصلا أحسن منهم ولا أتم ولا أكمل فهذا يدل على قطعنا على أن ذلك الذى وجد من كل شخص بكل وصف قام به غاية ما اتصل القدرة اليه وهو واجب الوجود على ما هو عليه لا يمكن شئ غيره ولا أن يكون على حالة غير حالته التى وجد عليها أو انه ان تحول من حالة كان على دونها في الحسن فيلزم عليه أن يكون كفر الكافر أحسن من إيمانه ويريد وضوحا ما بعده من قوله ولو كان أى في الامكان أحسن منه وادخره مع القدرة ولم يفعل له لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولا شك ان هذا انما يكون كذلك من يتوجه عليه الحكم ليكون ثم من يوجب عليه أن يفعل غاية وسعه فان قصر عن ذلك مع القدرة عد بخيلا وجائرا وظلما وأما من تم ملكه وكل ملكه فانه لا يجب عليه شئ ولا ينسب الى ظلم وقد أطبق أهل السنة على هدم أصل المعتزلة في وجوب رعاية الاصطلاح الذى هذا الكلام شديد النزاع اليه بل لا شك انه عين القول به وقوله ولولم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية هذا صحيح ولكن نجيل هذا المدعى ونقول هو قادر على كل ممكن وهذا من جملة الممكنات لانه لا دليل على استحالته وقوله اذلول الابل لماعرف قدر النهار الى آخره كلام صحيح في نفسه بالنسبة الى ما أوجده سبحانه الآن وأما انه تعالى لا يقدر على التعريف بغير ذلك فلا والله بل هو تعالى قادر على ان يعزفنا جميع الاشياء المتضادة قبل كونها ثم ساق حديث أبي هريرة في نظر جبريل عليه السلام الى الجنة وكيف حفها بالثمار والى النار وكيف حفها بالشهوات ثم قال في هذا أمران أحدهما انه خلق كلالا من الجنة والنار على انقص مما هي عليه الآن فعلم بطلان قوله انه اذا فعل فليس في الامكان ان يفعل الانتهاء ما تقتضيه الحكمة وهذا كما خلق الارض دون الراسى ثم أنها هالى الحد الذى أراده وهو قادر على أعلى من ذلك ولم يكن تأخيرها لما أخر من بخل ولا عجز تعالى الله عن ذلك والثاني انه يمكن معرفة الشئ قبل ايجادها ومن ثم تعرف بطلان قوله ولولم يخلق الناقص لم يعرف الكامل وأما قوله ان ذلك عدل فلا شك فيه والفضل أوسع ولو جعل الامر على غير ذلك لكان عدلا لانه لا يسئل عما يفعل وأما كونه حقا لا لعب فيه بان يجعل بدل الكفر الإيمان وبديل

المعصية الطاعة ونحو ذلك ولو جعل بدل إيمان المؤمن كفر السكان ذلك حقاً لا لعب فيه ولو جعل بدل تنعيم الطائع عذاب السكان عدلاً لا جور فيه هذا دين الإسلام الذي لا ريب فيه وإن كنا نعلم أنه لا يفعل ذلك لأنه أخبر بخلافه وهو لا يبدل القول لديه وأما قوله في الاملاء ليس في الامكان أبدع صورة الخ فقد تقدم ما فيه وقوله وكيف يقضى عليه بالعجز فيمالم يخلفه اختياراً ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار الخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيمأذ كثرناه وما الفرق بينهما معناه أن قوله لو دخره مع القدرة لزم عليه العجز يلزم عليه ذلك بعينه قبل ابداع هذا العالم فإن اعتقاد المسلمين أن العالم حادث ولا شأن أنه قبل احداثه كان مؤخر الإيجاد له مع القدرة عليه فإن قلت إن كل تأخير يلزم عليه العجز لزم وصفه بذلك في الازل قبل خلق العالم والافان نقولك وجهها فاجاب بان ذلك التأخير كان واقعا تحت الاختيار الممكن حيث أن للفاعل المختار أن يفعل وإن لا يفعل يعني وتأخيره لاحسن منه ليس داخلاً تحت القدرة لأنه من قسم المحال الذي ليس من شأن القدرة أن تتعلق به وذلك لا يلزم عليه عجز لأنه ليس من شأن القدرة أن تتعلق به ولا يلزم عليه بحسب لانه لم يدخره مع القدرة عليه هذا تقرير كلامه وهو ناقص لأنه لو سلم كان مخلاً بما ألزم به من الجمل وهو لازم في الازل قطعاً لو صح دعواه وليس عنه جواب فإن سلم أن هذا العالم كان تحت الاختيار الممكن وكان قد ادعى أن الادخار مع القدرة محال واسقاط الشق الذي لا جواب عنه يرجع عندي أن هذا الكلام مدسوس عليه وليس من كلامه هذا ما يلزم لو سلم كلامه لكنه غير مسلم بل خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن ولا يثبت المحال بمجرد الدعوى بل على من يدعيه البيان وقوله فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهائية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا انم احكمة كلام يناقض الفعل بالاختيار فهو قطعاً قول من يقول أن الفعل ذاتي لا اختياري أو قول من يقول أن الفاعل الطبيعية لا الواحد القهار المتصرف المختار وهم فريق من الفلاسفة والاول قول القائلين منهم بعدم العالم بالزمان لا بالذات ويكفي في رده أن الله تعالى خلق الأرض أولادون الجبال فلما عادت أرساها بالجبال فسكنت فلم تخلقها أولاً على نهائية ما تقتضيه الحكمة ولقد كان تعالى عالماً بانها تضرب اذ خلقتها ولكنها أخر ذلك لحكم عظيمة منها تعلمنا أن لانهم بشئ من أمر الدنيا قبل الحاجة اليه بالفعل ومنها الرد على قائل هذه المقالة حتى لا تبقى شبهة في أن فعله بالاختيار يخلق الناقص والكامل ولا يستل عمياً يفعل هذا أخر ما تقتضيه البقاعى على الكتب الثلاثة وقد بحثه الشرح سيدي أحمد بن مبارك حيث قال في الرد على جواب الاملاء خاصة اذا ثبت له الاختيار قبل الفعل فيثبت له حين الفعل وبعد الفعل سبحانه لا اله الا هو فإذا كان الاختيار هو السبب في تأخير وجود العالم فيجب أن يكون هو السبب في تأخير وجود الابدع والاعراض عنه وحينئذ فقوله فليس في الامكان الانهائية ما تقتضيه الحكمة يقتضى أن الاختيار مسلوب عند الفعل وأنه تعالى يجب عليه فعل ما تقتضيه الحكمة وحينئذ فيقال لا بى حامد فإذا كان الابدع عدم تأخير وجود العالم فلم عدل عنه فيقول لا سبحانه فيقال انما عدل عنه لثبت له الاختيار فيقال له وكذا بعد الفعل انما يجب فعل الابدع لثبت له الاختيار فإن قال عند الفعل فيسبب عنه وقبله فيثبت له لزمه نفي وصف الاختيار الثابت له أولاً ما ثبت قدمه استحالة عدمه فهذه حجة واضحة على حجة الاسلام اه قالت كل منهما ندن حول الحى ولم يحط بمراد المصنف ولا حام على ما هو بصدد وقوله مأخوذ من قول الفقهاء ان الاحكام تتبع المصالح الراجعة بفعل سائر الافعال كذلك واقعة بحسب المصالح الراجعة من غير تعرض لنفي القدرة أصلاً ولان نفي الاختيار عند الفعل فكل فعل أوجده الله تعالى دل إيجاده له على ان المصلحة في إيجاده أرجح منها في عدم إيجاده مع صلاحية القدرة قطعاً لعدم إيجابه وكل ما لم يوجد دل عدم إيجاده له على ان المصلحة في عدم إيجاده أرجح منها في إيجاده مع قدرته قطعاً على إيجاده هذا معنى كلامه في الاحياء وفي الاملاء ومقصوده بذلك حث العبد على منتهى مقام التوكل الذي هذه المسئلة مذكورة فيه وعلى الرضا بكل قضاء الله تعالى كإدلال عليه سياق صاحب القوت ومساق كلامهما يدل على ما ذكرته حتى لا بأسى على شر أصابه ولا خسر فانه ومن ذا الذي يقول في شر أصابه ان القدرة لا تصلح لعدم إيجاده أو في خبر فانه انما لا تصلح

لا يجادده هذا الايقوله عاقل لا مسلم ولا كافر فان اهل الملل اتفقوا على اثبات القدرة لله تعالى ولولا ما وافيا ذكرناه أولا ان النفي في كلامه ليس منصبا على امكان الوجود بل على كونه ابداع لم يتوقفوا في فهم كلامه ولا جلبوا هذه العبارات التي لا طائل تحت أكثرها فان النفي حينئذ وصف في صفات الممكن لا القدرة البتة ألا ترى انك لو قلت هذا الفعل ليس بحسن هل يكون في نفك الحسن عنه قدح في القدرة أو تعرض لها بوجه من الوجوه لا فكذلك اذا قلت هذا الممكن ليس بابداع وها أنت قد ادعيت في الوجود انه ليس بابداع مما وجد فان كان في قول المصنف تعرض للقدرة فهو في قولكم أيضا يلزمكم ما يلزمه وليس الامر كذلك لا في قولكم ولا في قوله ما ينفي القدرة أصلا وانما النفي منصب على وصف من صفات الوجود أو الممكن لا تعرض فيه للقدرة أصلا ومن المعارضين من ادعى انه ليس الكلام في افراد ما يوجد في هذا العالم بل الكلام انما هو في امكان عالم آخر غير هذا العالم وهو ممنوع بل الكلام انما هو في الاول كما هو مساق كلام المصنف نعم كلام الفلاسفة في الثاني وليس هو مراد المصنف ومن هنا جاء الغلط عليه فظنوا لاشتبهاء المقاتلين انهم كانوا ردوا على محل واحد وليس كذلك لا محلا ولا تصورا ولا حكما * وأما الجواب عن عدم ذكره في السؤال الذي تكلم عليه في الاملاء كلمة العدل واقتضاه على جملة الوجود خاصة اما لكونه أبان لهم عن مراده بها حال التدريس أو عرفهم ذلك لكونهم من أهل الفطنة الزائدة والخبرة بمقاصد المصنفين والمناظرين فاستغنوا عن السؤال عنها وانما أوردوا عليه لزوم مثل ذلك من قبل ايجاد العالم فقط وطلبوا الفرق فبين لهم فرق ما بين الحالين وأما اطلاق لفظة البخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها المصنف المبالغة في تقريب الدليل الى الاذهان فكانه قال لاشك في ان البارئ تعالى جواد لا يبخل وهو منزوع عن البخل والجواد لا يخص بعهاته أحد ادون أحد الاحكام وقد قدر على أناس ككوسع على آخرين فلو لم يكن تقييده على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح في حقهم لكان منافيا للحدود والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي بصفة الجود والافضال وأنت اذا تأملت ما قاله بعض العلماء في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ان النكتة في العدول عن فاعل الى فعال ان أدنى الظالم لو فرض صدوره من البارئ تعالى لكان عظيم بالاضافة الى جنبه كما يقال دولة العالم كبيرة وجاء النفي بحسب ذلك وتأملت قول المتنبى يحاطب بعض الكرام * ما من اذا وهب الدنيا فقد بخل * يريد ان مدح حبه تناهى في الكرم بحيث لو وهب جميع ما حوته الدنيا كان بالاضافة الى ما يقتضيه مقامه بخلًا انحل عندك الاشكال في اطلاق هذه اللفظة

(فصل) ومن المنتصرين الامام العارف المحقق الملقب بالشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي قدس سره أوردته في الفتوحات المكية وفي الفصوص وفي كتاب الشريعة ولفظه في الفتوحات على ما نقله الشعرا في الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية ان كلام الغزالي في غاية التحقيق فلا ينبغي الانكار عليه لانه ما ثم الا مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث فالمرتبة الاولى للحق تعالى وحده باجتماع جميع الملل والمرتبة الثانية للخلق فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما يساويه في القدم لانه سؤال مهمول في غاية المحال اه ووجدت بخط شيخنا المرحوم أبي المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني رحمه الله تعالى ما نصه قال سيدي عبد الوهاب الشعرا في الجواهر والدرر سالت شيخنا رضي الله عنه عن قول الغزالي ليس في الامكان ابداع مما كان فان بعض أئمة المغرب أفتى بكفر قائل ذلك فقال رضي الله عنه بلغنا عن الشيخ محيي الدين انه كان يقول من كفر الغزالي بذلك فهو غير مصيب والجواب عن ذلك سهل وانه ما ثم في الوجود الامر بتبائن فالحق تعالى في مرتبة القدم والخلق كلهم في مرتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث ففراد الغزالي بنى الابدعية التحاق الحادث بمرتبة القديم وهذا غير ممكن اه وقد نقضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال وهذا ليس من الجواب في شيء ولا نسبة بينه وبين مسئلتنا بوجه ولا بحال وانما يصح أن يكون جوابا لو كان مدعى الغزالي ان ليس في الامكان ابداع من القديم ومدعى المنكرين عليه ان في الامكان

ما هو أبدي من القديم فيكون الجواب عليه ان الحديث لا يبلغ القديم أبداً اما حيث كانت دعواه في مراتب الحدود وان ما وجد من الحوادث لا يمكن أن يوجد حادث أبدي منه ودعوى المذكر من انه يمكن أن يوجد ما هو أبدي منه والالزم تناهي المتدورات وذلك يستلزم القصور في القدرة المفضي للجز فاني يلاحظ ذلك الجواب اه قلت جواب الشيخ الا كبر منترع من عبارة المصنف في آخر جوابه في الاملاء وهو قوله فمأكل من حدث الاقدمه الخ فالابدية للقديم وليس في الممكن أن يخلق أبدي منه لانه محال والقدرة لا تتعلق بالايمان ولو كان ممكناً وخلق لا لتحق المرتبة الثانية بالاولى ولزم منه صيرورة الحادث قدماً هذا الذي فهمته من عبارته والفهوم يختلف وقد ذكر الشيخ في الفتوحات في السؤال التسعين عبارة أخرى تشبه سياق المصنف قال المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لانه مخلوق لغيره لانفسه فالذي خلقه ما أعطاه الا ما يصلح أن يكون له تعالى والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه فلو علم انه مخلوق لربه لعلم ان الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه وهذه المسئلة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة كبرهم لها وهي مما يحتاج اليها في المعرفة المبتدى والمتمشى والمتوسط فلم يبق في الامكان أبدي من هذا العالم ولا أكمل في باقي في الامكان الا مثاله الى ما لانهاية له اه وفيها أيضاً في السؤال السادس والمائة ما الرداء الجواب العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الالمانية والالهية وهو المظهر الاكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد ما في الامكان أبدي من هذا العالم لاكمال وجود الحقائق كلها فيه وهو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة ونايبا وله الاثر الكامل في جميع الممكنات وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر اه وفي حكمة الاشراق للسهروردي المقتول ولا يتصور الوجود الا كاهو عليه اذ لو تصور الوجود وأمكن أن يكون أحسن مما هو عليه لوجد من الموجب لذاته لعدم البخل قال الشارح وهو القطب الشيرازي وهذا ما ذكره الغزالي في بعض كتبه ونقله عنه الشيخ الكامل يحيى الدين في الفتوحات واستحسنه اه وقد تعلق المعتضون بهذا ان كلام المصنف مبني على كلام الفلاسفة وهو غلط فان مساق كلام المصنف غير مساق كلامهم ولا شبهة المقالتين ظن الشارح المذكور ان الغزالي اقتبس من كلامهم ولا يتصور ذلك ولا يحكم عليه به فتأمل وقال الشيخ الاكبر في الفصوص في الفصل الاووي فليس في الامكان أبدي من هذا العالم لانه على صورة الرحمن اه وقد اعترض عليه وانه منترع من كلام الفلاسفة وليس كذلك بل هو منترع من الكتاب والسنة والمراد بالعالم الانسان قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وفي الخبر المتقدم بذكره ان الله خلق آدم على صورته والآية نص قاطع في ان الصورة التي خلق عليها الانسان لا أبدي منها ما فهمنا من المحاسن والحكم

(فصل) ومن المنتصرين العلامة بدر الدين محمد الزركشي من كبار أئمة الشافعية قال السيوطي بلغني انه تكلم على هذه الكلمة في تذكرة فطلبته حتى وفقت عليه فقال فائدة قال الغزالي ايسر في الامكان أبدي من هذا العالم لانه لو كان ممكناً لم يفعل له كان بخلاف يناقض الجود او عجزا يناقض القدرة وهذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع لكن الظن به انه انما أراد بها تعظيم صنعة الصانع لا بصنع أحد صنعه ولا تذكر في بواطن الابداع حكمته فقد أوجد ما لا يمكن العقل ان يجاره فليس في الامكان يمكن أبدي من الانسان لاشتماله على أحكام أنواع الوجود فهو في غاية الحكمة بالنسبة الى ادراك العقول النيرة لا بالنسبة الى عالم السر والخطية الكامل المطلق الذي لا تنتهي أحكامه ولا تنفذ عجايبه فإرادته ليس في الامكان باعتبار ما تقتضيه العقول لا باعتبار ما في غيب الله تعالى ولهذا قال تعالى ويخلق ما لا تعملون فحكم العارف على قدر ادراكه لا على قدر أحكام ربه فان الرب تعالى محيط بكل شيء وليس لاحد احاطته بنوع من أنواعه من كل

وجه فان لكل نوع أحكاما متعددة منها ما أطلع الله عليها خواص خلقه ومنها ما هو راجع له قال ومنهم من قال معنى قوله ليس في الامكان أبدع من هذا العالم اذ كان ابداعه عين وجوده فليس تفسير ذلك يعني انه ليس في الامكان أبدع من وجوده فانه يمكن في نفسه وما استفاد الوجود فلا أبدع في الامكان من الوجود وقد حصل فانه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك للجواب الاول الذي يقول فيه ولعله انما أراد تعظيم صنعة الصانع مانصه وذلك لان الاله الحق سبحانه ثبت له الاختيار المطلق واستحال في حقه الظلم والخل والجور فقله في دليله السابق اذ لو كان أبدع من هذا العالم وادخه مع القدرة عليه لكان بخلا وطمحا لذلك فعلى هذا فاذا كان هناك أبدع من هذا العالم ولم يقبله فذلك لسلك اختياره وتعالى في عظمته وسلطانه لما قاله هنا من ان ذلك بخل وعجز وطمع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال وفي قوله بالنسبة الى ادراك العقول النيرة الخ فيه نظار فان العقول النيرة تدرك في بداية نظارها جواز وجود ممكن ابدع ولا تحتاج في ذلك الى فكر ورؤية لان ذلك راجع الى العلم بجواز الحقائق التي قبل انهما نفس العقل وقوله لحكم العارف على قدر ادراكه أقول ان ذلك يدق ويخفى على غالب العقول وأما الظاهر المبذول الضروري فلا فرق فيه بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا فلا

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ عبد الكريم الجبلي صاحب الانسان الكامل فانه أجاب بان كل واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم فلا يصح أن يرقى عن رتبته في العلم الالهي ولا ينزل عنها فصح قول الامام ليس في الامكان أبدع مما كان هكذا ذكره الشعراوي في كتاب الاجوبة المرضية ووجدت بخط شيخنا المرحوم الشمس الحفني رحمه الله تعالى هذا الجواب له أبسط مما هنا وذلك انه قال سئل عن هذا القول فاجاب انه قول صحيح لانما كان قد تعاقب به العلم القديم بلا شك وما تعلق به العلم القديم لا يقبل زيادة ابد الاذلو قبل الزيادة لقبها العلم القديم ولا قائل به فصح انه ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم انتهى وهذا هو نص الشعراوي في الجواهر والدرر قال وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات نحو ذلك فقال في حديث ان الله جليل يحب الجمال اي ان الله صانع العالم والعالم كام في غاية الجمال فافيه شيء من القبح بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال فليس في الامكان أجل ولا أبدع ولا أحسن من هذا العالم ولو أوجد تعالى ما أوجد الى ما لا يتناهى فهو مثل لما أوجد لان الحسن الالهي والجمال قد حازه وظهر به فانه تعالى أعطى كل شيء خلقه وهو جماله اذ لو نقص شيء منه لنزل عن دوحته كمال خلقه فكان قبيحا اه وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك للجواب الجبلي وهو النص الاول الذي أوردته أولا فقال وهذا أيضا ليس بجواب لاننا سلم ان كل واقع في الوجود لا يرقى عن رتبته في العلم ولا ينزل عنها وذلك لا يستلزم انه لا يمكن وجود ابدع منه وانما يصح أن يكون جوابا لو كان كلام الغزالي هكذا ليس في الامكان أن يرقى الحادث عن مرتبته في العلم أو ينزل عنها اه قلنا الذي فهمت من سياق عبارة الجبلي الثانية ان مراده اثبات الابدعية لهذا العالم بسبب تعلق العلم الالهي به الذي لا يتعلق الا بالاجل والابدع وهو لا يقبل الزيادة فلا أبدع منه حيث نذهب الى الاعتبار فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الشريف المحدث نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني السهمودي الشافعي تزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومولده سنة ٨٤٤ هـ فانه صنف رسالة سماها ايضاخ البيان لمن أراد الحجة على ليس في الامكان أبدع مما كان ناقض بها رسالة ابن المنبر الاسكندري السابق ذكرها ولم اطلع عليها الا ان الشيخ سيدي أحمد بن مبارك قد طفر بها قال قد اطال نفسه فيها وكتب نحو ثلاثة وثلاثين ورقة بخط مضموم وقد تصفحتها غاية وأعطيتهما ما تستحقه من الانصاف والتأمل فوجدتها اثره على ثلاثة أمور أحدها المصادرة عن المطالب والثاني ما وقع له من الغلط في القبح والحسن العقليين وهو أشد ما في رسالته شبهة والثالث عدم فهمه لكثير من كلام ابن المنبر على الوجه الذي ينبغي ثم ساق ايضاخ هذه الامور الثلاثة تركها طولها وكثرة الكلام عليها وقد قال في آخر كلامه وأما كونه لم يفهم مقاصد ابن المنبر فاني لا تعرض له لطول الكلام

فيه الا اني أقول قولاً مقتصراً وهو ان غالب ما ذكره ابن المنير صحيح حق لاشك فيه وردودانه على عبارة الاحياء مستقيمة لا عوجاج فيها وأجوبة السيد عن غير تامة الاحرفا واحدا فاني أخالف فيه ابن المنير وهو تنقصه من مقام أبي حامد وغضبه من رتبته فاني لاوافق على ذلك فان أباحامد امام الدين والدينار عالم الاسلام والمسلمين والعبارة المنسوبة اليه في الاحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فان كلامه في كتبه يرددها من كل وجه

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ الصالح العارف أبو عبد الله محمد بن عمر المغربي تزيل مصر وهو شيخ كل من الحفاظ جلال الدين السيوطي وأبي النجاشي خلف اللقوي وعبد القادر بن حسين الشاذلي في التصوف فانه قال حين سئل عن هذه المقالة ان معناه ليس في الامكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه وادراكه وأبدعيته خاصة به تعالى فان ذلك أكمل وأبدع حسنام من هذا العالم الذي أظهره لنا اذ لو كان هذا العالم يدخله نقص لتعدى ذلك الى خالقه فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقد أجمع أهل المال كلها على انه لا يصدر عن الكمال الا كمال قال تعالى والسماء بيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومعلوم ان الامتداح والامتداح لا يكون الا فيما هو كمال الاوصاف والا فكيف بمن الحق تعالى ويمتدح عند خلقه بفضول هـ ذانص الجواب في كتاب الاجوبة المرضية للشعراني وذكره في الجواهر والدرر الا أنه قال فان ذلك أكمل وأبدع حسنام من هذا العالم بالنسبة اليه تعالى وحده فلو كان هذا العالم يدخله نقص ما قال تعالى والسماء بيناها بايد الاية في مقام الامتداح واعلم ان الامتداح لا يكون الا فيما هو غاية ونهاية لاني المفضل اهـ وقد ساقه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك كما سقناه أو لا حرفاً بحرف واعترضه فقال وهذا ان سلم من التصحيف فليس بجواب أيضاً ما أولاه متدافع اذا أوله يقتضي نفى امكانه مطلقاً لو ثبت امكان الابدع لكان هذا الموجود ناقصاً بالنسبة اليه فيسرى النقص الى خالقه تعالى وحينئذ فتختار ما اقتضاه أول الجواب ونمنع ما اقتضاه آخره ولا نسلم لزوم النقص في الخالق سبحانه اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوته في الفاعل كما لا يخفى والا فالحادث كله ناقص لاحتياجه واقتضاه الى خالقه فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع أيضاً بالنقص بالحدوث واما ما نافي الاجماع الذي عول عليه لايتم في هذا الباب عليه لان المسئلة راجعة الى القدرة التي هي احدي مصححات الفعل التي لا يمكن اثباتها بالاجماع كما لا يخفى واما ما نافي الاجماع الذي هو حجة ومعتمدهم هو اجماع هذه الامة الشريفة بالخصوص ولا عبرة باجماع غيرهم من الملل وهذه الامة أثبتت لهم الاختيار وأن يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد اهـ قلت وان تأملت هذه الردود وتوجدتها في معرض السقوط اما أولاً فان المجيب أشار بأول جوابه الى مقام المعرفة المعاني الصفات الذي هو من جملة مقامات الرضا وهو مشاهدة الصانع في جميع الصنعة والنظر الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة فلا ينظر شيئاً بعين النقص والاحتقار فانه بمنزلة الغيبة لصانعه لانه صنعه ونتاج حكمته ونفاد علمه وحكم تدبيره له في كل شيء حكمة بالغة لانه اذا عبت صنعة أحد أو ذممتها سري ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمته أظهرها ذلك كانت الصنعة بمجبوله لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها فهذا معنى قوله لتعدى الى خالقه وهو كلام صحيح وقدم تفسيره نقلاً عن أبي طالب المكي وغيره فهذا مقام المحب الراض عن الله متادب بين يديه يستحي ان يعارضه أو يعترض عليه بنسبة النقص الى ما صنعه فانظر أين هذا المقام من قول المعارض اذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوت النقص في الفاعل فالمجيب في وادو المعترض في وادو بين الوادين كابين السماء والارض وأهل مشاهدة هذا المقام انما ينظرون الى ما أعطاهم الكشف الصحيح المطابق بمعياريه اليقين وان لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة وحينئذ ظهر لك أن لا تدافع في كلام المجيب وقوله والا فالحادث كله ناقص الخ هذا ممنوع بل كله كامل والكمال والنقصان من المتضايقات فقد يكون الشيء كاملاً من وجه ناقصاً من وجه آخر فهو بالنظر الى أنه صنعة الحكيم القادر فانه في غاية الاتقان والكمال ليس فيه نقص أبداً ويكفي في ثبوت كماله هذا القدر من هذا الوجه فبطل قوله

فلو كان نقص الفعل يسرى الى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع لنقصه بالحدوث وامانا نيا نقول المعترض لان
المسئلة راجعة الى القدرة الخ قلت بل المسئلة راجعة الى اول مقام من المحبة الذي هو من مقامات الرضا واسط حال
في التوكل والتسليم والتفويض وكل منهما من مقامات اليقين وابواب الايمان ولاذ كرفها بالقدرة نفيوا اثباتا
فان ادعيت انها تفهم العجز في القدرة الالهية فاقر أصدر كلام المصنف يظهر لك اثباتها فاسمن موحده تعالى
معترف برؤيته شاهد لوحدايته الا وهو معترف بكلامه تعالى في ذاته وفي صنعه مفعول الى امره مستسلم
له فهذا هو الذي اراده المجيب بقوله وقد أجمع أهل الملل على ان هذه الجلة ساقطة في سياقات الجواهر والدرر كما
قدمناه وامانا لا نقوله وهذه الامة أثبتت لهم الاختيار كأنه فهم ان قول المجيب لا يصدر من الكامل الا
كامل مما لوهم سلب الاختيار عن الفاعل المختار بل يكون بالاجاب بالذات كما نقوله الفلاسفة وليس كذلك
ومن أين يؤخذ ذلك منه فالفاعل المختار كامل في ذاته وصفاته وله الاختيار قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل
والكامل في ذاته وصفاته فاعل مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وصنعه الذي اظهره على وصف الكامل والتمام
لانقص فيه من حيث انه صنعه وهو القادر المطلق الصانع البديع المتقن لاله الا هو سبحانه وتعالى

(فصل) * ومن المنتصرين الامام المشهور شيخ الاسلام زكريا الانصاري وهو ممن جمع الله بين الفقه
والتصوف قال لا يحل لاحد أن ينسب الى أبي حامد القول بأنه تعالى عاجز عن إيجاد ما هو أبدع من هذا العالم فإن
هذا الفهم منشؤه توهم ان المراد بالامكان في عبارته بمعنى القدرة أي ليس في القدرة أبدع مما كان وليس
كذلك بل هو بمعنى المشهور المقابل للامتناع والاجاب لكن بحذف مضاف أو يجعله بمعنى الممكن من باب
التي المصدر على اسم الفاعل ففاد عبارة حجة الاسلام انه ليس في جانب الامكان أو ليس في الممكن أبدع مما
تعلق به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من أنه تعالى لا يقدر على
إيجاد أبدع مما فعله بكل أحد وهو باطل عند حجة الاسلام كسائر أهل السنة لبنائه على وجوب الاصلح عليه
تعالى وهو أصل باطل الى أن قال فعلم ان حجة الاسلام لم يرد بالامكان في كلامه القدرة لانه لو أراد لرجع
كلامه حينئذ الى كلام المعتزلة الى أن قال وبذلك علم ان اللفظ المذكور لا يحتاج الى حل وانه لا ينبغي أن يقال
دس عليه أو انه زلة منه أو غير ذلك من الكلمات التي لا تليق بمقامه بل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه
الذي قرره فليعتمد ذلك في هذا المقام فانه من مزال الاقدام اه وقد اعترضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال
ولا ينبغي ما فيه وما عول عليه في دفع المحال عن حجة الاسلام بحمل الامكان على مقابل الوجوب والامتناع لا يدفعه
فان المحذور بحاله لان المعنى حينئذ ليس في جانب الامكان أو في الممكن أبدع مما كان فيلزم أن يكون الابدع
المفروض في جانب الامتناع أو في الممتنع وكونه في جانب الامتناع باطل لانه ممكن والممكن لا يكون ممتنعا أيضا
فاذا كان في جانب الامتناع لم تتعلق به القدرة فيساو قول من قال لا يقدر على إيجاد الابدع المفروض لان
الابدع اذا كان في جانب الامتناع فليس في القدرة إيجاد المحال لازم على حمل الامكان على معنى القدرة أو
على معناه المشهور المقابل للايجاب والامتناع وهو ظاهر وقوله مفاد عبارة حجة الاسلام انه ليس في جانب
الامكان أبدع مما تعلق به القدرة وهو حق اذ الوجود خير من العدم لا يدل على المدعى المذكور لانه ليس المدعى
ان العدم أبدع من الوجود حيث يكون نفيه الذي هو كلام حجة الاسلام غير حق البتة وقوله ومفاد عبارة
المعتزلة ما صرحوا به من انه تعالى لا يقدر على إيجاد الابدع أقول هو لازم لكلام حجة الاسلام على ما أولته
أيها المجيب فان الابدع اذا لم يكن في جانب الامكان لزم انه في جانب الامتناع لزم قطعاً ان القدرة لا تتعلق
بالممتنع فجاء المحذور اللازم وقوله وبذلك علم الخ أقول اياك أن تغتر به هذا الكلام فان غاية ما فيه ان
الامكان لا يحمل على القدرة بل على معناه المشهور وقد عات ان المحذور لازم عليهما وقوله بل هو حق يجب
اعتقاده على الوجه الذي قرره أقول حاش لله أن يعتقد أحد أن الابدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعل له كان
مخيراً فان هذا عين رعاية الصلاح والاصح الذي هو عين مذهب المعتزلة وانما الذي يجب اعتقاده انه تعالى فاعل

بالاختيار لا يستل عما يفعله وربك يخلق ما يشاء ويختار و يخلق ما لا تعلمون ولا يحيطون به علما اه قلت كلام المحيب منتزع من الجواب الثاني الذي قرره الزركشي وسبق بيانه وتوضيحه ان المراد بما تعاقبت به القدرة هو العالم المشهود الموجود جميع أجزائه الروحانية والجسمانية والجوهرية والعرضية اذ بظهوره ظهرت آثار صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه ولذلك سموه صورة الحق وصورة الرحمن والانسان الكبير فكان بهم هذا المعنى أبدع ثم قال وهو حق اذ الوجود غير من العدم أي لظهور المرجح وهو تعلق العلم والارادة والقدرة به وخلاف المعلوم وقوعه محال كما هو مقرر عندهم وابداع عالم غير هذا وان كان ممكنا بالنظر اليه فليس بممكن بالنظر الى علم الله تعالى لو وقع أحد الامكانين واحدية المشيئة فيه وماتعاقبت المشيئة الالهية بكونه فلا بد من كونه وما لا بد من وقوعه لا يتصف بالامكان بالنظر الى هذه الحقيقة الحشوية وكلام صاحب الفتوحات نص في أن المرجح لا يفارق كلاما من الوجود والعدم حيث قال في الباب السابع والاربعين وثلاثمائة ان الاشياء لما كان الامكان لا يفارقها طرفه عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح منها لانه لا بد أن يتصف باحد الممكنين من وجود وعدم اه يوضحه قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز يرأى بممتنع ولا ينتفي الامتناع الا عند امكان الذهاب والاتيان بخلق جديد لكنهم لم يعايل الواقع ترجيح للوجود الى الاجل المسمى مع النص ان الامكان ما فارقوه وكذلك قوله تعالى ان يشأ يذهبكم أي الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قد رافق المقدورية فرع الامكان مع ان الواقع ترجيح الابقاء فتأمل

(فصل) ومن المنتصرين الحافظ الكبير جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى فانه صنف كتابا في هذه المسئلة وسماه تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان رديه على البرهان البقاعي تأليفه المتقدم ذكره قال فيه وبعد فقد نقل عن الامام حجة الاسلام ولي الله تعالى أبي حامد الغزالي رضي الله عنه انه قال ليس في الامكان أبدع مما كان وقد استذكر ذلك بعض العلماء الموجودين وادعى ان ذلك امام دسوس في كتابه أو زلة صدرت من عالم وان هذا الكلام يلزم منه استنجاز القدرة الالهية واستقصاها كما يقوله الفلاسفة أو وجوب الاصلح على الله كما يقوله المعتزلة وألف في ذلك كتابا سماه تهديم الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان وذكر فيه أشياء مما تعرض على أجهل السوق ولم يشك في صلاحية القدرة فضلا عن طالب علم فضلا عن عالم فضلا عن مثل حجة الاسلام ولما رأيت هذا الكلام من المنكر صادرا عن عدم الوقوف على مقصد حجة الاسلام تعجبت من ذلك كل العجب وقد وقع الاحاح على في الكتابة بالرد عليه وأنا أرى ان الاولى السكوت ولزوم البيوت حتى شرح الله صدرى لآبانه مقصده هذا الامام بالطريق القويم رجاء الهداية الى الصراط المستقيم فرقت هذه الاحرف بسميتها تشييد الاركان من ليس في الامكان أبدع مما كان ثم ذكر فيه أشياء نفيسة وتحقيقات بدیعة واستدل على المطلوب بكلام الائمة وأحاديث وآثار وأحسن فيه غاية الاحسان وقد ادرجت غالب ما أورده في أثنائه ما تقدم من السياق على حسب المناسبة ومن جملة ما ذكر فيه وكنت قد توقفت فيما استشكلوه من كلامه أيا ما حتى من الله على بحله بعد التضرع اليه فالحمد لله والحمد لله الاسلام رضي الله عنه انما أراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين معا لئلا يدعى عدم الامكان على المذهبين فكانه قال هو محال اجماعا من الفريقين اما على مذهب أهل السنة فلان ادخاره مناف للفضل وهو الذي عبر عنه بالجلود الالهية واما على مذهب المعتزلة فلان ادخاره عندهم ظلم ينافي العدل فأنت بكل جملة لفريق وليس مراده بالجلتين التقرير على مذهب واحد وتظير ذلك ما لو مثل الشافعي عن رجل توشأ ولم ينو ومسح القليل من رأسه فقال وضوءه باطل لانه لم ينو ولم يمسح ربع رأسه فاصد بذلك بطالان وضوءه اجماعا ولو اقتصر على قوله لانه لم ينو لكان كافيا لكنه لا ينتهض دليلا على الابطال الاعلى مذهبه فقط لا على مذهب الحنفي فضم اليه ما يقرر باطله على مذهب غيره أيضا ويؤيد ان هذا الذي فهمته هو مراد الغزالي انه لم يذكر الجلتي الا في الاحياء فقط ولم يذكر في الجواهر جملة العدل بل اقتصر على جملة الفضل والجلود التي يتم بها العدل على مذهب أهل السنة

السنة اما اكتفاء بذلك وعدم الالتفات الى مذاهب المبتدعة واما ارادة الاجياز واما ازالة اللام الذي توهمه عبارة الاحياء اه وقد تعرض له الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال لوعبر حجة الاسلام كذلك اقرب الحال ولكنه قال لو اذخره مع القدرة لكان بخلافنا قاض الجود وأهل السنة ينزهون ربهم عن وصفه بالخل فقد بان ان العبارة الاولى لا تأتي على مذهب أهل السنة قال ابن التلمساني في شرح المعالم بعد ذكره مذاهب البغداديين من المعتزلة في وجوب رعاية الاصلح وهو لاخذ واما مذاهبهم من الفلاسفة وهو ان الله تعالى جواد وان الواقع في الوجود هو أقصى الامكان ولولم يقع لم يكن جوادا وقال ابن الهمام في المسامرة ان المعتزلة يقولون ان ترك مراعاة الاصلح بخل بحسب تنزيه الباري عنه فكان الشق الثاني مفرع على أصول المعتزلة كذلك الشق الاول اه قلت جواب السبوطي رحمه الله تعالى في غاية التحرير والاتقان وليس فيه الا الذي أشار اليه المعترض من ذكر لفظ الخل وهو قد أجاب عنه في كتابه المذكور ولما طلع عليه المعترض لهدرت شقشقته وذلك فيما أورده سابقا وهو قوله واما اطلاق لفظة الخل الواقعة في حيز الامتناع فانما أراد بها الغزالي المبالغة في تقريب الدليل الى الأذهان فكأنه قال لاشك ان الباري تعالى جواد لا يخل وهو منزّه عن الخل والجواد لا يخص بعبثاته أحد ادون أحد الاحكام وقد قرع على أناس كما وسع على آخرين فلولم يكن تقديره على أولئك الحكمة وانه هو الاصلح في حقهم لكان منافيا للجد والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي صفة الجود والافضال وبقية هذا الكلام أسلفناها فاطلبها فيما تقدم ثم قال والعجب كل العجب من انهم حجة الاسلام بانه في هذه المسئلة تازع الى مذاهب المعتزلة وهو قد صرح في كلامه بما يناقض مذهبهم حيث قال في صدر كلامه وما خلق الله من ايمان وكفر وطاعة ومعصية الخ فانظر كيف نسب خلق الكفر والمعصية الى الله تعالى كما هو مذهب أهل السنة والمعتزلة لا يقولون بذلك بل يزعمون انهم ما من خلق العبد كما هو معروف عنهم

(فصل) ومن المنتصرين ولي الله العارف به سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قد نقلنا عنه فيما سبق جواب الشيخ محيي الدين والشيخ عبد الكريم الجبلي ومحمد المغربي نقس ذلك في كل من كتابيه الجواهر والدرر والاجوبة المرضية وقال في الكتاب الاخير بعد نقل الاجوبة ما لفظه وقد ألف الشيخ برهان الدين البقاعي في هذه المسئلة مؤلفا وحاصله انه بعزل عن مراد الامام الغزالي بكل وجه كما بينته في رسالة الفسخ بالاجوبة عن أهل الشطط وفي كتابنا المسمى بطلهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد وهو في مجادين ضخمين اه ولم أطلع على الكتابين المذكورين حتى أنقل منهما شيئا

(فصل) ومن المنتصرين البرهان ابراهيم بن أبي شريف المقدسي وهو أخو الكمال وأصغر منه سنا وعاش بعده زمانا طويلا قال ما نصه وليس في مقالة حجة الاسلام ايجاب شيء ولا تنحصر على القدرة ولاني لقد رته تعالى غن غير هذا العالم بل هو قادر على ابراز عالم لانهاية لها ولكن لتعلق العلم القديم ووقوع اختياره وارادته لايجاد ما تصف بالابدي لكونه بالا على ما تقتضيه صفاته وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان أي ليس فيما تعلقت القدرة وسبق به العلم والارادة من الممكنات أبدع مما وجد لما قررناه اه قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك وفيه نظر من وجهين أحدهما بانه جعل سبق العلم والارادة دليلا على ان ما وجد هو الابدع وهو لا يدل على ذلك وانما يدل على ان ما وجد وجد عن علم واردة وهل هو أبدع أولا يبقى ما هو أعم ناهيها انك قد علمت ان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية لافراده لكونه مقدورا والمقدور لانهاية له واذا كان الابدع لانهاية له فعلي تقدير أن تتعلق الاوصاف القديمة بوجوده في دائرة الامكان ما لا يتناهي من افراده والحبيب ظن ان الابدع جزء شخص لا تعد فيه فاذا فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده استحالة غيره والا كان العلم جهلا وحيث كان الابدع كليا لانهاية لافراده لم يلزم من وجوده فرد منها انتفاء غيره عن دائرة الامكان

(فصل) ومن المنتصرين الشيخ أبو الموهب التونسي الشاذلي قال قوله ليس في الامكان أبدع مما كان قلنا ما كان الحكمة الالهية لا ما كان القدرة الربانية وهذا هو الاثنى بكلام حجة الاسلام اه قال الشيخ سيدي

أجدين مبارك لا نسلم انه لا يمكن ذلك في الحكمة الالهية فاذا كانت متعلقات القدرة لانهاية لها كانت الحكمة الالهية لانهاية لها لانها تابعة لمتعلقات العلم ومتعلقات العلم لانهاية لها فلزم قطعان الحكمة الالهية لانهاية لها ومن الذي يجترئ على حكمة الله تعالى ويقول انها محصورة ومقتصورة

(فصل) ومن المنتصرين الامام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي فانه سئل عن هذه المقالة فأجاب بقوله ان ايجاد عالم آخر ابدع من هذا العالم مستحيل لانه لم يرد به الكتاب ولا السنة المبينة عن الله تعالى ولو كان جائزا لورد به الكتاب قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فعمل ان ذلك مستحيل ولانقص في القدرة اه قال الشيخ سيدي أجدين مبارك وفيه نظر من وجوه أحدها ان الكتاب والسنة قد وردا بذلك وقد سبق ذلك في صدر الكلام يعني به ما أورده من الآيات التي أوردها الباقى في رسالته وكذلك أورد جلا من الاحاديث فانها ان الكتاب والسنة انما يستدل بهما في الامور النقطية التي لا تدخل للعقل فيها وأما احكام العقل الصرفة التي قبل انما انفس العقل التي هي العمل بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فهي من الامور الضرورية التي لا يحتاج فيها الى دليل نقلي نالها انما ذكره معارض بكل علم يدعي كعلمنا بان الاربع زوج وانها نصف الثمانية وان الواحد نصف الاثنين فيقال ان هذه العلوم لم يرد بها كتاب ولا سنة فتكون مستحيلة لان كل ما ليس في الكتاب ولا في السنة مستحيل على قاعدة جوابه

(فصل) ومن المنتصرين العارف بالله أبو العباس أجدين أجدين عيسى البرنسي الشهير بزروق قال في شرح القواعد للامام حجة الاسلام عند قوله فيها ولا موجود سواء الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأتمها وأعدلها فقال يعني كل بارز بالقدرة وتخصص بالارادة وأتقن بالعلم الالهى لا يصح أن يكون ناقصا في وجوده لكمال الاوصاف المنسوب اليها بقصدها وتقصيدها ثم التقيع والخسبين العقلية في محله والعمادى في محله والشرعى في محله لان ما ذكر بحسب الحكمة وظهور النسب بالنسبة اليها وعلى ما ذكر هنا يخرج ما نسب اليه من قوله ان ليس في الامكان ابداع مما كان يريد ان ما كان ويكون الى الابد متى حصل في حيز فلا ابداع منه لان العلم اتقنه ولا نقص في اتقانه والارادة خصصته ولا نقص في تخصيصها والقدرة أبرزته ولا نقص في ابرازها فبروزة على ابداع الوجوه وأكملها وعلى هذا تفهم هذه الحكمة والارادة والقول بقصور القدرة ومأمعها من الاوصاف وذلك باطل لا يقوله أحق فضلا عن عاقل اه قال الشيخ سيدي أجدين مبارك ولا يخفى ما فيه لو كان نقص الاثر يستلزم نقص المؤثر وأوصافه لكان وجوده غير الابدع مستحيلا ولكان وجود الابدع واجبا وذلك يجر الى التعليل وينتج الاختيار فالصواب ان ذلك للاروم ممنوع ووجود الابدع وغيره جائز والاختيار شامل والقدرة عامة ولا نهاية لتعلقها فانها هذا ان اراد للاروم في نفس الامر وان اراد بحسب عقولنا وما تقتضيه الحكمة في نظرنا وراينا فقد سد بق ما فيه من كلام الزركشى

(فصل) ومن المنتصرين عبد القادر بن مصطفى الصفوري الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٠٨١ كتب الى الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن أجدين سالم الحنبلي من مدينة نابلس سنة ١١٧٩ قال أخبرنا المحدث المعمر عبد الرحمن بن يحيى الدين بن سليمان الدمشقي أخبرنا الامام المؤرخ أمين الدين محمد بن فضل الله بن محب الله بن القاضي محب الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر العلواني المحمدي الدمشقي قال قال العلامة عبد القادر بن مصطفى الصفوري اعلم أن المحال على قسمين محال لذاته ومحال لغيره فان الممكن قد يصير محالا لغيره واجبا لغيره مثاله بعث الموتي من قبورهم ممكن في حد ذاته لانه اذا خلى العقل ونفسه حكم بجوازه لكن لما أخذ خبر سبحانه صار واجبا للوقوع بالنظر الى ان خبر الله لا يتخلف وعدمه صار محالا لغيره بهذا الاعتبار فاذا تقر بذلك علمت ان ما قاله الاسلام حق وابضاه انما هو بعد ان تعلم ان علم الله قديم وأنه تعلق في الازل بان الممكن الذي وجد وجوده في أي زمان وفي أي مكان وعلى أي صفة وحينئذ فوقعه على خلاف ما تعلق به العلم محال لغيره لانه لو وقع على خلاف ذلك لزم انقلاب العلم جهلا وانه محال في حق الحكيم الخبير العالم القدير والارادة والقدرة

تعلقهما بالممكن انما يكون على وفق تعلق العلم القديم به وحينئذ تعلم ان عدم امكان ابداع مما كان ليس فيه نسبة
الجهل ولا نسبة العجز الى الملك الديان وكيف ذلك بحجة الاسلام الذي ملأ من معلوماته الدنيا بل عدم امكانه انما
هو لعدم تعلق الارادة والقدرة بما يلزم عليه من المحال فتدبر ذلك بندفع عنك خيال أو هام من لم يعلموا مواقع
الكلام ولم يذوقوا دقائق العلوم فكل مطمع انظارهم اعتراضاً كابر العلماء والطعن على ورثة الانبياء
كأنهم صاروا وهم ضد افصر في الله أذهانهم عن الوصول الى غوامض المعاني وتمسكوا بظواهر المباني ومن أجاب
بان ماموصولة لم يصادف محال لان المنقول عن الامام انه قال ليس في الامكان الخ وليس هو الا ليس اه فهذا
ما بلغني من كلام الائمة في تحقيق هذه المقالة ردوا وتسالموا لم آل جهدي في جمعها وحسن ترتيبها مع الكلام في
بعض المواضع منها والكلام فيها كثير وما غاب عني أكثر مما حضر لدي ولكن قليل بوعي خبير من كثير ينسى
ولقد عرفت ان أنحو منحى الكرام وأدلى دلوى مع هؤلاء الاعلام وان كنت مزجى البضاعة سكيناً بخلافه عند
أرباب هذه الصناعة فأقول ناظراً الى سياق المصنف من أوله متنبها لسريره في خصوص هذا المقام اعلم أنه
ذهب المليون كلهم الى ان الله تعالى قادر أي يصح منه ايجاد العالم وتركه فليس شيء منهما لازماً لذاته بحيث
يستحيل انفكاكه عنه وأما الفلاسفة فاتهم قالوا ايجاد العالم على النظام الواقع من لوازم ذاته فيمتنع خلقه عنه
فانكروا القدرة بالمعنى المذكور لاعتقادهم انه نقصان وأثبتوا له الايجاب زعمانهم انه الكمال التام وأما كونه
تعالى قادراً بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل فهو متفق عليه بين الفريقين الا ان الحكماء ذهبوا الى أن
مشيئة الفعل الذي هو الفيض والوجود لازمة لذاته كزوم سائر الصفات الكمالية فيستحيل الانفكاك بينهما
فيقدم الشرعية الاولى واجب صدقه ومقدم الثانية تمتنع الصدق وكلنا الشرطيتين صادقتان في حق الباري
سبحانه وأما الصوفية قدس الله أسرارهم فيثبتون له تعالى ارادة ذاتية زائدة على الذات والعلم بالنظام الاكمل
واختيارا في ايجاد العالم لكن لاعلى النحو المذكور من اختيار الخلق الذي هو تردد واقع بين أمرين كل منهما ممكن
الوقوع عنده فيترجح عنده أحدهما بجزء فائدة أو مصلحة يتوخاها فمثل هذا يستنكر في حقه سبحانه كما تقدم
بيان ذلك في تقرير المصنف قبل هذه المقالة فانما معلوماته تعالى سواء قدر وجودها أو لم تقدر مرتسمة في عرصه
الامكان أزلاً وأبداً مرتبة ترتيباً لا اكمل منه في نفس الامر وان خفي ذلك على الاكثرين فالاولية بين أمرين
يتوهم وجود كل منهما انما هو بالنسبة الى المتوهم المتردد اما في نفس الامر فالواقع واجب وماعده مستحيل
الوجود وعلى هذا يخرج هذه المقالة فتدبر والله أعلم * (تنبيه) قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك في آخر كلامه
على هذه المقالة فالخاصل ان ما نسب اليه في المسئلة ان كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه في مواضع من
كتابه الاحياء وان كان دليله البخل فقد نفاه في كتبه الاقتصاد وان كان دليله انه يخالف الحكمة فقد أبطله
في الاحياء وفي الاقتصاد وان كان دليله الاستحسان العقلي ومراعاة الصلاح والاصح فقد أبطله فيهما وفي
القسطاس وان كان دليله الاستحسان المنفق عليه الذي عول عليه السيد السهمودي فقد أبطلناه فيما سبق وان
كان دليله ما سبق في العلم والمشيئة كما عول عليه المذكور أيضاً فقد ذكرنا انه مصادرة على المطلوب وان كان دليله
ان الناقص لا يصدر عن الكامل فقد بينا بطلانه فيما سبق اه وقد فهم من كلامه ان المسئلة باطلة بأسرها وجوهها
وليس لها موضع عند أهل العلم تحمل عليه وانه محكوم عليها بالفساد وهو أمر عجيب ولو فتحت له كوة الى عالم
الملوك ل شاهد ما شاهد الصالحون ويكشف له من أسرار ما كشف للعارفين وقد فهموا قوله تعالى وان
من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وعقلوا قول المبلغ صلى الله عليه وسلم ان الله كره لكم البيان كل
البيان حقيقة بيان البيان محرم عند ذوي الايقان ومقام الصالحين يقصر عن شهادة الشاهدين وقد سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول اللهم أرنا الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل
اللهم أرني الدنيا كما يراها الصالح من عباده فالصالحون في الغرف آمنون والشهداء عند ربهم والله غالب على
أمره لا حول ولا قوة الا بالله ولا يشك هو ولا نحن ولا من له نصيب من الايمان ان الامام أباح مد الغزالي من

(الشعار الثاني من الكتاب) في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعمل وبيان التوكل بترك الادخار (٤٦٠) وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته

أكثر أهل الباطن وهذه المقالة قد نسبت اليه واعتاص في فهمها أهل الظاهر فالاولى التسليم له اذ ليس أهل الظاهر رجة على أهل الباطن في شيء الا وهم عليهم رجة في مثله والايان ظاهر وباطن والعلم بحكم ومتشابه ولان أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة لهذه في الدين والاضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم وهذا لا يفتن له الغافلون ولا يشهد العموم وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها طعما آخر وقال بعض العارفين اذارأيت الاشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد بعين واحد رأيت مالم تر قبل ذلك وسمعت مالم تسمع وفهمت مالم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى لا ترى عجايبا فاذالم تر عجايبا رأيت العجب وقد أفدناك بحمد الله تعالى من غرائب ما عندنا والى الله يرده العلم فيما دق وجل وظهر واستتر وانما ينطق اللسان بما انطقه الله به وهو مستعمل بما استعمله الله به اذ كل ميسر لما خلقه وقد انتهت الكلام على مقالة الامام انجاز الماوعدنا به آفاقا فسأل الله تعالى أن يصرف عنا من الكدورات ويحسينا من مضلات الاهواء في مجارى المقدورات وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر وعلى آله وصحبه أولى العزم والظفر وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ونسأله الصفح الجليل

*(الشعار الثاني من الكتاب) (في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ) المراد بهم السادة الصوفية (في حد التوكل) واختلافهم فيه (وبيان التوكل في الكسب للمنفرد) بنفسه (والمعمل) أى المترزج صاحب العيال (وبيان التوكل بترك الادخار) للفقير (وبيان التوكل في دفع المضار) عن نفسه (وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوى وغيره) أورده في ستة فصول

*(الفصل الاول في بيان حال التوكل) وفيه أيضا ذكر الاسباب المانعة منه بعد العلم والمعرفة * اعلم أنا (قد ذكرنا ان مقام التوكل) كغيره من مقامات المقيمين (ينتظم من علم وحال وعمل وذ كرنا العلم في الفصل الذي قبله وذ كرنا أنه ينبغي عليه حال التوكل والتسليم فاذا ثبت في النفس ثبوت الاعتقاديا أو كسفيما أو ذوقيا أو عرفانيا تيج عنه الحال فشرع في ذكر الحال وقال (فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه) وهو وسط بين طرفي العلم والعمل (وانما العلم أصله) وأساسه (والعمل غرته) ونتيجته (وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم) فيه (وتكلم كل واحد عن مقام نفسه) الذي أقيم فيه (وأخبر عن حده) ورسمه (كأخبر عن عادة أهل التصوف به) وقد يكون ذلك لاخبارا عن مقام نفسه بل عن مقام السائل فهذا سبب اختلاف عباراتهم (ولافائدة في النقل والاكثر فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من لفظ (الوكالة) بفتح الواو والكسر لغة فيه (يقال وكل أمره الى فلان) من باب وعدوك بالفتح ووكولا بالضم (أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه) واكتفى به (ويسمى الموكل اليه وكيلا) فهو فاعل بمعنى مفعول وقد يكون بمعنى فاعل اذا كان بمعنى الحافظ ومنه قوله تعالى ونعم الوكيل وجمع الوكيل وكلاء (ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه) كلاهما بمعنى الآن الاتكال من باب الافتعال والاسم منه التوكلان بالضم والتوكل من باب التفعّل (مهما طمأن اليه نفسه ووثق به ولم يهتم فيه بتقصيره ولم يعتد فيه بعجزه ولا قصورا) فهذه المعاني لازمة للمفوض اليه (فالتوكل) حينئذ (عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده) ووثوقه به (وانعزب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتبليس) وزور (فوكيل للخصومة) (من يكشف ذلك للتبليس) عنه (لم يكن متوكلا عليه ولا وثق القاب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتد فيه أربعة أمور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة) ثم فصل تلك الامور وقال (اما الهداية فليعرف بها مواقع التبليس) وبحال التزير (حتى لا يخفى عليه من غوامض الخيل شيء) فهذا

*(بيان حال التوكل) * قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذ كرنا العلم * فاما الحل فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم أصله والعمل غرته وقد أكثر الخاضعون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كأخبر عن عادة أهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثر فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره الى فلان أى فوضه اليه واعتمد عليه فيه ويسمى الموكل اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما طمأن اليه نفسه ووثق به ولم يهتم فيه بتقصيره ولم يعتد فيه بعجزه ولا قصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعى عليه دعوى باطلة بتبليس فوكيل للخصومة من يكشف ذلك للتبليس لم يكن متوكلا عليه ولا

وأما القدرة والقوة فليست تجري على التصريح بالحق فلا يدهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تاليس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لأنها قادرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استجرت القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من الجهود فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهجم أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أولم يظفر هلك به حقه أولم يهلك فان كان شا كافي هذه الاربعة أو في واحدة (٤٦١) منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه

الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل بقي مترعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا حزم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تتفاوت لا ينحصر الى أن ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه كماله كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لا جهله فانه يحصل له يقين بمتنهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة

يستدعي هداية تامة وبصيرة نافذة في أمور الدعاوى وكلام الخصوم فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم فيكون سبباً لتلاف حق الموكل (وأما القوة والقدرة فليست تجري) أي لاجل أن يكون جريشاً (على التصريح بالحق) غير متعرج (فلا يدهن) مدهانة (ولا يخاف) في حركاته (ولا يستحي) من التسكام بالحق (ولا يجبن) عن الخصم (فانه ربما يطاع على وجه) من وجوه (تاليس) خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به) فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم أيضاً (وأما الفصاحة فهي أيضا من القدرة لأنها قادرة في اللسان) ولو كان ضعيف القلب أو البدين (على الإفصاح عن كل ما استجرت القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بمواقع التلبيس) من خصمه (قادر بذلاقة لسانه) أي طلاقته (على حل عقدة التلبيس) فمن كان كليل اللسان غير مفهم عن وجه البيان ربما يغلبه خصمه (وأما منتهى الشفقة فيكون باعثه على بذل كل ما يقدر عليه من الجهود في حقه) لا يقصر بوجه من الوجوه (فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان لا يهجم أمره) أي لا يشغله (ولا يبالي به ظفر خصمه أولم يظفر هلك به حقه أولم يهلك) فالاغتناء بالامر لا بد من مراعاته (فان كان شا كافي هذه الاربعة) بمجموعها (أوفي كل واحدة منها أو جواز أن يكون خصمه في هذه الاربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه الى وكيله) ولم يثق به (بل بقي مترعج القلب) فلقه (مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره) أي يخافه (من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا حزم تتفاوت أحوال المتوكلين) على الله تعالى (في قوة الطمانينة والثقة تتفاوت لا ينحصر الى أن ينتهي الى) مرتبة (اليقين الذي لا ضعف فيه) أصلاً (كلا كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لاجله) ويشقي ويتعب ليكماله (فانه يحصل له يقين بمتنهي الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربعة قطعية) وبجزومه (وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار) والشهرة المنقولة على السنة الناس (بانه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصره الحق بل على تصويله بالباطل) أي على صورته (أو الباطل بالحق) أي على صورته وفيه ورد ان من البيان لسحرا (فاذا عرفت التوكل في هذا المثل فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف) من الله تعالى بان يلهم في روعه (أو باعثة اذ جازم أن لا فاعل) في الحقيقة (الأن الله كما سبق) في التوحيد (واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد) بأسرهم (ثم تمام العطف والعناية والرحمة) الموسعة (بجملة العباد والاحاد تسلك لالحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه) من الوجوه (ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوة فان الحول عبارة عن الحركة) والتغير يقال حال الشيء حولا اذا تغير عن أصله (والقوة عبارة عن القدرة) في أحد الاصول الثلاثة نفسه وبدنه وقنيته وقد جاء تفسيره في حديث مرفوع لا حول عن

والتجربة وتواتر الاخبار بانه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصره الحق بل على تصويله بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت التوكل في هذا المثل فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك بكشف أو باعثة اذ جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والاحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بكنهه ورحمته لك عناية ورحمة تاكل لالحالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة

فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيببه أحد أمرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعه واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه وازعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعته عن غير نقصان في اليقين فان من يتناول عسلاً فسيببه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه (٤٦٣) وتعذر عليه تناوله ولو كاف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك

وان كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جاد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بانه لا يحشره الاّن ولا يحيبه وان كان قادراً عليه كما انها مطردة بان لا يقاب القلم الذي في يده حية ولا يقاب السنور أسداً وان كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الابقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لا تراهيم عليه السلام أولم تؤمن قال بلى ولكن لبطمئن قاي

المعصية ولا قوة على الطاعة الا بالله وفي القوت قيل لسهل ما التوكل قال التبري من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعني بالحول الحركة وبالقوة الثبات على الحركة وهو أول الفعل يعني به هذا أن لا تنظر الى حركتك مع المحرك اذ هو الأول ولا الى ثباتك أيضاً بعد الحركة في تثبيتته اذ هو الميثب الآخر فتكون الأولية والآخرة حقيقة شهادة لك لربه انه أول آخر بعين اليقين فيخرج نفي الشرك بحقيقة التوحيد وهذا هو شهادة اليقين أي فعندها يصح توكل بشهادة الوكيل (فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيببه أحد أمرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربعه) أو بحملتها (واما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه وازعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه) أي المرض المانع لحال التوكل بعد اليقين بالتوحيد بالافعال لان الوهم يتعلق بالتقديران الاحتمالية (فان القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعته من غير نقصان في اليقين) وقد ينقاد لطاعة الوهم كما ينقاد لطاعة العقل فاذا زار الشيطان بغروره ووعده بالفقر وخوف منه تعلق الوهم بإبعاد الشيطان فخبث النفس وخبث طبعها شفقة على نفسها فيبقى العقل وما فيه من اليقين مستوراً تحت ضباب الوهم وشهوة النفس فان ازداد اليقين ضياء واشتعلت فيه ناراً أيد الله العقل بالملك الملهم حتى يمد به يعلم يدفع به وسوسة الشيطان وكيدته فحينئذ يشعشع شمس اليقين ضباب الوهم وخيال النفس ويتغير القلب عما كان عليه ويعتمد على الله تعالى ويطمئن اليه بعد ان كان معتمداً على الاسباب مطمحاً بتدبيره وحوله وقوته ويعرف يقيناً ان لا حول ولا قوة الا بالله وكل يقين لا ينشأ عنه حال هذا سيبه (فان من يتناول عسلاً فسيببه بين يديه بالعذرة) أي الخمر (ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله) لما قام به من الوهم (ولو كاف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش) واحداً (أو يبيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جاد في الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الاّن ولا يحيبه وان كان قادراً عليه) فانه ليس بممتنع ولو كان حياً لا ادعى القوة والشجاعة عليه (كما انها مطردة بان لا يقاب القلم الذي في يده حية ولا يقاب السنور أسداً وان كان قادراً عليه) فان كل ذلك غير ممتنع (مع أنه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجادات) وهذا كله عمل الوهم المتعلق بالظنون والاحتمالات البعيدة والنظور من الحقائق الجارية على اختلاف العادات (وهو نوع ضعف فلا يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى) هذا الضعف (فيصير مرضاً) سوداوي (حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذا لا يتم التوكل الابقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته والسكون في القلب شيء واليقين شيء أولم تؤمن) أي أولم تصدق بقلبك (قال بلى ولكن لبطمئن قاي فالتمس أن يشاهد احياء الميت بعينه ليست في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به) وكان قد حصل له عليه السلام مرتبة اليقين أولاً فطلب أن يرفى الى مقام عين اليقين المعبر عنه بالطمأنينة (ولا تطمئن) النفس (باليقين في ابتداء أمره الى ان يبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة) فتسكن حينئذ تحت الامور وتزاولها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات (وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر باب المال والمذهب) المبتدعة (فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني) مطمئن القلب الى نصرانيته (ولا يقين لهم أصلاً وانما هم كما قال تعالى في أمثالهم (يتبعون الظن وما تهوى الانفس) مما تعارضهم من الشهوات) ولقد جاءهم من ربهم الهدى (الذي يتبصرون به) وهو

سبب
فالتمس أن يكون مشاهداً احياء الميت بعينه ليست في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها الى أن تبلغ في الآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أبواب المال والمذهب فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو

سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه فاذا الجبن والجرأة غرائز ولا ينفع اليقين معهما فهي أحد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالحصول الاربعة أحد الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله تعالى (٤٦٣) وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون

من ثقته انسان مثله
وقد قال صلى الله عليه
وسلم من استعز بالعبيد
أذله الله تعالى واذا
انكشف لك معنى التوكل
وعلمت الحالة التي سميت
توكل فاعلم أن تلك
الحالة لها في القوة
والضعف ثلاث درجات
(الدرجة الاولى)
ما ذكرناه وهو أن
يكون حاله في حق الله
تعالى والثقة بكفالاته
وعنايته كحال في الثقة
بالوكيل (الثانية)
وهي أقوى أن يكون
حاله مع الله تعالى كحال
الطفل مع أمه فانه لا
يعرف غير هاولا يفرغ
الى أحد سواها ولا يعتمد
الاياها فاذا رآها تعلق
في كل حال بذيلها ولم يخلها
وان نابه أمر في غيبتها
كان أول سابق الى لسانه
يا أمه وأول خاطر يخطر
على قلبه أمه فانه مفرغه
فانه قد وثق بكفالاتها
وكفائتها وشهقتها ثقة
ليست خالية عن نوع
ادراك التمييز الذي له
ويفطن انه طبع من
حيث ان الصبي لو
طوب ب تفصيل هذه
الخصال لم يقدر على
تلقين لفظه ولا على

سبب اليقين الا أنهم معرضون عنه) لا يلتفتون اليه أصلاً (فاذا الجبن) عن الاقدام (والجرأة) عليه (غرائز)
مركوزة في الطباع (ولا ينفع اليقين معهما فهي أحد الاسباب التي تضاد حال التوكل) وتعارضه (كما أن ضعف
اليقين بالحصول الاربعة) المذكورة (أحد الاسباب) المضادة له (واذا اجتمعت هذه الاسباب) في امرئ
(حصلت له) (الثقة بالله تعالى) (وصح وصفه بالتوكل) (وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من) (هو) (ثقتة)
أي الذي يثق به (انسان مثله) رواه صاحب القوت عن سديد بن داود عن يحيى بن كثير قال مكتوب في التوراة
فذكره قال سديد يقول لولا كذا المكان كذا لولا فلان لهداكت فعمناه عندي قوله ثقتة أن يعتد مد عليه
ويستكن اليه فهو شرك في التوحيد ونقص من المريد اذا لا ينبغي الثقة والسكون الا الى الواحد القهار (وقد قال
صلى الله عليه وسلم من اعتر بالعبيد أذله الله تعالى) قال العراقي رواه العقيلي في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من
حديث عمر أوردته العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان
في الثقات وقال يخالف في روايته انتهى قلت وكذلك رواه الحكيم في النوادر والرافعي في التارخ والدبلي
وعبد الله بن عبد الله بن حجازي في الحديث روى له ابن ماجه وقال الذهبي في الديوان روى عن الحسن بن الحسن
لا يعرف وما ساقه العراقي عن العقيلي هو لفظ الذهبي في الميزان والاعتزاز بالشئ هو الامتناع به من النوائب فمن
امتنع عن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضررا فقد دل ومن اعتر بعرض الدنيا فهو المخذول في دينه الساقط من عين الله
تعالى والخبر يحتمل الدعاء لانه طلب العز من غير العز وتعلق بالاسباب دون مسبها فاستوجب الدعاء عليه
أوهو خبر عن أن العبيد كلهم أذلاء تحت قهر العز يرفن لجأ الى أحد منهم فقد تعجل ذل آخر على ذله وقوله اعتر
هكذا هو في الرواية بالعين المهملة والزاي ووقع في كتاب الحكيم ضباطه بخطه بالغين المعجمة والراء من الاغترار
وقال لان الاغترار بالعبيد منهاجه من حب الغرار وطلبه له فاذا طلب ذلك من العبيد ترك العمل بالحق والقول
به ليعظموه فلذلك اغتراره بهم فعاقبة أمره الذلة اما في الدنيا عاجلا واما آخروجه منها في أذل ذلة وأعنف عنف
فمن أسلم وجهه لله وذلته نفسه نال حظا من عزه ومن أعرض عنه واغتر بغيره حرمه غره وأخساه وصغره
(واذا انكشف لك معنى التوكل) الذي هو اعتماد القلب وسكونه أو عدم اضطرابه لتعلقه بمسبب الاسباب
ورب الارباب (وعلمت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة
الاولى ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحال في الثقة بالوكيل) أي
يكون في قوة اعتماده على الله يجري مجرى اعتماد أحدنا على أشفق الناس وأنصحهم كالوالدين مثلا وذلك حال
هذا التعلق بهم ما في كل حاله وان فعلا معه فعلا بخلاف الغرض فلا يعتد غشها ما لا يعتد انهم حارب يدان له الخبر
فتره يفخر بكفائتهما وكفالتهم فاضلا عن الجزع والشكوى الدرجة (الثانية وهي أقوى) من الاولى (أن)
يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق أمه فانه لا يعرف غير هاولا يفرغ الى أحد سواها ولا يعتمد الاياها فاذا
رآها تعلق في كل حال بذيلها) وتشبه به (ولم يخلها) تذهب ولا تنجي (وان نابه أمر في غيبتها كان أول سابق على
لسانه يا أمه) يستغيث بها لما يعلم من شفقتها عليه (وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فانه مفرغه فانه قد وثق
بكفالاتها وكفائتها وشهقتها ثقة ليس خالية عن نوع ادراك التمييز الذي له ويفطن انه طبع) فيه (من حيث ان
الصبي لو طوب ب تفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك
وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كاف به كما يكاف الصبي بأمه فيكون
متوكلا حقا فان الطفل متوكل على أمه) والى هذه الدرجة أشار من قال المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوى اليه
ألا ترى أنه كذلك المتوكل لا يهتدى الا الى ربه عز وجل نفعه القشيري وجعل الكمال محمد بن اسحق هذه الدرجة
أن يكون في قوة اعتماده كرجل له كثر لا ينفذ فلا يعرف طريق غيره فلا يسأل عن غنى هذا وقوة اعتماده قال

احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان بالله الى الله عز وجل ونظره اليه واعتماده عليه كاف به كما يكاف الصبي بأمه
فيكون متوكلا حقا فان العاطل متوكل على أمه

والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فيتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله لان له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أذناه قال ترك الاماني قبل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو اشارة الى الدرجة الثانية (٤٦٤) وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه * (الثالثة) وهي أعلاها

وهذه أقوى من الاولى (والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط ولا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكليف والكسب وليس فانيا عن توكله أي له التفات الى توكله وشعوره به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة أشار) أبو محمد (سهل) رحمه الله تعالى (حيث سئل عن التوكل ما أذناه قال ترك الاماني) على الله أي فلا يتمنى على الله شيئا نظرا الى ثقته (قال) وما (أوسطه قال ترك الاختيار) لله تعالى (وهو اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ أوسطه) ولفظ القوت قبل وما أعلاه قال لا يعرف الا أن من توسط التوكل وترك الاختيار أعطى فذ كر كلاما انتهى ولعل عدم ذكره نظرا الى حال السائل فإنه لم يكن ممن يخبر بذلك والا فقد قال سهل بنفسه أول مقام في التوكل كذا وكذا وأشار الى الدرجة (الثالثة) وهو في سياق المصنف (وهي أعلاها) أن (يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكاته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه) في حال (الا أنه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك الميت) (الغاسل الميت) عينا وشيئا لا (وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى للحركة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كان يحدث جبرافيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه وهذا بعينه مفاد قول سهل رحمه الله تعالى قال القشيري قال سهل بن عبد الله أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كاليت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير وقال صاحب القوت وقد كان سهل يقول تلقى نفسك في اللج وتحت جريان الحكم وقال مرة تكون بين يديه مثل الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء وأنشدت بعضهم

وإلا رأيت القضاء جاريا * لاشك فيه ولا مرية

توكلت حقا على خالق * وألقيت نفسي مع الجرية

(و يفارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح) باسمها (ويعلق بذيلها ويعدو خلفها) حيث مشى (بل مثال هذا مثال صبي علم أنه وان لم يزغق بامه فالام تطلبه وأنه وان لم يتعلق بذيل أمه فالام تحمله وان لم يسألها اللبن فالام تفتاحه وتسقيه) وجعل السكالم محمد بن اسحق هذه الدرجة الثالثة أن يكون في قوة اعتماده وعدم اضطراره كرجل غذاؤه بين يديه وهو يتناول منه فان طمأنينته أكثر من الاول والثاني (وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداء قبل السؤال والدعاء وقبل الاستحقاق) لها وانما يثمر ذلك لانه مدحوش فرح بوجود الزايف عن الرزق بل هو رزقه وبه حياته (والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط) وقد أشار الى كل من المقامين كلام الصوفية في حد التوكل (فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم ان ذلك ليس بمحال) بل وجدناهم يعمدون (ولكنه عز بنادر) الوقوع (والمقام الثاني والثالث أعزها) وأقلها (والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه) وبإنيته (أي أكثر بنية من وجدانه) (بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه) للسالك (الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب) الظاهرة (طبع) مركز فيه (وانقباضه) عنه أمر (عارض) والعارض سر ربع الزوال (كأن انبساط الدم الى جميع الاطراف) من البسطن (طبع وانقباضه عارض) يكون نارة وتارة

أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكاته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك الميت يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كلا يحدث جبرافيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى أمه ويصيح ويعلق بذيلها ويعدو خلفها بل هو مثل صبي علم أنه وان لم يزغق بامه فالام تطلبه وأنه وان لم يتعلق بذيل أمه فالام تحمله وأنه وان لم يسألها اللبن فالام تفتاحه وتسقيه وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يسئل فكم من نعمة ابتداء قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء

والمقام الثاني والثالث أعزها والاول أقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجه فان انبساط القلب الى الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض كما أن انبساط الدم الى جميع الاطراف طبع وانقباضه عارض

(والوجه)

والوجس عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمعي عن ظاهر البشرة الحجره التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراعى من ورائه حرة الدم وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم رأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قديوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهموت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الامن حيث الفزع الى الله بالدعاء والانهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي (٤٦٥) بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك

تدبيره من جهة غير الوكيل
ولكن لا يترك التدبير
الذي أشار اليه وكيله به
أو التدبير الذي عرفه من
عادته وسنته دون صريح
اشارته فاما الذي يعرفه
بأشارته بان يقول له لست
أحكم الا في حضورك
فيشتغل بالحالة بالتدبير
للحضور ولا يكون هذا
مناقضاً لوكيله عليه اذ
ليس هو فزعاً عنه الى
حول نفسه وقوته في
اظهار الحاجة ولا الى حول
غيره بل من تمام توكله
عليه أن يفعل ما رسمه له
اذ لم يكن متوكلاً عليه
ولا معتمداً له في قوله لما
حضر بقوله وأما المعلوم
من عادته واطراد سنته
فهو ان يعلم من عادته انه
لا يحتاج الخصم الامن
السجل فتمام توكله ان
كان متوكلاً عليه أن
يكون معولاً على سنته
وعادته وواقعة تضاهيها

(والوجس عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تنمعي عن ظاهر البشرة الحجره التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراعى من ورائه حرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم وكذا انقباض القلب بالسكينة عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم رأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قديوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول) والحاصل أن عزة وقوع تلك الاحوال للضرورة مادة البشرية والدرجة يجب اكتسابها بأسبابها عند هجوم النفس على الاسباب المحرقة لدواعي الحاجات ولو قام الخلق كلهم بهذا القدر من الواجب من التوكل فضلا عن المستحب للزهم الاجمال والاقتصاد في الطلب ولم ير في الدنيا شرطي ولا مكاس ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (فان قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأسا مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمهموت) مدهوشا فرحا بالرازق عن الرزق (والمقام الثاني ينفي كل تدبير الامن حيث الفزع) والاتجاه (الى الله تعالى بالدعاء) والتضرع (والانهال) وهو (كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار اليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه بأشارته فانه يقول له لست أحكم الا في حضورك فيشتغل بالحالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً لوكيله عليه في تلك الخصومة) اذ ليس هو فزعاً عنه الى حول نفسه وقوته في اظهار الحاجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر بقوله فهذا ما يعرفه بأشارته الصريحة (وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحتاج الخصم الا من السجل) وهو الدفتر المكتوب فيه أصل المعاملة أو الوثيقة التي أثبت فيها أصل ما يتخاصمون عليه (فتمام توكله ان كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته وواقعة تضاهيها وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذا استغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه نعم بعد ان حضر وفاء بأشارته واحضار السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهموت المنتظر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بأشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال) ترد عليك (في التوكل وفهمته انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كان كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الاعمال) قريباً (فاذا فرغ المتوكل

(٥٩ -) (اتخاف السادة المتقين) - (تاسع) وهو أن يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاطبته فاذا استغنى عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيأ من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه نعم بعد أن حضر وفاء بأشارته واحضار السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً الى حاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمهموت المنتظر لا يفرع الى حوله وقوته اذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فزعه الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل بأشارة الوكيل وسنته وقد انتهت نهايته فلم يبق الاطمئنانة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وفهمته انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسياق تفصيله في الاعمال فاذا فرغ المتوكل

لولا فعله وانما يصدق ذلك
في حق الوكيل الحق
وهو الله تعالى اذ هو
خالق الحول والقوة كما
سبق في التوحيد وهو
الذي جعلهما مفيدين
اذ جعلهما ما شرطهما
سخرهما من بعدهما من
الفوائد والمقاصد فاذا
لاحول ولا قوة الا بالله
حقا وصدقاً فمن شاهد
هذا كله كان له الثواب
العظيم الذي وردت به
الاخبار فممن يقول
لاحول ولا قوة الا بالله
وذلك قد يستبعد فيقال
كيف يعطى هذا الثواب
كلهم هذه الكلمة مع
سهولتها على اللسان
وسهولة اعتقاد القلب
بمعهوم لفظها وهيئات
فانما ذلك جزاء على هذه
المشاهدة التي ذكرناها
في التوحيد ونسبة هذه
الكلمة وثوابها الى كلمة
لا اله الا الله وثوابها كنسبة
معنى احداها الى
الآخرى اذ في هذه الكلمة
اضافة شيئين الى الله
تعالى فقط وهما الحول
والقوة وأما كلمة لا اله
الا الله فهو نسبة الكل
اليه فانظر الى التفاوت
بين الكل وبين شئئين

لولا فعله وانما يصدق ذلك
في حق الوكيل الحق
وهو الله تعالى اذ هو
خالق الحول والقوة كما
سبق في التوحيد وهو
الذي جعلهما مفيدين
اذ جعلهما ما شرطهما
سخرهما من بعدهما من
الفوائد والمقاصد فاذا
لاحول ولا قوة الا بالله
حقا وصدقاً فمن شاهد
هذا كله كان له الثواب
العظيم الذي وردت به
الاخبار فممن يقول
لاحول ولا قوة الا بالله
وذلك قد يستبعد فيقال
كيف يعطى هذا الثواب
كلهم هذه الكلمة مع
سهولتها على اللسان
وسهولة اعتقاد القلب
بمعهوم لفظها وهيئات
فانما ذلك جزاء على هذه
المشاهدة التي ذكرناها
في التوحيد ونسبة هذه
الكلمة وثوابها الى كلمة
لا اله الا الله وثوابها كنسبة
معنى احداها الى
الآخرى اذ في هذه الكلمة
اضافة شيئين الى الله
تعالى فقط وهما الحول
والقوة وأما كلمة لا اله
الا الله فهو نسبة الكل
اليه فانظر الى التفاوت
بين الكل وبين شئئين

لتعرف به ثواب لا اله الا الله
الكلمات وأكثرا الخلق

صادقا من قلبه من اجله او جبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص أراد بالمطلق هذا المقيد كما أضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضافها الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به المقيد (٢٦٧) بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث

وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص ورأه هما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم الخاضعون نعم ان يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي الى الملك أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سر موضوعة متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين مازاد على ذكر الماعوا الظل والفواكه والاشجار والحور العين وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب والمأكل والمنكوح وينصوّر ذلك للبهائم على الدوام وأن لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان له هذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان أحوال البهائم وهي مسيبة (أي مطلقة) في الرضا متنعمة بالماعوا والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزوان والسفاد وهو الركب على الأناث (أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما أبعد عن التحصيل من اذاخير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على اللسان ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجنودة ومن قول الشعبي ان الله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكرهه الشعراء وضموا هذه الجملة وصرفوها الى معان كثيرة مدحوا ذما وأنجها ما أنشدني بعضهم في الذم رأيت النخل يطرح كل قمح * وذلك اللبيل ملتف عليه فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبه الشئ منجذب اليه

صادقا لمخلصا من قلبه وجبت له الجنة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم قلت حديث زيد بن أرقم عند الطبراني وفيه مخلصا دون صادق فيه دخل الجنة وفي آخره قبل وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله ورواه كذلك الحكيم وأبو نعيم في الحليسة ورواه ابن النجار من حديث أنس مثله وفيه بعد قوله الجنة قبل أفلا أبشركم الناس قال اني أخاف أن يتكلموا ورواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد بدون تلك الزيادة وكذلك رواه الطبراني من حديث أبي شيبة الخدرى وقد تقدم كل ذلك في الدعوات ومعنى الاخلاص بلالة الله عند الخاصين به أن يشهدوا أن لا نافع ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا الله ولا هادى ولا مضل الا الله كما أنه لا اله الا الله هذا عندهم في قرن واحد وبمشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وان كان قد جعل لهاديين وضللين كما جعل معطين وماتعين ولكن من بعد اذنه حقيقة ومشيئته وقدرته وحكمته (وحديث اطلق من غير الصدق والاخلاص) كما في حديث سلمة بن نعيم الاشجعي عند الطبراني في الاوسط من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق (أراد بالمطلق المقيد) بالوصفين (كما أضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع وأضاف الى مجرد الايمان في بعض المواضع والمراد به) الايمان المقيد (بالعمل الصالح) فكذلك هنا (فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضا ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص ورأه هما) أي حركة اللسان وحديث النفس (ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون) في أعمالهم الصادقون في أقوالهم (نعم ان يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضا درجات عند الله تعالى) متفاوتة (وان كان لا ينتهي الى الملك أما ترى ان الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال) والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين (على سر موضوعة) أي منسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين عليها متقابلين ولما انتهى الى أصحاب اليمين مازاد على ذكر الملك والظل والفواكه والاشجار والحور) فقال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة (وكل ذلك لذات المنظور والمشروب والمأكل والمنكوح وينصوّر ذلك للبهائم على الدوام وأن لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين) وقيل لما شبه حال السابقين في التنعم بأكل ما يتصور لاهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكل ما يقتناه أهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين حالين (ولو كان له هذه الذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة افترى ان أحوال البهائم وهي مسيبة) أي مطلقة (في الرضا متنعمة بالماعوا والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزوان والسفاد وهو الركب على الأناث (أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما أبعد عن التحصيل من اذاخير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وهل يخفى ان شبه كل شئ منجذب اليه) وهو قول سائر مشهور على اللسان ومعناه يؤخذ من حديث الارواح جنود مجنودة ومن قول الشعبي ان الله ملكا موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض وقد أكرهه الشعراء وضموا هذه الجملة وصرفوها الى معان كثيرة مدحوا ذما وأنجها ما أنشدني بعضهم في الذم

رأيت النخل يطرح كل قمح * وذلك اللبيل ملتف عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي * شبه الشئ منجذب اليه

والاشجار وأصناف الماء كولات ممتعة بالنزوان والسفاد أعلى وأشد وأجدر بان تكون عند ذوى الكمال مغبوبة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيئات هيئات ما أبعد عن التحصيل من اذاخير بان يكون جارا أو يكون في درجة جبريل فيختار درجة الجار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شئ منجذب اليه

وان النفس التي تزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتابة وكذلك من تزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهايم أشبه منه بالملائكة لا محالة وهو لاهم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل وإنما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للجزو أما الانسان ففي قوته ذلك والقادر على نيل السكال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال وإذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لاله الا الله ومعنى قول (٤٦٨) لاحول ولا قوة الا بالله وأن من ليس قائلهم ما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان

قلت ليس في قولك لاحول ولا قوة الا بالله الانسبة شيتين الى الله فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليستا من جهة الآدميين بل هما من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر بحدته نظره فهى مهلكة مخطورة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون اذا ثبتوا لانفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا قريبا انه ليس في التوحيد الاعتقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيمة والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها وتفسيرها وبيانها فاذا رجع حال التوكل الى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وهكذا عبر به عنه بعض الشيوخ (وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى) والله الموفق بكرمه

(الفصل الثاني في بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل)

(وان النفس التي تزوعها الى صنعة الاساكفة أكثر من تزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالاساكفة أشبه في جوهره منه بالكتابة وكذلك من تزوع نفسه الى نيل لذات البهائم أكثر من تزوعها الى نيل لذات الملائكة فهو بالبهايم أشبه منه بالملائكة لا محالة وهو لاهم الذين يقال فيهم أولئك كالانعام بل هم أضل) شبههم بالانعام لما في قصوى همهم الميل الى الذات الحسية التي تزول سريعاً ثم قال بل هم أضل (وإنما كانوا أضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للجزو) لما فيها من النقص في الادراك (وأما الانسان ففي قوته ذلك) لانه خلق بميما ملكي فهو مرتبة بين مرتبتين (والقادر على نيل السكال أخرى بالذم وأجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب السكال) لانه ترك ما هو قادر عليه وتقدم انشاد قول الشاعر ولم أز في عيوب الناس عيباً * كنقص القادرين على التمام (واذ كان هذا كلاما معترضا) بين كلامين سبق لادنى مناسبة (فلنرجع الى المقصود) المهم فيما نحن فيه (نقد بينا معنى قول لاله الا الله) في التوحيد (ومعنى لاحول ولا قوة الا بالله) قريبا (ومن ليس قائلهم ما عن مشاهدة) معنيهم ما (فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت ليس في قولك لاحول ولا قوة الا بالله الانسبة شيتين الى الله تعالى وهما الاحول والقوة) فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فأقول لالان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين (في المعنى الباطن) ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة وان جاز وصفهما بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الارض والسماء ليس من جهة الآدميين بل هو من خالق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وهم أهل اليونان (وطوائف كثيرة) من الطبائعين والحكماء (من يدعي انه يدقق النظر في الرأي والمعقول حتى يشق الشعر) بنصفين (بحدته نظره) ودقة فكره (فهى مهلكة مخطورة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون) عن أسرار البتول (اذا ثبتوا لانفسهم أمرا) زاعين بذلك تنزيه الباري عما لا يليق (وهو) في الحقيقة (شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى) فأى مزلة أعظم من هذه (فن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته) فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا قريبا انه ليس في التوحيد الاعتقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيمة والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها وتفسيرها وبيانها فاذا رجع حال التوكل الى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق (وهكذا عبر به عنه بعض الشيوخ) (وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى) والله الموفق بكرمه

(اعلم) لانفسهم أمرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله تعالى فن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته فهو الذي يصدق قوله لاحول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا قريبا انه ليس في التوحيد الاعتقبتان احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والغيمة والمطر وسائر الجادات والثانية النظر الى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبقطعهما كمال سر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجعها وتفسيرها وبيانها فاذا رجع حال التوكل الى التبرى من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق (وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل ان شاء الله تعالى) (بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل)*

ليبين أن شيأ منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي قلت لأبي يزيد ما التوكل فقال ما تقول أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي عن عيذك ويسارك ما تحرك لذلك سرله فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة (٤٦٩) التوكل فما ذكره أبو موسى فهو خير

(اعلم) وفي نسخة ليتبين (أن شيأ منها لا يخرج عما ذكرناه ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الديلي) هكذا في النسخ وهو يحتمل أن يكون بفتح الدال وكسر الموحدة نسبة إلى ديبيل الرملة قرية بها أو هو بفتح الدال وباء تحته ساكنة وباء موحدة مضمومة إلى الديبل مرسي من مرامي السند وقد نسب إلى كل منهما جماعة من أهل العلم ولم أجدا لأبي موسى ترجمة (قلت لأبي يزيد) يعني البسطامي قدس سره (ما التوكل فقال ما تقول فيه أنت قلت أن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي) أي الحيات (عن عيذك ويسارك) أي وغيرهما (ما تحرك لذلك سرله) لقوة اليقين بالله والاعتماد عليه (فقال أبو يزيد نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك) وفي نسخة لك (تمييز عليهما) وفي نسخة بينهما أي بأن ميزت أحدهما عن الآخر يعني اخترت لنفسك شيأ (خرجت من جملة التوكل) لأن الاعتماد على الله تعالى ينافي أن تنسب لنفسك فعلا لأنك لا تعلم مصطنك في أي جهة لافي النعم ولا في العذاب فلا يليق بك تمييز ولا اختيار وذكر نعيم الجنة وعذاب النار لأنهما أشد من غيرهما والأفليس بمرادين بل المراد مطلق النعيم والعذاب ولفظ القشيري في الرسالة وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله السيرواني يقول سمعت أبا موسى الديلي يقول قيل لأبي يزيد ما التوكل فقال لي ما تقول أنت فيه والباقي سواء وهذا يدل على أن السائل له على التوكل غير أبي موسى (فما ذكره أبو موسى فهو خير عن أجل أحوال التوكل) وأعلاها (وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة) الإلهية (وأن مافعله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل القول بالعدل والحكمة ووراءه سر القدر) الذي نهى عن كشف سره وهذا السياق مؤيد لما قلته التي تقدم ذكرها (وأبو يزيد) قدس سره (قلما يتكلم الامن أعلى المقامات وأقصى الدرجات) لعلاها وتكفيه في مقامه (وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرط في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار) الذي يجبل نور (أذ سدا منافذ الحيات) بقطع من رذاته (الآن يقال فعل ذلك بيده) وفي نسخة برجله (ولم يتغير بسبب ذلك سره) أي باطنه (أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم) عزاه رزين لأنساب ورواه ابن الجوزي في الوفاء وقد تقدم الكلام عليه (لأني حق نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره) وتغيره (لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال) أي لأن مقام الصديق يقتضي التبري من الحركة مطلقا الآن يقال أن ذلك كان في مبادئ سلوكه قبل أن يتصرف بمقام الصديقية (ولكن سيأتي أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مساط الحيات إذا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري (قدس سره) عن التوكل فقال هو (خلع الأرباب) وهو ما سوى الله تعالى بما عاك القاب عادة ويكون مسخره بمنزلة العبد (وقطع) الاعتماد على (الاسباب) الظاهرة والباطنة بحيث لا يبقى له معتمد سوى الله تعالى (وخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد) فان من اتخذ غير الله تعالى موحده (وقطع الاسباب إشارة إلى الاعمال) فقد أشار إلى العلم الذي هو أساس التوكل والعمل الذي هو غرته (وليس فيه تعرض صريح للحال) للذي من نتائج الاعمال (وإن كان اللفظ يتضمنه) فتكون دلالة عليه بالالتزام (قيل له زدنا) في البيان بعبارة

عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن مافعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أعز أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو يزيد قلما يتكلم الآن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرط في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الغار أذ سدا منافذ الحيات الآن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال انما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأني حق نفسه وانما يزول التوكل بتحرك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال) ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه

لا يناقض التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مساط الحيات إذا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فان احتراز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الاسباب فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الاسباب إشارة إلى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له زدنا

فقال القاء النفس في العبودية (٤٧٠) واخراجها من الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقاموا على حمدون القصار عن

أخرى ليفهم (فقال القاء النفس في) أحكام (العبودية) بان يكون دائماً مشغولاً بما أسره ونسي عنه (واخراجها) من دعوى (الربوبية) وسلبها عنها (وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة فقط) فانه ما لم يتبرأ منهم لم يتصف بالعبودية المحضة وهو تفسير باللازم نظراً الى فهم المخاطب ولفظ القشيري وسمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمي يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصري وسأله رجل فقال ما التوكل فقال فساقه (وسئل) أبوصالح (حمدون) بن أحمد بن عمارة القصار رحمه الله تعالى (عن التوكل) ماهو (فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانيق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة) ففاد قول حمدون ان التوكل عبارة عن الاعتماد على الله وحسن الظن به وعدم اليأس عن روجه وهذا المعنى أقرب مما أشار اليه المصنف (وسئل أبو عبد الله) محمد بن أحمد (القرشي) ترجمة القوصي في الوحيد (عن التوكل) ماهو (فقال هو) (التعلق بالله تعالى في كل حال) والمراد به الاعتماد عليه (فقال السائل زدني) في البيان (فقال هو) (ترك) الاعتماد على (كل سبب) ولو لم يباشر المطلوب بل كان (يوصل الى سبب) آخر يباشر المطلوب (حتى يكون الحق) تعالى (هو المتولى لذلك) فيصيرك كيف يشاء هكذا أورده القشيري (فالاول عام في المقامات الثلاث) اذا تعلق بالله لا بد منه في كل منها (و) الجواب (الثاني اشارة الى المقام الثالث) الذي هو أعلى الثلاثة وهذا يدل على أن المشايخ غايبيون فيما يسألون على قدر مقام السائلين فانه في الاول أجاب بما نعلم الثلاث فلما استتراده وتفرس فيه القوة أجاب بما هو أخص وأعلى ويحتمل أن يقال انه أجاب أولاً بحقيقة التوكل وعبر عنه بالتعلق بالله خاصة فاستتراده بما ثبت له هذا المقام فأجاب أن ترك الاسباب تصل الى ذلك وفي ترك الاسباب كلام يأتي فيما بعد (وهو مثل توكل ابراهيم عليه السلام اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة) وهو مكتفٍ مربوط في كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوى الى نار وقد تأججت (فقال اما اليك فلا) فأعرض عنه وتعلق بالله (اذ كان سؤاله سبباً يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له) عن السقوط في النار (فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت) مدهوش (غائب عن نفسه بالله تعالى) أي فيه (فلم ير معه غيره لفنائته فيه عنه وهو حال عز في نفسه ودوامه ان وجد) في السالك (أبعد منه وأعز) وهو منتزع من سباق القشيري قال سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت أبابكر البردعي يقول سمعت أبابيعقوب النهر جوري يقول التوكل على كمال الحقيقة ما وقع لابراهيم عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام اما اليك فلا لانه غابت نفسه بالله فلم ير مع الله غيره اه وقد تقدم للمصنف نحو ذلك في الفناء في التوحيد وقال صاحب القوت سئل الامام أحمد عن التوكل فقال هو قطع الاستشراق بالايامن عن الخلق قيل له فالحجة فيه قال ابراهيم عليه السلام قال له جبريل ألك حاجة قال اليك لا قال فسل من لك اليه حاجة فقال أحب الامرين الى أحبهما اليه هكذا ذكره أحمد فكانه جعل التوكل التغويض والرضا بغير ان الاحكام من غير مسئلة ولا اعتراض وهذا بعمرى هو حال المتوكلين (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراساني) المتوفى سنة ٢٧٧ (التوكل) هو (اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب) نقله القشيري (ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به) واعتماده

التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانيق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وقاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاث والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال له جبريل عليه السلام ألك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سبباً يفضي الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بان الله تعالى ان أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو

عليه (واضطرابه بلاسكون اشارة الى فزع اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيدته الى أمه وسكون قلبه الى تمام شفقتها) والذي فهمته من قول أبي سعيد انه أشار بقوله ذلك الى أن ترك الأسباب ليس من التوكل في شيء وإنما القصد عدم سكون القلب اليها بحال فهذا هو معنى قوله اضطراب بلاسكون ثم بعد مباشرته لها ان تغيرت فلا يضطر بالذلك بل يديم سكون قلبه اليه مسيهاً ويؤيده ما قال سهل فيما نقله القشيري التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب يستغنى بقى على حاله فلا يتركن سنته اهـ أى يكون السابق لقلبه سكونه الى الله تعالى بلا اضطراب في التعلق بالأسباب فأشار به الى تمام التوكل الذي هو عدم الركون الى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها فلا يقوم عبودية الأسباب الاعلى ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل الاعلى قدم العبودية فأراد بالاضطراب الاول الضرب في الارض للتكسب ان كان معيلاً أو أراد بالاضطراب الثاني وهو المنفى تعلق القلب وان شئت قلت التوكل هو اضطراب بلا اضطراب أو هو سكون بلا سكون ويراد بالسكون الاول التعلق بالسبب والثاني سكون القلب وكلام أبي سعيد من أبدعه وأحسنه وما شرحناه به أقعد مما أشار اليه المصنف والله أعلم (وقال أبو علي) الحسن بن علي (الدقاق) النيسابوري شيخ القشيري (للتوكل من حيث هو ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض) وكل من الاخيرين أعلى مما قبله كما أفاده سياقه هنا (فالتوكل يسكن الى وعده تعالى بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقناه واختيار (والمسلم يكتفى بعلمه) تعالى بحاله فانه يعلم ما هو فيه (وصاحب التفويض مرضى بحكمه) تعالى أى بكل ما يجري به الله تعالى عليه ووافق غرضه أو خالفه ولا اختيار لهما لانهما مسلما وفوضا الامور اليه تعالى يفعل بما هما هو صلاح لهما نقله القشيري اهـ اعانه (وهذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك) وظاهر هذا تفضيل مقام التسليم على التوكل والتفويض وسأنت في التنبيه ما يؤيد بذلك ويؤيد ما شرحناه قول القشيري بعده وسعته يعنى الدقاق يقول التوكل بداية والتسليم وسائط والتفويض نهاية اهـ أى ان التوكل اعتماد والتسليم راحة والتفويض رضا يجري ان الاحكام قال وسعته أيضاً يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الاولياء والتفويض صفة الموحدين والتوكل صفة العوام والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خاص الخواص وقال أيضاً التوكل صفة الانبياء والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام والتفويض صفة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السكالي أبو بكر محمد بن اسحق في مقاصد المنجيات والتوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التفويض والتسليم لان غاية جلب النفع ودفع الضرر والتفويض والتسليم ينشآن عن ملاحظة علم الله وحكمته وتقديره للاشياء في ازلها وحقيقتهما الانقياد والاذعان للامر والنهي وترك الاختيار في الفعل بل في جملة ما حكم الله به وقضى لان المنفعة التي يطلب المتوكل جلبها والمضرة التي يطلب دفعها قد يعكسان فتكون المضرة منفعته والمنفعة مضرة ولذلك علمنا الله ربنا وخالقنا التفويض والتسليم وترك الاختيار بقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فنسب ذلك الى علمه وأثبت لنفسه وسلبه عنا بقوله وأنتم لا تعلمون (وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطيل به فان الكشف) عن الحقائق (أنفع من الرواية والنقل) المجرد (فهذا ما يتعلق بحال التوكل) ولا بأس أن نورد ما قاله الشيوخ ولا سيما في بعض ما قالوه حقيقة التوكل وفي بعضه اشارة الى أعلى مقاماته ومعرف ذلك مهمة فنقول قال صاحب القوت قال بعض العارفين لماسئل عن حقيقة التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لا جله يكفي أو يعافى أو يوفى فجعل نظره الى توكله علة في توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلا ملل ولا يكون بينه وبين الوكيل شيء ينظر اليه أو يقول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضاً الذي هو طريقه وقد عبرت طائفة من أهل المعرفة عن هذا المعنى بعبارات فقال أبو تراب الخشبي التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية وقال الزقاق التوكل ردا العيش الى يوم واحد

واضطرابه بلاسكون
اشارة الى فزع اليه
وابتهاله وتضرعه بين
يديه كاضطراب الطفل
بيدته الى أمه وسكون
قلبه الى تمام شفقتها
وقال أبو علي الدقاق
التوكل ثلاث درجات
التوكل ثم التسليم ثم
التفويض فالتوكل
يسكن الى وعده والمسلم
يكتفى بعلمه وصاحب
التفويض مرضى بحكمه
وهذا اشارة الى تفاوت
درجات نظره بالاضافة
الى المنظور اليه فان العلم
هو الاصل والوعد يتبعه
والحكم يتبع الوعد ولا
يبعد أن يكون الغالب
على قلب المتوكل ملاحظة
شيء من ذلك وللشيوخ
في التوكل أقاويل سوى
ما ذكرناه فلا نطول به
فان الكشف أنفع من
الرواية والنقل فهذا ما
يتعلق بحال التوكل والله
الموفق برحمته ولطفه

واسقاط هم غد وقال غيره التوكل هو الخلود تحت الموارد وكان بعض أشياخنا اذا سئل عن التوكل أجاب عنه
بعين الحقيقة فيقول هو أن تكون مع الحق كالم تكن فان الحق الآن كالم نزل وقال الجري التوكل معاينة
الاضطرار أي يكون بضاعته عند مولاه الافلاس وحاله في الاعمال الاياس وقال سهل التوكل هو التبري من الحول
والقوة وقال غيره هو عدم الاهتمام بما قد كفى كالايتيم الصحيح بالدواء اذا عوفي وكان الحسن يقول التوكل هو
الرضا وهو اشارة الى أعظم ثمراته وقيل هو تسليم الاقدار كلها لا القادر واعتقاد أن جميعها قضاءه وقدره وهو اشارة
الى القدر المأمور وضمنه وقال ابن عطاء ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة في القلب الى
النار وكذلك قال أبو عبد الله القرشي في التوكل انما هو اطمان الى الله سر او جهرا ورضى به كفيلا ونحوه قال
رويم انما التوكل الثقة بالله في كل ماضن في حال وقال أبو موسى الديلمي التوكل هو أن يستوى عندك البداية
وباب الطاق وقال غيره التوكل استبلاء الوجد على اشارة وحذف التشريف الى الازفاق يعني يغلب وجمده اشارة
بقول أوهمة فيشغله عن التفرغ الى غيره وقيل التوكل هو الكف عن الاغيار في السر والعلانية والسكون الى
الخلق بلا واسطة وقال سهل التوكل هو التقوى واحتج بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان المعنى اعبدهم بالتوكل
وقال مرة هو اظهار الفقر والفاقة اليه وافقه في ذلك أبو بكر محمد بن موسى الواسطي فقال التوكل هو قصد
الفاقة والافتقار وقال النهر جوري التوكل نسيان حظوظ النفوس وقال الخواص التوكل الا كتفاء بعلم الله
فيك من تعلق القلب بسواه وقال يحيى بن معاذ من حقيقة التوكل ترك العبد محابه لمحاب الله واختياره لاختيار الله
وتدبيره لتدبير الله بالغناء عن نفسه وبالنظر الى مجاري الاحكام والقدر وهذا اشارة الى المقام الثالث وقال أيضا
التوكل على ثلاث درجات ترك الشكايه والرضا والمحبة فترك الشكايه أن لا يشكوره والرضا ان يرضى بما قسم له
 والمحبة أن تكون محبته في قضاء الله تعالى فأولها للصالحين والثانية للاولياء والثالثة للابدال وهذا اشارة الى
درجات البداية أما توكل النبيين والصديقين فهو أن لا يركن القلب الى سبب ولا مخلوق ولا ينظر الى مادون
الله نظرة وهو من عزائم التوكل قال وأخبرني بعض الاشياخ عن أبي علي الروذباري انه قال التوكل على ثلاث
درجات الاولى منها اذا أعطى شكر واذامنع صبر والثانية المنع والعطاء عنده واحد والثالثة المنع مع الشكر أحب
اليه من اختياره وقال غيره التوكل على ثلاث درجات اولها الصبر عند البلاء وأوسطها الشكر عند شهود البلاء
وأخرها الرضا بمجاري الاقدار والاحكام هذا ما انتقته من كتاب قوت القلوب مع الاختصار وقد ذكر القشيري
في الرسالة بعض ما هو في القوت فلنذكر ما لم يذكره صاحب القوت قال جدون التوكل هو الاعتصام بالله وقد
أشار بذلك الى عموم التوكل في المقامات الثلاث وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضى
بالله وكبلا وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال أن لا يظهر فيك انزعاج الى الاسباب مع شدة فاقك الهول
نزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها وذكر القشيري قول أبي تراب الخشبي السابق الا انه زاد
بعد قوله بالرؤيت والطمأنينة الى الكفاية فان أعطى شكر وان منع صبر وقال ذو النون التوكل ترك تدبير
النفس والاختلاص عن الحول والقوة وانما يقوى العبد على التوكل اذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه
وقال سهل التوكل الاسترسال مع الله على ما يريد وهذا اشارة الى مقام التسليم وفيه ترك الاختيار وقال غيره
التوكل أن يستوى عندك الاكثار والتقل وهذا اشارة الى مقام من مقامات التوكل وقال ابن مسروق التوكل
الاستسلام لجريان القضاء والاحكام وهذا اشارة الى مقام التقوى وفيه ترك الاختيار وهو المقام الثالث
وقال أبو عثمان الحبري التوكل الا كفاء بالله مع الاعتماد عليه وهذا اشارة الى المقام الثاني وسئل الرزاق عن
التوكل فقال هو الا كل بلا طمع وهذا اشارة الى احسدى أماراته. وقيل التوكل نفي الشكوك والتقوى الى
ملك الملوك أراد بنى الشكوك قوة اليقين وأطلق التوكل على التقوى وهو أعلى منه لانه من ثمراته كما أن
اليقين من أصوله ففيه اشارة الى الاصل والثمره وقيل التوكل الثقة بما في يدي الله تعالى والبأس عما في أيدي
الناس وهذا اشارة الى سبب التوكل الذي هو الاعتماد على الله لا على نفسه وقيل التوكل فراغ السر عن التفكير

*** (بيان أعمال المتوكلين) ***
 اعلم ان العلم بورث الحال
 والحال يثر الاعمال وقد
 يظن ان معنى التوكل ترك
 الكسب بالبدن وترك
 التدبير بالقلب والسقوط
 على الارض كالخرقة
 الملقاة وكالعدم على
 الوضوء وهذا ظن الجهال
 فان ذلك حرام في الشرع
 والشرع قد أنى على
 المتوكلين فكيف ينال
 مقام من مقامات الدين
 بمحظورات الدين بل
 تكشف الغطاء عنه
 ونقول انما يظهر تأثير
 التوكل في حركة العبد
 وسعيه بعلمه الى مقاصده
 وسعي العبد باختياره ما
 أن يكون لاجل جاب
 نافع هو مفقود وعنده
 كالكسب أو لحفظ نافع
 هو موجود وعنده كالادخار
 أو لدفع ضرر لم ينزل به
 كدفع الصائل والسارق
 والسباع أو لازالة ضرر
 قد نزل به كالتداوى من
 المرض فقصود حركات
 العبد لا تعد وهذه
 الفنون الاربعة وهو
 جاب النافع أو حفظه
 أو دفع الضرر أو قطعه
 فلنذكر شروط التوكل
 ودرجاته في كل واحد
 منها مقر ونابشواهد
 الشرع

في التقاضى في طلب الرزق وهذا اشارة الى ثمره من ثمرات التوكل لان نفسه فان من توكل على الله ولم يلتفت الى
 غيره من الاسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وان أمر بالاكتساب * (تنبيهه) * تقدم أن التوكل مع
 شرفه مخفض الرتبة عن التسليم والتفويض وهل التفويض أعلى مقاماً أو التسليم فنهى من قال التفويض
 أعلى ومنهم من قال التسليم أعلى وعلى كل حال فالواجب على العبد لجهله أن يستخير الرب تعالى لعلمه وكمال
 قدرته فما للعبد العاجز الجاهل الا الذل والاذعان وترك الاختيار اذ لو فرضنا أن الله تعالى صب على عباده بلاء
 عريان المصلحة لكان يجب على العبد التسليم والاذعان لانه أحكم الحاكمين فقد قال صاحب القوت اعلم أن
 العلماء بالله لم يتكاهموا عليه لاجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لاجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ولا ليشترطوا عليه
 حسن القضاء بما يحبون ولا ليلبدل لهم حريان أحكامهم بما يكرهون ولا ليغير لهم سائق مشيئته الى ما يعقلون
 ولا ليحول عنهم ما مضى من سنته التي قد خات في عباده من الابتلاء والامتحان والاختبار الى ما يعملون هو أجل في
 قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا الواعقد عارف بالله تعالى أحده هذه المعاني مع الله في توكله
 لكان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله عصية وكان ما فات عليه من حقيقة التوحيد أشد عليه مما
 أدرك من توهم التوكل وانما أخذوا منه وسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه باى
 معنى جرى اه فان قال قائل ان كانت الارادة قد خصت الاشياء ووضعتها في مراتبها والقدرة توجب
 ذلك بالضرورة في الوقت المقدر اذن المحال أن تخصص الارادة شيئاً ولا توجد القدرة على وفاء
 التخصيص فافاندة التوكل وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالجواب عن هذا كالجواب في مسألة
 الدعاء فكأن الدعاء عبادة في نفسه فكذلك التوكل عبادة تعبد بالله تعالى به وهو والدعاء من جهة الاسباب
 التي رتب عليها مسبباتها ولذلك قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافر من لا مولى لهم ومعلوم
 أن الله تعالى مولى المؤمنين والكافر من الا أن للمؤمنين ولاية خاصة سوى الولاية العامة بسبب توكلهم على
 مولاهم وكما أن الدعاء اذا وافق المشيئة حصل المدعو به بعينه وان لم يوافق المشيئة عوض عن المدعو المطلوب
 اضعافاً فكذلك المتوكل يتوكل على الله في جميع أموره والرب تعالى يجرى عليه أحكامه التي سبقت بها مشيئته
 فان وافقت غرض المتوكل فهو الرزق بالشهد وان خالفت غرضه عوضه الله تعالى على توكله اضعافاً ذلك ومن
 هنا قالوا ان التسليم أفضل درجات التوكل لانه يثبت على أعز أنواع العلم والحكمة وهو الذي يشير اليه سياق
 المصنف فيما مضى كما نبهنا عليه آنفاً والله أعلم

*** (الفصل الثالث في بيان أعمال المتوكلين) ***

(اعلم) وقل الله تعالى (ان العلم بورث الحال والحال يثر الاعمال) فالعلم هو الاصل والعمل ثمرة الحال والحال
 يتبع العلوم والاعتقادات وقد تحزب الناس في ذلك احراباً بين القائل بطلع الاسباب وبين القائل بالدخول فيها
 وبين المتوسط بطريق الاجمال في الطلب ولكل فريق وجه مع قصوره عن الاحاطة بمقاصد الشرع في وسائل
 العبادات من مقاصدها وقد شرع المصنف في شرح ذلك بذكر روابط المقاصد وافتقارها الى الاسباب واستغناء
 بعض المقاصد عن الدخول في الاسباب مع وجه الافضل في ذلك فقال (وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب
 بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكالعدم على الوضوء وهذا ظن الجهال
 فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد أنى على المتوكلين) ومدحهم كفى غير آية وغير حديث (فكيف ينال مقام
 من مقامات الدين بمحظورات الدين) وفي نسخة بمحظورات (بل تكشف الغطاء عنه) بالتحقيق في ذلك (ونقول
 انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد والسعي بعلمه) وفي نسخة بعمله (الى مقاصده وسعي العبد باختياره)
 لا يخلو (اما أن يكون لاجل جاب نافع وهو مفقود عنه كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود وعنده كالادخار أو
 لدفع ضرر ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لازالة ضرر قد نزل به كالتداوى من المرض فقصود حركات
 العبد لا يعدو) أى لا يجاوز (هذه الفنون الاربعة) وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضرر أو قطعه فلنذكر
 شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقر ونابشواهد الشرع

(الغن الأول) في جلب النافع فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه * الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تعد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومدا اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك اذا انتظرت أن يخلق الله فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك (٤٧٤) تعالى فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه

(الغن الاول) في جلب النافع (فنقول فيه الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون فلنا يوثق به وموهوم وهما لا تنق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به) أي بحصول السبب بعده (وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف) ولا ينفك (كأن الطعام اذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج) الى الاكل (ولكنك لست تعد اليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعي) والحركة (ومدا اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه) بعد المضغ (باطباق أعالي الحنك على أسافله) لبتيسره الابتلاع (فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت أن يخلق الله فيك شبعادون الخبز أو يخلق في الخبز حركة اليك أو يسخر ملكا لمضغه لك ويوصله الى معدتك) من غير حركة منك (فقد جهات سنة الله تعالى) في عباده وكذلك الحال في الشرب بان يكون الماء بين يديك وأنت عطشان فلا تتناوله وتقول أنا متوكل وتناول اياه حركة والحركة تناقض التوكل فالدخل في هذا واجب وتركه حرام فلو ترك هذا اعتمادا على الله بان يخلق له ربا غير شرب كان جاهلا عاصيا (وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر) وحرت (أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام) من غير من بشر (فكل ذلك جنون) وجهل (وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو أن الله تعالى خلق الطعام والبدن والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك) فلا بد من اعتقاد ذلك (وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على البدن والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتقلج) فلا تتحرك (وكيف تعمل على قدرتك وربما بطر أعليك في الحال ما يزيد عقلك ويبطل قوة حركتك) فتكون كالمهتول لا تدري كيف تفعل (وكيف تعمل على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه) فيحول بينك وبينه (أو يبعث حبة ترزجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك) وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وأذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيقول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والافليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو تعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضا ضمه فلا يصح نو كاه في شيء من ذلك ولومات مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا او يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في) صحة (التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين) من السلف الصالحين (ولا يزل التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

لك ويوصله الى معدتك فقد جهات سنة الله تعالى وكذلك لولم تزرع الارض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو أن الله تعالى خلق الطعام والبدن والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على البدن والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتقلج وكيف تعمل على قدرتك وربما بطر أعليك في الحال ما يزيد عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تعمل على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حبة ترزجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك وقد وقع أمثال ذلك كثيرا (وأذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح) أشار بذلك الى قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (وعليه فيقول) ويعتمد (فاذا كان) السالك (هذا علمه وحاله فليمد اليد فانه متوكل) والافليس من التوكل في شيء ومن هذه الدرجة لو تعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضا ضمه فلا يصح نو كاه في شيء من ذلك ولومات مات عاصيا * الدرجة الثانية التي حصول السبب بعده مظنون وهي (الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا او يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في) صحة (التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين) من السلف الصالحين (ولا يزل التوكل بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز) ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في

القوافل

وكيف تعمل على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حبة ترزجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج الا بفضل الله تعالى فذلك فليطرح وعليه فلتعمل فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل * الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا او يكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزل التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز

وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يـ عليه الخواص فان قلت فهو ذاسعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهد هوا وسواها (١٧٥) على الصبر عن الطعام أسبوعا وما

يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الحسية فبعد هذين الشرطين لا يخلف غالب الامر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي الى محلة أوقرية أو الى حشيش يجترى به فيجابه بجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض في التوكل) ولغز القوت وكان ابراهيم الخواص يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن تغارقه أربعة أشياء كان يقول ادخارها من حال التوكل لانها من أمر الدين الر كوة والحبل والابرة والخيط والمقراض ادخارها من غير ما لا تجد نفعا (وسببه انه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض) وانما يكون في الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة) في مشيه (لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق) من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الر كوع والسجود في الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيط (في البوادي غالب العذر) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة شيء مما يوجد في البوادي) وأورد القشيري فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول كان ابراهيم الخواص مجرذا في التوكل يدقق فيه وكان لا يفارقه ابرة وخيط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا السحق لم تحمل هذا وانت تمنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله علينا فرائض والفقر لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتفرق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بالركوة والابرة ولا خيط فاتهمه في صلاته (فكل ما في معنى هذه الاربعة أيضا يلحق في الدرجة الثانية لانه

القوافل بغير زاد رجاء تسخير الناس له والجلوس في المساجد تفرغ للعبادة وغلق الابواب على الامتعة وشرب الادوية المجرية للحمية في الغالب فالتلبس بهذا كله مباح في الشرع غير واجب تركه ولا فعله وأصل التوكل واجب فيبقى الدخول في الاسباب المتفاوتة على أصل الاباحة والمباح ينقلب فضيلة بالمقاصد (وهو) أي ترك استصحاب الزاد في الاسفار (من أعلى مقامات التوكل وكذلك كان يفعله) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى وكان من كبار المتوكلين كما صرح به صاحب القوت (فان قلت هذا سعي في الهلاك والقائه النفس في التهلكة) أي الدخول في البرية بغير تخيير ولا قافلة ولا زاد سبب للهلاك وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فكيف يصح توكله وكيف يكون ذلك مباحا (فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه) في الحضر (وجاهد هوا وسواها) وعودها (على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى) بان لا تسقط قوته في القيام في صلاته (والثاني) قوة الحال وغلبة الانس وهو (أن يكون بحيث يقوى على التقوى بالحشيش وما يتفق من الاشياء الحسية) التي لا تعد قوتا في الجلة (بعد هذين الامرين لا يخلف غالب الامر في البوادي في كل أسبوع أن يلقاه آدمي أو ينتهي الى محلة) وهي منزلة العرب وفي نسخة محلة (أوقرية أو الى حشيش يزجي وقته به) تزجية (فيحي به بجاهدا نفسه) صابرا على الجوع والعطش (والمجاهدة عماد التوكل) وأساسه (وعلى هذا كان يقول) ابراهيم (الخواص ونظراؤه من المتوكلين) كما صرح بذلك الخواص نفسه في كتاب التوكل والمراد بنظرائه مثل يحيى بن معاذ الرازي وكان يوسع في التوكل بالاسباب ويأمرهم من غير مساكنة لها ولا وقوف معها وهو أوسع طريقا وأبسط حالا من الخواص ولكن مسلك الخواص أعلى وحاله أسنى على ضيق في طريقه وقبض في حاله وتشديد وعزيمة في مقامه من توكله ومنهم أبو تراب النخشي وذو النون المصري وحاتم الاصم وعلى الصوفي رحمه الله تعالى وقد ذكر صاحب القوت لكل منهم ما يدل على شدة عزائمهم في التوكل (والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل) ولغز القوت وكان ابراهيم الخواص يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن تغارقه أربعة أشياء كان يقول ادخارها من حال التوكل لانها من أمر الدين الر كوة والحبل والابرة والخيط والمقراض ادخارها من غير ما لا تجد نفعا (وسببه انه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض) وانما يكون في الآبار (وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة) في مشيه (لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق) من طول الاستعمال (فتنكشف عورته) عند الر كوع والسجود في الصلاة (ولا يوجد المقراض والابرة) والخيط (في البوادي غالب العذر) وقت (كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة شيء مما يوجد في البوادي) وأورد القشيري فقال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت الفرغاني يقول كان ابراهيم الخواص مجرذا في التوكل يدقق فيه وكان لا يفارقه ابرة وخيط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا السحق لم تحمل هذا وانت تمنع من كل شيء فقال مثل هذا لا ينقض التوكل لان الله علينا فرائض والفقر لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتفرق ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته واذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته واذا رأيت الفقير بالركوة والابرة ولا خيط فاتهمه في صلاته (فكل ما في معنى هذه الاربعة أيضا يلحق في الدرجة الثانية لانه

المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتشكف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالب العذر كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة أيضا يلحق بالدرجة الثانية لانه

مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوئاً الى فيه فيبين الدرجتين فرقاً ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لاماء ولا حشيش ولا طارقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهداً من الزهاد فارق الامصار وأقام في سفح جبل سبعة ايام لا سأل أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقعد سبعة ايام كاد يموت ولم يأت به رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله جل ذكره اليه وعزني لأرزقك (٤٧٦) حتى تدخل الامصار وتقعدين الناس فدخل المصروع وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب

فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي فزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من أن أرزق بيد قدرتي فإذا التبتاعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربنا مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب

مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لانه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه انسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام مضوئاً الى فيه فيبين الدرجتين فرقاً ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لاماء ولا حشيش ولا طارقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه (كما روى أن زاهداً من الزهاد) في بني اسرائيل (فارق الامصار) بنية التوكل (وأقام في سفح جبل سبعة ايام لا سأل أحداً شيئاً حتى يأتيه ربي برزقي فقعد سبعة ايام كاد يموت ولم يأت به رزق فقال يا رب ان أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله اليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الامصار وتقعدين الناس فدخل المصروع وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أردت أن تذهب حكمتي فزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بايدي عبادي أحب الي من أن أرزق بيد قدرتي) نقله صاحب القوت بلفظ حدثت عن رجل تفرد في فلاة من الارض وانقطع عن الخلق وقال ان كان لي رزق أتاني قال فليت أياما لم يأت به شيء حتى أضربه الضعف وقال يا رب ان كان لي في الارض رزق فأتني به والا فاقبضني اليك قال فأوحى اليه وعزني وجلالي لأرزقك حتى تدخل المصروع وتقعدين ظهوري الخلق قال فعدل الى أقرب الامصار اليه ودخل مسجداً فأتاه انسان بطعام وأتاه آخر بشرب فأكل وشرب فأوحى اليه أردت ان تبطل حكمتي وتسقط حكمي بتوكلك على ان أرزق الخلق بايدي الخلق أحب الي (فإذا التبتاعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض أصل) التوكل كما ضربناه مثلاً للوكيل بالخصومة قبل ذلك (ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فعني التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب السبب) الخفي (لا الى السبب فان قلت فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البوادي اذا لم يكن مهلكاً نفسه كما تقدم فهذا الذي هو قاعد في البلد كيف يكون مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد) هذا (ان يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن الى ان يتفق) وصوله (ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام) لانه تسبب لاهلاك النفس نظر الظاهر الشرع وكان هذا العموم المتوكلين والا فقد نقل صاحب القوت عن بعضهم قال قلت لبعض السالف لو ان عبداً دخل بيتاً وطيس عليه باباً ولا يعلم به أحد كان رزقه يأتيه فقال نعم فقلت ومن أين يأتيه فقال من حيث يأتيه ملك الموت (وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة) من ذكر وقراءة ومراقبة وغيرهما من أنواعها (فالكسب والخروج) الى الناس ومعاملتهم (أولى له ولكن ليس فعله) ذلك (حراماً الى ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال) ان لم يمكنه الكسب (والكسب) ان كان مطيقاً له (وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف

فاعلم أن ذلك ليس بحرام لان صاحب السباحة في البادية اذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه والصبر يمكن الى ان يتفق ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة قال الكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً الا أن يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه بل تطلع الى فضل (٤٧٧) الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو

من مقامات التوكل وهو
أن يشتغل بالله تعالى ولا
يهتم برزقه فان الرزق
يأتيه لا محالة وعند هذا
يصح ما قاله بعض العلماء
وهو أن العبد لو هرب
من رزقه لطلبه كالمو
هرب من الموت لا دركه
وأنه لو سأل الله تعالى
أن لا يرزقه لما استجاب
له وكان عاصيا ولقال له
يا جاهل كيف أخلقك
ولا أرزقك ولذلك قال
ابن عباس رضي الله
عنهما اختلف الناس
في كل شيء الا في الرزق
والاجل فانهم أجمعوا
على أن لا رازق ولا ميت
الا الله تعالى وقال صلى
الله عليه وسلم لو توكلتم
على الله حق توكله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو
نخاصا وتروح بطانا
وقال عيسى عليه السلام
أنظر والى الطير لا تزرع
ولا تحصد ولا تدخر والله
تعالى يرزقها يوم يوم
فان قلتم نحن أكبر
بطونا فانظروا الى الانعام
كيف يقبض الله تعالى لها
هذا الخلق للرزق وقال
أبو يعقوب السوسى
المتوكلون تجرى أرزاقهم
على أيدي العباد بلا تعب
منهم وغيرهم مشغولون
مكدودون وقال بعضهم

مستشرف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل الى الباب فيأتيه برزقه بل تطلع الى فضل الله تعالى) مع كمال الحال
وغلبة الانس (واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من) جملة (مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى) بذكر
وفكر ومراقبة (ولا يهتم برزقه فان الرزق) مضمون (يأتيه لا محالة) حتى يظهر له ملك الموت فينشد ذيقطع
عنه رزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة واليه يشير كلام أكثر الشيوخ في معنى التوكل فن كانت مشاهدته
في القسم المعلوم سقيا عنه جملة من الهموم واستراح العباد من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه (وعند هذا يصح
ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كالمو هرب من الموت لا دركه) ولغزا القوت ويقال
لو هرب العبد من رزقه لا دركه في وقته كالمو هرب من الموت لا دركه هكذا هو في موضع آخر كما وينبغي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو هرب أحدكم من رزقه لا دركه رزقه كالمو هرب من الموت لا دركه أجله (وان لو سأل الله
تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان) في سؤاله ذلك (عاصيا ولقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك) نقلة
صاحب القوت ويؤيد الاول ما ورد في الخبر أن الرزق ليطالب العبد كما يطلبه أجله رواه الطبراني والبيهقي من
حديث أبي الدرداء ورجاله ثقات وصححه الحافظ ابن حجر وفي رواية لابي نعيم في الحلية عنه ان الرزق ليطالب
العبد أكثر طلبا للعبد من أجله وقال صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي أتاه فتاؤه فترة وقال له خذها ولولم تأتها
لا تأتلك وتقدم هذا للمصنف ألا ترى انه قال لا تأتته الفترة وهي لا تسعى بنفسها ولكنها تسعى اليها بنظرها
يدفعها اليك فكذلك الرزق على تصرفين رزق طلبته فتلقاه ورزق يطلبك فيلقاك وما ليقك فقد لقيته وفي
خبر آخر لكل عبد رزق لا محالة وروي لكل عبد رزق هو آكله وأثره واطنه وحشف هو فاتله وأما القول
الثاني فروى عن سهل من قوله ولغظه لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه ما استجاب له أبدا ويقال له اسكت
يا أحمق لولم أرد أن أرزقك ما خلقتك أنا الذي خلقتك لا بد أن أرزقك كما خلقتك (ولذلك قال ابن عباس)
رضي الله عنه (اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم أجمعوا على أن لا رازق ولا ميت الا الله
تعالى) كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو
نخاصا وتروح بطانا ولزالت بدعاتكم الجبال) هكذا هو في القوت قال العراقي تقدم قرييادون هذه الزيادة
التي في آخره ورواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل باسناد فيه لين لوعرفتم الله حق
معرفة لمشيتم على الجور ولزالت بدعاتكم الجبال رواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب المكي مرسلادون
قوله لمشيتم على الجور وقال هذا منقطع انتهى قلت ورواه ابن السني من حديث معاذ أيضا كما رواه محمد بن
نصر وعند هما زيادة ولو خفتم الله حق خفتم العلم الذي ليس معه جهل ولكن لا يبلغ ذلك أحد قيل
يا رسول الله ولا أنت قال ولا أنا الله عز وجل أعظم من أن يبلغ أحد أمره كالمو رواه الحكيم الترمذي في النوادر
بلفظ لو خفتم الله حق خفتم العلم الذي لا جهل معه ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعاتكم الجبال (وقال
عيسى عليه السلام) في معنى الحديث السابق (انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى
يرزقها يوم ما يوم فان قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا الى الانعام) هي أكبر منكم بطونا (كيف يقبض الله لها
هذا الخلق للرزق) كذا في القوت ورواه أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن سالم بن أبي الجعد قال قال عيسى
عليه السلام اعملوا لله ولا تعملوا الى بطونكم انظروا الى هذا الطير يغدو وروح لا تحب ولا يحصد الله تعالى
يرزقها فان قلتم نحن أعظم بطونا من الطير فانظروا الى هذه الايام من الوحش والجر تغدو وتروح لا تحب
ولا تحصد الله يرزقها اتقوا فضول الدنيا فان فضول الدنيا عند الله رجز (وقال أبو يعقوب السوسى) من
السوس بلدي لا هواز من أخذ عن عبد الواحد بن زيد وعنه أبو يعقوب النهرجوري (المتوكلون تجرى
أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون) ولغزا القوت المتوكلون تجرى أرزاقهم
بعلم الله واختباره على بد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون (وقال بعضهم العبيد
كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يا كل بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتحان

العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يا كل بذل كالسؤال وبعضهم يتعب وانتظار كالتجار وبعضهم يامتحان

كالصناع وبعضهم يعز كالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة) ولفظ القوت وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بالذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار والتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب الخلق معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنته وكده والذين يأكلون أرزاقهم يعز بغير مهنة ولا انتظار ولا ذلة فالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون قسمهم من يده بعزّة وبه تم الكلام على الدرجة الثانية فان قلت فما المقاصد التي ترجع الدخول في الاسباب المظنونة أو ترجع ترك الدخول فيها فقول يختلف ذلك باختلاف الاحوال ولربحان الدخول في الاسباب المظنونة أحوال الحالة الاولى انه لو ترك السبب يمتنع المتعلق بحاله ومقصده لا شغل عن العبادة والذكر والفكر ومقصود الشرع بالتوكل والسبب فراغ القلب لذلك فيكون الدخول في السبب فضيلة في حقه قال الله تعالى وما جعله الله الا بشئ لئلا يفتروا عليه ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فخر فناجل جلالة ان امداد الاولياء بالملائكة وسيلة لطمانينة نفوسهم عند اضطراب طبع البشرية الذي لا يدخل تحت اختيار العبد لكنه مشاغل القلب مزاحم لذلك كراهة طمئن قلوبهم بما أمدهم به حراسة لقلوبهم عن نزغات النفس والعدو وسلب النصر عن الملائكة وأضافه الى نفسه لانه الفاعل على الحقيقة فكذلك ينبغي ان تفهم مثل هذه الحالة الحالة الثانية ان يكون اماما متبوعا فيدخل في الاسباب ويحمل في سفره الزاد ويستعمل في مرضه الدواء ليعتدي به في ذلك وهو متعلق بالله تعالى في الباطن لا يلتفت الى الوسائط وهذه طريقة الانبياء والعلماء والمشايخ الحالة الثالثة رجل استوى عنده وجود الاسباب وعدمها فعدمها عنده كوجودها ووجودها عنده كعدمها فان شاء تلبس به لانه مشغول بالسبب عن السبب وان شاء تركها لعله بقيام الحق عليه كفيلا وان لاطفه بعبد أسببا خفية لا يطلع عليها العباد دون الاسباب الظاهرة ولذلك ترجع ترك الدخول في الاسباب المظنونة بعكس هذه الاحوال اذن العباد من لا يتفرغ للعبادة لا يترك الاسباب وهو الاغلب فترجى الترك في حقهم وهذه الحالة أسلم من الاولى فكم من عابد متعلق بالاسباب يظن انه منقطع القلب عنها فاذا انقطعت الاسباب أضعفت اضطرب قلبه وانزعجت نفسه وظهر نقصه لانه كان يعتقد ان حياته بالله وان كانت هذه الحالة أيضا لا تخلو من غرور وفهم من عابد تارك للاسباب يعتقد انه زاهد تقي وان عرض عليه شيء من الاسباب مالت نفسه اليه ورغبت لما كانت فيه من الزهد والتقوى وانما كان ذلك بسبب الفسق والعجز فالاختانات هي التي تخرج ما في النفوس من المكامن الجيدة أو الرديئة ولذلك رأى العلماء كل محنة منحة لما فيها من النعمة باظهار ما في نفوسهم من مكامن العدو حتى يلقي الله بقلب سليم عن غيبه ويقياس على ما قدمناه في جلب المنافع ازالة الضرر وسيأتي الكلام على ذلك للمصنف في بيان ان ترك التدابير قد يحمد في بعض الاحوال والله أعلم (الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي) مسيبتاتها عن موهمه لامظنونة ولا مقطوع بها وهي التي (يتوهم) افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها) أولها أو وسطها أو غايتها (وهو الذي الناس فيه) قد اعتادوه وألفوه طريقة (أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لا مباحا) وكل ذلك يناقض التوكل وتركه من أعمال المتوكلين (فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة) أو مضية الى شبهة (فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل) أصل (التوكل) فان قلت قد زعمت ان التوكل واجب وقلت ان الاستقصاء في الاسباب الموهمة مبطل له ولا يبطل الواجب الا بفعل حرام فمن زاد على بابه فقلا ثانيا وثالثا كان فعله حراما وما ذهب الى هذا أحد من العلماء قلنا هات ثلاث درجات طرفان وواسطة الدرجة الاولى الدخول في الاسباب المحظورة كالسعاية والشرطية وترويج الزيف والغش يستر عيب العين المعيبة

كالصناع وبعضهم يعز كالصوفية يشهدون العز رزقياً أخذون رزقهم من يده ولا يرون الوساطة
الدرجة الثالثة ملازمة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لا مباحا فاما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل

طلبنا زيادة الثمن وادخار الاقوات وما أشبهه فالاجماع قائم على ان التوكل يبطل بهذه الاسباب الدرجة الثانية
 كزيادة قفل وتدقيق حيلة وادخار قوت يزيد على سنة فقد رأى بعض العلماء بطلان التوكل بذلك كإسباني
 قريبا والذي يظهر كقوله محمد بن اسحق الصوفي انه يبطل كماله لأصله وسيأتي الكلام عليه الدرجة الثالثة
 وهي المتوسطة بين الطرفين واليهما أشار المصنف بقوله (وهذا مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب النافع مثل
 نسبة الرقبة والطيرة والسكى بالاضافة الى ازالة الضرر) وقد ذهب الخواص في كتاب التوكل الى ذلك وتبعه
 صاحب القوت واية تبع المصنف وتنويسي الخواص وأبو طالب المكي حتى صارت المقالة منسوبة الى المصنف
 واحتج الخواص على ذلك بقوله (فان النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك) يشير الى حديث ابن
 مسعود الذي تقدم ذكره آنفا وفيه قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتنون ولا يتعبرون ولا يسترقون
 وعلى ربهم يتوكلون (ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا يأخذون من أحد شيئا ولم يصفهم
 بانهم يتعاطون هذه الاسباب) وقد فضلهم صلى الله عليه وسلم ومدحهم بما تقدم ثم سألهم عكاشة أن يجعله
 منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقه يراه معه زاده وشهد فيه القوة والتحقيق فاهله لذلك ولما قال له الاستراخ
 الله ان يجعلني منهم احتذاه ولم يرد ذلك فيه ولا وجده منه لم يؤله ولم يعززه اذ المقامات لا يقتدي بها ولا يغفل
 فيها كما لا تدعى لانها مواجيد قلوب بايجاد قريب ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب فمن سماها بغير قوة بتسور
 فانه ينكص عنها قبل البلوغ فيثور لانها تنهار به لما ردا اليه من نفسه وطبعه فلما لم يشهد صلى الله عليه وسلم
 ذلك مقامه ولم يرمه قوته واعلامه أوقفه على حده وحكم عليه بوجده وردة الى ضعفه ومنعه من تصوره وعسفه
 فردودا جملأ لانه كان صلى الله عليه وسلم حبيبا كريما فقال قد سبقك بها عكاشة والذي ذهب اليه محمد بن
 اسحق الصوفي ان هذا أيضا يدل على بطلان كمال التوكل لأصله لانه الذي ورد في السبعين ألفا الذين يدخلون
 الجنة بغير حساب واذا عرفت التوكل انكشف لك ذلك وذلك لان التوكل يراد ذاته ولغيره أما كونه مرادا
 لذاته فلان أصله الايمان بالله وأما كونه مرادا لغيره فلو جهن أحد ههما واجب والاخر مستحب أما
 الواجب فلنكفه عن الاسباب المحظورة والمكرهة القريبة من المحظورة وأما المستحب فلنكفه على الاجمال في
 الطلب وتفريغ القلب عن كل شاغل من الاكوان ولولم يكن فيه الاعراض الانتباه الى الله وتعلق القلب به وهو
 المقصد الاسنى من بعثة الانبياء لكفى فاذا فهمت هذا تزلت على هذين الوجهين تلك الدرجات والله أعلم (وأما
 هذه الاسباب التي يوثق بها في المسببات مما تكثر فلا يمكن احصاؤها وقال أبو محمد (سهل) التسترى رحمه الله
 تعالى (في) حقيقة (التوكل انه ترك التدبير) وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الامل
 وطول الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعني انك شاركت الربوبية في حب وصف البقاء (وقال) أيضا
 (ان الله عز وجل خلق الخلق ولم يحبهم عن نفسه وانما جعل يحبهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط
 الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية) وقال صاحب القوت بعد ان نقل
 القولين ما نصه قد كثر قوله رحمه الله تعالى في ترك التدبير وينبغي ان يعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك
 التصرف فيما وجه العبد فيه وقد أبج له كيف وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد وقد
 كان له أرض زرعهما فكان يدبر شأنهما رأى يبعها في آخر أمره وفرق عنها انما يعني بترك التدبير ترك الاماني
 وقول لم كان هذا اذا وقع الامر ولم لا يكون كذا اولو كان كذا فيمالم يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم
 وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشقة وجريان الحكم ويعني ترك التدبير فيما بقي
 وما ياتي بعد أي لان في مثل هذا يقول لا تشتغل بالفكر فيما التدبير به بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك في
 الوقت الذي هو أزم لك وأوجب عليك حتى تكون فيما ياتي من الاحكام والتصرف في ترك التدبير والتقدير
 لها بالزيادة والنقصان أو نقلها من وقت الى غيره أو من عسدا الى آخره بالتقديم والتأخير تكون في ذلك كما
 كنت فيما قدم مضى فالقرب ان الانسان لا يدبر ما قدم مضى قال فينبغي أن يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير له

وهذا مثل الاسباب التي
 نسبتها الى جلب النافع
 مثل نسبة الرقبة والطيرة
 والسكى بالاضافة الى
 ازالة الضرر فان النسب
 صلى الله عليه وسلم وصف
 المتوكلين بذلك ولم يصفهم
 بانهم لا يكتسبون ولا
 يسكنون الامصار ولا
 يأخذون من أحد شيئا
 بل وصفهم بانهم يتعاطون
 هذه الاسباب أو أمثال
 هذه الاسباب التي يوثق
 بها في المسببات مما يكثر
 فلا يمكن احصاؤها وقال
 سهل في التوكل انه ترك
 التدبير وقال ان الله
 خلق الخلق ولم يحبهم
 عن نفسه وانما يحبهم
 بتدبيرهم ولعله أراد به
 استنباط الاسباب البعيدة
 بالفكر فهي التي تحتاج
 الى التدبير دون الاسباب
 الجلية

فإذا قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بهم عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسمة هذه الأسباب على ثلاث مقامات * (الاول) * مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي (٤٨٠) بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده * (المقام الثاني) * أن

تأرا كالأقامة فيه بمعاني ما ذكرنا أكثره أياما فيما مضى فيستوى عنده الحالات لأن الله أحكم الحاكمين وإن العبد مسلم للأحكام والأفعال راض عن مولاه بالأقدار مع جهله بعواقب المسأل فترك التدبير بهذه المعاني هو من اليقين واليقين هو شهادة المعرفة بحقيقة الحق المبين فإذا جعل تعالى قلب المؤمن مكانا لذلك كمن فيه على قدر المكان ما يليق به فهذا تفسير قوله الذي كان يقوله ومقتضاه بامسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم قلت أنا وأما كن فيما أنت الآن كالم تكن فانه اليوم كما كان وتقدم في التوحيد وقد كان يقول أيضا الزهر انما هو ترك التدبير وهذا يعني ترك الأسباب التي توجب التدبير أو إخراج السبب الذي يجب تدبيره لأنه لا يكون متسببا متيقنا للأسباب وهو ترك تدبيره لأن التدبير في هذا الموضع انما هو التمسك بالقيام بالأحكام ووضع الأشياء مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الأشياء وهو عاقل متميز متعبد بالعلم مطالب بالأحكام مع امساكه وانما يقول ترك الأشياء المدبرة وازهد في الأسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير لسقوط أحكامها عنك ولا ستراحتك من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل حجة قوله رحمه الله في ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين (فإذا قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي لا يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون) به (وإن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملاسمة هذه الأسباب على ثلاث مقامات (الاول مقام) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (ونظرائه) الذين تقدم ذكرهم (وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد) يحمله ويشكل عليه بل (ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر) على التوكل (أسبوعا وما فوقه) بيوم أو يومين (أو تيسير حشيش له) من حشائش الأرض (أو قوت) من يد آدمي (أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد) معه (قد يفقد زاده أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن فقده) وقد أنكر عليه ابن القيم وجهه في تقريره على هذه الحالة وتقدم الجواب عنه في مقدمة كتاب العلم (المقام الثاني أن يقعد في بيته أو مسجد) من مساجد المسلمين (ولكنه في القرى والامصار فهذا أضعف من الاول ولكنّه أنصا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنّه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الآن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخره سكان البلد لا يصل رزقه اليه لالاي سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم) له (وتحريك دوايحهم) الى اكرامه (المقام الثالث أن يخرج ويكنسب كسبا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب) والمعاش (وهذا السعي لا يخرج به أيضا عن مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك على عرض أن يهلك) رفق نسخته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في الحظ بل يكون نظره الى الكفيل الحق) والوكيل المطلق جل جلاله (يحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع) على الكاغذ (فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك) الموقع (انه بما يتحرك وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم) فالنظر الى القلب دون الملك تصور

قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بغيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده * (المقام الثاني) * أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والامصار وهذا أضعف من الاول ولكنّه أنصا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنّه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الآن ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخره سكان البلد لا يصل رزقه اليه لالاي سكان البلد اذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم) له (وتحريك دوايحهم) الى اكرامه (المقام الثالث أن يخرج ويكنسب كسبا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب) والمعاش (وهذا السعي لا يخرج به أيضا عن مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك على عرض أن يهلك) رفق نسخته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في الحظ بل يكون نظره الى الكفيل الحق) والوكيل المطلق جل جلاله (يحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع) على الكاغذ (فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك) الموقع (انه بما يتحرك وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم) فالنظر الى القلب دون الملك تصور

ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السعي لا يخرج به أيضا عن مقامات التوكل اذ لم يكن طمأنينة وجهه نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربحا يملكه الله تعالى جميعه في الحظ بل يكون نظره الى الكفيل الحق يحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بما ذاعيل وإلى ما ذاعيل وبكم يحكم

ثم ان كان هذا المكتسب مكتسب العياله أو ليفرق على المساكين فهو بيده مكتسب وبقبله عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذ روعيت فيه الشروط وانضاف اليه (٤٨١) الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي

الله عنه لما يورع بالخلافة أصبح أخذ الأتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لمساوهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق في مقام التوكل فن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مبسر الاكتساب ومدبر الاسباب وبشروط كان راعها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حر يص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بقدر ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المباينة وهذا عنده يخرج من التوكل (ولا يصح التوكل الامع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به نيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حال الاننتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو ولان الشيطان لاسطانه على القلب الابواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور لولا اختلاف الاحوال في القوة والضعف فن العباد من لا يتأقلمه التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأقلمه ويرتقي عنه الى غيره وهو يات مثلاً من المشرق الى المغرب ويوجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة الله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما معناها شرطه مطلقا اذا الشرط عبارة عما لا يتأقلم المشروط الوجود في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

وجوه (ثم ان كان هذا المكتسب مكتسب العياله) ان كان معيلاً (أوليفرق على المساكين) ان كان منفرداً (فهو بيده مكتسب وبقبله عنه منقطع فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته) أو في مسجد أشار اليه الخواص في كتاب التوكل وسـ ياتي قريباً بيان عبارته (والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان) النبي صلى الله عليه وسلم كان قد آخى بين سعد ابن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشا طرك أهلي ومالي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دولتي على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشئ من سمن واقط فلو كان الكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو امام الائمة ما ينقص توكله ولكنه أحب ادخال المشقة على نفسه وكره التعم واختار ايثار أخيه بما آثر به رعايته لحق أخوته وأعلى منه مقام ما روى ان أبا بكر (الصديق رضي الله عنه لما يورع بالخلافة) وتم له الامر (أصبح وأخذ رزمة الاتواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي) الامن يشتري الثوب (حتى كرهه المسلمون) ومنعه من ذلك (فقالوا كيف يفعل ذلك وقد أتمت خلافة النبوة) فبلغه ذلك (فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لمساوهم أضيع حتى فرضوا له) من بيت المال (قوت أهل بيت من المسلمين) لا وكس ولا شطط (فلما رضوا بذلك) جميعاً وانفقوا عليه (رأى مساعدتهم وتطبيب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى) من الاشتغال بالكسب الاتراه كيف آثر القيام بحكم الله عليه وكان ذلك هو علم حاله ومقتضى علمه (ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق) رضي الله عنه (في مقام التوكل فن أولى بهذا المقام منه) وهو امام الائمة وقطب الصديقين (فدل على انه كان متوكلاً) بالاعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مبسر الاكتساب ومدبر الاسباب) وبانه انتقل من الحكم الاول الى الامر الثاني بحكم حاكم أوجبه عليه وبتصريف الوكيل على توكله فيه (وبشروط كان راعها في طريق الاكتساب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار) لغد (ومن غير أن يكون درهمه أحب اليه من درهم غيره) الى غير ذلك مما تقدم في آداب الكسب (فن دخل السوق ودرهمه أحب اليه من درهم غيره فهو حر يص على الدنيا ومحب لها) راغب فيها بصفة من المعاني بقدر ما بقي فيه من الشهوات وفي القوت قال بعض العلماء اذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المباينة وهذا عنده يخرج من التوكل (ولا يصح التوكل الامع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد) اعلم ان المتوكل ان قنع بما تقوم به نيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وان لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حال الاننتاج الاحوال مركب من علم وعمل ولذلك ذهب جماعة من المشايخ الى ان الزهد شرط في ٧ توسلا الى قطع وسوسة العدو ولان الشيطان لاسطانه على القلب الابواسطة الدنيا وتوسلا الى ترك وهذا كلام ظاهر ساطع النور لولا اختلاف الاحوال في القوة والضعف فن العباد من لا يتأقلمه التوكل الا بالزهد فهو شرط في حقه ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأقلمه ويرتقي عنه الى غيره وهو يات مثلاً من المشرق الى المغرب ويوجه آخر ان التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا وفي الآخرة حتى الايمان والعلوم والمعارف وكل نعمة الله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها وعلى الجملة فالزهد يعين على التوكل اعانة عظيمة وانما معناها شرطه مطلقا اذا الشرط عبارة عما لا يتأقلم المشروط الوجود في كل حال وقال صاحب القوت الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد ذي مقام متوكل لان التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا انه من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائقه الاحوال

وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهم ما وكن من المتوكلين أخفيت التوكل عشر من سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دنانيراً (٤٨٢) ولا استريح منه إلى قبراً أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد

لا يتسكك في التوكل ويؤتمن وادوام استقامة أهلها وزمها لقلوبهم هي مقامات (وقال أبو جعفر) كذا في النسخ وفي بعضها أبو حفص عمر بن مسلم ويقال عمرو بن مسلم (الحداد) النيسابوري والمعروف أنه أبو حفص لا غير (وهو شيخ الجنيد) في التصوف (رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين أخفيت التوكل عشر من سنة وما فارت السوق كنت أكتب في كل يوم ديناراً) أو عشرة دراهم (ولا أبيت منه دنانيراً ولا استريح منه إلى قبراً أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل دخول (الليل وكان الجنيد) رحمة الله تعالى يتأدب معه كثيراً وكان (لا يتسكك في التوكل بحضرته وكان يقول استحي) من الله (أن أتسكك في مقامه) أحواله (وهو حاضر عندي) كذا في القوت وبلغني أنه ترك العمل لما نظر إليه الغلام الذي كان ينفخ عليه الكبر فراه يدخل يده في الكبر وهو يتأطى فيخرج الحديد جراً ورده إلى الكبر فغشى على الغلام ثم حدث به الناس وكانوا يغتابونه وينظرون إليه فترك الصلوة قال وبلغني في سبب هذا أنه سئل بأي شيء تلت هذه المنزلة أن لا تحرق النار فقال بدعوة فاسق فقيل كيف هذا قال وجدت مع أهلي رجلاً ففرعاً عني شديداً فاخذت بأيديهما وقلت أخرجاً بسلام فقال لي الرجل جعل الله عليك النار برداً وسلاماً فهذا من أجابة دعوته بسترى على مسلم ولفظ القشيري في الرسالة سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت أبا حفص الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنة اعتقد التوكل وأنا أعلم في السوق وأخذ كل يوم أجرة ولا انتفع منها بشيء ماء ولا بدخله حمام وكنت أجيء بأجرني إلى الفقراء في مسجد الشونيزية وأكون على حالي اه وهذا مقام بالغ في التوكل لأن من عرف بالكسب والاستغناء عنه بالنسبة لم يعلم ذلك انصرف الناس عن مساعدته في شيء من الدنيا (واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية) وزوايا المساجد (مع معلوم) معين (بعيد من) وصف (التوكل فان لم يكن) هناك (معلوم) معين (ولا) (وقف) حبس عليها (وأمر الخادم بالخروج للطلب) والسؤال (لم يصح معه التوكل الاعلى ضعف) لاستناد القلب في الجملة إلى ما يأتي به الخادم (ولكن يقوى بالحال والعلم) بعدم الركون واسقاط النظر عن الوسائط فيكون (كتوكل المكتسب) كما سبق (وان لم يسألوا) بانفسهم ولا بواسطة الخادم (بل فنعوا بما يحمل اليهم) من حيث لم يحتسبوا (فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتها القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق) أي في حكمهم (ولا يكون داخل السوق متوكلاً بالشرط كثيرة) كما سبق فربما في كتاب الكسب (فان قلت فما الاصل) في حق السالك (أن يقعد في بيته أو يخرج) إلى السوق (ويكتسب فاعلم أنه ان كان) بمن يتفرغ ترك الكسب لفكروذ كر (ومراقبة) (واخلاص واستغراق وقت بالعبادة) ما بين صلاة وقراءة (وكان الكسب يشوش عليه ذلك) ويفرق وقته واهمته (وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل إلى البيت (فيحمله إليه شيئاً) من الدنيا (بل يكون قوى القلب في الصبر) على شوائبه (والاتكال على الله تعالى فالقعود له) بهذه الشروط (أولى) من الخروج والكسب فهذه شروط خمسة الأولى تفرغ القلب للذكر والفكر وهذا هو الأصل والثاني كون الكسب مما يمنع من هذا التفرغ فان كان لا يمنع فالخروج أولى الثالث عدم تشوش النفس إلى ما يأتي بواسطة الناس فاذا تشوش فالخروج أولى الرابع قوة القلب في الصبر أي حتى على الموت على هذه الحالة ان لم يأتيه رزقه فاذا لم يكن عنده الصبر على ذلك فالخروج أولى الخامس قوة القلب على الاتكال على الله تعالى فالجري ما جرى لا يتحرك قلبه في باطنه أصلاً وهذا الشرط روح الاربعة المذكرة وقد فصل المصنف ما ذكرناه فقال (وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس) بما يأتي منه (فالكسب أولى لان) اضطراب القلب يشعر عن عدم قوة قلبه على الاتكال على مولاه (استشرف القلب إلى الناس سؤال بالقلب) وهو عندهم أشد من سؤال اللسان (وتركه أهم من ترك الكسب) وشواهد ما ذكره المصنف في

لا يتسكك في التوكل بحضرته وكان يقول استحي أن أتسكك في مقامه وهو حاضر عندي واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فان لم يكن معلوم ووقف وأمر الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الاعلى ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسألوا بل فنعوا بما يحمل اليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتها القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً بالشرط كثيرة كما سبق فان قلت فما الاصل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب فاعلم أنه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكروذ كر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمله إليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالقعود

كلام القوم في القوت قال بعض المتوكلين من فقد الاسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب لان فيه انتظار الغير الله تعالى وقال بعض العلماء من طرقة فاقة سبعة أيام فتصور قلبه طمعاً في خلق أو تشرفا الى عبد فالسوق أفضل من المسجد وقال أبو سليمان الداراني لا خير في عبد لزم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب حتى يطرُق بسبب وقال بعض علماءنا إذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكناً مطمئناً عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همه فترك الكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده بمعاده وقد صح له مقام في التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد التوكل فقال إذا دخل عليه الضرفي جسده والنقص في ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلاً بحاله ونظر الى قيام الله عليه وقال الخواص في كتاب التوكل لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب الا أن يكون مطالباً قد اغتته الحال عن المكاسب وأما ما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقع له عزوف بحول بينه وبين التكسب فالعمل أولى به والكسب أجل له وابلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكسب يعني أن يكون قد كفي بالكفاية القاطعة من قلبه عن التكسب الظاهر من جوارحه وأن تكون حاله قوية تحمله بالصبر والرضا لا يضعف الى تطالع وتشرف بقول معلوم هذا من كسبه الذي أحل به أفضل له من طمعه في غيره الذي كره له هذا كله كلام الخواص وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور ولم يؤث المر يدون الامن جهتين من قلة الصدق واصابة الحق ومن ركوز الادلة الى الدنيا فدلوههم على علوم أنفسهم وصدق المر يد في ايثار الخول ولزوم الباب و فراغ القلب وخوف فوت الوصول والتارك للتكسب والتصرف في الاسواق اذا كان في أدنى كفاية واعين بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا أفضل وأتم من المكسب اذا خاف ان لا ينال المعيشة الا بمعصية الله تعالى من دخول في شبهة أو خيانة لاخوانه المسلمين ولانه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول الآفات والفساد في الاكتساب فترك مباشرة أهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب الى السلامة لبعده من رؤية الاسباب وقد قدم مباشرتها لان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم تروه سقط عنه حكمه وليس الخبر كالمعاينة ولا المجاورة كالمباشرة ولا الاستئثار كالإظهار ولا المعائن كالخبر والتكسب ليس بفرض وقد يفترض باحد معنيين بوجود العيال مع عدم كفايتهم عن وجهه من الوجوه أو بان يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع تقدم ما يقام به الفرض مما لا بد منه ولقد كان أبو معاذ رحمه الله يقول ترك المكاسب مع الحاجة اليها كسل والتكسب مع الاستغناء عنه كافة وقال في موضع آخر من كتابه وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم وهو لا يرون ترك التكسب أفضل والسكون عن التحرك أعلى لان ذلك معلوم ويعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه وانقطع طمعه في حال المعدوم فهذا هو المقام ولعمري التحقيق ان الحركة في طلب المضمون للخصوص عقوبة فقد سكون القلب الى الرب كما ان ترك الحركة في أعمال البر والقربات عقوبة سكون النفس الى حظوظ الشهوات والعدول من القول في تفصيل ترك التكسب وفعله وفقد المعلوم ووجده ان العبد لا يفضل بفقد الغنى ووجد الفقر ولا يشرف بالقعود عن الحركة من غير ابعاد ولا يعلو بالتحرك الى الاسباب بغير ايجاد وانما يوصف في ذينك بالفقر والاباحة لكن يفضل بحاله من مقامه من زهد أو رضا أو صبر وتوكل أو اقتطاع الخدمة أو إقامة بشغل متصل بصدق معاملة فبهذه المعاني يقع التفضيل عند العلماء فان كان ذو المعلوم والتصرف أحسن معرفة وأقوى يقيناً ففضل على من لا معلوم له بمن نقصت معرفته ولا يكون سكون القلب وطمأنينة النفس أيضاً مع وجود المعلوم علة في الحال اذا ثبت المقام وصح القصد وحسن التصرف والعقد ولكن لا يكون مقاماً يرفع به ولا حالاً يفضل فيه عند طائفة من العارفين الا ان الطمع في الخلق وتشبث القلب مع وجود معلوم أو الكفاية نقصان عند الكل وقطع الطمع في الخلق وقد الشرف الى معتاد منهم أو ما ألوف بهم واجتماع القلب مع العدم وقد المعلوم أفضل وأعلى عند الجماعة فاما سكون القلب واجتماع بهم

وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فرد فلما ولي قال له أحمد الحق وأعطه فإنه يقبل فحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره رأيت الخضر ورضى بعجتي ولكني فارقت خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلتي فإذا اكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصده الاستكثار ولم يكن اعتماداً على بضاعته وكفايته كان متوكلاً فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فأقول علامته أنه ان سرق

وفقد الاستشراف إلى الخلق مع العيال وثبوت الأحكام فهو أفضل وأشرف وهذا حال الأقوياء وطريق الأنبياء اتفقوا على ذلك وأما اضطراب القلب وتفرقة الهم مع وجود العيال فإن كان لاجلهم والقيام بحكم الله فيهم فلا نقص فيه وقد يوجب عليه وأما مشتات الهم وتفرق القلب ووجد الاهتمام في حال الوحدة للمنفرد فقصيب من الرغبة موفور وصاحبه فيه غير معذور وقد يكون مأزوراً وهذه النصوص كلها شواهد لسباق المصنف ثم قال (وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف اليه نفوسهم) لأن فيه طمعاً في غير مملوع ونظراً إلى غير الله تعالى واتباعاً لما يوت من غير أبوابها وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسألة والاستشراف إلى الخلق تزيماً للفقراء ورداً لهم إلى الله عز وجل ولما منعوا ما منحه جعل لهم هذا العطاء بذلوا إلى قبوله عوضاً لهم عنها كما جعل للأشرف خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تشريفاً لهم وتفضيلاً وقد (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (قد أمر) صاحبه (أبا بكر المروزي) نسبة إلى مرو والرو مدينة بخراسان والنسبة على الاختصار (أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه) فأعطاه (فرد) ولم يأخذه (فلما ولي) الفقير بظهوره ومشي (قال له أحمد الحق) فاعطه فإنه يقبل (الآن) فحقه فأعطاه فأخذه فسأل المروزي (أحمد عن ذلك) أي كيف رد في الأول وأخذ في الثاني (فقال) أنه (كان قد استشرفت نفسه) لذلك (فرد وكان قد أحسن) فلما خرج منصرفاً (انقطع طمعه وأيس فأخذه) لذلك كذا في القوت والعارفين في ذلك أحوال متفاوتة فقد كان بعضهم من المتوكلين كذلك إذا جاءهم السبب بعد قطع اليه رده ومنهم من كان يأخذه فيخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وتأذبالها (وكان) إبراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى (إذا نظر إلى عبد في العطاء) وخاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً (نقله صاحب القوت) قال وحديثي شيخ عن رجل دفع إليه ديناراً بمكة وهو لا يعرفه فقبله فلما كان الغد رأى حوله جماعة من الفقراء فسأل عنه فقبل إبراهيم الخواص فجاءه بالتسعة الأخرى وكان قد أعد العشرة له فلم يقبل وقال صوفي لا يكون بحريف (وقال الخواص) رحمه الله تعالى (بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره) وكان كثيراً أسفاراً في البوادي المنقطعة والطرق المجهولة فقال (رأيت الخضر ورضى بعجتي ولكني فارقت خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلتي) فمكّن لقيه للخضر أمثالاً من الله تعالى به في دعوى مقام التوكل فتثبتت والا فالخضر مستغن عن صحبتته لكمال قوته وهذا القول أخرجه القشيري في الرسالة قال وسعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور ابن أحمد يقول حكى لنا ابن أبي الشيخ قال سمعت عمر بن سنان يقول اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له حدثنا بأعجب ما رأيت في أسفارك فقال لقيني الخضر فسألني الصعبة فخشيت أن يفسد علي توكلتي لسكوني إليه ففارقتة (فاذا المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب) (الكسب) والمعاش (ولم يقصده الاستكثار) والادخار (ولم يكن اعتماداً على بضاعته وكفايته كان متوكلاً) قال الخواص دخول الآفات ومساكنة القصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلاً على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلاً على صحة جسمه وديم قوته وأنه لا يرزق إلا من كده أو يكون متوكلاً على ماله بأن يتق به أو بطمأن اليه ويحسب أنه ان اقتصر انقطاع رزقه أو يكون متوكلاً على جاهه ومنزلته عند الناس أو على ديانتهم وأنه معروف بالصلاح أو على أنه لا يرزق إلا من أجل تقواه ونحوه بأن يتوكل على علمه وما يعرف الناس من فضله فهذه المعاني كلها تخرج من كل التوكل وقد تخفى دقائقها وتدفق حقاياها ويقع الوهم عن وقعت به أنه من المتوكلين على الوكيل أو الناظرين إلى القريب الكفيل وإنما يقطن لذلك جهالة العلماء الراسخون وسماسة الصادقين الزاهدون المتصفون بالعلم المنورون باليقين القائمون على الدوام بالشهادة الناكبة عن مالوف النفس والعادة فنظر إلى هذه المعاني من الأسباب والأشخاص أو سكن إليها سكوت أنس فيقوى قلبه بوجودها فإنه يضطر به ويستوحش أو يضعف قلبه لفقدها وذلك كله على توكله (فان قلت فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فأقول علامته أنه ان سرق

بضاعته أو خسرت تجارتها أو تعوق أمر من أموره كان راضياً به ولم تبطل طاماً نيتته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله و بعده واحداً فان لم يسكن الى شيء لم يضطرب لفقده ومن اضطرب لفقده شيء فقد سكن (٤٨٥) اليه وكان بشري يعمل المغازل فزكها

وذلك لان البعادي كاتبه

قال بلغني انك استعذت

عليه و زكك بالغازل

أَدْنَىٰ مِنْ ذَاتِهِ

۱۰۹

المعلمين و إحصاء التلاميذ

عـلى من وقع دلائل

قلبه فاحرج الة المغازل

من یدہ وترکہ او قیل

ترکھا ما نوھت با۔

وقصد لاجلها وقيل فعل

ذلك لمسامات عماله كلها

کان اسفندان خمسون

منه الى الله

ديمارا پيچر

ماہ عیانیہ و روفہا قال قلت

فكیف یہ صورتوں

له بضاعة ولا يسكن إليها

وهو يعلم ان الكسب

بغير مضاعفة لا يمكن فاقول

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي تَقْدِرُونَ

آلهة تعبد في هذه البضاعة

کتابخانه

وہم دیرہ واس اندیس
کشتیہ نالہ نالہ

دیرت بضاعتهم و مسروفت

وهذا كنت فيهم كبره وان

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

لَا يَفْعَلُ بِهِ الْإِمَامُ بِهِ

صَلَّاهُ فَإِنَّ أَهْلَكَ رِضَاكَ

فہرست خیرات و فلاحی ادارہ

کتاب الف لیلہ

هاتو سولماق ايدى يولدا

ووداعطف الله تعالى به

و غایتہ انیموت جو عا

فَيُذَبِّحُ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنْ

الموت جوعاً - يرله في

٧١ - خرمه ما قضي الله

تعالى عليه ذلك من غير

تتبعه بحرص و يقف على

تصویر میں جھوٹا

بضاعته أو خسرت تجارتها وتعوق أمر من أموره كان راضياً به (مشاهد افعـل مولا به) (ولم تبطل طمأنينته ولم يضطر بقلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً) على السواء (فان من لم يسكن الى شيء) سكون أنس (لم يضطر ببقعه ومن اضطر لشيء فقد سكن اليه) وأنس به واليه يشير قول الشاعر
ومن سره ان لا يجد ما يسوءه * فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقد

أى لا يسكن إلى شئ هو يفقد عنه فيض طرب قلبه بقلبه (و) قد (كان بشر) بن الحرث الحافى رحمه الله تعالى
يتكلم في الحلال وبشدقه فقل له يا أبا نصر فانت من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل
وهو يبكي كمن يأكل وهو يتخلى وقال مرة ولكن يدأقصر من يدو لقمة أصغر من لقمة وكان رحمه الله تعالى
(يعمل المغازل) يتسبب بها (فتركه) أى العمل وفى نسخة فتركها أى المغازل (وذلك) أى كان سبب تركه
(لان البعادي) هكذا فى النسخ وفى نسخة بالغين المعجمة وفى أخرى بالقاف ولم يتصل وجه الصواب فيه والى
أى شئ ينسب ولا عرفت هذا الرجل (كاتبه قال بالغنى انك استعنت على رزقك بالمغازل) أى بصنعها وبيعها
(أرايت ان أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع) وفى نسخة فوقع (ذلك فى قلبه) بشاهد منه (فاخرج
آله المغازل من يده وتركها) وترك التسكيب بها كذا فى القوت (وقيل) بل (تركها لما توفت بآله وقصد
لاجلها) وطلبت لاجله فقبل المغازل البشرية كذا فى القوت وقيل فأى هذين كان قد أتى به طريق سلكه
بعد الطريق الأول (وقيل) بل (فعل ذلك لمهمات عياله) أى زوجته وأولاده فإنه ما كان أبجله التسكيب
اللاجلهم (كما كان لسفيان) الثوري رحمه الله تعالى (خسوس ديناراً يتجر فيه الفلمات عياله فرقها) ولغظ
القوت وقد كان للثوري خسوس ديناراً يتجر به ثم أخذها فى آخر أمره ففرقها على اخوانه وترك التسكيب
ويقال انه فعل ذلك لمهمات عياله وكان قد بقي بعدهم وحيداً وقال زافر بن سليمان كان لسفيان عندى ثمانية
درهم بضاعة فكنت أبضع له بها فقال ذات يوم هاتى باخى علماصروا قسمها انتهى وقد تقدم عن سهل أيضاً انه
كان له أرض بزرعها ثم فى آخر أمره باعها وفرق غنها على المساكين (فان قلت كيف يتصور أن يكون له بضاعة
وهو لا يسكن إليها وهو يعلم أن التسكيب بغير بضاعة لا يمكن) والجواب عن ذلك سهل لاننا نقول السكون على
قسمين سكون بالظاهر وسكون بالباطن فالذى يخرج عن التوكل هو سكون أنس بباطن قلبه مشاهد به
مفوض له أمره معتمد عليه فلا يخرج به عن التوكل وقد قرر المصنف فقال (فاقول بان يعلم ان الذين يزرعهم
الله تعالى بغير) وفى نسخة من غير (بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضاعتهم فسرت وهلك فيهم
كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا يفعل به الاماميه صلاحه فان أهلك بضاعته فهو خير له فاعله لو تركه كان
سبب الفساد دينه) فكم من شخص فسد حاله ودينه بسبب ماله واقتنائه به (وقد لطف الله به) وهذا يرجع الى
الايمان بسعة حكمه الله تعالى وهو واجب (وغايته أن يموت جوعاً فيبغى أن يعتقد) فى قلبه (ان الموت جوعاً
خير له فى الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك) وقدره فى الازل (من غير تقصير من جهته) وهذا يرجع الى
الايمان بالقدر خيره وشره ودلوه ومصره وهو ايضا واجب (فان اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة
وعدمها) فصحت قوله بناء على ما تقدم أن بعضهم قال التوكل هو استواء الامرين (ففى الخبر ان العبد ليهم من
الليل بأمر من أمور) الدنيا من (التجارة) وغيرها (مما لو فعله لسكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى اليه من فوق
عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيباً حزينا فيظن) وفى نسخة يتظلم (بجاره وابن عمه من سبقنى من دهانى وماهى
الارحة رحمه الله بها) هكذا هو فى القوت قال العراقي رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس بسند
ضعيف جداً نحوه الا انه قال ان العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث نحوه انتهى قلت لفظ
الحلية ان الرجل ليشرف فى التجارة والامارة فيطلع الله عز وجل اليه من فوق سبع سموات فيقول اصرفوا

اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها في الخبران العبد ليهب من الليل بامر من أمو والتجارة على رفعه لكن فيه هلا كه
في نظر الله تعالى اليه من فوق عرشه فيصرف عنه فيصيح كذا يا خريزنا يا خير بشار وامن ، من سبقتني من دهاني وما هي الارجحة روحه الله بها

ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهم ما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا جد ابن أبي الحواري لي من كل مقام نصيب الامن هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه راحة هذا كلامه مع علقمدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته واعلمه أراد ادراك أقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتحناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد

هذا من عبدى فاني ان قبضته له أدخلته النار فيصبح قيظان بجيرانه من سبقني هكذا رواه من حديث ابن عباس وقدرناه أيضا عن ابن مسعود موافاعليه وروى الطبراني من حديث ابن عباس ان الرجل يطلب الحساسة فيزويها الله عنه لما هو خير له فيتهم الناس طالما لهم فيقول من سبقني (ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهم ما خير لي) فهذا اشارة الى ان العبد على كل حال عاجز جاهل لا يدري بواطن أحواله والرب عالم قادر محيط بعمل العبد سره وجهه مقدر للاشياء خبير بخفايا الغيوب مطلع على حقائق الاحوال وقدرى نحو هذا القول عن عبد الله بن مسعود رواه الطبراني من طريق علي بن نديم عن قيس بن جعفر عنه قال لا احبذا المكر وهان الموت والفقر وما بأالي باهم ما ابتليت ان كان الغنى ان فيه للعطف وان كان الفقر ان فيه للصبر وقدرناه أبو نعيم في الحلية من طريقه (ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل) وبه يعرف أن التوكل لا يختص بترك الاسباب وترك الاذخار بل يعم أبواب الايمان والعلوم والمعارف والاحوال (ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا جد ابن أبي الحواري) راحة الله عليهم ما وابن أبي الحواري تلميذه (لي من كل مقام نصيب الامن هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه راحة) ولفظ القشيري يا أحمد ان طرق الآخرة كثيرة وشيخان عارف بكثير منها الا هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه راحة انتهي ولفظ الفوت وكان سهل يقول ليس في المقامات أعز من التوكل وقد ذهبت الانبياء بحقيقته وبقي منها صابغة استنفا الصديقون وبعض الشهداء فن تعلق بشئ منه فهو صديق أو شهيد وقال أبو سليمان الداراني في كل المقامات لي قدم الا هذا التوكل المبارك فاني ما شئمت منه الا مشام الریح (هذا مع علقمدره) في مقام التوكل وغيره من المقامات (ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولعله أراد ادراك أقصاه) وفيه دلالة على كمال أبي سليمان واقارره على نفسه بان التوكل أعلى المقامات وأعلاه الذي هو التوحيص أو التسليم لم يتمكن فيه بعدا ما حقيقة أوتأبى بالنفس بتقصيرها في نيلها أعلى المقامات واما ما تدبر أن حوله وقوته وهو اللائق بحاله وكمال معرفته (وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره) سبحانه (على العبد من فقر وغنى وموت وحياة) وقبض وبسط (فهو خير له مما يتحناه العبد لم يكمل حال التوكل فبنى التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق) في التوحيد فان قوى ايمانه قوى توكله (وكذا سائر مقامات الدين من الاقوال والاعمال تنبني على أصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى (من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد) ولفظ الفوت وقد كان أبو حامد يقول من أنكر التكسب فقد طعن في السنة ومن أنكر القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل فاقال للتاجر ترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب ولا انتهى السائل عن ان يسأل بل أمر أن يعطى ولكن بالايمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله انتهى وأورده القشيري في الرسالة بعبارتين الاولى قال سهل التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته والثانية سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الايمان انتهى والمراد بحاله صلى الله عليه وسلم في القول الاول أن يكون السابق لقلب العبد في تحصيل مقصوده على الله وسنته أن يكون السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور في تحصيله مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث انه سنة الله ورسوله جرت به كاهل العادة في ربط المسببات بالاسباب مع اعتقاده ان الفاعل هو الله تعالى وأنه لا فاعل للاسباب والمراد بالحركة في القول الثاني الكسب والمراد بالطعن في السنة الانكار بما حوت بذلك كحفر الخندق ولبس الدرع والتحصن وحل الزاد في الاسفار وقد قال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية والمراد بالطعن في التوكل أن يقول ان المقدر يحصل بفعل الله وبفعل غيره وكونه طعننا

فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى (٤٨٧) الشيطان يعدكم الفقر ويامركم

بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فان

الانسان بطبعه مشغوف

بسماع تخويف الشيطان

ولذلك قيل الشفيق

بسوء الظن مولع واذا

انضم اليه الجبن وضعف

القلب ومشاهدة

المتكلمين على الاسباب

الظاهرة والباعثين عليها

غلب سوء الظن وبطل

التوكل بالكلية بل رؤية

الرزق من الاسباب الخفية

أيضا تبطل التوكل فقد

حكى عن عابد أنه عكف

في مسجد ولم يكن له

معلوم فقال له الامام لو

اكتسبت لكان أفضل

لك فلم يجبه حتى أعاد

عليه ثلاثا فقال في

الرابعة يهودي في جوار

المسجد قد ضمن لي كل

يوم رغيفين فقال ان

كان صادقا في ضمانه

فكوفك في المسجد خير

لك فقال ياهذا لولم

تكن اماماتقف بين

يدي الله وبين العباد

مع هذا النقص في

التوحيد كان خيرا لك

اذ فضلت وعد يهودي

على ضمان الله تعالى

في الايمان أو التوحيد حيث أشرك معه تعالى في الفعل غيره قال صاحب القوت وأخبرني أن موسى قال سمعت الحسين بن يحيى يقول يقول رجل شيخنا ابن سالم أنحن متعبدون بالكسب والتوكل فقال التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والكسب سنته وانما سن لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فاباح لهم طلب المعاش بالكسب الذي هو سنته ولولا ذلك لهلكوا وما ان عطاء فانه كان يقول ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه انما التوكل طمأنينة في القلب الى الله تعالى وقال أبو يعقوب السوسني لا تمنعوا على أهل التوكل فانهم خاصة الله سكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال من طعن في التوكل فقد طعن في الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله (فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً فان الانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان بما يوسوس اليه ويلقنه (ولذلك قيل) في الركعات السائرة (الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن) يشاهد باطل (وبطل التوكل بالكلية) لنقصان التوحيد وبطلان الاعتماد والتفويض (بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية أيضا تبطل التوكل) من أصله (فقد حكى عن عابد) من العباد (انه عكف في مسجد) أي لازم جلوسه فيه فلم يخرج أصلا (ولم يكن له معلوم) من رزق يأتيه من جهة معلومة (فقال له الامام) الذي يصلي بالناس في ذلك المسجد حين رآه معتكفا (لوا اكتسبت) أي خرجت الى السوق وبشرت الكسب (لكان أفضل لك) من عكوفك هنا (فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة) هنا (يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين) فهو يأتي الى جهما (فقال ان كان صادقا في ضمانه ففكوفك في المسجد خيرا لك) لاجل حصول الاطمئنان (فقال) العابد للامام (يا هذا لولم تكن اماماتقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق) كذا في القوت وأورده ابن عطاء الله في التنوير بلفظ رأيت بعضهم جالسا يلزم المسجد ولا يخرج منه فتعجب من ملازمته وفكر في نفسه من أين يأكل فقال له من أين تأكل فقال له ان لي صاحبا يمد يده ويأخذني كل يوم رغيفين فهو يأتيني جهما فقال أما الآن فنعم فقال له ذلك العابد يامسكين وثقت لي بوعده يهودي وما وثقت لي بوعده الحق سبحانه وهو الصادق الحق وقد قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فاستحيها ذلك الرجل وذهب (وقال امام المسجد لبعض المصلين) الذين يصلون وراءه وقد رآه في رزق غير مكتسب (من أين تأكل) يا فلان (فقال) له (يا شيخ اصبر حتى أعبد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك) كذا في القوت وسأفه ابن عطاء الله في التنوير بلفظ ان رجلا صلى خلف الامام أياما فقال له الامام يوما تعجب من ملازمته وتركه الاسباب من أين تأكل فقال فف حتى أعبد الصلاة فاني لأصلي خلف من شك في قسمه الله تعالى (وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان) تنظر الى حالة نفسك وقيام الرب تعالى بك من حالة الى حالة من وقت تكونك من نطفة الى خروجك من المشيمة واغتذائك بلبن أهلك الى تسخير الخلق لك الى حالة البلوغ فخالك بعد البلوغ كحالك في أول أمرك في الكفاية والتسخير ولا يصدقك عن ذلك الار جوع النفس الى تدبيرها وحولها وقوتها وقد كانت قبل ذلك لا تدبير لها ولا حول ولا قوة والفكر في مثل هذا بحر لا ساحل له ثم تكرر علي سماع ما ورد من الاخبار والآيات والآثار ثم (تسمع الحكايات) المنسوبة للمتوكلين والمنقطعين الى الله تعالى الدالة على كمال أحوالهم (التي فيها عجائب صنع الله تعالى) بهم وسعة بره عليهم (في وصول الرزق الى صاحبه) بواسطة

اصبر حتى أعبد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى

بواسطة الاسباب الخفية ان تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه

وفيه عجائب قهر الله تعالى في اهلاك أموال التجار والاعنياء وقتلهم جوعا كجوع ابراهيم بن ادهم
فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فقال (٤٨٨) بقيت في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى

انقطاعه إلى الله تعالى (وفيها عجائب قهر الله في اهلاك أموال التجار والاعنياء وقتلهم جوعا كجوع ابراهيم بن ادهم عن
حذيفة) بن قنادة (المرعشي) شيخ هبيرة البصري (وقد كان خدم ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (فقال له
ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيت) معه (في طريق مكة أياما لم نجد طعاما) ناكله (ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى
مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك) أثر (الجوع فقلت هو ما أرى الشيخ فقال علي) أي جنى
(بدواة وقرطاس فكتب به فكتب) في القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطي الاسباب وهو (بسم الله
الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى) كما قيل

وظنوني مدحتهم جميعا * وأنت بمدحهم مرادى

(وكتب شعرا) مانصه * (أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر) * وهذه الثلاثة مما أمر العبد بها (أنا جائع أنا
ضائع) أي عطشان (أنا عاري) وهذه الثلاثة مما ينفع العبد في أتية الله بها * (هي ستة وأنا الضمين
لنصفها) وهي الثلاثة الأولى بالمرسك (فكن الضمين لنصفها يا باري) * أي قري يمانى والمعنى كن مستمرا على
ضمي إليك والافهوت تعالى قد ضمن لهم ذلك أي أنا فعلت ما أمرتني به فتفضل علي بما ضمنته * (مدحى لغيرك) بالله
كأنه (لهب نار) وفي نسخة وهج نار (خفتها) أي دخلتها (فأحر عبيدك من دخول النار) أي من مدح غيرك
(ثم دفع إلى الرقعة) المكتوبة (فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك) فلا
يكون لك اختيار في شخص دون آخر (قال فخرجت فأول من لقيت رجل كان على بغلة فناولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها) وقرأها (بكي وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فرفع إلى) للشمري
(صرة فيها) ثمانية دينار (وفي نسخة درهم) (ثم لقيت رجلا آخر فسأله عن ركب البغلة فقال لي) (هذا)
(وفي نسخة هو) (نصراني فكتب إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها) أي الصرة (فانه يجيء الساعة فلما
كان بعد ساعة دخل) وألفظ الرسالة (وإني) (النصراني وأكب على رأس ابراهيم) يقبله (وأسلم) على يديه
ببركة وقوفه على الرقعة التي كتبها ابراهيم وأرسلها هذا الخط القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدم ابراهيم
ابن ادهم وصحبه فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن
أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بالبادية في طريق الكوفة
فكان مشى وبدوس ويصلي على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا إلى
مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة
وقرطاس فخرجت فكتبته بم ما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى
أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحى لغيرك افصح نار خضتها * فأحر عبيدك من دخول النار

ودفع إلى الرقعة وقال اخرج ولا يعلق سرك بغير الله واعطها أول من تلقاك فخرجت فاستقبلني رجل راكب على
بغلة فاعطته الرقعة فقرأها وبكى وقال أين صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني الخراب فخرج من
كبه صرة دينار فاعطاني فسألت عنه فقبل هو نصراني فرجعت إلى ابراهيم وأخبرته فقال لا تمسها فانه يجيء
الساعة فلما كان بأسرع ان وإني النصراني فأكب على رأس ابراهيم فقال يا شيخ قد حسن إرشادك إلى الله فأسلم
وصار صاحب ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى (وقال أبو يعقوب) يوسف بن نافع (البصري الاقطع) ويعرف
أيضا بالتوام (جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا) يبدني من الجوع (فخذتني نفسي بالخر وج)

ابراهيم وقال يا حذيفة
أرى بك الجوع فقلت
هو ما أرى الشيخ فقال
علي بدواة وقرطاس
فكتب به فكتب بسم الله
الرحمن الرحيم أنت
المقتود واليه بكل حال
والمشار اليه بكل معنى
وكتب شعرا
أنا حامد أنا شاكر أنا
ذاكر
أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين
لنصفها
فكن الضمين لنصفها
يا باري
مدحى لغيرك لهب نار
خضتها
فأحر عبيدك من دخول
النار * ثم دفع إلى الرقعة
فقال اخرج ولا تعلق
قلبك بغير الله تعالى وادفع
الرقعة إلى أول من يلقاك
فخرجت فأول من لقيت
كان رجلا على بغلة
فناولته الرقعة فاخذها
فلما وقف عليها بكى
وقال ما فعل صاحب هذه
الرقعة فقلت هو في
المسجد الفلاني فدفع
إلى صرة فيها ثمانية
دينار ثم لقيت رجلا آخر
فسأله عن ركب
البغلة فقال هذا نصراني
فكتب إلى ابراهيم
وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء
الساعة فلما كان بأسرع ان وإني النصراني فأكب على رأس ابراهيم
وأرسلها هذا الخط القشيري قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا سعيد التاهري يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول وقد كان خدم ابراهيم ابن ادهم وصحبه فقبل له ما أعجب ما رأيت منه فذكره ورواه أبو نعيم في الحلية فقال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي الصوفي يقول سمعت حذيفة المرعشي يقول صحبت ابراهيم بالبادية في طريق الكوفة فكان مشى وبدوس ويصلي على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا فدخلنا الكوفة واوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت ما أرى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فخرجت فكتبته بم ما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقتود واليه في كل حال والمشار اليه بكل معنى أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عاري هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري مدحى لغيرك افصح نار خضتها * فأحر عبيدك من دخول النار

يدى ووضع فطره وقال
هذه لك فقلت كيف
خصصتني بها قال اعلم انا
كنا في البحر منذ عشرة أيام
وأشرفت السفينة على
العرق فذرت ان خلصني
الله تعالى ان أتصدق
بهذه على أول من يقع
عليه بصري من المجاورين
وأنت أول من لقيتـه
فقلت افتحها ففتحها فاذا
فيها سبعة صرى ولوز
مقشور وسكر كعاب
فقبضت قبضة من ذا
وقبضة من ذا وفاترد
الباقى الى أصحابك هدية
منى اليكم وقد قبلتها ثم
قلت في نفسي رزقك
يسبى اليك من عشرة
أيام وأنت تطلبه من
الوادى وقال بمشاد
الدينورى كأن على دين
فاستغل قاسى بسببه
فرايت في النوم كأن
قائلا يقول يا بخيل أخذت
علينا هذا المقدار من
الدين خذ عليك الاخذ
وعلمنا العطاء فما حاسبت
بعد ذلك بقا ولا قصابا
ولا غيرهما وحكى عن
بنان الجمال قال كنت
في طريق مكة أحمى عمر
مصر ومعى زاد فجاءني
امرأ أقولت لى يا بنان

(٦٢ -) (انخاف السادة المتقين) - (تاسع) أنت جمال تحمل على ظهورك الزاد وتوهم انه لا يرزقك قال فرسيت
 زادي ثم اتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلفا لاني الطريق فقلت في نفسي اجمله حتى يجي عصا حبه فرما يعطيني شيئا فارد عليه فاذا انا بك
 المراءه فقالت لي أنت تاجر تقول عسى يجي عصا حبه فاخذ منه شيئا ثم رميت لي شيئا من الدراهم وقالت انفقها فاكنت فبعت بها الى قريب من مكة

وحكى أن بنانا احتاج الى جارية فتقدمه فان بسط الى اخوانه فخدموا له ثم قالوا هو ذا يحيى والنضر فنشترى ما يوافق فلما وردا النضر اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انما تصليح له فقالوا صاحبناكم هذه فقال انما البست للبيع فالحوا عليه فقال انما البنان الجمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرته (٤٩٠) القصة وقيل كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل

الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي القرص عنده وقال ابو سعيد الخزاز دخلت البادية بغير زاد فاصابني فاقة فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي افي سكنت واتكلت على غيره واكليت ان لا أدخل المرحلة الا ان أحل اليها ففكرت لنفسى في الرمل حفرة وواريت جسدى فيها الى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة ان الله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاحرقوني وجلوني الى القرية وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فاذا هو بقاتل يقول يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله تعالى اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى اقتنعه عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له انى قد اشتقت اليك فانا

من الدراهم وهذه الحكاية أيضا أو ردها القشيري في الرسالة (وحكى) أيضا (ان بنانا) المذكور رحمه الله تعالى (احتاج الى جارية فتقدمه فان بسط الى اخوانه) في تحصيلها له (فخدموا له ثم قالوا هو ذا يحيى والنضر) فاشترى ما يوافق (فلما وردا النضر) اجتمع رأيهم على واحدة (وقالوا انما تصليح له فقالوا صاحبناكم هذه فقال انما البست للبيع فالحوا عليه) في مساومتها (فقال انما البنان الجمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرته) هذه (القصة) ففيه دلالة على ان الله تعالى لطيف بمن يتوكل عليه ويقضى حوائجه وهو لا يشعر فانه تعالى لما علم حاجة بنان الى من يخدمه لعجزه وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير امره ألقي الله في قلب تلك المرأة بسمرقند ارسال هذه الجارية اليه وهذه أيضا أو ردها القشيري في الرسالة (وقيل كان في الزمان الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت) جوعا (فوكل الله عز وجل به ملكا وقال ان اكله فارزقه) غيره (وان لم ياكله فلا تعطه شيئا غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقي القرص عنده) فيه دلالة على التحذير من الحرص على الحاصل وأقيم الحرص حرص العبد على الشيء حتى لا ينتفع به في نفسه فضلا عن غيره من المحتاجين اليه كما هنا وهذه الحكاية أيضا أو ردها القشيري في الرسالة (فأدلتها ان الحق تعالى انما ضمن الكفاية للمحتاج وهذا قد أغناه بالقرص فاعتمد عليه فقد تسبب في اهلا كه نفسه بحرصه عليه وفيه تنبيه على ان المتوكل يكون وثوقه بما في يده الله أو ثق بما في يديه (وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخرزاز) البغدادي المتوفى سنة ٢٧٧ (دخلت البادية) مرة (بغير زاد) لاصحح توكلى (فاصابني) فيها (فاقة) أى جوع شديد (فرايت المرحلة) أى القرية (من بعيد فسررت بانى) قد (وصلت) أى بقرب وصولي لها (ثم فكرت في نفسي انى سكنت) أى حصل في هذا السرور وسكون (واتكلت على غيره) تعالى في تحصيل ما أنا محتاج اليه فعزمت على مخالفة نفسي (واكليت ان لا أدخل المرحلة) أى حلفت ان لا أدخلها (الا ان أحل عليها ففكرت لنفسى حفرة وواريت فيها جسدى الى صدرى) ناديا للنفس وتوخيها لها (فسمعت) وفي نسخة فسمعوا (صوتا في نصف الليل عاليا) يقول (يا أهل المرحلة ان الله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة) فمن سمع الصوت (فاحرقوني وجلوني الى القرية) فقوى بذلك يقينى وتمكن توكلى على ربي وهذا أو مثاله يعلمون ذلك لتعلم اليقين وهو ان يغلب على القلب ان الله تعالى على كل شيء قدير وفيما ذكر دلالة على مراعاة الوفاء بالعهد مع الله فيما عزم عليه العبد من نيل المقامات الرفيعة وفيه فضيلة للخرزاز حيث أقسم على الله فآمره وهذه الحكاية أيضا أو ردها القشيري في الرسالة قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت علي بن محمد المصرى يقول سمعت أبا سعيد الخزاز يقول دخلت البادية مرة بغير زاد فساقها (وروى ان رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه) كل غداة (فقال) له (عمر) وقد شهد فيه بحبسه لاجل الطلب (يا هذا هاجرت الى عمر أو الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب) زمانا (حتى اقتنعه عمر) فسأل عنه فدل عليه (فاذا هو قد اعتزل) الناس (واشغل بالعبادة فجاءه عمر فقال له انى قد اشتقت اليك) حتى اشتقت اليك فما الذى شغلك عني فقال انى قرأت القرآن فاغتنانى عن عمر وآل عمر (فقال) له (عمر رضى الله تعالى عنه) وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت (وكانت موعظته فيه) فكان عمر بعد ذلك ينسابه (أى يأتيه نوبة بعد نوبة فى الاحيان) ويجلس اليه (ويجتمع اليه فقله صاحب القوت وقال فهذه علامة مراد مطلوب

الذى شغلك عني فقال انى قرأت القرآن فاغتنانى عن عمرو آل عمر فقال عمر رضى الله تعالى عنه وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه

وقال أبو جزة الخراساني حجبت سنة من السنين فيينا أنا مشى في الطريق اذ وقعت في بئر فزارعتني (٤٩١) نفسي ان استغيث فقلت لا والله

لا استغيث فما استممت
هذا الخاطر حتى مر
برأس البئر وجلان
فقال أحدهما للآخر
تعال حتى نسد رأس
هذا البئر لئلا يقع فيه
أحد فنوبا بعب وبارية
وطموا رأس البئر
فهمت ان أصيح فقلت
في نفسي الى من أصيح
هو أقرب منهما وسكنت
فيينا بأبعد ساعة إذ
أنا بشي جاء وكشف عن
رأس البئر وادلى برجله
وكانه يقول تعلق بي في
هممة له كنت أعرف
ذلك فتعلقت به فأخرجني
فاذا هو سبع فروهتف
بي هاتف يا أباجزة أليس
هذا أحسن نجيتك من
التلف بالتلف فشيت
وأنا أقول
نهاني حيائي منك أن
اكشف الهوى
وأغنيتهني بالفهم منك
عن الكشف
تلطفت في أمري فأبدت
شاهدي
الى غائي والالطف يدرك
بالالطف
ترأيت لي بالغيب حتى
كانما
تبشرني بالغيب أنك في
الكف
أرأيتني من هيتي لك
وحشة
فتؤنسني بالالطف منك
وبالالطف

والطالب المردود اذا تعلم انقرآن افتقر الى الخلق وازداد طمعاً ففهم وطني في القرآن وتكبر فالقرآن حجة تكشف
المرادين والمردودين وهي غنى للموقنين وفقير للنامعين (وقال أبو جزة الخراساني) مشهور بكنيته نيسابوري من
أقران الجنيد مات سنة ٢١٠ (حجبت سنة من السنين) على قدم التجربة والتوكل (فيينا أنا مشى في الطريق
اذ وقعت في بئر) عادية (فزارعتني نفسي ان استغيث) باحد (فقلت لا والله لا استغيث) توخي النفس (فما
استممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر وجلان فقال أحدهما للآخر) وأنا أسمع حديثهما (تعال يا فلان
حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا) كذا في النسخ وكذا هو في الرسالة والاولى فاتباً ويحتمل ان
يكون معهما غيرهما كالخادم لهما (بقصب) فارسي (وبارية) أي حصير (وطموا) أي سدوا رأس البئر
(فهمت ان أصيح) من داخل البئر فيسمعهم واصوت فيخرجوني منها (فقلت في نفسي الى من أصيح هو أقرب
منهما) وفي نسخة أصيح الى من هو أقرب منهما وفي أخرى أشكو بدل أصيح (وسكنت) أي حصل لي السكون
والاطمئنان وفي نسخة سكنت (فيينا أنا بعد ساعة) وقد ذهب الرجلان (اذ أنا بشي جاء وكشف رأس البئر
وأدلى برجله) فيها (وكانه يقول تعلق بي في هممة) أي صوت خفي (له كنت أعرف ذلك منه) أي فهمت
منه انه يقول تعلق بي (فتعلقت به فأخرجني فاذا هو سبع) سخره الله لي (فر) أي جاوزني (وهتف بي هاتف)
فقال (يا أباجزة اليس هذا أحسن) من نجائك قبل طمر رأس البئر (ان نجيتك من التلف) أي من الهلاك
(بالتلف) أي المتلف (فشيت وأنا أقول)

(نهاني حيائي منك ان أكرم الهوى * وأغنيتهني بالفهم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبدت شاهدي * الى غائي والالطف يدرك بالالطف)

أي أبدت حالي الحاضر لحالي الغائب عني

(ترأيت لي بالغيب حتى كانما * تبشرني بالغيب أنك في الكف

أرأيتني من هيتي لك وحشة * فتؤنسني بالالطف منك وبالالطف

وتحيي محباً أنت في الحب حنفته * وذاعجب كون الحياة مع الحنفة)

فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الايات ان الله تعالى يرى العبد
من عجائب قدرته ولطفه مما يغيبه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة يرى المذوكل ان الافعال كلها لله
تعالى فانه المحرك له والمسكن له وقد كان قادراً على ان يحفظ هذا من الوقعة في البئر ليطهر تحقيق توكله ولهذا لم يصح
في البئر حين سدوا رأسها مع انه كان ممتكاً من إزالة البارية عن رأسها بلا كافة ان تعين عليه الطلوع وهذه
الحكاية مع الايات أوردها القشيري في الرسالة فقال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قال أبو جزة الخراساني
حجبت سنة من السنين فساقها وقد اعترض المنكر على المصنف خاصة في نقر رفع أبي جزة الذي ذكر ثم على
الصوفية عامة وقالوا ان الذي فعله أبو جزة لا يجوز شرعاً وقد أجاب عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الاجوبة
المرضية وقد سبق في مقدمة كتاب العلم شيء من ذلك وحاصله انه لا ينبغي المبادرة الى الاعتراض فان أباجزة لم
يصدر منه ذلك الا بعد ان منح الله تعالى يقيناً كاملاً وقلبا مشاهداً وحالاً غالباً وجزاً جزاً وعاجزاً عليه ان يلتفت
الى غير مولاه أو يرى معه فاعلا وسبقه الى هذا الجواب القطب عبد الله بن سعد الباقى قدس سره فقال في
جملة كلامه ولوانه كان حصل لهذا المنكر على أبي جزة نفحة من نفحاته لما أنكر عليه قال والعجب كل العجب من
ينكر ويعترض على من يراه من الاولياء فانما عساوى الحق تعالى مشاهداته لا يرى في الملك والمال كوت الامن
هو أشق عليه من أمهبل من نفسه مع انه لما وقع لابي جزة شاهد عظيم في الشرع وهو ما رقع لسيدنا ابراهيم
عليه السلام لما ألقى في النار وجاءه جبريل عليه السلام فقال أنا جبريل ألك حاجة قال أما إليك فلا قال فسل
ربك ينحك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فهل كان هذا من ابراهيم عليه السلام الامن كمال يقينه وفنائه عن
نفسه حتى لم يشهد غير الحق جل جلاله (وأمثال هذه الوقائع مما يكثر) وقوعها (واذا قوى الايمان به وانضم

وتحيي محباً أنت في الحب حنفته * وذاعجب كون الحياة مع الحنفة

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر واذا قوى الايمان به وانضم

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يذاقره في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت أن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه (٤٩٣) الا بالصبر والتوكل في الامصار أقرب الى

الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا أن الناس عدلوا الى أسباب اظهر منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم - بأساءة الظن وطول الامل ومن نظار في ملكوت السموات والارض انكشف له انكشافا عظيما ان الله تعالى دبر الملك والملكوت) بلطف حكمته وجبل قدرته (تدبير الإيجاز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب) كيف تولاه المولى بتدبيره في سائر أطواره وقام له في كل ذلك بوجوه ابراره فجعله في نطفة مستودعة في الاصلاب ثم قدفها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علققة مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلققة مضغعة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرج جسمه الى الوجود) وبقاه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يبرزه الى دار يتعرف فيها بفضل وعده اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتكفيل به شاعت أم أبت اضطارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام) ولا رحي يستعين به اعلى الطعن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطعن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات الطعام (فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكل بالثدي مستحث الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحسنته الرحمة التي جعلها في الام مستحسنا لا يفترو مستهضلا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطع) وأرعى (وطواحين لاجل المضغ) والطعن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرافقة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الرافقة سابقها للعبادة في مظاهر الآباء والأمهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الار بوبيته وما حضنته الالهية ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رافقة منه به (فاذا كبر واشتغل بيسره لأسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فخبه بعد البلوغ جهل محض

خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب) نقله القشيري في الرسالة (فاذا بدنه عياله) أي بمنزلة عياله (فتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يذاقره في شيء واحد) وهو ان له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله (الان وافق اختيارهم اختياره فيكونون كهو في ما سبق) (وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعا عن الأسباب) كإمانه ليس تلبس بها (بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت أن تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجرى مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الاذى الذي لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار أقرب الى الاسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب) فقد روي القشيري بسنده الى ابراهيم الخواص قال بينما أسير في البادية فاذا بهم أتف بهم تنف فالتفت اليه فاذا عرابي فقال لي يا ابراهيم التوكل عندنا أي في البوادي أقم عندنا حتى يصح توكلك الاتعلم ان رجاءك للدخول بلد فيه أطعمة تحملك اقطع رجاءك عن البلد ان توكل (الان الناس عدلوا الى أسباب هي أفضل منها فلم يعدوا تلك أسبابا وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بأساءة الظن وطول الامل) ومن هنا قال بعضهم في حشد التوكل هو احسان الظن وقصر الامل (ومن نظار في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر الملك والملكوت) بلطف حكمته وجبل قدرته (تدبير الإيجاز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزا عن الاضطراب) كيف تولاه المولى بتدبيره في سائر أطواره وقام له في كل ذلك بوجوه ابراره فجعله في نطفة مستودعة في الاصلاب ثم قدفها في رحم الام ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما ثم جعلها بعد النطفة علققة مهيأة لما يريد سبحانه ان ينقلها اليه ثم بعد العلققة مضغعة ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح (كيف وصل سرته بالام حتى انتهى اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين فاجرى عليه رزقه قبل ان يخرج جسمه الى الوجود) وبقاه في رحم الام حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه الى البروز الى ما قسم له أو عليه ولم يبرزه الى دار يتعرف فيها بفضل وعده اليه (ثم لما انفصل) نازلا الى الارض (سلط الحب والشفقة على الام لتكفيل به شاعت أم أبت اضطارا من الله تعالى) اليه (بما اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام) ولا رحي يستعين به اعلى الطعن (جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج) فيه (الى المضغ) والطعن (ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف) ولا يستطيع تناول خشونات الطعام (فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله بحسب حاجته فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام) ووكل بالثدي مستحث الرحمة في قلب الام كلما وقف اللبن عن البروز استحسنته الرحمة التي جعلها في الام مستحسنا لا يفترو مستهضلا يقصر فكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام (فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطع) وأرعى (وطواحين لاجل المضغ) والطعن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحه والرافقة عليه والنظر بعين المودة منهما اليه وما هي الرافقة سابقها للعبادة في مظاهر الآباء والأمهات تعريفا بالوداد وفي حقيقة الامر ما كلفه الار بوبيته وما حضنته الالهية ثم ألزم الاب القيام فيه الى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رافقة منه به (فاذا كبر واشتغل بيسره لأسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فخبه بعد البلوغ جهل محض

تعالى اليه بما أشعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغه الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فادرله اللبن اللطيف في ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له اسنانا قواطع وطواحين لاجل المضغ فاذا كبر واشتغل بيسره لأسباب التعلم وسلك سبيل الآخرة فخبه بعد البلوغ جهل محض بعد البلوغ جهل محض

لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب فالآن قد قدر فرزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً
وهي الام والاب وكانت شفقتهم مفرطة جداً فكان يطعمهم ويسقيهم في اليوم مرة أو مرتين وكان اطعمهم بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على
قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تالم
قلبه ورق عليه وانبعث له داعية (٤٩٤) الى ازالة حاجته فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه ألف وزادة وقد كانوا

لانه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت فانه (لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فرزادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً وهي الام والاب وكانت شفقتهم مفرطة جداً فكان يطعمهم ويسقيهم في اليوم مرة أو مرتين وكان اطعمهم بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه) وما هي الا رأفته سبحانه (فكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلاد كافة) من مؤمن وكافر (حتى ان كل واحد منهم اذا أحس بمحتاج تالم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته) وتيسير طلبته (فقد كان المشفق عليه واحداً والآن المشفق عليه ألف وزادة وقد كانوا) من قبل (لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فارأوه محتاجاً لورأوه يتيماً) لأمله (لسلط الله داعية الرحمة) ومستحق الشفقة (على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فارأوه في سنى الخصب) وأعوام الرخاء (يتيم قدمات جوامع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل برأسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده) وبشها فيها في ذلك ما يلزمه الاستسلام اليه تعالى والتوكل عليه (فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ) أو يتعالي على التدبير أو ينازع المقدير (ولم يشتغل في الصبا) وقبل الصبا (وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن القانم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت) قوتها بالاضافة الى شفقة الوالدين (فيخرج من مجموعهما ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التبع) فان عباد الله ليسوا بالمتهمين كفي حديث فضالة (والاقتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر) وهو ابن الرومي (حيث يقول)

(جری قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين)

قوله بيان بالكسر وتشديد التهمة أي مستو بان والغشاوة اسم الجاد الذي يكون على الجنين وهي المشيمة وقد وجد البيتان هكذا بخط النور في هامش كتابه مختصر علوم الحديث وقد كتب على بن العز الحنفى بخطه على قوله بما يكون مسلم وعلى قوله والسكون لانسلم وعلى قوله لرزق لانسلم وعلى قوله والجنين مسلم ثم عارض ذلك بآيات وهي هذه

يتال الرزق في وقت بسعي * وفي وقت بلا سعي يكون * وكسب الرزق نوع منه فرض

فلا تنجح الى كسل يشين * بمشي في مناسكها أمرنا * وفي تغدو وخصا تستبين

جری قلم القضاء بكل هذا * وفي كل ميسر اليقين * ومن اياك نعبد خذ دليلاً

وقل اياك أيضاً نستعين * ومن قاس القوي على ضعيف * كن قاس الصديق بمن يمين

فلس من ربك التوفيق واحرص * على ما فيه نفعك مستبين

وكن متوكلاً مع فعل ما قصد * أمرت به وذاذبا ودين

(فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباه) عن الاضطراب (وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا) وقوته كقوتنا (فليجهد لنفسه) وليكتسب (فاقول ان كان هذا القادر بطالاً)

لا يشفقون عليه لانهم رأوه في كفالة الام والاب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجاً لورأوه يتيماً لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين او على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه فارأوه في سنى الخصب يتيم قدمات جوامع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل برأسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن ألف نعم كانت شفقة الام أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعهما ما يفيد الغرض فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم فيجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التبع والافتصار على قدر

فارغا

الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول جری قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون

جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزاً بصباه وأما هذا فبالغ قادر على

الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجهد لنفسه فاقول ان كان هذا القادر بطالاً

فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقهم فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على النفع غن الله تعالى فالبطال والتوكل وان كان مشتغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو مواعظ على العلم والعبادة فالناس لا يؤمنونه في ترك الكسب ولا يكفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرحجه في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وانما عليه أن لا يغلغ الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما روى الى الآن عالم أو عايد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصار فانت جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد ر عليه فان من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقي الله حبه في قلوب (٤٩٥) الناس ونحزله القلوب كما نحز

فارغا (فقد صدقوا فعله الكسب ولا معنى للتوكل في حقه) ولا للسؤال (فان التوكل مقام) عظيم (من جملة مقامات الدين) ومنشؤه من خالص اليقين (يستعان به على التفرغ لله تعالى في البطل والتوكل) ليس هو من رجاله (وان كان مشغلا بالله ملازما للمسجد أو بيت وهو مواطب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكافونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقر رجه في قلوب الناس) ويثبت (حتى يحملوا اليه مؤن كفايته وانما عليه ان لا يعلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس) من المشاهد (وماروى الى الآن عالم أو عابد استغرق الاوقات بالله تعالى وهو في الامصارفات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقد ر عليه فان كان لله عز وجل كان الله عز وجل له) ومن كان همه هما واحدا كفاء الله همه (ومن اشتغل بالله عز وجل) وأحبه (ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها) وقد جاء في الخبر اذا أحب الله عبدا ألقى حبه في قلوب الناس وفي لفظ كذب حبه في قلوب الملائكة ثم يقدفه في قلوب الآدميين (فقد در الله تعالى الملك والملكوت تدبيرا كائنا لاهل الملك والملكوت) لقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية (فن شاهد هذا التدبير) البليغ وثق بالتدبر واشتغل به وآمن (ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب) ولا يصح مقام من مقامات اليقين الا باسقاط التدبير مع الله وتعلقه بمقام التوكل والرضا بآبين من تعلقه بسائر المقامات فن لازم من اتقى قيادة الى الله واعتمد في كل أموره عليه الاستسلام لجريان المقادير (نعم مادبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلو والطيور والسمان والنياب الرفيعة والحبول النفيسة) المرفهة (على الدوام لا محالة وقد يقع ذلك أيضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشغول بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص شعيرا وحشيش يتناوله لا محالة والغالب أنه يصل اكثر منه بل ويصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل الارغبة النفس في التمتع على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة) في كل وقت (وليس ذلك من طريق الآخرة) الامن فهر نفسه وملكها وأراد بما ذكر اظهر ما من الله به عليه بشرط أن يكون وجوده وعدمه عنده سمين (وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب وهو في الغالب أيضا ليس يحصل مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر أيضا قد يحصل بغير اضطراب فان الاضطراب ضعيف عندهم انفتحت بصيرته فلذلك لا يطعن الى اضطرابه بل الى مدبر الملك والملكوت تدبيرا لا يحاوز عبدا من عباده رزقه وان سكن الانادرا ندورا عظيما يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أغرم ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا قال وددت ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدني نار) نقله صاحب القوت قال وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا بئ تسليم الاحكام والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا قد حاز العقل فلعل يطعمهم الموت (وقال) أبو أمية (وهيب بن الورد) المسكي يقال اسمه عبد الوهاب رحمه الله تعالى (لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك) ولفظ القوت وروينان عن سفيان عن وهيب بن الورد لو ان السماء لم تطر والارض لم تنبت ثم اهتممت بشئ من رزقي لظننت اني كافر وفي رواية عن وهيب منذ أربعين سنة لو كانت السماء رصاصا والارض نحاسا لم أهتم برزقي ولو

فهمت أن التوكل مقام

مفهوم في نفسه ويمكن

الوصول اليه من قهر نفسه

وعلمت أن أنكر أصل

التوكل وامكانه أنكره

عن جهل فإياك أن تجمع

بين الأفلاسين الأفلاس

عن وجود المقام ذوقا

والأفلاس عن الإيمان به

علما فإذا علمك بالقناعة

بالنزال القليل والرضا

بالقوت فإنه يأتيك

للمحالة وإن فررت منه

وعند ذلك على أنه أن

يبعث إليك رزقك على

يدين من لا تحسب

فإن اشتغلت بالقوى

والتوكل شاهدت

بالتجربة مصداق قوله

تعالى ومن يتق الله يجعل

له مخرجا من رزقه من

حيث لا يحتسب الآية

إلانة لم يتكفل له أن

يرزقه لحم الطير ولذات

الاطعمة فتضمن الا

الرزق الذي تدوم به

حياته وهذا المضمون

مبدول لكل من اشتغل

بالضامن وأطمأن الى

ضمانه فان الذي أحاط

به تدبير الله من الاسباب

الخفية للرزق أعظم مما

ظهر للخلق بل مداخل

الرزق لا تحصى ومجاريه

لا يهتدي إليها وذلك لان

ظهوره على الأرض وسببه

في السماء قال تعالى وفي

اهتممت به لظننت اني مشرك وقال بعض أهل المعرفة قد صدق وهيب لو ان الهم داخل عليه في تصديقه كان الشك قد نقص تصديقه وكان يكون شاكلا له ليس من حكمة التصديق والصدق الاهتمام بالرزق لان الرزق جزء من مائة جزء قد وقع تصديق المؤمن به في لم يصح تصديقه في هذا الجزء الواحد لم يصح في سائر الاجزاء قال والتصديق مقتضى السكون والطمانينة والنفس تدعو الى الحركة طمعا في استكمال أخذ الاسباب فن كان محققا لتصديقه بالسكون انصرف عن اجابة داعي النفس بالحركة الى السكون الذي يقتضى منه التصديق وشغل قلبه بالعمل في تصحيح تصديقه (فأذا فهمت هذا فهمت ان التوكل مقام) شريف (مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه من قهر نفسه) وروضا بالتدريج على الصبر على المكارة (وعلمت ان من أنكر أصل التوكل وامكانه) انما (أنكر عن جهل) به عنه (فإياك أن تجمع بين الأفلاسين أفلاس عن وجود المقام ذوقا وأفلاس عن الإيمان به علما) أي فان لم تكن من الذاتية لهذا المقام فاقبل الدرجات أن تكون من المصدقين له علما ومعرفة (فإذا علمك بالقناعة بالنزال اليسير) مما هو في يدك (والرضا بالقوت) المتيسر (فإنه سيأتيك للمحالة وإن فررت منه) ولذلك قال على رضي الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق يطلبه فسره بعض العلماء فقال الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذي يطلبه رزق الثمال وهو طلب فضول القوت (وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يد من لا تحسب فان اشتغلت بالقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من رزقه من حيث لا يحتسب) تمامها ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا أخرجه عن ابن مردويه عن ابن مسعود قال في قوله تعالى يجعل له مخرجا أي ان يعلم أنه قبل الله وان الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعاقبه وهو يدفع عنه وقوله لا يحتسب يقول من حيث لا يدري وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب من طريق ابن مسعود مثله والآية تزلت في رجل من أشجع كان قد أسر ابنه فشكا أوله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل اتق الله واصبر فلم يلبث حتى جاء ابنه واستاق غنم العدو وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم أن اكتب اليه يعني ابنه ومعه بالقوى والتوكل على الله (الأنه) تعالى (لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذات الاطعمة) وغيرهما من فضول الاقوات (فما ضمن الا الى رزق الذي تدوم به حياته) وهو الرزق الطالب (وهذا المضمون مبدول لكل من اشتغل بالضامن) جل جلاله (وأطمأن الى ضمائه) وسكن اليه قلبه (فان الذي أحاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدي إليها وذلك لان ظهوره على الأرض) وهي من عالم الملك (وسببه في السماء) وهي من عالم الملكوت (قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأسرار السماء لا يطلع عليها) بتفاصيلها لانها من عالم الملكوت وذكر الشيخ ابن عطاء الله في كتاب التنوير لهذه الآية فوائد مالم تحصها أي ياهذا المطلاع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز في الأرض ليس رزقك عنده انما رزقك عندي وأنا الملك القادر ولاجل هذا المسمع بعض الاعراب هذه الآية تنخرنا فتهوينا فإنا الى الله تعالى وهو يقول سبحانه الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض فانظر كيف فهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يرفعهم عباده اليه وأن تكون رغبتهم فيما لديه كما قال في الآية الاخرى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم لتجاس الهمم الى بابيه وتفتح القلوب الى جنبه فكأن سماء يا علوا ولا تكن سفلما أرضا ولا تكن

ابعد نفوذ في علوم الحقائق * وبعد انبساط في مواهب خالقي

وفي حين اشراف على ملكوته * أرى باسطا كلها الى غير رازقي

وكيف تقره بالربوبية يوم ألتبس بربك وتعرفه وتوحده هناك وتجهله ههنا وقد توارى عليك احسانه وعمرتك

فضلك وامتنانه كما قيل في القلب لكم منزلة علياء * لا تسكنها سعادى ولا ليلاء

في الزعر فتسكن فهل يحمل بي * أن أنكركم وحيثي شطاء

فهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين وأشرقت في قلوبهم أنوار اليقين وقد تضمنت ذكر

ولهذا دخل جماعة على

الجنيد فقال ماذا نطلبون

قالوا نطلب الرزق فقال

ان علمتم أى موضع هو

فاطلبوه قالوا نسال الله

قال ان علمتم أنه ينساكم

فذكروه فقالوا ندخل

البيت ونتوكل ونظنر ما

يكون فقال التوكل على

التجربة شك قالوا فما

الحيلة قال ترك الحيلة

وقال أحمد بن عيسى

الحرار كنت في البادية

فقال جوع شديد فقلت

نفسى أن أسأل الله تعالى

طعاما فقلت ليس هذا

من أفعال المتوكلين

فطالبتنى أن أسأل الله

صبرا فلما هممت بذلك

سمعت هاتفاهم تغيب

ويقول

وزعم أنه من قريب

وأنا لا نضيع من أماننا

ويسألنا على الاقتار جهدا

كأننا لا نراه ولا يرانا

فقد فهمت أن من

انكسرت نفسه وقوى

قلبه ولم يضعف بالجبن

باطنه وقوى إيمانه

بتدبير الله تعالى كان

مطمئنا النفس أبدا

وأنقذ بالله عز وجل فان

أسوأ حاله أن يموت ولا

يبدأ بياته الموت كما ياتي

من ليس مطمئنا فاذا

تمام التوكل بقناعة من

جانب ووفاء بالضمون

من جانب والذي ضمن

رزق القانعين بهذه الاسباب التي دبرها صادق فاقنع

الرزق ومحله والتشبيه له بامر لا يخفاء فيه وفيها فوائد الاولى لما علم سبحانه كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرذ كره كما تكررت وودعوا رزقه على القلوب كما تكررت الحاجة اذا علمت ان الشبه مستمكنة في نفس الخصم ليكون ذلك أو كذا في الحجة فذكر في هذه الآية تحمل الرزق وبينه لتسكن اليه القلوب وليس الضمان مع إيهام المحل كالضمان مع تبينه فهذا أبلغ في ثقة النفس به وأقوى في دفع الشك فيه الثانية يحتمل انه أراد اثبات رزقكم أى اثباته من اللوح المحفوظ ففيه اعلام إيهام ان الشيء الذى منه رزقكم أثبتناه عندنا فى كتابنا وقضينا به بحيث نتنا من قبل وجودكم فلا شئ تضاربون وما لكم الى ان تسكنون وبوعدي لا تتقون ويحتمل انه أراد بالرزق الماء وقال ابن عباس هو المطر فيكون الشئ الذى منه أصل رزقكم ولا ان الماء في أصله رزق الثالثة يمكن أن يكون مراد الحق بهذه الآية تعجيز العباد من دعوى القدرة على الاسباب لان الله تعالى لو أمسك الماء على الارض لم تعطل كل ذى سبب فكانه يقول ليست أسبابكم هى الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وببدي تيسر أسبابكم لاني أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم الرابعة في اقتران الرزق بالامر الموعد فائدة جلية وذلك ان المؤمنين علموا ان ما وعدهم الحق لا بد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه فذكائه تعالى يقول كما لا شك عندكم ان عندنا ما توقعون كذلك لا يكن عندكم شك في أن عندنا ما ترزقون وكما أنكم عن استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربو بيننا ووقته الهيمتنا انتهى (ولهذا دخل جماعة على الجنيد) رحمه الله تعالى (فقال ماذا نطلبون فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم هو فى أى موضع فاطلبوه) ففيه إشارة الى أن الرزق أسبابه حيث لا يطالع عليه (قالوا فسل الله ذلك قال ان علمتم انه) تعالى (ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل ونظنر ما يكون فقال التوكل على على التجربة) بان تدخلوا البيت مجر بين الله هل يرزقكم (شك) أى في الضمان وهو كفر (قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة) واعتمادكم بقولكم على الله واشتغالكم بما أمرتم به ولفظ القشيري دخل جماعة على الجنيد فقالوا أين نطلب الرزق فقال ان علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه قالوا فسل الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة انتهى ومنه أخذ الشاعر فقال * انما الحيلة فى ترك الحيل * هو إشارة الى اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير وقد قال بعضهم من لم يدبر دبره وقال القطب أبو الحسن الشاذلى قدس سره ان كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا أى ترك التدبير هو عين التدبير كما ان ترك الحيلة هو عين الحيلة والله در القائل

امطرى لو اؤاجبال سرديب * وفيضى جبال تكرر وتبرا

أنا ان عشت لست أعدم رزقا * وأذامت لست أعدم قبراً

(وقال) أبو سعيد أحمد بن عيسى (الحرار) رحمه الله تعالى وكان من المتوكلين (كنت في البادية) على قدم التوكل (فقال جوع شديد) أى بعد مضي عشرة أيام (فقلت نفسى أن أسأل الله طعاما) يرزقني فأكسكه (فقلت ليس هذا من أفعال المتوكلين) فان مقتضى هذا المقام تغليب علمه تعالى بحال العبد وعدم المبادرة الى السؤال فانه سوء أدب (فطالبتنى أن أسأل الله صبرا) على الجوع (فلما هممت بذلك) سمعت هاتفاهم تغيب

ويقول

وزعم انه من قريب * ونحن لا نضيع من أماننا

ويسألنا على الاقتار جهدا * كأننا لا نراه ولا يرانا

أى فلما سمع ذلك سكن قلبه عن الاضطراب والقلق (فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى) إياه فى سائر أطواره وشؤنه (كان مطمئن النفس أبدا وأنقذ بالله عز وجل) فى حسن وفائه وصدق ضمانه (فان أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن ياتيه الموت وان طال كما ياتى من ليس مطمئنا فاذا تمام التوكل بكل بقناعة من جانب ووفاء بالضمون من جانب) والذي ضمن رزق (القانعين بهذه الاسباب التي دبرها) باطيف حكمته (صادق) فى وعده وضمائنه (فاقنع) ليصح توكلك

وجرب تشاهد صدق الوعد بتحقيق ما وعد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكن منتظر الاسباب بل
لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا (٤٩٨) لعلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي أن

(وجرب تشاهد صدق الوعد بتحقيق ما وعد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك ولا تكن في توكن منتظرا (٤٩٨) لعلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه أصل حركة القلم والمحرك الاول واحد) في الوجود
(فلا ينبغي أن يكون النظر الاليه) وفيه تلويح الى مقام وحدة الوجود عند الصوفية (وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد) يحمله (و) كذا من (يقصر في الامصار وهو خامل) الذكر (وأما الذي له ذكر
بالعبادة والعلم فاذا قنع في اليوم والليلة بالطعام) المتيسر (مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذائذ)
والانواع المختلفة (وثوب خشن) من مستعمل ثياب بلده مما (يليق باهل الدين) ولا يكون من الشطار والجندي
(فهذا يأتيه من حيث يحتسب و) من حيث (لا يحتسب على الدوام) من غير انقطاع (بل يأتيه اضعافه فتركه
التوكل واهتمامه بالرزق) المضمون (غاية الضعف والقصور فان اشتاره بسبب ظاهر يجلب الرزق اليه أقوى
من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوى الدين) أولى الصالح المتين (وهو
بالعلماء) بالله وأحكامه (أقبح لان شرطهم القناعة) وهذا الاهتمام بضاده هو قبيح بذوى الاعيان أن ينزوا
حاجته - ثم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدايته وانفراد برؤيته يسمعون قوله تعالى أليس الله بكاف عبده
وذلك من العلماء أقبح فرفع الهمة عن الخلق وعدم الاهتمام بالرزق هو ميزان العلماء وسبيل الرجال كما توزن
الذوات توزن الاحوال والصفات وأقيموا الوزن بالقسط فيظهر الصادق بصدقه والمذنب بحزقه (والعالم
القانع يأتيه رزقه) بل (ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه) وقد ابتلى الله بحكمته العلماء الذين ليسوا بقانعين
ولا في وصفهم صادقين باظهار ما كنتموا من الحرص والشره والرغبة وأسروا في أنفسهم من الشهوة فابتذلوا
نفسهم لآبناء الدنيا مباسطين لهم ملائحين موافقين لهم على ما رآهم مدفوعين على أبوابهم فلقدهم منهم الحق صمة
كشفهم اعوارهم أولئك هم الكاذبون على الله الصادون لاعباد عن صحبة أوليائه فهم حجب أهل التحقيق
وسحب شيوخ أهل التوفيق ضرر بوابطو لهم ونشروا اعلامهم وليسوا ردهم فاذا وقعت الحيلة ولوا على
أعقابهم ناكسين (الا اذا أراد) ذلك العالم القانع (أن لا يأخذ) رزقه (من أيدي الناس و) لا (ياكل) الا
(من كسبه) فذلك له وجه لائق بالعالم العامل (الصادق في علمه وعمله) (الذي سألوه بظواهر العلم والعمل) فقط
(ولم يكن له سير بالباطن) بالتهذيب والرياضة (فان الكسب) أي الاشتغال به (يمنع من السير بالفكر
الباطن) الا أن يكون قويا لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله (فاشتغاله بالسؤال) الباطن حينئذ (مع
الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل) وهذا هو المقصود الاعظم من
التوكل بل ومن سائر مقامات الدين (و) فيه أيضا (اعانة للمعطي على نيل الثواب) وماله تترب فائدتان
احدهما أفضل من واحدة ومن ذلك في الخبر أوحى الله الى موسى اني اجعل أرزاق أوليائي على أيدي العاصين
ليؤجروا فيهم فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل اليهم قسمهم من المؤمنين مقام للجمع
في المعرفة واليقين فهو مال للمعطي الموصل وطريق للاخذ المتوكل كافي الخبر ما للمعطي من سعة باعظام أجرا
من الاخذ اذا كان محتاجا فسيحان مطرق الطرق وسبب الوصولات الى الآخرة بزلل القربان (ومن
نظر) بعين التأمل (الى مجاري سنة الله تعالى) التي خلت في عباده (علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب) فكلم
من ذكر محروم وكم من غيى محدود (ولذلك سأل بعض الكاسرة) أي ملوك القروس (حكيم من حكائهم
عن الاحق المرزوق والعاقل المحروم) عن الرزق ما السرفيسه (فقال) الحكيم (أراد الصانع) جل جلاله

يكون النظر الاليه
وهذا شرط توكل من
يخوض البوادي بلا زاد
ويقعد في الامصار وهو
حامل وأما الذي له ذكر
بالعبادة والعلم فاذا قنع
في اليوم والليلة بالطعام
مرة واحدة كيف كان
وان لم يكن من اللذائذ
وثوب خشن يليق باهل
الدين فهذا يأتيه من
حيث يحتسب ولا يحتسب
على الدوام بل يأتيه
اضعافه فتركه التوكل
واهتمامه بالرزق غاية
الضعف والقصور فان
اشتاره بسبب ظاهر
يجلب الرزق اليه أقوى
من دخول الامصار في
حق الخامل مع الاكتساب
فالاهتمام بالرزق قبيح
بذوى الدين وهو بالعلماء
أقبح لان شرطهم القناعة
والعالم القانع يأتيه رزقه
ورزق جماعة كثيرة وان
كانوا معه الا اذا أراد أن
يأخذ من أيدي الناس
وياكل من كسبه فذلك
له وجه لائق بالعالم العامل
الذي سألوه بظواهر العلم
والعمل ولم يكن له سير
الباطن فان الكسب
يمنع من السير بالفكر
الباطن فاشتغاله بالسؤال

مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه أولى لانه تفرغ لله عز وجل واعانة للمعطي على نيل
الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الكاسرة حكيم من حكائهم عن الاحق المرزوق
والعاقل المحروم فقال أراد الصانع

(ان يدل) بذلك (على نفسه) انه الواحد الاحد الرازق (اذلورزق كل عاقل وحرم كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن لا رازق غيره ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم) قال الشاعر
ولو كانت الارزاق تجري على الحجا * هلكن اذا من جهلن الهائم
نقله صاحب القوت الا انه قال علموا أن الصانع هو الرازق والحاصل أن من كان ذاهم بلوم من حرف أو معتاد من
الشيء لم يصح توكاه مع سكونه اليه وطما أن يثبت به لان ذلك علة في حاله وحيرة لتوكاه وقد يصح التوكل مع ذلك بثلاث
معان أن لا يعوض منه عوضا يقوم مقام السبب الواصل اليه وان يقطع همه عنه وعن جميع الخلق وأن
يكون منقطعاً الى الله تعالى مشغولاً بخدمته لا بباطال الامر وحال نفسه والله الموفق
(* بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال *)

يكون موكلابه الى ان
أتقدم لعقوبته في ميعاد
معلوم عندي ولكنني
أخفيه ومن لم يؤذ الغلمان
وقنع برغيف واحد اتماما
من يد الغلام وهو ساكن
فاني اختصه بخلة سنية في
الميعاد المذكور لعقوبة
الآخر ومن ثبت في مكانه
ولكنه أخذ رغبين
فلا عقوبة عليه ولا خلة
له ومن أخطأه علماني
فأوصلوا اليه شيأ قببات
الليلة جاعا غير متخط
للغلمان ولا قاتلا لبته
أو وصل الى رغبة فاني
غدا أستورزه وأقوض
ملكى اليه فانقسم
لسؤال الى أربعة أقسام
نسم غلبت عليهم بطونهم
فلم يلتفتوا الى العقوبة

قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على

ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فنانفعهم ذلك اذا تبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد او جرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على الدوران اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعاما فلسنا نطبق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة في الدنيا (٥٠٠) وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة

للمتوكل اذا مات جائعا واضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمخنفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الدور فان مات واحد منهم جائعا واضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة من عشرة آلاف (الفن الثاني) * (في التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان المتوكلين ادبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فاول ذلك الاقتصار والاجال في الطلب وأن لا يدخل في الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التي تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد اشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطرار والاباحه فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا (ان كان محتاجا) لكل ذلك (ويفرق الباقي في الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النسبة) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله عز وجل وفيه وكان موقوفا على رضامولاه مؤخر الحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى تلك الحقوق التي أوجبه الله عليه بذل ماله فيها والقيام

للمتوكل اذا مات جائعا واضيا من غير تأخير ذلك الى ميعاد القيامة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المعتدى في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون والمخنفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الاعلى سبيل الدور فان مات واحد منهم جائعا واضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام الاربعة ولعل من كل مائة من عشرة آلاف (الفن الثاني) * (في التعرض للاسباب بالادخار) اعلم ان المتوكلين ادبا ولهم علامات تدل على صحة توكلهم فاول ذلك الاقتصار والاجال في الطلب وأن لا يدخل في الاسباب المظنونة الا للحاجة الغريبة وان تباعد عن الاسباب التي تتطرق اليها الشبه بكل حال وأن لا يدخر وقد اشار المصنف الى حكم الادخار فقال (فن حصل له مال بارث) من موروثه شرعا (أو كسب) بشروطه (أو سؤال) بعد الاضطرار والاباحه فيه (أو سبب من الاسباب) غير ما ذكر (فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا (ان كان محتاجا) لكل ذلك (ويفرق الباقي في الحال) على من يرى له الاستحقاق (ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النسبة) لا غير (فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا) قال صاحب القوت ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله عز وجل وفيه وكان موقوفا على رضامولاه مؤخر الحظوظ نفسه وهواه فاذا رأى تلك الحقوق التي أوجبه الله عليه بذل ماله فيها والقيام

بمحقق منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الاعصار السالف أو المآل ان فالتارك للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف * (الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار) فن حصل له مال بارث أو كسب أو سؤال أو سبب من الاسباب فله في الادخار ثلاثة احوال الاولى أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيما كان جائعا ويلبس ان كان عاريا ويشترى مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا يدخره الا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا

* الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة عن حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من (٥٠١) المتوكلين أصلاً وقد قيل لا يدخر

من الحيوانات الثلاثة
الفأرة والذئبة وابن آدم
الحالة الثالثة أن يدخر
لاربعين يوماً فما دونها
فهذا هل يوجب حرمانه
من المقام المحمود الموعود
في الآخرة للمتوكلين
اختلفوا فيه فذهب
سهل إلى أنه يخرج عن
حد التوكل وذهب
الخواص إلى أنه لا يخرج
باربعين يوماً ويخرج
بما يزيد على الأربعين
قال أبو طالب المكي
لا يخرج عن حد التوكل
بالزيادة على الأربعين
أيضاً وهذا الاختلاف
لا معنى له بعد تجوز
أصل الادخار نعم يجوز
أن يظن ظان أن أصل
الادخار يناقض التوكل
فاما التقدير بعد ذلك فلا
مدرك له وكل ثواب موعود
على رتبة فانه يتوزع على
تلك الرتبة وتلك الرتبة لها
بداية ونهاية ويسمى
أصحاب النهايات السابقين
وأصحاب البدايات أصحاب
اليمين ثم أصحاب اليمين
أيضاً على درجات وكذلك
السابقون وأعلى درجات
أصحاب اليمين تلاصق
أسافل درجات السابقين
فلا معنى للتقدير في مثل
هذا بل التحقيق أن التوكل
بترك الادخار لا يتم إلا
بقصر الامل وأما عدم

بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيد هاعلموا (الحالة الثانية) هي (المقابلة لهذه المخرجة له من حد التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين أصلاً) وظاهره أن الادخار فوق السنة يبطل التوكل وقال السكال بمحمد بن اسحق والذي أراه أنه يبطل كماله لا أصله (وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الثلاثة الفأرة والذئبة وابن آدم) نقله صاحب القوت (الحالة الثالثة أن يدخر لاربعين يوماً فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود) في الآخرة (للمتوكلين اختلفوا فيه وذهب أبو محمد سهل بن عبد الله التستري) رحمه الله تعالى (إلى أنه يخرج عن حد التوكل) ولفظ القوت ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد (وذهب ابراهيم بن أحمد الخواص) رحمه الله تعالى (إلى أنه لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما يزيد على الأربعين) حكاه هكذا في كتاب التوكل (وقال أبو طالب المكي) رحمه الله تعالى في القوت (لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضاً) وهذا اللفظ في القوت وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فان كان أمله للعبادة اطاعة ولاة وخدمته والجهاد في سبيله وليستعجب ويستقبل ويصلح بالطاعة والعلم ما أفسد بالهوى والجهل فيفضل بذلك وهذا طريق طائفة من الراجين والمؤانسسين والمحبين وحسن الظن وإن كان أمله للعبادة لأجل متعة نفسه وأخذ حفظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فاسرى النقص إلى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل فإذا جاز للمتوكل تأميله البقاء لشهر أو شهرين جاز له الادخار لذلك إلا أن طول الامل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من أربعين يوماً يخرج من حد التوكل عند الخواص ولا يخرج منه من حده عندى وأكره للمتوكل الادخار أكثر من أربعين يوماً كما يكره تأميل البقاء لا أكثر من أربعين يوماً ومن ادخل صلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه إلى الناس أن كان مقامه السكون مع المعلوم فلا دخاره أفضل ويخرجه الادخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد والخواص ولا يخله عندى من حال فيه ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الادخاره أفضل اه (وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجوز أصل الادخار نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له) وربما يفهم من سياق عبارة القوت أن سهلاً رحمه الله تعالى يقول إن أصل الادخار يناقض التوكل فقد روى عنه انه قال علامة التوكل لا يسأل ولا رد ولا يحتكر ورأه الغشيري بسنده إلى أبي علي الرودباري قال قلت لعمر بن سنان احل لي عن سهل بن عبد الله حكايه فقال انه قال فذكره الا انه قال ولا يحبس بدله قوله لا يحتكر (و) أيضاً (كل ثواب موعود) في الآخرة (على رتبة) من رتب الايمان (فانه يتوزع) أى ينقسم (على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بدايتها ونهاية ويسمى أصحاب النهايات منهم السابقين) لانهم سبقوا في تلك الرتبة وبلغوا منتهى الدرجات واليهم الاشارة بقوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات (وأصحاب البدايات) الذين لم يبلغوا بعد أقصى الدرجات يسمون (أصحاب اليمين) وهم المقتصدون (ثم أصحاب اليمين أيضاً على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين) فنهاياتهم بدايات السابقين (فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق) الجامع لكلامهم (أن التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الامل) واليه الاشارة بقول صاحب القوت وترك الادخار انحما هو حال من مقامه قصر الامل (وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده) الامارواه صاحب الحلية بسنده إلى ابن أبي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لو هيب يا أبا أمية أعجب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلى أتوب فقال ووهيب فانت قال ورب هذه النبوة تانا وددت أنى مت هذه الساعة (أما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره) في القسلة والكثرة (وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات) فثم من إذا أصبح (لم ينتظر المساء) وإذا أمسى لم ينتظر الصباح (وأقضاء ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ومن

أمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الامل وقصره وأقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات وأقضاء ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينهم درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ومن

بؤمل سنة وتقييده باربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة مقصد بها بيان مقدار ما رخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد (٥٠٢) أربعين يوما لمرحبه وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور كما قال عليه السلام ان

الله خسر طينة آدم بيده
أربعين صباحا لان
استحقاق تلك الطينة
التخمر كان موقوفا على
مدة مبلغها ما ذكر فاذا
ما وراء السنة لا يدخله
الاجحك ضعف القلب
والركون الى ظاهر
الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق
باحاطة التدبير من
الوكيل الحق بخفايا
الاسباب فان اسباب
الدخول في الارتفاعات
والزكوات تتكرر بتكرار
السنين غالبا ومن ادخر
لاقل من سنة فله درجة
بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم تكن
درجته كدرجته من امل
شهر او لادر جتم من امل
ثلاثة أشهر بل هو بينهما
في الرتبة ولا يمنع من
الادخار الا قصر الامل
فالا فضل ان لا يدخر أصلا
وان ضعف قلبه فكما قل
ادخاره كان فضله أكثر
وقد روى في الفقير الذي
أمر صلى الله عليه وسلم
عليه كرم الله وجهه
وأسماء أن يغسله فغسله
وكفناه ببرذته فلما دفنه
قال لأصحابه انه يبعث
يوم القيامة ووجهه
كالقمر ليلة البدر ولولا

بؤمل سنة) وكذا من لم يؤمل أكثر من أسبوع أقرب من بؤمل شهرا (وتقييده باربعين) أي من أربعين يوما
وقيده بهذا العدد (لاجل ميعاد موسى عليه السلام) في قوله تعالى وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة
(بعيد) والاستدلال به على مسئلة الادخار غير صحيح (فان تلك الواقعة مقصد بها بيان مقدار ما رخص الاقل فيه
ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم الا باربعين يوما) التي هي ثلث الثلث من السنة (لرسر) الهوى
(جرت به وبامثاله سنة الله تعالى في تدريج الامور) وتتميلها (كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خسر طينة آدم
بيده أربعين صباحا) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان باسناد
ضعيف جدا وهو باطل اه قلت ورواه من رواية أبي عثمان النهدي عنهما وله ظنه ان الله عز وجل خسر طينة
آدم أربعين يوما ليلة ثم أخذها بيده ثم قال هكذا قطعها بيده فخرج في يمينه كل نفس طيبة وخرج في يده الاخرى
كل نفس خبيثة ثم شبك بين أصابعه حتى خلطها فلذلك يخرج الحى من الميت والميت من الحى والمؤمن من
الكافر والكافر من المؤمن ورواه ابن مردويه من حديث سلمان بلطفان الله تعالى خسر طينة آدم أربعين
صباحا ليلاتها ثم ضرب بيده اليمنى وكنتا يديه يمين فقطع قطعة ثم خلطها فخرج المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن وليس في سياق حديثهما قوله بيده وقد روى الديلمي من حديث الحرب بن نوفل خلق الله ثلاثة أشياء
بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده وعند مسلم من حديث أبي هريرة خلق الله آدم
يوم الجمعة بيده الحديث وفي الذهب الابريز لسيدى أحمد بن مبارك وسمعت بهيعنى شيخنا السيد عبد العزيز بن الدباغ
قدس سره يقول ان الله تعالى لما أراذ خلق آدم عليه السلام جمع تربته في عشرة أيام وتركها في الماء عشرين
يوما وصوره في أربعين يوما وتركه عشرين يوما بعد التصور حتى انتقل من الطينة الى الجسم فجمعهم فجمعهم ذلك
ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان ثم رفعه الله الى الجنة ونفخ فيه من روحه اه (لان استحقاق تلك
الطينة التخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر) قال سيدى عبد العزيز بن المذكور خلق الله بعض الاشياء
ورتب خلقها في أيام وأجره شيئا فشيئا لانه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملائكة على لان في تنقل ذلك الحادث
من طور الى طور ومن حالة الى حالة وظهور أمره شيئا فشيئا لا يكيف من جمعهم الملائكة على الى الارتفاعات
اليه فالتعجب في أمر الله من ذلك الحادث والتفكير في شأنه وكيف يتخلقه وماذا يكون منه والى أى شئ يصير فهم
يرتقبون الحالة التي يخرجون عليها فاذا حصل لهم من التوحيد ما لا يكيف ولا يحصى وفي زمن الارتقاب يحصل
لهم من العلم بالله والاطلاع على باهر قدرته وسر بانها في المقدورات شئ عظيم فلا يظنونهم شئ من أسرارها
في ذلك المخلوق فيحصل لهم فيه التفهم التام فالتدريج لهذه الحكمة والحكمة أخرى وهي انه بهذا التدريج
وانتظار خروج الحادث والشوق اليه فوجد مخلوقات أخر مثل هذا الحادث أو أعظم فله تعالى في كل شئ أسرار
وحكم (فاذا ما وراء السنة لا يدخله الاجحك ضعف القلب والركون الى الظاهر من الاسباب فهو خارج عن
مقام التوكل غير واثق باحاطة التدبير من الوكيل الحق) سبحانه (بخفايا الاسباب فان اسباب الدخول في
الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرار السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم تكن درجته كدرجته من امل شهرا ولادر جتم من امل ثلاثة أشهر بل هو بينهما في الرتبة
ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل فالا فضل أن لا يدخر أصلا فان ضعف قلبه واضطربت نفسه (فكل ما قل
ادخاره كان فضله أكثر) ومن قوى يقينه وحسن ظنه وصبره وصمعه زهد فترك الادخاره أفضل (وقد روى في
الفقير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا وأسماء) رضى الله عنهما (أن يغسله فغسله وكفناه ببرذته فلما
دفنه قال لأصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس
الضاحية قلنا وماهى يا رسول الله قال ان كان لقوام صوما كثيرا لذكر الله تعالى غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر

حلة الصيف لصيفه واذ جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل مأوتيتهم البقين وعز عمة الصبر الحديث وليس الكوز والشفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فان ادخاره لا ينقص الدرجة وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى (٥٠٣) الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه

اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضبيعة يكون دخلها وافي بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله ورب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدينا في عينها غير مخدورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر الناحر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهم بالاشتغال بهم بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فاقال للتاجر ترك تجارته ولا قال للقاعد كتب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالامعان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اه (وعدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كإمكان صواب القوى) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعيف وتسكين القلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولقد فهمهم ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكمه كراع لرعيته التي هي مسئول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بحفظ الله له وعليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في نصره متمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

حلة الصيف لصيفه واذ جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ثم قال صلى الله عليه وسلم من أقل مأوتيتهم البقين وعز عمة الصبر الحديث) وتعامه ومن أعطى حظه منهما لم يبال بخالفاته من قيام الليل وصيام النهار قال العراقي لم أجده أصلا وتقدم آخر الحديث قبل هذا اه قلت رواء صاحب القوت بسنده الى شهر بن حوشب عن أبي أمامة وقد تقدم في آخر كتاب الزهد والفقرمة فلا بد ان يكون سنة حيث كان يدخر كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء فلذلك تأخر عن درجة السابقين وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ترك الادخار مقتضى اليقين وحال أولى العزم من الصابرين (وليس الكوز) الذي يشرب منه (والشفرة) التي يأكل عليها (وما يحتاج اليه على الدوام) من الاوزم الضرورية (في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة وثوب الشتاء لا يحتاج اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فاذا كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر) التي هي المقصود من التوكل (فالادخار له أولى) لدفع الاضطراب من التفرغ (بل لو أمسك ضبيعة يكون دخلها وافي بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك) أي امسك الضبيعة (له) وفي حقه (أولى لان المقصود اصلاح القلب ليتجرد لذكر الله) وهذا طريقة جماعة من العارفين من المتوكلين قد اتسع قلبهم بهذه الحالة حتى قوى على الدخول في الاسباب مع ملاحظتها وهو كال في الولاية (ورب شخص يشغله وجود المال) فهذا لا يتأتى له التوكل الا بالزهد فيه فهو شرط في حقه ومنهم من لا يشغله ويرتق عنه الى غيره وهو بذلك أمواجة فلا يشترط في حقه الزهد في الاموال والاسباب (ورب شخص يشغله عدمه) فيضطر بقلبه لذلك (والمخذور ما يشغل عن الله عز وجل والا فالدينا في عينها غير مخدورة لا وجودها ولا عدمها) وقد سبق بيان ذلك في كتاب ذم الدنيا (ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر الناحر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهم بالاشتغال بهم بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله تعالى وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه بعث النبي صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كلهم اليوم منهم الناحر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس فاقال للتاجر ترك تجارته ولا قال للقاعد كتب ولا نهى السائل عن أن يسأل بل أمر أن يعطى ولكن جاءهم بالامعان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اه (وعدة الاشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب (ادخار قدر حاجته) لاصلاح قلبه وسكون نفسه عن الاضطراب والاستشراف وتفرق الهم (كإمكان صواب القوى) الساكن المطمئن الصابر (ترك الادخار) وكل منهما متوكل (وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعيف وتسكين القلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولقد فهمهم ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكمه كراع لرعيته التي هي مسئول عنها حافظ لحدود الله التي استحفظه اياها بحفظ الله له وعليه (وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة) ناظر اليه في نصره متمد عليه (وقد ادخر) سيد المرسلين (رسول الله صلى الله عليه

فدرا حاجته كان صواب القوى ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعباله جبر الضعيف وتسكين القلوبهم (م وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لان الاسباب تتكرر وعند تكرر السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالتوكل عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس الى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه

وسلم لعيله قوت سنة ونهى أم أين وغيرها أن تدخله شيئا أغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلا ولا قال صلى الله عليه وسلم اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري نبي لعلي لا أبلغه وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخل لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولا يكن عليه السلام ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان اقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر عليه السلام لعيله سنة لا ضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرنا الله تعالى يجب أن تؤتي رخصه كما يجب أن تؤتي عرائمه تطيبيا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيستركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فأسرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا

وسلم لعيله قوت سنة) رواه الشيخان وقد سبق في كتاب الزكاة (و) قد (نهي) أم أين وغيرها أن تدخله شيئا (أغد) وقد سبق ذلك أيضا هناك وأم أين اسمها بركة وكانت حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لها يا أمه وكانت تتولى خدمته رضي الله عنها (ونهى بلالا) رضي الله عنه (عن الادخار في كسرة خبز) كان (ادخرها ليفطر عليها) قال العراقي هذا لم أره قلت المعروف فيه عن ادخار تمر كان ادخره (فقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلا) قال العراقي رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وبلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صبر من تمر فقال ذلك ورواه أبو يعلى والطبراني وكلها ضعيفة اه قلت لفظ البزار والطبراني من حديث ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم على بلال وعنده صبر من تمر فقال ما هذا يا بلال فقال يا رسول الله ادخريه لك ولضياقتك فقال أما تخشى أن يفور رطلها بخار من جهنم أنفق يا بلال فذكره ورواه العسكري في الامثال من حديث عائشة ولفظه أنفق بلالا ورواه البزار عن مسروق عن بلال مثله ورواه الطبراني من هذا الوجه الا أنه قال يا بلال ورواه أبو يعلى باللفظ ولا تخافين بدل ولا تخش وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بإسقاط ما هنا (وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب) قال العراقي رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو بقية حديث التقي الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقد تقدم اه (اقتداء بسيد المتوكلين صلى الله عليه وسلم) ولفظ القوت ونهى بلالا عن الادخار لنفسه لتقدي به أهل المقامات وقاله اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تجب فهو امام المقر بين وذكري للمتوكلين (وقد كان قصر أمه بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري نبي لعلي لا أبلغه) قال العراقي رواه ابن الدنيا في قصر الامل من حديث ابن عباس بسند ضعيف اه ولفظ القوت وروينان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وله بردان في الحف ينسجان وقد كان صلى الله عليه وسلم أقصر أملا من ذلك كان يقول في تيمم قبل أن يصل الى الماء فيقال له ان الماء منك قرب فقال وما يدري نبي لعلي لا أبلغه ولكن فعله لتلايم لك من طال أمه من أمته فجعل يفعله نجاة ورجله فهذا يدل على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبيل ان الشرير يجمع بالرخصة والعزيموا العزائم من الدين للاقوياء الحاملين والرخص من الدين للضعفاء المحمولين اه (وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخل لم ينقص ذلك من توكله اذ كان لا يثق بما ادخره ولكنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك تعليما للاقوياء من أمته فان اقوياء أمته ضعفاء بالاضافة الى قوته وادخر صلى الله عليه وسلم لعيله سنة لا ضعف قلب فيه وفي عياله) حاشاهم من ذلك (ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبرنا الله تعالى يجب أن تؤتي رخصه كما يجب أن تؤتي عرائمه) رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم (تطيبيا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف الى اليأس والقنوط) من روح الله (البأس) من راحة الله (والقنوط) من راحة الله (فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات فأسرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الارحة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم) وفي القوت وكان سهل رحمه الله تعالى يقول في تاوريل الخبر ان الله يحب أن يؤخذ رخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائه قال ما كان من أمر نخذ بالوسع وما كان من نهى فنخذ بالاشد فيه قال وكان يضرب للمدخر مثلا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الابل فيقال له خذ رغيغا فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قبل له خذ أو رغبة قال فكذا ترك الادخار ينقص من فضائل الزاهد بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد الالزهاد العارفين لانهم على عين اليقين قد أقسموا بشهادة عين التوحيد فيظنون بنورا لا قلبية والآخرة قلوبهم جودات عندهم عند اه اذا كانت أيديهم يده وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم خلفاءه ينفعون مما جعلهم مستخلفين فيه فهو من يدلهم لان هذا مقام فوق الزهد قد جاوزه فكيف يعتبر به وهو لا يوصفون بكدر الخلق والمرآة فكيف يؤثرون بالتصفيق والاحلاص اذ لا يدخل عليهم الشرك لقيومية شهادة التوحيد بهم فهم باقائون وأما تارك المكاسب وقاطع النسب ممن لا علم له من الاولياء فانهم تركوا الادخار لانه مقتضى حالهم وفيه استقامة مقامهم وصيانة

واذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أبو امامة الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فواجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم قشوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالا ولا يقول ذلك في حقهم وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل (٥٠٥) حاليْن أحدهما انه أراد كيتين من النواكبا

قال تعالى تكوي بها

جباہم و جنوب۔ م

وظهورهم وذلك اذا كان

حاله اظهر الزهد والفقر.

والنكاح مع الافلاس

عنه فيه نوع تلميح

والثاني أن لا يكون ذلك

عن تلياس فذكر في المعنى

في النقصان عن درجة

کتابخانه عمومی مسجد جامع

الحمد لله رب العالمين

الوجه الرابع في

الوجه وذلك لا يدون عن

بليديس فان كل ما يحلوه

الرجل فهو نفعه ان عن

درجهٔ بی‌الافزاد

لا يؤتى أحد من الدنيا

شيئا الانقص بقدره من

الأسخنة وأما بيان ان

الادخار مع فراغ القلب عن

المدخر ليس من ضرورته

بطلان التوكل في شهادته

ماروی عن بشرقال

الحسين المغارلى من

أصحابه كنت عنده ضحوة

من النهار فدخل عليه

رجل کہل اُسے رخصت

العارضين فقام إليه بشمى

قال وما رأيته قام لاحد

غیرہ قال و دفع الی کذا

من دراهم قال اشترانا

أطيب ما تقدروا عليه من

الطعام الطيب وما قال

عنه فأكل معه ومارأته

فذلك وكرهته له فقال لي

وَأَدَّأْنِ يَعْلَمَانِ التَّوَكَّلِ

فلو بهم خلوصهم ولافراد سيرهم (فاذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى أبو امامة) صدى بن عجلان (الباهلي) رضى الله عنه (ان بعض أصحاب الصفة توفي فساو جده كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه) فتشوه (فوجدوا فيه دينارين في داخل ازاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان) قال العراقي رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه (وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أمواولا ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين أحدهما انه أراد كيتين من النار كما قال تعالى فتكوى بهم اجباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله حال اظهار الزهد والفقر) وصف (التوكل) وترك الادخار (مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس) ولذلك شدد عليه وغلظ بكيتي نار وعلى هذا الوجه اقتصر صاحب القوت (والثاني أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كينقص من جبال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يوثق أحد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره من الآخرة) وهذا الوجه هو الا لا تقي بمقام الصحابة كما لا يخفى (وأما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخول من ضرورة بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن) أبي نصر (بشر) بن الحرث الحافى قدس سره (قال الحسين المغازلي من أصحابه) نسب الى عمل المغازل قال (كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال) الحسين (وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الى كفاهم دراهم وقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب) قال (وما قال لي قط مثل ذلك قال جئت بالطعام فوضعت بين يديه) فا كل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فا كلنا حاجتنا وبقي من الطعام شئ كثير فاخذ الرجل وجعه في ثوبه) وجعله تحت يده (وحمله معه وانصرف) قال (فعجبت من) فعله (ذلك وكرهته له) اذ لم يأمره بذلك ولا هو استأذنه فيه (فقال لي بشر) بعد وقت (لعلك أنسكرت فعله) ذلك (قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال) تعرفه قلت لا قال (ذلك أخونا فتح) بن شخرف (الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما أراد أن يعلم ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار) هكذا نقله صاحب القوت ومما يدل على ان الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين ما نقله صاحب القوت قال وحدثني بعض الصوفيين ان بعض الاشياخ لم يكن يبيت شيئا لغد وكان مهما فتح له شئ من النهار أخرجه قبل الليل فقلت أخرجه قبل الصبح ثم قلت هي ليله فاذا أصبحت أخرجه قال فجعلته في وسطى ونمت فראيت في المنام كأن في وسطى ثلاثة زناير قال فاعتممت وجعلت أحلها وأتعبت من ذلك فقال لي قائل هذه الثلاثة دراهم التي ادخرتها قال فانتهيت فزعتها فممت فدفعتها في الوقت الى بعض الفقراء قال وحدثني بعض الاشياخ عن بعض الصوفيين انه كذلك كان يخرج كل ما فتح له الى اخوانه الفقراء ولا يدخل لنفسه شيئا قال ففتح لي مرة دينار وكان على دينار ديننا فجعلت أومل بين أن أحبس به اقضاء ديني وبين أن أخرجه الى ما عودت من خلقتي قال فقوى على شاهد العلم فقلت امسا كه لادين أولى لانه قد استحق على قال فلم أنفق على اخواني وكان ينتاب ويستضاف قال فضرب على ضرر من أضرأسي تلك الليلة فلم أتم فأشيعر على بقلعه فقلعته ثم قال خطر بقلبي خراج الدينار ثم قلت الدين أو جب فحبسته قال فضرب على في الليلة الثانية ضرر آخر أسهرني قال فزعت ثم قال كرت شأن الدينار فقلت لعل عوقبت بحبسه قال فاخرجه قبل الليل قال فنهت في هاتفلو لم تخرجه لقلعنا سنالك ضرر سائر ساحتى لا يبقى في فيك ضرر واحد فذه مطالبات الخصوص لم أقم ماتهم مخصوصون به

کاموعہ مقالہ فاضلہ کا نام اختصاراً ہے من الطوارید شکر و فائزہ

لَمْ يَكُنْ لَكَ فِعْلَةٌ قُلْتَ نَحْمُكُ أَنْ تَقُولَ مَا هُوَ مِنْكُمْ أَوْ تَقُولَ مَا هُوَ مِنْكُمْ

الحواشي الموضوعة على المتن في هذا الكتاب هي من تأليف المؤلف نفسه.

حاج محمد باقر

(الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة رأساً (٥٠٦) أما في النفس فكان النوم في الارض المسبعة أو في تجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل

مشدد عليهم فيعدون غيرهم قال وكذلك بلغني ان بنانا الجلال لم يكن يدخر شيئاً للغد ولا يبيت من النهار فحدثني بعض الاشياخ عن رآه وقد دفع اليه بمكة كيسا فيه خمسة مائة درهم قال فصره صررا وجعلها في ركوته ثم طاف بها على دور حول المسجد الحرام فجعل يلقيها الى الفقراء صرة صرة وهو يمشى حتى أنفـذها فقلت لانظرن من أين فطره هذه الليلة اذ لم يترك لنفسه شيئاً فلما كان بين العشاءين طاف في الوادى طوفة ومد يده وقال ثم شئـتـه فجعل في كفه وسعة فعدل الى باب الصفا فعددا كاه وشرب من ماء زمزم ودخل الطواف قال فسألتـه عن ذلك من الغد فقال ما حدثت نفسي أن أعيش الى الليل ولو قوى في قلبي ذلك لحبست منه القوت فهذا طريق هؤلاء ساكوه براهه بتقوى مثلهم اذ جعلت قلوبهم أوعية لمراده وحدثت عن بعض العارفين قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلامهم طريقا وأسرعهم سبيقا فقلت هذه أفضلهم أكون فيها فذهبت لاختطو اليهم وأدخل معهم في طريقهم فاذا بملأئكة حولهم قد منعوني وقالوا قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم ثم تمنعوني مع هؤلاء السابقين فقالوا هذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الاقيص واحد ومن كل شئ واحد وأنت لك قيصان ومن أشياء قال فانتهت با كحزينا فجعلت على نفسي أن لا أم لك من كل شئ الا واحدا والله أعلم

(الفن الثالث في بيان مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف) (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الاسباب الدافعة) للضرر (رأساً ما في النفس فكان النوم في أرض مسبعة) أى ذات سباع (أو في تجارى السيل من الوادى أو تحت الجدار المسائل الى السقوط أو) تحت (السقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة) ولا يصح توكله في شئ من ذلك ولومات مات عاصيا (نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم فيها من شرط التوكل) ومن أعمال المتوكلين (وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكى والرقية) والطيرة فانها أسباب مسبباتها عنها موهومة لا مقطوع بها ولا مظنونة (فان السكى والرقية قد يقدمهم على المحذور دفعا لما يتوقع) أى يتوهم من الشفاء (وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة) والدفع (ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين) فى قصة عكاشة (الابتك السكى والرقية والطيرة) فقال هم الذين لا يكتون ولا يرقون ولا يتطيرون (ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع لم يلبسوا جبة والجبة تلبس للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب) فالسكى والرقى والطيرة من الدرجات المتوسطة بين المرتجتين والمتوسط بين طرفين مشكل فى كل حال وظاهر سياق المصنف دال على بطلان التوكل بذلك تبعا لصاحب القوت وقال السكالك محمد بن اسحق الصوفى الصحيح عندي انه يبطل كماله لأصله لان الحديث ورد فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (نعم الاستظهار با كل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيج القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة) من الضرر (وان كانت مقطوعة بها) (وجه فاذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر أو أمكنه الدفع والتشقى) والاتصاف منه (فشرط التوكل الاحتمال والصبر) على الاذى من الفعل وتر جج جانبه على جانب الدفع (وهذا هو توكل الخصوص قال الله تعالى) لنبه صلى الله عليه وسلم (فاتخذ وكبلا واصبر على ما يقولون) أى توكل عليه واستعمل الصبر (وقال تعالى) حكايه عن الرسول عليه السلام (ولنصبرن على ما آذيتهمنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل) حين أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالناسى بهم فى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فقال (ودع أذاهم وتوكل على

والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها ومظنونة والى موهومة فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة السكى والرقية فان السكى والرقية قد يقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك السكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما فى معناها من الاسباب نسيم الاستظهار با كل الثوم مثلا عند الخروج الى السفر فى الشتاء تهيج القوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق فى الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الجبة ولترك الاسباب

الدافعة وان كانت مقطوعة وجه اذا ناله الضرر من انسان فانه اذا أمكنه الصبر أو أمكنه الدفع والتشقى (الله) فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى فاتخذ وكبلا واصبر على ما يقولون وقال تعالى ولنصبرن على ما آذيتهمنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال عز وجل ودع أذاهم وتوكل على

الله وقال سبحانه وتعالى
 فاصبر كما صبر أولو العزم
 من الرسل وقال تعالى
 نعم أجر العاملين الذين
 صبروا وعلى ربهم
 يتوكلون وهذا في أذى
 الناس وأما الصبر على
 أذى الحيات والسباع
 والعقارب فترك دفعها
 ليس من التوكل في شيء
 إذ لا فائدة فيه ولا يراد
 السعي ولا يترك السعي
 لعينه بل لأعانه على
 الدين وترتب الأسباب
 ههنا كترتها في الكسب
 وجلب المنافع فلا تطول
 بالأعادة وكذلك في الأسباب
 الدافعة عن المال فلا
 ينقص التوكل باغلاق
 باب البيت عند الخروج
 ولا بأن يعقل البعير لأن
 هذه أسباب عرفت بسنة
 الله تعالى ما قطعها وما
 ظنا ولذلك قال صلى الله
 عليه وسلم للأعرابي لما
 أن أهمل البعير وقال
 توكلت على الله اعقلها
 وتوكل وقال تعالى خذوا
 حذركم وقال في كيفية
 صلاة الخوف وليأخذوا
 أسلحتهم وقال سبحانه
 وأعدوا لهم ما استطعتم
 من قوة ومن رباط الخيل
 وقال تعالى اوسى عليه
 السلام فاسر بعبادى
 ليلاً والمتحصن بالليل
 اختفاء عن أعين
 الأعداء ونوع تسبب

الله لقوله عز وجل ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك من الكذيب والاذى (وقال سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وقال بعض العارفين لا يثبت لاحد مقام في التوكل حتى يستوى عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى يؤذى فيصبر على الاذى يستخرج بذلك منه رفع السكون الى الخلق والنظر الى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطالب للمعاوضة حياة من الله تعالى واجلاله وخوفه منه وحباله (و قد وصفهم الله تعالى بذلك طاهرا وباطنا فالظاهر (قال) الله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فلما علموا صبروا وعلى عملهم ثم توكلوا عليه في صبرهم فاجزل ذخرهم عنده منة وأنعم أجرهم والباطن فيما أنبر عنهم انما استطعتم لوجه الله لا تريد منكم جزاء ولا شكورا فقطعهم الخوف عن الطالب (وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لأعانه على الدين وترتيب الاسباب هنا كترتها في الكسب وجلب المنافع فلا تطول بالأعادة) هذا كله في الاسباب الدافعة عن النفس (وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير) بالعقل (لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى ما قطعها وما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أهمل البعير) أى تركه سائبا (وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل) قال العراقي رواه الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكرو رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد صحيح بلفظ قيدها اه قات ورواه الترمذي في الزهد وفي العلل وابن أبي الدنيا في التوكل والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية والقشيري وابن عساكر والضياء كلهم من طريق المغيرة بن أبي قررة السدوسي سمعت أنسا يقول قال رجل يا رسول الله اعقلها وتوكل وأطلقها وتوكل قال اعقلها وتوكل كل يعنى الناقة وقال الترمذي قال عمرو بن علي يعنى الغلاس شيخه قال يحيى بن سعيد القطان انه منكرو ثم قال الترمذي وهو غريب لا نعرفه من حديث أنس الامن هذا الوجه وانما أنكره القطان من حديث أنس وقدر وى عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه يشير الى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم من حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ناقةي وأتوكل قال اعقلها وتوكل ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وجعلنا في روايتهما القائل عمر انفسه وكذا هو عند أبي القاسم بن بشر في أماليه وأخرجه البيهقي كذلك من حديث جعفر لكن مر سلا قال وقال عمرو بن أمية يا رسول الله وذكره وهو عند الطبراني من حديث أبي هريرة بلفظ قيدها وتوكل وعند الخطيب في رواية مالك وابن عساكر من حديث ابن عمر قال قلت يا رسول الله فذكره مثله وفيه محمد بن عبد الرحمن بن ريسان متر ولشوفي رواية للبيهقي من حديث عمرو بن أمية قيد وتوكل وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا غيلان بن عبد الصمد حدثنا اسمعيل بن مسعود الجحدري حدثنا خالد بن يحيى حدثني عبي الغيرة بن أبي قررة عن أنس بن مالك قال جاء رجل على ناقته فقال يا رسول الله أدعها وتوكل فقال اعقلها وتوكل (وقال تعالى) يا أيها الذين آمنوا (خذوا حذركم) أى اسلحتكم (وقال في كيفية صلاة الخوف وليأخذوا أسلحتهم وقال) في جهاد الكفار (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ترهبون به عدو الله وقال تعالى فاسر بأهلك بقطع من الليل (وقال تعالى اوسى عليه السلام فاسر بعبادى ليلاً والمتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار) أى غار ثور عند ارادة الهجرة (اختفاء عن أعين الأعداء فعلا للضرر) العارض منهم ومثل هذا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينحصر ولو فرضنا وليا من أولياء الله اتسع قلبه بهذه الحالة حتى قوى قلبه على الدخول في الاسباب مع ملاحظتها كان ذلك كمالا في ولايته لأنها ترتب الانبياء عليهم السلام ومن لم ير الاسباب رأسا فقد جهل ما بين السماء والارض الا اذا كان ذاهلا عنها لا يستغراقه بمسبب الاسباب فهذه عند العلماء بالله حالة المقربين من الصديقين (وأخذ

واختفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اختفاء عن أعين الأعداء فعلا للضرر وأخذ

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمنطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وان كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك (٥٠٨) شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت وهل من علامة

السلاح في الصلاة ليس دافعا قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا سابقاً (ان المظنون كالمنطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة) من الاولياء (ان منهم من وضع الاسديده على كتفه ولم يتحرك) باطنه ولم يدخله الرعب أصلاً (فاقول وقد حكي عن جماعة منهم انهم ركبوا الاسد وسخروه) كما وقع ذلك لابراهيم بن أدهم وغيره كما في الحلية ووقع مثل ذلك لابراهيم الخواص اذ كان يقصد الفباض المسبعة وجبل الحيات والاودية الغامضة الموحشة يبيت فيها وعالج شأن جماعة من الجن في البراري والغار والكهوف والغيران وكلوه في قصص كثيرة كما في القوت (فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وان كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات) ومن فضائل بعض مقامات المتوكلين ومقتضى أحوال بعض الموقنين (وايس ذلك) كله (شرطاً في التوكل) ولا من فرضه وانما فرض التوكل عقد العقد والاستسلام بحسن التقوى ليس للرب ونفي عوارض الآفات الداخلة على المتوكل من السكون الى الاسباب والركون الى الخلق في المعتاد (وفيه) أي في هذا المقام (اسرار) غريبة (لا يقف عليها من لم ينته اليها فان قلت هل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل) الى تلك المقامات (لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه) لاجل الاختبار حتى لا يقع في غرور (أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك) أي جلدك (بسمي الغضب) شبهه في كون كل منهما عقوراً (فلا يزال بعضك وبعض غيرك) ولذلك قال بعض الرهبان لما قيل له يا راهب لست براهب انما أنا ساجر كلب أخاف أن بعض الناس أراد به نفسه (فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى) أي أغرى (لم يستش الا باشارتك) أي لم يثق الا بها (وكان مسخر لك) منقاداً في طوعك فاذا اتهم لك ذلك (فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع) في البر (وكلب دارك أولى من أن يكون مسخراً لك من كلب البوادي وكلب اهابك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن) الذي هو النفس الامارة بالغضب (فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر) فهذا أحد العلامات فاختر بها نفسك (فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق باباً حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً) وما فعله ظاهره يناقض التوكل (فاقول يكون متوكلاً بالعلم والخال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع) عن بيته لم يندفع (بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه) ولولا دفع الله لم يندفع والا (فكم من باب يغلق ولا ينفع) بل يكسر الغلق ويؤخذ ما فيه أو يتسور عليه (وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلق) من عقله (وكم من أخذ سلاحه يقتل أو يغلب) من حيث لا يدري (فلا يتشكل على هذه الاسباب أصلاً بل على مسبب الاسباب) ومسخرها ومسئولها وهذا انما يصل اليه بقوة عمله في توحيد الباري جل جلاله (كما ضرب بنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر واحضر السجل فلا يتشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته) ومساعدته (وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت) من المتاع (من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني) من المتاع (هبة)

أعلم بها اني قد وصلت اليها فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال بعضك وبعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج وأشلى لم يستش الا باشارتك وكان مسخراً لك فربما ترتفع درجتك الى أن يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بان يكون مسخراً لك من كلب البوادي وكلب اهابك أولى بان يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استئثار الكلب الظاهر فان قلت فاذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق باباً حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً فاقول يكون متوكلاً

بالعلم والخال فاما العلم فهو أن يعلم أن اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل لم يندفع الا بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلق وكم من أخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا يتشكل على هذه الاسباب أصلاً بل على مسبب الاسباب كما ضرب بنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه ان حضر واحضر السجل فلا يتشكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فاني لا أدري أن ما أعطيتني هبة

فلا تسترجعها أو عار به ووديعه فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزقي غيري وكيف ما قضيت فاناراض به وما أغماقت الباب تحصنه من قضائك وتخطأه بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب فلا تفتك الابل بامسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فبينغي أن يكون ذلك عنده نعمته جديدة من الله تعالى وان لم يجد بل وجده مسروقاً فانظر الى قلبه فان وجده راضياً (٥٠٩) أو فرحاً بذلك عالمائه مأخذاً به

تعالى ذلك منه الا
ليز يد رزقه في الآخرة
فقد صرح مقامه في التوكل
وظهر له صدقه وان تالم
قلبه به ووجد قوة الصبر
فقد بان له انه ما كان
صادقاً في دعوى التوكل
لان التوكل مقام بعد
الزهد ولا يصح الزهد
الا من لا يتأسف على
ما فات من الدنيا ولا
يفرح بما يأتي بل يكون
على العكس منه فكيف
يصح له التوكل نعم قد
يصح له مقام الصبر ان
أخفاه ولم يظهر شكواه
ولم يكثر سعيه في الطلب
والتجسس وان لم يقدر
على ذلك حتى تاذي
بقله وأظهر الشكوى
بلسانه واستقصى الطلب
بيده فقد كانت السرقة
مزيداً له في ذنبه من
حيث انه ظهر له قصوره
عن جميع المقامات
وكذب في جميع الدعاوى
فبعد هذا ينبغي أن
يجتهد حتى لا يصدق
نفسه في دعاؤه ولا
يتدلى بجمل غرورها
فانها خداعة أماره

محضة منك (فلا تسترجعها أو عار به ووديعه فتستردها ولا أدري انه رزقي أو سبقت مشيئتك في الازل بانه رزقي غيري وكيف ما قضيت فاناراض به) على كل حال (وما أغماقت الباب تحصينه من قضائك وتخطأه بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الاسباب) على مسيبتاتها (فلا تفتك الابل بامسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح واغلاق الباب ثم) ذلك المتوكل (اذا عاد فوجد متاعه في البيت) لم يؤخذ (فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمته جديدة من الله تعالى وان لم يجد بل وجده مسروقاً فانظر الى قلبه فان وجده راضياً أو فرحاً بذلك عالمائه مأخذاً به ذلك منه الا يزيد رزقه في الآخرة) وانه ما من رزق ينقص له من الدنيا الا وهو زيادة له في رزق الآخرة كما سبق (فقد صرح مقامه في التوكل وظهر له صدقه) فيه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه أعطى ثواب السالكين من الراضين كما جاء في الخبر يارب من أولياؤك من خلقك قال الذي اذا أخذت منه المحبوب فسامني (وان تالم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقاً في دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد) وان لم يكن شرطاً فيه (ولا يصح الزهد الا من لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه) كما تقدم في كتاب الزهد (فكيف يصح له التوكل) وهو لم يكن في مقام الزهد ومقامات اليقين التسعة كلها على ترتيب ومثل هذا جناية من المؤمنين يستغفرون الله منه ويتوبون اليه كما يتوبون من المعاصي (نعم قد يصح له مقام الصبر ان أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس) فهو يعطى ثواب الصابرين المجاهدين (وان لم يقدر على ذلك حتى تاذي بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب بيده فقد كانت السرقة مزيداً له في ذنبه من حيث انه ظهر له قصوره عن جميع المقامات) الصبر والشكر والتقوى والزهد والتوكل والتوكل والرضا (و) ظهر أيضاً (كذبه في جميع الدعاوى) فليكن على نفسه وليستأنف التوبة والدخول في الطريق (فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤه ولا يتدلى بجمل غرورها فانها خداعة) غرارة (أماره بالسوء مدعية للخير) فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار عند الموقنين (فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ) والمتوكل لا يأوي على مال ولا متاع (فاقول للمتوكل لا يخاف بيته من متاع كقصعة بالكل فيها كوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجواب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت) كصيرة يرقد عليها ويصلي فوقها وسادة يضعها تحت رأسه (وقد يدخل في يده مال) من ارث أو كسب أو هبة أو غير ذلك (وهو بمسكه) عنه بعد أن يغفل من قوته (لجيد محتاجاً في صرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلاً لتوكله) بل هو مدخر لحققت الله التي أوجها عليه والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدا علواً (وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي) يحفظ (فيهمزاده وانما ذلك في الماء كولي في كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله تعالى جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد) من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون (وما حرت السنة بتفرقة الكيزان والامتنعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل ولذلك كان) ابراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى مع شدة مذهبه في الادخار (ياخذ

بالسوء مدعية للخير فان قلت فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ فاقول للمتوكل لا يخاف بيته من متاع كقصعة بالكل فيها كوز يشرب منه وانا يتوضأ منه وجواب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال وهو بمسكه ليجد محتاجاً في صرفه اليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلاً لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه والجرب الذي فيه زاده وانما ذلك في الماء كولي في كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله جارية بوصول الخير الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما حرت السنة بتفرقة الكيزان والامتنعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل ولذلك كان الخواص يأخذ

في السفر الحبل والركوة والمقراض والامرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهي له حاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حبل بينه وبين ما يشتهي فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخير له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخير له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل أن تكون خبرته في أن يتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر (٥١٠) فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن

الله عز وجل علم أن الخير كانت لي في وجودها الى الآن والخير في الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها أسباب بل من حيث انه يسرهما سبب الاسباب عناية وتلطفا وهو كالريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قر به الى وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقد المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا

في السفر الحبل والركوة والمقراض والامرة) ويقول هي من لوازم الدين (دون الزاد لكن سنة الله جارية في الفرق بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا أخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وان كان أمسكه لانه يشتهي له حاجته اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حبل بينه وبين ما يشتهي فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخير له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخير له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه اياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ لا يحتمل أن تكون خبرته في أن يتلى بفقد ذلك حتى ينصب) أو يتعب (في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التعب والنصب أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله عز وجل علم ان الخير في كانت في وجودها الى الآن) فكانت في حيازتي (والخير في الآن في عدمها لما أخذها مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالاسباب من حيث انها أسباب بل من حيث انه يسرهما سبب الاسباب عناية وتلطفا) وشفقة عليه ورحمة (وهو كالريض بين يدي الطبيب الشفيق) المحب لبقائه (يرضى بما يفعله) معه (فان قدم اليه لغذاء فرح وقال لولا انه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قر به الى وان أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى) وعنايته به (ما يعتقد المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري أي الاسباب خير له) فهي بمنزلة النجوم مسخرات له بامر الله (قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي) وقد سبق (فكذلك ينبغي أن لا يبالى المتوكل بسرقة متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان) ولولا اهلاك (وكم من غنى يتلى بواقعة لا جل غناه يقول باليتنى كنت فقيرا) فالخير لله سبحانه في سائر الاحوال

(بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم)

اعلم انه (للمتوكل آداب) سواء كان منفردا أو معيلا وتلك الآداب ينبغي مراعاتها وهي (في متاع بيته اذا خرج عنه) لحاجته (الاول أن يغلق الباب) فهذا أثره (ولا يجوز ان يستقصي في اسباب الحفظ كالتاسه من الجيران الحفظ مع الغلق وتجميعه اغلاقا كثيرة) فلا استقصاء في هذا بنحو ذلك مما يناقض التوكل لانه يدل على عدم الثقة بالله وقبل يبطل كاله لأصله (فقد كان) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالى (لا يغلط بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا) كذا في القوت وأخرج أبو نعيم في

يصح منه التوكل أصلا ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في اصلاح عبادته لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري الحلية أي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا بأالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالى المتوكل بسرقة متاعه أو لا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يتلى بواقعة لا جل غناه يقول باليتنى كنت فقيرا *(بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم)* للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج عنه (الاول) أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتاسه من الجيران الحفظ مع الغلق وتجميعه أغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلط بابه ولكن يشده بشرط ويقول لولا الكلاب ما شدته أيضا

(الثاني) أن لا يترك في البيت متاعا يحرض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم أو ماساكة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركة قال خذها لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس إلى العدو (٥١١) أن اللص أخذها فأكاله احتار أن يعصى

السارق ومن شغل قلبه
يوسوس الشيطان
بسرقتها ولذلك قال أبو
سليمان هذا من ضعف
قلوب الصوفية هذا زهد
في الدنيا فسا عليه من
أخذها (الثالث) أن
ما يضطر إلى تركه في
البيت ينبغي أن ينزوي
عند خروجه الرضا بما
يقضى الله فيه من تسليط
سارق عليه ويقول
ما يأخذه السارق فهو
منه في حل أو هو في سبيل
الله تعالى وإن كان فقيرا
فهو عليه صدقة وإن لم
يشترط الفقر فهو أولى
فيكون له نيتان لو أخذه
غنى أو فقيرا أحدهما
أن يكون ماله مانعاً له
من المعصية فأنه ربما
يستغنى به فيتوانى عن
السرقته بعده وقد زال
عصيانه بكل الحرام لما
أن جعله في حل والثانية
أن لا يظلم مسلماً آخر
فيكون ماله فداء لعمال
مسلم آخر وهو ما ينزوي
حراسة مال غيره بمال
نفسه أو ينزوي دفع
المعصية عن السارق
أو تخفيفها عليه فقد
نصح للمسلمين وامتنل
قوله صلى الله عليه وسلم

الحلية من طريق يوسف بن عطية الصفار عن مالك بن دينار قال من دخل بيتي فأخذ شيئاً فهو له حلال أما أنا فلا
احتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح (الثاني) أن لا يترك في البيت متاعاً يحرض عليه السرقة فيكون هو سبب معصيتهم
وأمساكة يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركة (فأخذها منه ثم بعد
أيام (قال) له) (خذها لا حاجة لي بها قال لم قال يوسوس إلى العدو أن اللص أخذها) قد تقدم عند أبي نعيم
في الحلية أخرجه من طريق الحرث بن نهران الجرمي قال قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركة
قال فكانت عنده قال فبغت يوماً فجلست في مجلسه فقال يا حارث بن نهران تعال فخذ ركة تلك فقد شغلت على قلبي
الح والمصنف تبسع صاحب القوت فانه هكذا ذكره عن المغيرة ولعلها مقصتان (فكانه احتار زمن أن يعصى
السارق ومن شغل قلبه يوسوس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان) الدار في رحمه الله تعالى لتليذه
أجد بن أبي الحواري حين سألته عن هذه القصة (هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فسا عليه من
أخذها) قال صاحب القوت وهذا كما قال أبو سليمان لأن الزهد إذا حق دخل الرضا والتوكل فيه ولقول مالك
أيضاً وجه كأنه كره أن يعصى الله به فيكون سبباً لمعصية الله ولكن قول أبي سليمان أعلى لأجل مقام التوكل
والرضا (الثالث) أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينزوي عند خروجه) منه (الرضا بما يقضى الله فيه
من تسليط سارق عليه) فإن الرضا حال التوكل (ويقول) اللهم إن جميع (ما) في منزلي إن سلطات عليه من
(يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو) صدقة (في سبيل الله تعالى فإن كان) لا أخذ (فقيراً فهو عليه صدقة)
منى وفي القوت إن كان لا أخذ فقيراً حله على السرقة الحاجة أمضى صدقته عليه وإن كان غير ذلك صرفها إلى
فقير وهو مأجور على الصدقة وعلى السارق والبغى إذا حلهما على ذلك الحاجة (وإن لم يشترط الفقر فهو أولى)
ولفظ القوت قد كان بعض السلف إذا أخذه الشيء يشترط فيقول إن كان فقيراً فهو صدقة عليه وإن كان
محتاجاً فهو منه في حل انتهى ووجه أولويه عدم الاشتراط لأن الله تعالى حكماً حقيقة في الغيب والظاف
ومصالح وحسن توفيق لاهل ولايته بحيث لا يعلمون ومن حيث لا يحتسبون كما يستخرج لهم رزقهم من الحرام
والحلال وكما يشهدهم الحق والعدل من الباطل والمحال وكما يعلمهم الفهوم ويظهر لهم العلوم من الجلال بحسن
عنايته بهم وفضل أثر قولهم (فتكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقيراً أحدهما أن يكون ماله مانعاً له من
المعصية فأنه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بكل الحرام لما أن جعله في حل
الثانية أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لعمال مسلم آخر وهو ما ينزوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينزوي
دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتنل قوله صلى الله عليه وسلم أنصر أهلك
ظالمًا أو مظلوماً) قبل يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالمًا قال تحجزه عن المعاصي فإن ذلك أنصره
رواه أحمد وعبد بن حيد و البخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس ورواه ابن حبان أيضاً من حديث
ابن عمر وقد تقدم (ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم) كما هو مفهوم الحديث (وعفوه عنه أعدام الظلم ومنع
له) فإذا عفا عنه فقد منع عن الظلم بعفوه لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفو عنه مقام
رؤيته وهذا يدخل في إشفات الخائفين من فضل مطالبة الظالمين (وليحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من
الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الإزلي) الذي سبق في الكتاب الأول (ولكن ليحقق
بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم) تلف ولم يعد للثلف وحسن اليقين وتفويض التسليم (سبع مائة
درهم) كأنه قد أنفق في سبيل الله بحسبه ذلك (لأنه) قد كان (نواه وقصده) وإن لم يؤخذ حصل له الآخر
أيضاً كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها) توكل على ممكنها (إن له

أنصر أهلك ظالمًا أو مظلوماً ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم وعفوه عنه أعدام الظلم ومنع له وليحقق أن هذه النية لا تنصر بوجه من الوجوه إذ
ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الإزلي ولكن يتحقق بالزهد نية) فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبع مائة درهم لأنه نواه وقصده وإن لم
يؤخذ حصل له الآخر أيضاً كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فافر النطفة قرارها) إن له

أجر غلام ولد له في ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان لم يولد له) فقال أنت تخلقه أنت ترزقه اليك مجياه
وعماته أقرها قرارها وذاك هكذا نقله صاحب القوت وقال العراقي لم أجده أصلاً (لانه ليس اليه في أمر
الولد الا الوقاع فاما الخلق والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لك ان توابه على فعله وقوله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة الرابع انه اذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن) عليه (بل يفرح ان أمكنه ويقول
لولا ان الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى) لعله بان الوكيل اعلم بالصحة وفي القوت ولا ينبغي للمتوكل الموقن
أن يحزنه ما حوله من قبضته وهي خزائنه الى خزائنه الاخرى التي هي يد غيره فما لعله بهبه له فيكون رزقه
أو ينشأ به باحكامه فيه فيخرج أيضاً من يده لانه خرج من الدار شي والله حكمة وابتلاء في كل شيء فالحزن
والاسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية من المؤمنين يتوبون الى الله تعالى منها لانه تعالى قد أمرهم
بترك الاسي على ما فات من الدنيا وقلة الفرح بما آتاه منها الا لا بد في كونها لانه قد علمه وبعد علمه قد كتبه ثم
اعلم به فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين لان جميع ذلك قد سبق في كتاب وجرى به القلم في اللوح أفلا
يستحي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاة فبأسي على ما ليس له ويحزن على
ما استودعه لما منه استرجعه أو يفرح بما لم يكن في علم الله سبق له لانه لم يكن يعلم هل كان وهبه له فيبقى عليه
أو أعـبـه وأودعه فيرتجعه منه فلما أخذ من يده ورد الى معطيه ومودعه وكانت يده مع ذلك خزنة الوكيل
وقبضته أيقن انه لم يكن له وانما كان ودبعة عنده فاذا حزن وساء فقد شك لما يقن وجهل اذ علم ورغب
وكان ينبغي أن يكون زهد فأي شرك في الملك أظهر من هذا فهو ثمة الملك للاختيار بالتقليد ولو سمع ما علم
من قوله ولم يكن له شريك في الملك ثم ردوا الى مولاهم الحق لقال تحقيرة لاتصدق ان الله وانا اليه راجعون
فايقن ان ما في يده لمولاه اذا العبد وماله لسيده ثم ايقن انه اليه راجع وان ما خرج من يده فانه في قبضة الله لم
يخرج من خزائنه ولا نقل من ملكه ولا حول من داره لانه في الدار بعد لم يخرج وانما نقله من تمالك أدنى اليوم
الى ملك أعلى غد وذلك حسن اختيار من المختار وبلوى اختبار من الجبار فلهذه شهادة الموقنين بعين اليقين وهو
مقام الشاهدين ثم قال وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لسكل من ذهب له مال في سفر أو حضر
ولسكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقد هابط قلبه وكانت في خلده ووجده وان لم
ينطق بها أو يظهرها وهو وجد الراضين وحال المتوكلين وان لم يتسكاهوا به أو يعلم منهم فاكثرت الناس ايماناً
وأحسنهم يقيناً فلهم عما أيسرهم أبقى على ما فات من الدنيا وأنفذهم شهادة من رأى ذلك نعمة أوجبت عليه
شكراً فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا وشدة الغم على فوت الدنيا دليل على جهلها فان وجد المتوكل رحله
بحاله أو رد عليه بعد أخذ له يضره ببقية شيئاً وكان له أجور بما ذكرناه من الاعمال الصالحة بالنيات التي
وصفناها ولا اعلم هذا القول واعتقاده عند خروجه من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينقصه شيئاً
ولا يضره ولا يقدم ضياع شيء حكم الله تعالى ببقائه ولا يدخر تلك العقد لهذا تبقى ما حكم الله بذهابه ومع ذلك
فيكون له حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات (ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبلغ
في طلبه وفي اساعة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة
فان أعيد عليه فالاولى أن لا يقبله بعد ان كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وان قبله فهو في ملكه في سبيل الله عز وجل
(العلم لان الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين) ولفظ القوت بعد قوله ومع ذلك فيكون له
حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات الاشياء واحداً من باب نقصان الدنيا وهو من طريق الورع فانه
ينقصه وهو انه ان أخذ ما توكل الله فيه فرد الامر به اليه ثم رد عليه لم يستحب له في الورع أن يتركه ولا أن
يرجع فيه في حسن الادب لانه قد كان جعله في سبيل الله فان رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لانه قد صح تفويضه
الى الوكيلين في الحالين جميعاً فيكون رد ما ياء عليه لانه كان قد وهبه له وانما روعه بفقده وبمنزلة ابتداء اعطائه منه
(وقد روى ابن عمر) رضي الله عنه (سرقته ناقة فطلبها حتى أعيانها قال) هي (في سبيل الله فدخل المسجد

أجر غلام ولد له من ذلك
الجماع وعاش فقتل في
سبيل الله تعالى وان لم
يولد له لانه ليس أمر الولد
آلا الوقاع فاما الخلق
والحياة والرزق والبقاء
فليس اليه فلو خلق
لك ان توابه على فعله
وقوله لم ينعدم فكذلك
أمر السرقة (الرابع)
انه اذا وجد المال
مسروقاً فينبغي أن لا
يحزن بل يفرح ان أمكنه
ويقول لولا ان الخيرة
كانت فيه لما سلبه الله
تعالى ثم ان لم يكن قد
جعله في سبيل الله عز
وجل فلا يبلغ في طلبه
وفي اساعة الظن بالمسلمين
وان كان قد جعله في
سبيل الله فيترك طلبه
فانه قد قدمه ذخيرة
لنفسه الى الآخرة فان
أعيد عليه فالاولى أن
لا يقبله بعد أن كان قد
جعله في سبيل الله عز
وجل وان قبله فهو في
ملكه في ظاهر العلم لان
الملك لا يزول بمجرد تلك
النية ولكنه غير محبوب
عند المتوكلين وقد روى
ابن عمر سرق ناقة
فطلبها حتى أعيانها قال في
سبيل الله تعالى فدخل
المسجد

قال نعم انى لأزال خرينا
انى يوم القيامة قلت ولم
قال انى لما رأيت منازلى
فى الجنة رفعت لى مقامات
فى علمين ما رأيت مثلها
فبما رأيت ففرحت بها
فلما هممت بدخولها
نادى مناد من فوقها
اصرفوه عنها فليست هذه
له انما هي لمن أمضى
السبيل فقلت وما مضى
السبيل فقبل لى كنت
تقول لاشئ انه فى سبيل
الله ثم ترجع فيه فلو
كنت أمضيت السبيل
لامضيتا لك وحكى عن
بعض العباد بمكة أنه كان
نائما الى جنب رجل معه
هميانه فانبته الرجل
ففقد هميانه فاتهم به
فقال له كم كان فى
هميانك فذكر له فعمله
الى البيت ووزنه من
عنده ثم بعد ذلك اعلمه
اصحابه انهم كانوا أخذوا
الهميان من جامعهم فناء
هو واصحابه معه وردوا
الذهب فاى وقال نخذه
حلالا طيبا فانا كنت
لاعود فى مال آخر جته
سبيل الله عز وجل فلم
يقبل فالحوا عليه فربما

(٦٥ -) (انخاف الساده المتقين) - (تاسع)
 ابغاله وجعل بصره صررا ويبحث بها الى
 هكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبه في العاطيه فقير افغاب عنه كان يكره رده الى البيت بعد اخراجه فيه
 فعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات * (الخامس) * وهو أقل الدرجات أن لا يدعوا على السارق الذي ظلمه بأحد
 دل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فيما أصيب به

ففي الخبر من دعا على ظالمه فقد انتصر وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً وكان فاعماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم بعزونه فقال أما اني قد كنت رأيت وهو يحمله قبل وما منعك أن تزوجه قال كنت فيها هو أحب الي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تنعولوا (٥١٤) وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه وقبل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعوا على

ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لورد عليك قال لا آخذه ولا أنظر إليه لاني كنت قد أحلته له وقيل لا تخردع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً وأكثر بعض شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تعالى ينتصف للحجاج من انتك عرضه كما ينتصف منه ان أخذ ماله ودمه وفي الخبر ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم الظالم بسببه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبيق للظالم عليه مطالبته بما زاد عليه يقتص له من المظالم * (السادس) * أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دينه لانقصا في دينه فقد شكاب بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال

بالعفو عن الظالم وتفضيل العايفين عن الناس فاولم يكن هذا أفضل ما مدحوا به ولا فضلاً بفعله وهذا مذهب الأكثر وهو أحب الي وكذلك كان رأي السلف الاول قلت واليه مال المصنف (في الخبر) قال صلى الله عليه وسلم (من دعا على ظالمه فقد انتصر) رواه ابن أبي شيبة والترمذي وضعفه وابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة بلفظ على من ظلمه (وحكى ان الربيع بن خيثم) الثوري السكوني العابد تابعي ثقة (سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً) درهمهما (وكان فاعماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم) من الناس يخزنون له و (بعزونه فقال أما اني قد كنت رأيت وهو يحمله) من مربوطه (قبل وما منعك أن تزوجه قال كنت فيما هو أحب الي من ذلك) يعني الصلاة قال (فجعلوا يدعون عليه) الله يفعل به كذا وكذا (فقال لا تنعولوا وقولوا خيراً فاني قد جعلتها صدقة عليه) فلولاه اعتقه وتخلله والعفو عنه لكان من المعاونين على الأثم والعدوان وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ثم قال تدمه من الظلم فذلك نصر لك اياه فهذا الولا عفو عن ظلامته كان قد خذله وما نصره ولم يحطه أحد من السلف في هذا الفعل بل فعل ذلك على التفضيل له (وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له ألا تدعوا على ظالمك قال ما أحب ان أكون عوناً للشيطان عليه قيل أرايت لوردت عليك) سرقك كنت تأخذها (قال لا آخذها ولا) كنت (انظر اليها لاني قد كنت أحللتها له) وفي نسخة أحلته لها نقله صاحب القوت (وقيل لا تخردع الله على ظالمك فقال ما ظلمني أحد ثم قال انما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً) كذا في القوت قال وذبح لبعض المسلمين مال فخاؤا بعزونه عليه فقال علام تعزوني على أمر الله فوالله ما خزنت على ذهابه قبيل ولم قال شغلني الشكر عليه من الحزن (وأكثر بعضهم شتم الحجاج) بن يوسف الثقفي (عند بعض السلف في ظلمه) قيل هو الحسن البصري (فقال له لا تغرق في شتمه) أي لا تبلغ ولا تكثر (فان الله تعالى ينتصف للحجاج من انتك عرضه كما ينتصف منه ان أخذ ماله ودمه) وفي نذر الخبر المأثور من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على ظالمها أحسب في سرقة لا يستحق عنه يقول لا توسع عليه في التوسيع عليه نقصان من ظلامة المظلوم بقدر ذلك إلا أن يصير للظالم زيادة بفضل ما انتك منه (و) بطابقه ما جاء (في الخبر) الآخر (ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم الظالم وبسببه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبيق للظالم عليه مطالبته بما زاد عليه يقتص له من المظالم) وألفظ القوت ان العبد ليظلم بالظلمة أو يسرق له الشيء فلا يزال يدعوه عليه وبسببه حتى يستوفي بقدر ظلامته ويبيق للظالم فضل يؤخذ له من المظالم وقد تقدم في كتاب آفات اللسان (السادس) أن يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دينه لانقصا في دينه فقد شكاب بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال

ان لم يكن لك غم انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك فما نصحت للمسلمين وسرق من علي بن الفضل رضى دنابر وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال ألعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسكين أن يسئل يوم القيامة ولا تكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف

رضي الله عنهم أجمعين * (الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر وكداواة المرض وأمثاله) * (٥١٥) اعلم أن الـ

رضي الله عنهم أجمعين) وقد كان أبو ساهمان الإداري يقول إنما البغض لأهل المعاصي عند النظر إليهم عليها
فاذا تفكرت فيما يصبرون إليه من العقوبة دخلت الرحمة لهم القلب

(الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر وكداواة المرض وأمثاله اعلم) أرشدك الله تعالى (أن الأسباب المزيلة
للمرض أيضا تنقسم إلى مقطوع به كالسوء المزيل لضرر العطش والخبر المزيل
كالنصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والبرودة
وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكى والرقية أما المقطوع) به (فليس من التوكل) أي من
شرطه (تركه بل تركه حرام عند خوف الموت وأما الموهوم فشرط التوكل تركه أذبه وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم المتوكلين) في الحديث السابق (وأقواها السكى وتلبه الرقية والطيرة آخر درجتها والاعتماد عليها
والإتكال عليها غاية التعمق) والتدقيق (في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة المتوسطة) بين المقطوع والموهوم
(وهي المظنونة كالداء وبالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه
ليس محظورا بخلاف المقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهسى على
درجة بين الدرجتين و) مما (يدل على أن التدوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وأمره أَمَا قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام
يعنى الموت) قال العراقي واه أجد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن
ماجه مختصر أدون قوله عرفه الخ واسناده حسن ولترمذى وصححه من حديث أسامة بن شريك الألهرم
وللطبراني في الأوسط والبراز من حديث أبي سعيد الخدرى ومن حديث ابن عباس إلا السام وسندهما
ضعيف وللبخارى من حديث أبي هريرة ما أنزل الله داء إلا أنزل الله له شفاء ولمسلم من حديث جابر السكلى داء
دواء انتهى قلت حديث ابن مسعود رواه كذلك الحكيم وابن السنى وأبو نعيم في الطب وألحاكم والبيهقى
ولفظه ما أنزل الله من داء إلا أنزل الله معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وهو عند ابن ماجه مختصر من حديثه
ولفظه ما أنزل الله داء إلا أنزل الله الدواء وفي رواية له من حديث أبي هريرة مثله إلا أنه قال شفاء عبد الله
ومثله في حديث ابن مسعود عند النسائي وابن حبان وألحاكم وفي آخره زيادة روى الخطيب من حديث
أبي هريرة ما أنزل الله عز وجل داء إلا وقد جعل له في الأرض دواء علمه من علمه وجهله من جهله وبقيته حديث
جابر عند مسلم فإذا أصيب دواء الداء برأ بأذن الله تعالى وأما ذكر السام ففي حديث أبي سعيد أن الله تعالى لم
ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت هكذا رواه ابن السنى وأبو نعيم في
الطب وألحاكم وذكر الهرم في حديث ابن مسعود أن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم فعليكم
بالبان البقر فانهم أنتم من كل شجر هكذا رواه ألحاكم والبيهقى وقد جاء ذكره ما جمعا في حديث أسامة بن
شريك الاتداو وإفان الله لم ينزل داء إلا وقد أنزل له شفاء إلا السام والهرم هكذا رواه ابن حبان (وقال) صلى الله
عليه وسلم (تداو واعباد الله فان الله خلق الداء والدواء) قال العراقي واه الترمذى وصححه وابن ماجه واللفظ
له من حديث أسامة بن شريك انتهى قلت وفيه زيادة في آخره عند ابن حبان وقد ذكر قبل هذا رواه أبو
نعيم في الطب من حديث ابن عباس تداووا أن الله عز وجل لم ينزل في الأرض داء إلا أنزل له شفاء وروى أجد
والطحاوى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان وألحاكم من طريق زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال
جاءت الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فقالوا يا رسول الله أنتدوى قال نعم إن الله لم ينزل داء إلا
أنزل له شفاء إلا الموت والهرم تداو واعباد الله فان الله لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا داء الهرم وروى
القضاعى من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة تداووا فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء (وسئل)
صلى الله عليه وسلم (عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله تعالى) قال العراقي رواه

اب المزيلة للمرض أيضا
تنقسم إلى مقطوع به
كالسوء المزيل لضرر
العطش والخبر المزيل
لضرر الجوع وإلى مظنون
كالنصد والحجامة وشرب
الدواء المسهل وسائر
أبواب الطب أعني معالجة
البرودة بالحرارة والحرارة
بالبرودة وهي الأسباب
الظاهرة في الطب وإلى
موهوم كالسكى والرقية
أما المقطوع فليس من
التوكل تركه بل تركه
حرام عند خوف الموت
وأما الموهوم فشرط
التوكل تركه أذبه وصف
رسول الله صلى الله عليه
وسلم المتوكلين وأقواها
السكى وتلبه الرقية والطيرة
آخر درجتها والاعتماد
عليها والاتكال الهياغاية
التعمق في ملاحظة
الأسباب وأما الدرجة
المتوسطة وهي المظنونة
كالداء وبالأسباب الظاهرة
عند الأطباء ففعله ليس
مناقضا للتوكل بخلاف
الموهوم وتركه ليس
محظورا بخلاف المقطوع
بل قد يكون أفضل من
فعله في بعض الأحوال
وفي بعض الأشخاص
فهسى على درجتين
الدرجتين ويدل على أن
التدوى غير مناقض
للتوكل فعلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره أَمَا قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام يعنى الموت
وقال عليه السلام تداو واعباد الله فان الله خلق الداء والدواء وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله

الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذي وهذا أصح انتهى
قلت حديثه عن الزهري عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أرأيت رقي نرقى
بها وأدوية تتداوى بها الحديث قال ابن عبد البر ذكره يعني أبا خزيمة بعضهم في الصحابة الحديث خطأ في روايه
عن الزهري وهو تابعي وكأنه جنح الى تعريبه من قال عن ابن أبي خزيمة عن أبيه وقال ابن فيكون أخرج حديثه
الباوردى والطبراني أيضا من طريق عبد الرحمن بن اسحق عن الزهري وقيل عن الزهري وعن ابن أبي خزيمة
عن أبيه وروى بها ابن عبد البر (وفي الخبر المشهور ما مررت) ليلة أسري بي (بملا من الملائكة الا قالوا) يا محمد
(مرأيتك بالحمامة) لانهم من بين الامم كلهم أهل يقين وإذا اشتعل نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر
بالقلب وبالطبع وقال التوربشتي وجه الحمامة منه في أمر الحمامة سوى ما عرف منها من المنفعة العائدة على
الابدان أن الدم مركب من القوى النفسانية الحائلة بين العبد وبين الترقى الى عالم الملكوت الاعلى والوصول
الى الكشوفات الروحية وغلبته تزيد جفاف النفس وصلايتها فاذا ترف الدم أو رثها ذلك خضوعا وخروجا
ولينا ورقة ولذلك تنقطع الادخنة المنعشة عن النفس الامارة وتحسم مادتها فتزداد البصيرة نور الى نورها
قال العراقي روى الترمذي من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وله ولا بن ماجه من حديث ابن عباس
نحوه عليك بالحمامة وقال حسن غريب وله ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت في سند
الترمذي أجده بن بديل السكوني قال في الكشاف لينة ابن عدى والدارقطني ورضيه النسائي وعبد الرحمن بن
اسحق ضعفوه وفي سند ابن ماجه كثير بن سليم الضبي كفى الميزان وعدوا من منا كبره هذا الحديث ولذلك
قال الصدر المناوي في تخريج أحاديث المعاصي انه منكر وروى الطبراني وابن السني وأبو نعيم في الطب عن
عبد الجيد بن صفي بن صهيب عن أبيه عن جده رفعه عليكم بالحمامة في جوزة القحذورة فانه دواء من اثنين
وسبعين داء وخسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الاضراس (وفي الحديث أنه أمر بها) أي
بالحمامة (وقال احتجموا) ارشاد الازاما (لسبع عشرة وتسع عشرة واحد وعشرين) من الشهر العربي
(لا يتبيخ بكم الدم) أي يشور ويغلب (فيقتلكم) أي فيكون ثورانه سببا موتكم وهذا فيه كمال شفقه على
أمته قال العراقي روى البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورفع الترمذي بلفظ ان خير
ما احتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبيخ وقال حسن غريب وقال البزاران الطريق المتقدمة
أحسن من هذا الطريق ولا بن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف من أراد الحمامة فليحتر سبع عشرة
الحديث انتهى قلت لفظ البزار احتجموا الخمس عشرة أو لسبع عشرة أو تسع عشرة أو إحدى وعشرين
الحديث وقد رواه كذلك الطبراني والديلمي وأبو نعيم في الطب كلهم رفعوه من حديث ابن عباس ولفظ المرفوع
عند الترمذي من حديثه ان خير ما احتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم إحدى وعشرين
وليس فيه ذكر التبيخ ولفظ ابن ماجه من حديث أنس من أراد الحمامة فليحتر سبع عشرة وتسعة عشرة
واحد وعشرين لا يتبيخ باحدكم الدم فيقتله وروى أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة
من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة واحد وعشرين كان له شفاء من كل داء وقوله لا يتبيخ أي
لثلاثين في حذف حرف الجر مع ان قال ابن الاعرابي تبيخ الدم وتبرق نار وهاج (فذكر ان تبيخ الدم
سبب الموت وأنه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذا فرق بين اخراج الدم المهلك وبين
اخراج العقرب من الثياب واخراج الحية من البيت وليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلا) قال ابن
القيم هذا موافق لاجماع اطباء ان الحمامة نصف الشهر وما بعده من الربع الثالث من أربع الشهر أنفع
من أوله وآخره لغلبة الدم حينئذ الذي جعل علة للامر به انتم محل اختيار هذه الاوقات اذا أرادت لحفظ الصحة
فان كانت ارض فعلت وقت الحاجة انتهى وقال ابن جرير هذا اختيار منه صلى الله عليه وسلم لاوتر من أيام
الشهر على الشفع لفضل الوتر عليه وانما خص امره بحالة انتفاص الهلال من تنهاى تمامه لان ثوران كل

وفي الخبر المشهور ما
مررت بملا من الملائكة
الاقالوا مرأيتك بالحمامة
وفي الحديث أنه أمر بها
وقال احتجموا السبع
عشرة وتسع عشرة
واحد وعشرين لا
يتبيخ بكم الدم فيقتلكم
فذكر أن تبيخ الدم
سبب الموت وأنه قاتل
باذن الله تعالى وبين أن
اخراج الدم خلاص منه
اذا لفرق بين اخراج الدم
المهلك من الالهات وبين
اخراج العقرب من تحت
الثياب واخراج الحية من
البيت وليس من شرط
التوكل ترك ذلك بل هو
كصب الماء على النار
لا طفاؤه ودفع ضررها
عند وقوعه في البيت
وليس من التوكل الخروج
عن سنة الوكيل أصلا

تأثير وتحرك كل علة انما يكون فيما يقال من حين الاستهلال الى الكمال فاذا اتناهى غماؤه وتم تمامه سكر فامر
بالاحتجام في الوقت الذي الاغلب فيه السلامة الا ان يثور الدم وتدعو الضرورة لبعضهم في الوقت المذكور
بحيث تكون غلبة السلامة في عدم التأخير فية على حينئذ انتهى وقال صاحب القوت وفي ذكر تبليغ الدم
دليل على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة الا انه اريد به هذه الايام من الشهر وفيه وصف الاسباب التي
جعلت حقوا وأسبابا للموت وأحسب هذا القدر من العدد دلاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي
الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت ان ذلك في أرض الحجاز خاصة وقد كان من سيرة السلف ان
يحتجموا في كل شهر مرة الى أن يجازي الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر (و) قد روى
(في خبر مقطوع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر) العربي (كان له دواء من داء سنة) قال
العراقي رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس واسنادهما واحد
اختلف على روايه في الصحابي وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف انتهى قلت حديث معقل بن يسار رواه
أيضا ابن سعد وابن عدى والبيهقي ولفظه من سياق المصنف وحديث أنس رواه البيهقي أيضا ولفظه لسبع
عشرة خلت من الشهر أخرج الله منه داء سنة وذكر صاحب القوت الحديث المتقدم ثم قال وفي خبر مثله عن
الاعمش من احتجم يوم السبت نفعه قال الاعمش فجر بته فنفعتني انتهى قلت وقد روى في المرفوع ما يناقض
ذلك روى الشيرازي في الاقواب والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة عن احتجم يوم الاربعاء أو يوم السبت
فراى في جسده وضحا فلا يلومن الانفسه وصححه الحاكم وتعبه الذهبي (وأما أمره) صلى الله عليه وسلم فقد
أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى بالجمية) أما الامر بالتداوى فقد تقدم في حديث أسامة بن شريك من
رواية أصحاب السنن وفيه تداوا وعباد الله وفي حديث ابن مسعود تداوا بالبان البقر رواه الطبراني والخطيب
وفي حديث زيد بن أرقم تداوا من ذات الجنب رواه أحمد والطبراني والحاكم وأما أمره بالجمية فسيأتى في
قصة علي وصهيب بعده قال صاحب القوت وروى أبو قتادة عن كعب الاحبار يقول الله عز وجل انى أمان الله أشجع
وأداوى فتداوا وافتلداوى رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه
وقد قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أى ضيق وربما كان التداوى فضلا في ذلك المعنيين أحدهما
أن ينوى اتباع السنة والاخذ برخصة الله تعالى وقبول ما جاء به الخيفة السحرة والثانى أن يجب سرعة
البر للطاعة والخدمة لمولاه والسعى في أوامره اذا كانت العلل قاطعة من التصرف في العمل ومشغلة بالنفس
عن الشغل بالآخر (وقطع) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن معاذ) بن النعمان الانصارى الاشلى أبى عمرو سيد
الاوس شهد بدرا (عرقاى فصدته) كذا في القوت قال العراقي رواه مسلم من حديث جابر قال رى سعد فى أكله
فخسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقص الحديث انتهى قلت روى بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك
شهر حتى حكم في بنى قريظة وأجبت دعوته في ذلك ثم انتقص جرحه فمات أخرج ذلك البخارى وذلك سنة خمس
(وكوى) صلى الله عليه وسلم (أسعد بن زرارة) بن عدس بن عبيد أبى امامة الانصارى الخزرجى التجارى قديم
الاسلام شهد العقبتين مات قبل وقعة بدر ووقع في القوت ما نصه ولوى أسعد بن زرارة من القوة هكذا هو باللام
وفي الهامش بارائه لوى أى عالج اه وأخاله تعجيفا والصواب كوى وقال العراقي رواه الطبراني من حديث
سهل بن حنيف دون ذكر سهل التمسى وقال الحافظ في ترجمة أسعد من الاصابة وقال عبد الرزاق عن معمر عن
الزهري عن أبى امامة بن سهل قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم على أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء ليلة
العقبة وقد أخذته الشوكة فكواه الحديث وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهري هذا هو
المحفوظ ورواه عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وهى شاذة ورواه رفعة بن صالح عن
الزهري عن أبى امامة بن سهل عن أبى امامة أسعد بن زرارة الرواية وانما أراد أن يقول عن قصة أسعد بن
زرارة والله أعلم (وقال) صلى الله عليه وسلم (لعل) رضى الله عنه (وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب

وفي خبر مقطوع من
احتجم يوم الثلاثاء
لسبع عشرة من الشهر
كان له دواء من داء سنة
وأما أمره صلى الله عليه
وسلم فقد أمر غير واحد
من الصحابة بالتداوى
وبالجمية وقطع لسعد بن
معاذ عرقاى فصدته
وكوى سعد بن زرارة
وقال لعل رضى الله تعالى
عنه وكان رمد العين
لا تأكل من هذا يعني
الرطب

وكل من هذا فانه أوفق لك يعني ساقا قد طبخ بدقيق شعير (قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم المنذر انتهى قلت ورواه كذلك ابن سعد كلهم من طريق فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كل منها وراقم على ليا كل فقال له باعلى انك نافه حتى كف على قال وصفت له شعيرا وسقا فحنت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على من هذا فاصب فانه أوفق لك لفظ أبي داود وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث فليح وتعتب بانه جاء من طريق ابن أبي فديك عن محمد بن أبي يحيى الاسلمى عن أبيه عن يعقوب نحوه قال الحافظ في الاصابة فليح بن سليمان اسمه وكنيته أبو يحيى وابنه محمد من رجال البخارى وابن أبي فديك من أقرانه فله جله عنه ولم يفصح باسم ابنه لصغره فقال محمد بن أبي يحيى والد ابراهيم شيخ الشافعى وليس هو به بل رجس الحسبى الى فليح كما قال الترمذي (وقال) صلى الله عليه وسلم (لصهيب) بن سنان رضى الله عنه (وقد رآه يا كل التمر وهو وجع العين تا كل تمر وأنت أرمد فقال انى آكل من الجانب الاخر فتبسم) صلى الله عليه وسلم (تقدم في كتاب آفات اللسان) (وأما فعله فتدروى في الحديث) المروى (من طريق أهل البيت أنه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة) هكذا هو في القوت وقال العراقي رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال انه منكرو فيه سيف بن محمد كذبه أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين انتهى قلت وبخط الحافظ ابن حجر لابي نعيم في الطب عن عبد الرحمن بن غنم مثله وفيه الواقدي انتهى وانما خص الليل بالاكتحال لانه في النوم يتمكن التكحل في طبقات العين ويظهر تأثيره فيها وشربه صلى الله عليه وسلم الدواء كل سنة كان لغيره فان عرض له ما يوجب شربه في اثناء السنة شربه أيضا (وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقر بغيرها) ولغظ القوت وقد تداوى في غير خبر من العقر وغيرها وقال العراقي رواه الطبراني باسناد حسن من حديث جبلة بن الازرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لدغته عقر بفعشى عليه فرماه الناس الحديث وله في الاوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى تهمج كفامن شونيز وشرب عليه ماء وعسلا ولا يعل والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بعد ما وسم وفيه جابر الجعفي ضعفه الجمهور انتهى قلت حديث جبلة بن الازرق رواه أيضا البخارى في تاريخه وابن السكن والبغوى كلهم من طريق معاوية بن صالح عن صالح بن راشد بن سعد بن جبلة بن الازرق وكانت له حجة قام صلى الله عليه وسلم الى جانب جدار كثير الاجرة لما طهرا أو عصرا فلما جلس لدغته عقر بفعشى عليه فرماه الناس فافاق فقال ان الله شفانى وليس بريقكم قال لا أعلم له غيره وقال البغوى ابن السكن ليس له غيره (وروى انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا نزل عليه الوحى صدع رأسه) من شدة ما يلقاه منه (وكان يغلفه بالخناء) لتخف حرارة رأسه فان فور اليقين اذا هاج اشتعل بورود الوحى فيلطف حرارته بذلك قال العراقي رواه البرازى ابن عدى في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في اسناده على الاحوص بن حكيم انتهى قلت وكذلك رواه ابن السنى وأبو نعيم في الطب (وفي الخبر انه) صلى الله عليه وسلم (كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها خناء) قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب قالت هي سلمى أم نافع امرأة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لها أيضا مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الترمذي وقد رواه من طريق فائد مولى أبي رافع عن علي بن عبيد الله ابن أبي رافع عن جده وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة أو نكبة الا أمرنى أن أجعل عليها الخناء (وقد جعل) صلى الله عليه وسلم (على قرحة خرجت به ترابا) قال العراقي رواه الشيخان من حديث عائشة كان اذا اشتكى الانسان الشئ منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وجعل سفيان بن عبد الله الراوى سبابته بالارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا انتهى ولفظ القوت فروينا انه جعل على أصابعه السبابه من ريقه ثم وضعه على تراب فقال تربة أرضه بريقة

وكل من هذا فانه
أوفق لك يعني سقا
قد طبخ بدقيق شعير
وقال لصهيب وقد رآه
يا كل التمر وهو وجع
العين تا كل تمر وأنت
أرمد فقال انى آكل من
الجانب الاخر فتبسم
صلى الله عليه وسلم وأما
فعله عليه الصلاة والسلام
فقد روى في حديث من
طريق أهل البيت انه
كان يكتحل كل ليلة
ويحتجم كل شهر ويشرب
الدواء كل سنة قيل
السنن المسكى وتداوى صلى
الله عليه وسلم غير مرة
من العقر بغيرها
وروى أنه كان اذا نزل
اليه الوحى صدع رأسه
فكان يغلفه بالخناء وفى
خبرانه كان اذا خرجت
به قرحة جعل عليها
خناء وقد جعل على
قرحة خرجت به ترابا

وماروي في ندائه وأمره بذلك كثير خارج عن الحصر وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل بهلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لوتدناو يت بكذا البرئت فقال لا آتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وان اتداوى به فبئرا فقال لا آتداوى واقامت علته فاوحى الله تعالى اليه وعزني وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرافوا وحس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيري وروى (٥١٩) في خبر آخر ان نبيا من الانبياء عليهم

السلام شكاه لعله يجدها
فاوحى الله تعالى اليه كل
البیض وشكاني آخر
الضعف فاوحى الله تعالى
اليه كل اللحم باللبن فان
فيه ما القوة قبل هو
الضعف عن الجماع وقد
روى ان قومًا شكوا الى
نبيهم قبح أولادهم فاوحى
الله تعالى اليه مرهم ان
يطعموا نساءهم الحبالى
السفرجل فانه يحسن
الولد يفعل ذلك في الشهر
الثالث والرابع اذ فيه
يصور الله تعالى الولد وقد
كانوا يطعمون الحبالى
السفرجل والنفساء
الرطب فهذا تبين ان
مسبب الاسباب أخرى
سنته بربط المسببات
بالاسباب اظهار الحكمة
والادوية أسباب مسخرة
بحكم الله تعالى كسائر
الاسباب فكما ان الخبز
دواء الجوع والماء دواء
للعطش فالسكتنجين دواء
الصفراء والسقمونيا
دواء الاسهال لا يفارقه
الا في أحدهما أمرين

بعضنا شفا علم ايضا باذن ربنا ثم جعله على قرحة في رجليه (وماروي في تدائه) صلى الله عليه وسلم (وأمره بذلك) أصحابه كثير (خارج عن الحصر) والضبط لكثرته (وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي صلى الله عليه وسلم) وهذا كتابان مشهوران بهذا الاسم أحدهما للأحافظ أبي بكر بن السني والثاني للحافظ أبي نعيم الاصبهاني قال صاحب القوت وهو صلى الله عليه وسلم أعلى المتوكلين وأقوى الاقوياء المقربين فان قيل انما تداءى لغيره وليس ذلك قلنا فلا ترغيب عن سنته ولا ترهيب في بغيته ان كان فعل ذلك لنا فلا ترد عليه لئلا يكون فعله لغوا والرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعن في الشريعة وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهرة للخلق ليقنقوا آثاره (وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام اعتل مرة) بهلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لوتدناو يت بكذا البرئت فقال لا آتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا له (ان دواء هذه العلة معروف مجرب وان اتداوى به فبئرا فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه (فبرئ) تعالى اليه وعزني وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكره لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرافوا وحس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء غيري) كذا في القوت (وروي في خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكاه) الى الله تعالى (عله يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البیض) كذا في القوت (وشكاني آخر) الى الله تعالى (الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان فيه ما القوة قبل هو) ولفظ القوت أحسنه (الضعف عن الجماع) وأضن في ذكر البیض شكاه الولد فامر به وذكروا بن منه ان ملكا من الملوك اعتل علة وكان أحسن السيرة في رعيته فاوحى الله الى شعيب عليه السلام قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من علتك (وقدر وى) أعجب من ذلك (ان قومًا شكوا الى نبيهم) عليه السلام (قبح أولادهم فاوحى) الله تعالى (اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد) (وقيل) يفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع (من جل المرأة) اذ فيه يصور الله الولد (ولفظ القوت لان الولد يصور فيه) (وقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفساء الرطب فهذا تبين ان مسبب الاسباب) جل اسمه (أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهار الحكمة) عرفها من عرفها وجهاها من جهلها (والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب) لا فرق فيها (فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكتنجين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في أحدهما أمرين أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلي واضح يدرکه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتنجين يدرکه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول) فصار عنده جليا واضحا (و) الامر الثاني (ان الدواء يسهل) المعدة (والسكتنجين يسكن الصفراء) بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال) فلا يعمل به (وأما زال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء) كافي مرض الاستسقاء (ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين والافالم يسبب يتلو السبب لاحالة مهماتت شروط السبب

أحدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدرکه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكتنجين يدرکه بعض الخواص فن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكتنجين يسكن الصفراء بشرط آخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال وأما زال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الاسباب أبدا ينحصر في هذين الشيتين والافالم يسبب يتلو السبب لاحالة مهماتت شروط السبب

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب من الدوا والداء فقال آت الى منى قال فما يصنع الاطباء قال يا كلون أرقاقهم ويطيّبون نفوس عبادى (٥٢٠) حتى يأتى شفاؤى أو قضائى فاذا معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعالم والحال كما سبق فى

قنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فامترك التداوى رأساً فليس شرطاً فيه فان قلت فالكى أيضاً من الاسباب الظاهرة للنفع فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمعزور وأما الكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقبلما يعتاد الكى فى أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأعراب فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا انه يتميز عنها بامروها انه احتراق بالنار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالكى الاول دواء يغنى عنه ليس فيه احراق ولا حرق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما ولذلك لم يرسول الله

وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل اشتغاله بالاسباب مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام انه قال يارب من الدوا والداء فقال تعالى منى قال فما يصنع الاطباء (حينئذ) قال يا كلون أرقاقهم ويطيّبون نفوس عبادى حتى يأتى شفاؤى أو قضائى) نقله صاحب القنون الا أنه قال أو قضى قال ويقال ان بين الدوا والداء حجاب المشيئة فلا ينفذ الدواء حتى ينكشف الحجاب (فاذا معنى التوكل مع التداوى التوكل بالعالم والحال كما سبق) بيانه قريباً (فى قنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فامترك التداوى رأساً فليس شرطاً فيه فان قلت فالكى أيضاً من الاسباب الظاهرة للنفع) فلم يجعل فى السقم الموهوم (فاقول ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقى المبردات للمعزور) وسقى الحوار للمبرود فهذه هى الاسباب الظاهرة (وأما الكى فلو كان مثله فى الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقبلما يعتاد الكى فى أكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الأعراب) فى البوادر فانهم يستعملونه وذلك لعدة الادوية عندهم (فهذا من الاسباب الموهومة كالرقى الا أنه يتميز عنه بامروها أنه احتراق بالنار فى الحال مع الاستغناء عنه فانه مامن وجع يعالج بالكى الاول دواء يغنى عنه ايس فيه احراق ولا حرق بالنار جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما) من الادوية (ولذلك لم يرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكى) رواه الطبرانى من حديث سعد الظفرى قال الذهبى الاصح انه سعد بن النعمان يدرى ورواه الترمذى والحاكم من حديث عمران بن الحصين قال الحافظ فى الفتح سنده قوى وهو منسب نزيه حيث أمكن الاستغناء عنه بغيره وأما قولهم آخر الطب الكى فهو كلام مشهور عنه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به ولذلك كان أحداً يجعل عليه النهى عن الكى وجود طريق مرجو للشفاء سواء (دون الرقى) جمع رقية بالضم وهى ما يعوذ بها قال العرافى رواه البخارى من حديث ابن عباس رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من كل ذى حمة انتهى وأما ما رواه الحاكم من حديث ابن مسعود نهى عن الرقى والتعاظم والتولة فمحمول على ما اذا كانت الرقية بغير القرآن وأسماء الله وصفاته وأما ما جاز قال ابن التين الرقى بذلك هو الطب الروحاني اذا كان على لسان الارواح حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عارض هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهى عنها التى يستعملها المعزوم من زعم تسخير الجن تأتى مركبة من حق وباطل تجمع الى ذكر أسماء الله وصفاته ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردنهم فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريئاً من شوب الشرك وفي الموطأ أن أبابكر رضى الله عنه قال لليهودية التى كانت ترقى عائشة رضى الله عنها رقية بالكاتب الله (وكل واحد منهما) من الكى والرقى (بعيد عن) صفة (التوكل وروى عن) أبى نجيد (عمران بن الحصين) بن عبيد الخزاعي رضى الله عنه أسلم فى وقعة خيبر وتحول الى البصرة فات بها (اعتل) فى بطنه فظل صريعاً ثلاثين سنة على سر من حديد قد نصبه فى أوسطه لموضع الغائط لانه كان سطوياً لا يستطيع القيام (فاشاروا عليه بالكى فامتنع) منه (فلم يزالوا به) يلحون عليه (وعزم عليه الامير) هو عبيد بن زياد كما عند الدارمى (حتى اكنوى) فى بطنه سبع كيات (فكان) رضى الله عنه (يقول كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم على الملائكة فلما اكنوت انقطع ذلك عني) كذا فى القنون (و) فى رواية (كان يقول اكتبوا كيات فوالله ما أفلحن ولا أنجحن) يعنى الكيات وروى الحسن عن مطرف بن عبد الله قال تيننا عمران بن الحصين نعوذه وكان قد اكنوى فى بطنه فقال نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الكى فاكتبوا كيات فوالله ما أفلحن

ولا الكى دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروى ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامر حتى اكنوى فكان يقول كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم على الملائكة فلما اكنوت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتبوا كيات فوالله ما أفلحن ولا أنجحن

ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجرد من أمر الملائكة وقال لطرف بن عبد الله ألم تر أني الملائكة التي كان أكرم مني الله بها قدردها الله تعالى علي بعد أن كان أخبره ببقدها فإذا السكى وما يجرى (٥٢١) مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لانه

يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مذموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها والله أعلم (بيان أن ترك التدوى قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وإن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) * أعلم أن الذين تداءون السلف لا يقتصرون

ولا أنجحنا ورواه الحارث بن أبي أسامة من طريق هشام بن الحسن عن عمران أنه شكك ابنه فلبث زمانا طويلا فدخل عليه رجل فذكر قصته فقال إن أحب ذلك إلى أحبه إلى الله قال حتى اكتبى قبل وفاته لستين وكان يسلم عليه فلما اكتبى فقده ثم عاد اليه وفي لفظ آخر كانت الملائكة تزوره فبأنس به حتى اكتبى (ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجرد من أمر الملائكة) قال ابن عبد البر كان من فضلاء الصحابة وفاة ثم يقول عنه أهل البصرة أنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتبى (وقال) رضى الله عنه (لطرف بن عبد الله) بن الشخير العامري التابعي البصري (ألم تر أن الملائكة التي) كان (أكرم مني الله بها) أقدردها الله تعالى علي بعد أن كان أخبره ببقدها) روى الدارمي قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال حدثنا قتادة عن مطرف قال قال عمران بن حصين أني محدثك بحديث أنه كان يسلم علي وإن ابن زياد أمرني فاكْتُوبت فحس عني حتى ذهب أثر السكى قال صاحب القوت فلو أن ذلك كان عنده ذنب ما ندّم عليه ولما تاب منه ولولا أنه كان نقصا ما صرفت الملائكة عنه (فإذا السكى وما يجرى مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل لانه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مذموم فدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها) والله أعلم

(و يدل على قوة التوكل وإن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم) هذا الله تعالى (إن الذين تداءون والسلف) كثير من (لا يقتصرون ولكن قد ترك التدوى أيضا جماعة من الأكابر فر بما يظن أن ذلك نقصان لانه لو كان كما لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله وقدرى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه) لما مرض (قيل له لودعونا لك طبيبا فقال الطبيب نظر إلى وقال اني فعال لما أريد) روى أحمد في الزهد حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا ألدعوك الطبيب قال قد رأيت قالوا فاشئ قال اني فعال لما أريد روى أبو نعيم في الحلية من طريقه (وقيل لأبي الدرداء) رضى الله عنه (في مرضه ما تشكى قال ذنوبي فقيل فماتت شهى قال مغفرة ربي قالوا ألدعوك طبيبا قال الطبيب أمرضني) أخرجه أبو نعيم في الحلية حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا عمر بن حفص السديسي حدثنا عاصم بن علي حدثنا أبو هلال حدثنا معاوية بن مرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا ما تشكى يا أبا الدرداء قال أشكى ذنوبي قالوا فماتت شهى قال أشتهى الجنة قالوا ألدعوك طبيبا قال هو أصح بعني قال صاحب القوت وقدر ويناه أيضا عن ابن مسعود (وقيل لأبي ذر) رضى الله عنه (وقدر مدت عيناه لوداويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل له لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم علي منهما) نقله صاحب القوت (وكان الربيع) بن خيثم الثوري السكوني العابد (أصابه فالج) وهو مرض منشؤه البرد يمنع الأعضاء من التحرك (فقيل له لوداويتهما فقال قد هممت) على ذلك (ثم ذكرت عادا وغود وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا) كانت فيهم الأوجاع (وكان فيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقي شيئا) نقله صاحب القوت وفي هذا المعنى ما نسب للإمام الشافعي رضى الله عنه

ان الطبيب بطبسه ودوائه * لا يستطيع دفاع مقدور أفي ما للطبيب عوت بالداء الذي * قد كان يبري مثله فيما مضى هلك المداوى والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه ومن اشترى قال صاحب القوت وقد كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فعزل عن القيام فسأل الله أن يطلقه في أوقات الصلاة ثم يرده إلى حاله بعد ذلك فكان إذا جاء وقت الصلاة كانا شامط من عقال فإذا قضى صلاته رجع إليه الفالج

ان الطبيب بطبسه ودوائه * لا يستطيع دفاع مقدور أفي ما للطبيب عوت بالداء الذي * قد كان يبري مثله فيما مضى هلك المداوى والمداوى والذي * جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال صاحب القوت وقد كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج فعزل عن القيام فسأل الله أن يطلقه في أوقات الصلاة ثم يرده إلى حاله بعد ذلك فكان إذا جاء وقت الصلاة كانا شامط من عقال فإذا قضى صلاته رجع إليه الفالج

لو سألت الله تعالى أن يعافيك فقال أسأله فيما هو

(٦٦ - (اتخاف السادة المتقين) - ناسع)

أهم علي منهما لو كان الربيع بن خيثم أصابه فالج فقيل له لوداويتهما فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وغود وأصحاب الرس وقرنابن ذلك كثيرا وكان فيهم الأطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقي شيئا

وكان أحد بن حنبل يقول أحب أن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر الطبيب به أيضاً إذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التداوى وراءه ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعالهم إلا انحصار الصوارف عن التداوى فنقول (٥٢٢) إن ترك التداوى أسباباً * (السبب الأول) * أن يكون المريض من المكاشفين

كما كان قبل ذلك (وكان أحد بن حنبل) رحمه الله تعالى يقول أحب أن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من شرب الدواء وغيره) نقله صاحب القوت قال (وكان) تقوم (به علل فلا يخبر الطبيب أيضاً) إذا سأله (كذا في القوت) (وقيل لسهل) التسترى رحمه الله تعالى (متى يصح للعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه) نقله صاحب القوت (فإذا منهم من ترك التداوى وراءه) واعتقده من الصديقين والسلف الصالح (ومنهم من كرهه) (الأنه) مخصوص بخصوص وطريق الخاصة الأقوياء ولا يسلكه الشوب من العموم والضعفاء وذلك مذهب إبراهيم الخواص وطريقه كان يرى أن المتوكل إذا تداوى نقص بذلك تحقيقه (ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) بين (أفعالهم إلا انحصار الصوارف عن التداوى) فقد يترك بعض الأولياء التداوى لأسباب أخر ترجح بذلك أعمالهم ولا يكون تركاً لاسنة انما يتركون الفضل للأفضل (فنقول إن ترك التداوى أسباباً) ستة (الأول أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وإن التداوى لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده نارة برؤية صادقة) تأتي كفلق الصبح (ونارة بحس وظن ونارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى) فيما سبق من قوله (من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هما أختك وما كان لها إلا أخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملاً فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بانثى) هذه القصة ذكرها الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس في كتابه سماه المقامات العلية في الكرامات الجليلة يقول فيها بعد أن ذكر جلة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وسرت سر برته إلى أصحابه * فلهم خوارق ما ذعاهم مدعى فلهم صديق امداد السما * ولم تلج من بعده في مجمع ومقالة في بنت خارج واقع * حقان الصديق أحسن موقع ثم ساق بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد ثم قال يا بنيبة فإن أحب الناس غنى إلى بعدى أنت وإن أعز الناس فقراً إلى بعدى أنت وإن كنت نخلتك جادعشرين وسقاً من مال فوددت والله أنك كنت خوتيه وأخذت به فانما هو أخوالك واختالك قالت قلت هذا أخو أي فبن أخنأى قال ذو بمان ابنة خارجة فإذا ظننا جارية فكان كذلك وقد تقدم ذلك للمصنف (فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله والافلاظن به إنكار التداوى) (مطلقاً كيف) (وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدأوى) كما تقدم قريباً (وأمر به) كما في حديث أسامة بن شريك وتقدم (السبب الثاني أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبه وإطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله) أي الاشتغال بهمهم ديني أشرف من التداوى وعليه يدل كلام أبي ذر إذا قال إنى عنها مشغول (وكلام أبي الدرداء) رضي الله عنه (إذا قال إنى اشتكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كما صاب عتور عز زمن أعزته) فإنه في شغل شاغل (أو كالحائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل) وتحقق ذلك (إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الحزن نافعاً من الجوع ولا) يكون (طعناً في أن كل ويقر من هذا اشتغال سهل)

وقد كوشف بأنه انتهى أجله وإن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده نارة برؤية صادقة ونارة بحس وظن ونارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوى من هذا السبب فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث انما هما أختك وما كان لها إلا أخت واحدة ولكنه كانت امرأته حاملاً فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بانثى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله والافلاظن به إنكار التداوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدأوى وأمر به * (السبب الثاني) * أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبه وإطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلاً بحاله وعليه يدل كلام أبي ذر

إذا قال إنى عنها مشغول وكلام أبي الدرداء إذا قال انما اشتكى ذنوبي فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كما صاب عتور عز زمن أعزته أو كالحائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له ألا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الأكل نافعاً من الجوع ولا طعناً في أن كل ويقر من هذا اشتغال سهل

حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكرا الحى القيوم فقبل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو
الذكر قيل سألناك عن طعمه الجسد قال مالك والجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر اذا دخل عليه علة فردته الى صانعه امارأت الصنعة اذا
عبثت ردوها الى صانعها حتى يصلحها * (السبب الثالث) * أن تكون العلة مزممة (٥٣٣) والدواء الذى يؤمر به بالاضافة

الى علته موهوم
النفع جار مجرى السكى
والرقية فيتركه المتوكل
واليه يشير قول الربيع
ابن خيثم اذ قال ذكرت
عادا وغود وفيهم الاطباء
فهلك المداوى والمداوى
أى ان الدواء غير موثوق
به وهذا قد يكون كذلك
فى نفسه ونديكون عند
المريض كذلك لقلة
ممارسته للطب وقلة
تجربته فلا يغلب على
ظنه كونه نافعا ولا شك فى
ان الطبيب المجرب أشد
اعتقادا فى الادوية من
غيره فتكون الثقة
والظن بحسب الاعتقاد
والاعتقاد بحسب التجربة
وأكثر من ترك التدوى
من العباد والزهاد هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء
عنده شيأ موهوما لا أصل
له وذلك صحيح فى بعض
الادوية عند من عرف
صناعة الطب غير صحيح
فى البعض ولكن غير
الطبيب قد ينظر الى
الكل نظرا واحدا فيرى
التدوى تعسفا فى
الاسباب كالسكى والرقى

السترى رحمه الله تعالى فيما نقله عنه صاحب القوت (حيث قيل له ما القوت فقال هو ذكرا الحى القيوم)
الذى به الحياة والقوام لكل شئ (فقبل انما سألناك عن القوام) أى ما تقوم به البنية (فقال القوام هو
العلم) فانه يقوم الاعمال (قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكرا قيل سألناك عن طعم الجسد) الذى
هو الغذاء الظاهر (قال مالك والجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر اذا دخل عليه علة فردته الى صانعه) فهو
أول من ينظر فيه (امارأت الصنعة اذا عبثت) بفساد (ردوها الى صانعها حتى يصلحها) اذ هو يعرف فسادها
من صلاحها ويعرف كيف يصلحها وهذا هو مقام التفويض والتسليم من التوكل (السبب الثالث أن تكون
العلة مزممة) مستمرة (والدواء الذى يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم) غير متيقن ولا مظهر
(جار مجرى السكى والرقية فيتركه المتوكل) اذ فيه تضيق العمر والمال فى لاشئ (واليه يشير قول الربيع
ابن خيثم) رحمه الله تعالى (اذ قال ذكرت عادا وغود) وكانت فيهم الاوجاع (و) كان (فيهم الاطباء
فهلك المداوى والمداوى أى ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك فى نفسه وقد يكون عند
المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا) (ولا شك ان فى الطبيب
المجرب أشد اعتقادا فى الادوية من غيره) لكمال ممارسته فيها (فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد
والاعتقاد بحسب التجربة) وأكثر من ترك التدوى من العباد والزهاد) بل وبعض صلحاء العامة (هذا
مستندهم لانه يبقى الدواء عنده شيأ موهوما لا أصل له) وهذا مشاهد (وذلك صحيح فى بعض الادوية عند من
عرف صناعة الطب غير صحيح فى البعض) وفى بعض النسخ وذلك غير صحيح فى بعض الادوية صحيح فى البعض
(ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التدوى تعسفا فى الاسباب كالسكى والرقى فيتركه
تو كالا السبب الرابع أن يقصد بترك التدوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله
تعالى أو ليحرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد
عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء) قال العراقي رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه
على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن ابى وقاص وقال
صحيح على شرط الشيخين اه قلت سياق حديث سعد بن أبى وقاص أقرب لسياق الصنف وفيه أشد الناس بلاء
لانياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان فى دينه رقة
ابتل على قدر دينه فإيبرج البلاء حتى يتركه يمشى على الارض وما عليه خطيئة كذا رواه الطيالسي وأحمد
وجهد بن جيد والدارى والبخارى والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويلييه سياق حديث أبى سعيد
أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف
دينه ضعف بلاؤه وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس وما عليه خطيئة ورواه ابن حبان فى صحيحه وروى
الطبرانى من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل ورواه أحمد
بإغظ أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد تقدم ذكر بعض ذلك (وفى الخبر ان الله
تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ففهم من يخرج ذهبه كالابرز لا يبريدونهم دون ذلك ومنهم
من يخرج أسود محترقا) قال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرج له ولده فى مسنده اه

فيتركه تو كالا * (السبب الرابع) * أن يقصد العبد بترك التدوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى
أو ليحرب نفسه فى القدرة على الصبر فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم
الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عنه البلاء وفى الخبر ان الله
تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ففهم من يخرج كالذهب الابرز لا يبريدونهم دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا

قلت بل أخرجه الطبراني والحاكم في المسند تدرؤكم من حديث أبي امامة ان الله عز وجل ليحرب أحدكم
 بالبلاء وهو أعلم به كما يحرب أحدكم ذهابه بالنار فمنهم من يخرج كالكذب الابري فذلك الذي جاءه الله من
 الشبهات ومنهم من يخرج كالكذب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ومنهم من يخرج كالكذب الاسود
 فذلك الذي قد افتتن وقد صححه الحاكم ورفعه الذهبي لان في سنده عفير بن معدان ضعيف (وفي حديث من
 طريق أهل البيت ان الله تعالى اذا أحب عبدا ابتلاه فان صبرا اجتبه فان رضى اصطفاه) هذا لفظ القوت
 قال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن عبيدة الخولاني بلفظ اذا أراد الله بعدد خيرا ابتلاه واذا ابتلاه اقتناه
 لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف اهـ قلت ولفظه في الاوسط اذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحببه الحب
 البالغ اقتناه لا يترك له مالا ولا ولدا ولفظه في الكبير ان الله عز وجل اذا أراد بعدد خيرا ابتلاه فاذا ابتلاه اقتناه
 قالوا يا رسول الله وما اقتناه قال لم يترك له مالا ولا ولدا ورواه ابن عساكر كذلك وروى ابن أبي الدنيا في كتاب
 المرض والكفارات من حديث أبي سعيد باسناد فيه لين ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره (وقال
 صلى الله عليه وسلم تحبون أن تكونوا كالجر الصبالة) كذا في النسخ وهو في معجم البغوي الضالة من الضلال
 (لا تعرضون ولا تسقمون) قال العراقي رواه ابن أبي عاصم في الاحاد والمثنائين وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة
 والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث ان الرجل لتكون له المنزلة عند الله الحديث وقد
 تقدم اهـ قلت قال البخاري قال ابن أبي أويس حدثني أنحى عن جاد بن أبي جید عن مسلم بن عقيل مولى الزرقين
 دخلت على عبيد الله بن أبي اياس بن أبي فاطمة الضمري فقال يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدی قال أقبل علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يحب أن يصح فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن تكونوا
 كالجر الصبالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاع أو أصحاب كفارات والذي نفسي بيده ان الله لينبلي المؤمن بالبلاء
 وما ينال به الا لكرامة عليه أو علة له لان له منزلة عنده ما يبلغه تلك المنزلة الا ببلائه هكذا أو رده في ترجمة أبي
 عقيل وفي لفظ ان العبد لتكون له الدرجة في الجنة فما يبلغها بشئ من عمله فينبلي الله بالبلاء ليبلغ تلك الدرجة
 وما يبلغها بشئ من عمله وقرأت في معجم الصحابة للبغوي حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا داود بن منصور
 حدثنا ابن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي عقيل الزرق عن ابن أبي فاطمة عن أبيه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يحب أن يصح ولا يسقم قالوا كلنا يحب أن يصح ولا يسقم قال أتحبون أن
 تكونوا كالجر الصبالة انما تكونوا أصحاب كفارات ان العبد لتكون له الدرجة في الجنة فلا ينالها بشئ من عمله
 (وقال ابن مسعود) رضى الله عنه (تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسمًا وتجد المنافق أصح شئ جسمًا
 وأمرضه قلبًا) رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هناد بن
 السري حدثنا أبو الاحوص عن سعيد بن مسروق عن منذر قال جاء ناس من الدهاقين الى عبد الله بن مسعود
 فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم قال فقال عبد الله انكم ترون الكافر من أصح الناس جسمًا وأمرضهم
 قلبًا وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبًا وأمرضهم جسمًا أو أيكم لو مرضت فلو بكم وصحت أجسامكم لكنتم
 أهون على الله من الجعلان (فلما عظم الشناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتتموه لينالوا ثواب
 الصبر عليه وكان منهم) أي من المذكورين (من له علة يخفيها) عن الناس (ولا يذكرها للطبيب) ولو سأل
 (و يقاسى العلة و يرضى بحكم الله تعالى) لان المتوكل حاله الرضا ومقتضى الرضا كتمان العلل وعدم التملل
 من اللأواء (و يعلم ان الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه) وقلبه في
 غاية من الاطمئنان والمعرفة وكان في هذا المقام أحد بن حنبل رحمه الله تعالى (وعلموا ان صلاتهم قعودا مثلاً
 مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة) قال الله تعالى وبشر الصابرين وقال
 ان الله يحب المتوكلين (ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا العبدى صالح ما كان يعمل في حقته فانه
 في وثاقى) أي حبسى وقيدى (ان أطلقته) منه (أبدلته لخاخير من لجه وداخير من دمه) قبل لانه قد طهر

وفي حديث من طريق
 أهل البيت ان الله تعالى
 اذا أحب عبدا ابتلاه
 فان صبرا اجتبه فان
 رضى اصطفاه وقال صلى
 الله عليه وسلم تحبون أن
 تكونوا كالجر الصبالة
 لا تعرضون ولا تسقمون
 وقال ابن مسعود رضى
 الله عنه تجد المؤمن أصح
 شئ قلبا وأمرضه جسمًا
 وتجد المنافق أصح شئ
 جسمًا وأمرضه قلبا
 فلما عظم الشناء على
 المرض والبلاء أحب
 قوم المرض واغتتموه
 لينالوا ثواب الصبر عليه
 فكان منهم من له علة
 يخفيها ولا يذكرها
 للطبيب و يقاسى العلة
 و يرضى بحكم الله تعالى
 ويعلم أن الحق أغلب
 على قلبه من أن يشغله
 المرض عنه وانما يمنع
 المرض جوارحه وعلموا
 أن صلاتهم قعودا مثلاً
 مع الصبر على قضاء الله
 تعالى أفضل من الصلاة
 قياما مع العافية والصحة
 ففي الخبر ان الله تعالى
 يقول للملائكة اكتبوا
 لعبدى صالح ما كان
 يعمل فانه في وثاقى ان
 أطلقته أبدلته لخاخير
 من لجه وداخير من دمه

وان توفيته توفيته الى رحمتي وقال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب
واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى أن تسكرها وشيا وهو خير لكم وكل سهل يقول ترك (٥٢٥) التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر

عن الفرائض أفضل
من التداوى لاجل
الطاعات وكانت به علة
عظيمة فلم يكن يتداوى
منها وكان يداوى الناس
منها وكان اذا رأى العبد
يصلى من قعود ولا
يستطيع أعمال البر من
الامراض فيتداوى
للقيام الى الصلاة
والنهوض الى الطاعات
يجب من ذلك ويقول
صلاته من قعود مع
الرضا بحاله أفضل من
التداوى للقوة والصلاة
فأما وسئل عن شرب
الدواء فقال كل من دخل
في شيء من الدواء فأنما هو
سعة من الله تعالى لاهل
الضعف ومن لم يدخل في
شيء منه فهو أفضل لانه
ان أخذ شيئا من الدواء
ولو كان هو الماء البارد
يسئل عنه لم يأخذه ومن
لم يأخذ فلا سؤال عليه
وكان مذهبه ومذهب
البصريين تضعيف
النفوس بالجوع وكسر
الشهوات لعلمهم بان ذرة
من أعمال القلوب مثل
الصبر والرضا والتوكل
أفضل من أمثال الجبال
من أعمال الجوارح
والمرض لا يمنع من أعمال
القلوب الا اذا كان ألمه

من المعاصي وكفر به عنه الخطايا (وان توفيته توفيته الى رحمتي) ولا ذنب عليه فابدال صفة بحسن اختيار
الله في الدنيا والآخرة من حسن اختياره وشهوته قال العراقي رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو
وقد تقدم فأت وقدرى ذلك من حديث أبي هريرة بلفظ اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظر اما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه حذانه فعاذك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى ان انا توفيته ان
أدخله الجنة وان انا شفيتها ان أبدله لخير من له وما خير من دمه وان أسكفر عنه سياته رواه
الدارقطني في الغرائب وابن حجر في عوالي مالكا وروى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس يقول الله تعالى
اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر لم يشكني الى عواده ثم ابرأته أبدلته لخير من له وما خير من دمه وان
أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وان توفيته توفيته الى رحمتي وروى ابن عساكر عن مكحول مرسل اذا مرض
العبد يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم ويقال لصاحب اليمين اكتب له أحسن ما كان يعمل فاني أعلم به وأنا
قيده قال صاحب القوت ومن فضل تارك التداوى ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التي كان يعملها في
الصحة وانه يجزى له من الحسنات ما كان يجزى له أعماله فكتب الملك أعماله الصالحة خير له من أعماله لانها
قد دخلها الفساد واختار الله له أن يستعمله بالاجوع خير من اختياره لنفسه أن يشتغل الى الله بالأعمال
الصالحة (وقال صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما كرهت عليه النفوس) كذا في القوت قال العراقي تقدم
ولم أجده مرفوعا (نقيل معناه ما دخل عليه من الامراض والمصائب) ولفظ القوت قيل هو ما أدخل عليها
من المصائب في النفس والاموال فهي تسكره ذلك وهو خير لكم (واليه الاشارة بقوله وعسى أن تسكرها وشيا
وهو خير لكم) وعسى أن تسكرها وشيا وهو شر لكم وقال تعالى ونقص من الاموال والانفس يعني الامراض
والعلل وهو نقصها من أوصافها وقواها وزيادة معانيها وهو خير له اذا صبر وفضل له ان يسكر ودرجات اذا مرض
وتوكل (وكان سهل) التسترى (يقول) ان ترك التداوى وان ضعف عن الطاعات وقصر (به عن
الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات) نقله صاحب القوت قال (وكانت به علة عظيمة فلم يكن
يتداوى منها) قد (كان يداوى الناس منها) قال (وكان) رحمه الله تعالى (اذا رأى العبد يصل من قعود
ولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام الى الصلاة والنهوض الى الطاعات يجب من ذلك
ويقول صلاته من قعود مع القصور (الرضا بحاله أفضل من التداوى للقوة والصلاة فأنما هو
قوله وقد سئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فأنما هو سعة من الله تعالى لاجل
الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيئا من الدواء ولو كان الماء البارد) على سبيل الدواء
(سئل عنه لم يأخذه وان لم يأخذ فلا سؤال عليه) الاصل فيه انه (كان مذهبه) رحمه الله تعالى (ومذهب
سائر المتوكلين (من البصريين تضعيف قوة النفس) واسقاطها (بالجوع) والطي الكثير (وكسر
الشهوات) حتى لا يكون لها حراك لاجل الله لان عندهم ان قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وجب
لقاء الناس والاجتماع مع الخلق وفي ذلك وجود المعاصي ودخول الآفات والهوى وطول الرغبة والحرص
على الدنيا وحب البقاء يقول فاذا ادخل الله عليها الامراض من حيث لا يحتسب فلا يتعالم لضعفها عن افعال
المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة (لعلمهم بان ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا
والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح) بقوة الجسم هذا مذهبهم (والمرض لا يمنع من أعمال
القلوب الا اذا كان ألمه غالبا) عليه (مدهشا) له (و) لذلك (قال سهل) رحمه الله تعالى (علل الاجسام
رحمة فاعل القلوب عقوبة) وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وأمراض القلب للمنافقين (السبب
الخامس أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها) و (عاجز عن تكفيرها) واما طمها (فيرى

غالبا مدهشا وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة * أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف
منها عاجز عن تكفيرها فيرى

المرض اذا طال تكفيرا فترك التدوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال
الحمى والمليحة) قبل هي حرارة الحمى وهجتها وقبل هي الحمى التي تكون في العظام (في العبد حتى يمشى على الارض
كالبردة وما عليه خطيئة) قال العراقي رواه أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث
أبي الدرداء نحوه وقال الصداق بدل الحمى والطبراني في الاوسط من حديث أنس مثل المرض اذا صعد برأ من
مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع في صفاتها ولونها أو أسانيد ضعيفة اه قلت وحديث أخرجه كذلك
الحكيم والبخاري والديلمي وابن عساكر وروى الشيرازي في الالقاب والبيهقي من حديث أبي هريرة لا تزال
المؤمن يصاب في ولده وخاصة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ورواه أحمد وهناد وابن حبان وأبو نعيم والحاكم
والبيهقي بلفظ لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة (وفي الخبر
حتى يوم كفارة سنة) قال العراقي رواه القضاة في مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال
لبلة بدل يوم اه قلت رواه من طريق الحسن بن صالح عن الحسن بن عمر وعن إبراهيم النخعي عن الأسود عن
ابن مسعود رفعه ولفظه الحمى حظ كل مؤمن من النار وحي ليله تكفر خطايا سنة مجرمة وكذلك رواه الديلمي
في مسند الفردوس واهله ابن طاهر بالحسن بن صالح وقال تركه يحيى القطان وابن مهدي وله شاهد عن أبي
الدرداء موقوفا بلفظ حتى ليله كفارة سنة رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات له من طريق عبد الملك بن
عمر عنه وأما لفظ المصنف فرواه تمام في فوائده من طريق أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبيرة عن أبي
هريرة رفعه حتى يوم كفارة سنة ولكن بزيادة وحتى يومين كفارة سنتين وحتى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين
وروى ابن أبي الدنيا من طريق حوشب عن الحسن بن مسعود ان الله ليكفر عن المؤمن خطايا ما كلفها بحمى
ليلته وقال ابن المبارك عقب رواية له انه من جيد الحديث ومن طريق هشام عن الحسن قال كانوا يرجون في
حتى ليله كفارة لما مضى من الذنوب وشوا هذه كثيرة يؤكدها بعضها بعضا وسنة مجرمة بالحمى كعظمة أي تامة
كذا فسر الديلمي وقال صاحب القوت ومن الفضائل ان الامراض مكفرة للسيئات فاذا كره الامراض بقيت
ذنوبه عليه موفرة ثم ساق الخبر المذكور (فقيل لانها تدقوة سنة) قال صاحب القوت هذا أحسن ما سمعت
في تأويله اه فقد قال بعض اطباء من حمى يوم لم تعاده قوة سنة فجعلت مشوبته على قدر رزقته (وقيل)
لان (للانسان ثلاثا توستون مفصلا تدخل الحمى في جميعها) أي حتى يوم في جميع المفاصل (وتجدر من كل
واحد ألفا فيكون كل ألم كفارة كل يوم) نقله صاحب القوت وكذا كان أبو هريرة يقول أحب الاوجاع
الى الحمى لانها تعطى كل مفصل حقه من الاجر بسبب عموم الوجع ثالث وهو ان الحمى تؤثر في البدن
تأثير الا زوال بالكتابة الا الى سنة وقد أفاد هذا الخبر ان المرض صالح لتكفير الذنوب فيكفر الله به ما يشاء منها
وتكون كثرة التكفير وقلته باعتبار مدة المرض وخفته (ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحمى سأله يزيد بن ثابت) رضي الله عنه (ربه عز وجل ان لا يزال محمولا فلم تكن الحمى تغفره حتى مات رجه
الله) نقله صاحب القوت قال ويقال أيضا أبي بن كعب (وسأل ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى
لا تزالهم) كذا في القوت وقال العراقي روى أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد أن رجلا
من المسلمين قال يا رسول الله أرايت هذه الامراض التي تصيبنا لما فيها قال كفارات قال أبي فان قلت قال وان
شوكة فنافقوها قال فدعا أبي أن لا يفارق الوعل حتى يموت الحديث وروى الطبراني في الاوسط من حديث
أبي بن كعب انه قال يا رسول الله ما خير الحمى قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب
عليه عرق فقال اني أسألك حتى لا تمنعني خروجا في سبيلك ولا مسجد نديك الحديث فالاسناد مجهول قاله علي بن
الدينني (ولما قال صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كرميته) فصبر (لم يرض له ثوابا دون الجنة) رواه هناد
والترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ يقول الله تعالى من أذهب حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون
الجنة ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس قال الله تبارك وتعالى لا أقبض كرميتي عبدى وحبيبتيه فيصبر

المرض اذا طال تكفيرا
فيترك التدوى خوفا
من أن يسرع زوال
المرض فقد قال صلى
الله عليه وسلم لا تزال
الحمى والمليحة بالعبد
حتى يمشى على الارض
كالبردة ما عليه ذنب ولا
خطيئة وفي الخبر حتى
يوم كفارة سنة فقيل
لانها تدقوة سنة وقيل
لانسان ثلثمائة وستون
مفصلا تدخل الحمى في
جميعها ويحسد من كل
واحد ألفا فيكون كل ألم
كفارة يوم ولما ذكر صلى
الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحمى سأله يزيد
ابن ثابت ربه عز وجل
أن لا يزال محمولا فلم
تكن الحمى تغفره حتى
مات رحمه الله وسأل
ذلك طائفة من
الانصار فكانت الحمى
لا تزالهم ولما قال صلى
الله عليه وسلم من أذهب
الله كرميته لم يرض له
ثوابا دون الجنة

قال فلقد كان من الانصار من يمتنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرغ بدخول المصائب والامراض على جسده وماله
المارجو في ذلك من كفارة خطاياهم وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء (orv) فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف

ارحمه فيمياه ارحمه أى
أكفر ذنوبه وأزبد في
درجاته * (السبب
السادس) * أن يستشعر
العبد في نفسه مبادئ
البطر والطغيان بطول
مدة الصحة فيترك التداوى
خوفا من أن يعاجله
زوال المرض فتعاوده
الغفلة والبطر والطغيان
وطول الامل والتسوية
في تدارك الفئات
وتأخير الخيرات فان
الصحة عبارة عن قوة
الصفات وبها ينبعث
الهوى وتتحرك الشهوات
وتدعو الى المعاصي وأقلها
أن تدعو الى التمتع في
المباحات وهو تضييع
الافاق واهمال اللزج
العظيم في مخالفة النفس
وملازمة الطاعات واذا
أراد الله بعدد خير لم يخله
عن التنبه بالامراض
والمصائب ولذلك قيل لا
يخلو المؤمن من علة أو
قلة أو ذلة وقدر وى أن
الله تعالى يقول الفتر
سبحنى والمرضى قبدى
أحبس به من أحب من
خلقى فاذا كان فى المرض
حبس عن الطغيان
وركوب المعاصى فإى
خير يزيد عليه ولم ينبغى
أن يشتغل بعلاجه من

الحكمى و يرضى بقضائى فارضى له ثوابا دون الجنة ورواه أبو يعلى بلفظ اذا أخذت كريمى عبد لم أرض له ثوابا
دون الجنة وفى الباب عن جماعة من الصحابة قد سبق فى كتاب الصبر (قال فلقد كان فى الانصار من يمتنى العمى)
ولفظ القوت قال فلقد رأيت الانصار يمتنون العمى قال ولما جاءت الحى تستأذن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ذهبي الى أهل قبا وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى يحبون أن يتطهروا أى من الآثام والذنوب
بالحى والامراض فالويل لمن فى ذلك الا حبة الله وشهادته بظاهرة العبد بالعله لكان نصيبا موفورا قال فاسقعتهم
الحى وأنهم سكتهم فخاذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه كفها قال ان أحببتهم تركها وكانت لكم طهورا
فقالوا بل نتركها فاشكر الله صبرهم فأخبر بحبته لهم فكان من هذا أن تلك الامراض اختيار الله وإيثار محبته
وانه أفضل بحسن ثناء الله عليهم باختيارهم (وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرغ بدخول
المصائب والامراض على جسده وماله المارجو فى ذلك من كفارة خطاياهم) نقله صاحب القوت قال فالصديقون
يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون بأمراض القلوب لان فى أمراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان
وفى أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والايقان (وروى أن موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم
البلاء فقال يارب ارحمه) فإنى قدرجته (فقال تعالى) وحيا اليه (كيف ارحمه فيمياه ارحمه) نقله صاحب
القوت (أى به أكفر ذنوبه وأزبد في درجاته) وقال الله تعالى فى تصديق ذلك ولورحناهم وكشفنا ما بهم من
ضرر للجوا الآية فأخبر أن ترك الرحمة لهم من الامراض لطفا بهم ورحمة بالنته لهم قال صاحب القوت وروينا
أن عبد الواحد بن زيد خرج فى نفر من اخوانه الى بعض فواحي البصرة فاوهم المسير الى كهف جبل فاذا
فيه عبد مقطوع بالجزام يسيل جسده فيحاو صديدا وقالوا يا هذا الودح البصرة فتعالت من هذا الداء الذى
يك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سدى سلطت على هؤلاء يسخطون عليك ويكرهون الى قضاءك سيدى
أستغفرك من ذلك الذنب لك العقبى أن أعود فيه أبدا صرفهم عنى أرددهم عنى قال وكما جماعة فى امك كازوس
دوابنا ولا قدرنا على ضبطها حتى ردتنا عنه الى البصرة (السبب السادس) أن يستشعر العبد فى نفسه مبادئ
البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر
والطغيان أو طول الامل والتسوية فى تدارك الفئات وتأخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات
وبها ينبعث (الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي وأقلها أن تدعو الى التمتع فى المباحات وهو
تضييع الافاق) فمبالا طائل تحتته (واهمال اللزج العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا أراد الله
بعدد خير لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب) وقدر وى أحد من حديث عبد الله بن مغفل اذا أراد الله
بعدد خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا الحديث (ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة) فى جسده (أو قلة) فى ماله
(أو ذلة) وقيل أيضا المؤمن لا يخلو من علة أو ذلة فاذا لم يتدأ فله أعمال حسنة منها أن ينوى الصبر على بلاء الله
والرضا بقضائه والتسليم لحكمه ومنها أن موله أعلم به منه وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقبسه
بالامراض عن المعاصى (وقدر وى أن الله تعالى يقول الفقر سجن والمرضى قبدى أحبس به من أحب من
خلقى) نقله صاحب القوت (فاذا كان فى المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصى فأى خير يزيد عليه)
وقد حبس عن ارتكاب ما يوجب عليه النار (لم ينبغى أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية فى
ترك المعاصى) فلا يأمن ان تدأى فعوى أن تقوى النفس فينتشر هواها لان المعاصى فى العوافى وعلة سنة
خير من معصية ساعة (فقد) روى الدينورى فى المجالسة عن ابن ضريس قال بعض الحكماء انما لك من العمر
ما أطعت الله فيه فاما ما عصيته فلا تعده عمرا اه ومن هنا قولهم لا بعد من العمر الا أوقات الخير و (قال بعض
العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله عز وجل فأنت فى عافية وان كنت

فأنت فى عافية وان كنت

قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ما عوفى من عصي الله (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض (بالعراق في يوم عيد) لهم (ما هذا الذي أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) (وقال تعالى) وعصيتهم (من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافي) والغنى وقد قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك إذا استغنى بالعافية) يعني أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لأنه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفي الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لأن السقيم معذور وفي الحديث القدسي أن من عبد آدمي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك فكان السقيم صالحا إذ قد يكون المعافي مفسدا ولذلك جاء في الخبر أشد الناس عذابا بعد الفراغ فجاء من تذرهم حسابا بالسقيم المشغول بنفسه فالعصية في حال العافية نعمة ثانية كالعصية من المعصية فالغنى في حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصية فيه بالانفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربات فصارت العصية بالعافية لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصية بالفقر لأنه يمنع من الشهوات راحة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنار بكم الأعلى) أي انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحمله جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والميل في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوما (اشغلت عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أي لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) لامتوكل أيضا في الأمراض تجديدا للتوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغناء عنها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم الذات) يعني الموت أي قاطعها والهدم هو القطع ومنه سيف هاذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح إلا أنه يخالف للرواية قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك أجد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطني بالارسال ولفظه عند العسكري في الأمثال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من يجالس الأنصار وهم عزجون ويضحكون فقال أكثروا ذكر هاذم الذات فإنه لم يذكر في كثير من الأقوال ولا في قليل الآخر ولا في ضيق الأوسع ولا في سعة الاضيقها وفي الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فإنه يحص الذنوب ويذهب الدنيا وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهني ذكر الموت بطرد فضول الأمل ويكفر غر التمني ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحى رائد الموت) أي رسوله الذي يتقدمه في تسخيه يري الموت (فهو مذكوره ودافع للتسويق) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم في الطب من طريق جابر بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن أنس مرفوعا الحى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بن زياد يحمس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء فقترها بالماء البارد كذا رواه هناد في الزهد وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وأبو نعيم في الطب والبيهقي والقضاعي فالو نعيم رواه من طريق جابر بن زيد عن جهميد وحبيب وثابت وعلي بن زيد في آخرين كلهم عن الحسن وابن أبي الدنيا واه من طريق جابر بن زيد عن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضاعي من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيب حدثني أبو الخطاب حدثنا بشير ابن الفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه فقترها بالماء يروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحى رائد الموت رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الطب من طريق اسمعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك

قد عصيته فأى داء أدوأ من المعصية ما عوفى من عصي الله (وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض (بالعراق في يوم عيد) لهم (ما هذا الذي أظهره قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد) (وقال تعالى) وعصيتهم (من بعد ما أراكم ماتحبون قيل العوافي) والغنى وقد قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وكذلك إذا استغنى بالعافية) يعني أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال لأنه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة واختبار وفي الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ فصار الصحيح مغبونا لأن السقيم معذور وفي الحديث القدسي أن من عبد آدمي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك فكان السقيم صالحا إذ قد يكون المعافي مفسدا ولذلك جاء في الخبر أشد الناس عذابا بعد الفراغ فجاء من تذرهم حسابا بالسقيم المشغول بنفسه فالعصية في حال العافية نعمة ثانية كالعصية من المعصية فالغنى في حال الغنى نعمة النعمة وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصية فيه بالانفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربات فصارت العصية بالعافية لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصية بالفقر لأنه يمنع من الشهوات راحة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية (وقال بعضهم انما قال فرعون أنار بكم الأعلى) أي انما حمله على ذلك القول (لطول العافية لأنه لبث أربع مائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحمله جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لعنه الله ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والميل في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوما (اشغلت عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية) أي لكان شغله بنفسه كافيا عن هذه الفضولات (و) لامتوكل أيضا في الأمراض تجديدا للتوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستغناء عنها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت (قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم الذات) يعني الموت أي قاطعها والهدم هو القطع ومنه سيف هاذم وهذام ومنهم من يقول هو بالدال المهملة والمعنى صحيح إلا أنه يخالف للرواية قال العراقي رواه الترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة اه قلت ورواه كذلك أجد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطني بالارسال ولفظه عند العسكري في الأمثال من رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس من يجالس الأنصار وهم عزجون ويضحكون فقال أكثروا ذكر هاذم الذات فإنه لم يذكر في كثير من الأقوال ولا في قليل الآخر ولا في ضيق الأوسع ولا في سعة الاضيقها وفي الباب عن جماعة منهم أبو سعيد وأنس وابن عمر وروى ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف أكثروا من ذكر الموت فإنه يحص الذنوب ويذهب الدنيا وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال قال معبد الجهني ذكر الموت بطرد فضول الأمل ويكفر غر التمني ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان (وقد قيل الحى رائد الموت) أي رسوله الذي يتقدمه في تسخيه يري الموت (فهو مذكوره ودافع للتسويق) وهذا القول قد روى مرفوعا مع زيادة رواه أبو نعيم في الطب من طريق جابر بن سلمة عن علي بن زيد بن جده عن أنس مرفوعا الحى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقال ابن بشير رواه أنس كذلك مرفوعا وقد روى من مرسل الحسن بن زياد يحمس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء فقترها بالماء البارد كذا رواه هناد في الزهد وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وأبو نعيم في الطب والبيهقي والقضاعي فالو نعيم رواه من طريق جابر بن زيد عن جهميد وحبيب وثابت وعلي بن زيد في آخرين كلهم عن الحسن وابن أبي الدنيا واه من طريق جابر بن زيد عن ابن شبرمة عن الحسن ورواه القضاعي من طريق عبد الله بن مسلم بن حبيب حدثني أبو الخطاب حدثنا بشير ابن الفضل عن يونس عن الحسن وليس فيه فقترها بالماء يروى هذا القول أيضا عن سعيد بن جبير من قوله الحى رائد الموت رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الطب من طريق اسمعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك

بهذا كله انه حديث مرفوع ~~والصن~~ المصنف تابع صاحب القوت فانه لم يصرح بانه وارد (وقال تعالى أو لا يرون انهم يقتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قبيل يقتنون بالامراض) والاسقام (يختبرون بها) كذا في القوت (و يقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت يا جاهل يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تحب) الا ان آتيتك بنفسي أضربك ضربة أقطع منك الوتين كذا في القوت وقدر واه أبو نعيم في الحلية عن مجاهد بلغظ مامن مرض يعرضه العبد الا رسول ملك الموت عنده حتى اذا كان آخر مرض يعرضه آناه ملك الموت فقال أذاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد آذاك رسول يقطع أثرك من الدنيا (وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج) منهم (عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال) كذا في القوت (وقالوا) ولفظ القوت ويقال (لا يتحشا المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية) ولفظ القوت بنسبة وزاد في كانوا يكرهون فقد ذلك في نصاب هذا العدد غير أن نصابوا فيه بشئ (حتى روى أن عمار بن ياسر) رضى الله عنه (تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها) كذا في القوت (وان النبي صلى الله عليه وسلم عرض) وفي نسخة عرضت (عليه امرأة فحكى) أي ذكر (من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل وانهم اصابوا مرضا ففعلوا حاجة في فيها) كذا في القوت قال العراقي رواه أحمد من حديث أنس بن مالك بأسناد جيد (وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والادواء كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع) و (ما أعرفه) وفي رواية ذكرت الحكي فقال ما أصابني قط (فقال صلى الله عليه وسلم البلى عني من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فليتنظر الى هذا) كذا في القوت قال العراقي رواه أبو داود من حديث عامر الراعي أثنى الخضر بنحوه وفي اسناده من لم يسم اه قلت رواه هو وأحمد من طريق أبي اسحق عن أبي منظور عن عمه عامر الراعي قال ان البلاء اذا رفعت للنار ايات وألوية فقلت ما هذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبالت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس تحت شجرة وحوله أصحابه فذكر الحديث وذكر البخاري في تاريخه ان أبا أويس رواه عن أبي اسحق فقال عن الحسن بن عمار عن أبي منظور وقد أخرج عن أبي خزيمة وابن السكيت وغيرهما الحديث من طريق أبي اسحق قال حدثني رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور فهاذيل علي وهم أبي أويس قال البخاري أبو منظور ولا يعرف الابهـذا (وذلك لانه ورد في الخبر الحكي حظ كل مؤمن من النار) وهذا التعليل لا يستقيم الامع ذكر الاربعة الثانية التي ذكرتها وهي موجودة في القوت وسقطت من سياق المصنف ولعله من النسخ قال العراقي رواه البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبي أمامة والطبراني في الاوسط من حديث أنس والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وباقيها حسن ولابن ماجه من حديث أبي هريرة انه عاد مريضاً من وعك كان به فقال ان الله عز وجل يقول هي ناري أساطها على عبد المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة وأعله الدارقطني بان الصواب انه عن كعب اه قلت لفظ حديث عائشة عن البزار الحكي حظ كل مؤمن من النار وقد أعله الدارقطني بالانقطاع وله طريق آخر عنها ضعيف قلت ولكن حسن المنذري اسناده ولفظ حديث أبي أمامة عند أحمد الحكي كبير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار قال المنذري لابن عباس بأسناده وقدر واه أيضا الطبراني وابن مردويه وأبو بكر في الغيلانيات ولفظ حديث ابن مسعود عند الديلمي الحكي حظ كل مؤمن من النار وحكي ليله تكفر خطايا سنة مجرمة وقدر واه كذلك القضاعي في مسند الشهاب وهذا قد تقدم الكلام عليه قريبا وأما حديث أنس عند الطبراني في الاوسط فروى كما تقدم وروى أيضا بلفظ الحكي حظ أمي من جهنم وسنده كذلك ضعيف وفي الباب عن عثمان بن عفان وأبي رباحة الانصاري لحديث عثمان أخرجه ابن عساكر في تاريخه بلفظ الحكي حظ المؤمن من النار يوم القيامة وحديث أبي رباحة رواه ابن البخاري في تاريخه بلفظ الحكي كبير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار وفي لفظ وهي نصيب المؤمن من النار رواه هكذا الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيрази في الالغاب وابن عساكر (وفي حديث

وقال تعالى أو لا يرون انهم يقتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قبيل يقتنون بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تحب وقد كان السلف لذلك يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال وقالوا لا يتحشا المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يصاب ببلية حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها كذا في القوت قال العراقي رواه أحمد من حديث أنس بن مالك بأسناد جيد (وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض والادواء كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع) و (ما أعرفه) وفي رواية ذكرت الحكي فقال ما أصابني قط (فقال صلى الله عليه وسلم البلى عني من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فليتنظر الى هذا) كذا في القوت قال العراقي رواه أبو داود من حديث عامر الراعي أثنى الخضر بنحوه وفي اسناده من لم يسم اه قلت رواه هو وأحمد من طريق أبي اسحق عن أبي منظور عن عمه عامر الراعي قال ان البلاء اذا رفعت للنار ايات وألوية فقلت ما هذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبالت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس تحت شجرة وحوله أصحابه فذكر الحديث وذكر البخاري في تاريخه ان أبا أويس رواه عن أبي اسحق فقال عن الحسن بن عمار عن أبي منظور وقد أخرج عن أبي خزيمة وابن السكيت وغيرهما الحديث من طريق أبي اسحق قال حدثني رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور فهاذيل علي وهم أبي أويس قال البخاري أبو منظور ولا يعرف الابهـذا (وذلك لانه ورد في الخبر الحكي حظ كل مؤمن من النار) وهذا التعليل لا يستقيم الامع ذكر الاربعة الثانية التي ذكرتها وهي موجودة في القوت وسقطت من سياق المصنف ولعله من النسخ قال العراقي رواه البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبي أمامة والطبراني في الاوسط من حديث أنس والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وباقيها حسن ولابن ماجه من حديث أبي هريرة انه عاد مريضاً من وعك كان به فقال ان الله عز وجل يقول هي ناري أساطها على عبد المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة وأعله الدارقطني بان الصواب انه عن كعب اه قلت لفظ حديث عائشة عن البزار الحكي حظ كل مؤمن من النار وقد أعله الدارقطني بالانقطاع وله طريق آخر عنها ضعيف قلت ولكن حسن المنذري اسناده ولفظ حديث أبي أمامة عند أحمد الحكي كبير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار قال المنذري لابن عباس بأسناده وقدر واه أيضا الطبراني وابن مردويه وأبو بكر في الغيلانيات ولفظ حديث ابن مسعود عند الديلمي الحكي حظ كل مؤمن من النار وحكي ليله تكفر خطايا سنة مجرمة وقدر واه كذلك القضاعي في مسند الشهاب وهذا قد تقدم الكلام عليه قريبا وأما حديث أنس عند الطبراني في الاوسط فروى كما تقدم وروى أيضا بلفظ الحكي حظ أمي من جهنم وسنده كذلك ضعيف وفي الباب عن عثمان بن عفان وأبي رباحة الانصاري لحديث عثمان أخرجه ابن عساكر في تاريخه بلفظ الحكي حظ المؤمن من النار يوم القيامة وحديث أبي رباحة رواه ابن البخاري في تاريخه بلفظ الحكي كبير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار وفي لفظ وهي نصيب المؤمن من النار رواه هكذا الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيрази في الالغاب وابن عساكر (وفي حديث

أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشر من مرة وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وأوالا فيهم من يدا فيها من حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم* (بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال)* فلو قال قائل انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره والا فهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجة والفصد عند تبخ الدم فان ذلك أيضا شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيا (٥٣٠) عن نفسه اذا الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال

وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطاش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالحبية وهذا القائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا عظيما وباء ذريعا فاسترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلتق بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نمرب من قدر الله تعالى ولا ننظر من الموت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم تر

أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشر من مرة وفي لفظ حديث (آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أقفله على أسناد قلندري الطبراني في الاوسط من حديث عائشة قلت يا رسول الله ليس الشهداء الامن قتل في سبيل الله قال يا عائشة ان شهداء أمتي اذا القليل من قال في يوم خمسة وعشرين من مرة اللهم بارك لي في اليوم وفيما بعد اليوم ثم مات على فراشه أعطاه الله أجرا شهيد في اسناده من لا يعرف حاله (ولاشك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وأوالا فيهم من يدا فيها من حيث رأوا التداوى نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم) فبمثل هذه الاسباب ترجح الاعمال بعضها على بعض ولا يكون خلاف السنة والله أعلم

(بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال)

(فلو قال قائل ان التداوى انما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره) اى ليجعله سنة للامة (والافهو حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال) على ذلك (ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجة والفصد عند تبخ الدم) أى هيجانه (فان قيل ان ذلك أيضا شرط فيكون من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيا) أى لا يزيلها (عن نفسه اذا الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطاش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالحبية وهذا القائل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الاسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عليهم (في قصة الطاعون) المشهورة (فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية) وهو موضع بالقرب من دمشق (بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا) أى كثيرا (ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلتق بايدينا الى التهلكة وقالت طائفة أخرى بل ندخل وتوكل ولا نمرب من قدر الله تعالى ولا ننظر من الموت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية) (فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفروا من قدر الله تعالى قال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احدهما منخصة والاخرى مجذبة) أى لا كلاهما (أليس ان رعى المنخصة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف) رضى الله عنه (ابسأله عن رأيه) فى ذلك (وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندهم من رعى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

إذا

الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فرجعوا الى عمر فسألوه عن رأيه

فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له المخالفون فى رأيه أنفروا من قدر الله تعالى قال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرايتم لو كان لاحدكم غنم فهبط واديا له شعبتان احدهما منخصة والاخرى مجذبة أليس ان رعى المنخصة رعاها بقدر الله تعالى وان رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه وكان غائبا فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال عندهم من رعى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وسلم يقول

إذا سمعتم الوباء بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ففرح عمر بذلك
وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس (رواه مالك وأحمد والشيخان من حديث ابن عباس
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بصريغ أقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح
وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع إلى المهاجرين الأتريين
فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمري ولا نرى أن
نرجع عنه وقال بعضهم معك بقية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء
فقال عمر ارتفعوا عني ثم قال ادع إلى الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلموا سبيل المهاجرين واختلفوا
كأختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم
يختلف عليه رجلان فقالوا نرى أن نرجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنأدى عمر في الناس إلى مصبح
على ظهر فاصبحوا عليه فقال أبو عبيدة وهو ذاك أمير الشام فراراً من قدر الله فقال عمر لو غيرك قالها يا أبا
عبيدة وكان عمر يكره خلافه نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أ رأيت لو كان لك ابل كثيرة فهبطت وأدبها عدوتان
احدهما من خصبة والآخرى جديبة أألتان رعيت في الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيتها في الجديبة رعيتها
بقدر الله قال فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيثاً في بعض حاجاته فقال ان عندي من هذا العلم سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً
منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف زاد ابن خزيمة في صحيحه بالناس وذكر سيف في الفتوح عن مشايخه ان
الطاعون وقع بالشام في الحرم وصفر ومات فيه الناس ثم ارتفع فكتبوا إلى عمر بذلك فخرج حتى إذا كان
قريباً من الشام بلغه انه كان أشد ما كان فقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بأرض
فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا عليكم فرجع عمر حتى ارتفع الطاعون منها قلت أما حديث
عبد الرحمن بن عوف المتقدم فقد روي أيضاً من حديث أسامة بن زيد ورواه الطبراني والبيهقي ومن حديث
سعد بن أبي وقاص ورواه الطبراني والبراز وقد وردت أخبار كثيرة موافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف
وفي لفظ من حديث أسامة الطاعون بقية رجزاً وعذاباً أرسل على طائفة من بني أسرائيل فإذا وقع
بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تهبوا عليه هكذا رواه الشيخان
والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة وفي رواية لمسلم الطاعون آية الرجز أتى الله به أناساً من عباده فإذا
سمعتم به فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تفرأوا منه ورواه الطبراني بلفظ الطاعون ببلد
وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تدخلوا عليه ورواه أحمد والطبراني والبيهقي وابن
قانع من حديث عكرمة بن خالد عن أبيه أوعى عن جده إذا وقع الطاعون في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وان
كنتم بغيرها فلا تقدموا عليه وأما الآية التي استدلل بها بعض الصحابة وهي قوله تعالى ألم ترالى الذين خرجوا
من ديارهم الآية قال السكبي كانوا ثمانية آلاف وقال قتادة وقع الطاعون فخرج منهم الثلثان وبقي الثلث ثم
أصابهم نفر جوا كلهم فاما نهم الله عقوبة وقال الحسن ما نوا قبل آجالهم ثم أحياهم إلى آجالهم وقيل ان
خروجهم كان لغير ذلك قال الزخشي ومن بديع التفسير ان معنى ألوف أى قلوبهم مؤلفة انما خرجوا فراراً
وانه جمع ألف مثل شهود وشاهد وقال الفخر الرازي يمكن أن يكون المراد ان كل واحد منهم آلفاً لحياته محباً
له هذه الدنيا (فاذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات ان كان أمثال هذا من
شروط التوكل فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر
طرق التدوى الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم يرخص فيه فاعلم انه لا خلاف في أن
الفرار عن المضر غير منهي عنه إذا نجامة والغصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل
غير منهي عنه إذا نجامة والغصد فرار من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن

إذا سمعتم بالوباء في أرض
فلا تقدموا عليه وإذا وقع
في أرض وأنتم بها فلا
تخرجوا فراراً منه ففرح
عمر رضي الله عنه بذلك
وحمد الله تعالى إذ وافق
رأيه ورجع من الجابية
بالناس فاذا كيف اتفق
الصحابة كلهم على ترك
التوكل وهو من أعلى
المقامات ان كان أمثال
هذا من شروط التوكل
فان قلت فلم نهى عن
الخروج من البلد الذي
فيه الوباء وسبب الوباء
في الطب الهواء وأظهر
طرق التدوى الفرار
من المضر والهواء هو
المضر فلم يرخص فيه
فاعلم انه لا خلاف في أن
الفرار عن المضر غير
منهي عنه إذا نجامة
والغصد فرار من المضر
وترك التوكل في أمثال
هذا مباح وهذا لا يدل
على المقصود ولكن

الذي ينقذ فيه والعلم عند الله تعالى (٥٣٢) أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له

الذي ينقذ فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوبا على الظاهر الا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخص غالباً من الاثر الذي استحكم من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطبيرة وغيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضاً للتوكل ولم يكن منهيًا عنه ولكن صار منهيًا عنه لانه انضاف اليه أمر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعدين) القائلين بخدمتهم من تحريض وتجهيز (ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء يطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهم ما بانفسهم فيكون ذلك) الخروج (سعيًا في اهلاكهم تحقيقًا وخلاصهم منتظرًا كما ان خلاص الاصحاء منظر فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعًا بخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقيين والمسلمون كالبنين يشدد بعضهم بعضاً) وقد روى الشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث أبي موسى والراهمري في الامثال من حديث أبي هريرة وأبي سعيد المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدد بعضه بعضاً (والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه) رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير بلفظ المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه تداعى اليه سائر الجسد بالجى والسهرو في لفظه المسلمون كرجل واحد ورواه أحمد وأبو نعيم في الحلية بلفظ ان اشتكى رأسه اشتكى كله ورواه الراهمري في الامثال بلفظ المسلمون كالرجل الواحد ان اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده وقدر روى نحوه من حديث سهل بن سعد المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لاهل الايمان كأيالم الجسد لما في الرأس رواه ابن المبارك وأحمد والرويانى والطبرانى وأبو نعيم في الحلية والضياء (فهذا هو الذي ينقذ عندنا في تعالي - بل النهى) اعلم أن بعض أهل العلم ذكر ان النهى عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فرار منه أمر تعبدي لا يعقل معناه اذ الفرار من المهالك مأمور به وقد صح النهى هنا فكان السرفيه لا تعلم حقيقته فالاولى فيه التماسك والامتنان * وذهب كثير من أهل التعليل وذكر ذلك حكماً منها ما ساقه المصنف هنا وحاصله انهم لو تواردوا على الخروج لبقى من وقع به عاجزاً عن الخروج فضاعت مصالح المرضى للقدم من يتعهدهم والموتى للقدم من يجزهم ولما في خروج الاقوياء من كسر قلوبهم لا قدرة لهم على الخروج ومنها ان الطاعون في الغالب يكون عاماً في البلد الذي يقع فيه فاذا وقع والشخص بها فالظاهر مداخلة سببه له فلا يفيد الفرار منه بل ان كان أجله حضر فهو ميت سواء أقام أو رحل وكذا بالعكس ولهذا رجع من تصرفات الصحح في البلد الذي يقع فيه الطاعون كتصرفات المريض مرض الموت ومنها ان الخارج يقول لولم أخرج لمات ويقول المقيم لو خرجت كما خرج فلان

بعضه بعضاً والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر أعضائه فهذا هو الذي ينقذ عندنا في تعليل النهى لسلامت

اسلمت فيقع في الاوالمتهى عنها ولهذا قال ابن عبد البر وروى عن ابن مسعود ان الطاعون فتنه للمقيم والخارج ومنها زعم بعض أهل الطب ان الذي يقع به الوباء تنكيف أو واح أهله بكيفية هواء تلك الاماكن وتألفها أمر جهم وتصير لهم بمنزلة الاهوية الصحيحة لغيرهم فاذا انتقلوا الى الاماكن الصحيحة الهوا لم يوافقهم بل اذا الهوا الصحيح استعجب معه الى القلب ما يجده من الابخرة الرديئة التي حصل تنكيف بدنه بها فيصل الى القلب فيقع ذلك المرض الذي فرمنه فتمنع من الفرار منه من هذه الحبيثة وهذا فيه نظر والمعتمد ما تقدم (وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا ياهل البلد حاجة اليهم) في تعهد مرضاهم وموتاهم أي فليس له الدخول في ذلك البلد (نعم لو لم يبق في البلد الامطعون وافترروا الى المتعدين وقدم عليهم قوم فرما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا) نظرا الى اقتقادهم (لأجل الاعانة) لهم (أولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجا دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم) قال العراقي رواه أحمد بن حنبل حديث عائشة بأسناد جيد ومن حديث جابر بأسناد ضعيف وقد تقدم اه قلت أما حديث عائشة فلفظه عنده الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفارم منها كالفار من الزحف ورواه ابن عدي والطبراني في الاوسط بافظ الطاعون شهادة لأمي ووخراً عداكم من الجن يخرج في آباط الرجال مرافها الفارم منها كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد ورواه هو أيضا وعبد بن حنبل وابن خزيمة بافظ والصابر فيه كالصابر في الزحف (فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى طواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد يكثر في مثل هذا وانما شرف العلم وفضل لأجل ذلك) ثم اعلم ان العلماء اختلفوا في أن ينهى عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون هل هو على ظاهره من التحريم أو هو للتنزيه على قولين وربما استدلل من قال انه ينهى تحريم في بعض طرق الخبر السابق والفارم منها كالفار من الزحف قال ابن عبد البر الطاعون موت شامل لا يحل لأحد أن يفر من أرض تزل فيها اذا كان من ساكنها ولان يقدم عليه اذا كان خارجا عن الأرض التي تزل بها وقال التاج السبكي في الجزء الذي جمعه في الطاعون مذهبنا وهو الذي عليه الاكثر انه للتحريم قال وقال بعض العلماء هو للتنزيه وانفق على جواز الخروج لشغل عرض غير الفرار قال وليس محل النزاع فيمن خرج فارا من قضاء الله تعالى فذلك لا سبيل الى القول بانه غير محرم بل الظاهر ان محل النزاع فيما اذا خرج للتداوي ورد عليه الحافظ ابن حجر في بذل المساعون بأن هذا ليس بظاهر لان الخروج للتداوي ليس حراما في مذهب الشافعي وجاعة وهو قد صحح ان الخروج حرام فكيف يجعل محله ما اذا خرج للتداوي والخروج للتداوي ليس بحرام بل العبارة الصحيحة أن يقول محل النزاع فيما اذا خرج فارا من المرض الواقع مع اعتقاده انه لو قدره الله عليه لأصابه وان فراره منه لا ينبغي من قدر الله لكن يخرج مؤملا أن نجو قال الحافظ واحتج من أجاز الفرار بأمور * الاول قال الطحاوي بعد ان أورد حديث لا يورد مريض على معص ذهاب قوم لهذا وقالوا انما كره ذلك مخافة الأعداء وأقروا باجتناب ذي الداء والفرار منه واحتجوا برجوع عمر من سرغ بسبب الطاعون خشية أن يعديه من دخل عليه ثم أجاب الطحاوي بان الأمر بترك القدوم عليه ملو كان للخوف من أن يعدي كان لاهل الموضع الذي وقع فيه أيضا الخروج فلما منعوا ثبت ان المعنى الذي منعوا من القدوم عليه غيره وهو خوف أن يصيبه بتقد بر الله فيقول لولا اني قدمت هذه الأرض لما أصابني فامر أن لا يقدم جسمها للمادة وكذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي تزل بها البلاء ليسلم فيقول لو أقت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها ولعله لو كان أقام بها ما أصاب من ذلك شيء فامر بترك القدوم على الطاعون للمعنى الذي وصفنا * الثاني قال التاج السبكي احتجوا بالقياس على الفرار من الأسد والعدو الذي لا يقدر على دفعه فان الكفار وقطاع الطريق اذا قصدوا من لا طاقة لهم بهم جاز التحنن من بين أيديهم ونقل فيه الكمال الهراسي الاتفاق فقال لان علم خلافا في الجواز وان كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص والجواب ان السلامة من الأسد والعدو

وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهوا في باطنهم ولا ياهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق بالبلد الامطعون وافترروا الى المتعدين وقدم عليهم قوم فرما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الاعانة ولا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجا دفع ضرر عن بقية المسلمين وبهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر القلوب بقية المسلمين وسعي في اهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى طواهر الاخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وانما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك

فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرتم فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف (٥٣٤) على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكرك الموت لغلبة الغفلة أو احتاج

الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قسرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرفي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله اضعهفه عن الجمع قال هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوى

وكل ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب

وفتداه فانه لم يكن له نظري الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضربه الاسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كراهية أيضا نقص بالاضافة الى من يستوى عند وجود

نادر والهلاك معهما كالتيقن فصار كالتقاء الانسان نفسه في النار بخلاف الفرار من البلد الذي يقع به الطاعون فان السلامة فيه كثيرة وان لم تكن غالبية * الثالث القياس على الخروج من الارض المستوحشة كقصة العربيين والجواب ان ذلك من باب التداوى وترك ما لا يوافق المريض من الاغذية والاهوية في تأثير المرض فكان الخروج من الارض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوى قال التاج السبكي وعندى في هذا الجواب نظر قال الحافظ ابن حجر كان وجهه لقائل أن يقول ان الطاعون أيضا ينشأ من فساد الاهوية فالخروج من البلد الذي يقع بها ينبغي أن يكون جائزا مطلقا كما جاز للعربيين وهذا يمتشى على القول بان الطاعون من طعن الجن والحق ان خروج العربيين لم يكن لقصد الفرار أصلا وانما كان لمحض التداوى كما تقدم عن الطحاوي وكان خروجهم من ضرورة الواقع لان الابل ما كان تنهيا أقامت في البلد وانما كانت في مراعيها ودواؤهم كان بالبانهم أو أبو الهوا وسنة شاق تلك الرايح فكان الخروج عن البلد ضمنا لا مرسحا تحقيق الوجود بخلاف الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون الى بلد آخر فانه خروج اليه بالقصد لا مرسحا اذ لا يؤمن من وقوع الطاعون في البلد الاخر * الرابع قال الزركشي احتجوا بالقياس على الفرار من المجدوم فروى البخاري من حديث أبي هريرة وفروى من المجدوم كما تفر من الاسد والجواب من وجهين أحدهما قال ابن الصلاح تبعا لغیره جامع بين ما ظاهره التعارض من حديث أبي هريرة وهو لا يورد مريض على مصح وحديث فروى المجدوم فرارك من الاسد مع حديث لا عدوى ان هذه الامراض لا تعدى بطبعها ولكن الله تعالى جعل مخالطة المريض بها للمصح سببا لعدائه مرضه ثم قد يتخلف ذلك عن مسببه كسائر الاسباب فانهم اذ كره ابن خزيمة والطحاوي وأصله لابي عبيدة القاسم بن سلام وهو أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده لوانى ما أورده عليه لم يصبه من هذا المرض شي والواقع انه لو لم يورده لاصابه بتقدير الله عليه فنهى عن ابراده لهذه العلة التي لا يؤمن على الناس غالبا من وقوعها في قلوبهم والله أعلم (فان قلت ففي ترك التداوى فضل كما ذكرتم فلم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوى لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج الى ما يذكرك الموت لغلبة الغفلة أو احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين أو قسرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرفي أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوى وكان التداوى يشغله عن حاله اضعهفه عن الجمع) بين الشغلين (قال هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوى) وقد مر بيان ذلك تفصيلا (وكل ذلك كالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها اذ كان حاله يقتضى أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب وفقدتها) فعدمها كوجودها ووجودها كعدمها فان شاء تلبس بها (فانه لم يكن له نظري الاحوال الا الى مسبب الاسباب) فهو مشغول به عن الاسباب وان شاء تركها العلم بقيام الحق عليه كفيلا (ومن كان هذا مقامه لم تضربه الاسباب كما ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وان كانت كراهية أيضا نقص بالاضافة الى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده وكان لا يحسبه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا) وتخذعه كيف (وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى أن يقبلها) هذا تقدم بلفظ عرضت عليه مفتاح خزائن السماء وكنوز الارض فردها (فكذلك يستوى عنده مباشرة الاسباب وتركها مثل هذه

المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب أكل من الهرب من الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المشاهدة المدر والذهب عنده وكان لا يحسبه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لالخوفه على نفسه من امساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى أن يقبلها فكذلك يستوى عنده مباشرة الاسباب وتركها مثل هذه

استعمال الدواء جرياً على سنة الله تعالى وتزجيها
 سنة الله تعالى وتزجيها
 لامتته فيما تمس اليه
 حاجتهم مع انه لا ضرر
 فيه بخلاف ادخال الاموال
 فان ذلك يعظم ضرره
 نعم التداوى لا يضرك
 من حيث رآه الدواء
 نافعاً دون خالق الدواء
 وهذا قد نهى عنه من
 حيث انه يقصده الصحة
 ليستعان بها على المعاصي
 وذلك منهى عنه والمؤمن
 في غالب الامر لا يصدق
 ذلك وأحد من المؤمنين
 لا يرى الدواء نافعاً بنفسه
 بل من حيث انه جعله
 الله تعالى سبباً للنفع كما
 لا يرى الماء مرياً ولا
 الخبز مشبعاً بخكم
 التداوى في مقصوده
 حكم الكسب فانه ان
 اكتسب للاستعانة على
 الطاعة أو على المعصية
 كان له حكمهما وان
 اكتسب للتعلم المباح فله
 حكمه فقد ظهر بالمعاني
 التي أوردناها ان ترك
 التداوى قد يكون أفضل
 في بعض الاحوال وأن
 التداوى قد يكون أفضل
 في بعض وأن ذلك
 يختلف باختلاف
 الاحوال والاشخاص
 والنيات وان واحداً
 من الفعل والترك ليس
 شرطاً في التوكل الا ترك

المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء جرياً على سنة الله وتزجيها الامته فيما تمس اليه حاجتهم) من
 الضروريات مع انه لا ضرر فيه لانه من أمور الآخرة (بخلاف ادخال الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم
 التداوى لا يضرك الا من حيث رآه الدواء نافعاً دون خالق الدواء وهذا أمر منهى عنه ومن حيث انه يقصده
 الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهى عنه) وكذلك اذا كان يستعان بالصحة على البطالة واضاعة العمر
 في الفضول فهذا أيضاً قد نهى عنه (فالؤمن في غالب الامر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعاً
 بنفسه بل من حيث انه جعله الله سبباً للنفع كما لا يرى الماء مرياً ولا الخبز مشبعاً بخكم التداوى في مقصوده
 حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة حتى على الطاعة أو على المعصية كان له حكمهما وان اكتسب للتعلم
 المباح فله حكمه) قال صاحب القوت والاصل في التداوى وتركه ان المتوكل قد علم في توكله ان العلة وقتاً اذا
 انتهت اليه برأ العليل باذن الله تعالى لا بحاله ولكن الله عز وجل قد يحكم انه ان تداوى شفاؤه في عشرة أيام وان
 لم يتداوأرأه في عشرين يوماً فيه ترخص العليل باباحة الله له فيقطع في تعجيل البرء في عشرة أيام ليكون أسرع
 لشفاؤه وأقرب الى عافيته على انه معتقد ان الدواء لا يشفي وان التداوى بعينه لا ينفع لان الله تعالى هو الشافي
 وهو النافع فالشفاء والنفع فله بهوده وجعله في الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعل الا ما اذا كانت
 العقاقير مطبوعة بمجولة تجبولة على خلقة الخافع الاسباب فيها هو جالبها لان الجعل فيها والخاصة منها ليس من
 عمل المتطابق وان كان يعمل بهما يجمع بينهما بين العليل لانه أظهر على يد سبب الرقة فان الله تعالى خالق جميع
 ذلك وفاعله وكذلك أيضاً عند العارفين الخبز لا يشبع وان الماء لا يروي كيان المال لا يغني والعدم لا يفقر لان
 الله سبحانه هو المطعم المسقى كهو المشبع المروي كما هو المغني المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والري
 في المطعم والمشروب وفي النفس بالغنى والفقر بحكمته ورحمته كما ان الله عز وجل هو المجمع المظمئ فيدخل
 الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيدهما بما أدخل عليهما كما يدخل الليل على النهار
 ويدخل النهار على الليل فيقلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهب به سواء هذا عند الواحد من من صفة
 الليل والنهار ومن العلى والادوية بتسليط الشيء على ضده فيزيله بغلبة قهره باذنه فالعلم به هذه المعاني عقد هو
 الايمان والشهادة لها قائمة به وجداه هو اليقين والشرك في هذه الاشياء في العوام أخفى من ديبب النمل
 على الصفا والموقنون الصحيح والتوحيد من جميع ذلك برآء فان تعجل العليل البرء بالتداوى كان ذلك بقضاء
 الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة فان كان ناوياً في تداويه واستجبال شفاؤه الطاعة لمولاه والقيام
 بين يديه للخدمة كان مثاباً على ذلك فاضلا فيه غير منقوص في مقام توكله وان أراد بذلك صحة جسمه لنفسه
 والنعيم بالعوا في فان ذلك باب من أبواب الدنيا ودخول فيما ابغ منها وهو يخرج من فضيلة التوكل وحقيقته
 بمقدار ما ينقصه من الزهد في الحياة والنعيم وان أراد باستجبال العوا في قوة النفس لاجل الهوى والسمي
 في مخالفة المولى كان مأزوراً بسوء نيته ووجود عزمته ويخرج من المباح الى الحظر وذلك يخرج من حد
 التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا وموتها وان كانت نيته في تعجيل العوا في التصرف للمعاش
 والتكسب للانفاق أو الجمع نظرياً شأه فان كان بسعي في كفاف وعلى عياله ضعاف وعن حاجة واجحاف
 لحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من أبواب الآخرة وهو عليه مأجور ولا يخرج من التوكل وان كان
 بسعي في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من أين كسب وفيما أنفق الحق هذا بالطبقة الثالثة من العاصين وهذا
 من أكبر أبواب الدنيا وما بعده من المولى فهذه نيات الناس في التداوى المحمود والمذمومة (فقد ظهر
 بالمعاني التي أوردناها ان ترك التداوى قد يكون أفضل في بعض الاحوال وان التداوى قد يكون أفضل في
 بعض وان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحداً من الفعل أو الترك ليس
 شرطاً في التوكل الا ترك الموهومات) التي هي (كالكسب والرفق فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين)
 والله الموفق

الموهومات كالكسب والرفق فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

* (بيان أحوال المتوكلين في اظهار المرض وكنمائه) * اعلم ان كنمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من اعلى المقامات لان الرضا يحكم الله والصبر على بلائه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمائه اسلم عن الآفات ومع هذا فلاظهار لا بأس به اذا صحت فيه النية والمقصد ومقاصد الاظهار (٥٣٦) ثلاثة * (الاول) * أن يكون غرضه التدلوي فيحتاج الى ذكره للطبيب فيذكره لاني معرض

الشكاية بل في معرض الحكاية لما طهر عليه من قدرة الله تعالى فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبيب أو جاءه وكان أحمد بن حنبل يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في (الثاني) أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به وكان مكينا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهرانه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم قال الحسن البصري اذا جدد المرض الله تعالى وشكره ثم ذكر أو جاءه لم يكن ذلك شكوى (الثالث) أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك بحسن من تابع به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز وروى انه قيل لعلي في مرضه رضي الله عنه كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك (القول منه) فقال علي (أتجدد على الله فاحب أن يظهر) لهم عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عابري رضى الله عنه (تأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول اللهم صبرني على البلاء فقال صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان عافي فاشكر أحب الي من أن ابتلي فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز وقد روى أن الشافعي رضى الله عنه مرض مرضه شديدة بهصر وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاءك فزدني منه فكتب اليه ادر يس بيحيي الماعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبه هذا كما حتى عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيري فيما أحب (فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداونقص لحاله وهو داخل في (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

* (بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكنمائه) *

(اعلم) ونقل الله تعالى (أن كنمان المرض واخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر) روى الطبراني وابن عساکر من حديث أنس ثلاث من كنوز البر اخفاء الصدقة وكنمان المصيبة وكنمان الشكوى قلت وفي لفظ للطبراني ثلاث من كنوز البر كنمان الشكوى وكنمان المصيبة وكنمان الصدقة وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كنوز البر كنمان المصائب والامراض والصدقة وقد تقدم (وهو من أعلى المقامات لان الرضا يحكم الله والصبر على بلائه معامله بينه وبين الله عز وجل فكتمائه أسلم عن الآفات) ولفظ القوت ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلمه على معنى التحدث بهم مع فقد آفات النفوس اذا كان قلبه شاكرا بالقضاء راضا أو يكون بذلك مظهر للمعجز والافتقار بين يدي موله أو راغب في دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيتحدث بهم انشر للشكر (فقد كان) أبو نصر (بشر) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (يصف لعبد الرحمن المتطبيب أو جاءه) فيصف له أشياء (و) قيل (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يخبر) الطبيب (بامراض يجدها) ويقول انما اصف قدرة الله تعالى في (تقدم) قريبالله كان ممن يكتم الامراض فلا يخبر بها أحد فاعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحد غير الطبيب وهو محمول على اختلاف الاحوال والاوقات (الثاني) ان يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدي به) بان كان اماما يستمع اليه وتقتبس منه الآثار (وكان مكينا في المعرفة) يخبر بعلمه وقلبه راض عن الله فيما قدره (فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بان يظهرانه يرى ان المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم) أي يكون اخباره بمثابة التحدث بنعمة الله تعالى (قال الحسن البصري) رحمه الله تعالى (اذا جدد المرض الله وشكره ثم ذكر أو جاءه لم يكن ذلك شكوى) نقله صاحب القوت (الثالث) أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تعالى وذلك بحسن من تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز (لما روى أنه قيل لعلي كرم الله وجهه) وهو (في مرضه) كيف أنت قال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك (القول منه) فقال علي (أتجدد على الله فاحب أن يظهر) لهم عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة) وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لان من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فاما التشديد فكل أحد يحسنه (و) كان عابري رضى الله عنه (تأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم) له ونهيه (اياه) عن اظهار القوة فانه روى انه (حيث) كان (مرض) مرضه (فسمعه) النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول اللهم صبرني على البلاء فقال صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية) وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى لان عافي فاشكر أحب الي من أن ابتلي فاصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز وقد روى أن الشافعي رضى الله عنه مرض مرضه شديدة بهصر وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاءك فزدني منه فكتب اليه ادر يس بيحيي الماعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه فبه هذا كما حتى عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيري فيما أحب (فهذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره) لمن لم يتداونقص لحاله وهو داخل في (شكاية) المولى (والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

انه شكاية فقال أحمد على الله فاحب ان يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضرورة وتأدب فيه بادب النبي صلى الله عليه وسلم (اياه) حيث مرض على كرم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول اللهم صبرني على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله تعالى البلاء فسل له العافية فهم هذه النيات ترخص في ذكر المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء الاضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة لفعل الله تعالى

فان خلت عن قرية السخطا وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى لتاخره
 لانه ربما يوههم الشكاية) من الله تعالى (ولانه ربما) لا يؤمن من دخول الآفات عليه في الاخبار بان (يكون
 فيه تصنع وتزيف في الوصف على الموجود في العلة) وغير ذلك (ومن ترك التداوي توكل فلا وجه في حقه للاظهار
 لان الاستراحة الى الدواء أحسن من الاستراحة الى الافشاء) ولفظ القوت لان في الشكوى استراحة للنفس
 من البلى والاستراحة بالدواء الذي هو اباحة للمولى خير من استراحته الى العبيد بالشكوى (وقد قال بعضهم
 من بث) أي أظهر ما يلي به (لم يصبر) أي لم يكن من الصابرين فان الصبر يقتضي عدم البث قلت وهذا قدرى
 مرفوعا روى عبد الرزاق وابن جرير عن مسلم بن يسار عن سعد بن مسعود رفعه مثله ورواه ابن المنذر وابن
 مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كرم مثله ورواه ابن مردويه من
 حديث عبد الله بن عمر مثله وروى ابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر من كنو ز البركتان
 الصدقة وكنهان المصيبة ومن بث لم يصبر (وقيل في قوله تعالى فصبر جميل) والله المستعان قال (لا شكوى
 فيه) كذا في القوت روى ابن أبي حاتم عن الحسن قال الصبر الجميل الذي ليس فيه الشكوى الا الى الله عز وجل
 وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حبان بن أبي جيلة قال سئل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال ليس فيه جزع (قيل ليعقوب عليه السلام ما الذي أذهب
 بصرك) وحكى ظهرك (قال مر الزمان وطول الاحزان) قال (فاوحى الله اليه تفرغت بشكواي) وفي نسخة
 تشكواي (الى عبادي) وفي نسخة الى خالي (قال يارب أتوب اليك) هكذا في القوت وروى عبد الرزاق وابن
 أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن حبيب بن أبي ثابت ان يعقوب
 عليه السلام كان قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فكان يرفعهما بخارقة فقل له ما بلغ بك هذا قال طول
 الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب أتشكوى قال خطيئة أخطأتها فاعزلى وروى ابن أبي حاتم
 عن نصر بن عزلى قال بلغني ان يعقوب عليه السلام لما طال خزنه على يوسف ذهب عيناه من الحزن فجعل العواد
 يدخلون عليه فيقولون السلام عليك يا نبي الله كيف تجدك فيقول شيخ كبير قد ذهب بصري فاوحى الله اليه
 يا يعقوب شكوتني الى عوادك قال أي يارب هذا ذنب علمته لا أعود اليه فلم يزل بعد يقول انما أشكواي وخزني
 الى الله وروى اسحق بن راهويه في تفسيره وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ
 والطبراني في الاوسط وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس كان ليعقوب عليه السلام
 أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي أذهب بصري
 فالبكاء على يوسف واما الذي قوس ظهري فالخزن على بنيامين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا يعقوب ان الله
 عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي تشكوى الى غيري فقال يعقوب انما أشكواي وخزني الى الله
 فقال جبريل الله أعلم بما تشكوا الحديث (وروى عن طاوس ومجاهد) رحمهما الله تعالى وهما من كبار التابعين
 (انهما قال لا يكتب على المريض انينه في مرضه) كذا في القوت قلت وقد روى هذا مرفوعا من حديث علي يكتب
 أنين المريض فان كان صابرا كان أنينه حسنا وان كان أنينه جوعا كتب هالوعا لأجرله رواه أبو نعيم
 (وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهر ما معنى يقتضي الشكوى) ولفظ القوت يدل على الشكوى (حتى قيل
 ما أصاب ابليس لعنه الله من أتوب عليه السلام الا أنينه في مرضه فجعل الانين خطه) أي خط الشيطان (منه)
 كذا في القوت وهذا اذا كان جوعا وتسخطا وكرهية لما قدره الله تعالى عليه كما فهم ذلك من حديث علي السابق
 لما طلق الانين فان المريض قد يضطرب اليه وهو مع ذلك راض بقلبه مطمئن النفس بما قدره الله عليه صابر غير
 متسخط كيف وقد ورد أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على الفراش عبادة وتقبله من
 جنب الى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله يقول الله سبحانه ملائكتنا كتبوا لعبدي أحسن ما كان يعمل
 في صحته فاذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له رواه الخطيب والديلمي من حديث أبي هريرة وقالوا له معروفون

فان خلا عن قرية
 السخطا وعن النيات
 التي ذكرناها فلا يوصف
 بالتحريم ولكن يحكم
 فيه بان الاولى تركه
 لانه ربما يوههم الشكاية
 ولانه ربما يكون فيه
 تصنع وتزيف في الوصف
 على الموجود من العلة
 ومن ترك التداوي توكل
 فلا وجه في حقه للاظهار
 لان الاستراحة الى الدواء
 افضل من الاستراحة
 الى الافشاء وقد قال
 بعضهم من بث لم يصبر
 وقيل في معنى قوله فصبر
 جميل لا شكوى فيه وقيل
 ليعقوب عليه السلام ما
 الذي أذهب بصرك قال
 مر الزمان وطول الاحزان
 فاوحى الله تعالى اليه
 تفرغت لشكواي الى
 عبادي فقال يارب أتوب
 اليك وروى عن طاوس
 ومجاهد انهما قال لا يكتب
 على المريض انينه في
 مرضه وكانوا يكرهون
 أنين المريض لانه اظهر
 معنى يقتضي الشكوى
 حتى قيل ما أصاب ابليس
 لعنه الله من أتوب عليه
 السلام الا أنينه في مرضه
 فجعل الانين خطه

بالثقة الاحسين بن أحمد البخاري فانه مجهول (وفي الخبر اذا مرض العبد اوحى الله تعالى الى الملكين انظرا ما يقول
لعواده فان جد الله واثنى عليه بخبر دعواه فان شكوا ذلك تكون) ولفظ القوت انظروا
ما يقول عبدي لعواده فان جدني واثنى علي بخبر دعواه وقولوا كذلك أنت والباقي سواء وقد روى الدارقطني
في الغرائب وابن مخرم في عوالي مالك من حديث أبي هريرة اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فيقول
انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا دخلوا عليه جد الله تعالى رفعا ذلك الى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي ان انا
توفيتي اذ دخله الجنة الحديث وقد ذكر قريبا (وانما كره بعض العباد العباد خشية الشكايه وخوف الزيادة
في الكلام) بان يخبر عن العلة باكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين (فكان بعضهم اذا مرض أغلق
بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ) من مرضه (فيخرج اليهم منهم فضيل) بن عياض (وهيب) بن الورد المكي
(وبشر) بن الحرث الخافى رجهم الله تعالى (وكان فضيل يقول أشتهي ان أمرض بلا عواد) رواه أبو نعيم في
الحلية عن محمد بن حشيش حدثنا أحمد بن محمد البراء حدثنا بشر بن الحرث قال قال فضيل فذكره (وقال)
أيضا (لا أكره العلة الا لاجل العواد) ولفظ القوت ما أكره العلة الا لاجل العباد وبه تم كتاب التوحيد
والنوكل وشرحه بمئة الله وحسن عونه وتوفيقة ولتختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت
وغيرهما في هذا الباب قال القشيري بسنده الى أحمد بن خضر وبه قال قال رجل لحاتم الاصم من أين تاكل فقال
ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال ابراهيم الخواص من صم فوكله في نفسه صم
توكله في توكله وقال بشر الخافى يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله مرضى بما يفعل الله
به وبسنده الى الكافي سمعت أبا جعفر بن الفرج يقول رأيت رجلا من الشطار يعرف بحمل عائشة يضرب
بالسياط فقلت له أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل فقال اذا كان من ضر بنا لاجله برانا وقال الحسين بن
منصور والحلاج المتوكل الحق لا يأكل وفي البلدان هو أحق به منه وسئل سهل عن التوكل فقال قلب عاش مع الله
بلا علاقة وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض وهذه كلها
علاقات وجاء رجل الى الشبلي يشكو اليه كثرة العيال فقال له ارجع الى بيتك فن ايسر له رزق على الله فاطرده
عنه وبسنده قال ابراهيم الخواص كنت في طريق مكة فرأيت شخصا وحشا فقلت جني أم انسى فقال جني
فقلت الى أين فقال الى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم فينا أيضا من يسافر على التوكل فقلت ايش التوكل فقال لا اخذ
من الله وبسنده الى أبي حمزة قال اني لاستهي من الله ان أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا
يكون شبعي على الشبع زادا أنزده وسئل جردون عن التوكل فقال تلك حالة لم يبلغها بعد فكيف يتسكلم في
التوكل من لم يصح له حال الايمان وعن بعضهم قال كنت في البادية فقد قدمت القافلة فرأيت قداحي واحدا
فسارعت حتى أدركته فاذا هو امرأة بيدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت انها أعيت فادخلت يدي في
جيبها فخرجت عشرين درهما فقلت خذها وامكثي حتى تلحق القافلة لتكثري بها ثم اتيتني الليلة حتى أصلي
لأن أمرك فقال بيدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دراهم من الغيب وناولتني وقالت أنت أخذت الدراهم من
الجيب وأنا أخذت الدراهم من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلا بمكة لا يتناول الا شربة من ماء زمزم فضى
عليه أيام فقال له أبو سليمان يوما رأيت لو غارت زمزم ايش كنت تشرب فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا
حيث أردتني فاني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حدنا
حسن المراعاة فقال له هل لك في الحصة فقلت اني أجوع فقال ان جعت معك فبقينا أو بعة أيام ففتح علينا
بشيء فقلت لهم فقال اعتقدت أن لا آخذ ذوا سطة فقلت يا غلام دفعت فقال يا ابراهيم لا تبهرج فان الناقذ بصير
مالك والتوكل ثم قال أقل التوكل أن تدع عليك موارد الفاقات فلا تسهم نفسك الا الى من اليه السكيات وسئل
الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيأ ويقويه على
استقاط الطمع لباس عماني أيدي الناس وقيل جامع الثوري في البادية فتهف به هاتف أيما أحب اليك سبب

وفي الخبر اذا مرض
العبد اوحى الله تعالى الى
الملكين انظرا ما يقول
لعواده فان جد الله واثنى
بخبر دعواه وان شكوا
ذلك تكون وانما كره بعض
العباد العباد خشية
الشكايه وخوف الزيادة
في الكلام فكان بعضهم
اذا مرض أغلق بابهم فلم
يدخل عليه أحد حتى
يبرأ فيخرج اليهم منهم
فضيل وهيب وبشر
وكان فضيل يقول
أشتهي ان أمرض بلا
عواد وقال لا أكره العلة
الا لاجل العواد رضى الله
عنه وعنهم اجمعين كمل
كتاب التوحيد والتوكل
بعون الله وحسن توفيقة
ينسألون شاء الله تعالى
كتاب المصيبة والشوق
والانس والرضا والله
سبحانه وتعالى الموفق

أو كفاية فقال الكفاية ليس فوقها نهاية فبقى سبعة عشر يوماً لم يأكل وبسنته إلى الحسن الخياط قال كنت عند بشر الخافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أنتم فقالوا نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله لكم فقالوا تخرج معنا قال بثلاث شرائط لا نتحمل معنا شيئاً ولا نسأل من أحد شيئاً وإن أعطانا أحد لا نقبل فقالوا إيمان لا نتحمل فتع واما ان لا نسأل فتع واما ان لا نقبل ان اعطينا فهذا ما لا نستطيع فقال أخرجه متوكلين على زاد الحجاج وقيل لحبيب العمري لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة وقيل من وقع في ميدان التفويض برف إليه المراد كما ترف العروس إلى أهلها والفرق بين التفويض والتضييع ان التفويض في حقك وهو محمود والتضييع في حق الله وهو مذموم انتهى ما في الرسالة وقال صاحب القوت حدثنا عن بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة فقلت أي الأعمال وجدت هناك أفضل قال التوكل وقصر الأمل وفي وصية لقمان ومن الإيمان بالله التوكل على الله وان التوكل يحبب العبد إلى الله وان التفويض إلى الله من هدى الله ويهدي الله يوافق العبد رضوان الله ومن موافقة العبد رضوان الله يستوجب كرامة الله وكان سهل يقول العلم كله باب من التعبد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل وقال ليس للتوكل حدود ولا غاية ينتهي إليه وقال التوكل واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان وقال التوكل هو التفويض ثم الرضا وكان الحسن يقول الغنى والعز يجولان في طلب التوكل فاذا ظفرا به وطناه وفي هذا المعنى قيل

يجول الغنى والعز في كل موطن * ليستوطن قلب امرئ ان توكل

ومن يتوكل كان مولاه حسبه * وكان له فيما يحاول معقلا

اذا رضيت نفسي بمقدور حفظها * تعالت وكانت أفضل الخلق منزلا

ويقال ان الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق فان ذلك من قلة الفقه عن الله وضعف التوكل عليه وقال ابن يعقوب السوسي المتوكل اذا رأى السبب أودم أو مدح فهو مدع لا يصح له التوكل وقال الخواص التوكل هو الاكتفاء بعلم الله فبك من تعلق القلب بسواه وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله استغنيت بهن على ما أنا فيه فاستغنيت بقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قلت ان أراد أن يضرنى لم يقدر أحد ان ينفعني وان أعطاني لم يقدر أحد ان يضرني وقوله سبحانه فاذكروني اذكركم فاستغنيت بذكرك عن ذكر من سواه وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فوائه ما هممت برزقي منذ قرأتها فاسترحمت وقال سهل ليس مع الإيمان أسباب انما الأسباب في الاسلام يعني ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها وانما في الطمع في الخلق يوجد في مقام الأسباب فقال المتوكل سكون القلب عن الاستشراك وقطع الهم عن التطلع لما بأيديهم وعكوف القلب على المدبر الحق مشغول الفكر بقدرة المقدر لا يحمله عدم الأسباب على ما حذرته العلم عليه وذمه ولا يمنع أن يقول الحق وان يعمل به أو يوالي في الله ويعادى فيه جريان الأسباب على أيدي الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعاً منهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا يدخله طوارق الحاجات ونوازل الضرورات في الانحطاط في أهواء الناس والميل إلى الباطل أو في السكون عن حق ان يلزمه أو يوالي عدواً أو يعادى ولي البرى بذلك حاله عندهم أو بشكر بذلك ما أسدوه اليه بالكف عنهم ولا يرى الصنعة التي قد عرف بها القوة نظره إلى الصانع ولا يتصنع لصنوع دخيلة لعله يسبق الصنع لدوام مشاهدته ولا يسكن إلى عادة عن خلق ولا يثق بمعتمد من مخاوف اذا يقن برزقه وضربه ونفعه من أحد فهذه المعاني من فرض التوكل فان وجدت في عبد خرج به من حد التوكل دون فضائله ويدخله في ضعف اليقين وقد كان الاقوياء اذا دخل عليهم شيء من هذه الأهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك الأسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعلوا في مفارقة الاوطان وفي التغرب عن الأمصار والآلاف والايلاف فاخرجوا ذلك حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق اليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم

وخالفوا علماء الظاهر الى علوم الباطن ومقتضى مشاهدتهم ومواجيد حالهم ثلاثا سكن قلوبهم الى غير الله ولا تقف هممتهم مع السلوى ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا يتخذوا سكنا سواه ولا يسكنون الى هوى النفس فيخذعوا بسكونهم عن سكون القلب فيسي ذلك عقولهم ويوهن عزيمتهم ويضعف يقينهم الذي هو الاصل فيخسر وارأس المال ونفوتهم حقيقة الحال فاذا برجعون وبأى شهادة يقومون

(فصل) وقال بعضهم التوكل هو الفرار من التوكل أى يتوكل ولا ينظر الى توكله انه لاجله يكفي أو يعافى فجعل نظرا حال توكله علتسه لان توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خال ويقوم له بشهادة منه بلامل ولا يكون بينه وبين الوكيل شئ ينظر اليه أو يقول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضا الذى هو طريقه وجاء رجل الى بشر الحافى فقال انى قد عزمت على السفر الى الشام وليس عندى زاد فأتى فقال يا هذا اخرج فيما قصدت له فان لم يعطك ماليس لك لم يعطك مالك وشكار جل الى الفضيل حاله فقال يا هذا أمد برا غير الله تريد وقال الحسن فى تفسير قوله تعالى وقد رفها أقواته ساخلق الارزاق قبل الاجسام بالفي عام فالتوكل لا يطالب مولاه برزق غدا كما لا يطالبه مولاه بعمل غدا ويقال من اهتم برزق غدا فهو خطيئة تكتب عليه وقال الثورى الصائم اذا اهتم فى أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة وكان أبو سهل يقول لنقص ذلك من صومه وقال أعرف فى البصرة ٣ بقرة يغدى على مولاهم برزقهم من الجنة وعشبا يرون منازلهم من الجنة وعليهم من الغيوم والكروى ما لو قسم على أهل البصرة لم نواقل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا باى شئ تنعشى واذا تعشوا قالوا باى شئ تغدى وقال مرة لم يكن لى من التوكل والرضا نصيب فهذه المقامات من فضائل التوكل وفوقها ما لا يصلح رسمه فى كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاها كمن باعها باهم ٣ فزهدها فى كون كن لاجل كان توكله على كينونة الكينونات وحياء منه ان يعارضوه فى قدرته أو يمازعه فى ملكه أو يرغبوا عن تقديره أو يضاهوه فى كونه لان تديره عندهم أحكم واتقن وهو بالعواقب اعلم واخبر وهم له أشدا جلالا مما نقدر نحن ونعلم

(فصل) قال سهل فى معنى قول الله تعالى يحو الله ما يشاء ويثبت يحو الاسباب من قلوب العارفين ويثبت القدرة ويحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الاسباب فى صدورهم وقال خلق الله النفس متحركة ثم أقرها بالسكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا هو خصوص وان تركها تحركت بطبعها وهذا هو الخذلان وكان الخواص يفرق بين العموم والخصوص بوجود الحركة والسكون فقال القلوب على حالين فمن دامت حركته وسعته كان موصوفا بنفسه لغلبة شاهد النفس عليه لقوله تعالى وكان الانسان عجولا ومن دام سكونه كان موصوفا بالحق لغلبة شاهد الحق فى سكينته لقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقال النهر جورى فى معناه قلوب الاولياء مواضع المطالع لا تتحرك ولا تنزعج بل تطمئن خوفا ان يرد عليه من حاجة مطالعة فتجده مترسما بسوء الادب وقال بعض أهل المعرفة فى تأويل قوله تعالى ورزقك بالخبر وأبقى قال هو التوكل لانه أبقى للعبد من الطالب وخيره من السعي والتعب ويروى ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ادرك لى لطف الفطنة وخفى اللطف فأنى أحب ذلك قال يارب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذباية فاعلم انى وقعتنا فسلانى أرفعها قال وما خفى اللطف قال ان أتتك فولة مسوسة فاعلم انى ذكرت بها وكان الخواص يقول من رجع عند الشدايد الى سبب أو علاج يستشفى به أو حركت رهبة المخلوقين صفته فقد برئ من خصوص التوكل وبقي مع عمومهم وقال السرى رحمه الله تعالى ثلاث يستبين بهن اليقين بالخوف موطن الهلكة والتسليم لامر الله عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن اسباط كان يقال ثلاث من كن فيه استكمل ايماناه من اذارضى لم يختر جه رضاه الى باطل واذا غضب لم يختر جه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ماليس له وقدر وى ذلك مستند فهذه أوصاف المتوكل وهى علامة حسن اليقين وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام يا بنى يستدل على تقوى العبد بثلاث حسن توكله فيما ياتيه وحسن رضاه فيما أتاه وحسن صبره فيما فاته

*** (فصل) *** لا يضر التصرف والتكسب من صح توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص حاله اذا أحكم فيه معنيين النظر الى الوكيل في أول الحركة فيكون متحركاً به والرضا في الحكم بعد التصرف فيكون مطمئناً به وقد كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر والتاجر أحب اليهم من البطال فان كان حال المتوكل التصرف فيما قدر وجهه فيه دخل في الاسباب وهو ناظر الى المسبب في تصرفه معتمد عليه واثق به في حركته مكتسب فيما يقبله فيه ولاه متيقن فيما يسببه له ويوجهه فيه وكياله وهو عالم باذن الله تعالى قد أودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتيح رزقه تجتمع الخلق بجانبه غير متشتت بتفرق همه متبع للسنة والاثبات للترفة والنعمة فهو في تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل في توكله فساكنها وسكن الى سكون نفسه في بطلانها وفراغها من هم الآخرة طلباً لراحتها ومن دخلت عليه الآفة في ترك التكسب فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين واقتطع فليقعده عن الاكتساب ومن اعتل بالتكسب فليداو بتركه ومن صح فيه وأوجب الحكم فليكتسب والتكسب خير من التشرع الى الخلق ومن الطمع فيهم واعتباد المسألة وسالكه على طريقه فهو يصل وان كان في طريقه بعد التوكل اذا اعتد به واقتطع عن أربه ناظر الى الوكيل منتظر للوارد متفرغاً للفوائد أفضل اذ صح في ذلك وصدت حاله واستقام عليه فمر طريق قريب وسالكه مقرب

*** (فصل) *** قال أبو يعقوب السوسي التوكل على ثلاث مقامات عام وخاص وخاص خاص فن دخل في الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله وتحقيق اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقة وجود اليقين ثم دخل في الاسباب فتصرف لغيره فهو خاص خاص قال وهذا وصف الطبقة العليا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم جودهم اليقين من الدنيا فاذا دخلهم العلم في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا راقين لهم فتصرفوا فيها من التعلق بها وقال أيضاً الناس في التوكل على ضربين طالب له ومطلوب به فالمطلوب بالتوكل مستعمل بحقائقه مرفوع الى أعلى غاية لمطالب بالعمل فيه بحق نفسه وذنب آثاره مجرورة وشاهد الطالب له توجه بالزهد وترك الاسباب القاطعة وعمل في حذف كل شاغل يشغله أو يحول بينه وبين قصده فهو مجتهد في الانفراد

*** (فصل) *** قال بعضهم التوكل العمل في قطع الطمع ونفي الركون الى الاسباب ويكون نظراً لله في المنع أفضل عنده من نظره اليه في العطاء وان يجدي المنع من الخلاوة ما لا يجد للعطاء ومن علم ان الله قصده فالمنع فرح وعلامة تروكه الى من عوده البر من الخلق ترك القيام عليه بالحق وترك النصيحة له والانبساط اليه وكثرة السلام عليه دون غيره ممن لا يبره ودوام تطلع القلب الى لقائه ومحبة أسبابه وعلامة تروكه الى الاسباب خوف زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق عليه الوهن والتسلل بما بقي خوف الفقر

*** (فصل) *** من ألطف ما قبل في السكون الى غير الله والنظر الى سواء قول أهل المعرفة في معنى قول الخليل عليه السلام واجنبي وبنى ان تعبد الاصنام قال ان أسكن الى الخلوة وهبته الي أو بنظر نبوة الى النبوة التي جعلتها لهم فيحتجبون بذلك عنك وقال بشر ان العبد ليقرأ أياك تعبدوا باله نستعين فيقول الله تعالى كذبت ما أباي تعبد ولا بي تستعين لو كنت أباي تعبد لم تؤثره والى على رضى ولو كنت بي تستعين لم تسكن الى جلدك وقوتك ولا الى مالك

*** (فصل) *** قال أبو تراب النخشي ليس التوكل ان تتوكل لتكفي ولو عرض ذلك للمتوكلين لتأبوا ولكن نحل بقلبه الكفاية بالله فصدق الله فيما ضمن فالحق الكفن بين يديه وقال الخواص بلغنا انه التقي موسى والخضر عليهما السلام وكان موسى أشد جوعاً من الخضر فاذا غزا الان قد سقط أحدهما مشوا الى الخضر وسقط الآخر مذنباً بجلده ورأسه الى موسى فقال له الخضر قم يا موسى فبقدر ما بقي في نفسك من الاهتمام برزقك تتعب فاعلم اني أنا توكلت فكيف وانت اهتممت فعميت وروى من طريق آخر قال موسى للخضر كيف هذا وقع اليك

نصفه مشويا ووقع نصفه لي نيا فقال له الخضر انه لم يبق لي في هذه الدنيا أمل وفي رواية ليس لي في هذا الخلق حاجة وكان بشر رجه الله تعالى فصبر الامل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة الى وقت صلاة أخرى وكان اذا صلى الظهر يقول للبحير ان اطلبوا الحكم من يصلي ليكم العصر وكان يقول أنا ضيف في دار مولاي ان أطمعني أكلت مني أطمعني وأن أجاجني صبرت حتى يطاعني

*** (فصل) *** قال الخواص الرزق ليس فيه توكل ولو كان لا ينال الرزق الا بالتوكل كان الضعيف ومن لا يحسن التوكل يموت يصبح ذلك قوله تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فهذا الخطاب من الله خالقه يقتضي من الخلق ترك جل الارزاق لوقت لم يات لطيفة من الله دعاهم منها الى مواضع الراحة من الاشتغال بحمل ما قد ضمنه لهم وتوكل باستخراجها اليهم وحجة منه عليهم ألزهمهم اياها وقوله تعالى بالضممان لارزاق الخلق الله يرزقها واياكم يقتضي السكون اليه بالثقة به فيما ضمن وتكفل باستخراجها والصبر على وعده حتى يخرج اليه المضمون من أما كنهه قال ففي هذا دليل على تجوز الحركة والسبب للتوكل وان ذلك لا ينقص توكله اذ الدابة المرزوقة بالله من الله وقد تدب وتسير الى مواضع الرزق وقد تدخر النملة والفارعة وهما من الدواب وقد يجمع بعض الطير في عشه ويجلب الى وكرة لكن يحتاج المتوكل في ديبه وحركته وذخره بمعنى النملة الهامام وتوفيقا ونظر الى الوكيل معقول وتدبير وكذلك القول في التمثيل الوارد في الخبر السابق تعدد خواص وتوكل بطنا فالطير وان لم يكن من وصفها ان تحمل ولا من فعلها ان تدبر وتعمل فانها تتحرك وتقصده لوقته وتعدو وتغذو وتاسبب وقصدها أما كن معاشها تعيش وقد أضاف الرزاق اليه وجع بيننا وبينه فيه فقال وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم به برازقين الهوام والانعام فعمنا واياها بالتحمل الينا بان المعاش في الارض منه علينا انعام

*** (فصل) *** قال الخواص الذي قيد ان يسرح في الارض حيث شاء فله تصديقه بمجيء الارزاق اليه حيث كان وضعف علمه بان الله معه في كل مكان وان الله تعالى يضيق حيث يشاء ويوسع حيث يشاء ويؤمن حيث يشاء ويخيف حيث يشاء فن كان ناظر الى الله فيما يفتخ به اسباب الرزق معتمدا عليه في استخراجها كان البر والبحر والسفر والخضر عليه سواء لان من تولى الله كفايته في الخضر تولى كفايته في السفر ومن كان معتمدا على تكافئه وحيلته لم يتهيأ له ان يفارق العمران ولوان عبد امع مولاه في السفر لمكان قلبه قد سكن اليه ان يطاعه حيث سافر معه وهكذا من علم ان الله سبحانه معه لم يحتج ان يحمل زاد ولا اداة ويصح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم للسائل وقد أعطاه ثمرة لولم تأنها لتلك دلالة على ترك الحركة وتوكله في حركته بعد حجة الضمان لمجيء الارزاق لوقتها ونهيها عن السعي الا ما وقع التصديق بمجيئه لوقته قال صاحب القوت وهذا طريق الاقوياء الصابرين وليس هذا طريق الضعفاء المريدين اذ لا يقاس الضعيف الجزوع بالقوي الصبور وكان منهم ابراهيم الخواص وأبو تراب النخشي وذو النون وحاتم الاصم وعلي الرازي فان هؤلاء خصوص المتوكلين وما جرى لهم من الوقائع يدل على أحوالهم

*** (فصل) *** قال الخواص الاستطاعة على ثلاثة وجوه أعلاها استطاعة بقوة المعرفة وصحة التوكل وهذه الطائفة نفذت بصدق موكلها لم تعرج على سبب ولا استأذنت أحدا ولا يقع الاستئذان الا من ضعف المعرفة وقلة الهداية وكل من استأذن فالرفق به أولى كما في الخبر اعقلها وتوكل والاستطاعة الاخرى قوة البدن والصبر على المشي والضر والنالسة بسعة المال فن لم يكن عنده أحد هذه الوجوه فليستوقف عن الحج والزاد مباح للعموم الا ان الله تعالى قد دل على خبر الزاد بقوله فان خبر الزاد التقوى فن ترزدا التقوى تحاول تخف في طريقه لان الله مع الذين اتقوا ومن التقوى ان لا يقول العبد غدا في من أين لقول الحق ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال وهب يقول الله تعالى ابن آدم اتق ونم حيث شئت فالرزق ليس فيه توكل وانما فيه تدبر ويقوى على قدر مغرقه بما صبره ولمن صبر ومعنى الصبر حبس النفس على الوعد بمجيء المضمون ومنعهما من الحركة والتطلع الى مجيئه حتى يسوق الله الاقسام من أما كنهها فتخرج الصابر الى سبب يشتد في بالحرارة من نفسه فقد خرج من حالة الصبر ضيقا من تحمل مؤنته وهذا مقام المؤمن القوي من المتوكلين

(فصل) قال صاحب القوت أخبرني أبو بكر بن يعقوب الوراق عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول ان سمع المتوكل خلفه بحركة شديدة فجرد لها قلبه خرج من حده هذا التوكل المخصوص التفت إليها ولم يلتفت وهكذا وطالت أيامه بالسيرة البرية اذا كان فيها واستعان في مسيره بعكازة يتوكأ عليها ومنطقة يشدها وسطه أو غير عليه عند رؤية قطاع الطريق ولم يكونوا عنده كسائر الناس وهذا وجد في قلبه الميل الى الخلقان دون الجدد خرج في جميع هذا من حد التوكل وقال أيضا أكثر الخلق تعلقوا بالاسباب فاذا صحت المعرفة لله بالقلب سكن القلب الى ما في الغيب أشد من سكونه الى ما في اليد من الاسباب الظاهرة لان ما في يد العبد لا يدري ما يحدث الله فيه وماله عند الله هو الباقي يأتي به على أوقاته فاذا كان القلب قويا عند زوال الدنيا وادبارها متبرما بما في اليد منها صحت التوكل واذا ضعفت المرآة في القلب ركن القلب الى الاسباب وخاف من زوالها قبل ان تزول فان زال منها شيء لحق القلب الجرع والتغير من خوف الفقر

(فصل) قال السري رحمه الله تعالى في قوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما ان المتقي يكون رزقه من كسبه لان الله تعالى يقول وبرزقهم من حيث لا يحتسب فإنه يقول اجعلنا اماما للمتوكلين الذين أرزاقهم لامن اكسابهم بل من حيث لا يحتسبون وهو لاعلمهم أهل الصفة والصفاء الصوفيون الذين توكأوا على الله بالله لا في الارزاق ولا في العالم يدعاهم من الارفاق كما قال قائلهم الدنيا فانية والاخرة باقية والارزاق مفروغ منها فعلى ماذا أتوكل انما أتوكل عليه ان لا يبعدني من قربه وقال بعضهم الاعتماد على الخلق هو الخذلان ومن اعتمد بسوى ربه في توكله خاب سعيه

(فصل) ويستوى عند المخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسابك كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم اذ كان المعطى عندهم واحدا والعطاء كله رزقا فاذا كانت الايدي ظروف العطاء فسواء كان الطرف يدك أو يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب سواك لك اذ جميعهم رزقك ومثل هذين أيضا يستوى عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به وما ظهر بأيديهم من الحركة وترتيب العرف والعادة لان القدرة أيضا بمنزلة طرف للعطاء ظهر العطاء بها كأيدي العباد من يد الانسان نفسه أو يد غيره فهذه المعاني الثلاثة عند الموقفين الموحدين سواء لا يترجح بعضها على بعض لرحمة ايمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم اذ كله حكمة بالغتوقدرة نافذة على حكم واحد وقادر واحد

(فصل) الاسواق موائد الاباق يطعم المولى منها من أبق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته أما سمعت قول الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون أي ما أريد ان يرزقوا خلقي ان الله هو الرزاق أي انه لا يطالبهم ان يرزقوا نفوسهم اذ خدموه فذكر الله في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبيد التي أباحها المولى ثم اختار لنفسه أحدها وهو الخدمة وعليه الكفاية واختار من العبد أحدها فجعلها عبيدة وتنزه عن أحدها وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له وصرف عوم العبيد في الوجوه الثلاثة من الاطعام لانفسهم وهو التكبس وضرب هذا مثلا بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض فيبقى العبيد من الله بحكمين أحدهما مع اختياره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعمايه الرزق كيف شاء ومتى شاء وهو لاء عبيد الرحمن لا عبيد الدنيا والثاني ما صرف العبيد من التكسب لانفسهم جعل ذلك رزقاً منهم لهم يجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف وهو لاء عوم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى وبقي الوالى مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي أباحها لهم وضرب بها المثل بينها وبينهم انهم اختاروه كان ذلك لهم

(فصل) التوكل على الله لا يمنع دخول المصوص ولا يمنع وقوع الاقتدار للبلوى يعو الدار والاختيار للمعروفين الاختيار وقد قال أبو يزيد قدس سره وهو من أعلى المتوكلين ما سافرت في قافله قط الا فزع على الطريق وقال آخر من نظرائه ما خرجت في سفر قط ومعى سبب لاسلط الله على من يأخذه حتى أبقي مع الله بالله

مجرد بلا سبب فهذه آيات يرد الله بها أوليائه اليه في تسلطات يدهم عليه ليرجعوا اليه فالتوكل على الله تعالى في الاسباب لا يوجب بقاء العبد ولا يثاره بما لا يحفظها عليه ولا يقدم شيئا عن شيء ولا يؤخره لصالح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف أقرب لان التوكل قرين للزهدة وغمرته فهو يرد المتوكل الى أصله وذلك وصف صادق للمتقين ولولا الامتحان لكثير الصادقون ولولا الانحراج من المعتاد والمألوف لكثير الصالحون فاذا كان مقام المتوكل الرضا بجريان القضاء والمحبة لمواقيع البلاء لم يبال بقي ماله وسلم سببه الذي توكل عليه عنه أو عطف اذ كان محبة وكيله فيه ورضاه به فمعرضه من موافقة محبته وحلا وقرضه فضل من اتلاف نفسه ودنياه * (فصل) * المتوكلون على درجات منهم من توكل على الله تعالى تعظيما واجلالا ومنهم من توكل عليه ثقة به وتنزيها له ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده لتحقيق صدقه ومنهم من توكل عليه حبالة ومنهم من توكل عليه استسلاما للشاهد من قرب عزه وعظيم قدره ومنهم من توكل عليه خوفا منه ومنهم من توكل عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له ومنهم من توكل عليه تسليح له من جيل معاملته ومنهم من توكل عليه ليحفظه فيما استخفظه فيماله عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته وكلهم توكل عليه لان توحيد له وشهادة قيمته ذلك يقتضيه فهذه كلها مواجيد أوليائه ومنهاج أحبابه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضها أعلى مقام من بعض وبعض المشاهدات أقرب وأرفع فاعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليح له وتحبب اليه وقد ذكرنا من توكل العوام ما يستحي العارفون من ذكره وهو التوكل عليه في القوت لانه هو المقيت ككل هو المحي المميت فكما يحي ويميت فكذلك يرزق القوت

* (كتاب المحبة والشوق والانس والرضا وهو الكتاب السادس من ربيع المحبتات من كتب احياء علوم الدين) *

* (فصل) * قبل اسهل رجه الله تعالى متى يصلح للعبد التوكل قال اذا علم ان تدير مولاه خير من تديره لنفسه وان نظار مولاه أحسن من نظره لنفسه فيترك الفكر فيما كان والتمنى لما يكون ويترك التدبير والله عاقبة الامور وهو على كل شيء قد يرشكروا الى هذا انتهى بنا الكلام على شرح مقام التوكل والحمد لله على نعمائه والصلوة والسلام على سيد أنبيائه وخيرته من أوليائه قال المؤلف نجز ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الاثنين لست يقين من ذي القعدة سنة ١٢٠٠ والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الله ناصر كل صابر) الحمد لله الذي رفع الحجاب عن قلوب الاحباب * وألهمهم بدوام ذكره والانس به والرضا لاصابة لمحبة الصواب أجده جدا أستوجب به مزيد الثواب وأستزيده زيادات أولى الالباب وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بقلبه غير مرتاب متلذذ في دار الوصال رائق الشراب * وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف محبوب وأخص الاحباب * المرسل بأشرف كتاب * المؤيد بفصل الخطاب في أبجل خطاب * صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الانجاب وأصحابه المكرمين الاقطاب وعلى كل تابع لهم باحسان مالمع البرق وهمل السحاب * وسلم تسليما كثيرا وبعد فهذا شرح * (كتاب المحبة والشوق والانس والرضا) *

وهو السادس والثلاثون من كتب الاحياء لادام الهام قطب العلماء الاعلام أبي حامد حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي سقى الله ريسه ها طلات رحمة وأسبغ على حظيرته سابعات مغفرته يسى اب مطالعه بما تضمنه من مطالع الاسرار ويذهل فكر معانيه بمنايا مطاويه من معاني مشارق الانوار وينفض عن مكان اشاراته المرموزة العجيبة ويسمع بأفشاء أسرار فوائده المستطعة الغريبة كشفت أثبت به حجة الصواب وبيانا تتهج به بصائر أولى الالباب من رام مساومته قصده الحيرة والاندھاش أو سام معارضته عارضه الذهول وطاش فيالهامن مخدرات حسان أبكار وغوان لم يطمشهن انس ولا جان وبجحيمات في خدور الخيام لم يظفر بوصولهن الامن جفا من مضاجعه أطيبت المنام وجد في أنوار الاطال مع الطلاب فنال بما

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات الى زخرف (٥٤٥) الدنيا ونضرت له وصفي أسرارهم من

ملاحظة غير حضرته
ثم استخلصها للعكوف
على بساط عزته ثم تجلى
لهم بأسمائه وصفاته
حتى أشرقت بأفوار
معرفة ثم كشف لهم
عن سبحات وجهه حتى
احترقت بنار محبته ثم
احتجب عنها بكنه جلاله
حتى تاهت في بيداء
كبريائه وعظمته
فكلمات اهتزت للملاحظة
كنه الجلال غشبهام
الدهش ما غبر في وجه
العقل وبصيرته وكلما
هت بالانصراف
آيسة نوديت من
سرادقات الجبال صبرا
أبها الآيس عن نيل
الحق بجعله له وعلمته *
فبقيت بين الرد والقبول
والصد والوصول غرقى
في بحر معرفته وبحرقة
بنار محبته والصلاة على
محمد خاتم الانبياء بكل
نبوته وعلى آله وأصحابه
سادة الخلق وأئمة وقادة
الحق وأزمته وسلم كثيرا
* (أما بعد) * فان المحبة
لله هي الغاية القصوى
من المقامات والذروة
العلیام الدرجات فما
بعد ادراك المحبة مقام
الا وهو ثمرة من ثمارها
وتابع من توابعها
كالشوق والانس
والرضا وأخواتها

لم يكن له في حساب ولقد أرخيت فيه أعنة الانصاح مع الاختصار التام وآثرت التخفيف لا التطفيف لئلا
تكل عن مطالعته أفهام الخواص والعوام والله تعالى أستعينه فيما أروم وأستهديه انه هو القادر المجيب
لا اله الا هو عليه توكلت واليه أنيب قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب
أوليائه) هم الموالون بولايته المحبون له لذاته المستهترون بذكره المهيمون في محبته (ونزهها) أى قدسها
وطهرها (عن الالتفات الى متاع الدنيا) هو اسم لما يستمتع الانسان به من اعراضها (ونضرت) أى زينته
ومحبته والضمير راجع الى المتاع وفي بعض النسخ الى زخرف الدنيا ونضرت الى زخرف الزينة كما قال تعالى
حتى اذا أخذت الارض زخرفها (وصفى) من التصفية وهو التخليص (أسرارهم) جمع سر بال كسر وهو
الطيف من الروح وهو محل الشاهدة كإكان الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة (عن ملاحظة غير حضرته)
والملاحظة النظر بالحواس وهو مؤخر العين وبين حضرته ونضرت نجاس (ثم استخلصها) أى اتخذت ذلك
الاسرار خالصا (للعكوف) أى الاقبال والاقتراب والالزمة (على بساط عزته) وأصل البساط الارض
الواسعة الارباع والعزة الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن (ثم تجلى لها) أى أسرارهم وفي نسخة لهم
(بأسمائه وصفاته) أى بمعانيها وامتيازها عن الذات بقدر ما يتصور في حقهم وأصل التجلى ما ينكشف
للقلوب من أفوار الغيوب (حتى أشرقت بأفوار معرفته) وهو السبيل المفتوح للخلق وفيه تفاوت مراتبهم (ثم
كشف لهم عن سبحات وجهه) أى جلاله وعظمته وبهائه (حتى احترقت بنار محبته) أشار به الى الخبر بالوارد
المتقدم بذكره ان الله سبعين سجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره (ثم
احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت) أى حارت (في بيداء) أى صحراء (كبريائه وعظمته فكلمات اهتزت)
أى تحركت (لملاحظة كنه الجلال غشبهام من الدهش) والحيرة (ما غبر في وجهه العقل وبصيرته) يشير
بذلك الى السبيل المسدود في المعرفة الا في حق الله تعالى وهو السبيل الحقيقي الذي قال المصنف في المقصد الاسنى
في حقه انه لا يهتز أحد من الخلق لشيئه وادراكه الارذنه سبحات الجلال الى الحيرة ولا يشرب أحد للملاحظة
الاغطى الدهش طرفه (وكلما هت بالانصراف) عن تلك الملاحظة حالة كونها (آيسة) أى قاطعة أملها في
النيل والادراك (نوديت من سرادقات الجبال) وأصل السرادقات ما يدار حول الخيمة بلا سقف (صبرا أبا
الآيس عن نيل الحق بجعله وعلمته) فالانسان خالق من عجل وجبل بوصف الجهل وهو وصف له ذاتي فيجعله
إذا تمكن لا يدرك غور الامور ويجعله قد يفوته الفوز بالسرور ولو صبر وتأنى لئال ما تمنى (فبقيت بين الرد
والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته) غير متفلسة ولا غائبة وهذا هو مقام الفرق من ثمرات المحبة
(وبحرقة بنار محبته) والمحبة فرع من المعرفة فمن لم يعرف لم يحب ولذلك أخذ كرام المحبة بعد المعرفة (والصلاة)
والسلام (على) سيدنا (محمد خاتم الانبياء) والمرسلين وجودا كما انه فاتحهم نشأ (بكمال نبوته) وتسام رسالته
(وعلى آله وأصحابه سادة الخلق) أى رؤسائهم (وأئمة) الذين يقتدى بهم (وقادة الحق وأزمته) جمع قائم
وزمام فالقائد هو رئيس القوم والزمام ما تزم به الناقة أى تحبس وهو كالطعام أى هم يقودون أهل الحق الى
الحق ويؤمنونهم عن الميل الى ضده (وسلم كثيرا أما بعد) فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات
والذروة العليمان الدرجات وهو الثامن من مقامات اليقين وعند أبي طالب المكي هو التاسع منها وذلك لانه
قديم كرم مقام الرضا على مقام المحبة وعكسه المصنف قد قدم ذكر المحبة على مقام الرضا قال صاحب القوت المحبة
من أعلى مقامات العارفين وهي ايثار من الله لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم (فأما بعد ادراك المحبة
مقام) أحوال (الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا وأخواتها) مما يضاف اليها
فما يضاف الى الانس القرب والسكينة والطمانينة والانبساط والغيرة ومما يضاف الى الشوق الوجد والقلق
والدهش والهجمة والتمكين ولها ثمار أخر لا يطالع عليها السالك حتى يعثر عليها فلا مطمع في الانتهاء ولا محبة
فضله وهي متضمنة ان معرفة الله أكد المعارف فانه أظهر الموجودات أولها معرفة خاصة بها ويضاف اليها

ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالنوبة والصبر والزهد وغيرها واسائر المقامات ان عز وجودها فلم تحل القلوب عن
الايان بامكانها وأما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى أنكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى
وأما حقيقة المحبة ففعال الامع الجنس (٥٤٦) والمثال ولما أنكر والمحبة أنكر والانس والشوق ولذا المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه

ولا بد من كشف الغطاء
عن هذا الامر ونحن
نذكر في هذا الكتاب
بيان شواهد الشرع في
المحبة ثم بيان حقيقتها
وأسبابها ثم بيان أن لا
مستحق للمحبة الا الله
تعالى ثم بيان أن أعظم
الذات لذة النظر الى وجه
الله تعالى ثم بيان سبب
زيادة لذة النظر في
الآخرة على المعرفة في
الدنيا ثم بيان الاسباب
المقوية لحب الله تعالى
ثم بيان السبب في تفاوت
الناس في الحب ثم بيان
السبب في قصور الافهام
عن معرفة الله تعالى ثم
بيان معنى الشوق ثم
بيان محبة الله تعالى
للعبد ثم القول في علامات
محبة العبد لله تعالى ثم
بيان معنى الانس بالله
تعالى ثم بيان معنى
الانبطاط في الانس ثم
القول في معنى الرضا
وبيان فضيلته ثم بيان
حقيقته ثم بيان أن
الدعاء وكرهه المعاصي
لاتناقضه وكذا الفرار
من المعاصي ثم بيان
حكايات وكلمات للمحبين
متفرقة فهذه جميع
بيانات هذا الكتاب * (بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى) *

(اعلم) هداك الله تعالى (ان الامة مجمعة على ان الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض) ثابت بدليل
قطعي الثبوت والدلالة (وكيف يفرض مالا وجوده) هذا انكار على من أنكر المحبة أصلا وسبب انكارهم
ايها انهم راوا ان الحدود لاتزيد بها الاخفاء وجميع من تكلم فيها انما هو في أسبابها وجهاتها وعلاماتها
وشواهدا وغرائها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ثم رد على من فسر بها الطاعة فقال
(وكيف يفسر الحب بالطاعة) والانقياد لنيل الثواب (والطاعة تبسح الحب وغرته) فكيف تكون الثمرة
حد للمعمر والتابع حدا للمتبع (فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطبع من أحب) فسلم من ذلك ان
تفسيرها بالطاعة تفسير باللازم وليس بحد تام ولا تحد بحد أو وضع منها فحدوها وجودها ولا تحد بوصف أظهر
منها (وبدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأني الله بيقوم (بمحهم ويحبونه) ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان
الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما عارض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقوله تعالى)
ومن الناس من يتخذ من دون الله آندادا يحبونهم كحب الله (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو اشارة الى أن
الايان يحرض على حب الله تعالى ويدعو اليه قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فابان

ان
الله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف يفرض مالا وجوده وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبسح الحب وغرته فلا بد وان يتقدم الحب ثم بعد
ذلك يطبع من أحب وبدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله

أن اتبع نبيه صلى الله عليه وسلم من موجبان محبة الله عز وجل فاذا كان اتباع النبي صلى الله عليه وسلم إيمانا وجب أن يكون حب الله الموجب له إيمانا (وهو) أيضا (دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت اليه) لفظ القوت وكل مؤمن بالله فهو محب لله تعالى ولكن محبته على قدر إيمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه دليل ذلك استحبابهم له التوحيد والازم أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد في التزام الامر وفي تسليم الحكم فليس ذلك يكون الا عن محبة وان تفاوت المحبوب على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يصغر عن المحبة صغيرا لا يصغر عن المعرف من عرف ولا يكبر على التوبة كبير ولو كان على كل العالم قد أوقف لان الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أشد دليل على تفاوتهم في المحبة لان المعنى أشد فاشد ولم يقل شديد الحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله أن أكرمكم عند الله أتقاكم فدل على أن تفاوتهم في الاكرام على قدر تفاضلهم في التقوى ولم يقل ان الكرام المتقون فالمتقون متزايدون في الحب لله على تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له (وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان) بالله (في أخبار كثيرة اذ قال أبو رزق) لعيط بن عامر بن المتفق العامري (العقيلي) واقد بنى المتفق رضي الله عنه (يا رسول الله ما الايمان قال أن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما) قال العراقي أخرجه أجد بن زياد في أوله وفيه انقطاع انتهى قلت لفظ الحديث أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وأن تحترق بالنار أحب اليك من أن تشرك بالله وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه الا الله فاذا كنت كذلك دخل حب الايمان في قلبك كمدخل حب الماء لظما في اليوم القناط قال السيوطي في الجامع الكبير بعد أن ذكره حسن (وفي حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما) كذا في القوت قال العراقي متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يحب دحلاوة الايمان حتى وذكره بن زياد انتهى قلت الذي في المتفق عليه من حديث أنس بلفظ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي في الشعب كلهم من حديث أنس ورواه أيضا البغوي والطبراني والبخاري من حديث أبي امامة توفي رواية لابن حبان من حديث أنس ثلاث من كن فيه كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجل يحب القوم لا يحبهم الا في الله والرجل ان ذف في النار أحب اليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا (ومن حديث آخر لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه) قال العراقي متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده من حديث عبد الله بن هشام قال عمر بن الخطاب قال لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وأما تلك القصة فخرجها البخاري في مناقب عمر وفي الاستئذان وفي النذور عن أبي عقيل زهدة بن معبد عن جده عبد الله بن هشام قال كما مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فذكرها (كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم الاية) وتماها وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسبها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحتي يأتي الله بامرء والله لا يهدي القوم الفاسقين فابان به هذا ان حب الله وحبه ورسوله والجهاد في سبيله فرض لانه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب اليهم منه (وانما أجرى ذلك في معرض التهديد والانكار) قال العراقي ورواه البيهقي في الشعب عن أبي عبد الله

وهو دليل على إثبات
الحب وإثبات التفاوت
فيه وقد جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحب
لله من شرط الايمان في
أخبار كثيرة اذ قال أبو
رزق العنقل يبارسول
الله ما الايمان قال أن
يكون الله ورسوله
أحب اليك مما سواهما
وفي حديث آخر لا يؤمن
أحدكم حتى يكون الله
ورسوله أحب اليه مما
سواهما وفي حديث
آخر لا يؤمن العبد حتى
أكون أحب اليه من
أهله وماله والناس
أجمعين وفي رواية ومن
نفسه كيف وقد قال
تعالى قل ان كان آباؤكم
وأبناؤكم وأخوانكم
الاية وانما أجرى ذلك
في معرض التهديد
والانكار

ابن خنيفة دخل البصرة على أبي العباس بن سريج فقال له ابن سريج أين تعرف في نص الكتاب ان محبة الله فرض فقال لا أدري ولكن يقول القاضي فقال قوله عز وجل قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى فتر بصوا والوعيد لا يكون الا على ترك الفرض (وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة) فيما شرعه من الاحكام (فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله تعالى) قال العراقي رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب اه قلت ورواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وأحبوا أهل بيتي قال البيهقي في الشعب قال الحلبي وهذا يحمل على أن يكون عاملا لانعمه كما هو وأن يكون اسم الغذاء في الطعام والشراب حقيقة ولما عداهما من التوفيق والهداية ونصب اعلام المعرفة وخلق الخواص والعقل مجازا أو يكون جميع ذلك بالاسم مراد فقد روى ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وفي رواية ذاق طعم الايمان وانما يكون الطعم لا لاذية وما يجري مجراها فاذا جاز وصف الايمان بالطعم جازت تسميته غذاء فيدخل الايمان وجميع نعم الله عز وجل في هذا الحديث اه وقال صاحب القوت عقب ايراد هذا الحديث فدل ذلك على فرض الحب لله وان تفضل المؤمنون في نهايات فضائله ومن أفضل ما أسدى اليمنان نعمه المعرفة فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحبة لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض فاشدهم حب الله أحسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته اتركهم منازعة له في معاني الصفات كيلا يشركوه فيها مثل الكبر وحب الغنى والعز وطلب الذكركم أشدهم حبا لرسوله اذ كان حب الحبيب وأتبعهم لا تاروا وشبههم هديا بشيئله (و) قد (يروى ان رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للبلاء فقال اني أحب الله فقال استعد للبلاء) هكذا هو في القوت قال العراقي رواه الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ فاعد للفقر تجفأ فادون آخر الحديث وقال حسن غريب اه قلت لفظ الترمذي ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفأ فان الفقر أسرع الى من يحبني من السبل الى منتهاه وقد رواه كذلك أحد الطبراني والبيهقي وقد روى ذلك من حديث أبي هريرة وأبي ذر فحديث أبي هريرة لفظه ان كنت تحبني فاتخذ البلاء تجفأ فافو الذي نفسى بيده للبلاء أسرع الى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل الى حضيض الارض اللهم فن أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فاكثر ماله وولده رواه البيهقي في السنن وفي الزهد وضعفه وابن عساكر وأما حديث أبي ذر فلفظه ان كنت تحبنا فاعد للفقر تجفأ فان الفقر أسرع الى من يحبنا من السبل من أعلى الاكمة الى أسفلها رواه الحاكم وقال صاحب القوت بعد ان ذكر الحديث والفرق بينهما ان البلاء من أخلاق المبتلى وهو الله تعالى المبتلى فلما ذكر محبته اختبره للبلاء ليصبر على أخلاقه كما قال ولربك فاصبر فدل على أحكامه وبلائه والفقر من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذكر محبته دله على اتساع أوصافه ليقفي آثاره لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احبني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في جملة المساكين (وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدى أحد السابقين الى الاسلام أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم وكنتم اسلامه خوفا من أمه وقومه فعلم عثمان بن طلحة فاعلم أهله فاونقوه فلم يزل محبوبا الى أن هرب مع من هاجر الى الحبشة ثم رجع الى مكة فهاجر الى المدينة وشهد بدرا ثم أحد أومعه اللوا فاستشهد رضي الله عنه (مقبلا وعليه اهاب كبش) أي جلده (قد تنطق به) أي جعله كهيشة النطاط (فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أيوب يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله اياي وروى أن رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني أحب الله تعالى فقال استعد للبلاء وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أيوب يغذونه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون

وفي الخبر المشهور أن إبراهيم عليه السلام قال ملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يعيت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فأقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل (٥٤٩) قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء

انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت

اليه وقد قال نبينا صلى

الله عليه وسلم في دعائه

اللهم ارزقني حبك وحب

من أحب بك وحب ما

يقربني الى حبك واجعل

حبك أحب الي من الماء

البارد وجاء اعرابي الى

النبي صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله متى

الساعة قال ما أعددت

لها فقال ما أعددت لها

كثير صلاة ولا صيام الا

اني أحب الله ورسوله

فقال له رسول الله صلى

الله عليه وسلم المرء مع

من أحب قال أنس فما

رأيت المسلمين فرحوا

بشيء بعد الاسلام فرحهم

بذلك وقال أبو بكر

الصديق رضي الله عنه

من ذاق من خالص محبة

الله تعالى شغله ذلك عن

طلب الدنيا وأوحشه

عن جميع البشر وقال

الحسن من عرف ربه

وقاص قال كان مصعب بن عمير أتم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبيه وأخرج الترمذي بسند فيه ضعف عن علي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير فبكى للذي كان فيه من النعمة ولما صار اليه (وفي الخبر المشهور ان إبراهيم عليه السلام قال ملك الموت اذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خليلا يعيت خليله فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فأقبض) وهكذا هو في القوت قال العراقي لم أجده أصلا قلت وكأنه من الاسرائيليين (وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه) ولفظ القوت بعد قوله بكل قلبه عندها يستأنق اليه مولاه فينزعج القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه (وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من أحب بك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك أحب الي من الماء البارد) ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء بلفظ اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد وقد تقدم في كتاب الدعوات وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال بلغنا ان داود عليه السلام كان يقول في دعائه اللهم اجعل حبك أحب الي من سمعي وبصري ومن الماء البارد (وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كبير صلات ولا صيام الا اني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك ورواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه أحببه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يعقل فاذا تفكر حزن وقال أبو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون عنه بالدنيا) نقله صاحب القوت (ويروى ان عيسى عليه السلام مر في سياحته بثلاثة نفر من العباد قد نخلت أبدانهم) أي ضعف (وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما أرى) من التحول والتغير (فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف) مما يخاف (ثم جاؤهم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نحولا وتغيرا) من أولئك (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاؤهم أشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله أن يعطيكم

ما ترجون ثم جاوزههم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نخولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل فقال أنتم المقر بون أنتم المقر بون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل قائم في الثلج فقلت أمتجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيامة بانياتهم اعلمهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم (٥٥٠) ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا

عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسر في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده وده ينسى مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب (المزلة ان الله تعالى يقول (عبدى أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ) أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال يحيى بن معاذ الهى الى مقيم بطنائك مشغول بطنائك صغيرا أخذتني اليك وسرلتني بمعرفتلك وأمكنتنى من لطفك ونقلتني في الاحوال وقابتنى في الاعمال سترًا وتوبة وزهدا وشوقا

ما ترجون ثم جاوزههم الى ثلاثة آخرين فاذا هم أشد نخولا وتغيرا (من أولئك) وكان على وجوههم المرائي من (النور) أى تلعب وجوههم اضاءة كاضاءة المرائي (فقال ما الذي بلغ بكم ما أرى قالوا نحب الله عز وجل) لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته (فقال أنتم المقر بون أنتم المقر بون) نقله صاحب القوت بلفظ وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال لهم ما أنتم فتألوا نحن عباد قال فلاى شئ تعبدتم فقالوا خوفا من الله من ناره نخفنا منها (وقال عبد الواحد بن زيد) البصرى العابد (مررت برجل قائم في الثلج) في يوم بارد (فقلت له) أمتجد البرد) فتنتقل عنه (فقال من شغله حب الله لم يجد البرد) (روى (عن سري) بن المفسر (السقطي) رحمه الله تعالى) قال تدعى الامم يوم القيامة بانياتهم اعلمهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد صلى الله عليه وسلم (غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تتخلع فرحا) حيث خوطبوا بذلك الخطاب (وقال هرم بن حيان) العبدى قال ابن عبد البر هو من صغار الصحابة وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين (المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه أقبل اليه) برحمته (واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (عفوه) تعالى (يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده وده ينسى مادونه فكيف لطفه وفي بعض الكتب) (المزلة ان الله تعالى يقول (عبدى أنا وحقت لك محبة فبحق عليك كن لي محبا) قال القشيري رأيت ذلك بخط الاستاذ أبى على رحمه الله تعالى يعنى الدقاق (وقال يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب) نقله القشيري في الرسالة (وقال يحيى بن معاذ) أيضا في جملة ما كان يخاطب به مولا (الهى الى مقيم بطنائك مشغول بطنائك صغيرا أخذتني اليك وسرلتني بمعرفتلك وأمكنتنى من لطفك ونقلتني في الاحوال وقابتنى في الاعمال سترًا وتوبة وزهدا وشوقا ورضوا وحبًا تسقينى من حياضك وتمملنى في رياضك ملازمًا لامرك ومشغوفًا بقولك ولما طر شاربي) أى بقل (ولاح طائرى فكيف انصرف عنك اليوم كبيرًا وقد اعتدت هذا منك صغيرًا فى ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة) والدمدمة الحركة الخفية والهمهمة الصوت الخفى (لانى أحب لك وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف) وله مثل هذا الكلام فى الرجاء وكانت وفاته سنة ٣٥٨ (وقد ورد فى حب الله تعالى من الاخبار والاثر ما لا يدخل فى حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به) فانه أكيد والله الموفق

* (بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى) *

(اعلم) هداك الله تعالى (ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة فى نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها) الجالبة لها (ثم النظر بعد ذلك فى تحقيق معناها فى حق الله تعالى فأول ما ينبغى ان يعلم ان هذه المادة تدور على خمسة أشياء أحدها الصفاء والبياض ومنه قيل حبب الاسنان لبياضها وانضارتها الثانى العلوا والظهور ومنه حبب الماعوج حبابه وهو ما يعاوه من النفحات عند المطر وحبب الكاس منه الثالث الانزوم

ورضوا وحبًا تسقينى من حياضك وتمملنى في رياضك ملازمًا لامرك ومشغوفًا بقولك ولما طر شاربي ولا ح طائرى فكيف انصرف اليوم عنك كبيرًا وقد اعتدت هذا منك صغيرًا فى ما بقيت حولك دمدمة وبالضراعة اليك همهمة لانى محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد فى حب الله تعالى من الاخبار والاثر ما لا يدخل فى حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وانما الغموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به * (بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى) * اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة فى نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك فى تحقيق معناها فى حق الله تعالى * فأول ما ينبغى ان

يتحقق انه لا يتصور محبة الابدع معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور (٥٥١) أن يتصف بالحب جاد بل هو من

خاصية الحى المدرك ثم
المدركات فى انقسامها
تنقسم الى ما يوافق طبع
المدرك ويلآئه ويلآذه
والى ما ينافيه وينافره
ويؤلمه والى ما لا يؤرقه
بإيلا م والذاذ فكل ما فى
ادراكه لذو راحة فهو
محبوب عند المدرك وما
فى ادراكه ألم فهو
مبغوض عند المدرك
وما يتخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه
محبوباً ولا مكروهاً فاذا
كل لذى محبوب عند
المتذبه ومعنى كونه
محبوباً ان فى الطبع
مبغوا ليه ومعنى كونه
مبغوضاً ان فى الطبع
نفرة عنه فالحب عبارة عن
ميل الطبع الى الشئ المألذ
فان تأكد ذلك الميل
وقوى سمي عشقاً
والبغض عبارة عن نفرة
الطبع عن المؤلم المتعب
فاذا قوى سمي مقهاً فهذا
أصل فى حقيقة معنى
الحب لا بد من معرفته
(الاصل الثانى)
ان الحب لما كان تابعاً
للادراك والمعرفة انقسم
لأحالة بحسب انقسام
المدركات والحواس
فلكل حاسة ادراك لنوع
من المدركات ولكل

والثبات ومنه حب البعير وأحب اذ ابرك فلم يقم الرابع الباب والخلوص ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه
الحبة الواحدة الحبوب اذ هى أصل الشئ ومادته وقوامه الخامس الحفظ والامساك ومنه حب الماء الذى
يحفظه فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضاً ولا ريب ان هذه الخمسة من لوازم المحبة فأنما اصفاء المودة وهيجان
ارادة القلب وعملها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت ارادة القلب للمحبوب ولزومها للزومها لا يفارق
ولاعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه والاجتماع عزمانه وارادته وهو موه على محبوبه فاجتمعت
فيها المعانى الخمسة وضعت المعناها حزين مناسب للشئ غاية المناسبة الحاء التى هى من أقصى الخلق والباء للشفقة
التى هى من نهاية فللحاء الابتداء والباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه
واعطوا الحب حركة الضم التى هى أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماء وقوتها واعطوا الحب
وهو المحبوب حركة الكسر وذلك لحفظ ذكر المحبوب على قلوبهم وألسنتهم مع اعطائه حكم نظاره كنهه وذبح
للمنه ودو المذبح فتأمل هذه المطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعنى يطالعك على قدر هذه اللغة الشريفة
وان لها شأننا ليس كسائر اللغات ثم ينبغى بعد معرفة ذلك أن يتحقق انه لا يتصور محبة الابدع معرفة وادراك
اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه (وما لا يعرفه كيف يحبسه) ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جاد بل هو من
خاصية الحى المدرك) هذا قول الاكبرين وكان ممنون يقدم المحبة على المعرفة كما نقله القشيري أى لكمال
شغل العارف بمعرفة واستغراقه فى مناجاته حتى يفنى عن نفسه والمحبون تبقى معهم بقايا يتنعمون فيها
بمحبوبهم وكل من القولين صحيح باعتبار التوجيهين وقد أشار القشيري الى ترجيح قول ممنون حيث قال وعند
محبة قهيم المحبة استهلاك فى لذة والمعرفة شهود فى حيرة وفناء فى هيبة فتأمل (ثم المدركات فى انقسامها تنقسم الى
ما يوافق طبع المدرك ويلآئه ويلآذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤرقه بإيلا م والذاذ فكل ما فى
ادراكه راحة فهو محبوب عند المدرك وما فى ادراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يتخلو عن استعقاب
ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً فاذا كل لذى محبوب عند المتذبه ومعنى كونه محبوباً ان فى الطبع
ميل اليه ومعنى كونه مبغوضاً ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ المألذ تأكد ذلك
الميل وقوى سمي عشقاً والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمي مقهاً وهذا قد صرح
به أئمة اللغة قالوا العشق أشد الحب والمقت أشد البغض ثم ان العشق هو سابع مرتبة من مراتب الحب اذ
مراتب الحب عشرة أولها العلاقة ثم الارادة ثم الصباية ثم الغرام وهو حب لازم للقلب ملازمة الغريم لغريمه
ثم الود وهو وصف المحبة وخالصها ولها ثم الشغف وهو وصول الحب الى شغاف قلبه وهو جلدة رقيقة على القلب
ثم العشق وهو الحب المفرط الذى يخاف على صاحبه منه وبه فسر ولا تحمّلنا ما لا طاقته ثم التيم وهو التسذلل فى
الحب ثم التعبد وهو فوق التيم فان العبد الذى ملك المحبوب رقه فلم يقل به شئ من نفسه البتة بل كله لمحبوبه
ظاهر او باطنا والمرتبة الأخيرة الخلة التى انفرد بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم وهى المحبة التى
تخلت قلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير محبوبه (فهذا أصل فى حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته) وهو الأول
(الاصل الثانى ان الحب لما كان تابعاً للادراك والمعرفة انقسم لأحالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل
حاسة من الحواس الخمس ادراك لنوع من المدركات ولكل واحد منها لذة فى بعض المدركات) دون بعض
(وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت تلك المدركات (محبوبات عند الطبع السليم) عن النقص (فلذة
العين فى الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة) فهى لا تكاد تفتقر عن النظر اليها
(ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة) والالحن المستلحة فلها تعشق فى ذلك ولو كانت تلك النغمات من
غير جميل الصورة وقد تكون مع جمال الصورة فيلذ كل من العين والبصر ومن ذلك سماع محاسن الاوصاف
من رجل لم يقع عليه البصر واليه الاشارة بقول القائل * والاذن تعشق قبل العين أحياناً * (ولذة الشم فى

واحد منها لذة فى بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين فى الابصار وادراك
المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم فى

الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة فسمى

الطيب محبوبا وعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن الالبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات وعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل خمس سادس مظنته القلب لا يدركه الامن كان له قاب ولذات الحواس الخمس تشارك فيها الهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب فاذا قد بطلت خاصية الانسان ومما يميز به من الجنس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيه وههنا فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب

الروائح الطيبة الزكية مثل المسك والعود والعنبر وأشباهاها (ولذة الذوق في الطعوم) الطيبة (ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة) رواه النسائي من طريق سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرعة عيني في الصلاة وليس فيه لفظ ثلاث ومن هذا الوجه أخرجه أحد رؤسنا أبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن وآخرون وقد تقدم الكلام عليه في كتاب النكاح وكتاب ذم الدنيا وهذا موضع ثالث فقول السخاوي في المقاصد انه رواه في الاحياء في موضعين قصور عن تصحيح الكتاب (فسمى الطيب محبوبا وعلوم انه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبا ولاحظ فيهن الالبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات) بدليل افرادها في جملة مستقلة (ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل خمس سادس) رائد على الجنس (مظنته القلب لا يدركه الامن كان له قلب) وقد يكون الانسان بلا قلب (ولذات الحواس الخمس تشارك فيها الهائم الانسان) فان لها ادراكا كمالها امكنه فاصر عليها (فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يجب) كما زعمه المنكرون لمحبة العبد لله تعالى (فاذا قد بطلت خاصية الانسان ومما يميز به من الجنس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها) أي لامضايقة وهو مفاعلة من الشئ وقد فسر قوله تعالى لمن كان له قلب تارة بالعقل وتارة بالنور والمنسبط في القلب والاول أكثر وبه يتميز عن درجة الهائم فانه به يكمل فعله لانه يدعو الى أفعال بخالفة لمقتضى الشهوة والغضب بخلاف الهائم ففي فعلها نقص لكونه مقصورا على مقتضاها كما ان في ادراكها نقصا (وههنا فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر) فانها هي القوة المنورة بنور القدس ترى حقائق الاشياء بواطنها وهي التي تسمى بالقوة القدسية واما البصر الظاهر فهو للنفس ترى به صور الاشياء وظواهرها (والقلب) المنور بالنور القدسي (أشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لامحالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لانه كجسماني تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الامن قعده القصور في درجة الهائم فلا يجاوز ادراك الحواس أصلا) وقد أفصح المصنف عن هذا المقام في كتابه مشكاة الانوار فقال اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقائص فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعده من الاما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغفل كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فلهذا سبع نقائص تفارق العين الظاهرة وفي قلب الانسان عين هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني ودع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أو همت عند الضيف البصيرة كثرة المعاني فتعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن الجنون وتسميه عقلا متباعدة للجمهور وفي الاصطلاح فنقول العقل أولي بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع اما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه ويدرك علم نفسه بل علمه بعلمه نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا تنصو ولم يدرك بالاله الاجسام الثابتة ان العين لا تبصر ما بعده منها ولا ما قرب قريبا

بما يدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه أقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه كجسماني تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تعالى الامن قعده القصور في درجة الهائم فلم يجاوز ادراك الحواس أصلا

* (الاصل الثالث) * ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم (٥٥٣) يرجع منه حظ الى الحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك

مفردا والعقل يستوى عنده القريب والبعيد ويعرج في طرفه الى أعلى السموات رقبيا وينزل في لحظة الى تخوم الارضين هو يا الثالثة ان العين لا تدرك الاماليس وراء الحجاب والعقل يتصرف فيما وراء حجاب السموات وفي الملا الأعلى كتصرفه في عالمه الخاص به بل الحقائق لا تتحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات بين مقاربة له تضاهي لحجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وراسطها الاعلى دون باطنها بل قواها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى باطن الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط سببها وعلوها وحكمتها وانها محدث وكيف خلقت ولم خلقت وعلى أي مرتبة في الوجود نزل وما نسبتها الى سائر خسوفاته الخامسة أن العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح ولا الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعني قوة السمع والبصر والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والام والذلة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى فهو ضيق انجال مختصر المجري لا تسعه مجازة عالم الالوان والاشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام في أصلها أخس أقسام الموجودات والالوان والاشكال من أخس أعراضها والموجودات كلها انجال للعقل في تصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينيا صادقا فالأسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جليلة فمن أين للعين الظاهرة مجاراته ومساواته السادسة ان العين لا تبصر الا نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية بل يدرك علمه بالشئ وعلمه بعلمه بالشئ فقوته في هذا الوجه لا تقف عند نهاية السابعة أن العين تبصر الكبير صغيرا ترى الشمس في مقدار سخن والكواكب في صور دائرية منشورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الارض أضعا فامضا عتق ترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكنا ترى الصبي ساكنا في مقداره والعقل يدرك أن الصبي في النمو والتزايد على الدوام والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك في لحظة أميالا كثيرة وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزّه عنها فان قلت ترى العقلاء يغلطون في نظارهم فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاما وعتاقدات يظنون أن أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الاشياء على ما هي عليه انتهى المقصود منه (الاصل الثالث أن الانسان لا يخفى انه يحب نفسه) أي يعمل اليها بالطبع والضرورة (ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه) لذاته (وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع اليه حظ الى الحب سوى ادراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثوب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحال والعدم محقود ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكما الوجود أيضا محبوب لان النقص فاقدر المقصود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم محقود في الصفات للكمال والعدم نقص بالاضافة الى القدر المقصود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم محقود في الصفات

متصور وموجود فلبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو والملائم للمحب وأي شئ أتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده وأي شئ أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا مجرد ما يخافه بعد الموت ولا مجرد الخذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثوب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان أحب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالحال والعدم محقود ودوام الوجود محبوب وكما أن دوام الوجود محبوب فكما الوجود أيضا

وكمال الوجود كما انه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه أيضا آلة في دوام الوجود وكما له وكذلك اسائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشياء (٥٥٤) لالاعيانهم ابل لارتباط خطه في دوام الوجود وكما له يحتاج انه يحب ولده وان كان لا يناله منه حظ

بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلغرض حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء المحقق وكذلك حبه لا فار به وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا هم قويا بسببهم متجملابكالمهم فان العشرة والمال والاسباب الخارجة كالجنح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لاجله فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكما له ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا أول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان (عبد الاحسان وقد) روى عن ابن مسعود موقوفا (جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها) رواه أبو نعيم في الحلية وأبو الشيخ وابن حبان في روضة العقلاء والطبيب في الناربج وآخرون كلهم من طريق اسمعيل بن أبان الخياط قال بلغ الحسن بن عمار ان الاعمش وقع فيه فبغت اليه بكسوة فدحه الاعمش فقبل للاعمش ذمته ثم مدحته فقال ان خيثة حدثني عن ابن مسعود قال جلبت وذكره وهكذا أخرجه ابن عدي في كماله ومن طريقه البيهقي في الشعب وابن الجوزي في العلل المتناهية لكن مرفوعا قال الحافظ السخاوي وهو باطل مرفوعا وموقوفا قال وقد رواه مرفوعا أيضا القضاة في مسند الشهاب من طريق أبي عائشة حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال كنت عند الاعمش فذكر القصة والحديث اه كلام السخاوي قلت وقد رواه العسكري في الامثال من حديث ابن عمر هكذا مرفوعا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي) رواه الديلمي من حديث معاذ بنسند ضعيف منقطع بلانظ اللهم لاتجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة وفي لفظ نعمة براءه بها قلبي وقد تقدم (اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة في النسب ولا وصلة بينهما (وهذا اذا حقق) وتوكل فيه (رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمدا بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي يهايتها الوجود الا ان الفرق بينهما (ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببها كالطيب

وكمال الوجود كما انه ممقوت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام أصل الوجود محبوب وهذا غريزة في الطباع (بحكم سنة الله تعالى) التي خات في عباده (ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها) ونقد هاولو بعننه يفضي للنقص وهو يفضي الى ما يناقض الدوام (والمال محبوب لانه أيضا آلة في دوام الوجود وكما له وكذلك اسائر الاسباب) فانها كذلك لان فيما ذكر (فالانسان يحب هذه الاشياء لالاعيانهم ابل لارتباط خطه في دوام الوجود وكما له يحتاج انه يحب ولده وان كان لا يناله منه حظ) في العاجل (بل يتحمل المشاق لاجله) ويركب الصعب والذل (لانه يتخلفه في الوجود بعد عدمه) وهلاكه (فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلغرض حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء المحقق وكذلك حبه لا فار به وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا هم قويا بسببهم متجملابكالمهم) كما قبل المرة قليل بنفسه كثير باخوانه (فان العشرة والمال والاسباب الخارجة كالجنح المكمل للانسان) في حصول القوة (وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لاجله فاذا المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكما له ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا أول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان) كما قبل (عبد الاحسان وقد) روى عن ابن مسعود موقوفا (جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها) رواه أبو نعيم في الحلية وأبو الشيخ وابن حبان في روضة العقلاء والطبيب في الناربج وآخرون كلهم من طريق اسمعيل بن أبان الخياط قال بلغ الحسن بن عمار ان الاعمش وقع فيه فبغت اليه بكسوة فدحه الاعمش فقبل للاعمش ذمته ثم مدحته فقال ان خيثة حدثني عن ابن مسعود قال جلبت وذكره وهكذا أخرجه ابن عدي في كماله ومن طريقه البيهقي في الشعب وابن الجوزي في العلل المتناهية لكن مرفوعا قال الحافظ السخاوي وهو باطل مرفوعا وموقوفا قال وقد رواه مرفوعا أيضا القضاة في مسند الشهاب من طريق أبي عائشة حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال كنت عند الاعمش فذكر القصة والحديث اه كلام السخاوي قلت وقد رواه العسكري في الامثال من حديث ابن عمر هكذا مرفوعا (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي) رواه الديلمي من حديث معاذ بنسند ضعيف منقطع بلانظ اللهم لاتجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة وفي لفظ نعمة براءه بها قلبي وقد تقدم (اشارة الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة في النسب ولا وصلة بينهما (وهذا اذا حقق) وتوكل فيه (رجع الى السبب الاول فان المحسن من أمدا بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي يهايتها الوجود الا ان الفرق بينهما (ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببها كالطيب

الانسان عبد الاحسان وقد جلبت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لاتجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبي اشارة الى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجوع الى السبب الاول فان المحسن من أمدا بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي يهايتها الوجود الا ان الفرق ان أعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببها كالطيب

الذي يكون سبباً في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصمت وبين حب العلييب الذي هو سبب الصحة اذا الصحة مطلوبة لذاتها والعليب محبوب لاذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاعتناذ بمحبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاعتناذ بمحبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبه لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبه لانها وسيلة الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والافضل واحد رجع الى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن (٥٥٥) لاحسانه فإحب ذاته تحقيقاً

الذي يكون سببا في دوام صحة اعضاء ففرق بين حب الصحة و بين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذا الصحة
مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب بالذاته بل لانه سبب الصحة وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم
محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوب
لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوب لانها وسيلة الى الطعام فاذا رجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا
فكل واحد رجع الى محبة الانسان نفسه فمكان من أحب المحسن لاحسانه فمأحب ذاته تحقيقا بل أحب
احسانه وهو فعل من أنفعله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد (الحب
(ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث أن يحب الشيء لذاته لا لحظ
ينال منه وراعا ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ) رتبة السكال (الذي يوثق بدوامه
وذلك كحب الجمال والحسن) والجليلة الحسن وقيل هو الحسن الكثير والحسن عبارة عن كل مبتغى مرغوب
فيه وقيل هو كون الشيء ملائما للطبع وكونه صفة كمال وكونه يتعلق به المدح (فان كل جمال محبوب عند مدرك
الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين الذة والذة محبوبة لذاتها لا لغیرها ولا تنظر أن حب الصور
الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس
الجمال أيضا الذي يفحور أن يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا لشرب الماء
وتوكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تجمعه الخضرة والماء
الجاري) قال العراقي رواه أبو نعیم في العلب من حديث ابن عباس كان يحب أن ينظر الى الخضرة والى الماء
الجارى واسناده ضعيف اه قلت هذا اللفظ أبي نعیم وقد أخرجه ابن السني في الطب بلفظ المصنف الا انه قال
كان يجمعه النظر الى الخضرة والى الماء الجاري أخرجه من طريق الحسن بن عمر والسدي عن القائم بن
مطيب الجلي عن منصور بن عبد الرحمن الجلي عن أبي عبد الله بن عباس عن ابن عباس والقاسم بن مطيب
ضعفوه قال ابن حبان كان يخطئ على قلة رواية وقال في الديوان استحق الترتل (والطباع السامية قاضية
باستاداذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المايحة الالوان الحسنة النقش المناسبة الشكل حتى ان الانسان
لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراعا النظر فهذه الاسباب ملذذة وكل لذيذ محبوب وكل
حسن وجمال فلا يخجلوا دراكه عن لذة ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان
لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال
قال الراغب الجمال ضربان أحدهما يختص بالانسان في نفسه وقوله والثاني ما يصل منه لغيره ومنه الحديث
المذكور وتبينان منه تفيض الخيرات الكثيرة فيجب من يتصف بذلك اه قال العراقي رواه مسلم في أثناء
حديث لابن مسعود اه قلت وقد رويت هذه الجملة صدر حديث عندنا لكرم من حديث عبد الله بن عمرو
هكذا من غير زيادة وقد روى زيادة ويحب أن يرى نعمته على عبده رواه أبو جلي من حديث أبي سعيد
وزيادة ويحب معالي الأمور ويكره سفاسفها رواه الطبراني في الاوسط وابن عساکر من حديث جابر روى
ابن عساکر عن ابن عمر ان أبا ربحانة قال يا رسول الله اني لاحب الجمال حتى في نعلي وعلاقة سوطي أفن البكر

* (الاصـل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال) اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشعرا بالجمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغاب على الخلق حسن الابصار وكثير التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالجمرة فانا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن (٥٥٦) الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين

تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فسامعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول بكل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر مكر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يابق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها

ذلك قال ان الله جميل يحب الجمال ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده الكبير من سفة الحق ونقص الناس اعمالهم وروى مسلم والترمذى من حديث ابن مسعود ان الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق ونقص الناس وقدر واه الطبراني من حديث أبي أمامة نحوه ورواه هناد في الزهد عن يحيى بن جعدة مرسلنا نحو حديث جابر (الاصـل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم) أرشدك الله تعالى (ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن انه لا معنى للحسن والجمال الاتناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشعرا بالجمرة وامتداد القامة) وسواد الشعر وسعة العين وارتفاع الارنية (الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغاب على الخلق حسن الابصار وكثير التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متلونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذ لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالجمرة فانا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة) الاحسان (وما من شيء من المدركات الا وهي منقسمة الى حسن وقبيح فسامعنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه) والكلام فيه (وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق) الصريح (ونقول كل شيء جماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق له الممكن به) سواء كان معنى ثبت في ذاته أو لمعنى ثبت في غيره وسواء كان ذلك مما استحسنته العقل أو الهوى أو الحس (فاذا كان جميع كماله الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال) واليه المنتهى في الاستحسان (فان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر) ويقع الاستحسان على ذلك القدر الحاضر (فالفرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون) هذا مما يتعلق بظاهره وفي الالوان اختلاف الناس وانما يقع الاعتبار فيها بما تميل اليه النفوس والريجات وهي تختلف ويأتحق بذلك الشيبات (وحسن عدو) وارتكاض (وتيسر كز) أى الجملة (وفر) أى الرجعة (عليه) وهذا مما يتعلق بباطنه فانها أخلاق باطنية قد تكون خلقه وقد تكون من طول الرابضة والتعذيب وهو الاكثر (والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها) أى تقابلها (واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها) بالحدود المذكورة في فن الخط (ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء) ولكل ذلك نظائر وأشياء لا تحصى (فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك جميعها يحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرال حسناتها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال

واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق

بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم تدرك جميعها يحسن البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرال حسناتها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن

والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جيلة وانما الاخلاق الجيلة برادهم العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والبروة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجيلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل على حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن يتفق جميع ماله في نصرته ومذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في امامته ومبتوعه فكم من دم أريق في نصرته (٥٥٧) أرباب المذاهب وليت شعري من

يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذي حمله على افراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع التراب وانما يحبه اصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لا فائدة علم الشرع ولشهره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جيلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويفضله على غيره أو يحب علياً رضي الله تعالى عنه ويفضله ويتعبد له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره من خصال الخير (فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السيرة الجيلة) ومن جله ذلك السر الذي كان وقربه صدره (فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جيلة وانما الاخلاق الجيلة برادهم العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والبروة وسائر خصال الخير وشئ من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة) التي هي أقوى من نور البصر الظاهر (وكل هذه الخصال الجيلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك وان الامر كذلك ان الطباع محبوبة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا) ذواتهم بالابصار ولا حقوا أعصارهم (بل على حب ارباب المذاهب) المتبوعة (مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك) وأحمد (وغيرهم) رجعهم الله تعالى (حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن يتفق جميع ماله في نصرته ومذهبه والذب عنه ويحاطر بروحه في قتال من يظن في امامته ومبتوعه فكم من دم أريق في نصرته ارباب المذاهب) وأكثر ذلك في ديار خراسان فيما سبق من الزمان (وليت شعري من يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهدته ربما لم يستحسن صورته فاستحسنه الذي حمله على افراط الحب هو صورته الباطنة لا صورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع (التراب) وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لا فائدة علم الشرع ولشهره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جيلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة) الباطنة (فاما الحواس فقاصرة عنها) أي عن ادراكها (وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه (ويحب علياً رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويتعبد له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره من خصال الخير (فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السيرة الجيلة) ومن جله ذلك السر الذي كان وقربه صدره (فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله تعالى عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقه وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السيرة الجيلة فكل الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جلته الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحواس ومحملهما من جلة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبرص حتى يكون محبوباً بالاجله فاذا الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجيلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحسوب مصدر السيرة الجيلة وهي الاخلاق الجيدة والفضائل الشريفة وترجع جلته الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نجيب اليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقاييس التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتميا بالسخاوة وصفوا خالدًا بالشجاعة أحببتهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعده المزار ونأى الديار فاذا اليس (٥٥٨) حب الانسان مقصور اعلى من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي

قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتذكر الصور الظاهرة بالبهيم الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يعيل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشام صور اعلى الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب الانبياء لجمال صورته الباطنة (السبب الخامس) المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لاسباب جمال أو حظ ولكن بمجرد

بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه (اذا اردنا ان نجيب اليه غائبا) عن بصره (أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض ابليس لعنه الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقاييس (التي تدرك بالحواس) الظاهرة (بل لما وصف الناس حاتميا) الطائي (بالسخاوة ووصفوا خالدًا) بن الوليد رضي الله عنه (بالشجاعة) أحببتهم القلوب حيا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك (الموجودين) (في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير) على المحاويع من أهل ملكته (غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه الى المحبين لبعده المزار ونأى الديار) الموجب لعدم الوصول الى تلك الاقطار (فاذا اليس حب الانسان مقصور اعلى من أحسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتذكر الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يعيل اليها) لان كل ذلك تابع للادراك (ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة) بسبب انتشار صدره بافاضة النور القدسي عليه (كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشام صور اعلى الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب الانبياء) عليهم السلام (لجمال صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لاسباب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم) الارواح جنود مجنونة (فاتعارف منها اتلف وماتنا كرمها) (اختلف) رواة البخاري من حديث عائشة وأجد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة والعقيلي والدارقطني وأبو نعيم من حديث علي والطبراني من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث سلمان وقد تقدم الكلام عليه (وقد حققنا ذلك في كتاب آداب العجبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع أقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه ان يبنه وبينه مناسبة خفية في الباطن) وجعل الكمال مجددين اسحق الصوفي رحمه الله تعالى هذه الاقسام كلها راجعة الى سببين أحدهما الانعام والثاني الجمال وسيأتي نص كلامه في آخر هذا الفصل (فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كماله كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فاتعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب العجبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه أيضا من عجائب أسباب الحب فاذا ترجع أقسام الحب الى خمسة أسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقائه وحبه من أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن يبنه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لاحتالة كماله كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الحاصل بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب للاحالة في أعلى الدرجات فلبين الآن أن هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى * (بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده) * وان من أحب غير الله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته الله تعالى وحسب الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتباء لان محبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحبة المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوز الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوالبصائر الا الله تعالى ولا مستحق (٥٥٩) للمحبة سواء وايضا بان ترجع الى

الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخييل وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضدهما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى * فاما السبب الاول وهو حب الانسان نفسه وبقائه وكفه ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصه وقواطع كماله فهذه جملة كل حي ولا يتصور أن ينفل عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان أحب العارف ذاته من وجوده من الله تعالى والى الله تعالى مصيره (وبالله) تعالى قيامه (فهو المخرع الموجد له وهو المبتقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف) وظلمة خالصة (لولا فضل الله تعالى عليه بالايحاء) من المحاول الى الثبات ومن العدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته وجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقها موجدها ومخترعها مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة) لانه لان الانسان لا يحب الامن يعرف فالمحبة تتبع المعرفة بالضرورة يفهم هذا من قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سخطه نفسه أى جهلها بمعرفة النفس موجبة لمعرفة الرب (تتعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا بالاحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الحاصل بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب للاحالة في أعلى الدرجات فلبين الآن أن هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى)

* (بيان أن المستحق للمحبة هو الله تعالى) *

(وحده وان من أحب غير الله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفته الله تعالى و) (ان حب الرسول) المرسل من عنده (محمود لانه عين حب الله تعالى وكذلك حب العلماء والاتباء) الذين هم أحب الله (لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحبة المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يتجاوز الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوى البصائر) المتورة (الا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواء وايضا بان ترجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بحملتها ولا يوجد في غيره الا احادها وانها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخييل وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضدهما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحد غير الله تعالى فاما السبب الاول) من الاسباب الخمسة (وهو حب الانسان نفسه وبقائه وكفه ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصه وقواطع كماله فهذه جملة كل حي ولا يتصور أن ينفل عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فان من عرف نفسه) بغاية النص (وعرف بربه) بغاية الكمال (عرف قطعانه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى والى الله تعالى مصيره) (وبالله) تعالى قيامه (فهو المخرع الموجد له وهو المبتقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف) وظلمة خالصة (لولا فضل الله تعالى عليه بالايحاء) من المحاول الى الثبات ومن العدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته وجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقها موجدها ومخترعها مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة) لانه لان الانسان لا يحب الامن يعرف فالمحبة تتبع المعرفة بالضرورة يفهم هذا من قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سخطه نفسه أى جهلها بمعرفة النفس موجبة لمعرفة الرب (تتعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

وجوده من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى والى الله تعالى مصيره (وبالله) تعالى قيامه (فهو المخرع الموجد له وهو المبتقى له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالايحاء وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالابقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا القيوم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان أحب العارف ذاته وجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقها موجدها ومخترعها مبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة فتتعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى (٥٦٠) الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فان الكل بالآخر قادرته ووجود الكل تابع لوجوده كأن

وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهم العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذا انكشف لآرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الإبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورته أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق فإذا كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبها به قوامه أو لا ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري أن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشركه البهائم في التمتع به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الآمن يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضوض عالم البهائم اعلم أن في عالم الملكوت عجائب يستحق بالإضافة إليها عالم الشهادة ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقدر به القصور في حضوض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الإنسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تستعد البهيمة أجنحة الطير إلى هذا العالم وعالم الشهادة بالإضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة إلى اللب كالصورة والقلب بالإضافة إلى الروح كالظلمة بالإضافة إلى النور كالسفل بالإضافة إلى العلو والملائكة من جملة عالم الملكوت عاكفون في حضرة القدس ومنها يشرفون إلى العالم الأسفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاها مابل داعية إلى طلب القرب إلى الله تعالى فن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفاً عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبهاً من الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكآل ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى (من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها) وقد تقدم قريباً (وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي هو قوام نفسه ومعلوم أن المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل) ومداره (وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجرة) ولذا قيل للعقل الأول الظل الأول لانه أول عين ظهرت بنوره تعالى وقبلت صورة الكثرة التي هي شئون الوحدة الذاتية وقيل للإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية ظل الاله وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي بكر السلطان ظل الله في الارض فن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله (والنور بالإضافة إلى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر) وهذا السياق اذا تأملته رأيت مماثلات إلى وحدة الوجود الذي قال به أهل الحقيقة وهي مشكلة مشهورة شديدة الاختلاف بينهم وبين علماء الظاهر وقد أشار المصنف إلى ذلك في عدة مواضع من كتابه هذا منها في هذا الموضع ومنها ما سر في كتاب الصبر والشكر وهو قوله النظر بعين التوحيد المحض يعرفك انه ليس في الوجود غيره تعالى الخ وصرح بذلك في كتابه مشكاة الانوار وغيره وقد صرح بها الشيخ الأكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفتوحات (بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهم العوام اذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذا انكشف لآرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الإبصار) وأقوى منها (ان النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والاجسام الكثيفة كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورته أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى) فالنور الحق هو الله تعالى لذاته وبذاته ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها وهي مستفادة من النور الأول وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل نوره وكل ما في الوجود فنسبته اليه في ظاهره والثاني كنسبة النور إلى الشمس (ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق) لاتساعها وضيق ظروف الأمثلة (فاذا ان كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبها به قوامه أو لا ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري أن عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشركه البهائم في التمتع به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الآمن يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضوض عالم البهائم اعلم أن في عالم الملكوت عجائب يستحق بالإضافة إليها عالم الشهادة ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقدر به القصور في حضوض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الإنسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تستعد البهيمة أجنحة الطير إلى هذا العالم وعالم الشهادة بالإضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة إلى اللب كالصورة والقلب بالإضافة إلى الروح كالظلمة بالإضافة إلى النور كالسفل بالإضافة إلى العلو والملائكة من جملة عالم الملكوت عاكفون في حضرة القدس ومنها يشرفون إلى العالم الأسفل والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاها مابل داعية إلى طلب القرب إلى الله تعالى فن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفاً عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة وكذلك ان فطم نفسه عن الجود والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك أخذ شبهاً من الملائكة فان خاصة الحياة الادراك والفعل واليهما يتطرق النقصان والتوسط والكآل ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة

وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشركه البهائم في التمتع به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطاق أرضه الآمن يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضوض عالم البهائم

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولا طفه بكلامه وأمدته بمعونته وانتدب انصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتفض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاحتجالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فلست أعداها اذ ليس يحيط بها احصر حاصركا قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فبين أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك منها تتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما اتهم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك (٥٦١) وألزم في نفسه أن صلاح دينه وأدنياه

في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سأل الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه وأدنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسأط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن اليه فواساه بماله ولا طفه بكلامه وأمدته بمعونته وانتدب انصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتفض وسيلة الى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاحتجالة عنده وهذا بعينه يقتضى أن لا يحب الا الله تعالى فانه لو عرف حق المعرفة لعلم أن المحسن اليه هو الله تعالى فقط فاما أنواع احسانه الى كل عبيده فلست أعداها اذ ليس يحيط بها احصر حاصركا قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد أشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا تقتصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فبين أنعم عليك بجميع خزائنه وممكنك منها تتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما اتهم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وخلق (داعيته ومن الذي حبب اليه وصرف وجهه اليك والقي في نفسه ان صلاح دينه وأدنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سأل الله عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه وأدنياه في أن يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم) لك (لا يستطيع مخالفته) ولا يقدر على مجاوزته (فالحسن) في الحقيقة (هو الذي اضطره لك وسخره وسأط عليه الدواعي الباعثة المرهقة الى الفعل وأما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك) فهو مظهر من مظاهر قدرته (فصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته في نفسك محسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستخار) لحاجاته (أو الشاء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق للطاعة والمحبة كما ان الانسان لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه) ظاهر (فلا يلقى فيه يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فلست مقصودا بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر) الجليل (والثناء) الحسن (أو الشكر أو الثواب) أجلا (بسبب قبضك المال فقد استخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من له عوضا هو أرحم عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجل أصل البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليم الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خالعة الامير الى من

(٧١ - (اتحاف السادة المتقين) - تاسع) الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما أجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة والاستخار أو الشاء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة وكأن الانسان لا يلقى ماله في البحر اذ لا غرض له فيه فلا يلقى فيه يد انسان الا لغرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما أنت فلست مقصودا بل يدك آله في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر أو الثواب بسبب قبضك المال فقد استخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذا محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرحم عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لاجل أصل البتة فاذا هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين أحدهما انه مضطر بتسليم الله الدواعي عليه فلا قدرته على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خالعة الامير الى من

نطلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما يرسم ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى ساط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه ديني وادنيا في بذله فبذلك الثاني انه معترض عما بذله حظه أو في عنده وأحب مما بذله فكذلك الوهاب اعتاض الثواب أو الجود والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينيا متمولا بل الحظوظ كلها أعراض تستحق الاموال والاعيان بالإضافة اليها فالاحسان في الجود والجوده هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع (٥٦٢) الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان

خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامثال لما يرسم ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى ساط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه ان حظه ديني وادنيا في بذله فبذلك الثاني انه معترض عما بذله حظه أو في عنده وأحب مما بذله فكذلك الوهاب اعتاض الثواب أو الجود والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينيا متمولا بل الحظوظ كلها أعراض تستحق الاموال والاعيان بالإضافة اليها فالاحسان في الجود والجوده هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى فهو الذي أنعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض) وانما قلنا على وجه الكمال فان العبد قد يتجمل بهذا الوصف بالاكتساب بنوع من التكلف وهو مع ذلك ناقص بالإضافة الى الجواد المطلق والمحسن (فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطابع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله العارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غير محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطابع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما ما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهم ما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمنفصل على جميع أصناف الخلق أولا بما يجادهم) واخراجهم من عدم الى الوجود ومن الظلمة الى النور (ونانبا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترقيهم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجملهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد) وهي الرئة (ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

كان في الطبع حسب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف الا الله تعالى اذا الاحسان من غير محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته وأما السبب الثالث وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا أيضا موجود في الطابع فانه اذا بلغك خبر ملك عابد عادل رفيق بالناس متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما ما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو

البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهم ما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن اليك وهذا أيضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة والمنفصل على جميع أصناف الخلق أولا بما يجادهم وثانبا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترقيهم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي في مظان حاجاتهم وان لم تكن في مظان الضرورة ورابعا بتجملهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج اليه العين واليد والرجل ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزيا والزايدة خضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذا ائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدم الحاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جيل لذات الجلال لاختلاف ينال منه وراء ادراك الجلال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجلال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة (٥٦٣) بعين الرأس والى جمال الصورة

الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظهار من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجلال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والاختلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه فاجبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شيء فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لا فاعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) بتهديبها وتجريد هاعن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

الضروري من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه ومثال المزيا والزايدة خضرة الاشجار وحسن أشكال الانوار والازهار ولذا ائذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدم الحاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق أسباب الاحسان فالحب بهذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تعالى * وأما السبب الرابع وهو حب كل جيل لذات الجلال لاختلاف ينال منه وراء ادراك الجلال فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجلال ينقسم الى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم الاظهار من الحياة الدنيا وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجلال فان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوى المكارم السنية والاختلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وسائر الاعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا دل القلب عليه فاجبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله عنه أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى) ولذا قال مالك بن دينار خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شيء فيها قالوا وما هي يا أبا يحيى قال معرفة الله عز وجل (وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه به) وانما شرفه لانه معرفة لا فاعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والامر الذي يسهل به الوصول الى معرفة الله والقرب منه وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف (فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم) بتهديبها وتجريد هاعن الصفات الذميمة (واصلاح عباد الله

الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافعي رحمه الله عليه فلا يحبهم الا الحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذا الافعال آثار صادرة عنها ودالة عليها في رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جلالا وعظمة كان العلم أشرف وأجل وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا حرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرقه على قدر تعلقه فاذا جال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعان رجوع الى ثلاثة أمور أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه والثاني قدرتهم على اصلاح أنفسهم

بالإرشاد والسياسة والثالث تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يجب
الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى (أما العلم) فأين علم الأولين والآخرين
من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل أحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم
فقال عز وجل وما أوتيتهم من العلم الا (٥٦٤) قليلا بل لواجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة

بالإرشاد والتعليم) والثالث تنزههم عن الرذائل (الفسية) والخبائث (الباطنة) والشهوات
الغالبة) على باعث الحق (الصارفة عن سنن الخير) والصالح (الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يجب
الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى
أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي (من شأنه) أنه يحيط بالكل أحاطة خارجة عن
النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الخلق كلهم فقال وما أوتيتهم من العلم
الا قليلا) حتى كان ابن عباس يقول أنا من ذلك القليل (بل لواجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا
بعلمه وحكمته في تفصيل خلق غلة أو بعرضه لم يطالعوا على عشر عشر ذلك) كما قال تعالى (ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء) وقال تعالى ولا يحيطون به علما (والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم في تعليمه علموه كما
قال تعالى خلق الإنسان علمه البيان) وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير (فإن كان جلال العلم وشرفه
أمر محبوبا وكان هو في نفسه زينة وكذا للموصوف به فلا ينبغي أن يجب بهم هذا السبب الا الله تعالى فعلاوم
العلماء جهل بالاضافة الى علمه) تعالى (بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحالة أن يجب بسبب
العلم الاجهول ويترك العلم وان كان الاجهول لا يخلو عن علم ما تقتضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين
علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلاق وأجهلهم لان العلم لا يفضل الاجهول الا بعلاوم معدودة
متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الاجهول بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم
خارج عن النهاية اذ معلوماته لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية) والحاصل ان العبد حظا من وعف العلم
لا يكاد يخفى ولكن يفارق علمه علم الله تعالى في خواص ثلاث احداها ما أشار اليه المصنف وهو كثرتها فان
معلومات العبد وان اتسعت فهي محصورة في قلبه فاني تناسب بالانهاية لها والثانية ان كسفت فلا يبلغ الغاية
التي لا يمكن وراها بل تكون مشاهدته الاشياء كانه يراها من وراء ستور رقيق ودراجات الكشف متفاوتة ووفق
بين ما يتضح وقت الاسفار وبين ما يتضح أول ضحوة النهار والثالثة ان علم الله تعالى بالاشياء غير مستفاد من
الاشياء بل الاشياء مستفادة منه وعلم العبد بالاشياء تابع للاشياء وحاصل بها وان اعتاص علمك فهم هذا
الفرق فأنسب علم متعلم الشطر نبح الى علم راضع فان علم الواضع هو سبب وجود الشطر نبح ووجود الشطر نبح هو
سبب علم المتعلم وعلم الواضع سابق على الشطر نبح وعلم المتعلم مسبوق ومتأخر عن الشطر نبح فكذلك علم الله تعالى
بالاشياء سابق عليها وسبب لها وعلمنا بخلاف ذلك والله المثل الاعلى (وأما صفة القدرة فهي أيضا كمال والعجز
نقص فذلك كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادرا كه لذي حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية
والمحاورات (شجاعة على) بن أبي طالب (وخالد) بن الوليد رضي الله عنهما (وغيرهما من الشجعان)
المشهورين جاهلية واسلاما (وقدرتهم ما واستيلاءهما على الاقران) من أهل زمانهما (فيصادف في قلبه اهتزازا
وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد دلالة السماع فضلا عن المشاهدة وبورث ذلك حباني القلب ضروريا بالمتصف
فانه نوع كمال فأنسب الا أن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم
بطشا وأقهرهم للشهوات وأقنعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مأمته

وبعوضة لم يطالعوا على
عشر عشر ذلك ولا
يحيطون بشئ من علمه
الا بما شاء والقدر اليسير
الذي علمه الخلاق كلهم
في تعليمه علموه كما قال تعالى
خلق الإنسان علمه البيان
فإن كان جلال العلم
وشرفه أمرا محبوبا وكان
هو في نفسه زينة وكذا
للموصوف به فلا ينبغي
أن يجب بهم هذا السبب الا
الله تعالى فعلاوم العلماء
جهل بالاضافة الى علمه
بل من عرف أعلم أهل
زمانه وأجهل أهل زمانه
استحالة أن يجب بسبب
العلم الاجهول ويترك
العلم وان كان الاجهول
لا يخلو عن علم ما تقتضاه
معيشته والتفاوت بين
علم الله وبين علم الخلاق
أكثر من التفاوت بين
علم أعلم الخلاق وأجهلهم
لان العلم لا يفضل
الاجهول الا بعلاوم معدودة
متناهية يتصور في الامكان
أن ينالها الاجهول
بالكسب والاجتهاد
وفضل علم الله تعالى على

علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لانهاية لها ومعلومات الخلق متناهية (وأما صفة القدرة) فهي أيضا كمال والعجز
نقص فذلك كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وادرا كه لذي حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخالد رضي الله تعالى
عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهم ما واستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد دلالة السماع فضلا
عن المشاهدة وبورث ذلك حباني القلب ضروريا بالمتصف فانه نوع كمال فأنسب الا أن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تعالى فاعظم الاشخاص
قوة وأوسعهم ملكا وأقواهم بطشا وأقهرهم للشهوات وأقنعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مأمته

قدرته وانما غاية ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدا يجزع في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلا كهوا وكواكبها والارض وجبالها وبحارها ور يا حها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكن مولاه كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين (٥٦٥) اذ قال انما مكنته في الارض فلم يكن

جميع ملكه وساطنته
الا بتمكن الله تعالى
ايه في جزع من الارض
والارض كلها مدرة
بالاضافة الى اجسام
العالم وجميع الولايات
التي يحظى بها الناس
من الارض غير من
تلك المدرة ثم تلك الغيرة
ايضا من فضل الله تعالى
وتمكنه فيستحيل أن
يجب عبدا من عباد الله
تعالى لقدرته وسياسته
وتمكنه واستيلائه وكما
قوته ولا يجب الله تعالى
لذلك ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم فهو
الجبار القاهر والعليم
القادر السموات مطويات
بيمينه والارض وملكها
وماعليها في قبضته وناصية
جميع المخلوقات في قبضة
قدرته ان اهلكهم من
عند آخرهم لم ينقص من
سلطانه وملكه ذرة وان
خلق أمثالهم ألف مرة
لم يعي بخلقهم ولا عيسه

قدرته (واما بلغها) وانما غاية ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا ولا ضرا ولا نفعا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس واذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عدا يجزع في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق بقدرته فضلا عما لا تتعلق به قدرته (من ملكوت السموات وافلا كهوا وكواكبها) من ملكوت الارض وجبالها وبحارها ور يا حها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواتها وجميع اجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبفسه بل الله خالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو ساط بعوضا على أعظم ملك (وأقوى شخص من الحيوانات) كالقيل (لاهاكه) ما اهلك النمرود في التوار يخ وأما هالك الفيل به فقد ذكر غير واحد من المتكلمين على عجائب الحيوانات كالدبري وغيره ان البعوض اذا دخل في أذن الفيل كان سبب هلاكه ولذلك لا يزال يحرك آذانه شبه المراويح لئلا يقربه البعوض (فليس للعبد قدرة الا بتمكن مولاه) ومع ذلك فهي ناقصة الا لتناول البعض الممكنات ولا تصلح للاختراع بل الله سبحانه هو المخترع لمة قدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ جميع أسباب الموجودات المقدورة (كما قال في أعظم ملوك الارض ذي القرنين) الاسكندر (اذ قال انما مكنته في الارض) وآتيناه من كل شئ سبيبا (فلم يكن جميع ملكه وساطنته الا بتمكن الله تعالى اياه في جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الارض غير من تلك المدرة ثم تلك الغيرة ايضا من فضل الله وتمكنه فيستحيل أن يجب عبدا من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكنه واستيلائه وكما قوته ولا يجب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر) ملك الاوائل والاواخر (السموات مطويات بيمينه والارض وملكها وماعليها في قبضته ناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقهم ولا عيسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا هو أئمن أن نار قدرته فله الجبال والبهائم والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور أن يجب قادر السكال قدرته فلا يستحق الحب بكل القدرة سواء أصلا وما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد مو جبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانياء والصدقون وان كانوا متزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا لواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مستغرا مضطرا هو عين النقص والعيب واليه الاشارة بقول بعض العارفين وجود ذنب لا يقاس به ذنب ويقول الشيخ زمران * كمال شرك خفي (فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور ان ينعم عن كماله على

لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر الا هو أئمن أن نار قدرته فله الجبال والبهائم والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فان كان يتصور ان يجب قادر السكال قدرته فلا يستحق الحب بكل القدرة سواء أصلا وما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقديس عن الرذائل والخبائث فهو أحد مو جبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والانياء والصدقون وان كانوا متزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه الا لواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والاكرام وأما كل مخلوق فلا يتخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزا مستغرا مضطرا هو عين النقص والعيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال الا بقدر ما أعطاه الله وليس في المقدور ان ينعم عن كماله على

غيره فان منتهى السكال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخر الغيرة قائما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو المنفرد بالسكال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتزده في حقه عن النقائص بطول وهو من أسرار علوم الميكاشفات فلا تطول بذكره فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا (٥٦٦) وجلا محبوبا فلا تتم حقيقة الاله وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه

نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الجمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما يتفاوتون في درجات النقص فاذا الجبيل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لاندله الفرد الذي لاندله الصمد الذي لامنازع له الغنى الذي لا حاجته القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد حكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا ينفك من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الارلى الذي لا أول لوجوده الابدى الذي لا آخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجاد والحيوان والنبات

غيره) بحيث يصل الى غاية ليس وراءها من يد من كل وجه (فان منتهى السكال أقل درجاته ان لا يكون عبدا مسخر الغيرة وقائما بغيره وذلك محال في حق غيره) اذ غيره لا قوام له بنفسه في وجوده (فهو المنفرد بالسكال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب) المبرأ عن الاعتلال والاختلال (وشرح وجوه التقديس والتزده في حقه عن النقائص بطول) بمانه وتفصيله (وهو من أسرار علوم الميكاشفات فلا تطول بذكره) لانه لا يليق بهذا المقام (فهذا الوصف أيضا ان كان كمالا وجلا محبوبا فلا تتم حقيقة الاله وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة الى ما هو أشد منه نقصا كما ان للفرس كمالا بالاضافة الى الجمار وللانسان كمالا بالاضافة الى الفرس وأصل النقص شامل لكل وانما يتفاوتون في درجات النقص فاذا الجبيل محبوب والجبل المطلق هو الواحد الذي لاندله الفرد الذي لامنازع له الغنى الذي لا حاجته القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لاراد حكمه ولا معقب لقضائه العالم الذى لا يعزب) اى لا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض القاهر الذى لا يخرج عن قبضة قدرته اعناق الجبابرة ولا تنفك من سطوته ويطشه رقاب القياصرة الارلى الذي لا أول لوجوده الابدى الذى لا آخر لبقائه الضرورى الوجود الذى لا يحوم امكان العدم حول حضرته القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والارض خالق الجاد والحيوان والنبات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت والفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكال) وهذه كلها صفات الجلال وهى اذا نسبت الى البصيرة المدركة لها سميت جبالا وسمى المنصف بها جبلا وانما كان الحق هو الجبل المطلق لان كل ما فى العالم من جمال وكمال وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس فى الوجود موجد له السكال المطلق الذى لا ثنوية فيه سوى الله تعالى لما تقدم (الذى تحير فى معرفة جلالة العقول وتخرس فى وصفه الاله سنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال) مشبرا الى هذا المقام (سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) سبحانه (لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث عائشة اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد تقدم وعند ابن خزيمة من هذا الوجه وأعوذ بك منك لأحصى مدحك الاثناء عليك وفى آخر عنده أيضا من وجده آخر عنها وبغفوك من عقوبتك وبك منك أثنى عليك لأبلغ كل ما فى وفى آخر عند الخليلي من وجده ثالث عنها لأحصى أسمائك ولا ثناء عليك وقد رواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث على رضى الله عنه (وقال سيد الصديقين) أبو بكر (رضي الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانه من لا يجعل للحق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته) قال المصنف فى المقصد الاسنى نهاية معرفة العارفين بعجزهم عن المعرفة ومعرفةهم بالحقيقة هى أنهم لا يعرفونه وانهم لا يمكنهم البتة معرفته وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنهه صفات الربوبية الا الله تعالى فاذا انكشف لهم ذلك انكشف ما فهم انما ساقده عرفوه أى بلغوا المنتهى الذى يمكن فى حق الخلق من معرفته وهو الذى أشار اليه الصديق بقوله المذكور بل هو الذى عناء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لزمانة فى العبارة عنه بل معناه انى لا أحيط بمحمدك

وصفات المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت والفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والسكال الذى تحير فى معرفة جلالة العقول وتخرس فى وصفه الاله سنة الذى كمال معرفة العارفين الاعتراف بالجزع عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الانبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين رضى الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك سبحانه من لم يجعل للحق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيق قوايحه مجازاً أي ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونوع الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بما أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطابع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرته على جماله وجلاله أن يطاع عليه الأمن سبقت له منه الحسنى الذين هم (٥٦٧) عن نار الحجاب بعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون

وصفات الهيئت وإنما أنت المحيط بها وحده فاذا لا يحيط بخلق من ملاحظة حقيقة ذاته الأبالخيرة والدهشة انتهى (فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيق قوايحه مجازاً) بمعنى الطاعة والامتثال (أي ينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والحمد ونوع الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بما أو ينكر كون الكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطابع عند من أدركه) وهم أهل البصيرة الباطنة (فسبحان من احتجب عن بصائر العميان) وهم الذين فقدوا تلك البصيرة (غيرته على جماله وجلاله أن يطاع عليه الأمن سبقت له منه الحسنى الذين هم (٥٦٧) عن نار الحجاب مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى) يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم (يترددون) وبحكم مبالغتهم في علمهم (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) والحاصل أنه إذا ثبت أنه جليل فكل جليل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله ولذلك كن الله محبوباً ولكن عند العارفين والمنكرين لهذا جاهلون ومن جهل شيئاً أعاده وهذا كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوباً ولو كن عند المبصرين لا عند العميان (فالحب بهما السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص وكذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن أود الأوداء) أي أكثرهم وذا (إلى من عبدني بغير نوال) أي عطاء (لكن لي عطي الربوبية حقها) كذا في القوت (وفي الزور) فيما نقله ابن منبه (ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار) أي جاء أو خوفاً (لوم أخلق جنه لا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع) كذا في القوت (ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا ونغيرت ألوأهم فساء لهم عن حالهم) فقالوا تخاف النار (مر على آخرين فرأهم كذلك وسألهم فقالوا (ترجو الجنة فقال لهم نخلوا فحقتهم ونخلوا فارتجوا) فرأهم (كذلك) فسألهم (فقالوا نعبده حباً له وتعظيمه بالجلالة فقال أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقم) وقد مر هذا في باب أساطير سماهنا وفيه فقول لهم أنتم المقررون أنتم المقررون وقد ذكره صاحب القوت باللفظين (وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج التابعي السابري رحمه الله تعالى (إني لاستحي أن أعبد الله للثواب والعقاب فإكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالاجير السوء إن لم يعط لم يعمل) نقله صاحب القوت فقال ومن أقم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول إني لاستحي من ربي أن أعبد الله للثواب فإكون كالاجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولكن أعبد الله بحمده رواه أبو تميم في الحلية عن أبي بكر الآجري حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا إبراهيم بن الجندب حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير والهيثم بن جميل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال أبو حازم إني لاستحي من ربي عز وجل أن أسأله شيئاً فإكون كالاجير إذا عمل عمل طيب أجره ولكن أعجل تعظيمه (وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل) لفظ القوت وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالاجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل وقال العراقي لم أجده أصلاً (وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمناسبة والمشكلة لأن شبه الشيء بمنجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه) كل ذلك للتناسب (وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف) أي المستقل بالحرفة والكسب (وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح) وبالعكس (وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد به الأخبار والآثار كما استقصينا في باب الآخرة في الله في كتاب آداب

وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون والحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن لي عطي الربوبية حقها وفي الزور من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنه ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نخلوا فقالوا تخاف النار وترجو الجنة فقال لهم نخلوا فحقتهم ونخلوا فارتجوا ومن أقم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول إني لاستحي من ربي أن أعبد الله للثواب فإكون كالعبد السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولكن أعبد الله بحمده رواه أبو تميم في الحلية عن أبي بكر الآجري حدثنا عبد الله بن محمد العطشي حدثنا إبراهيم بن الجندب حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير والهيثم بن جميل قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال أبو حازم إني لاستحي من ربي عز وجل أن أسأله شيئاً فإكون كالاجير إذا عمل عمل طيب أجره ولكن أعجل تعظيمه (وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل) لفظ القوت وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالاجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل وقال العراقي لم أجده أصلاً (وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمناسبة والمشكلة لأن شبه الشيء بمنجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد به الأخبار والآثار كما استقصينا في باب الآخرة في الله في كتاب آداب

وكالاجير السوء إن لم يعط لم يعمل وفي الخبر لا يكون أحدكم كالاجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وأما السبب الخامس للمعجب فهو المناسبة والمناسبة والمشكلة لأن شبه الشيء بمنجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد به الأخبار والآثار كما استقصينا في باب الآخرة في الله في كتاب آداب

العجبة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب الحاجة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كنسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة (٥٦٨) باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها

العجبة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كنسبة الصبي الصبي في معنى الصبا وقد يكون خفيا حتى لا يطالع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين (أي فما تناسب منها في عالم الازل حصل بينها الائتلاف في عالم الشهادة وما تباين منها هناك أو جب حصول الاختلاف ههنا) وهذا السبب أيضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكره هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالافتداء والتخلق بالخلق الر بوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله أي تخلقوا بها في صفاته وأسمائه (وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللاطف والافاضة والخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة) وذلك فيما أمكنه منها (فكل ذلك تقرب الى الله تعالى) لانه به يصير العبد ربانيا أي قريبا من الرب تعالى فانه يصير رفيقا للملائكة الاعلى من الملائكة فانهم على بساط القرب فن ضرب الى شبه من صفاتهم نال شيئا من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم الى الحق تعالى (لا يعني طلب القرب بالمكان بل بالصفات) ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر من الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق الاله ولم يكن الموجودات الاخر كمال مطلق بل كانت لها كالات متفاوتة بالاضافة فأكملها أقرب للاحتمال الى الذي له الكمال المطلق أعنى قريبا بالمرتبة والدرجة لا بالمكان (واما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي) دون سائر المخلوقات (فهى التي يومئ اليها قوله تعالى ويستأنسوا بالروح قل الروح من أمرى اذ بين انه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق) وهكذا شأن أمور الربوبية آله الخلق والامر (وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي) فقوله ساجدين (ولذلك اسجد له الملائكة) اثر ذلك النفخ والتسوية ومن قوله وأوضح من ذلك الى هنا قد سقطا من بعض النسخ وقد أشار الى ذلك المصنف في كتاب النفخ والتسوية ومنهم من أنكر نسبة هذا الكتاب اليه كما ذكرنا في مقدمة كتاب العلم (ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة) لانه انمؤذج من نور الله تعالى ولا يخجلوا الاغوذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساواة وهذا رجاها هزل للظن لسر الآية (واليه رمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته) تقدم الكلام عليه (حتى ظن القاصرون) من العلماء (أن لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس) الظاهرة وأنكروا الصورة الباطنة المدركة بالبصيرة الباطنة (فشبهوا وجسمه وصوره واتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولوعده وجدتنى عنده) روى مسلم من حديث أبي هريرة ان الله تعالى

في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكره هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالافتداء والتخلق بالخلق الر بوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله أي تخلقوا بها في صفاته وأسمائه (وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللاطف والافاضة والخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهى التي يومئ اليها

قوله تعالى ويستأنسوا بالروح قل الروح من أمرى اذ بين انه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ولذلك أسجد له ملائكتهم ويشير اليه قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض اذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى الا بتلك المناسبة واليه رمز قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون ان لا صورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبها وجسمه وصوره واتعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولوعده وجدتنى عنده

يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال ما علمت ان عبدى
 فلا نمرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لو جدتني عنده الحديث (وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواطبة على
 النوافل بعد احكام الفرائض كما قال الله تعالى لا يزال يتقرب العبد الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت
 سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي
 هريرة وقد تقدم قلت رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والحاكم في الزهد
 وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد آستحل بحمار بني ومات تقرب الى عبدى
 بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كتبت عنه التي يبصر بها واذنه
 التي يسمع بها يده التي يمس بها ورجله التي يمشي بها ويده التي يمس بها ووفاءه الذي يعقل به ولسانه الذي
 يتكلم به وان دعاني أجبتني وان سألتني أعطيتني الحديث وروى ابن السني في الطب من حديث ميمونة قال الله
 تعالى ما تقرب الى العبد بمثل أداء فرائضه وانه ليتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت رجله التي
 يمشي بها ويده التي يمس بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به ان سألتني أعطيتني وان دعاني أجبتني
 وروى في حديث أنس ومات عبد الى عبدى المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب عبدى المؤمن بمثل أداء
 ما أقرضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومريدا
 الحديث رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الاولياء والحكيم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في
 الاسماء وابن عساكر وقال المصنف في مشكاة الانوار منتهى معراج الخلائق فملكته الفردانية فليس وراء
 ذلك مرتقى اذ المرقى لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافية يستدعي بانه الارتقاء وما اليه الارتقاء واذ ارتفعت
 الكثرة خفت الوحدة وطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتقى فاستحال الترقى
 واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان من تغيب
 حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعني بالاشراف من علو الى اسفل لان الاعلى له اسفل وليس له أعلى فهذه غاية
 الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجمله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه
 الا العلماء بالله فاذا انطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا يبعدان قال العلماء ان النزول الى السماء الدنيا هو
 نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو بعد منه اذ قال هـ ذا المستغرق بالفردانية أيضا نزول الى السماء
 الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس وتحرريك الاعضاء واليه الاشارة في الخبر صرح سمعه الذي يسمع
 به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر
 والناطق اذا لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت فلم تعدني الحديث فحركت هـ ذا الموحد من السماء الدنيا
 واحساساته كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يتربى من سماء العقل في منتهى معراج
 الخلائق وملكته الفردانية الى سبع طبقات ثم بعده يستوى على عرش الوحدة ومنه يدبر الامر لطبقات
 سماواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يعين الناظر فيه فيعلم
 أن ذلك له تأويل كقوله انا الحق وسبحاني بل كقوله مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه (وهذا
 موضع يجب قبض عنان القلم فيه) فما يطبق الناس من هذا الفن أكثر من هذا المقدار (فقد تحزب الناس
 فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر) فلم يفهموا من الصورة الا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس وكذا
 في النزول الى السماء الدنيا واضرب ذلك الى (عالين مسرفين) تجاوزوا في الحدود (وجاوز واحد المناسبة الى
 الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق) والقول بالاتحاد باطل لان قول القائل ان العبد صار الرب كلام
 متناقض في نفسه وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو لا يكون الا بطريق التوسع اللائق بعبادة الصوفية
 والشعراء فانهم لاجل تحسين موقع الكلام في الافهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر
 * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * وذلك مؤول عنده فانه لا يعني انه هو تحقيقا بل كأنه هو فانه مستغرق

وهذه المناسبة لا تظهر الا
 بالمواطبة على النوافل
 بعد احكام الفرائض
 كما قال الله تعالى لا يزال
 يتقرب العبد الى
 بالنوافل حتى أحبه فاذا
 أحبته كنت سمعه الذي
 يسمع به وبصره الذي
 ينطق به وهذا موضع
 يجب قبض عنان القلم
 فيه فقد تحزب الناس
 فيه الى قاصرين مالوا
 الى التشبيه الظاهر والى
 غالين مسرفين جاوز
 واحد المناسبة الى الاتحاد
 وقالوا بالحلول حتى قال
 بعضهم انا الحق

الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز ومن لم يجد في القلب الا جلال الله وجله حتى صار مستغرقا به يصير كأنه هو لانه هو حقيقة وخلق بين قولنا هو وكأنه هو ولكن قد يعبر بقولنا هو وعن قولنا كأنه هو وقول أنا الحق اشهر به الحسين بن منصور الحلاج وقد أجاب عنه المصنف في المقصد الاسنى فقال حظ العبد من اسمه تعالى أن يرى نفسه باطلا ولا يرى غير الله حقا والعبد وان كان حقا فليس هو حقيقة نفسه بل هو حق لغيره وهو الله سبحانه وتعالى فانه موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لولا اتحاد الحق له فقد أخطأ من قال أنا الحق الاباحد وجهين أحدهما ان يعنى انه بالحق وهذا بعيد لان اللفظ ينابى عنه ولان ذلك لا يخصه بل كل شئ سوى فهو بالحق الثاني أن يكون مستغرقا بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أخذ كلية الشئ واستغرقه فقد يقال انه هو فان جاؤ هذين التأويلين الى الاتحاد فذلك محال قطع او اما الحلول فهو أيضا باطل فان المفهوم منه أمران أحدهما النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون الا بين جسمين فالبرى عن معنى الجسمانية يستحيل في حقه ذلك والثاني النسبة التي بين العرض والجوهر فان العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر بانه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فان كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحمل فيما قوامه بنفسه الا بطريق المجاورة الواقعة بين الاجسام فلا يتصور الحلول بين عبيدين فكيف يتصور بين العبد والرب (وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الله) وقد غلطوا في ذلك ومنشأ غلطهم انهم نظروا الى كمال ذاته وقد تزين بماتلا في فيه من حلية الحق فظنوا انه هو الله (وقال آخرون) منهم (تدريع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به) أى اتحد الناسوت باللاهوت وكل هذه اخلاط فاحشة تقضى المروق عن الدين والوقوع في الكفر الصريح (واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل) المفهوم من قوله تعالى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير (واستحالة الاتحاد والحلول) وكذا استحالة الانتقال والاتصاف بامثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة (وانضح لهم مع ذلك حقيقة السير فهم الاقلون ولعل أبا الحسن) أحد بن محمد (النورى) البغدادى المتوفى سنة ٢٩٥ من أقران الجنيد نسب الى نور الوعظ (عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل اذ انشد له)

(لازلت أنزل من وداك منزلا * تخير الالباب عند نزوله)

(فلم يزل يعدو في وجده) حتى وقع (على أجرة قد قطع قصها وبقى اصوله) محمودة كالسنان (حتى تشق قدما وتورمتاومات من ذلك) وقد تقدم هذا في كتاب الوجد والسماع (وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فذه هي المعلومات من أسباب الحب ووجه ذلك متظاهره في حق الله تعالى تحقيقا بجازا في أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر) والكشوفات الباطنة (حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العبيان حب غير الله تعالى فقط) وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفى في مقاصد الخفيات مانصه الناس يتفاوتون في الحب تفاوتا لا ينحصر على قدر الاسباب الموجبة لحب الله تعالى فان المحبة تكون مسببة عن معرفة انعام الله تعالى واحسانه وافضاله وتكون مسببة عن جمال الله وكماله وهذه أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلها متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيها شغل عن الله ولان الاحسان يزيد وينقص وهذا المحبة الناشئة عن الجمال والكمال من أثر نعم الله على العباد لانهم تعريف له بما هو به وتقريب منه لان التصور يصير كامنا تحت أشعة الافضل اذا امتلا القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للعالم والامام الغزالي ذكر للمحبة أسبابا خمسة اذا أهملت النظر فيها رأيتها داخله تحت هذين السببين اما المحبة العبدية من أجل ان الله خلقه وأبقاه وخلق له الآلات المكمل لبقائه فهو من جملة احسان الله اليه واما محبته لاجل احسانه العام على سائر العباد فهو من جملة الفعل وكماله الذاتى واما محبتك العبدية لاجل الاوصاف الباطنة من العلم والقدرة

وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو الله وقال آخرون منهم تدريع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول وانضح لهم مع ذلك حقيقة السرفهم الاقلون ولعل أبا الحسن النورى عن هذا المقام كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القائل

لازلت أنزل من وداك منزلا

تخير الالباب عند نزوله فلم يزل يعدو في وجده على أجرة قد قطع قصها وبقى اصوله حتى تشقت قدما وتورمتاومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجودا فذه هي المعلومات من أسباب الحب ووجه ذلك متظاهره في حق الله تعالى تحقيقا بجازا في أعلى الدرجات لاني أدناها فكان المعقول المقبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العبيان حب غير الله تعالى فقط

ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كمالا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا وصل المحبة والكمال المحبة استحقا فلا يساهم (٥٧١) فيه أصلا * (بيان ان أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى

والارادة وموازة الارواح القدسية وتزويجها عن الحلول في المواطن والقرب والبعد والكمية فذلك أيضا من افضال الله تعالى على عبده لانه الذي خلقه وعدله وخلق له بعد التعديل روحا مقدسة من الحسن وعوارضه وأقام له بها اعراضا شريفة هي علوم ومعارف يعرف بها ربه انتهى * ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب الخمسة يتصور أن يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض عن كماله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الاوصاف و) نهاية (الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كمالا تتطرق الشركة الى صفاته فهو المستحق اذا وصل المحبة والكمال المحبة استحقا فلا يساهم فيه أصلا) أي لا يشارك وهذه الخواص الالهية ليست الا الله تعالى ولا يعرفها الا الله تعالى فلا جرم لا يتصور أن يعرفها الا هو أو من هو مثله واذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره وهذا يشترش قلوب أكثر الضعفاء ويوهم القول بالتعطيل وذلك لعجزهم عن فهم هذا الكلام والله الموفق * (بيان ان أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم)

(وانه لا يتصور ان يؤثر عليه الذلة أخرى الا من حرم هذه الذلة) ولم يكن له منها نصيب واخر (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذات) بأسرها (تابعة للادراكات والانسان) بحقيقته (جامع لجملة من القوى والغرائز) خلقت فيه لتمام حقيقته الانسانية (واكل قوة وغرزة) منها (ذلة) يدرك بها الملائم من حيث انه ملائم (ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا) لا فائدة فيها ولا حكمة (بل ركبت كل قوة وغرزة لاسر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام) من المغضوب عايمه (فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام) للبدن (فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك الذلة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم) وكذلك حصول المرجو عند القوة الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة يلتذت بكرها (فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم وذلة) فما كان ملائما يسمى ذلة ومالا فالماوكل ذلك (بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي) والفيض القدسي (لقوله تعالى أفمن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فذلك النور هو الذي يفسح له الصدر فينور بأشعة (وقد تسمى العقل) وقد يسمى عين القلب وقد يسمى الروح وقد يسمى النفس الانسانية (وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين) وكل ذلك تعبيرات عن عين في القلب منزهة عن نقائص العين الظاهرة (ولامعنى للاشتغال بالاسامي) المختلفة (فان الاصطلاحات مختلفة) ولا مشاحة فيها (والضعيف البصيرة ربما) (يظن أن الاختلاف واقع في المعاني) فيتوهم كثرتها بكثرة اسمائها (لان الضعيف شأنه) أبدا (يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب) فان دائرة المعاني أوسع من دائرة الالفاظ فلا تسكاد الالفاظ تحيط بها كما ينبغي (فالقلب مفارق لاسائر أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا) متتابعة

والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليه الذلة أخرى الا من حرم هذه الذلة) ولم يكن له منها نصيب واخر (اعلم) أرشدك الله تعالى (ان الذات) بأسرها (تابعة للادراكات والانسان) بحقيقته (جامع لجملة من القوى والغرائز) خلقت فيه لتمام حقيقته الانسانية (واكل قوة وغرزة) منها (ذلة) يدرك بها الملائم من حيث انه ملائم (ولذتها في نيلها مقتضى طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا) لا فائدة فيها ولا حكمة (بل ركبت كل قوة وغرزة لاسر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام) من المغضوب عايمه (فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام) للبدن (فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك الذلة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم) وكذلك حصول المرجو عند القوة الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة يلتذت بكرها (فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم وذلة) فما كان ملائما يسمى ذلة ومالا فالماوكل ذلك (بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي) والفيض القدسي (لقوله تعالى أفمن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فذلك النور هو الذي يفسح له الصدر فينور بأشعة (وقد تسمى العقل) وقد يسمى عين القلب وقد يسمى الروح وقد يسمى النفس الانسانية (وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين) وكل ذلك تعبيرات عن عين في القلب منزهة عن نقائص العين الظاهرة (ولامعنى للاشتغال بالاسامي) المختلفة (فان الاصطلاحات مختلفة) ولا مشاحة فيها (والضعيف البصيرة ربما) (يظن أن الاختلاف واقع في المعاني) فيتوهم كثرتها بكثرة اسمائها (لان الضعيف شأنه) أبدا (يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب) فان دائرة المعاني أوسع من دائرة الالفاظ فلا تسكاد الالفاظ تحيط بها كما ينبغي (فالقلب مفارق لاسائر أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا) متتابعة

بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى أفمن شرع الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لاسائر أجزاء البدن بصفة ما يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم أو افتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا

بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذم بعض الصوفية والافالصفة التي فارق الانسان بها البهائم ومما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي ان تدم وهذه الغرقة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعنى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هولذتها وليس يخفى ان في العلم والمعرفة فائدة حتى أن الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ يخصه يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم (٥٧٢) باللاعب بالشرط نخرج على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك

لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيجيب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لذة العلم بالحرارة والخطاطة كاذبة العلم بسيااسة الملك وتدبير أمر الخلق ولذلة العلم بالخير والشعر كاذبة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوته السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف المعارف فان كان المعلوم شريفا كان العلم به أشرف (حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك بجده لذة) ويرتاح اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس) لرفعة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على بعض (فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعارف) كما تقدم (فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدتها (ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبدع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

للجمه ورفي الاصل طالع ونعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن المجنون وعن البهيمة (بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا) وسماوا العلوم المحصلة من طريقه بالعقولات (ولهذا ذم بعض الصوفية) لما يطرأ في تلك العلوم التي طريقها العقل من الخيالات والادهام والاعتقادات ما يكون سبباً لفاش اغلاطهم (والافالصفة التي فارق الانسان بها البهائم) والأطفال والمجانين (ومما يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات) وأنفسها وأعلائها وهي الحقيقة بان تسمى باسم النور وأولى بهذه التسمية من العين الظاهرة (فلا ينبغي أن تدم) ولا ينسب اليها النقص (وهذه الغرقة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فتعنى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هولذتها) وليس يخفى ان في العلم والمعرفة لذة هي أنفوس اللذائذ واعلاها (حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شئ يخصه يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شئ حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم) أي المباراة ومنازعة الغلبة (والتدح به) بين الناس (في الاشياء الحقيرة فالعالم باللاعب بالشرط نخرج على خسته) وقلة قدره (لا يطبق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال) وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم (ولذلك يرتاح الطبع اذا أثنى عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذلك وكمال علمه فيجيب بنفسه ويلتذبه) ويرتاح اليه (ثم ليس لذة العلم بالحرارة والخطاطة كاذبة العلم بسيااسة الملك وتدبير أمر الخلق ولذلة العلم بالخير والشعر) والادب (كاذبة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوته السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف المعارف) فان كان المعلوم شريفاً كان العلم به أشرف (حتى ان الذي يعلم بواطن أحوال الناس) وأسرارهم الخفية (ويخبر بذلك بجده لذة) ويرتاح اليه (وان جهله تقاضاه طبعه ان يفحص عنه) ويبحث ليحصله (فان علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل) ومن في معناهما (فان اطلع على أسرار الوزير) وتدبيره ودقائق حركاته (وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس) لرفعة منزلة الوزير على الرئيس (فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير) والحاكم عليه (كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحب له أكثر لان لذته فيه أعظم) وهذا كله مراتب مرتبة بعضها على بعض (فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعارف) كما تقدم (فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها) وموجدتها (ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبدع ترتيب (وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال

رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائل فان اطلع على أسرار

الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألد من علمه بأسرار الرئيس فان كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولى على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه إلا أكثر لان لذته فيه أعظم فهذا استبان ان الذم المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعارف فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به ألد العلوم لاجلها وأشرفها وأطيبها وليت شعري هل في الوجود شئ اجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الاشياء كلها وموجدتها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعبدها ومديرها ومرتبها) على أبدع ترتيب وان تكون حضرة في الملك والكمال

والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهبها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيقان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في ملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كخالف لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخالف لذة الشبق للمعتل (٥٧٣) من الجساع لذة الفاتر للشهوة وكخالف لذة النفس الى الوجه

الجميل الفائق الجمال للذة النظر الى مادونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخبر بين النظر الى صورة جميلة والمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها لذته من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر في اللعب بالشطرنج على اللعب بالشطرنج بالاكل واستمر في اللعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول تنقسم الى ظاهرة كاللذة الحواس الخمس والى باطنة كاللذة الرياضة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه

والجمال والبهاء والجلال أعظم) وأجل (من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادئ جلالها) وعظمها (وعجائب أحوالها وصف الواصفين) وان بانوا (فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهبها وأحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيقان ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وتدبيره في ملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب وسائر الحواس الخمس) الظاهرة والباطنة (فان اللذات مختلفة بالنوع أولا كخالف لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة للذة الرياضة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخالف لذة الشبق للمعتل) أى الهاج الشهوة (من الجساع لذة الفاتر للشهوة وكخالف لذة النظر الى الجمال الفائق الجمال الى مادونه في الجمال وانما تعرف أقوى اللذات بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخبر بين النظر الى صورة جميلة والمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها لذته من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر في اللعب بالشطرنج على اللعب بالشطرنج بالاكل واستمر في اللعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة) على قرنه (في الشطرنج أقوى عنده من لذة الاكل) ولولا ذلك لترك اللاعب واشتغل بالاكل (فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول تنقسم الى ظاهرة كاللذة الحواس الخمس) من ابصار واستماع وشم وذوق ولمس (والى باطنة كاللذة الرياضة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاينة الباطنة) أقوى (وأغلب على ذوى السكال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج) وهو الحلوى المتخذة من السكر واللوز (وبين لذة الرياضة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة) دنيتها (ميت القلب شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة) رفيعها (حى القلب) كامل العقل (منور البصيرة) اختار الرياضة) والغلبة والاستيلاء (وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاخياره للرياسة يدل على انها لذته من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة) بمقتضى طبيعتهما (وإن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية) بعين البصيرة (ألذ من الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق) والعبارة عن هذه اللذة عسر (وغاية العبارة عنه ان يقال) كما أخبر عنه الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى

اللذة للعين ولا للأنف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاينة الباطنة أغلب على ذوى السكال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج وبين لذة الرياضة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد الهمة اختار اللحم والحلاوة وان كان على الهمة كامل العقل اختار الرياضة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاخياره للرياسة يدل على انها لذته من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياضة وكما أن لذة الرياضة والكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر الى أسرار الامور الالهية ألذ من الرياضة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه أن يقال فلا تعلم نفس ما أخفى

لهم من قرة عين وانه أعدهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاتي اللذين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحق الخلق الذين برأسهم لعلمه بفنائه رياسته وفنائه من علمه رياسته وكونه مشربا بالكدرات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموث الذي لا بد من اتبانه مهـمـا أخذت الأرض زخرفها وأزيت وطن أهلها انهم قادرون على ما فيستعظم بالإضافة إليها معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام ملكه من أعلى عشرين إلى أسفل الساتلين فانهم احياء عن (٥٧٤) المراجعات والمكدرات منسعة للموارد من علمها الاتصيق عنهم بكبرها وانما عرضها من حيث

لهم من قرأه أعين) وكما أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم (انه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وذلك فيما قاله حاكيا عن ربه عز وجل أعدت لعبادى الصالحين الحديث رواه البخارى من حديث أبى هريرة (وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد) عن الخلق (والفكر والذكر) ويرابط قلبه على المراقبة (وينغمس فى بحار المعرفة ويترك الرياسة) والاستعلاء (ويستحقق الخلق الذين رؤسهم) ويعلو عليهم (لعله بطنا عن رياسته وفناء عن علية رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التى لا يتصور الخلق عنها) ولا عن القدرة (وكونه مقطوعا بالموت الذى لا بد من اتيانه مهما أخذت الارض) أى أرض الوجود (زخرفها) أى زينتها (وازينت) أى تزيينها بآيات بكمالاتها (وطني أهلها انهم قادرون عليها) وتعالى الآية أنها أمر نالها ونها والمراد باتيان الامر هو الموت (فليس عظيم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته) العلية (وأفعاله) ومعاملاته مع عبده (ونظام مملكته من أعلى عليين الى أسفل السافلين فانها خالية عن المزاحات) والمدافعات (والمكدرات منسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير للسماوات والارض واخراج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف يطالعها فى جنة عرضها السماوات والارض) وانما خص العرض دون الطول لان الطول تابع للعرض أولان العرض أقل من الطول فاذا كان عرضها هكذا فالباقي بطولها (يرجع فى رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع فى حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ غمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة) فإمن ثمرة يقطفها الا وينبت مكانها مثلها وأحسن منها ولا حرج على قاطفها (ثم هذه أبدية سرمدية لا يقاطعها الموت اذ الموت لا يهدم محال معرفة الله تعالى ومحله الروح الذى هو أمر ربانى سماوى غما الموت بغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها) ويجردها عنها (ويجليها من حبسها فإمان بعد مها فلا) قال الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أبداً على أحياء عند ربهم يرزقون الآية) وتعالى ما فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم (ولا تظن ان هذا مخصوص بالقتول فى المعركة فان العارف بكل نفس درجته ألف شهيد) فى المعركة (وفى الخبر ان الشهيد يتقى فى الآخرة ان يرادى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة) رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم (و) فى الخلق أيضا (ان الشهداء يثمنون لو كانوا علماء ما يرويه من علو درجة العلماء فاذا جيع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالع جلال الملكوت فى جنة عرضها السماوات والارض وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض أصلا لانهم يتفاوتون فى سعة تنزهاتهم بقدر تفاوتهم فى اتساع نظراتهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل فى الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة توهى باطنة أقوى فى ذرى الكمال من لذات الحوام كاهوا وان هذه اللذة لا تكون لهيمة ولا لصى ولا معتوه) اذ لا عقل لهم وان لذة المحسوسات والشهوات تكون

الآية ولا تظن أن هذا المخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر أن الشهيد يتبقى في لذوى الآخرة أن يراد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما به من ثواب الشهادة وأن الشهداء يتمنون لو كانوا العلماء يرونه من عاود درجة العلماء فإذا جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنّة تعرضها السموات والأرض وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظره وسعته عارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في لذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون إلهيمة ولا صبي ولا معتوه وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون

لذوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكته سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شتم البنفسج عند العنيد لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان (٥٧٥) يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب

العلوم وان لم يشتعوا

بطلب معرفة الامور

الالهية فقد استشقوا

رائحة هذه اللذة عند

انكشاف المشكلات

وانحلال الشبهات التي

قوى حرصهم على طلبها

فانها أيضا معارف وعلوم

وان كانت معلوماتها غير

شريفة شرف المعلومات

الالهية فاما من طال

فكره في معرفة الله سبحانه

وقد انكشف له من

أمر ملك الله ولو الشئ

اليسير فانه يصادف في

قائه عند حصول الكشف

من الفرح ما يكاد يطير

به ويتعجب من نفسه في

ثباته واحتماله لقوة فرجه

وسروره وهذا ما لا يدرك

بالاذوق والحكاية

فيه قليلة الجدوى فهذا

القدر ينهك على أن

معرفة الله سبحانه أنه

الاشياء وأنه لاذة فوقها

ولهذا قال أبو سليمان

الداراني ان لله عبادة

ليس يشغلهم عن الله

خوف النار ولا رجاء

الجنة فكيف تشغلهم

الدنيا عن الله ولذلك قال

لذوى السكال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة على غيرها من الازدات (فاما كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكته سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفة من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على شتم البنفسج عند العنيد لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف وفي مفهومه لم يذق لم يعرف كما قيل

ولو يذوق عاذلى صباي * صباي لكنه ما ذاقها

وفي أول قصيدة ابن عني من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح بشره

(ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتعوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها) والبحث عنها (فانها أيضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشئ اليسير) والقدر القليل (فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح) والارتياح (ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرجه وسروره وهذا ما لا يدرك الا بالاذوق) العرفاني الذي هو أعلى مراتب الوجد (والحكاية فيه قليلة الجدوى) أي القائدة (فهذا القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه أنه الاشياء وأنه لاذة فوقها) وقد دل على ذلك كلام المشايخ (قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان لله عبادة ليس يشغلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله) نفسه صاحب القوت (ولذلك قال بعض اخوان معروف) الكرخي قدس سره (له أخبرني) عنك (يا أبا محفوظ) وهي كنية معروف (أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال) أي ذلك البعض (ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ قال وأي شئ القبر والبرزخ فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كمالك جميع هذا) نقله صاحب القوت وزاد فقال وحدثت عن عبد الوهاب الحبي قال رأيت أحمد بن نصر الخزازي في النوم فقات ما فعل الله بك فقال أدخلني علمي في داره و بسط لي حصيرا من لؤلؤ وطرب عن عيني فقال يا أحمد قتلت في وصبرتي فقلت نعم يا رب فقال ها أنا ذا أنزل اليك حتى تنظر الى وجهي جل جلال وجه ذي الجلال (وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا) ولفظ القوت مستغفرا (بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه) زاد في القوت والمحبة لله يجب النصب لله تعالى (ورأي بعض الشيوخ) أبا نصر (بشر بن الحرث) الحنفي قدس سره (في النوم) ولفظ القوت وحدثني بعض الاشياخ عن منصور الحارثي وغيره انه رأى بشر بن الحرث في النوم (فقال) فقات له (ما فعل أبو نصر النار) هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيري النسائي ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين ومائتين وهو ابن احدى وتسعين سنه وروى له مسلم والنسائي (وعبد الوهاب) بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن (الوراق) البغدادي ثقة مات سنة ثمان وخمسين ومائتين روى له أبو داود والترمذي والنسائي (قال تركتهما الساعة

بعض اخوان معروف الكرخي يا أبا محفوظ أي شئ هاجبك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر الموت فقال وأي شئ الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شئ القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان ملكا هذا كله بيده ان أحبته انساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كمالك جميع هذا وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الغني مشغولا بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه ورأي بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر النار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة

بين يدي الله تعالى بالكلمات وبشربان (٥٧٦) قلت فانت قال علم الله قلة رغبتني في الاكل والشرب فاعلماني النظر اليه ومع علي بن الموفق

بين يدي الله يا كلان و يشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتني في الاكل والشرب فاعلماني النظر اليه (كذا في القوت) (وعن) أبي الحسن (علي بن الموفق) تقدم ذكره في كتاب الحج (قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقيانه من جميع الطيبات وهو يا كل ورأيت رجلا قاعدا على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضها ويرد بعضها قال ثم جاوزتها الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لاخوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبالة فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخيرين بشر بن الحرث وأجد بن حنبل) نقله صاحب القوت قال وهذا مقام الابدال في الطريق لا يقامون مقام ابدال الانبياء الا بعد صفاء اليقين وحسن المعرفة فان نصيبهم الى الله نظرهم اليه فيجمع لهم بأول نظرة من النعيم والسرور ما لا يوصف جميع ما فوقه في الجنان كلها من اللذة والسرور والنعيم والحبور وفي النظرة الثانية فوق ذلك وفي النظرة الثالثة أعلى من ذلك وليس من الله حد ولا عدد ولهم أنصبة من وراء النظر أضعافا مضاعفة لا يعرفها سواهم ولا يسع ذكرها الا لهم ولا يطلب بها أحد ودونهم لا يسع ذكرها في كتاب ولا يجوز تسميتها بخطاب الا لاهلها السائقين عنها الطالبين لها والراغبين فيها هي من سر الجبروت ونهاية الرغبت ولا يباعون درج الصديقين ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال فيتلألأون اليه ويذهلون به عن غيره وينسون في ذكره من سواه هو مذكورهم بذكره وما واهم بظله فالحميون لله هم المخلصون نفوسهم لوجهه حقاق بعدونه لاجله صرفا وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج أهل المزج وهم أصحاب اليقين كذلك كانوا في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم ويرتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجدون المزيد في نفوسهم بقربهم منه كما بدأ أنا أول خلق نعيده وقد قال عز وجل اجزاء وفا أي وافق أعمالهم جزاؤهم وقال سبحانه وصفيهم أي يعطيهم غدا لوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم فمن كان في هذه الدار اليوم نعيمة طيبات الملك فكذلك غدا يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه ووروحه بالملك الطيب فهو غدا في مقعد صدق عنده (ولذلك قال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بربه) (وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى (الراوية) ابنة اسمعيل العدوي البصري العابد رجه الله تعالى وكانت إحدى المحبين ماتت سنة ١٣٥ وكان الثوري يقدسه عديدين يدعيوا ويقولون علمنا بما أفاد الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا وقد كان الثوري زاهدا عالما الا انها كانت تجعله يشارك في الحديث والاقبال على الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عقد شريطة ولكل إيمان حقيقة و (ما حقيقة إيمانك قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فأكون كالاجير السوء ان خاف عمل) (أو اذا أعطى عمل) (بل عبدته حبا له وشوقا اليه) ورأى عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحبي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها فكان هذا جوابا لانه قال سألني حاجتك وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبتها بأما حتى سئلت أن يدخل عليا فقال له يا شهواني أطلب سهوانية مثلك أي شئ رأيت في من آله الشهوة وخطبها محمد بن سليمان الهاشمي أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر اجعلها لك فكشفت اليه ما يسرني انك لي عبد ودان كل مالك لي وانك شغلتنني عن الله طرفة عين (و) قد (قالت في معنى المحبة) أبياتا (نظاما) تحتاج الى شرح جلها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم سفيان الثوري وجعفر بن سليمان الصبي وعبد الواحد ابن زيد وحامد بن زيد وهي هذه

(أحبك حبين حب الهوى * وحب لانيك أهل لانيك * فاما الذي هو حب الهوى

فشغلي بكرك عن سواك * وأما الذي أنت أهل له * فكشفتك للعجب حتى أراك

قال رأيت في النوم كأنني
أدخلت الجنة فرأيت
رجلا قاعدا على مائدة
وملكان عن يمينه وشماله
يلقيانه من جميع
الطيبات وهو يا كل
ورأيت رجلا قاعدا على
باب الجنة يتصفح وجوه
الناس فيدخل بعضها
ويرد بعضها قال ثم جاوزتها
الى حظيرة القدس
فرأيت في سرادق العرش
رجلا قد شخص ببصره
ينظر الى الله تعالى لا
يطرف فقلت لرضوان
من هذا فقال معروف
الكرخي عبد الله لاخوفا
من ناره ولا شوقا الى جنته
بل حبالة فاباحه الله النظر
اليه الى يوم القيامة
وذكر ان الاخيرين
بشر بن الحرث وأجد بن
حنبل ولذلك قال أبو
سليمان من كان اليوم
مشغولا بنفسه فهو غدا
مشغول بنفسه ومن كان
اليوم مشغولا بربه فهو
غدا مشغول بربه وقال
الثوري لرايعة ما حقيقة
إيمانك قالت ما عبدته
خوفا من ناره ولا حبا
لجنته فأكون كالاجير
السوء بل عبدته حبا له
وشوقا اليه وقالت في
معنى المحبة نظاما

أحبك حبين حب الهوى

وحب لانيك أهل لانيك

فاما الذي هو حب الهوى

فلا الجدى ذاولا ذاك لى * ولكن لك الجدى ذاولا ذاك

وقد تكلم صاحب القوت على هذه الايات بكلام ساطع الانوار يعرف من رزقه وينكره من حرمه والمصنف رحمه الله تعالى أشار الى زبدة كلامه فلو رد كلامه اولاً ثم كلام صاحب القوت قال المصنف (ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحفظ العاجلة وبمحبه لما هو اهل له الحب لجلاله وجلاله الذى انكشف لها وهو اعلى الحبين) فقد اشار بذلك الى ان كلامها يدل على ان المحبة بهذا السبب اقوى الاسباب واثبتها دواما واصحاب القوت فقال فأما قولها حب الهوى وقولها حب انت اهل له وتفرقتها بين الحبين فانه يحتاج الى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويحسبه من لم يشهده وفي تسميته ونعت وصفه انكار من ذوى العقول من لا ذوق له منه ولا قدر له به ولكنك تجعل ذلك وتدل عليه من عرفه معنى حب الهوى اى رأيتك فاحببتك عن مشاهدة اليقين لامن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فتختلف محبتي اذا نعتت ابرت الافعال لاختلاف ذلك على ولكن محبتي من طريق العيان فقررت منك وهربت اليك فاشتغيت بك لما تفرغت لك كما قال المحب فرغت قلبها اشتغالا بذكري * وكذا كل فارغ مشغول

فلا الجدى ذاولا ذاك لى
ولكن لك الجدى ذاولا
وذاكا

ولعلها ارادت بحب الهوى
حب الله لاحسانه اليها
وانعامه عليها بحفظ
العاجلة وبمحبه لما هو
اهل له الحب لجلاله وجلاله
الذى انكشف لها وهو
اعلى الحبين واوقواهما
ولذة مطالعة جمال
الربوبية هي التى عبر
عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال
ما كبا عن ربه تعالى
أعددت لعبادى الصالحين
ملاعين رأيت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب
بشر

وعلى هذا المعنى قوله تعالى وأصبح نؤاد أم موسى فارغاً لى ملائكة كره حتى فاض فكدت ان تظهره فتقول هو ابني فعبر عن الملء بالفراغ من ضده لولان أولياءه عليه بطناً فكظمت ولولم تفعل لظهرت ولولأظهرته لقتل وأما الحب الثانى الذى هو أهل له تعنى حب التعظيم والاحلال لوجه العظيم ذى الجلال تقول ثم انى مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استأهل ان أنظر اليك فى الآخرة على الكشف والعيان فى محل الرضوان لان حى لك لا يوجب لك جزاء عليه بل يوجب على كل شئ مما لا يطيقه ولا أقوم بحقه فيه أبداً اذ كنت قد أحببتك فلزمنى خوف التقصير ووجب على الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرضت به من حبك اذ ليس كذلك شئ كما قال المحب

أصبحت صبا ولا أقول بى * خذوا لمن لا يخاف من أحد
اذا تفكرت فى هوائى له * لمست رأسى هل طار عن جسدى

لولان الحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق فالحب لا يلام لغيبة النفس عنه والانام تقول فتفضلت على بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلت فاريتنى وجهك عندك آخر كما أريته اليوم عندي أولاً فلك على ما تفضلت به فى ذلك عندي فى الآخرة ولا جدلى فى ذاهنا ولا جدلى فى ذلك هنالك اذ كنت أنا وصلت اليها بك فانت المحمود فيها لانك وصلتني بمافهنا الذى فسرناه هو وجد المحبين المحقين وقد كانت تذكر الانس فى وجدها وترتفع الى وصف معنى من الخلقة فى قولها السائر

انى جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت جسمى من أراد جالوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس * وجيب قلبى فى الفؤاد أنيسى
ومن قولها النادر فى مقام الخلقة وتخللت مسالك الروح منى * وبه سعى الخليل خليل
فاذا ما نطقت كنت حديثى * واذا ما سكنت كنت الغليل

وقد أهل ذلك لها كل من نقله عنهم من العلماء وصفوها به فوصفنا من نعت المحبين بعض ما يصلح من معنى كلامها لانا طمنا بتقولها ذلك ان كان لها فى المحبة قدم ولا يستعنان نشرح فى كتاب حقيقة كشف ما أجلتناه ولان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدل بمحبته ولا يقتضى الجزاء عليها من محبوبه ولا يوجب على حبيبه شيئاً لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرب جاء الذى ضده الخوف ليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة الا بخوف الموت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه هذا كله كلام صاحب القوت (ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التى عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما كبا عن ربه تعالى أعددت لعبادى الصالحين) أى لحضرتى من الجزاء (ملاعين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) رواه أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه من حديث

نفس ما أخفى لهم منها
 وإذا حصلت انمحقت
 الهوموم والشهوات كلها
 وصار القلب مستغرقا
 بشعبها فلو أقي في النار
 لم يحس به الاستغراقه
 ولو عرض عليه نعيم الجنة
 لم يلتفت اليه اكمال
 نعيمه وبلوغه الغاية التي
 ليس فوقها غاية وليت
 شعري من لم يفهم الا
 حب المحسوسات كيف
 يؤمن بلذة النظر الى
 وجه الله تعالى وماله
 صورة ولا شكل وأى معنى
 لو عبد الله تعالى به عباده
 وذكره انه أعظم النعم
 بل من عرف الله عرف
 ان الالذات المفرقة
 بالشهوات المختلفة كلها
 تنطوي تحت هذه اللذة
 كما قال بعضهم
 كانت لقلبي أهواء مفرقة
 فأتجتمعت مذكرا تلك العين
 أهواي
 وصار يحسدني من كنت
 أحسده
 وصرت مولى الورى مذ
 صرت مولاى
 تركت للناس دنياهم
 ودينهم
 شغلا بذكرك ياديني
 ودنياي

كما قال بعضهم
 كانت اقلبي اهواء مفردة
 فاجتمعت منذ رأيتك العين
 اهوائي
 فصار يحسدني من كنت
 أحسده
 وصرت مولى الوري منذ
 صرت مولاتي
 تركت للناس دنياهم
 ودينهم
 شغلا بذكرك يا ديني
 ودنياي

ولذلك قال بعضهم وهم
ثم لذة القلب في معرفة الله
الخلق في لذاتهم ما ذكر

ولذلك قال بعضهم وهجر أعظم من ناره * ووصله أطيب من جنته وما أراد بهذا الاينار الاشياء
ثم لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثال أطوار
الخلق في لذاتهم ما ذكره وهوان الصبي في أول حركته وتمييزه بظهوره غير نية ما يستلذ اللعب والهوى حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر

الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب فيستحققر معها لذة اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول اليها ثم تظهر لذة الرياضة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر بالآية ثم بعده هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحققر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكان الصبي يصحك على من يترك اللعب ويستغل (٥٧٩) بلاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك

الرؤساء يصحكون على من يترك الرياضة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون

* (بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا) *

اعلم أن المدرجات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المخيلة والاجسام المتأولة والمشكلة من أشخاص الحية وان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله

تعال وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرهما من رأى انسانا ثم غض بصره وحده صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف

(الاشياء) فاذا دخل وطبعه مال الى ما قبل عليه (ثم تظهر) فيه (بعده) غريزة أخرى بها يدرك (لذة الزينة وليس الثياب وركوب الدواب) فيشتغل بها (فيستحققر معها لذة اللعب الذي كان يميل اليه ويحبسه ثم تظهر) فيه (بواي) غريزة أخرى يدرك بها (لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها) من اللعب والزينة (في الوصول اليها ثم تظهر) فيه بعده غريزة أخرى يدرك بها (لذة الرياضة والعلو والتكاثر) بالاموال والاولاد (وهي آخر لذات الدنيا وأعلىها وأقواها) ولذا كانت آخر ما يخرج من دماغ الانسان من لذات الدنيا هي كما قال بعضهم أما العلو في النفس منه شيء (كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم الآيات) فقد أشار فيه الى تلك المقامات الثلاث (ثم بعده) ذات تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله) وبمعالته (فيستحققر معها جميع ما قبلها) من اللذات (فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياضة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا) وما بعد العلوم والمعارف شيء (وكان الصبي يصحك على من يترك اللعب ويستغل بلاعبة النساء وطلب الرياضة فكذلك الرؤساء يصحكون على من يترك الرياضة ويستغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخر وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون) اذا كشف الغطاء وارتفع الحجاب وتحققت الحقائق وتجلي الاسرار وبصاف كل واحد ما قدم من خير أو شر محضرا وبشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا وعنده يقول له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * (بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة على المعرفة في الدنيا) *

(اعلم) هذا الله تعالى (ان المدرجات تنقسم الى ما يدخل في الخيال) وهي قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك (كالصور المخيلة والاجسام المتأولة المشكلة من أشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها) من صفات المعاني (ومن رأى انسانا ثم غض بصره وحده صورته حاضرة في خياله) بعد غيبوبة مادته بعض البصر (كأنه ينظر اليها) بقوة الحس المشترك (ولكن اذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم روى) وقت الضهور (عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف) وتتمام الوضوح (فاذا الخيال أول الادراك) وهو خزانة الحس المشترك (والرؤية هو استكمال الادراك الخيال) أي ما تخيله في تلك القوة (وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية) فلا اختصاص للرؤية بالعين (واذا فهمت هذا في المخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تشكك أيضا في الخيال لمعرفة اودرا كهادر جتان احدهما أولى لها والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والابضاح) مثل (ما بين المخيل والمرئي

فان صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم روى عند تمام الضوء فانه لا تفرق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمى ذلك رؤية لانه غاية الكشف لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف في الجهة أو الصدر مثلا استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تشكك أيضا في الخيال لمعرفة اودرا كهادر جتان احدهما أولى والثانية استكمال لها وبين الاولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والابضاح ما بين المخيل والمرئي

فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وأصلها ادراك المرئي وهو على أضرب بحسب قوة النفس (وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية ومالم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل) أي التصور في الخيال (فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول) ذكره (ولا يليق بهذا العلم) فانه من أسرار المكاشفات (ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام) لما طلب الرؤية (ان تراني) أي مادامت محجوبا بحجاب الحياة وقال سيدي عبد العزيز الدباغ قدس سره حين سئل عن هذه الآية ما حاصله ان سيدنا موسى عليه السلام من أكابر أهل المشاهدة ومشاهدة الذات العلية لا تخلص لاهلها من مشاهدة أفعالها ولا تصفوعها الا لو كانت أفعال الذات العلية تنقطع ولوانقطع طرفة عين لان هذا الوجود داخل نظام العالم فممن وجود الا وفيه فعل الله وهو مادته والسبب في بقاءه وهو الحجاب بينه وبين الذات العلية ولولاه تعالى حجب ذاتا بقاءه فيها لاحترق الذات وذاب كل حادث في العالم فلما لم تصف المشاهدة لاهلها وصارت الافعال المتقدمة بمنزلة القذى في البصر سأل موسى عليه السلام به أن يقطع عنه الفعل حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العلية على الصفاء فقال له به عز وجل اذا قطعت الفعل عن الحادث اختلت ذاته وهذا الجبل أقوى منك ذاتا وأصلب منك جرما فانظر اليه فان استقر مكانه بعد قطع فعلي عنه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل وقطع عنه الفعل الحجاب له من سطوة الذات العلية تدكدك الجبل وتطارت اجزائه حتى صعد موسى عليه السلام اه (وقال تعالى لا تدركه الابصار في الدنيا) لوجود الحجاب المانع من الرؤية (والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج) قال العرفي هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين انها قالت من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقدر أيت ربك قال نوراني اراه وذهب ابن عباس وأكثرا العلماء الى اثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وحديث أبي ذر قال فيه أحدهما زلت له مذكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شيء وفي رواية لا حجة من حديث أبي ذر رأيت نورا اني أراه ورجال اسناد هار جال الصحيح اه قلت ورواية أبي ذر الاولى رواها كذلك الطيالسي والترمذي وابن حبان وابن مردويه هل رأيت ربك قال ذكره وروى عبد بن حنبل وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه ورواه النسائي مثله الا أنه قال ولم يره ببصره وقدرى عن أبي العالية مثله كذا رواه ابن جرير وأخرج عبد بن حنبل والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال لقي ابن عباس بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انابني هاشم نزعهم ونقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فرآه محمد مرتين وكلام موسى مرتين قال مسروق قد دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء فقله شعري قلت وريدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى قالت أين يذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كنتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية فقد أعظم الغريرة ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته الامرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة عند جباله سمائة جناح قدس الاق وأما قول ابن عباس فروى عنه من طرق بالفاظ مختلفة فعند الطبراني وابن مردويه عنه قال ان محمدا رأى ربه مرتين ببصره ومرة بفؤاده وعند ابن مردويه عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه وروى الترمذي وحسنه والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الاسماء والصفات عنه قال قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وروى النسائي والحاكم وصححه

فيسمى الثاني أيضا بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس مادامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غاب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجابا يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام ان تراني وقال تعالى لا تدركه الابصار أي في الدنيا والصحيح ان محمدا رأى ربه في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج

فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكيفية وان كانت متفاوتة فنهما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي قدس بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح والتصقيل وهو لاءهم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبيع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا (٥٨١) يقع منه الخبث الذي هو متدنس

وابن مردويه عنه قال أتتجيبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام اوسى والرؤية لمحمد عليهم السلام والكلام في المسئلة طويل الذيل أوردته شرح الشفاء فليراجع (فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكيفية وان كانت متفاوتة فنهما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي قدس بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهو لاءهم المحجوبون عن ربهم ابد الاباد نعوذ بالله من ذلك) واليه يشير قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبيع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقع منه الخبث الذي هو متدنس به) ليصلح للمشاهدة (ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة) واليه الاشارة في حديث المروزي على الصراط كالبرق الخاطف (وأقضاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف) قال العراقي رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدينار من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة أو ستمائة ضعيف وقد تقدم اه قلت وهو حديث طويل وهذا افضلها انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ثم ما تواعلها فيهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا ترزق أعينهم ولا يغنون بالاغلال ولا يقربون مع الشيطان ولا يضربون بالقامع منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها يمكث بمثل الدينار من يوم خلقت الى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث وفيه ذكر جماعة يخرجون من النار ويدخلون الجنة وهم عتقاء الله من النار الا رجلا واحدا فانه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادى يا حنان يا منان فيبعث الله اليه ملكا ليخرجه الحديث وقد تقدم (ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غيرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) والمراد بالورود العرض عليه الا الدخول فيها (ثم تجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جاثين على ركبهم (فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها) وقد روي ذلك عن الحسن (فاذا أكمل الله تطهيرها وتركتها وبلغ الكتاب أجله) المضروب (ووقع الفراغ من جملة ما وعده الشرع) ونطقت به الاخبار (من الحساب) ووزن الاعمال (والعرض وغيره ووافي استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم) غير معلوم (لم يطالع الله عليه أحد من خلقه) بل استأثر به (فانه واقع بعد يوم القيامة ووقت القيامة مجهول) كساعة الجمعة قليلة القدر واضربها (فعند ذاك يشتغل بصفائه ونقاائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا فترة) أي دخنة (لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى معاملة كانكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تجليه) أي يدركه في خياله (وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤيه فاذا الرؤيه حق) فمن كان من أهل هذه المشاهدة ثم سأل الرؤيه قائما يسأله بقاءها ودوامها لان الرؤيه أمر ورأى تلك المشاهدة (بشرط أن لا يفهم من الرؤيه استكمال الخيال في تخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عن رباب جل جلاله (علوا كبيرا) لتزهره عن المكان وعن طرق الخيال والنصو براليه (بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة نامية من غير تخيل وتصور وتقدر بشكل وصوره فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث

به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة وأقضاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف) قال العراقي رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث أبي هريرة انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثا فيها مثل الدينار من يوم خلقت الى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة أو ستمائة ضعيف وقد تقدم اه قلت وهو حديث طويل وهذا افضلها انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي ثم ما تواعلها فيهم في الباب الاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا ترزق أعينهم ولا يغنون بالاغلال ولا يقربون مع الشيطان ولا يضربون بالقامع منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها يمكث بمثل الدينار من يوم خلقت الى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث وفيه ذكر جماعة يخرجون من النار ويدخلون الجنة وهم عتقاء الله من النار الا رجلا واحدا فانه يمكث فيها بعدهم ألف سنة ثم ينادى يا حنان يا منان فيبعث الله اليه ملكا ليخرجه الحديث وقد تقدم (ولن ترتحل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غيرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) والمراد بالورود العرض عليه الا الدخول فيها (ثم تجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) أي جاثين على ركبهم (فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها) وقد روي ذلك عن الحسن (فاذا أكمل الله تطهيرها وتركتها وبلغ الكتاب أجله) المضروب (ووقع الفراغ من جملة ما وعده الشرع) ونطقت به الاخبار (من الحساب) ووزن الاعمال (والعرض وغيره ووافي استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم) غير معلوم (لم يطالع الله عليه أحد من خلقه) بل استأثر به (فانه واقع بعد يوم القيامة ووقت القيامة مجهول) كساعة الجمعة قليلة القدر واضربها (فعند ذاك يشتغل بصفائه ونقاائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا فترة) أي دخنة (لان فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى معاملة كانكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تجليه) أي يدركه في خياله (وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤيه فاذا الرؤيه حق) فمن كان من أهل هذه المشاهدة ثم سأل الرؤيه قائما يسأله بقاءها ودوامها لان الرؤيه أمر ورأى تلك المشاهدة (بشرط أن لا يفهم من الرؤيه استكمال الخيال في تخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عن رباب جل جلاله (علوا كبيرا) لتزهره عن المكان وعن طرق الخيال والنصو براليه (بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة نامية من غير تخيل وتصور وتقدر بشكل وصوره فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث

تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى معاملة كانكشاف تجلي المرأة بالاضافة الى ما تجليه وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤيه فاذا الرؤيه حق بشرط أن لا يفهم من الرؤيه استكمال الخيال في تخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة نامية من غير تخيل وتصور وتقدر بشكل وصوره فتراه في الآخرة كذلك بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الامن حيث

زيادة الكشف والوضوح كما ضرب بنامن المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في مغرفة الله تعالى اثبات صورة وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها باعتبارها لا تفرق منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرسومة هي المتخيلة بعينها في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا آتّم لنا نورا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي النور الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعاً ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له زرع فكذلك من لم

يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة باختلاف التجلي بالإضافة الى اختلاف المعارف باختلاف الثبوت بالإضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لاحتلاله بكثرته وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبي بكر خاصة فلا ينبغي أن يظن ان غير أبي بكر ممن هودونه يجد من لذة النظر والمشاهدات ما يجده أبو بكر بل لا يجد الا عشر عشره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشره ولما فضل الناس بسره وقر في صدره فضل لاحتلاله بتجلى انفرديه) يشير الى ما سبق من حديث ما فاضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في قلبه رواه الحكميم من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثرا لذة الرياسة على المنكوح وترى من يؤثرا لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المنكوح وترى من يؤثرا لذة العلم وانكشاف

زيادة الكشف والوضوح كما ضرب بنامن المثال) فيما سبق (في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة وجهه) وتقدم برشكل (فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح الى غاية الكشف أيضا جهة وصورة لانها باعتبارها لا تفرق منها الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرسومة هي المتخيلة بعينها لا تفرق منها الا في زيادة الكشف واليه الاشارة بقوله تعالى يسعي نورهم بين أيديهم وبأيمنهم يقولون ربنا آتّم لنا نورا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف) كما مرشدا اليه لفظ الاتمام الذي هو بمعنى التوفية (ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي النور الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعاً ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل له زرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة باختلاف التجلي بالإضافة الى اختلاف المعارف باختلاف الثبوت بالإضافة الى اختلاف البذر اذ تختلف لاحتلاله بكثرته وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولا يبي بكر خاصة) قال العراقي رواه ابن عدي من حديث جابر وقال باطل بهذا الاسناد وفي الميزان للذهبي ان الدارقطني رواه عن الحاملي عن علي بن عبدة قال وعلي بن عبدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اه قلت ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلي بن عبدة هو التميمي رواه عن ابن علية وفي الخبر الاول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبدة عن الحسن قال قال علي بن أبي طالب يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة فساق الحديث وفي آخره فيتجلى الله عز وجل لأبي بكر خاصة وللناس عامة (فلا ينبغي أن يظن ان غير أبي بكر ممن هودونه) في المعرفة (يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر) رضى الله عنه (بل لا يجد الا عشر عشره ان كانت معرفته في الدنيا عشر عشره ولما فضل) أبو بكر (الناس بسره وقر في صدره فضل لاحتلاله بتجلى انفرديه) يشير الى ما سبق من حديث ما فاضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في قلبه رواه الحكميم من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه (وكما انك ترى في الدنيا من يؤثرا لذة الرياسة على المنكوح وترى من يؤثرا لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المنكوح وترى من يؤثرا لذة العلم وانكشاف

مشكلات ملكوت السموات والارض وسائر الامور الالهية على الرياسة على المنكوح والمطعوم والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجهه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثارة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر ما تطلق مشغولون به ولذلك لما قبل لربعة ماتقولين في الجنة فقالت الجارثم الدارقطني انه ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يجد لذة العلم وانكشاف

في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الامازرع ولا يحشر المرء الاعلى مامات عليه ولا يموت الاعلى ما عاش عليه فاصحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضعف اللذة به كما تنضعف اللذة العاشق اذا استبدل بخیال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي الالتقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايان فان قلت فاذة الرؤية ان كان لها نسبة الى اللذة المعرفة فهي قليلة وان كان أضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها (٥٨٣) فاعلم أن هذا الاستحقاق للذة المعرفة

صدر من الخلو عن المعرفة
فمن خلوا عن المعرفة
كيف يدرك لذتها وان
انطوى على معرفة ضعيفة
وقلبه مشحون بعلائق
الدنيا فكيف يدرك لذتها
فلا عارفين في معرفتهم
وذكركهم ومناجاتهم لله
تعالى لذات لو عرضت
عليهم الجنة في الدنيا
بدلاً عنها لم يستبدلوا
بهذا الجنة ثم هذه اللذة
مع كمالها الانسية لها أصلاً
الى لذة اللقاع والمشاركة
كما لا نسبة للذة خيال
المعشوق الى رؤيته ولا
لذة استنشاق روائح
الاطعمة الشهية الى ذوقها
ولا لذة للمس باليد الى
لذة الوقاع واطهار عظم
التفاوت بينهما لا يمكن
الابضرب مثال فنقول لذة
النظر الى وجه المعشوق
في الدنيا تتفاوت باسباب
أحدها كمال جمال
المعشوق ونقصانه فان
اللذة في النظر الى الاجل
اكمل لاحالة والثاني كمال

في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد أحد الامازرع ولا يحشر المرء الاعلى مامات عليه) ففي الخبر يبعث كل عبد على مامات عليه رواه عبد بن جيمد ومسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر ورواه البغوي والطبراني والحاكم في الكشي من حديث زيد بن حارثة ورواه الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر ورواه ابن حبان من حديث جابر أيضاً زيادة المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم (ولا يموت الاعلى ما عاش عليه فاصحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط الا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتضعف اللذة به كما تنضعف اللذة العاشق اذا استبدل بخیال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك منتهى لذته وانما طيبة الجنة ان لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي الالتقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالايان) فقد روي من حديث علي الايمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالاركان كان رواه ابن ماجه والطبراني وتمام والسيرازي في الالقاب وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (فان قلت فاذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان كانت أضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقاق للذة المعرفة صدر من الخلق عن المعرفة فمن خلوا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلا عارفين في معرفتهم وذكركهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها الجنة ثم هذه اللذة مع كمالها الانسية لها أصلاً الى لذة اللقاع والمشاركة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا لذة استنشاق روائح الاطعمة الشهية) اللذينة (الى ذوقها ولا لذة للمس باليد الى لذة الوقاع واطهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الابضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا باسباب أحدها كمال جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجل أكمل لاحالة والثاني كمال الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وجهه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أومن وراء سترة رقيق أومن بعد كالتذاذ بادرأكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء والادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد) عنه (والرابع اندفاع العوائق المشوشة) أي الموانع المكدرة (والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح) البدن (الفازع) البال (التجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فتقدر أنت في نفسك) عاشقاً ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزبابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما

قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعف شهوته وجهه والثالث كمال الادراك فليس التذاذ برؤية المعشوق في ظلمة أومن وراء سترة رقيق أومن بعد كالتذاذ بادرأكه على قرب من غير سترة وعند كمال الضوء والادراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد والرابع اندفاع العوائق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح انفاً للتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بهم من المهمات فتقدر عاشقاً ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء سترة رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتماع عليه عقارب وزبابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما

من مشاهدة معشوقه فلوطرأت على الفجأة حالة انهنك بها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سائما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للدولي الهانسية يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب (٥٨٤) مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الأعلى والتفاتها الى أسفل

من مشاهدة معشوقه فلوطرأت على الفجأة حالة انهنك بها السر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سائما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للدولي الهانسية يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات المتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن) وأشياء ذلك (والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق الى الملا الأعلى والتفاتها الى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والتفاتة الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يتخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يتخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا حرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقليلا يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه) ويكدر عليه (وهذه ضرورة دائمة) لا تنفك (في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت) فعند ذلك يحصل التجريد والراحة (وانما العيش عيش الآخرة) كما ورد به الخبر (وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون) كما في الكتاب العزيز (وكل من انتهى الى هذه المرتبة فانه يجب لقاء الله تعالى فيجب الموت ولا يكرهه) وفي الخبر لا راحة للمؤمن في الدنيا دون لقاء الله عز وجل وفي أقوالهم الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب (الامن حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له فلا حاطة بكنهه جلال الله تعالى) الا ما كان من طريق الاسماء والصفات (فكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرار ملكوته وقويت كثرة النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا) اذهى مزرعة للآخرة (ولا زرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة) ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله) قال العراقي رواه ابراهيم الحاربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله والدم المطلب عبد الله بن حنظل مختلف في صحبته ولا جد من حديث جابر ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة وللمترمذي من حديث أبي بكره ان رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حسن صحيح وذكره ابن حبان في الصحابة وقال ابن عمر له صحبة وقال الترمذي بعد ان ساق له حديثا من طريق عبد العزيز بن المطلب بن حنظل عن أبيه عن جده في فضائل قريبه هذا امر سل وعبد الله بن حنظل لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فهذا الاختلاف فيه وحديثه المذكور رواه كذلك القاضي والحاكم والديلمي من حديث ابن عمر وأما حديث جابر فقد رواه أيضا الحاكم ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب بدون ان وأما حديث أبي بكره فرواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة وشر الناس من طال عمره وساء عمله ورواه بالجله الاولى فقط أحمد وعبد بن جيسد والطبراني والبيهقي أيضا من حديث عبد الله بن بسر (لان المعرفة انما تكمل وتتسع في العمر الطويل بجملة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للمطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرياضة والتفاتة الى اللعب بالعصفور والعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يتخلو عن هذه المشوشات ولا يتصور أن يتخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الاحوال ولا تدوم فلا حرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقليلا يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة الى الموت وانما الحياة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وكل من انتهى الى هذه المرتبة فانه يجب لقاء الله تعالى فيجب الموت ولا يكرهه الامن حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة

لا ساحل له فلا حاطة بكنهه جلال الله تعالى فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار ملكوته وقويت كثرة النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا زرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل وتتسع في العمر الطويل بجملة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للمطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحبه لانه رأى

نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل من يدم معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما
تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت أحبوا البقاء
وان ضاقت تنمو الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرم كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة
فقد عرفت بماذا كرهناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية كونهما ألد من
سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كالم تكن (٥٨٥) الرياسة ألد من المطعومات عند الصبيان

فان قلت فهذه الرؤية
محلها القلب أو العين في
الآخرة فاعلم أن الناس
قد اختلفوا في ذلك
وأرباب البصائر لا
يلتفتون الى هذا الخلاف
ولا ينظرون فيه بل العاقل
ياكل البقل ولا يسأل
عن المبقلة ومن يشتهي
رؤية معشوقه يشغله
عشقه عن أن يلتفت
الى أن رؤيته تخلق في
عينه أوفى جهته بل
يقصد الرؤية ولذتها
سواء كان ذلك بالعين
أو غيرها فان العين محل
ونظره لا ينظر اليه ولا
حكمه والحق فيه أن
القدرة الازلية واسعة
فلا يجوز أن تحكم عليها
بالقصور عن أحد
الامر من هذاني حكم
الجواز فاما الواقع في
الآخرة من الجائزين
فلا يدرك الا بالسمع
والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من
شواهد الشرع أن ذلك
يخلق في العين ليكون

نفسه واقفا في المعرفة بالغالى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل من يدم معرفة تحصل له
بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وجبه عند أهل المعرفة وأما
سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا (ولذا انها) ان اتسعت أحبوا البقاء وان ضاقت تنمو الموت وكل
ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرم كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة
فقد عرفت بماذا كرهناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة الرؤية ومعنى لذة الرؤية
ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها ألد من سائر اللذات عند ذوى العقول والكمال وان لم تكن كذلك عند ذوى
النقصان كالم تكن الرياسة ألد من المطعومات (واللعب) عند الصبيان) فان أنكر وافبعذرهم لنقصانهم عن
درجة الكمال (فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك
وأرباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسأل عن المبقلة)
وياخذ الهدية ولا يسأل عن الجالب (ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت الى أن رؤيته
تخلق في عينه أوفى جهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فان العين محل ونظره لا ينظر
اليه ولا حكمه والحق فيه أن القدرة الازلية واسعة فلا يجوز أن تحكم عليها بالقصور عن أحد الامر من هذاني
حكم الجواز فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك الا بالسمع) اذ لا مدخل للعقل فيه (والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في
الشرع مجرى على ظاهره اذ لا يجوز إزالة الظواهر الا لضرورة والله أعلم) فروى أحمد والشيخان من حديث
أبي هريرة أن الناس قالوا هل نرى ربنا يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم هل تظنون في رؤية القمر ليلة
البدر ليس دونه سحاب وهل تظنون في رؤية الشمس ليس دونه سحاب فانكم ترونه كذلك الحديث بطوله
ورواه كذلك من حديث أبي سعيد وروى الطيالسي وأحمد والشيخان وابن خزيمة من حديث أبي سعيد هل
تظنون في رؤية الشمس بالظاهرة سحابا ليس معها سحاب وهل تظنون في رؤية القمر ليلة البدر سحابا ليس
فيها سحاب ما تظنون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تظنون في رؤية أحدهما الحديث بطوله وروى النسائي
وابن ماجه بعضهم عند مسلم من حديث أبي هريرة هل تظنون في رؤية الشمس في الظاهرة ليست في سحابة
هل تظنون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة فوالذي نفسي بيده لا تظنون في رؤية ربكم عز وجل
الا كما تظنون في رؤية أحدهما الحديث

(بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) *

(اعلم) وفعل الله تعالى (ان أسعد الخلق حال أقواهم حب الله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى)
والعرض عليه (ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه) وحينئذ اليه
(وتمكن من دوام مشاهدته أبا الأباد من غير منغص و) لا (مكدر ومن غير قريب ومزاحم) له في مشاهدته
(ومن غير خوف انقطاع) أو نقص (الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

(٧٤ - (انجاف السادة المتقين) - (تاسع) لفظ الرؤية والنظر وسائر الالفاظ الواردة في الشرع مجرى

على ظاهره اذ لا يجوز إزالة الظواهر الا لضرورة والله تعالى أعلم (بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى) * اعلم ان أسعد الخلق حال في
الآخرة أقواهم حب الله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم الحب اذا قدم على محبوبه بعد طول
شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبا الأباد من غير منغص ومكدر ومن غير قريب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الآن هذا النعيم على
قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة

وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الا كثرون وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلام يخرج منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت (٥٨٦) الى غيره فزأويه من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله وبقدر ما يبقى من

وانما يكتب العبد حب الله تعالى في الدنيا وهو فيها وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن أصل المعرفة الذي هو أساس الايمان (وأما قوة الحب واستيلاؤه) عليه بالكلية (حتى ينتهي الى) حد (الاستتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الا كثرون) وقد تقدم ان العشق هو مبالغة الحب (وانما يحصل ذلك بسببين أحدهما قطع علائق الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل مثلام يخرج منه الماء) اليه يشير قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) أي وانما هو قاب واحد لا يتسع لسببين (وكال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزأويه من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه) وانما قلنا ذلك (فان كل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيّد والمعبود هو المقيّد به وكل يحب فهو مقيّد بما يحبه ولذلك قال تعالى رأيت من اتخذ الهه هواه) أي جعل هواه وما يحبه ما لو هاله ومعبودا وتقديده (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى) رواه الطبراني من حديث أبي امامة بسند ضعيف أبغض اله عبد عند الله في الارض هو الهوى (وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البراء والطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد ورواه البغوي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل أفلا أبشّر الناس قال في أخاف أن يتسكوا (ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبا له ومعبودا له ومقصودا له فقط) ولذلك اختارت مشايخ هذه الطائفة العلمية أن يقولوا بعد ذكرهم ثلاث مرات الهى أنت مقصودى ورضاك مطلوبى وقد جاءت الاشارة الى ما ذكره المصنف في معنى الاخلاص في الخبر الذي يروى عن زيد بن أرقم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال أن تتجزه عن محارم الله وراه الحكيم والطبراني وصاحب الحلية (ومن هذا حاله فالدينيا يحبه) أي بمنزلة السجين عليه (لانها مانعة عن مشاهدته محبوه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب) فهذا لاحالة يحب الموت (فما حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه) أي طال عليه (نفخى من السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه) وكان المراد منه اذا أنس بها ووقف معها والافجع مجرد ميل القلب اليها من غير سكون بها لا يكون سحبا لها (فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الاخبار (كأنه لا يقرب لانس من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره) كما (لا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان) ان أرضيت احداهما أضحت الاخرى روى ذلك من كلام على رضى الله عنه مذكور في نهج البلاغة (وهما كالشرق والمغرب) روى ذلك من كلام

الماء في الاناء ينقص من الخل المصوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم وبقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بل هو معنى قولك لا اله الا الله أي لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فان العبد هو المقيّد والمعبود هو المقيّد به وكل يحب فهو مقيّد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى رأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد في الارض الهوى ولذلك قال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوبا له ومعبودا له ومقصودا له فقط ومن هذا حاله فالدينيا يحبه لانها مانعة له من مشاهدته محبوه وموته خلاص من السجن وقدم على المحبوب فما

حال من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتغادى عنه حبسه فغلام السجن ومكن من المحبوب وروح بالامن أبدا فاحدا أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات حتى ان المنفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئا الا ينقص بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته الا ويبقى به قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالشرق والمغرب

وقد انكشف ذلك لذوى القلوب انكشافاً أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاعتقاد اليهما بزمام الخوف والرجاء فاذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحدركنى المحبة وهو تخليق القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسح بعده لنزول معرفة الله ووجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحدركنى المحبة واليه (٥٨٧) الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كاذكرناه

كتب الاحبار كما في الحلية وقد سبق كل ذلك في كتاب ذم الدنيا (وقد انكشف ذلك لذوى القلوب) والبصائر (انكشافاً أوضح من الابصار بالعين وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد) عنها (وملازمة الصبر) بأنواعه المذكورة في محله (والاعتقاد اليهما) أى الى طريق الزهد والصبر (بزمام الخوف والرجاء) فما ذكرناه من المقامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحدركنى المحبة وهو تخليق القلب عن غير الله وأوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسح بعده لنزول معرفة الله ووجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحدركنى المحبة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان) رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك بزيادة والحمد لله تلاً الميزان وسبحان الله والحمد لله تلاً ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) كاذكرناه في أول كتاب الطهارة (فلا نعيده نانيا) السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها وتنظيفها مما يخالفها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكامة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال) ألم تركب (ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) فعرفنا أن لها أصلاً ثابتاً في القلوب بما أمدها به من النظر والاعتبار وعرفنا أن لها فرعاً في السماء) فعرفنا أن لها أصولاً ثابتاً بسبب ما جابها عليه من محبة سعادتها وكمالها (والله الاشارة بقوله تعالى اليه بصعد الكام الطيب فهي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكأنها دلكها وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً في الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول) وهو الاصل الذي هو عقد من عقود الايمان بالله ولله (وهو الآخر) أى العمل هو الآخر لانه تنشئه الواجيد على القلوب والجوارح (وانما الاول علم المعاملة وغرضه وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي (من الكدر) والذكر الدائم (في كل حال) والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

في أول كتاب الطهارة * السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الارض بعد تنقيتها وتنظيفها مما يخالفها (من الحشيش) والشوك وغير ذلك (وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكامة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) فعرفنا أن لها أصولاً ثابتاً في القلوب بما أمدها به من النظر والاعتبار وعرفنا أن لها فرعاً في السماء) فعرفنا أن لها أصولاً ثابتاً بسبب ما جابها عليه من محبة سعادتها وكمالها (والله الاشارة بقوله تعالى اليه بصعد الكام الطيب فهي المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالجبال لهذه المعرفة وكأنها دلكها وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً في الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه

المعرفة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليلة الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدلاً المزاج اذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال اليه ومهما أحبه حصلت الالة فاللذة تبسح المحبة بالضرورة والمحبة تبسح المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى

الاقو ياغو يكون أول معرفتهم لله تعالى ثم يعرفون غيره والى الضعفاء يكون أول معرفتهم بالافعال ثم يعرفون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى أول يكف بربك انه على كل شئ شهيد وبقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي ربي ولولا ربي لم اعرفت ربي والى الثانى الاشارة بقوله تعالى سترهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وبقوله عز وجل أول ينظروا فى ملكوت السموات والارض وبقوله تعالى قل انظر واما ذاقى السموات والارض وبقوله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق (٥٨٨) الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر

خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه أكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكير والا اعتبار والنظر فى آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به الى المحبة فاعلم أن الطريق الاعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة فى ابراده فى الكتب وأما الطريق الاسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الافهام وانما قصرت الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحفظ النفس والمنايع من ذكر هذا اتساعه وكرثته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية اذا من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته كما قال القائل

فواعبها كيف يعصى الله * أم كيف يحجده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

(وذلك مما لا ينهى بل لو كان البحر مداما السكاهات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فالحوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين النظر الى الافعال فلتتكم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى

الخارجة عن الحصر والنهاية اذا من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا ينهى بل لو كان البحر مداما السكاهات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي فالحوض فيه انغماس فى بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز الى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول أسهل الطريقين المنظر الى الافعال فلتتكم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب أفلها وأحقرها وأصغرها ولننظر فى عجائبها فأقل المخلوقات هو الارض وما عليها أعنى

بالإضافة إلى الملائكة وما يكون السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي
مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها ثم انظر إلى صغر (٥٨٩) الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي

مركوزة فيه فانه لانسبة
لها اليه وهي في السماء
الرابعة وهي صغيرة
بالإضافة إلى ما فوقها من
السموات السبع ثم
السموات السبع في
الكروني كملقة في فلاة
والكروني في العرش
كذلك فهذا نظر إلى
ظاهر الأشخاص من
حيث المقادير وما أحقر
الأرض كلها بالإضافة
إليها بل ما أصغر الأرض
بالإضافة إلى البحار فقد
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الأرض في
البحر كالاصطبل في
الأرض ومصدق هذا
عرف بالمشاهدة والتجربة
وعلم أن المكشوف من
الأرض عن الماء كجزء
صغيرة بالإضافة إلى كل
الأرض ثم انظر إلى
الآدمي المخلوق من
التراب الذي هو جزء
من الأرض وإلى سائر
الحيوانات وإلى صغره
بالإضافة إلى الأرض ودع
عنيك جميع ذلك فأصغر
ما نعرفه من الحيوانات
البعوض والنحل وما
يجري مجراه فانظر إلى
البعوض على قدر صغر
قدره وتأمله بعقل حاضر

بالإضافة إلى الملائكة وما يكون السموات فانك ان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فالشمس
على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة (وروي أبو الشيخ في العظمة عن عكرمة قال
الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكروني والشمس جزء من سبعين جزءا من نور العرش) فانظر إلى صغر
الأرض بالإضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه فانه لانسبة لها اليه
وهي في السماء الرابعة (وهي أي السماء الرابعة) صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات
السبع في الكروني كملقة (ملقاة في فلاة) من الأرض (والكروني في العرش كذلك) وروي ابن أبي حاتم
وابن المنذر عن طريق الضحاك عن ابن عباس قال لوان السموات السبع والأرض السبع ثم وصلن بعضهن
ببعض ما كن في سعة الكروني لا بمنزلة الحلقة في المفازة وروي ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة
عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكروني فقال ما السموات السبع والأرضون السبع عند
الكروني إلا كملقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكروني كفضل الفلاة على تلك الحلقة وروي أبو
الشيخ عن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكروني والكروني جزء من سبعين جزءا من نور العرش
وروي ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال ان السموات والأرض في جوف الكروني والكروني بين يدي
العرش وروي عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود قال ما بين
السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء خسمائة عام وبصر كل سماء وأرض يعني غلط ذلك
مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والأرض السابعة إلى الكروني مسيرة خمسمائة عام وما بين الكروني والماء
مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء (فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير وما أحقر الأرض
كلها بالإضافة إليها بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرض في البحر
كالاصطبل في الأرض) قال العراقي لم أجده أصلا (ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن
المكشوف من الأرض عن الماء كجزء صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض) ومساحة بسطها مائة ألف ألف
وثلاثة وثلاثون ألف ألف وثلاثمائة ألف وعشرون وأربعمائة ميل ومساحة بسط عمارتها من الربع
المسكون اثنتان وثلاثون ألف ألف وأربعمائة وتسعون ألفا ومائة وخمسة أميال ونسبتها إلى مساحة بسط الأرض
كلها السدس وسدس العشر تقريبا وذلك من أقصى العمارة تقريبا بالمشرق إلى أقصى المغرب طولها من حيث
خط الاستواء إلى حيث يرتفع القطب ستة وستون جزءا وربع وسدس جزء عرضا (ثم انظر إلى الآدمي المخلوق
من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض) وما أودع الله فيه
من أسرار العالم الكبير (ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراه
فانظر إلى البعوض) وهو صنفان صنف يشبه القراد لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة واليه أشار
الجوهري بقوله وصنف في خلقه الفيل وهو المعروف بالناموس وهو المراد به هنا (على صغر قدره وتأمله بعقل
حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوم
مثل خرطوم وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل زيادة جناحين) في كل ناحية ورجلين
فالفيل أربعة أرجل وخرطوم وذنب والبعوض مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أرجحة (وانظر كيف
قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره) وأودع في مقدمة دماغه قوة
الحفظ وفي وسطه قوة الفكر وفي مؤخره قوة الذكر وخلق له حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة اللمس وحاسة
الشم (ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغذائية والجاذبة

وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوم ومثل خرطوم وخلق له على شكله الصغير
سائر الأعضاء كما خلقه للفيل زيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره ودبر في
باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى الغذائية والجاذبة

والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب في سائر الحيوانات هذا في شكاه وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه أن
غذاؤه دم الانسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدود الرأس وكيف هداه الى مسام
بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم مع
دقته وجواف حتى يجري فيه الدم الرقيق (٥٩٠) وينتهي الى باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه ثم كيف عرفه أن الانسان يقصده

والدافعة والماسكة والهاضمة ماركب في سائر الحيوانات) وخلق له منفذا للغذاء ومخرجا للفضلة وخلق له جوفاً
ومعياً وعظاماً لتشد الزخشي في الكشف

ويرى نياط عروقها من لهما * والمخ في تلك العظام النحل

(هذا في شكاه وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه الله تعالى الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم انظر
كيف أنبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدود الرأس وكيف هداه الى
مسام بشرة الانسان) التي يخرج منها العرق فيتوخاها (حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم قواه حتى يغرز فيه
الخرطوم) ويستدعضه ويقوى على خرق الجلود الغلاط قال الرازي

مثل السقاة دائماً طينها * ركب في خرطومها سكينها

(وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع رقبته مجوفاً حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى
باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه) فهو له كالباعوم والحقوم (ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه
حيلة الهرب واستعداداً لته وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص
ويهرب ثم اذا سكنت يعود) الى عمله وفيه من الشره انه يمس الدم الى أن يموت أو يهجر عن الطيران (ثم انظر
كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى أن حدقة كل حيوان
صغير لم تحمل حدقة الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق
للبعوض والذباب يدين) وهما الزائدتان على الفيل المتقدم ذكرهما (فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه ببذيه) وكلاهما من ذوى الخراطيم (وأما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان) لكل
حدقة جفنتان أعلى وأسفل (حتى ينطبق احدهما على الآخر وأطرافهما محادة فيجتمع الغبار الذي يلحق
الحدقتين يرميه الى أطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن
صورة العين) وقد خصت الحكمة الالهية لون السواد بذلك والبياض يفرق ضوء العين ويضعف نوره حتى
ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يهز نور العين ويحقه كما يهيج الضعيف في جنب القوى
(وتشبهها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الاهداب واشتبا كهاتين دخول الغبار ولا يمنع الابصار وأما
البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين) ولكنه ليس ظاهر البادئ
النظر كما يظهر من الذباب (ولاجل ضعف ابصارها تراها تنهات) وتناسط (على السراج لان بصرها ضعيف
فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة من البيت
المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب
الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه مرة أخرى الى أن يحترق) واليه أشار القائل وأحسن

لهيب الحدحين بد الطرفي * هوى قلبي عليه كالغراش

فأخرقه فصار عليه خالا * زهاأثر اللسان على الحواشي

(ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب

بيده فعلمه حيلة الهرب
واستعداداً لته وخلق
له السمع الذي يسمع به
خفيف حركة اليد وهي
بعد بعيدة منه فيترك
المص ويهرب ثم اذا
سكنت اليد يعود ثم انظر
كيف خلق له حدقتين
حتى يبصر مواضع غذائه
فيقصده مع صغر حجم
وجهه وانظر الى أن
حدقة كل حيوان صغير
لم تحمل حدقة
الاجفان لصغره وكانت
الاجفان مصقلة لمرآة
الحدقة عن القذى والغبار
خلق للبعوض والذباب
يدين فتتنظر الى الذباب
فتراه على الدوام يمسح
حدقتيه ببذيه وأما
الانسان والحيوان الكبير
فخلق لحدقتيه الاجفان
حتى ينطبق أحدهما
على الآخر وأطرافهما
محادة فيجتمع الغبار الذي
يلحق الحدقتين يرميه الى
أطراف الاهداب وخلق
الاهداب السود لتجمع
ضوء العين وتعين على
الابصار وتحسن صورة

العين وتشبهها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الاهداب واشتبا كهاتين دخول الغبار ولا يمنع
الابصار وأما البعوض فخلق له حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولا جعل ضعف ابصارها تراها تنهات على
السراج لان بصرها ضعيف فهى تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم
الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرى بنفسه اليه فاذا جاوزه ورأى الظلام ظن انه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود اليه
مرة أخرى الى أن يحترق ولعلك تظن ان هذا نقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان أعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب

الفراس في التفاهت
على النار اذا تلوح للآدمي
أنوار الشهوات من
حيث ظاهر صورتها
ولا يدري أن تحتها السم
النافع القاتل فلا يزال
يرى نفسه عليها إلى أن
ينغمس فيها ويتقيد
بها ويهلك هلاكا
مؤبدا فليت كان جهل
الآدمي بجهل الفرش
فانها باغترارها بظاهر
الضوء ان احترقت
تخلصت في الحال
والآدمي يبقى في النار
أبدا لا أباد أو مدة مديدة
ولذلك كان ينادي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اني ممسك
بمحجزكم عن النار وأنتم
تتهافتون فيها تهافت
الفرش فهذه لمعة عجيبه
من عجائب صنع الله
تعالى في أصغر الحيوانات
وفيهام من العجائب مالم
اجتمع الألوان والآخرون
على الاحاطة بكنهه عجزوا
عن حقيقته ولم يطلعوا
على أمور جلية من ظاهر
صورته فاما خفايا معاني
ذلك فلا يطلع عليها
الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات أعجوبة
وأعاجيب تخصه
لا يشاكره فيها غيره
فانظر الى النحل وعجائبها
وكيف أوحى الله تعالى

على شهوات الدنيا صورة الفراس) وهي ذباب مثل البعوض واحده فراشة (في التفاهت على النار اذا تلوح
للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم النافع القاتل فلا يزال يرى نفسه
عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي بجهل الفرش بانها
باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبدا لا أباد أو مدة مديدة) وقال
المصنف في موضع آخر من الحيوان ما اذا شاهد شيئا يحفظه وارسمت صورته في ذهنه فاذا رآه مرة أخرى عرفه
كالذباب ترى الشعير والعصا ومنه ما اذا شاهد شيئا لم يحفظه ولم يرسم عند صورته كالفرش فانه يجد المصباح
فيرى بنفسه فيه ويجد حراره ثم يعود ويرى بنفسه اليه ولوارتسمت عنده صورته لما عاد اليه اه (ولذلك
كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني ممسك بمحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت
الفرش) قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة مثنى ومثل امي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب
والفرش يقعن فيها فانا أخذ بمحجزكم وأنتم تقتحمون فيه لفظ مسلم واقتصر البخاري على أوله وسلم من حديث
جابر وأنا أخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي وقد تقدم قلت لفظ المتفق عليه من طريق أبي الزناد
عن الاعرج عن أبي هريرة مثنى كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاعت ماحولها جعل الفرش وهذه الدواب التي
يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهم ويغلبهم فيقتحمون فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ بمحجزكم عن النار
هلم من النار هلم من النار فتغلبوني تقتحمون فيها ورواه كذلك أحمد والترمذي ولفظ حديث جابر عند مسلم
من طريق همام عن أبي هريرة مثنى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفرش والجناد يقعن فيها وهو
يذهب عنها وأنا أخذ بمحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وقوله بمحجزكم
بضم الحاء المهملة وفتح الجيم جمع حجرة بالضم وهي معقد الازار والسر اويل واذا أراد الرجل امساك من يخاف
سقوطه أخذ بذلك الموضع منه قال النووي في شرح مسلم مقصود الحديث انه صلى الله عليه وسلم شبه تساقط
الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحوصهم على الوقوع في ذلك مع منعه اياهم وقبحه على
مواضع المنع منهم بتساقط الفرش في نار الدنيا وهو وضع تمييزه فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في
ذلك بجهله وقال أبو العباس القرطبي في شرحه هو مثل الاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في نجاتنا وحوصه على
تخليصنا من المهلكات التي بين أيدينا ولجلها بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وقال القاضي أبو بكر بن العربي
هذا مثل غريب كثير المعاني المقصود منه ان الله ضرب مثلا لجهنم وما ركب من الشهوات المستدعية لها المقتضية
للدخول فيها وما منى عنها وتوعد عليها وأنها ذكرك بذلك تغلب الشهوات على التقوى باسم انها مصلح ومنافع
وهي نكتة الامثال فان الخلق لا يأتون ذلك على قصد الهلاك وإنما يأتونه باسم النجاة والمنفعة كالفرش تقتحم
الضياء ليس لتهلك فيه ولا كنهاتنا نسبه وهي لا تبصر بحال حتى انها في ظلمة فتعتقد ان الضياء كوة تستظهر فيها
النور فتقصد هالاجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر وذلك هو الغالب من أحوال الخلق أوكله اه وقد جاء ذكر
تهافت الفرش في حديث آخر رواه البيهقي في الشعب عن النوفاس بن سمعان ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفرش في النار الا ان كل كذب مكتوب على ابن آدم كذبا بالاحالة الا
أن يكذب الرجل في الحرب الحديث ورواه كذلك ابن جرير والحر اطلعي في مساوي الاخلاق وروى ابن لال
من حديث أسماء بنت يزيد مالى أراكم تتابعون في الكذب كما تتابع الفرش في النار (فهذه لمعة في عجائب
صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب مالم واجتمع الألوان والآخرون على الاحاطة بكنهه عجزوا عن
حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته فاما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليه الا الله تعالى ثم في كل
حيوان ونبات أعجوبة (بل وأعاجيب تخصه) دون غيره (لا يشاكره فيه غيره) فان شئت بيان ذلك (فانظر الى
النحل) ذباب العسل واحده نحلة للذكور والانثى (وعجائبها) قال الزجاج سميت نحل لان الله تعالى نحل الناس منها
العسل الذي تخرجه (وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون)

اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون

وذلك قوله تعالى وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون قال في عجائب
المخلوقات يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة إذا وحي الله فيه إلى النحل صنعة العسل بين سبحانه وتعالى أن في النحل
أعظم اعتباراً أمل كمال طاعتها وحسن اتتمارها الأمر بها كيف اتخذت بيوتاً في هذه الأماكن الثلاثة من الجبال
والشجر وحيث يعرش الناس أي بينون العروش فلا ترى للنحل بيتاً في غير هذه الثلاثة البتة وتأمل كيف كان
أكثر بيوتها في الجبال وهو المقدم في الآية ثم الأشجار وهي دون ذلك ثم العروش وهي أقل بيوتها وانظر كيف
أدأها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهي تتخذها أولاً فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت
وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لانه تعالى أمرها أولاً باتخاذ البيوت ثم بالاكل بعد ذلك (و) انظر كيف
استخرج من لعبها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخرة ضياء لف ونشر مرتب وفي قوله من لعبها
إشارة إلى أن العسل يخرج من أفواهها وهو قول الجمهور ونقل ابن عطية في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنه
قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة وظاهر هذا أنه من غير القم
قلت والمعروف من كلامه فاشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب وقد تقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا والتحقيق
أن العسل يخرج من بطونها ولا يدري من فيها أو غيره وقد صنع أرسطاطاليس بيتاً من زجاج لينظر إلى كيفية
ما تصنع فابت أن تعمّر حتى لطخت من باطن الزجاج بالطين ذكره القزويني وفي تفسير الكواشي الأوسط أن
العسل ينزل من السماء فينبت في أماكن فتأني النحل فتشربه ثم تأني الخلية فتلقيه في المهبأ للعسل في الخلية لا كما
يتوهمه بعض الناس أن العسل من فضلات الغذاء وأنه قد استحال في المعدة عسلاً هذه عبارة (ثم) لو تأملت
عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار فيستحيل في جوفها عسلاً وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطر
المقنطرة وهذا الذي دل عليه القرآن واختلاف لونه وطعمه بحسب اختلاف المرعى وفي هذا المعنى قول
عائشة حرست نحل العرفط حتى شبت ورائحته برائحة المعافير (واحترازها عن النجاسات والافذار) فلا تقع
الاعلى الطيبات من الثمار والأزهار وتخرج جميعها في الخلية لانه منقح الريح (وطاعتها الواحد من جلستها)
يسمى البعسوب (هو) كبرها شخصاً وهو أميرها) ومن خصائصه أنه ليس له حمة يلسع بها أو فضل ملوكها
الشقر وأوسطها الرقط بسواد ولا يتم أمرها إلا به وقد جاء ذكره في حديث أبي امامة أن أحدكم إذا أراد أن
يخرج من المسجد تداعت جنوداً بليس واجتمعت كما تجتمع النحل إلى بعسوبها رواه ابن السني في اليوم والليلة
وروى ابن عدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على أنت بعسوب المؤمنين (ثم) ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل
والانصاف بينها حتى أنه يقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة (أي أنها إذا رأت فساداً من ملك أمانة
تعزله وأما أن تقتله وأكثر ما يقتل خارج الخلية) (لقضيت منها عجباً) وفي نسخة العجب (أن كنت بصير في نفسك
وفارغان هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة أخوانك) قال القزويني هو حيوان
ذو فهم وكيس وشجاعة ونظر في العواقب ومعرفة باصول السنة وأوقات المطر وتدير المربع والطاعة لأميره
والاستسكانة لكبيره وقائدة بديع الصنعة وقال غيره ومن شأنه في تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعاً نقياً بين فيه
بيوتاً من الشمع أولاً ثم البيوت التي يأوى فيها الملوك ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً والذ كراً صغراً من
الأنثى وهي تكثر المادة داخل الخلية وإذا طارت خرجت باجمعها وترتفع في الهواء ثم تعود إلى الخلية والنحل
يعمل الشمع أولاً ثم يلقى البذر لانه ينزله العسل الطائر فإذا القته قعدت عليه وتحضنه كما يحضن الطائر فيكون البذر
دون البيض ثم تبيض الدود وتغذي نفسها ثم تطير وهو لا يقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد وتلا بعض
البيوت عسلاً وبعضها فراخاً والملوك لا تخرج إلا مع جيل النحل فإذا عجز عن الطير جلته والنحل يجتمع فيقسم
الاعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يسقي الماء وبعضها يبنى البيوت ومن طبعه أنه يهرب
بعضه من بعض ويقا تل بعضه بعضاً في الخلأ ولا يسع من دناء من الخلية وإذا هلك منها شيء داخل الخلية أخرجه
الأحياء إلى خارج وهو يعمل زمان الربيع والخريف والذي يعمل في الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير

وكيف استخرج من
لعابها الشمع والعسل
وجعل أحدهما ضياء
وجعل الآخرة ضياء
لوتأملت عجائب أمرها
في تناولها الأزهار
والأنوار واخترازها عن
النجاسات والافذار
وطاعتها لواحد من جلستها
هو كبرها شخصاً وهو
أميرها ثم ما سخر الله
تعالى له أميرها من العدل
والانصاف بينها حتى أنه
يقتل على باب المنفذ
كل ما وقع منها على نجاسة
لقضيت منها عجباً آخر
العجب أن كنت بصيراً
في نفسك وفارغان هم
بطنك وفرجك وشهوات
نفسك في معاداة أقرانك
وموالاة أخوانك

ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بناءها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا منحرفا بل مسدسا خاصة في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهوان أوسع الاشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النخل مستطيل فترك المربع حتى (٥٩٣) لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها

مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستديرة ثم تتراس الجله منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النخل على صغر حجمه ولطافة قده لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتنهأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر به هذه الامعة البسيطة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون اضاحه ولا نسمة لما أحاط علما الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة فانبذ الدنيا وراء ظهرك) كما قال القائل متى مالتق من تهوى * دع الدنيا وأهلها واستغرق العمر في الذكرا دائم والفكر الملائم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر

ويشرب من الماء ما كان عذبا صافيا يطلبه حيث كان ولا يأت كل من العسل الا قدر شبعه واذا قل العسل في الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاذه لانه اذا نفذ أفسد النحل بيوت المولك وبيوت الذكور وربما قتلت منها ما كان هنالك قال حكيم اليونان لتلامذته كونوا كالنخل في الخليا قالوا كيف قال انها لا تترك عندها بطالا لانقته وأقصته عن الخلية لانه يضيق المكان ويظي العسل ويعلم النشيط التكسل والنخل يسلم جاده كالحيات وتوافقه الاصوات اللذيذة المفارقة ويضمر السوس ودواؤه أن يطرح في كل خلية كف ملح وان تفزع في كل شهر مرة وتدخل باخشاء البقر ومن طبعه انه اذا طار من الخلية ابرعى وعاد تعود كل نخلة الى مكانها لا تخطئه وأهل مصر يحولون الخليا في السفر ويسافرون بها الى موضع الزهر والشجر فاذا اجتمع الى المرعى فتحت أبواب الخليا فيخرج منها ويرعى يومه أجبع فاذا أمسى عاد الى السفينة وأخذت كل واحدة مكانها لاتغير عنه وروى البيهقي في الشعب عن مجاهد قال صحبت ابن عمر من مكة الى المدينة فحاسبته بحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الحديث ان مثل المؤمن مثل النخلة ان صاحبته نفعك وان شاورته نفعك وان جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النخلة كل شأنه منافع قال ابن الاثير وجه المشابهة بين المؤمن والنخلة حذق النخل وفطنته وقلة أذاه وحقارته ومنفعتاته وقنوعه وسعيه في الليل وتنزهه عن الاقذار وطيب أكله وانه لا يأت كل من كسب غيره ونحوه وطاعته لاميده وان للنخل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تفرقه عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وداء السعة ونار الهوى (ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بناءها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس) الذي لا يتخرق (فلا تبني بيتا مستديرا ولا مربعا ولا منحرفا بل مسدسا خاصة في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها) واحاطتها (وهوان أوسع الاشكال واحوالها) أي أجبعها (المستديرة) أي المستديرة الشكل (وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النخل مستطيل فترك المربع حتى لاتضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فخرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستديرة ثم تتراس الجله منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل) فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وبيانه ان الاشكال من الثلاثة الى العشرة اذا جمع كل واحد منها الى أمثاله لم يتصل وجاءت بينهما مافرج الا الشكل المسدس فانه اذا جمع الى أمثاله اتصل به كانه قطعة واحدة كل هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بيكار وذلك من أثر صنع اللطيف الخبير والهامة اياها (فانظر كيف ألهم الله النخل على صغر حجمه ولطافة وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتنهأ بعيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعتبر) أي السالك (بهذه الامعة البسيطة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار) الطوال (دون اضاحه ولا نسمة لما أحاط علما الى ما أحاط به العلماء والانبياء ولا نسبة لما أحاط به علم الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه (فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة بالحاصل بالسهولة الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكرا دائم والفكر الملائم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى (فعساك تحظى منها بقدر

(٧٥ - (اتحاف السادة المتقين) - (تاسع) جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة بالحاصل بالسهولة الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكرا دائم والفكر الملائم فعاك تحظى منها بقدر

يسير ولكن تنال بذلك البسيرة ملكا عظيما لا آخر له * (بيان السبب في تفاوت الناس في الحب) * اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل المحبة لأنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذا اشتهاءت تفاوتت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء (٥٩٤) التي قرعت سمعهم فلتلقوها وحفظوها ورعا تخيلوها معاني يتعالى عنها رب الارباب

يسير ولكن تنال بذلك البسيرة ملكا عظيما لا آخر له) وسعادة أبدية لا انصرام لها أبدا والله الموفق
* (بيان السبب في تفاوت الناس في الحب) *

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا اشتراكهم في أصل الايمان ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذا اشتهاءت تفاوتت بتفاوت أسبابها) وهو كالقدرة الحاصلة لهم بالغنى في المال فمن واحد يكاد الدائق والدرهم ومن واحد يكاد الفاكذ العلوم بل التفاوت في العلوم أعظم لان المعلومات لانهاية لها وأعيان الاموال اجسام والاجساد متناهية لا يتصور أن ينتهي النهاية عنها فإذا قد عرفت كيف تفاوت الخلق في بحار معرفة الله تعالى وان ذلك لانهاية له (وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فلتلقوها وحفظوها) فهو السبيل الذي فتح لهم فيه وفيه تفاوت مراتبهم (ورعا تخيلوها معاني يتعالى عنها رب الارباب) جل جلاله (ورعا لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها معنى فاسد بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث) فيها (وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمختليون) ايها بالمعاني الفاسدة (هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون) فهوؤلاء ثلاثة اصناف (وقد ذكر الله حال) هذه (الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وربحان وجنة نعيم الآتية) وتماها وأمان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأمان كان من المكذبين الضالين فتزل من حيم وتصلية بحيم وبيان تفاوت المراتب هو انه لا يخفى عليك انه ليس من يعلم انه عالم قادر على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في لمكونات السموات والارض وخلق الارواح والاجساد واطلع على بدائع المماكة وغرائب الصنعة معناني التفصيل ومستغرق في دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الماكية القريبة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف بها بل بينهم من البون البعيد مالا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقادير تفاوت الانبياء والاولياء (فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله في حب الشافعي منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بجملا والفقير يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجب به وحببه له أشد) وأنقول ان الشافعي رحمه الله تعالى يعرفه بوابداره ويعرفه المزني تلميذه والبواب يعرف انه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله الى الله على الجملة والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل بمعرفة محيطه بتفاصيل صفاته ومعلوماته بل العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تلميذه الذي لم يحصل الا نوعا واحدا فضلا عن خادمه الذي لم يحصل شيئا من علومه بل الذي حصل علما واحدا فاما عارف على التحقيق عشرة اذا ساء في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه فان قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه الا بالاسم واهم ام الجملة وهو انه يعرف انه يعلم شيئا سوى ما علمه فكذلك فانهم متفاوتون الخلق في معرفة الله تعالى وأيضا (فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وغرف به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره وصنعت ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل

ورعا لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوها معنى فاسد بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهوؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمختليون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وربحان وجنة نعيم الآتية فان كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثلا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله في حب الشافعي منهم والعوام لانهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحمد خصاله ولكن العايم يعرف علمه بجملا والفقير يعرفه مفصلا فتكون معرفة الفقيه به أتم وأعجب به وحببه له أشد) فان من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف

به فضله أحبه لاحالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لاحالة حبه لانه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره وصنعت ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والعايم قد يسمع أن فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة بجملة ويكون له بحسبه ميل

بجل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاجل حاله لان عجائب الصنعة والشه والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والاعاى يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلام عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخير فيه لبه ويرداد (٥٩٥) بسببه لاجل عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له ينتهى اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا اذا ناعا لم فقد علمنا شيئا مبهم الا ندري حقيقة لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بانه عالم أيضا علمنا ما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الامن له مثل علمه وليس ذلك الا لا فلا يعرفه سواء وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العباد حاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظهم من تلك الصنعة أو فرلان الثمرة تدل على المشر كما انه كلما ازداد التليذ حاطة بتفاصيل علوم الاسناد وتصانيفه كانت معرفته أكمل واستعظامه أتم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا ينتهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبسه لذاته ضعفته بحبه اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون سبه في حالة البلاء كسبه في حالة الرضا والنعمة وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه) فهذا السبب هو أقوى الاسباب (فهذا أو مثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى ولا آخرة كبر درجات وأ كبر تفضيلا)

(بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تعالى) *

(اعلم) وفلق الله تعالى (ان أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها المعنى) تقدمت الاشارة اليه وحاصله ان المحبة هي الوصلة بين العبد وبين الله تعالى في الدنيا والآخرة اذ العارف لا يفارق المعروف كمالا ير يدعنه بدلالا من معرفة الله ألد المعارف وألد الاشياء وأشهاها للقلوب لان كل ذات جيلة على اختلاف أنواعها ومراتبها لا يميل اليها البصر أو البصيرة الا وهي تشهد كمال خالقها وكمال صانعها وكلما كانت الصنعة شريفة جيلة دلت على شرف ذات الخالق وكال صفاته من العلم والحكمة والقدرة فان كانت القلوب تميل الى الذات الجميلة وتلتذ بأدراكها فالتذاهب بالاشرف أشرف وبالا كمال أكمل والمعنى هذا سبق النظر الى الخالق قبل الخلق وهذا لا يكون الا لمن غلبت روحانيته على جسمانيته والافن غلبت جسمانيته على روحانيته سبق نظره الى الخالق دون الخالق وانعدم التذاهب بالعلوم والمعارف وهو جل الاسباب المانعة من معرفة الله تعالى والافرفة الله أظهر المعارف ووجوده أظهر الموجودات ومما مثلنا في الغفلة عن معرفة الله ووجوده الا كمن غفل عن وجود نفسه وكونه موجودا حيوا وذلك

بجل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لاجل حاله لان عجائب الصنعة والشه والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والاعاى يعلم ذلك ويعتقده وأما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلام عجائب صنعه ما ينهر به عقله ويخير فيه لبه ويرداد (٥٩٥) بسببه لاجل عظمة الله وجلاله وكال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة أعنى معرفة عجائب صنع الله تعالى بحر لا ساحل له ينتهى اليه (فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لاحصر له) ثم ان تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لانا اذا علمنا اذا ناعا لم فقد علمنا شيئا مبهم الا ندري حقيقة لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بانه عالم أيضا علمنا ما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى الامن له مثل علمه وليس ذلك الا لا فلا يعرفه سواء وانما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته معرفة تامة حقيقية أصلا بل ابهامية تشبيهية نعم كلما ازداد العباد حاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظهم من تلك الصنعة أو فرلان الثمرة تدل على المشر كما انه كلما ازداد التليذ حاطة بتفاصيل علوم الاسناد وتصانيفه كانت معرفته أكمل واستعظامه أتم وهذا هو مراد المصنف من السياق والى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا ينتهى (ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبسه لذاته ضعفته بحبه اذ تغير بتغير الاحسان فلا يكون سبه في حالة البلاء كسبه في حالة الرضا والنعمة وأما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه) فهذا السبب هو أقوى الاسباب (فهذا أو مثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى ولا آخرة كبر درجات وأ كبر تفضيلا)

تفضيلا) (بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله سبحانه) * اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن يكون معرفة أول المعارف وأسبقها الى الافهام وأسهلها على العقول وترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه أظهر الموجودات وأجلاها المعنى

لأنهم الإبتال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أحلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا تحس بشئ من الخواص الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بتجربته وحركته فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته فمعليه الأدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله تعالى وقدرته (٥٩٦) وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالخواص الظاهرة والباطنة من حجر

ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالخواص الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطافه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة السكاكب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الأشاهد واحد وهو ما أحسنه

أما لانه بوجوده أو شغل قلبه بهم من المهمات اذهله عن وجوده والافن ظهر له وجود نفسه ظهر له وجود الله تعالى لان نفسه ونفس العالم أثروا من آثار قدرة الله تعالى وهذا المعنى (لأنهم الإبتال وهو أننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخطاطة أحلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته) أي ظاهر جلده (وغير ذلك من صفاته أما حياته وقدرته وعلمه وإرادته وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا تحس) أي لا يدرك (بشئ من الخواص الخمس) الظاهرة (ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بتجربته وحركته) أي حركة يده (فلونظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفته فمعليه الأدليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته تشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالخواص الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالخواص الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطافه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حياة السكاكب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الأشاهد واحد وهو ما أحسنه

من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة فانها تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانما تحتاج الى موجود ومحرك لها يشهد بذلك أولات تركيب أعضائنا وتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة فاما نعلم انهم لم تأتلف بانفسها كما نعلم ان يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما بقي في الوجود شئ مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد (عليه دليل) ومعرف عظم ظهوره فانهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان أحدهم اخفاؤه في نفسه ونحوه (وذلك لا يخفى مثاله والا تخربا ينهاه وضوحه) الى الغاية (وهذا كما ان الخفاش) بضم وتشديد طائر معروف قيل هو الوطواط غريب الشكل والوصف (يبصر بالليل) ويلتمس الوقت الذي لا ضوء فيه (ولا يبصر بالنهار لانخفاء النهار واستتاره) لكن لشدة ظهوره وكثرة انتشار ضوءه (مع ضعف بصره فان بصر الخفاش ضعيف لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف

يظهر نور الشمس اذا اشرق فتسكتون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وتجال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذعن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق (٥٩٧) نوره واختفى عن البصائر والابصار

بظهوره ولا يتجيب من
اختفاء ذلك بسبب
الظهور فان الاشياء
تستبان باضدادها وما
عم وجوده حتى أنه لا ضد
له عسر ادراكه فلو
اختلفت الاشياء فدل
بعضها دون بعض أدركت
التفرقة على قرب ولما
اشتركت في الدلالة على
نسق واحد أشكل
الامر ومثاله نور الشمس
المشرق على الارض فانما
نعلم أنه عرض من
الاعراض يحدث في
الارض ويزل عند
الشمس فلو كانت دائمة
الاشراق لا غروب لها
لكننا نظن أنه لاهية
في الاجسام الألوانها
وهي السواد والبياض
وغيرهما فانما لانشاهد
في الاسود والاسود
وفي الابيض والابيض
فاما الضوء فلاندركه
وحده وان كان لما
غابت الشمس وأظلمت
المواضع أدركنا تفرقة
بين الحالين فعلمنا أن
الاجسام كانت قد
استضاءت بضوء

يظهر نور الشمس اذا اشرق) وكذا ضوء القمر وفيه يقول الشاعر
مثل النهار يزيد ابصار الوري * نور او يعمي أعين الخفاش
(فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبب الامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً الا اذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره) وهو قرب الغروب وفي هذا الوقت ينتشر البعوض يطلب القوت وهو دماء الانسان وينتشر الخفاش يطلب البعوض (فكذلك عقولنا ضعيفة) لا شعاع لها (وجال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق والشمول حتى لم يشذعن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه وفي هذا المعنى أنشدني شيخنا المرحوم العارف وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العبدورسي الحسيني قدس الله سرفه في ثامن عشر رجب سنة ١٣٣١ بالطائف لبعضهم
ذكر الاله الزم هديت لذكركه * فيه القلوب تطيب والافواه * واجعل حلال نقاه ان أخال التقي
يا صاح من كانت حلاله نقاه * واستعمل الافكار في ملكوته * مستغرقا في الكشف عن معناه
ولتخامع النعمان خلع محقق * خلى عن الكونيين في مسراه * ولتفن حتى عن فتائل انه
عين البقاء ونشد ذلك تراه * واذا بدا فاعلم بانك لست هو * كلا ولا أيضا تكون سواء
شيآن ما اتحدوا لكن ههنا * سريضيق نطاقنا عما هو * يا سامعا ما قد اشرت له أما
قلب يفكر ما وعت أذناه * أزل الحجاب حجابنا لم يكشف * لك سر ما قد غاب عنك سمناه
ان الاله أجل مامت عرف * من لا يراه قد استبان عما
أني يغيب وليس يوجد غيره * لكن شديد ظهوره أخفاه
(فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره) وفي حقائق الاسماء للشيخ الاكبر
قدس سره وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان
الملا الأعلى يطالبونه كما يطالبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملا الأعلى في الطلب واختلاف في الكيفية لانهم
يطالبونه بالنور الالهي لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمتهم محتجب عن العقول فاني لهم سبيل الوصول
الى أسرار الدان وحقائق الصفات انتهى (ولا يتجيب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان
باضدادها وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون بعض أدركت
التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الامر) واشتبه الحال (ومثاله نور الشمس
المشرق) البسيط (على الارض فاننا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزل عند غيبة الشمس فلو
كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكانت ناطقة لاهية في الاجسام الألوانها وهي السواد والبياض
وغيرهما فانما لانشاهد في الاسود والاسود وفي الابيض والابيض وأما الضوء فلاندركه وحده ولكن لما غابت
الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت
بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك
لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور ههنا ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك
سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهاام أمره بسبب ظهوره لولا
طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغيب لانهدت

واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الابعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام
متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور ههنا ان النور أظهر المحسوسات اذ به تترك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره
انظر كيف تصور استبهاام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالتعالى هو أظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة
أو تغيب لانهدت

السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولا أدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الاشياء على نسق واحد وجوده دائماً في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور رخفاء فهذا هو السبب في (٥٩٨) قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف فانه في حال اعتدال أمره

لا يرى الا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أكثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظاره مجاوزا له الى غيره كمن ينظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى ناره من حيث أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فنظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظر الا في الله ولا عارفا

السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولا أدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشئين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الاشياء على نسق واحد وجوده دائماً في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورثت شدة الظهور رخفاء) ولقد أفصح المصنف رحمه الله تعالى عن هذا المبحث في كتابه مشكاة الانوار ما نصه واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رأيت نور الريح وخضرته مثلاً في ضياء النهار فليست تشك في أنك ترى الالوان ور بما ظننت أنك لست ترى مع الالوان غيرها فكنالك تقول لست أرى مع الحضرة غيرها ولقد أصغر على هذا أقوام فزعوا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع أنه أظهر الاشياء وكيف لا به تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء فاعتبروا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كانه لشدة اتحاد به لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى وقد يكون شدة الظهور سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم انه كظهور كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء وبه يظهر ولكن بقي هنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذي يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل تغييره فيبقى مع الاشياء دائماً فاقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصور غيبته لانهدمت السموات والارض ولا أدرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على غما واحد في الشهادة لوحدة انية خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لابعض الاشياء في جميع الاوقات لابعض الاوقات ارتفعت المعرفة وخفى الطريق اذا الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فالاضد له ولا يفيض تشابه الاحوال في الشهادة فلا يبعد ان يخفى ويكون شفاؤه مشددة جلاله والغفلة عنه لاشراف نوره فسيحان من اختفى عن الخلق بشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره انتهى) فهذا هو السبب في قصور الافهام وأما من قويت بصيرته ولم تضعف فانه في حال اعتدال أمره لا يرى الا الله تعالى) مع الاشياء اوقبلها والثاني أعلى من الاول (ولا يعرف غيره يعلم انه ليس في الوجود الا الله وأفعاله أكثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا يرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه بسماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره) وهذا مقام الصديقين وذلك (كمن ينظر في شعر انسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج) اللذين بهما تركيب الخبر (مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فنظر اليه من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله وأحبه من حيث انه فعل الله لم يكن ناظر الا في الله ولا عارفا بالاله ولا يحبا الاله وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد) الذي تقدمت الاشارة اليه غير مرة (وأنه فني عن نفسه أيضاً واليه الاشارة بقول من قال كذبنا فغيبنا عنا) وفي نسخة فغيبنا عنا (فبقينا بالخن) وذكر السعد التفتازاني في الهيات شرح المتأصدين ان ابطال الحول والاتحاد وهما مذهبان آخوان يوهمان الحول والاتحاد وباسمائه في شيء الاول

السالك

الابائه ولا يحبا الاله وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى الا الله

بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كذبنا فغيبنا عنا فبقينا بالخن

فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للغرض الى الافهام وباشتغالهم بانفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم (٥٩٩) فهذا هو السبب في قصور الافهام عن

معرفة الله تعالى وانضم اليه أن المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدر كها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدرجاته ومحسوساته وأفقه فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الانس ولو فرض أنه بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة خفيف على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب بخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانحمال في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة قال الشيخ الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء ولا يحول في جوفضاء ساحات الغيب الامن خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود وتصاريح تجليات الاسماء والصفات في فسح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات ويراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله ويعلمكم الله انتهى (فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتادة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل) (في وصف التجلي والحمد

السالك اذا انتهى سلوكه الى الله وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضعحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود الا الله وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد واليه يشير الحديث الا الهى فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره وحينئذ بما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف منه بالمقال ونحن على ساحل الثمني نفترق من بحر التوحيد بدور الامكان ونعرف بانه طريق منافيه العيان دون البرهان الثاني ان الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلا وانما الكثرة في الاضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسرب اذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة ويتكرر في النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا ولا اتحاد لعدم الاثنية والغيرية انتهى وقد تقدم ان من الصديقين من قال ما رأيت شيئا الا رأيت الله معه ومنهم من ترقى فقال ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله قال المصنف في مشكاة الانوار روي عن الاصفهاني هذا الكلام بعض الشاذين ففهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل نقول بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء فانه يظهر كل شيء والمظهر لا يقارن المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهذا الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ان المظهر قبل المظهر وفوقه وانه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن أنه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي في درجاتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضا ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فاسكن علم رجال وكل ميسر (فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشككت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة لهم للغرض الى الافهام أو باشتغالهم بانفسهم واعتقادهم ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تعالى وانضم اليه ان المدرجات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدر كها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهوته وقد أنس بمدرجاته ومحسوساته وأفقه فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فعلا من أفعال الله تعالى خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعيا فقال سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها طول الانس ولو فرض أنه بلغ عاقلا ثم انقضت غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة خفيف على عقله أن ينبر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب بخالقها فهذا وأمثاله من الاسباب مع الانحمال في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة قال الشيخ الاكبر قدس سره في حقائق الاسماء ولا يحول في جوفضاء ساحات الغيب الامن خلص من قيود مدارك الفكر والحس ولا تزول ظلمة الشرك والريب الا بشهود وتصاريح تجليات الاسماء والصفات في فسح حظائر القدس وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات ويراد الشبهات بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى واتقوا الله ويعلمكم الله انتهى (فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره) وهو قول العامة ولده على كتفه وهو يدور عليه (والجليات) الواضحات (اذا صارت مطلوبة صارت معتادة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل) (في وصف التجلي والحمد

(لقد ظهرت فانتخفى على أحد * الاعلى أكمه لا يعرف القمر)

هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله كالدعوى الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا لجاره وهو يطلب جاره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتادة فهذا سر هذا الامر فليحقق ولذلك قيل لقد ظهرت فانتخفى على أحد * الاعلى أكمه لا يعرف القمر

وبروي لا يبصر القمر
وزاد صاحب القوت
قال وأنشد بعضهم في وصف التوحيد والتعزير بمعناه

لقد بطنت فلم تظهر لذي بصر * وكيف يدرك من بالعين مستترا
ليكن عرفت بما عرفت من خبر * وكيف يعرف من بالخبر مختبرا
فصرت أسعى لا تار لنا رسمت * وغابت العين لا رسمها ولا أثرا

ثم قال والكلام في التجلي والاحتجاب والجمع والاتصال لأرسنه في كتاب لانه يؤدب العقول فتتمفر منه فتطرحه وتضيق عنه القلوب فتقبض عليها فجمعه وانما أمله من قلب الى قلب أو عيه من عين الى عين وقال المصنف في المقصد الاسنى الظاهر الباطن وصفان من المضافات فان الظاهر يكون ظاهرا من وجهه وباطنا من وجهه ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا بل يكون ظاهرا من وجهه وباطنا من وجهه آخر وبالإضافة الى ادراكه فان الظهور والباطن انما يكون بالإضافة الى الادراكات والله سبحانه باطن ان طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال ظاهرا طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال فان قلت اما كونه باطنا بالإضافة الى ادراك الحواس فظاهر واما كونه ظاهرا بالإضافة الى ادراك العقل فغامض اذا الظاهر مالا يتخارى فيه ولا يخاف الناس في ادراكه وهذا ما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهرا فاعلم انه انما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره فكل ما جاوز عن حده انعكس على ضده ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستعبد له ولا تفهمه الا بمنال فاقول لو نظرت الى كلمة واحدة وكاتب يكتبها الاستدلال على كون الكاتب عالما قد راسمها بصيرا واستفدت منها اليقين بوجود هذه الصفات اذ لك الكاتب بل لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع بوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حتى ولم يدل عليه الصورة واحدة فكيف شهدت هذه الكامة شهادة قاطعة بصفات الكاتب فامن ذرة في السموات والارض من ذلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف الا وهى شاهدة على نفسها بالحاجة الى مدبر دبرها وخالق خلقها وقدرها وخصصها بخصوص من صفاتها بل لا ينظر الانسان الى عضون من أعضائه نفسه وجزء من أجزائه ظاهرا وباطنا بل الى صفته من صفاته وحالته من حالاته التي تجري عليه فغير اختياره الا وراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها وكذلك كل ما يدركه بحواسه في ذاته وخارجها من ذاته ولو كانت الاشياء مختلفة في الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلا للجميع ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت ونجست لشدة الظهور ومثاله ان أظهر الاشياء ما تدركه الحواس فأنظرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بنور البصر نور الشمس المشرق على الاجسام الذي به يظهر كل شيء كيف لا يكون ظاهرا وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الاشياء المتألونة ليس فيها الألوان انها فقط من سواد وجره فاما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مغارق اللون فلا وسوى هؤلاء انما تنبهوا على قيام النور بالمتألونات بالتفرقة التي يدركها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار فان الشمس لما تصور غيبتها بالليل عرف الفرق بين التأثر المستضيء بها وبين المظلم المحجوب عنها فعرف وجود النور بعدم النور اذا أضيف حالة الوجود الى حالة العدم فادركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين ولو طبق نور الشمس على الاجسام الظاهرة لشخص ولم تغب الشمس عنه حتى تدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيئا موجودا زائدا على الألوان مع أنه أظهر الاشياء بل هو الذي يظهر جميع الاشياء ولو تصور لله تعالى غيبة عن بعض الامور لانهم دمت السموات والارض وكلما انقطع نوره عنه ولا دركت التفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء كلها متفقة في الشهادات والاحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سببا لخطائه فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفى عليهم بشدة ظهوره فهو الظاهر الذي لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه انتهى وقال الشيخ الاكبر قدس سره في أول حقايق الاسماء لما ذكر أن الملائكة

ليكن بطنت بما أظهرت
مختبئا
فكيف يعرف من
بالعرف قدس ترا

الاعلى يطلبونه قال فاشترك نوع الانسان مع الملائة الاعلى في الطلب واختلغا في الكيفية فانهم يطلبونه بالانوار العقلية لكونهم عقولا مجردة وهو جلت عظمتهم محجب عن العقول فاني لهم ذلك قال ومن هذا النوع من يطلبه به ليكون الحق سمعه وبصره ومنهم من يطلبه بنظرة العقلى وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كتاب الدليل على حلاوة العسل ولذة الجامع من العنة وهذا شئ لا يقوم عليه دليل سوى الذوق وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لاولي الابصار فالوصول الى معرفة الذات المتعالية لا يمكن للعقل من حيث النظر لا يزيد الناظر الاحيرة وانما يعلم بالعلام الحق على الوجه الذى يليق بحاله لمن اختصه من عباده فن قال ان الحق جلت عظمتهم يعرف بدليل فانه يضرب في حديد بارد ومن هذا قال من قال العلم حجاب فالت بريد هذا القائل المصنف كما صرح به في كتاب الشريعة انتهى قال بريد العلم النظارى فاهل الله علموا الحق باعلامه تعالى لكون الحق علمهم لما كان سمعهم وبصرهم ومثل هؤلاء لو تصور فهم نظركم لكان الحق عين فكبرهم لكان لا يتصور من يكون مشهدة هذا أن يكون له فكر بل هو مع الفهم من ضروب الهام الحق من غير تفكير لا سهل ولا صفاته في صفات الحق ومن كان فهمه عن تفكير فاهو من أهل الذوق ثم قال عند ذكره الظاهر الباطن الظاهر لنفسه فما زال ظاهرا والباطن عن خلقه فلم يزل باطنا فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعبادة اعلم أن لاهل الكشف مرتبتين احدهما أعلى من الثانية فكامل يكون له به وهو السابق وعارف يكون له بنفسه وهو المقصد المتحقق بحقائق العبودية المتصف بجميع الاحوال والمقالب في اطوار المقامات وهو برزخ بين الكمال والنقصان فهو اذا تجلى له الحق من اسم الظاهر لم يثبت لظهوره لانه قائم للحقوق بنفسه ولم يثبت لظهور الحق الامن الحق بصره وأما الكامل فهو له به لانبغسه فله الثبات في كل موطن بالقوة الالهية السارية في ذاته فلا يبتغي حال ولا مقام يظهر به ويتصرف فيه فهو مالك الاحوال والمقامات لكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد في الخبر انما نحن به وله وهو يته الدائرة الوجودية والصاعدي في الدائرة معنى الهابط وما انقسمت دائرة الوجود الا بالخطا الموهوم ولا وجود لها وهو عين المقيد واذا كان الحق سمع المقيد وبصره ارتفع التقييد والخطا ولم يبق سوى الدائرة فهو الظاهر بنفسه لنفسه والمظهر لغيره ولكمال ظهوره وجلالة بروره أدرت شدة ظهوره خفاء فسبحان من احتجب بأشراق نوره واختفى عن العقول والابصار شدة ظهوره واما سر بطون الحق من اسم الباطن فهو ان يعلم أن رؤية الشئ تقتضى العلم به وهو علم الرائي انه رأى شيئا وما حاط علم بما رآه وعند أهل ٣ لا تنضب طرؤية الحق ولا ياضبط لا يقال فيه انه يرى أو يعلم فمأراه الامن رأى انه ما رآه ولا يعلم الامن علم انه ما علم فالجلب الالهية أيدام سدولة بينه وبين خلقه ولورفعت لاحرق سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه والجلب ان كانت مخلوقة فكيف لا تحرقه السبحات وان كانت غير مخلوقة فلا حجاب ولا احتجاب فالخلق فيها انها سر أخفاها الله تعالى عن خلقه سمي ذلك الاخفاء حجابا فالنور منها ما حجب من المعارف النظارية والظلمانية ما حجب به الامور الطبيعية والرسومية وليس الاندراج النور الادنى في الاعلى كاندراج أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس ولما كانت الاشياء تحفظ بالحدود فاذا جاوز الشئ خده انعكس ضده كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد القول والادراك بطن واستتر عن العامة فلم يظهر لهم الامر على ما هو عليه وحد العارفين في معرفته ان يعرفوا أنه لا يعرف اذ لو عرفوا لم يكن باطنا وهو الباطن والبطون يختص بالمكنات كما أن الظهور يختص بالوجود والبطون الذى وصف به نفسه انما هو في حق الممكن فلم يكن باطن الحق والحق ظاهرا لانه من بطون الحق ظهر الكون وبما ظهر استتر وفيما بطن ظهر فالظهور عين البطون لما ان الاسخريين الاول انتهى وقد انتهى الكلام على المحبة وما يتعاقبها ثم شرع المصنف في ذكر ما يثمر المحبة من الشوق والانس والرضا وغير ذلك مما سبغني بيانه الان صاحب القوت جعل الرضا مقام مستقلا من مقامات اليقين كمقام المحبة والشيخ أبو اسمعيل الهروي جعله ملحقا بمقام التوكل كالتسليم والتفويض قال لانهم آدابهم وذكر جملته أحوال في باب المحبة وعددها مقامات على طريق منازل العبد الى الله تعالى وفي الله تعالى حالا بعد حال وهذا اسمه البرق

٣ هكذا هو بالاصل

* (بيان معنى الشوق الى الله تعالى) * اعلم أن من انكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الاخبار والا تارأما الاعتبار فيكفي في اثباته ماسبق في اثبات الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى أمر والموجود لا يطلب (٦٠٢) ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلا

فلا يشاق اليه فان من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق اليه وما أدرك بكامله لا يشاق اليه وكما لا ادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوب به مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهه لا ينكشف الابطال من المشاهدات فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلوانغى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسبه لم يتصور أن يشاق اليه ولورآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد رآه في طلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتغام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه والثاني أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

والوجسد والنزق والالحظ والوقت والصفاء والنفس والفرق والغيب والسكن والفناء والبقاء والوجود والجمع والتعظيم والانس والقرب والسكينة والطمانينة والانبساط والاذلال والغيرة والشوق والوجد - دوله أحوال ثلاثة الدهش والهيجان والتمكين قال الكل محمد بن اسحق الصوفي وهذا الترتيب أول من ترتيب غيره لانه يحصل الجمع بين معرفتها وبين علم تدرجها في السلوك والمنزلات والله سبحانه يفض على كل عبد من عباده من تقديم وتأخير وقد يعطى الله بعض العارفين واحداً منها وقد يعطيه كلها ويعطى اضعاها الى ما لا نهاية له مما لا نعرف له وجوداً ولا رأياً له رسمها ولا سمعنا له ذكرها قال تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم

* (بيان معنى الشوق الى الله تعالى) * وهو غار المحبة وسئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان الشوق منها يتولد وهو أفضل من الانس ولذلك قدمه لان الانس قصر نظره على ما لا ينكشف له من جمال المحبوب ولم يمتد نظره الى استكشاف ما غاب عنه والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفته بان الذي انكشف له من الامور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالنور بالنسبة الى سعة الوجود لله المثل الاعلى (اعلم) وفقك الله (ان من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق) الى الله تعالى (اذ لا يتصور الشوق الا الى المحبوب) فاذا انتفت المحبة انتفى ما هو من غارها اذ لا محالة ان الثمرة تبع للعمر (ونحن نثبت وجوب الشوق الى الله تعالى) يا عجب أصل المحبة (وكون العارف مضطراً اليه بطريق الاعتبار فيكفي في اثباته ماسبق في اثبات الحب فكل محبوب يشاق اليه في غيبته لا محالة فاما الحاصل الحاضر فلا يشاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى طلب أمر) ونزول النفس اليه (والموجود لا يطلب) ولا تشوق اليه النفس (ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور الا الى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فاما ما لا يدرك أصلاً فلا يشاق اليه) لا تقطع الاطماع منه (فان من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق اليه وما أدرك بكامله لا يشاق اليه وكما لا ادراك بالرؤية) بحاسة البصر (فمن كان في مشاهدة محبوب به مداوما للنظر اليه لا يتصور أن يكون له شوق) روى القشيري عن بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسخر على الفرقة فاذا وقع اللقاء طفى واذا كان الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطررها الشوق وقبل ابعضهم هل يشاق فقال لا ان الشوق الى غائب وهو حاضر (ولكن الشوق انما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه وهو من وجهه لا ينكشف الابطال من المشاهدات فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالرؤية فلوانغى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسبه لم يتصور أن يشاق اليه ولورآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه الى استكمال خياله فكذلك قد رآه في طلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق الى استكمال رؤيته وتغام الانكشاف في صورته باشراف الضوء عليه والثاني أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

والثاني) أن يرى وجهه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً جيلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى ان ينكشف له مالم يره قط والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لزمان بالضرورة لكل العارفين فان ما تنضم للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح عندهم (فكانه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فان الخيلات

لا تفتقر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا فانما كمال
الوضوح بالمشاهدة وتتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة وجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد
نوعى الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا لما لا نهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى
أمور لانهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حاضر فلا يزال متشوقا
الى أن يحصل له أصل المعرفة فيمالم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة (٦٠٣) واضحة ولا معرفة غامضة والشوق

الاول ينتهى في الدار
الآخرة بالمعنى الذي
يسمى رؤية ولقاء
ومشاهدة ولا يتصور
أن يسكن في الدنيا
وقد كان ابراهيم بن
أدهم من المشتاقين فقال
قلت ذات يوم يارب ان
أعطيت أحدا من
المحبين لك ما يسكن به
قلبه قبل لقائك فأعطني
ذلك فقد أضربى
العلق قال فسرأيت في
النوم انه أوقفني بين
يديه وقال يا ابراهيم اما
استحييت مني ان تسألني
أن أعطيك ما يسكن به
قلبك قبل لقائي وهل
يسكن المشتاق قبل لقاء
حبيبه فقلت يارب نمت
في حبك فلم أدر ما أقول
فاغترى بوعلى ما أقول
فقال قل اللهم رضى
بقضاءك وصبرنى على
بلائك وأوزعنى
شكر نعمائك فان هذا
الشوق يسكن في

لا تفتقر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات) وأيضاً فإن الصور
تتنوع عليهم في تجليات المشاهدة مع أحادية العين في نفس الامر (وكذلك ينضاف اليها شواغل الدنيا)
وصورها (فانما كمال الوضوح بالمشاهدة) العيانية (وتتمام اشراق التجلي ولا يكون ذلك الا في الآخرة) حين
يبايع الكتاب أجله (وذلك بالضرورة وجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا أحد نوعى الشوق)
وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انضاحا لما (الثاني ان الامور الالهية لانهاية لها ولا حد لها ينتهى اليه) وانما
ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غامضة (والعارف يعلم وجودها
وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حاضر فلا يزال متشوقا الى أن يحصل له أصل
المعرفة فيمالم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلا لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة) كما هو مقتضى
الترقى والزيادة (والشوق الاول ينتهى في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور
ان يسكن) هذا الشوق (في الدنيا فقد كان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (من المشتاقين) وكانت له أما كن
من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عليه (فقال قلت ذات يوم يارب ان أعطيت أحدا من المحبين لك ما يسكن
به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضربى القلق قال فرأيت في النوم انه أوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما
استحييت مني ان تسألني ان أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه) أى هل
يسترجح المحب الى غير معشوقه قال (فقلت يارب نمت في حبك فلم أدر ما أقول فاغترى بوعلى ما أقول فقال قل
اللهم رضى بقضاءك وصبرنى على بلائك وأوزعنى شكر نعمائك) نقله صاحب القوت ورواه أبو محمد السراج
في مصارع العشاق بسنده الى ابراهيم بن عبد الله البطي عن ابراهيم بن أدهم قال وجدت يوما راحة وطاب قلبي
لحسن صنع الله واختباره لى فقلت فساقه الى قوله فلم أدر ما أقول وقد لاحظ هذا المعنى القطب أبو الحسن
الشاذلى قدس سره فادرج هذه الكلمات في خزنة الكبير مفرقة في موضعين منه وفيه اشعار بان الادب مع الله
مطلوب في كل حال فان الله تعالى قد يعرض عن محبيه تعزير ليرتجهم الشوق اليه ويقلقهم الاسف عليه
ويستخرج منهم لطف التعلق له ثم ينظر اليهم في اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظر واليه بحيث يعلمون
فيسكنون بالادب بين يديه (فان هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لافى
الدنيا ولا فى الآخرة اذنهاية أن ينكشف للعمى فى الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله
ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
انضاحا تاما (فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال
مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر
متوالية) أى متتابعة (الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا لا يباد وتكون لذة ما يتجدد من ألطاف
النعيم شاعلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيمالم يحصل به

الآخرة واما الشوق الثاني فيشبه أن لا يكون له نهاية لافى الدنيا ولا فى الآخرة اذنهاية أن ينكشف للعبودية فى الآخرة من جلال الله
تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لان ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالما بانه بقى من الجمال والجلال ما لم يتضح له
فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك
شوقا لذيذا لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدا أبدا لا يباد
وتكون لذة ما يتجدد من لطائف النعيم شاعلا عن الاحساس بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيمالم
يحصل فيه

كشفي في الدنيا أصلاً فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولا يكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعي بين أيديهم ويايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وبناتكم لنا نوراً واغفر لنا نحن نعلم ان الدنيا أصل النور ويحتمل أن يكون المراد به اتعالم (٦٠٤) النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو

المراد بتمامه وقوله تعالى انظر وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على أن الانوار لا بد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقاً فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطو ولم ينكشف لنافيه بعدما يوثق به فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً وورداً ويرينا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه * وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثرت من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك وقال أبو الدرداء لكعب أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً) وللفظ القوت طالع يقول الله تعالى طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً قال ومكتوب الى

الكشف في الدنيا أصلاً فاذا كان غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى نورهم يسعي بين أيديهم ويايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا نحن نعلم ان الدنيا أصل النور والمعنى وهو أن ينعم عليه بتمام النور ومهما تزود من الدنيا أصل النور (ويحتمل أن يكون المراد به اتعالم النور في غير ما استعار في الدنيا استعارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو المراد بتمامه) والاول اوفق بلفظ الاتعالم (وقوله تعالى انظر وناقبتس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار لا بد وان يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة اشراقاً فاما أن يتجدد نور فلا والحكم في هذا برجم الظنون مخطو) لانه من الامور الغيبية وليس للعقل فيها مجال (ولم ينكشف لنافيه بعدما يوثق به) ويعتمد عليه وانما نحن على بحر التمني (فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً وورداً ويرينا الحق حقاً) ويرزقنا اتباعه (فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه وأما شواهد الاخبار والآثار فأكثرت من أن تحصى فما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني أسألك الرضا بعد القضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك) رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد بلفظ اللهم اني أسألك الرضا بالقضاء ورد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وروى ابن أبي شيبة وأحمد من حديث عمار بن ياسر بلفظ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيري وما علمت الوفاة خيري اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك الاخلاص في الرضا والغضب وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيماً لا ينفد وأسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا ربنا بنة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وقال القشيري في الرسالة أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي أخبرنا أحمد بن عبيد البصري حدثنا ابن أبي قحاش حدثنا سمعيل بن زرارة عن حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بن عمار بن ياسر صلاة فاجزها فقلت خففت يا أبا اليقظان فقال وما على من ذلك فلقد دعوت الله سبحانه بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال اللهم بعلمك الغيب فساقه الا انه قال كلمة الحق بعد كلمة الاخلاص وقال نعيماً لا يبيد بدل لا ينفد وقال بعد القضاء كما عند المصنف والباقي سواء وقدرناه أيضاً ابن الجارفي تاريخه هكذا وروى أبو نعيم في الحلية من حديث الهيثم بن مالك الطائفي اللهم اجعل حبك أحب الاشياء الي واجعل خشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك واذا أقررت أعين أهل الدنيا في دنياهم فافقر عيني من عبادتك (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (لكعب) الاخبار رجع الله تعالى (أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال يقول عز وجل طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً) وللفظ القوت طالع يقول الله تعالى طالع شوق الابرار الى لقائهم لا شد شوقاً قال ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا في أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود ابلغ أهل أرضي اني حبيب لمن جالسني وأبليس لمن أنس بذكرى) وللفظ القوت مؤنس لمن أنس بذكرى وأبليس لمن أنس بي (وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني

جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا في أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال يا داود ابلغ أهل أرضي اني حبيب لمن جالسني وأبليس لمن أنس بذكرى ومونس لمن أنس بي وصاحب لمن صاحبتني ومختار لمن اختارني ومطيع

ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبلته لنفسه وأحبيته حباً لا يتقدمه أحد من خلق من طلبة الحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي واتسوا بي أو أنسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي (٦٥٥) وخلقت قلوب المشتاقين من نوري

ونعمتها بحالها وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبههم وبشتاقون الى وأشتاق اليهم ويدكروني وأذكروهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حدوث طريقتهم أحببتك وان عدت عنهم مقنك قال يارب وماء علامتهم قال يارب وعون الظلال بالنهار كما راعى الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاجوبهم بنور وجهي فحبه كبر ويناعنه في خبر موسى عليه السلام اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فانه تعالى لا ينظر الى الاجسام والنفوس لانهم من الدنيا وهو لا ينظر اليها انما ينظر الى الاعمال والقلوب لانهم من الآخرة وهو ينظر اليها بعينه فتزداد اشراقاً وحسنه عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الا الى قلوب المؤمنين واعمالهم فبنوره رأوه فاما العموم فقلوبهم كاجسادهم واعمالهم شبه قلوبهم فانه تعالى ينظر اليهم كظنهم الى الدنيا بعين التدبير والتقدير فعرفهم بظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات والاسماء فهم عرفوه بالمالك والحكمة وشهدوه بالقدم والازلية عن معنى ما نظره اليهم فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلما وسبحان من نظر الى من يحب بالوصف الذي يحب فاحبوه عن نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع عن مقام المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيم في غير مشوقه المشتاقون مقررون بما شهدوا من الشوق وهم المأمورون بطلبهم الموجود الحبيب عندهم مشوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله موسى عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلى المشتاقين من أجلى المحبين ثم قال مقام الشوق في المحبة يجمل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصفه الا اننا ذكرنا من ذلك ما سمعناه فلا تنكرون لاحياء الله وأوليائه فضلا ولا تخرجن فيه بالتدبير والقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما شمل حالهم ووجدتهم يحبهم كل فضل (و) قدر وينا (في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبلته لنفسه وأحبيته حباً لا يتقدمه أحد من خلق من طلبة الحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي واتسوا بي أو أنسكم وأسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي (٦٥٥) وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بحالها وروى عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبههم وبشتاقون الى وأشتاق اليهم ويدكروني وأذكروهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حدوث طريقتهم أحببتك وان عدت عنهم مقنك قال يارب وماء علامتهم قال يارب وعون الظلال بالنهار كما راعى الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطائر الى وكره عند الغروب فاجوبهم بنور وجهي فحبه كبر ويناعنه في خبر موسى عليه السلام اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها فانه تعالى لا ينظر الى الاجسام والنفوس لانهم من الدنيا وهو لا ينظر اليها انما ينظر الى الاعمال والقلوب لانهم من الآخرة وهو ينظر اليها بعينه فتزداد اشراقاً وحسنه عن نوره وحسنه ثم لا ينظر الا الى قلوب المؤمنين واعمالهم فبنوره رأوه فاما العموم فقلوبهم كاجسادهم واعمالهم شبه قلوبهم فانه تعالى ينظر اليهم كظنهم الى الدنيا بعين التدبير والتقدير فعرفهم بظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات والاسماء فهم عرفوه بالمالك والحكمة وشهدوه بالقدم والازلية عن معنى ما نظره اليهم فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلما وسبحان من نظر الى من يحب بالوصف الذي يحب فاحبوه عن نظره فاما الشوق فانه مقام رفيع عن مقام المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيم في غير مشوقه المشتاقون مقررون بما شهدوا من الشوق وهم المأمورون بطلبهم الموجود الحبيب عندهم مشوبة منه لهم لما شوقهم اليه في قوله موسى عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلى المشتاقين من أجلى المحبين ثم قال مقام الشوق في المحبة يجمل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح ان نصفه الا اننا ذكرنا من ذلك ما سمعناه فلا تنكرون لاحياء الله وأوليائه فضلا ولا تخرجن فيه بالتدبير والقياس عقلا فقد جاوز مقامهم كل عقل كما شمل حالهم ووجدتهم يحبهم كل فضل (و) قدر وينا (في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

في قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحداً ما أريد أن أعطيهم في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الى قال يارب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الى خرقا ينظرون

من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديعنا عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر إلى جلال وجهك وقال الآخر سألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقاي عن الاشتغال بالآخر فخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أوليائك فامن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (٦٠٧) فقال داود ياربم نالوا هذا منك قال

بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقر به من نور وجهي ان مرض مرضته كما تعرض الوالدة لدهاوان الشفقة ولدهاوان عطش أرويته واذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يادادود عبت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها اليه لا يفتر عن الاشتغال لي يستعجلي القدوم وأنا أكره ان أميته لانه موضع نظري لا يرى غيري ولا أرى غيره فلو رأيت يادادود وقد ذابت نفسه ونخل جسمه ونهشمت أعضاؤه وانخل قلبه اذا سمع بكري أباهي (به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا) قال صاحب القوت بعد ان ساقه بطوله فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق عن درجان الحب ومراتي المعارف والوجد فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجدوه وعبر عن وجهته به دل بذلك على حاله وأخبر به عن سره قال وقد أحببت ان أشرح أحوالهم وأفصل مواجدهم واكشف سرائر مراتبهم وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكيتهم ويعز على اني لا أستطيع ذلك ولا يصح رسمه في كتاب لان الكتاب يتداول والرسم يشغله فتعذر ذلك على وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة انكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل اذ هو حجاب اليقين فاذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفنا ما قصرت عنه أوهامهم ولم يكفهم قط أفهامهم تفاوت الامر عليهم فاوهم ضبطه ونشئت به قلوبهم فلم تجتمع على حفظه ولو كان الطريق القاصد إلى الله تعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبه اللذين هما سبب هذا الفضل هو رفض الدنيا وأبنائهم فهو أصل كل مرتبة عالية كما ان حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهت (وفي أخبار داود) عليه السلام (أيضا) يادادود (قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي فان كنت تحبني فانك تحبني فان حب الدنيا من قلبك فان حبني فاحبها لا يجتمعان تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فانك تحبني فان حب الدنيا من قلبك فان حبني فاحبها لا يجتمعان

من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديعنا عندنا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامن علينا بالنظر إلى جلال وجهك وقال الآخر سألك من بينهم أن تعمى عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقاي عن الاشتغال بالآخر فخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب أوليائك فامن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتكم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي (٦٠٧) فقال داود ياربم نالوا هذا منك قال

أعضاءه وانخل قلبه اذا سمع بكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزاد خوفا وعبادة وعزتي وجلالي يادادود لا قعدنه في الفردوس ولا شفين صدره من النظر إلى حتى يرضى وفوق الرضا وفي أخبار داود أيضا قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ماضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى بعبون قلوبكم وماضركم ماز ويت عنكم من الدنيا اذا بسطت ديني لكم وماضركم مسخطة الخلق اذا التمس رضائي وفي أخبار داود أيضا ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فانك تحبني فان حب الدنيا من قلبك فان حبني فاحبها لا يجتمعان

في قلب ياداو دخالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا بخالطة ودينك فقلد نيم ولا تقلد دينك الرجال اماما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واماما أشكل عليك فقلد نيمه حقا على اني اسارع الى سياستك وتقويمك واكون قائداً ودليلك اعطيك من غير ان تسألني واعينك على الشدايد واتى قد حلفت على نفسي اني لا ائيب الاعداء قد عرفت من طلبته وارادته القاء كفنه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطعن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وركته اليها الضف الاشياء الى التضاد عما كنت تكون (٦٠٨) متعبيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة

في قلب واحد ياداو دخالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا بخالطة ودينك فقلد نيم ولا تقلد دينك الرجال أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به واماما أشكل عليك فقلد نيمه حقا على اني اسارع سياستك وتقويمك وأكون قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدايد واتى قد حلفت على نفسي اني لا ائيب الاعداء قد عرفت من طلبته وارادته القاء كفنه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعته الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فاني قد جعلت على نفسي ان لا يطعن عبد الى نفسه ينظر الى فعالها الا وركته اليها الضعف الاشياء التي لا تضاد عما كنت تكون متعبيا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد معرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر الى بصير (ضعني بين عينيك وانظر الى بصير) ولفظ القوت بعين (قلبك ولا تنظر بعينيك التي في رأسك الى الذين حجت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفزع ثوابي لبعيد دخل في طاعتي للتجربة والتسويق تواضع لمن تعلم ولا تطاول على المريد مني فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاء يشون عليها ياداو دلان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبتك عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداو تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهرته عنها ياداو ولا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريد استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداو تدحج الى بعادة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداويلك مداواة) ولفظ القوت انما أداريك مداواة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وانت متمسك بطاعتي) قال صاحب القوت بعد ان ساق بطوله واعلم ان كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه لان وجود العبد لمحبة الله تعالى علامة غيب محبة الله له يتبين ذلك الغيب من الله تعالى في الشهادة من عنده ثم ان كل عبد أحبه الله فمن حيث أحبه الله كما انه عرفه من حيث واجهه وكل من خدمه وتأذبه بين يديه وعبدته وتعبده بجمعني من معاني العبادات فذلك هو معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات لا يمكننا شرح ذلك الا انه كما تقول في الدعاء الى الله تعالى والادلة عليه والطريقين للعباد اليه ان كل داع ودليل دعا الى الله فمن حيث دعاه الله تعالى اليه ودل على الله فمن حيث دل عليه وطرق اليه سبيل العبادات وسهل منهاج النقيات فمن حيث طرقه الله تعالى وسهل له السبيل اليه (وأوحى الله تعالى الى داود) عليه السلام (ياداو دلو بعلم المدبرون عني كيف انتظاري

اعطك ولا تجد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمني بين عينيك وانظر الى بصير قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك الى الذين حجت عقولهم عني فامرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفزع ثوابي لبعيد دخل في طاعتي للتجربة والتسويق تواضع لمن تعلم ولا تطاول على المريد مني فلو علم أهل محبتي منزلة المريد عندي لكانوا لهم أرضاء يشون عليها ياداو دلان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيدا ومن كتبتك عندي جهيدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين ياداو تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهرته عنها ياداو ولا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريد استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداو تدحج الى بعادة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداريك مداواة) ولفظ القوت انما أداريك مداواة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وانت متمسك بطاعتي)

فاقة الى المخلوقين ياداو تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحتي أقطع شهوتك فانما أبحث الشهوات لضعة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهرته عنها ياداو ولا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بشكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريد استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي في الصوم ادمانه ياداو تدحج الى بعادة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وتري الحجب بيني وبينك مرفوعة انما أداريك مداواة) ولفظ القوت انما أداريك مداواة (لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني أحبسه عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تعالى الى داود ياداو دلو بعلم المدبرون عني كيف انتظاري

لهم وورثيهم وشوقي الى ترك معاصيهم لما تواشوا قالوا في وقفات اوصالهم من محبتي ياد اود هذه ارادني في المدير من عني فكيف ارادني في المقبلين على ياد اود احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعدي (٦٠٩) اذا اذبر عني واجل ما يكون عني اذا

رجع الى فهذه الاخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانسا وانما تحقيق معناها يكشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك

ولتقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال تعالى ان الله يحب

التوايين ويحب المتطهرين ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى انس

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى عبد لم يضربه ذنب والنائب من الذنب كن لذنبله ثم تلان ان الله يحب

التوايين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضربه الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضرك الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله

لهم وورثيهم وشوقي الى ترك معاصيهم لما تواشوا قالوا في وقفات اوصالهم من محبتي ياد اود هذه ارادني في المدير من عني فكيف ارادني في المقبلين على ياد اود احوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعدي (٦٠٩) اذا اذبر عني واجل ما يكون عني اذا رجع الى فهذه الاخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانسا وانما تحقيق معناها يكشف بما سبق

(بيان محبة الله للعبد ومعناها)

(اعلم) ارشدك الله تعالى (ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ولتقدم الشواهد) الدالة (على محبته) تعالى له (فقد قال الله تعالى) يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ثم قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فهذا الخبر هو متصل بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضلهم وما بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين (وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) كلهم بنيان مرصوص وقد روى في الخبر ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار (وقال تعالى ان الله يحب التوايين ويحب المتطهرين ولذلك رد الله سبحانه على من ادعى انه حبيب الله) واحج عليهم (فقال قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد روى) اسمعيل بن ابي زياد عن ابي انس (انس) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبد لم يضربه ذنب والنائب من الذنب كن لذنبله ثم تلا ان الله يحب التوايين) ويحب المتطهرين كذا في القوت قال العراقي ذكره صاحب الفردوس ولم يخبر به ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة انتهى قلت رواه بتمامه ابن ابي الدنيا والقشيري في الرسالة وابن النجار في تاريخه قال القشيري حدثنا ابو بكر بن فورك اخبرنا احدث بن محمود بن خوزاد حدثنا محمد بن الفضل بن جابر حدثنا سعيد بن عبد الله حدثنا احدث بن زكريا حدثنا ابي قال سمعت انس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التائب من الذنب كن لذنبله واذا احب الله عبد لم يضربه ذنب ثم تلان ان الله يحب التوايين ويحب المتطهرين قبل يارسول الله ما علامة التوبة قال الندامة وتقدم في التوبة (ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضربه الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضرك الكفر الماضي بعد الاسلام) فقد ورد الاسلام يحب ما كان قبله رواه ابن عساکر من حديث خالد بن الوليد ورواه ابن سعد من حديث الزبير بن العوا وايضا من حديث سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جده رفعه (وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كذا في القوت (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدينيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب) قال العراقي رواه أحمد وصححه اسناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله

الله ومن أكثر ذكر الله اجبه الله وقال عليه السلام قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى اجبه فاذا احبته كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعلم ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجازاذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء الموافق والعشوق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجلال والاحسان نارة يدرك بالبصر ونارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر فاما محبة الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسمي كلها اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غيره الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق

رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله (قال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد حسن دون قوله ومن أكثر الخ فرواه أحمد وأبو يعلى بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة انتهى قلت ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أجبه الله وروى الشطر الاول والثاني في سياق المصنف ابن منده وأبو عبيد من حديث أويس بن خولى والشطر الاول فقط أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة والشطر الاخير فقط ابن شاهين من حديث عائشة (وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أجبه فاذا أحبته كنت سمعته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث) أوله من آذى لي ولبياء فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبدي بشئ أفضل من اداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي الخ وتماه ويده التي يبطش بها ورجله التي تمشي بها فلئن سألتني أعطيتهم ولئن استعاذني لأعذنه وما ترددت في شئ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته رواه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن أبي غر عن عطاء عن أبي هريرة قال الذهبي هو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك عن عطاء وتفرد به خالد عن سليمان ورواه أبو نعيم في أول الحلية من طريق ابن المؤمل والسراج كلاهما عن ابن كرامة وقد تقدم قريبا (وقال زيد بن أسلم) العدو مولا هم التابعي الثقة وكان كثير الارسال (ان الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعلم ما شئت فقد غفرت لك) كذا في القوت (وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر) فمن مشهور ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة اذا أحب الله عز وجل عبدا نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادى جبريل في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي الحلية من حديث أنس اذا أحب الله عبدا قذف حبه في قلوب الملا ثمك الحديث (وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجازاذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء) الملاثم (الموافق والعشوق) الذي هو أحدم مراتبها (عبارة عن الميل الغالب المفرط) المتجاوز عن الحد وقد اختلف في اطلاقه وقد أنكره جماعة من العلماء في الرسالة للقشيري سمعت أبا علي الدقاق يقول العشق مجاوزة الحد في المحبة والحق لا يوصف بأنه يجاوز الحد فلا يوصف بالعشوق ولو جمع الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحسان قدر الحق فلا يقال ان عبدا جاوز الحد في محبة الله ولا يوصف الحق بأنه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه ففني العشق ولا سبيل له الى وصف الحق لامن الحق للعبد ولا من العبد للحق انتهى والذي يقتضيه سياق المصنف هنا وفي بعض مواضع أخر سبق من الكتاب جواز اطلاقه في وصف العبد مع الله تعالى وقال صاحب القوت وقد كان أبو يزيد وأبو شعيب المقتفع وسري بن مفلس وأبو عبد الله بن الجلاء والجنيد بعدهم رجهم الله تعالى يذكرون العشق في مقامات خليل ومحب وزاد أبو يزيد ذكر العشق في مقام وجعله معشوقا وقد كان يشير بذلك ويظهره عن نفسه لنفسه كلهم يريدون وصفان الحب مخصوصا لآعن فعل ولا سبيل بل لوصف تعالى به ثم قال الآن هذا ليس من معارف العامة ولا تهدي اليه قلوبهم ولا يقدر في جوهر عقولهم وليست صفاتهم مكانا لهذا ولا أخلاقهم مخلقة عليهم ولا علومهم نافذة فيه فذكره مذكر لان العقول تنكره والقلوب تنجحه والهمم لا تسرى فيه فلذلك كان طمعه أحسن من نشره وانما ينتسخ من قلب الى قلب وقدر وينال فقط من هذا المقام في أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تزعم انك منقطع الى وتدعى عشقي وتسمى الظن بي وقد تقدم باقيه (وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس والجمال موافق ايضا وان الجلال والاحسان نارة يدرك بالبصر ونارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر) هذا ظاهر في حب العبد لله تعالى (فاما محبة الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى أصلا بل الاسمي كلها اذا أطلقت على الله تعالى وعلى غيره الله) لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو أعم الاسماء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد

من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساويا لوجود المتبرع وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيهما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه قال السيد الشيرازي في الرسالة الوجودية التي عبر عنها بعض العارفين بالفارسية مانصه اعلم أن الوجود له مراتب الأولى وجود مستفاد من الغير وهو المشهور عند العقلاء في الماهيات الممكنة فهذا الابد من ثلاثة أشياء أحدها ذات ماهية الممكن والثاني وجود وهو مستفاد من الغير والثالث هو الغير مفيض الوجود على الماهية ولا شك أن انفكاك الوجود في هذه الموجودات بنظر ذاتها جائز بل واقع الثانية ذات تقتضي وجودا من حيث أن انفكاكه محال كوجود واجب الوجود عند جمهور المتكلمين فهذه الابد من الاثنينية أحدها ذات الواجب والثاني وجود وهو المستفاد منها وانفكاك الوجود من هذه الموجودات محال لكن باعتبار مغايرتها للذات في التصور يمكن انفكاكه الثالثة موجود بوجده وذاته عينه وقائم بذاته لا بغيره حقيقة الوجود في هذه المرتبة لا يكون إلا أمرا واحدا وهو موجود ووجود الأشياء موجود منه فلا اتحاد الوجود والذات انفكاك التصور محال وفي الوجودية فوق هذه المرتبة لا يمكن التصور وهذا كمال الواجب الوجود عند المتكلمين وعند الطائفة الصوفية واجب الوجود وجود بحت يعني في واجب الوجود لا يكون شيئا ذات وجود هو عارض لها بل واجب الوجود هو ذات محض قائم بذاته وهم مع الطائفة الأولى متفقون عليه بهذا المقدار ولم يقولوا الوجود عين الموجود هذا يفهم من بديهيات العقل لا يمكن الوجود أعلى وأقوى من هذه المرتبة وإن كان يمكن هذه المرتبة فورية الوجود لا بد هو واجب الوجود لا هذا وأرباب النظر يقولون العقل يحكم حقيقة واجب الوجود ينبغي أن يكون وجود واجب الوجود لا ينبغي أن يكون كليا يعني لا يكون كليا وعموم عارض له لأنه إن كان كليا لابدان يكون في الخارج له صورة فيلزم أن يكون واجب الوجود مكملا كلى وتعين التركيب على واجب الوجود محال بل ينبغي لو واجب الوجود أن يكون في حد ذاته متعينا وتعينه عين ذاته حتى لا يتصور بوجه من الوجوه التركيب والتعدد فينبغي أن يكون الواجب قائما بذاته وإن كان قائما بالغير فيكون محتاجا إليه ونسبة الاحتياج إلى الواجب محال بل تصور الاحتياج إليه كفر فلزم أن تكون حقيقة الوجود عين الواجب حقيقة الوجود بذاته يكون متعينا حقيقيا وقائما بذاته فحينئذ تعد حقيقة الوجود بحسب الأفراد وعروض حقيقة الوجود الماهيات الممكنة من المحالات وقد فهم من هذا أن واجب الوجود وجود مطلق والمراد بالمطلق أن لا يكون عارض الماهية بل قائم بذاته ومقيد بتعيينه بذاته متعين ومقيد وإن إطلاق الوجود على غير واجب الوجود مجاز لأن الوجود عارضه ولا جزؤه ولا عينه بل موجودية الأشياء لها تعلق به وله أثر فيها ولا يكون الوجود لها عارضا ولا فيها هذا كلام أرباب البحث والنظر والعقل والصوفية يقولون عندنا طريق غير طريق العقل وهو المكاشفة والعقل فيها عاجز وقد تقر عندنا أن حقيقة الوجود عين واجب الوجود وهو لا كلى ولا جزئي ولا خاص ولا عام بل مطلق من جميع القيود حتى من قيد الإطلاق أيضا وهذه الحقيقة في جميع الأشياء تنصف بوجوه التجلي والظهور يعني لا تكون الأشياء خالية عنه وإن كانت خالية من حقيقة الوجود فإن لوحظت باعتبار الإطلاق المذكور سميت أحادية الجامعة وباعتبار عدم القيود والتعينات سميت أحادية الصرفة اهـ (وهذا التباعد في سائر الاسامي أظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيره فكل ذلك لا يشبهه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الاسامي أولا للخلق فان الخلق أسبق إلى العقول والافهام من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل) قال المصنف في المقصد الاسني وكان إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولا أن أنفسنا ولم نعرفه إلا بأنفسنا إذا لم لا يتصور أن يفهم معنى قولنا أن الله جميع والا كما لا يعرف معنى قولنا أنه بصير وكذلك إذا قال القائل كيف يكون الله عالما بالأشياء فنقول له كما تعلم أنت أشياء فإذا قال كيف يكون قادر فنقول كما تتدبر أنت فلا يمكنه أن يفهم شيئا إذا كان فيه

من وجود الله تعالى
فالوجود التابع لا يكون
مساويا للوجود المتنوع
وإنما الاستواء في إطلاق
الاسم نظيره اشتراك
الفرس والشجر في اسم
الجسم إذ معنى الجسمية
وحقيقتها متشابهة فيهما
من غير استحقاق
أحدهما لأن يكون فيه
أصلا فليست الجسمية
لاحدهما مستفادة من
الآخر وليس كذلك
اسم الوجود لله ولا خلقه
وهذا التباعد في سائر
الاسامي أظهر كالعلم
والارادة والقدرة وغيرها
فكل ذلك لا يشبهه فيه
الخالق الخلق وواضع
اللغة إنما وضع هذه
الاسامي أولا للخلق فان
الخلق أسبق إلى العقول
والافهام من الخالق
فكان استعمالها في
حق الخالق بطريق
الاستعارة والتجوز
والنقل

والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملامح هذا الخيال تصوري في نفس ناقصة فانها ما وافقها فتستفيد بنيله كالاتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال (٦١٢) وجمال وبها هو جلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا

ما يناسبه فيعلم أولا ما هو متصف به ثم يعلم غيره بالمناسبة اليه فاذا كان لله وصف وخاصية ليس فيها ما يناسبه ويشاركة ولو في الاسم لم يتصور فهمه ألبتة فاعرف أحد الانفسه ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتعالى صفات الله تعالى وتقدس عن ان تشبه صفاتنا (والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى موافق ملامح وهذا الخيال تصوري في نفس ناقصة فانها ما وافقها فتستفيد بنيله كالاتلذذ بنيله وهذا محال على الله تعالى فان كل جلال وكمال وبها هو جلال يمكن في حق الالهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المبهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الانفسه على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره فن لا يحب الانفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز ربه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو لذا يحب الانفسه) هذا من حيث الحقيقة (وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ورجع معناه) اما الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه (أي بعين بصيرته الباطنة (و) اما (الى تمكينه اياه من القرب منه) اما (الى ارادته ذلك في الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى) في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة (ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه) وقد تقدم علمه قريبا (فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه) فمحبته العبد لله لاجل حب الله له ووجد الله لعبده من أجل حبه له فالسعداء من العباد محببون محبودون من الله والله محمود منهم ومحمد الله نالوا جده كما نالوا بحبه لهم حبه وهو معنى قوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه قال القشيري في الرسالة المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها العبد وأخبر عن محبته للعبد فانه سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة على لسان العلماء هي الارادة وليس مراد القوم بالمحبة الارادة فان الارادة لاتتعلق بالقديم اللهم الآن يحمل على ارادة القرب اليه والتعظيم له ثم قال فمحبته الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رغبته ارادة الانعام فالرغبة أخص من الارادة والمحبة أخص من الرغبة فارادة الله تعالى أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رغبة وارادته بان يخصه بالقربة والاحوال العلية يسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة فحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعوموم النعم تسمى رغبة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وقوم قالوا لمحبة الحق للعبد مدحه له ونشأه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه كلامه قديم وقال قوم محبة للعبد من صفات فعله فهو احسان مخصوص يلقي العبد به حالة مخصوصة برقيه اليها كما قال بعضهم ان رغبته بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا لمحبة من الصفات الخيرية فاطلقوا اللفظ وتوقفوا على التفسير فاما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالليل الى الشيء والاستئناس بالشيء وكما له يجدها الحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اه المقصود منه وقوله فان الارادة لاتتعلق بالقديم أي الارادة من العبد وهذا بناء على ان أثرها التخصيص فلا

ولا يتصور تجرده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه غيره بل نظره الى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وأفعاله ولذلك قال الشيخ أبو سعيد المبهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم فانه ليس يحب الانفسه على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره فن لا يحب الانفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز ربه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذا لا يحب الانفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ورجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من القرب منه والى ارادته ذلك به في الازل فحبه لمن أحب أزلى مهما أضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب واذا أضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى لا يزال عبيد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالنوافل سبيبا في اصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

تتعلق

تتعلق
بباطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه

ولا يفهم هذا الابدال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما ليخضره بقوته أو ليرجح بمشاهدته أو ليستشير في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشربه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للملائمة وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالا تتفاجعه ولا لا تستجد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والحاصل الجيدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك واخر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الحاصل الجيدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل (٦١٣) وحجب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني

انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق فهمك لدخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات الهائم والسباع والشیاطين والتخلق بكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فيما ينظر بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازل ولا ينكشف هذا الا بمثال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لانهاية في كماله وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

تتعلق بالقديم كالاتفاق بالمستحيل وحاصل ما ذكره من الاقوال أربعة وهي ترجع الى قولين الارادة والكلام لرجوع الفعل الى الارادة والخبرية الى الكلام (ولا يفهم هذا الابدال وهو ان الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه) والمثول بين يديه (لميل الملك اليه اما ليخضره بقوته أو ليرجح بمشاهدته أو ليستشير في رأيه أو ليهيئ أسباب طعامه وشربه فيقال ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق للملائمة وقد يقرب عبدا ولا يمنع من الدخول عليه لالا تتفاجعه ولا لا تستجد) في خدمته (واكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق الرضية والحاصل الجيدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك واخر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه واذا اكتسب من الحاصل الجيدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل) الى الملك فحب الله تعالى (العبد انما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد من صفات الهائم والسباع والشیاطين) من الخرص والطمع والكبر والغضب والشهوة وغيرها من الرذائل (والتخلق بكارم الاخلاق) ومحاسنها (التي هي الاخلاق الالهية) وقد تقدم ذكرها (فهو قرب بالصفة لا بالمكان) فان قلت طاهره يشير الى مشابهة بين العبد وبين الله تعالى لانه اذا تخلق باخلاقه كان شبهه له ومعالمه شرعا وعقلانه تعالى ليس كمثل شيء وانه لا يشبهه شيء قلت لا ينبغي أن يظن ان المشاركة بكل وصف توجب المماثلة بل المماثلة عبارة عن المشاكلة في النوع والمماثلة والخاصة الالهية لا يتصور فيها مشاركة البتة (ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فيما ينظر بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازل ولا ينكشف هذا الابدال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب) من الله تعالى (فكما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان) والنفس (وقع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لانهاية في كماله وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

ثابتا فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر) فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى (بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ بطالب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله والاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تليذه والتليذ متحرك مترق من حضيض الجهل الى ارتفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى أن يقرب من أستاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب فكلما صار أكمل صفة وأتم علما واحاطة بحقائق الامور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله نعم قد يقدر التليذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله تعالى محال فانه لانهاية في كماله وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له في المساواة

في درجات القرب تتفاوت تفاوتاً بالانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فإذا حجة الله للعبد تقر به من نفسه يدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى ذلك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقده فلا حرج يشتاق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يأنزبه والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى فإن قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف (٦١٤) العبد العبد أنه حبيب الله فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب

الله عند ابتلاء فأحب
الحب البالغ اقتناه قيل
وما اقتناه قال لم يترك له
أهلاً ولا مالا فعلامته محبة
الله للعبد أن يوحشه من
غيره ويحول بينه وبين
غيره قيل لعيسى عليه
السلام لم لا تشتري جارا
فتركبه فقال أنا أعز
على الله تعالى من أن
يشغاني عن نفسه بحمار
وفي الخبر إذا أحب الله
عبد ابتلاه فان صبر
اجتبه فان رضى اصطفاه
وقال بعض العلماء إذا
وأيتك تحبه ورأيت
يتليك فاعلم أنه يريد
وصافيك وقال بعض
المريدين لا ستأذ قد
طولت بشي من المحبة
فقال يا بني هل ابتلاك
بمحبوب سواء فاشترت
عليه آية قال لا قال فلا
تطمع في المحبة فانه لا
يعطيها عبدا حتى يبلوه
وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا أحب
الله عبدا جعل له واعظا
من نفسه وزاجرا من
قلبه يأمره وينهاه وقد
قال إذا أراد الله بعبدا

عن المجاوزة (ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً بالانهاية له أيضاً لاجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال) وسبب ذلك تفاوت درجات القرب بتفاوتهم في درجات المعرفة وإنما كان هذا التفاوت لانهاية له لان ما لا يقدر الا آدمي على معرفته من معلومات الله تعالى لانهاية له وما يقدر عليه أيضاً لانهاية له وان كان ما يدخل في الوجود منه متناهياً ولكن مقدور الا آدمي من العلوم لانهاية له وان كان ما يدخل في الوجود متناهياً نعم الخارج إلى الوجود متفاوت في القلة والكثرة وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة والكمال والقرب (فإذا حجة الله للعبد تقر به من نفسه يدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى ذلك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه) وعري عنه (فاقد له فلا حرج يشتاق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يأنزبه والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى) فليست محبة العبد له متضمنة ميلاً ولا احتفاظاً كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللعوق والدرك والاحاطة (فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف العبد أنه حبيب الله تعالى فاقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان أحب الله الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالا) هكذا هو في القوت وقد رواه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم قريباً (فعلامته محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره) فلا يشغله بسواه (قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري جارا فتركبه) فانه كان كثير السباحة على رجليه والقائل له بعض الخواريين (فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلي عن نفسه بحمار) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن ثابت البناني قال قيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت جارا تركته فقال أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلي به (وفي الخبر إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه) هكذا في القوت وقال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولده في مسنده (وقال بعض العلماء إذا رأيتك يحب الله ورأيتك يتليك فاعلم أنه يريد بصافيك) كذا في القوت ويشهده ما رواه البيهقي في الشعب من مرسل سعيد بن المسيب إذا أحب الله عبدا أصق به البلاء فان الله يريد أن يصافيه (وقال بعض المريدين لا ستأذ قد طولت بشي من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواء فاشترت عليه آية قال لا قال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه) أي يختبره كذا في القوت (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبدا اه قلت وليس عند الديلمي قوله زاجرا من قلبه (وقد قال) صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبدا خيرا بصره يعيب نفسه) قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك بزيادة فيه باسناد ضعيف وقد تقدم (فأخص علاماته حبه لله تعالى فان ذلك يدل على حب الله) له (وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهه فيكون هو المشير عليه المدبر لأمره) والمزكي لفعله (والمزين لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بأداة المنجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله تعالى) للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

بصره يعيب نفسه فأنص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهه فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لآخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بأداة المنجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فانها أيضاً علامات

حب الله للعبد * (القول في علامة محبة العبد لله تعالى) * اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى فلا ينبغي أن يقترب الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يتجنى بالعلامات (٦١٥) ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة

شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وغارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوا الأويحب مشاهدته ولقاءه واداعلم أنه لا وصول إلى لقائه إلا بالارتحال من الدنيا ومقارقتها بالموت فينبغي أن يكون محبا للموت غير فارم منه فإن الحب لا ينقل عليه السفر من وطنه إلى مستقر محبوه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة) ومن هنا قالوا الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وروى الديلمي من حديث عائشة الموت غنيمة وروى المارقاني من حديث جابر الموت تحفة (قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب لقاء الله) ومن كره لقاء الله كره لقاء الله قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اه قلت رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة ابن الصامت ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة ورواه الشيخان من حديث أبي موسى ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية (وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما (عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين الأولي حدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم بن اسحق الحر بن حدثنا محمد بن يزيد الدمي حدثنا يحيى بن سليم عن اسمعيل بن كثير عن زياد بن أبي عياش قال حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به اللهم انك تعلم اني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم ثم مات وجه الله الثانية بالسند إلى إبراهيم بن اسحق حدثنا سليمان بن حرب حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال لما حضر حذيفة الموت قال حبيب جاء على فاقة لا أفزع من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتناء وأعوذ بها (وقال بعض السلف ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال (فقدم حب لقاء الله على السجود) على أن كثرة السجود من أفضل الأعمال كما وردت به الأخبار (وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ولفظ القوت وقد شرط سبحانه حقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر أنه يحب قتل محبوه في قوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بعد قوله معبر اللهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل محبة محبته وعلامة أخذ مال محبوه وولفسه اذ يقول يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اه قلت أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبد الله بن سلام قال تعدنا نفر من

حب الله تعالى (للعبد والله الموفق) * (القول في علامات محبة العبد لله تعالى) * (اعلم) وفعل الله تعالى (ان المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى) فكل يدعي وصلا بليلي * وليلى لا تقر لهم بذلك

كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا أنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامة فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الامريب لان الحبيب على كل حال (٦١٧) لا يكره لقامحبيبه وقال البويطي

لبعض الزهاد أتجيب
الموت فمكأنه توقف
فقال لو كنت صادقا
لاحييته وتلاقوه تعالى
فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فقال الرجل
فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يمتن
أحدكم الموت فقال انما
قاله لضرزله لان
الرضا ضاع الله تعالى
أفضل من طلب الفرار
منه فان قلت فن لا يحب
الموت فهل يتصور أن
يكون محب الله فأقول
كره الموت قد تكون
لحب الدنيا والتأسف
على فراق الاهل والمال
والولد وهذا ينبغي كمال
حب الله تعالى لان
الحب الكامل هو الذي
يستغرق كل القلب
ولكن لا يبعد أن يكون
له مع حب الاهل والولد
شائبة من حب الله تعالى
ضعيفة فان الناس
متفاوتون في الحب
ويدل على التفاوت
ما روي ان أبا حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة عبد بن
شمس لما زوج أخته
فاطمة من سالم مولا
عائشة قرين في ذلك
وقالوا أنكحت عتيلا
من عقائل قرين مولى
فقال والله لقد أنكحته
اياها واني لاعلم أنه خير
منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله

قسمه كما أثر أوله وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن سعيد بن المسيب أن رجلا سمع عبد الله بن جحش فذكر
نحوه قال الحافظ وهذا أخرجه عبد الله بن المبارك في الجهاد مرسلا (وقد كان) سفيان (الثوري وبشر) بن
الخرث (الحافي) رحمه الله تعالى (يقولان لا يكره الموت الامريب) أي شاك (لان الحبيب على كل حال
لا يكره لقامحبيبه) نقله صاحب القوت (وقال) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري (البويطي) بضم الموحدة
وفتح الواو نسبة إلى بويط قرية بمصر بالصعيد الأدنى وهو صاحب الشافعي وخليفته على أصحابه بعده كان
زاهدا متعبدا قال له الشافعي اما أنت فتموت في الحديد فان مقيدا ببغداد سنة ٢٣١ في محنة القرآن (لبعض
الزهاد أتجيب الموت فمكأنه توقف فقال لو كنت صادقا لاحييته وتلاقوه تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يمتن أحدكم الموت فقال انما قاله لضرزله لان الرضا بقضاء
الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه) نقله صاحب القوت وقال هذا كما قال البويطي لان التائب اذا صدقت
توبته طلب الموت خشية الحول عن حاله فاذا كان كذلك كان هو التائب الذي هو حبيب الله الآن مقام الرضا
أعلى من مقام غنى الموت فلذلك قال لا يمتن الموت للضرر ينزل به أي فرضه بقضائه أفضل من غنى لقائه ليقبض
على مقام الرضا اهـ والحديث المذكور بهذا اللفظ رواه البواردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم
ابن عمر والغفاري ورواه أحمد من حديث عيسى الغفاري ورواه أيضا هو والطبراني وصاحب الخليفة من
حديث خباب وروى زيادة اما محسنا فاعلمه أن يعيى زداد خيرا وهو خير له واما مسينا فاعلمه أن يستعجب رواه
النسائي بمذهبه زيادة من حديث أبي هريرة ورواه أحمد والشيخان نحوه ورواه الشيخان من حديثه زيادة
ولا يدعيه من قبل أن يأتيه انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا ورواه ابن عساكر
من حديثه زيادة حتى يثق بعمله ورواه ابن أبي شيبة من حديث عمر بن عتبة بلفظ الا أن يثق بعمله ورواه
الخطيب من حديث ابن عباس بزيادة فانه لا يدري ما يقدم لنفسه وما قول البويطي انما قاله لضرزله فقد رواه
الطحاوي وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان من
حديث أنس لفظه لا يمتن أحدكم الموت لضرزله فان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة
خير الي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي وأفضل (فان قلت فن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محب الله تعالى
فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينبغي كمال حب الله
تعالى لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الاهل والولد شائبة من
حب الله ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب) تفاوتهم في المعرفة (ويدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة)
هشيم وقيل هشيم وقيل هاشم وقيل قيس (بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس) بن عبد مناف القرشي العنسي من
السابقين هاجر المهاجرين وصلى الى القبلتين كان طوا الاحسن الوجه استشهد يوم البصرة وهو ابن ست
وخسين سنة (لما زوج أخته فاطمة) ابنة عتبة (من سالم مولا) هكذا هو نص القوت والذي في الاصابة في ترجمة
سالم وكان أبو حذيفة قد تبناه كما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه
فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة فلما أنزل الله ادعواهم لآبائهم رد كل أحد تبني ابنان أولئك الى
آبائهم لم يعرف الى مواليه قال أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة بن زبير عن عتبة بن ربيعة بنت
الوليد بن عتبة هذه انها من المهاجرات الفضلات زوجها معها أبو حذيفة بن عتبة سلم الذي يقال له مولى أبي
حذيفة وذكري في ترجمة فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة انها أخت هند أم معاوية بن أبي سفيان ونقل عن
ابن سعد انه قال تزوجها قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له الوليد وهشام ومسلم وعتبة وأممية
وفاختة ثم أسلمت وبايعت وترزجها عقيل بن أبي طالب وذكر له امره قصة وقد ظهر بما ذكرنا ان التي تزوجها
سالم هي فاطمة بنت الوليد لابنة عتبة فتأمل (عائشة قرين في ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قرين مولى)
يعنون به سالم الرضى الله عنه (فقال والله لقد أنكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله عليهم أشد من فعله

فقالوا كيف وهى أختك وهو مولك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أره من حديث أبي حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمران السالمي يحب الله حقاً من قلبه وفي رواية له ان السالمي شديد الحب لله عز وجل ماعصاه وفيه ابن لهيعة اه قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حنبل بن سفيان حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان قال حدثني أبو صالح كاتب الليث قال حدثني عبد الله بن لهيعة بن عباد بن سفي عن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عبد الله بن الأرقم يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر السالم مولى أبي حذيفة فقال ان السالمي شديد الحب لله رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم حدثت عن سعيد بن سالم قال حدثنا فوس بن بكير عن محمد بن اسحق عن الجراح بن منهال عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم قال قدمت المدينة في زمان عثمان فأثبت عبد الله بن الأرقم فقال حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السالمي شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ماعصاه فليقتل ابن عباس فذكر ذلك فقال صدق انطلق بنا الى المسور حتى نحدثك به فغضب المسور فقلت ان عبد الله بن الأرقم حدثني بهذا الحديث فقال حسبك لا تسأل عنه بعد عبد الله بن الأرقم حدثنا أبو حماد بن جيلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمود بن خداس حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال سمعت شهر بن حوشب يقول قال عمر بن الخطاب لو استخلفت السالمي مولى أبي حذيفة فسألتني عن مربي ما جعلك على ذلك لقلت رب سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم وهو يقول انه يحب الله حقاً من قلبه (فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره فلا حرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) (وأما السبب الثاني للكرهية) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة لئلا له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يشاء فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

فقالوا كيف وهى أختك وهو مولك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم) هكذا هو في القوت وقال العراقي لم أره من حديث أبي حذيفة وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمران السالمي يحب الله حقاً من قلبه وفي رواية له ان السالمي شديد الحب لله عز وجل ماعصاه وفيه ابن لهيعة اه قلت قال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا أحمد بن حنبل بن سفيان حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان قال حدثني أبو صالح كاتب الليث قال حدثني عبد الله بن لهيعة بن عباد بن سفي عن عبد الرحمن بن غنم قال سمعت عبد الله بن الأرقم يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر السالم مولى أبي حذيفة فقال ان السالمي شديد الحب لله رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم حدثت عن سعيد بن سالم قال حدثنا فوس بن بكير عن محمد بن اسحق عن الجراح بن منهال عن حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن بن غنم قال قدمت المدينة في زمان عثمان فأثبت عبد الله بن الأرقم فقال حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السالمي شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله ماعصاه فليقتل ابن عباس فذكر ذلك فقال صدق انطلق بنا الى المسور حتى نحدثك به فغضب المسور فقلت ان عبد الله بن الأرقم حدثني بهذا الحديث فقال حسبك لا تسأل عنه بعد عبد الله بن الأرقم حدثنا أبو حماد بن جيلة حدثنا محمد بن اسحق الثقفي حدثنا محمود بن خداس حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال سمعت شهر بن حوشب يقول قال عمر بن الخطاب لو استخلفت السالمي مولى أبي حذيفة فسألتني عن مربي ما جعلك على ذلك لقلت رب سمعت نبيك صلى الله عليه وسلم وهو يقول انه يحب الله حقاً من قلبه (فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره فلا حرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) (وأما السبب الثاني للكرهية) فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره مجلته قبل أن يستعد للقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الخبر بقدم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة لئلا له داره ويعدله أسبابه فيلقاه كما يشاء فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظاهر عن العوائق فالكرهية بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد ومنها

أن يكون مؤثرا ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويحتب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل وطاباعته من أيا الدراجات كما يطلب الحب (٦١٩) مزيد القرب في قلب محبوبه وقد

وصف الله المحبين بالآثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شغره على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك الحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى
فأترك ما أريد لما يريد
بل الحب إذا غلب فع
الهوى لم يبق له تنعم بغير
المحبوب كما روى ابن زنجي
لما آمنت وتزوج بها
يوسف عليه السلام
أنفردت عنه وتخلت
للعادة وانقطعت إلى
الله تعالى فكان يدعوها
إلى فراشه ثم أفتدفعه
إلى الليل فإذا دعاها ليل
سوفت به إلى النهار
وقالت يا يوسف إنما كنت
أحبك قبل أن أعرفه
فأما إذا عرفته فما أبت
محبة محبة لسواء وما
أريد به بدلا حتى قال إن
الله جل ذكره أمرني
بذلك وأخبرني أنه يخرج
منك ولدين وجاعلهم
نيبين فقالت أما إذا
كان الله تعالى أمرك

أن يكون مؤثرا ما يحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه) لأن المحبة لا تدع لغير المحبوب موضعاً في القلب والآثار وهو ميزان العقل والصدق للمحبة فعلى قدر ما يشارك له تعرف بمحبتك له فلا تعترفان المحبة تحفة لا تعرف إلا بآثارها وقد أشار إلى غسرة الآثار بقوله (فيلزم مشاق العمل ويحتب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل) أي راحته (ولا يزال مواظبا على طاعة الله ومتقرا بالله بالنوافل) كما ورد به الخبر لأن عمل المحبة لا يدخله سأم ولا ملالة وهو أحد الأسباب المشرفة لأعمال المحبين (و) لا يزال (طاباعته من أيا الدراجات) أي خواصها (كما يطلب الحب مزيد القرب في قلب محبوبه وقد وصف الله المحبين بالآثار فقال يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي احتياج وفقر وقال صاحب القوت أول علامات المحبة الآثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك وصف الله تعالى المحبين بالآثار و وصف العارفين بذلك فقال في صفة المحبين يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال في وصفه تعالى بالله لقد آثر الله علينا اه (ومن يوق شغره على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه) واليه يشير قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهمة هواه (بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل

أريد وصاله ويريد هجرى * فترك ما أريد لما يريد

أورده القشيري في الرماله وقال صاحب القوت أنشدني بعض الأشياخ لبعض المحبين

أذجيل الصبر كيما أله * وأهوى لمن أهواه تركا فتركه

(بل الحب إذا غلب) على القلب وغمره (فغلب الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب كجروى) في الأخبار السالفة (ان زانجا) بفتح فكسر وهي امرأة العزيز (لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام أنفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه ثم أفتدفعه إلى الليل فإذا دعاها ليل سوفت به) أي أخرجت إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما إذا عرفته فما أبت محبة محبة لسواء وما أريد به بدلا حتى قال لها إن الله عز وجل أمرني بذلك وأخبرني أنه يخرج منك ولدين وجاعلهم نبيين فقالت أما إذا كان الله أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمرك الله تعالى فعندها سكنت إليه) هكذا نقله صاحب القوت فكانت طاعتها امتثالاً لأمرك الله تعالى وهو دليل المحبة (فأذا من أحب الله لا يعصيه) بخالفة أمره (ولذلك قال) عبد الله (بن المبارك) رحمه الله تعالى (فيه

نعصى الإله وأنت تطهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

وهي أبيات سائرة من جملة قصيدة له نسبها إليه غير واحد من العارفين وروى البيهقي في الشعب عن الحسن بن محمد بن الحنفية أنه قال من أحب حبيبته لم يعصه ثم قال

نعصى الإله وأنت تطهر حبه * عار عليك إذا فعلت شنيع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن أحب مطيع

ثم قال ما ضر من كانت الفردوس منزله * ما كان في العيش من بؤس واقتار

تراه بمشي خزيناً حاشعنا * إلى المساجد يسعى بين أطمار

ونسب السهر وردي البيتين المذكورين إلى رابعة وقد ظهر من مجموع كلامهم أن ابن المبارك ورابعة كانا ينشدان ذلك وأصل الانشاد لابن الحنفية فتأمل (وفي هذا المعنى قيل أيضا)

(وأترك ما أهوى لما قد هويته * وأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي)

بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمرك الله تعالى فعندها سكنت إليه فإذا من أحب الله لا يعصيه ولذلك قال المبارك فيه

نعصى الإله وأنت ما تطهر حبه * هذا لعمري في الفعال بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * إن المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا وأترك ما أهوى لما قد هويته * فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة (٦٢٠) الحب ايثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وانما الحبيب من

هكذا أنشد صاحب القوت لبعضهم (وقال سهل) التسنري (رحمه الله تعالى علامة الحب ايثاره على نفسك) ولفظ القوت الا يشار يشهد للحب بعلامة حبه ايثاره على نفسك (و) قال (ليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وانما الحبيب من اجتنب المناهي) ولفظ القوت وكل من اجتنب ما نهى عنه صار حبيباً (وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا أحبه الله تولاوه ونصره على أعدائهم وانما عدوه وشهوته فلا يخذله ولا يكله الى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى وانه أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً) فأن قلت فالتعبد لله تعالى هل يضاد أصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى (في الصحيح) ان نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري (كان يؤتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في كل معصية يرتكبها) وهى انه كان يصيب من الشراب كاذ كره الزبير بن بكار في كتاب الفسكاة والمزاح (الى ان أتته يوماً فغده) حد الشرب (فلعن رجل) يقال اسمه غير كلبينه الحافظ في الفتح (وقال ما أكثر ما يؤتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعه) وعند الزبير ابن بكار لا تفعل (فانه يحب الله ورسوله) رواه البخاري من طريق وهيب عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحرث ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالنعمان وأبنا النعمان كذا بالشك والراجح النعمان بلا شك كما عند أحمد ورواه بالشك أيضاً ابن سعد في الطبقات وقد تقدم ما يتعلق به (فلم يخرج به بالمعصية عن المحبة) أى عن أصلها قال السكال عمجد بن اسحق الصوفي وقد رأيت أيضاً في كتاب الله ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى ولا يأتى أولوا الفضل منكم والسعة الاية فلم يخرج به الكبيرة عن اسم الهجرة (نعم يخرج به المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين) مشيراً الى ذلك (اذا كان الايمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سو يداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي) ولفظ القوت اذا كان الايمان في ظاهر القلب يعنى على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن القلب وكان في سو يداءه أحبه الحب البالغ ومحنة ذلك ان ينظر فان كان يؤثر حب الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصبح محبة الله هى محبة العبد من كل شئ فهو محب لله حقا كما انه مؤمن به حقا عن مشاهدة اليقين الذى يغلب رؤيته على رؤية الحق فيشده في كل شئ ويكون واجدا به دون كل شئ اذ قد تجلى لمن أيقن بكل شئ فان رأيت قلبك دون ذلك فلك من ذوق محبة سواه بقدر مالك من شرب اليقين ميمز وجاب شهادة الخلق والوجد منهم دون الخالق وذلك أيضا من خالص شهادة التوحيد ومن المحبة بقدر ذلك له في مقامات الخالصين أو مشوبا بالسرك الخفى بالنظر الى الاواسط والثواني في اخلاص عموم الخالصين وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب يحل الاسلام وباطنه محل الايمان فن ههنا تفاوت المحبوب في المحبة للفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر وفرق

اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا أحبه الله تولاوه ونصره على أعدائهم وانما عدوه نفسه وشهوته فلا يخذله ولا يكله الى هواه ولذلك قال تعالى وانه أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً فأن قلت فالتعبد لله تعالى هل يضاد أصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى أن نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري (كان يؤتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في كل معصية يرتكبها) وهى انه كان يصيب من الشراب كاذ كره الزبير بن بكار في كتاب الفسكاة والمزاح (الى ان أتته يوماً فغده) حد الشرب (فلعن رجل) يقال اسمه غير كلبينه الحافظ في الفتح (وقال ما أكثر ما يؤتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعه) وعند الزبير ابن بكار لا تفعل (فانه يحب الله ورسوله) رواه البخاري من طريق وهيب عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحرث ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالنعمان وأبنا النعمان كذا بالشك والراجح النعمان بلا شك كما عند أحمد ورواه بالشك أيضاً ابن سعد في الطبقات وقد تقدم ما يتعلق به (فلم يخرج به بالمعصية عن المحبة) أى عن أصلها قال السكال عمجد بن اسحق الصوفي وقد رأيت أيضاً في كتاب الله ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى ولا يأتى أولوا الفضل منكم والسعة الاية فلم يخرج به الكبيرة عن اسم الهجرة (نعم يخرج به المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين) مشيراً الى ذلك (اذا كان الايمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سو يداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي) ولفظ القوت اذا كان الايمان في باطن القلب يعنى على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان في باطن القلب وكان في سو يداءه أحبه الحب البالغ ومحنة ذلك ان ينظر فان كان يؤثر حب الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصبح محبة الله هى محبة العبد من كل شئ فهو محب لله حقا كما انه مؤمن به حقا عن مشاهدة اليقين الذى يغلب رؤيته على رؤية الحق فيشده في كل شئ ويكون واجدا به دون كل شئ اذ قد تجلى لمن أيقن بكل شئ فان رأيت قلبك دون ذلك فلك من ذوق محبة سواه بقدر مالك من شرب اليقين ميمز وجاب شهادة الخلق والوجد منهم دون الخالق وذلك أيضا من خالص شهادة التوحيد ومن المحبة بقدر ذلك له في مقامات الخالصين أو مشوبا بالسرك الخفى بالنظر الى الاواسط والثواني في اخلاص عموم الخالصين وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب يحل الاسلام وباطنه محل الايمان فن ههنا تفاوت المحبوب في المحبة للفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر وفرق

العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حبا متوسطا فاذا دخل سو يداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي بعض

بعض علماء ثنابين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة في القلب تجويفان التجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فحجة الاسلام مفترضة على الخلق وهي متصلة باداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة لله ومحبة له فالماحبة المقربين ففي مشاهدة معاني الصفات بعدم معرفة أخلاق الذات في عبادة اولئك بالعبادات وللحاجات وعبادة المحبين للاجلال والتعظيم وهي مخصوصة لمخصوصين والاصل في هذا ان المحبة عن المعرفة وان المعرفة عموم وخصوص فلهذا العارفين خاصية المحبة والعمومهم عموم المحبة انتهى وقال الكمال محمد بن اسحق الصوفي والذي ترجع عندي ان العاصي يكون مجابحاً لحقيقة كما يطلق اسم الايمان على النائم فانه مؤمن حكماً لا حقيقة وبهذه القاعدة ينكشف سر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لان دخان الشهوة يحجب نظره عن الوعد والوعيد فصار كالغافل عن الايمان كالنوم فالغافل يسمى مؤمناً حكماً لا حقيقة لان حقيقة الايمان حضور العبد مع الله أو شهوده للآيات الدالة على وجوده فالغافل العاصي عن هذا يعزل والانسان خلق في الاصل مجبولاً على الغفلة وعلى الرجوع الى الاحوال البشرية وانما رحمة الشرع جاءت بتشريع العبادات وترتيبها في اوقات متقاربة ليرجع القلب بذلك الى الله تعالى فانقسم الناس في رجوعهم الى الله تعالى اولى الدنيا هذا الانقسام (و بالجمله في دعوى المحبة خطر) عظيم وقد قال بعض العلماء اذا تم التوحيد تمت المحبة واذا جافت المحبة تم التوكل فتم ايمانه وخلص فرضه وسمى ذلك يقيناً (ولذلك قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى في فرض المحبة (اذ قيل لك أنتحب الله تعالى فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت) نقله صاحب القوت (ولذا قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك) نقله صاحب القوت وزاد فقال وقال عالم فوفقه كل أهل المقامات برحى انه يعفى عنهم ويسمى جمع لهم الامن ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظارة وخطرة لله تعالى وبالله تعالى وفي الله تعالى ومع الله تعالى (ومنها) أى من علامات حب العبد لله تعالى (ان يكون مستهتراً بذكر الله تعالى) أى مولعاً به (لا يفتري عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه) بل يكون القلب موافقاً للسانه في حال الذكر (فن أحب شيئاً أكثر بالضرورة من ذكره) كقول في الخبر من أحب شيئاً أكثر من ذكره رواه صاحب الخلية من حديث عائشة وقد تقدم وكثرة الذكر دليل محبة المذكر ولذا ذكر وهو من أفضل منته على خلقه وفي الخبر ان الله تعالى في كل يوم صدقة بمن هم اعلى خلقه وما تصدق على عبيد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره وروى سفيان عن مالك بن مغول قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله وروي أكثر وأمن الذكر حتى يقول المنافقون انكم مراءون وفي حديث أبي سلمة عن أبيه عن جده ومن أكثر ذكر الله أحب الله (و) كذلك من أحب شيئاً أكثر من (ذكر ما يتعلق به علامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه) وتكرره على الاسماع والقلوب (وحب رسوله صلى الله عليه وسلم) الذي هو جسيمه وصفه وكذا حب سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام لان الفضائل المتواترة عنهم موجبة للمحبة ويجب حب الملائكة لشرفهم في ذواتهم ولما أ صلح الله بهم الانبياء ونفع بهم العبادو يستحب حب الطاعة التي هي خدمة ويتأ كذا الاستحباب لاولياء الذين هم خاصة وكذا المؤمنين على حسب درجاتهم قال تعالى يحبون من هاجر اليهم (و) كذا (حب كل من ينسب اليه) أى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولادة وكذا اليهم بالنسب الظاهر أو الباطن (فان من يحب انساناً يحب) كل ما يتعلق به حتى يحب (كل محبته) وقصة مجنون بنى عامر مع كلب وقع بصره عليه فاحبه وجوابه لمن سأله عن ذلك بانه رآه مرة في حى ايملى وقوله * أحب لها سود الكلاب * مشهورة فهذا الذى ذكره كله مما يتعلق بحب الله تعالى

وبالجمله في دعوى المحبة
خطرس ولذا لا قال
الفضيل اذ قيل لك أنتحب
الله تعالى فاسكت فانك
ان قلت لا كفرت وان
قلت نعم فليس وصفك
وصف المحبين فاحذر
المقت ولقد قال بعض
العلماء ليس في الجنة
نعيم أعلى من نعيم أهل
المعرفة والمحبة ولا في
جهنم عذاب أشد من
عذاب من ادعى المعرفة
والمحبة ولم يتحقق بشئ
من ذلك ومنها أن يكون
مستهتراً بذكر الله
تعالى لا يفتري عنه لسانه
ولا يخلو عنه قلبه فن
أحب شيئاً أكثر بالضرورة
من ذكره وذكر ما يتعلق
به علامة حب الله حب
ذكره وحب القرآن
الذى هو كلامه وحب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحب كل من ينسب
اليه فان من يحب انساناً
يحب كلب محبته

فالمحبة اذ قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في المحبة (فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله و) أحب جميع خلق الله لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحة ولذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (٦٢٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى وقال

(فالمحبة اذ قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه وذلك ليس شركة في المحبة) وكما المحبة يقتضي رفع الاشتراك (فان من أحب رسول المحبوب لانه رسوله و) أحب جميع خلق الله لانهم خلقه) وتصنيفه وابداعه (فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين) الا ان المحبة في بعض الافراد المذكورة بالوجوب كالقرآن والرسول وسائر الانبياء والملائكة وفي بعضها بالاستحباب كجميع المؤمنين على درجاتهم والطاعة وفي بعضها يتأكد الاستحباب كحب خواص العباد من الاولياء والصالحين (وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الاخوة والصحة ولذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فان قلت فلم لا كانت محبة الطاعة واجبة وكذا محبة الاولياء فاقول الوجوب مبنى على أصل الايمان لا على كمال الايمان ولا تتقوى المحبة حتى تتعدى الى ما يتعلق بالمحبوب الا بكمال الايمان وذلك لو وقعت الطاعة بماعت الخوف أو الرجا فقام الاجماع على صحتها وقبولها وفيها ذكرناه نظرا لتجاذب المسئلة بين ما قلناه وبين أن الطاعة فرع المحبة والمحبة واجبة وعسى الله أن يكشف عن الحق في ذلك فان قلت هذا يدل على أن بغض المؤمنين ليس بحرام فاقول نفس البغض مكروه وبعضه أشد كراهة من بعض على حسب درجة الولي لكن للبغض آثار باطنة وآثار ظاهرة فلو طلب زال النعمة عنه بسبب بغضه حرم عليه ذلك ولو تسكاه بما ينقصه أو يقدح في عرضه حرم عليه ذلك وبعض هذه المهلكات أفتح من بعض (وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ وأحبوني لله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقد تقدم (وقال سفيان من أحب بالله تعالى فالما أحب الله ومن أكرم بكرم الله تعالى فالما يكرم الله تعالى) نقله صاحب القوت لأنه قال وقال سفيان وغيره من أحب الله تعالى فالما أحب الله الخ (وحكى عن بعض المردين قال كنت قد وجدت حلالة المناجاة في سن الارادة) أي في أول السلوك ونشاطه (فادمنت) أي داومت على (قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة) أي سكون (فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدري) ولفظ القوت أما ترى (ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي) الاولى من الادمان على التلاوة نقله صاحب القوت زاد وقال بعض العارفين لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد (وقال ابن مسعود) رضي الله عنه (لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل) التستري (رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب السنة حب السنة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة) نقله صاحب القوت (ومنها) أي ومن علامات المحبة (أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد) وهو قيام الليل (ويغتم هذه الليل) أي سكونه (وصفاء الوقت بانقطاع العلائق) أي الموانع (وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته) وفي الحديث القدسي

سفيان من أحب من يحب الله تعالى فالما أحب الله ومن أكرم الله تعالى فالما يكرم الله تعالى وحكى عن بعض المردين قال كنت قد وجدت حلالة المناجاة في سن الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانتبهت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدري ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب السنة حب السنة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة ومنها أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد وهو قيام الليل ويغتم هذه الليل وسقاء الوقت بانقطاع العلائق أي الموانع وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب

وعلمة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخوة وعلامة حب الاخوة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زاد وبلغه الى الآخرة ومنها أن يكون أنس بالخلوة ومناجاة الله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العلائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاةه فن كان النوم والاشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته

كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عنى الان بعضهم جعل سهر الليل في مقام بعينه فذكر له هذا الخبر فقال
ذلك اذا أقامه مقام الشوق فاما اذا أنزل عليه السكينة وآواه بالانس في القرب استوى نومه وسهره ثم قال
رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وأما المحبون وسيد المحبون بيزر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان ينام مثلي ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم تكن تأتي عليه ايلة حتى ينام فيها (قيل
لابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى (وقد نزل من الجبل من أين أقبلت فقال من الانس بالله) بشيرا الى انه كان في
خلوته مع الله تعالى ومناجاته به وقال أحد بن أبي الحواري دخلت على أبي سلمي الداراني فرأيت يبيكي فقلت
ما يبكيك رحلك الله قال ويحك يا أحد اذا جئ هذا الليل واقترش أهل المحبة أقدامهم وجدت دموعهم على
خدودهم أشرف الجليل الجبار جل جلاله عليهم فقال بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى مناجاتي وانى مطالع
عليهم في خلوتهم أسمع أنينهم وأرى مكانهم باجبريل نادفهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم هل خبركم عنى مخبر
ان حبيبا يعذب أحبائه بالنار بل كيف يحمل بي ان أذهب قوميا بالعباد اذ انهم الليل تملقوا بي في حلفت اذا
وردوا القيامة ان اسهر لهم عن وجهي وأيقهم رياض قدسي (و) بروي (في أخبار داود عليه السلام) قال
الله تعالى يا داود (لاتأنس الى أحد من خلقي فاني انما أقطع عنى رجلين رجلا استبطأ ثوابي فانه قطع ورجلا
نسبني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان أكله الى نفسه وان أدعته في الدنيا حيران) نقله صاحب القوت (ومهما
أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله متوحشا من الله تعالى ساقطاً عن درجة محبته) وقالوا الاستبحاش من
الخالق علامة الانس بالخالق وقال سهل رحمه الله تعالى جناية المحب عند الله أشد من معصية العامة وهو ان
يسكن الى غير الله ويستأنس بسواه (و) بروي (في قصة برخ) يضم الموحدة وسكون الراء وآخوه خاء معجمة
وهو اسم سرياني (وهو العبد الاسود الذي استقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى) عليه السلام
(ان برخ نعم العبد) (وهو الى الان فيه عيبا قال) موسى (يارب وما عيبه قال يحبه نسيم الاسحار فيسكن اليه
ومن أحبني لم يسكن الى شئ) نقله صاحب القوت وقال فالكسوف في هذا الموضع الاستراحة الى الشئ والانس
به والسكون في غير هذا الموضع النظر الى الشئ والادلال به والطمانينة والقطع به قال وذكرت هذه الحكاية
لبعض أهل المعرفة فقال لم يرد هذا برخ انما أراد به موسى لانه أقامه مقام المحبة فاستحيا أن يواجهه بذلك أى
وهو قد سمع لبرخ بذلك اذ لم يوافق عليه فعرض عليه ببرخ أى لانه عالم وكان هذا جوابا لمنه ثم أتى سأله لم أخبر
موسى بعيبه وهو يحبه دون أن يخبره هو بعيب نفسه فاجاب بهذا قال فالقرن من المحبين انما انعمهم بالله
وروحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا ذلك في سواه كانت ذنوبهم عن غفلة أدخلت
عليهم ليتوبوا منها اليه فيغفر لهم (و) بروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيبة دهر اطويلا) أى زمانا والغيبة
المكان الملتف شجرة (فانظر الى طائر وقد عشن في شجرة) أى اتخذ عليها عشا (ياوى اليها) أى الى تلك الشجرة
(ويصفر عندها) أى بصوت بالصفير (فقال لو حلت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت هذا
الطائر قال ففعل) أى حوّل مسجده اليها (فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست
بمخلوق لا حطنتك درجة لاتنالها بشئ من عملك أبدا) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي في الشعب عن أحد بن
أبي الحواري قال سمعت أنثى يقول تعبد رجل من بني اسرائيل في غيبة في جزيرة في البحر أربعين سنة فطال
شعره حتى اذا كان في الغيبة تعلق بأغصانه بعض شعره فبينما هو ذات يوم يدور اذ مر بشجرة فيها وكر طائر
فنقل موضع مصلاه الى قريب منها قال فنودي أنست بغيري وعزقي وجلالي لا حطنتك مما كنت فيه مدرجتين
(فاذا علامة المحبة) الصادقة الخالصة (كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم به بالخلوة به) والانعطاف
اليه بوجود نسيم الانس به ومصادقة الاستراحة والروح منه بمحادثته في المحاسبة ومناجاة في الخلوة
وتعلق في السريّة (وكمال الاستبحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة) ثم ذوق حلاوة
النعم في ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة ثم الطمانينة الى الحبيب وعكوف الهم على القريب ودوام النظر

السلام لاتستأنس
الى أحد من خلقي فاني
انما أقطع عنى رجلين
رجلا استبطأ ثوابي
فانه قطع ورجلا نسبي
فرضي بحاله وعلامة
ذلك ان أكله الى
نفسه وان أدعته في
الدنيا حيران ومهما
أنس بغير الله كان بقدر
أنسه بغير الله متوحشا
من الله تعالى ساقطاً عن
درجة محبته وفي قصة
برخ وهو العبد الاسود
الذي استقى به موسى
عليه السلام ان الله تعالى
قال لموسى عليه السلام
ان برخ نعم العبد هو الى
الان فيه عيبا قال يارب
وما عيبه قال يحبه نسيم
الاسحار فيسكن اليه
ومن أحبني لم يسكن الى
شئ وروى أن عابدا
عبد الله تعالى في غيبة
دهرا طويلا فنظر الى
طائر وقد عشن في
شجرة يابى اليها وبصر
عندها فقال لو حوّل
مسجدي الى تلك الشجرة
فكنت أنس بصوت
هذا الطائر قال ففعل
فاوحى الله تعالى الى نبي
ذلك الزمان قل لفلان
العابد استأنست بمخلوق
لا حطنتك درجة لاتنالها
بشئ من عملك أبدا فاذا
علامة المحبة كمال

الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال الاستبحاش من كل ما ينقص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة

وعلاصة الانس مضير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت وجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوقة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم (٦٢٤) الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته فالحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله

تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به وقال الصديق رضي الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر وقال مطرف ابن أبي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبته فها أنا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى عليه السلام يا رب أين أنت فاقصدك فقال اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن

الى الرقيب فن عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه عكف عليه دل على ذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا (وعلاصة الانس مضير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه) ويناجيه (وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به) تقدم في كتاب الصلاة (وقطعت رجل بعضهم بسبب علة) الاكلة (اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضا (ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوقة والمناجاة قرة عين) له (تدفع جميع الهموم) فلا يشعر بشئ برده عليه (بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مرارا) فيظن الناس به بلها وغفلة (مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبته) وما يتعلق به (فالحب) الصادق (من لا يطمئن الا بمحبوبه) ولا يستأنس الا بذكره (وقال قتادة) ابن دعامه السدوسي أبو الخطاب البصري التابعي (في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستأنست به) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وقال مجاهد ألا بذكر الله تطمئن القلوب بمحمد وأصحابه رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وفي حديث أنس هل تدرون ما معنى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أصحابي رواه أبو الشيخ وفي حديث علي قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيته صادق غير كاذب وأحب المؤمنين شاهدوا غائبا ألا بذكر الله يتحابون (وقال) أبو بكر (الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر) فقد تقدم (وقال مطرف بن أبي بكر) هكذا في سائر نسخ الكتاب والصواب مطرف أبو بكر وهو مطرف بن طريف الحارثي كنيته أبو بكر من أهل الكوفة قال أحمد وأبو حاتم ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة (المحب لا يسأم من حديث حبيبته وأوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتي اذا جئته الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبته فها أنا ذا موجود لمن طلبني) وكذلك رواه كعب الاحبار من التوراة وروى عن أبي الدرداء رفعه يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني وقد تقدم (وقال موسى عليه السلام يا رب أين أنت فاقصدك) ولفظ القوت فاقصدك (فقال) ولفظ القوت فأوحى الله اليه (اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى (من أحب الله أبغض نفسه وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ومنها أن) أي ومن علامات المحبة (ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل) أي يترك الأسف على كل فائت سوى الله عز وجل (ويعظم التأسف على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات) الى الله تعالى (بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة) ونسيان حظوظ النفس بتذكر حقوق الرب تعالى (وقال) أبو الفضل الشكلي وغيره حكاية عن (بعض العارفين) انه وصف المحبين فقال (ان الله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذا كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم) لالحالة (وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم) ولفظ القوت فما كان لهم فهو موصل اليهم من جميع الاشياء وما فات من ادراك غيرهم فبحسن تدبيره لهم (وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب

قطعت

لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله

تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة قال بعض العارفين ان الله عبادا أحبوه واطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحفظ أنفسهم اذا كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظة أن يقبل على محبوه ويستغل بالعتاب ويسأله ويقول رب باي ذنب

تساعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكره
من الغفلة وتكون هفوته سببا للتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما
لم يراحب الا المحبوب ولم يرشأ الا

(٦٢٥)

منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا
وعلم ان المحبوب لم يقدر له الاما فيه خبرته ويدكر
قوله وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ومنها
أن ينعم بالطاعة ولا يستقلها ويسقط عنها
نعمها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد علامة
الحبسة دوام النشاط والدرب بشهوة تغتر
بدنه ولا تغتر قلبه وقال بعضهم العمل على
الحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء والله
ما اشتفى من محبته من طاعته ولو حل بعظيم
الوسائل فكل هذا وأمثاله موجود في
المشاهدات فان العاشق لا يستقل السعي في هوى
معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وان كان
شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء
اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز حتى
يشغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل
حب صار غابا قهرا لا محالة ما هو دونه فمن كان
محبوبه أحب اليه

قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكره
ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا للتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم يراحب الا
المحبوب ولم يرشأ الا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضى وعلم ان المحبوب لم يقدر له الاما فيه خبرته
ويدكر قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولغظ القوت وقد يحسن بالمريد المتحجب أن يكون
يأسف على فوت ساعة وطرفة ذهاب عنه قلبا قليلا في غير ذكره فاما المحب المحبوب فقد لاحت له الاعلام
فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملا طفته فالواجب عليه أن يرجع الى واديه فبئس له قطع برك عني ولم
تدملنى ولم تشو به بالسكر ولم تدخل ببنى وبينك الخلق فان كان صادقا في محبته فيستعمله محبوبه في الخير فيكون
مكان الاستغفار من الغفلة معاتبه يستخرج بها أكثر من الذي فاتته من الذكرك فتكون تلك الهفوة عليه بركة
ان كان عاقبتها الاتصال والزيادة في القرب والعبد المحب لله عز وجل مأثور معلق هناك لا يدري ما حقيقة
التوحيد غير انه اذا أسف على فقد وحدانية التوحيد فرجع فوجد بقائه الواحد بالوحدانية
وانفراده في الصمدية فينسى نفسه وذهب طعم كل ذكر كان ينعم به ولم يفرق كل شئ وذهب استبعاده في هذا
الموضع حتى يستبعده المحب من مكان آخر فيرده الى علم التوحيد والتوحيد والحب بلاء كثير والعبادة قد ألفوا
العبادة والذكر الطيب الذي يعقلون به وأول التوحيد عند المحبين أن يعبدوا الله تعالى لوجهه حبالة لا خوف من
ناره ولا رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم حتى يرجع لهم على التعظيم والاحلال
فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتحس القلوب فترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق
والانس فاما الصدق والصبر والاخلاص والزهد فهذه الاخلاق الشريفة كائنة معهم في سرهم ووصفهم
لا تغارهم ولا يخلهم منها محبوبهم ولو أخلاهم مولاهم ما ذاقوا طعم شئ من هذه الخصال ولبطلت العبادات
وانقطعت الطرق والسكاوا فكيف به ولو كنه يدبرهم بامرهم ويردهم الى هذه الاحوال فيذوقون طعمها كما ردهم
الى مصالح الجسم ومرافق العقل فلذلك اسمهم الموحدون المشفقون المحبون لانهم عبدوه وحده وأحبوه
دون غيره واشتاقوا اليه لا سواه ولم يريدوا منه شيئا اذ كان الله تعالى هو الغالب على همهم القاهر لقلوبهم
الموجود في سرهم المسالك لعقولهم فلو وضع من نعيمهم ذرة على كل خائف وعابد لاحترقوا من نورهم وهم أعلى
الخليقة وليس فوقهم أحد هذا نقلته من كلام الشكلى وغيره من العارفين انتهى سياق صاحب القوت
والشكلى بكسر الشين المعجمة وسكون الكاف هو أبو الفضل العباس يوسف بن اسمعيل البغدادي روى عن
السري وعنه محمد بن اسمعيل الشكلى وعنه أبو بكر القطيعي وأبو حفص بن شاهين منسوب الى شكلة اسم
امراء والمعروف به البراهيم بن شكلة الامير الذي امتدحه أبو تمام وقد تقدم له ذكر في هذا الكتاب (ومنها)
أى ومن علامات الحبسة (ان ينعم بالطاعة ولا يستقلها ويسقط عنه تعها) لان عمل المحبة لا يدخلها سائمة
ولامالة وهذا احد الاسباب المشرفة للمحبين (كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة)
وهو قول ثابت البناني وقال مرة كابدت القرآن وقد سبق في كتاب ترتيب الاوراد (وقال) أبو القاسم (الجنيد)
قدس سره (سلامة المحبة دوام النشاط والدرب بشهوة تغتر بدنه ولا يفتر قلبه) كذا في القوت (وقال بعضهم
العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال بعض العلماء ما اشتفى من محبته من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل) كذا
في القوت (فكل هذا وأمثاله موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ
خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الاشياء اليه ان تعاوده القدرة وان يفارقه العجز
حتى يشغل به فهكذا يكون حب الله تعالى فان كل حب صار غابا قهرا لا محالة ما هو دونه فمن كان
محبوبه أحب اليه من المال ترك المال في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان

بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فإيش تنفق على قال يا سيدي أملك ما أملك ثم أنفق عليك روي حتى تهلك فقلت هذا خلق نخلق وعبد لعبد (٦٢٦) فكيف بعبد له ودفع لكل هذا بسببه وممنها أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم شديدا

على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى أشداء على الكفار رجاء بينهم ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه أذ قال الذين يكفون بحبي كما يكلف الصبي بالشئ ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكرة ويغضبون لمحاربي كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو أكثر وانظر إلى هذا

المثال فإن الصبي إذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإن نام أخذه معه في ثيابه فإذا انتبه عاد وتسلط به ومهما فارق به بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أجبه وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فسطافى

بذل نفسه وماله حتى (بلغ المجهود) ولم يبق له شيء (منهما) ما سبب حاله هذه في المحبة فقال (كلمة سمعتها من خلق علمت في هذا البلوغ قبل وما هي قال) سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبني فإيش تنفق على قال يا سيدي أملك ما أملك ثم أنفق عليك روي حتى تهلك فقلت هذا خلق نخلق وعبد لعبد فكيف بعبد له ودفع لكل هذا بسببه (وممنها) أن يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيم بهم شديدا (و) يستحب أن يكون (شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه) على حسب درجاتهم في البعد من الله تعبد الأمر الله سبحانه مع مشاهدته كمال علم الله وحكمته فيهم (كما قال الله تعالى) في وصف المحبين (أشداء على الكفار رجاء بينهم) فوصفهم بالشدة على أعداء الله والترحام فيهم أي أنهم (يتأكدان) لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عذل عاذل (ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه أذ قال الذين يكفون بحبي كما يكلف الصبي بالشئ ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكرة ويغضبون كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو أكثر وانظر إلى هذا) حدثنا أحمد بن منصور والمدايني حدثنا محمد بن إسحق المسيبي حدثنا عبد الله بن محمد بن عروة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام قال يا رب أخبرني بأكرم خلقك عليك قال الذي يسرع إلى هوى أسرع النسر إلى هواء والذي يكلف بعباد الصالحين كما يكلف الصبي الناس والذي يغضب إذا انتهكت محاربي غضب النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لم يبالي أقل الناس أو أكثر (و) فاذا انظر إلى هذا المثال وتدبره (فإن الصبي إذا كلف بالشئ لم يفارقه أصلا وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فاذا نام أخذه معه في ثيابه فاذا انتبه) من نومه (عاد) إليه (وتسلط به ومهما فارق به بكى ومهما وجده ضحك) إليه (ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أجبه وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب) لنفسه (حتى يباع من شدة غضبه أنه يهلك نفسه) وذلك أن يغيب الخلق عنه حتى نفسه فلا يعقل ما فعل فلذلك ضرب الله هذا المثل في قوله لا يبالي قل الناس أو أكثر والحقيقة الإخلاص بغيبته عن مداراة الناس (فهذه علامات المحبة) يعني الكفاف بالحب والالواء إلى الذكر والغضب للمحارم (فمن تمت فيه هذه العلامات) المذكورة (فقد تمت محبته وخلص حبه) لله تعالى (فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه) وهو من المقربين ونعيمه في الجنان صرف لأنه كان بعبد له لاجله صرفا (ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه) وهو من أصحاب اليمين (اذمزع شرابه بقدر) ما (من شراب المقربين كما قال الله تعالى في الأبرار) أي في وصف نعيمهم (أن الأبرار لنقي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ثم قال في نعت شراب المقربين (ومزاجه) يعني مزاج شراب الأبرار (من تسنيم عينا بشراب المقربون) أي بشراب المقربون صرفا وعزج لأصحاب اليمين (فإنما طاب شراب الأبرار لثوب الشواب الصواب الذي هو للمقربين) ولفظ القوت فطاب

الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذمزع شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الأبرار أن الأبرار لنقي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا بشراب المقربون فأنما طاب شراب الأبرار لثوب الشواب الصواب الذي هو للمقربين

والشراب عبارة عن جلة نعيم الجنان كان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقر بون فكان اماره علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقر بون وكان الابرار يجدون المزيدي في حالهم ومعرفتهم بقر بهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأنا اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفا قاي واق الجزاء اعمالهم فقول الخالص بالصرف من الشراب وقول المشوب بالمشوب (٦٢٧) وشوب كل شراب على قدر ما سبق

الشوب في حبه وأعماله

فمن يعمل مثقال ذرة

خيبره ومن يعمل

مثقال ذرة شرا يره وان

الله لا يغير ما بقوم حتى

يغيروا وما بانفسهم وان

الله لا يظلم مثقال ذرة

وان تلك حسنة بضاعها

وان كان مثقال حبة

من خردل آتيناها او كفي

بناحاسين فمن كان حبه

في الدنيا رجاء لنعيم

الجنة والخور والعين

والقصور ممكن من الجنة

ليتبوا منها حيث يشاء

فيلعب مع الولدان ويتنعم

بالنسوان فهناك تنتهي

لذته في الآخرة لانه

انما يعطى كل انسان

في الجنة ما تشتهي نفسه

وتلذذ عينه ومن كان

مقصده رب الدار

ومالك الملك ولم يغلب

عليه الاحبة بالاخلاص

والصدق أنزل في مقعد

صدق عند ملك مقتدر

فلا يبرر برتعون في

البساتين ويتنعمون في

الجنان مع الخور والعين

والولدان والمقربون

ملازمو للحضرة

شراب الابرار الانجاء شراب المقر بين (والشراب عبارة عن جلة نعيم الجنان كان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال) ولفظ القوت فعبر عن جل نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن العلوم والاعمال بالكتاب (فقال) في نعت الابرار مثله (ان كتاب الابرار في عليين ثم قال يشهده المقر بون فكان اماره علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده) فاحسن عملهم ولا صفت أعمالهم ولا علا كتابهم الاشهاد المقر بين لما قرب منهم وحضره (وكان الابرار) في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم و (يجدون المزيدي) نفوسهم و (حالهم ومعرفتهم) بقر بهم من المقر بين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم (غدا في الآخرة) وقد قال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) وقال تعالى (كما بدأنا اول خلق نعيده وكما قال تعالى جزاء وفا قاي واق الجزاء اعمالهم) أو وافق أعمالهم جزاءهم (فقول الخالص بالصرف من الشراب وقول المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله) قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وما بانفسهم) قال تعالى (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة بضاعها وان كان مثقال حبة من خردل آتيناها او كفي بناحاسين) وقال تعالى سيجزيهم وصفهم أي يعطيهم غدا كوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم (فمن كان حبه في الدنيا اليوم) ور جازه لنعيم الجنة (وطيبات الملك) وللخور والعين والقصور ممكن (غدا) من الجنة ليتبوا منها حيث يشاء وهو أحر العالمين لاجلها (فيلعب مع الولدان ويتنعم بالنسوان فهناك تنتهي لذته في الآخرة لانه انما يعطى كل انسان في الجنة ما تشتهي نفسه وتلذذ عينه) فنعلم الاجر آخره (ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك) دون الدار والملك (ولم يغلب عليه الاحبة بالاخلاص والصدق أنزل) غدا في مقعد صدق عند ملك مقتدر (وشتان بينهم ما فالابرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع) الخور والعين والولدان وغير ذلك من أنواع النعيم (والمقربون ملازمو للحضرة) على بساط المشاهدة (عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فهم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمعجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب) قال العراقي رواه البرازم حديث أنس بسند ضعيف مقتصر على الشطر الاول وقد تقدم والشرط الثاني من كلام أحمد بن أبي الخوارى ولعله أدرج فيه انتهى قلت قد تقدم الكلام فيه وان سهلا التسع ترى فسرهم فقال هم الذين ولهت قلوبهم ثم وشغل بالله عز وجل (ولما قصرت الافهام عن درك معنى عيسى عظيم) الله تعالى (أمره فقال وما أدراك ما عليون) كتاب مرقوم يشهده المقر بون (كما قال تعالى القارعة ما القارعة) وأصله ما هي أي أي شئ هي على التعظيم لشأنها وانتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمير لانه أهول لها (وما أدراك ما القارعة) أي أي شئ هي أعلمك ما هي لانك لا تعلم كنهها فانها أعظم من أن يباخ دركها أحد ومثل هذا قوله تعالى الخافاة ما الخافاة وما أدراك ما الخافاة (ومنها) أي من علامات المحبة (ان يكون في حبه خائفا) وجلا (متضائلا) أي متصاغرا (تحت الهيبة والتعظيم) فشراف العباد كلهم وقربهم من ربهم على قدر تعظيمهم له ومعرفتهم بحقه لينتدوا ويتصاغروا عبودية له واجلالا لعظمته ومهابة وصغارا الكبير يائه (وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك) وقال صاحب القوت بعد ان فسر ايات رابعة قدس الله سرها التي ذكرت في المحبة بلزوم خوف

عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمعجاسة أقوام آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عيسى عظيم أمره فقال وما أدراك ما عليون كما قال تعالى القارعة وما القارعة وما أدراك ما القارعة وممنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك

التقصير وجوب الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرض به من حبه مانصه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدرك بحبته ولا يقتضي الجزاء عليهما من محبو به ولا يوجب على حبيبه شيئا الا لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحبوب بالنظر اليها وانما ذلك ما قام الرجاء الذي ضده الخوف ليس من المحبة في شيء ولا تصح المحبة الا بخوف المقت في المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من نطقه انه عرفه ولا أحبه من توهم انه أحبه (بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب) وتحقيق ذلك يفهم من معنى التعظيم فلنذكره اعلم ان التعظيم المعهود هو مافات البصائر اكره والرب تعالى منزّه عن ادراك حس تعلو ذاته عن الاجسام والاعراض ومساومة المحدثات والتعظيم بطريق الاستعارة والتجوز مافات البصائر اكره أما المانع في البصيرة أوفى الذات المبصرة والرب تعالى تدفان الابصار والبصائر اكره على ما هو عليه للمانع وضعه الله اذا تمكن رفع ذلك المانع ولكن لصفته التي هي حقه وهي قيمته بنفسه واستغناؤه عن الموجب والموجد والكيف والنظير لاعلم سبق ولا الحكم قدر بل لاجل ان عظمت ازاره وكبرياءه رداؤه ولما كان عظيم في ذاته وكان ناظرا لذاته بعين الكبرياء وكان محتجبا بهم - الذين الوصفين عن عبادته وقع الاخبار عنهم بالازار والرداء الحاجبين للابصار ان تظهر ذاته اذ بصفاته احتجبت ذاته عن أن تدرك لان بينه وبين العقول العالمية حجابا انما الحجب المخلوق مما تصنع من الاكتمة في قلوب الجهلة وأما العلماء فيا يحتجب عنهم الابانوار صفاته ولهذا الكلام بقية تقدمت الاشارة اليها في مواضع من هذا الكتاب (ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة) من نسبة أحوالهم (ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض) ولفظ القوت والمحب سبع مخاوف ليست لشيء من أهل المقامات بعضها أشد من بعض (قاؤها مخوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد) من حضرة القرب (وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين) صلى الله عليه وسلم (اذ سمع قوله تعالى) في سورة هود (الابعد الثمود الأبعدا المدين كما بعدت غود) وقال شيبتي هود واخوانها وقد تقدم الكلام عليه (وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذائقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب ولا يحسن الى القرب من ألف البعد بل ولا يعرف البعد من لم يقرب (ولا يبكي خوف البعد من لم يمكن من بساط القرب) ولم يعهده (ثم) أشد منه (خوف الوقوف) عن التحديد (وسلب الزيد) وهذا يكون للخصوص في الاظهار والاخبار منهم فيسلبون المزيدين نوعا كان من الآيات وحقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون للعموم عندا يثار الشهوات على أوامر الطاعات (فاناقدمنا ان درجات القرب لانهاية لها) كما ان درجات المعرفة لانهاية لها (وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شراما أمسه فهو ملعون) قال العراقي لأعلم هذا الا في مقام لعب العز يزب أن يرى واد قال الرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله أوصني فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد اه قلت بل رواه الديلمي من حديث محمد ابن سوقة عن الحارث عن علي بن مرفوعا وسنده ضعيف قاله الحافظ السخاوي في المقاصد ولفظه من استوى يومه فهو مغبون ومن كان آخر يومه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في نقصان فالموت خير له ومن اشتاق الى الجنة سارع في الخيرات قلت والشرط الاخير هو أول حديث رواه البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار من حديث علي بن زيادة ولفظه من اشتاق الى الجنة سابق الى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقد تقدم (وكذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قاي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة) روى ذلك من حديث الاغر بن يسار المزي في لفظ انه ليغان على قاي والى لاسنغفر الله في اليوم مائة مرة رواه أحمد وعبد بن حيد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان والبخاري وابن قانع والباوردي والطبراني وأما حديث الاستغفار سبعين مرة فقد روى من حديث أبي هريرة وأنس وأبي موسى فلفظ حديث أبي هريرة اني لاسنغفر الله

الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب وخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فاؤها مخوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب وأشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله تعالى ألبعدا لثمود ألبعدا المدين كما بعدت غود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذائقه وتنعم به فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القريب ولا يحسن الى القرب من ألف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم مخوف الوقوف وسلب المزي فانا قد قدمنا ان درجات القرب لانهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شراما أمسه فهو ملعون وكذلك قال عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة

(159)

حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله المسكر به واستدرجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرءاء

وهو أحد المحبين (فألا يقول وهو في سياحته وكان على جبل

فاضطرب) جسمه (وغشى عليه فلم يفق يوم ليلة وطرأت عليه أحوال) في قصة طويلة كـ
مقامات أقيم فيها (ثم نقل عنها إلى هذا) حتى (قال) في آخ ذلك (سمعت بالنداء من الجبل يا
عبد افكنت عبدا واسترحت) نقله صاحب القوت وقال معناه لا أعلم لك الا واحد تكون عبدا له
ولا تملك شيئا فان الاشياء في خزائنه ما ليكها فلا تملكها فتحبك عن مالكك وتأمرك بمقدار ما
ضرب الله مثلا بينه وبين خلقه ان رجلين أحدهما فيه شركاء متشاكسون متشاحون عليه من
وشهوات كل واحد يجذب به إليه ويريد نصيبه منه ويشغله به ويحب فراغله وآخرهما من الشركاء
من الشرك متوحد الواحد منهما لا يستويان في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
سالم الرجل هل يستويان مثلا الحمد لله على اتفاق صنعه وتحسين خلقه بل أكثرهم لا يعلمون أن
ليسوا علماء لهذا الواحد فتناقصوا في واحد وسلكوا شاة كلة توحيد (ثم) أشد منه (خوف الله)
وهذا أخوف ما يخافون (فان المحب يلزمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتزع عن طلب المزيد ولا
بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعه) لان حب المحبين له كان به لا
لامنهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها فكيف يشكر عليها ولا يقوم لها شيء وكذلك سألهم عنه يكون
حبهم به (والسؤال يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر) فيجب
كما كان يحب الحب فتكون قد سألته عنه وأنت لا تدري كيف سألته لانه يدرجك بما يحسد
الاستبدال منه بما تدري (فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع
فانت لا تظن ذلك (واذا أراد الله المكربه واستدراجا أخفى عنه ما ورد عليه من السؤل فيقف

حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فاذا اراد الله المكربه و
عليه من السلوقة فمع الرجاء

لو يغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر
والبين وكان من أوصاف الله تعالى (٦٣٠) ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن

و يغتر بحسن الظن الذي كان يعهده منه (أو تغلبه الغفلة أو الهوى) والشهوة (أو النسيان) فكل ذلك
من جنود الشيطان في الأرض (التي تغلب) اضدادها من (جنود الملائكة) في السماء (من العلم والعقل
والذكر والبيان) قال الله تعالى فان زلتم من بعد ما جاءكم اليك البينات الآية عز يزلا يوصل اليه الاله حكيم
عليكم بالزلل منه الا انه يدرج في ذلك استدراجا بلطائف الحكمة على معهود الاسباب ومألوف المعتاد (وكان
من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة) فاجبته وأنت
لا تدري كيف أجبته لانه أشهد وصفه به باطلاع القدرة عن حنان الرحمة واللطف فاقتضاه الحب له فوجدت
نفسك محبته (فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء) فترجع المحبة كما
جاءت فخسبك عنه عن فعل مكروه يبدرك منه ظهر عن وصف الكبر والجبرية فتحد قلبك سالما عنه بلا حول
ولا قوة منك ولا اجتلاب ولا حيلة وهذا لا يصفه الاعراف بدقيق بلائه ولا يحذره الاخائف من خفي مكرهه وبلائه
فاذا سلوت به عنه كان ذلك دليلا منه على انه قد رفضك واطرحك كما انك اذا كنت تحبه انما أحبيته به (وذلك
من مقدمات المكر) الذي يحيق بالمكور (و) هودرك (الشقاء والحرمان) الذي أدرك المغرور (ثم)
أشد من هذا كله (خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره) وانما كان أشد لانه لا تنويه
فيه (وذلك هو المقت) وهذا هو حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعده
(والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو) أي بداية ذلك كله (وضيق الصدر بالبرد
وانقباضه عن دوام الذكر وملايه لوظائف الادراد أسباب هذه المعاني) البعده والمدارج المدرجة اذا قويت
وترزايد أخرحت الى هذا كله واذا تناقضت وبديلها الفصاحات والحسنات أدخلت في مقام المحبة والقربات
كإجابه الخبر النائب حبيب الله كذلك في تدبر الخطاب ان العاكف على هواه مقيت الله (وظهور هذه
الاسباب) فيك ووجد هذه الاوصاف منك (دليل على) ما غاب عنك من الاستبدال والاستقاط الذي هو
(النقل عن مقام الحب الى مقام المقت فعوذ بالله منه وملازمة الخوف) من هذه المعاني (لهذه الامور وشدة
الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب) وعلامة المعرفة باخلاقه الميكونة المقلبة (فان من أحب
شيئا خاف لاحتاله ففسده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من
عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هالك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة
انقطاع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقر به ومكنه وعلمه) نقله
صاحب القوت الا أنه قال من عرف الله بدل من عبدي المواضع الثلاثة ثم قال وليس العجب من خوف المحبين
مع ما عرفوا من اخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه والطافة لم يعرف الخائفون ثم هم مع حبهم بها يونه وعلى
أنسهم به يحبونه وفي فرغهم منه يشتاقون اليه وفي بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفي اعزازه لهم يذلون له لان
من قبض فانقبض فليس بجيب ولكن من بسط فانقبض فهو العجب ومن امتنن فذل فلا يحب ولكن من أعز
وأكرم فتواضع وذل فهو عجب فالعجبين الانقباض في البسط واللغائفين الانقباض في القبض وللمعجبين الذل مع
العز والكرامة واللغائفين الذلة مع الهيبة والمهنة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف اذا كانت
أوائل أحوالهم المخاوف (فالحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة
حتى اتسع فيها لم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعبد من المحبين) فكل محب لله خائف منه
وليس كل خائف محب يعني محبة المقر بين لانه لم يذق طعم الحب لان محبة المسلمين المعترضة لا يقع بها اعتبار في
مقامات الخصوص لانه لا توجد عندها واجيد الاحوال ولا يعلى بها في مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان
منوطة بصحته وموجودة بوجوده فاشبهت محبتهم معرفتهم بالله تعالى التي عنها توحيدهم انهم عرفوه بوصف

بأوصافه ما يلوح فيورث السلوك أوصاف الجبرية والعزة والاستغناء وذلك
من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم
خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه
الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة
هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو
وضيق الصدر بالبرد وانقباضه عن دوام
الذكر وملايه لوظائف الادراد أسباب هذه
المعاني ومقدماتها وظهور هذه الاسباب دليل على
النقل عن مقام الحب الى مقام المقت فعوذ بالله
منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر
منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب فان من
أحب شيئا خاف لاحتاله ففسده فلا يخلو الحب عن
خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال
بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة
من غير خوف هالك بالبسط والادلال ومن عبده
من طريق الخوف من غير محبة انقطاع عنه
بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق

وكان شوب الخوف يسكن قلبه - الامن سكر الحب فلو غلب الحب واستحوات المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب فقد روى في بعض الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال (٦٣١) ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من

معرفة ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصاً سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى الله تعالى اليه انما أعطيتاه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فاخوت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبته فها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيتهم فذهب الله عنه جله الجزء وبقي معه عشر معاشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاه وسكن وعلمه (ورجاءه وسكن وصار كسائر العارفين) فهذا النوع من شأن المعرفة وتجلي الوصف بمعنى محبة يليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان طيبه أحسن من نشره لان العقول تنسركه والقلوب تمجعه والهـم لا تسر به والقلب لا يجذبه ولا يحببه الله تعالى من العموم (وقد قيل في وصف حال العارفين

الازل والقدم والسرمدية والابدية وهذا مندرج في اسمين من أسمائه أول وآخر والعارفون عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة والمذكر وهذا قد أحكمه في اسمين ظاهر وباطن وليس هذا من معارف المحبين في شيء والمحبون عرفوه بصفات التجلي ومعاني المعاني ونعوت الاخلاق وفي هذا سر اثر الغيوب وشاهدات المحبوب (وكان شوب الخوف يسكن قلبه - الامن سكر الحب فلو غلب الحب واستحوات المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فأنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب) قال صاحب القوت والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان كل محب خائفاً لان المحبوب مهيب والخوف قد يفيض عن المحبة يشغل الخائف بوصله السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقرين الا ان المحبين لهم من الخوف قوت ومن المحبة اتساع والخائفين لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوت وهذا كما تقول في الرجاء والخوف لانها وصف الایمان لان الخائف يندرج الرجاء في حاله والراجي ينطوي الخوف في رجائه كذلك المحب يصير الخوف في عقده ويظهر الحب في وجده والخائف يغيب الحب في عقده ويظهر الخوف في وجده ان ربي لطيف لما يشاء هذا الظهور والطرق ومباني الدرجات اذ كان لابد من تجرعه ما في قلب لانها من شرط الایمان وحقيقته فتلطفت سبحانه لحكمته بقدرته وفي سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها الا من أعطى يقين شهادته ان سبق الى العبد مقام المحبة كان محباً لمحبة أصحاب اليمين ولم تكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا اشتاقت في مقام المقرين وكل هؤلاء موقنون صالحون وان سبق الى العبد بمقام الخوف كان محباً للمقرين بين العارفين هم درجات عند الله والله بصير بما يصور وبما كانت المحبة ثواباً للخوف ومزيد له وهذا في مقام العاملين فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف كان من المقرين المحبوبين ومن كان الخوف مزيده محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين (فقد نقل من وصف من أذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه انه (روى في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفة ففعل ذلك فهام في الجبال) وفي بعض النسخ في الحال وهو لفظ القوت (وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصاً) صره الى السماء (سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق ربه تعالى فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها فاوحى اليه انما أعطيتاه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فاخوت اجابتهم الى ان شفعت أنت لهذا فلما أجبته فها سألت أعطيتهم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيتهم فذهب الله عنه جله (الجزء وبقي معه عشر معاشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه وعلمه (ورجاءه وسكن وصار كسائر العارفين) فهذا النوع من شأن المعرفة وتجلي الوصف بمعنى محبة يليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه فلذلك كان طيبه أحسن من نشره لان العقول تنسركه والقلوب تمجعه والهـم لا تسر به والقلب لا يجذبه ولا يحببه الله تعالى من العموم (وقد قيل في وصف حال العارفين

المحسوب من بحر المتقارب

(قريب الوجد ذو مرمى بعيد * على الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب
كان فؤاده زبر الحديد * لقد عزت معانيه فغابت * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعداد في الارقات تجري * له في كل يوم ألف عبيد * ولا احباب افسراح بعيد
* ولا يجدر السرور له بعيد)

هكذا أنشد هذه الايات صاحب القوت لانه بتقديم البيت الاخير على الذي قبله وأنشد أيضاً في هذا المقام ظهرت لمن أفنيت بعد بقائه * فكان بلا كون لانك كنته لبعضهم

عن الاحرار منهم والعبيد * غريب الوصف ذو علم غريب * كان فؤاده زبر الحديد * عن الابصار الا للشهيد
يرى الاعداد في الاوقات تجري * له في كل يوم ألف عبيد * ولا احباب افسراح بعيد * ولا يجدر السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أرباباً يشيرون إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات
سرت باناس في الغيوب قلوبهم * (٦٣٢) فلو باقرب الماحد المتفضل عراصا بقرب الله في نزل قدسه * تجول بها أرواحهم وتنقل

مواردهم فيها على العز
والنهي

ومصدرهم عنها الماهو

أكمل

تروح بعزم مفرد من صفاته

وفي حلل التوحيد تمشي

وترفل

ومن بعده هذا مائق

صفاته

وما كتمه أولى لديه

وَأَعْدِل

سأ كتم من علمي به ما

يصونه

وَأَبْذِلْ مِنْهُ مَا أَرَى الْحَقَّ

يَبْذِلْ

وَأَعْطَى عِبَادَ اللَّهِ مِنْهُ

حَقُّوْقَهُمْ

وَأَمْنَعُ مِنْهُ مَا أَرَى الْمَنْعَ

يَفْضُلْ

عَلَى أَنْ لَرَجْنِ سِرَا

وَصُونَهُ

أَتَى أَهْلَهُ فِي السِّرِّ وَالصَّوْتِ

أَجَلْ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْمَعَارِفِ

الَّتِي إِلَيْهَا الْإِشَارَةُ لَا يَجُوزُ

أَنْ يَشْتَرِكَ النَّاسُ فِيهَا

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَنْظُرَهَا

مَنْ أَنْكَشَفَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ

ذَلِكَ مَنْ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهُ

بَلْ لَوَ اشْتَرَكَ النَّاسُ فِيهَا

لَخَرِبَتِ الدُّنْيَا فَالْحِكْمَةُ

تَقْتَضِي شُمُولَ الْغَفْلَةِ

لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا بِلَوْ أَنَّ كُلَّ

النَّاسِ كَالْهَمِّ الْخِلَالِ

فَنَسْكَ بِدَا عَزْلِبَ تَحَارُجَا * بِمَاءٍ وَصَالٍ كُنْتُ أَنْتَ وَصَلْتَهُ * وَابْدَأْتُ وَصَفَا بِالْعُلُومِ تَخْبِرَا
فَشَتَّ قَلْبَا بِالْعُلُومِ جَعَمْتَهُ * وَأَفْرَدْتُ حُبَا فِيكَ مِنْكَ بِمَشْهَدٍ * بِلَاءٌ لِمَنْ فِي الْعِلْمِ حِينَ بَسْطَتَهُ
تَعَزَّزْتُ بِالْعَزْلِ الْمُنِيعِ وَكُلِّ مَنْ * أَشَادُ إِلَى عِزِّكَ فَانْتَ خَدَعْتَهُ

قال وذكرت هذه الآيات لأبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى (قال) صاحب القوت (و) قد (كان الجنيد)
رحمه الله تعالى (ينشد أرباباً يشيرون إلى أسرار أحوال العارفين) وأوصاف المتقربين المحبوبين (وإن ذلك)
لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات (من بحر الطويل

(سرت باناس في الغيوب قلوبهم * فلو باقرب الماحد المتفضل * عراصا بقرب الله في نزل قدسه
تجول بها أرواحهم وتنقل * مواردهم فيها على العز والنهي * ومصدرهم عنها الماهو أكل
تروح بعزم مفرد من صفاته * وفي حلل التوحيد تمشي وترفل * ومن بعده هذا مائق صفاته
وما كتمه أولى لديه وأعدل * سا كتم من علمي به ما يصونه * وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم * وأمنع منه ما أرى المنع أفضل * على أن لارجن سرا يصونه
إلى أهله في السر والصوت أجل)

هكذا أنشد هذه الآيات الجنيد صاحب القوت (وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك
الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من أن يكشفه شيء منها لم ينكشف له شيء منها بل لو أشترك الناس فيها
لخربت الدنيا) واختل نظامها (فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الخلال
أربعين يوماً لخربت الدنيا لهدم فيها وبطلت الأسواق والمعاش) ولفظ القوت ومثل هذا المقام في الأحوال
مثل أكل الخلال في الماء كقول لا يريد الله تعالى أن يطعمه الكل لعمارة الدار لان الأمة كلها لو أكلوا خللاً
أربعين يوماً لخربت الأسواق لهدم فليس ذلك من الحكمة (بل لو أكل العلماء الخلال اشتغلوا بانفسهم
ولو قفت الآلة سنة والاقلام عن كثير مما تنتشر من العلوم) ولفظ القوت ولوان العلماء كلهم أكلوا خللاً لم
نسمع من هذه العلوم التي نسمعها شيئاً أشغلهم بنفوسهم وأعراضهم عن أبحاثهم في ترك ذلك حكمة حسنة
ورجة واسعة (ولكن الله تعالى فيما هو شرفي الظاهر) حسبما يبدو لنا (أسرار وحكم) كان لنا في الخبر أسراراً
وحكماً ولا منتهى لحكمته كإلغائه لقدرته) وذكر صاحب القوت بعد أن أورد المقامات السبعة للمعجبين
في الخوف ما نصه فالخوف من هذه المعاني علامة المعرفة بالخلافة المكونة المقلبة ولا يصلح شرح هذه المقامات
في كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما يشمرح في قلب بيقينه قد شرح ويفصل لبعده من نفسه قد فصل فاما قلب
مشتبك وعبد في هواه مرتبك فليس لذلك أهلاً والله المستعان قال ونم خوف نام عن شهادة حب عال يقرب
اسمه ويلتبس ويخفي وصفه لقله اشتهاره في الاسماع فيجمل أنسه لانه خوف عن مقامه اسم من المحبة يتشنع
على كثير من سامعيه فيمكروهم يتشجع في أوهام غير مشاهديه فيملؤه بالخلاق فان ذكرنا خوفه ثم على ذكر
مقامه فظاهر باظهاره فكان طيبه أفضل من نشره الى أن يسئل عنه من ابتلى به ثم صدر عنه بعد ان شرب منه
لان مقامات المحبة كلها الى جنب مقامه كنهز أضيف الى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها الى جنب
شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يقرب لانه من شوق الحبيب الى المحب وهو من معنى قول رابعة
رحمها الله تعالى أحب الهوى ومن معنى قول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربك يسارع
الى هوالك (ومنها) أي ومن علامات المحبة (كتمان الحب) للغيرة والستر لنفس الذخيرة (واجتناب
الدعوى) فانها كما قالوا فضيحة ولو كانت نصيحة (والتوفى من اظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب واجلالاً

أربعين يوماً لخربت الدنيا لهدم فيها وبطلت الأسواق والمعاش بل لو أكل العلماء الخلال اشتغلوا بانفسهم
ولو قفت الآلة سنة والاقلام عن كثير مما تنتشر من العلوم ولكن الله تعالى فيما هو شرفي الظاهر أسراراً وحكم كان له في الخبر أسراراً وحكماً ولا
منتهى لحكمته كإلغائه لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوفى من اظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب واجلالاً

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعلم العقوبة عليه في العقبي وتتجمل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه (٦٣٣) حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير عمل أو اكتساب فهو معذور لانه مقهور وورعاً تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق ساطانه وقد يفيض القلب به فلا يذفع فضائه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب فلت ما أنا

صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فإلى منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدرى والعاجز عنه يقول يخفى فيبدي الدمع أسرار

ويظهر الوجد عليه النفس ويتول أيضاً ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفنه كيف يكتم وقد قال بعض العارفين أكثر الناس من الله بعداً أكثرهم إشارة بانه أراد من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل ودخل ذوالنون المصري على بعض أشرانه ممن كان يذكروا المحبة رآه مبتلي ببلاء فقال لا يحبه

له وهيبة منه وغيره على سره فان الحب سر من أسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعلم العقوبة عليه في العقبي وتتجمل عليه البلوى في الدنيا) وقد قرن الله الدعوى بقرية الكذب لانها كذب القلب بمنزلة كذب اللسان في قوله ومن أطلم بمن افتري على الله كذباً أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ونسي عنها كنهيه عن التولى عنه في قوله ولا تولوا عنه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك منه من غير عمل) أي تكلف (أو اكتساب فانه معذور لانه مقهور) قال بعض المحبين ورد على حال من التعظيم أخرسى عن الكلام والتفهيم بما لا يصفه صفة من الاجلال والعظمة فحكم على فلما تحكم وملاكني فلم أتكلم ولم أتكلم فلو شئ من حق الله تعالى كان الى وقد رت عليه لم آذن لاحد من أهل السموات والارضين من ملك مقرب والنبى مرسل أن يقول الله اذ كل قائل فيما قول وكل قريب من حيث قرب وكل عارف فيما عرف وكل الكل محجوب عن كنهه القرب وعن حقيقة التوحيد ومن عظمة التعظيم فلان يستطيع أحد أن يقول الله في كنت سنة لأتكم وسمعت رجفان قلبي في صدرى وزاله عن مستقره الى تحرى ويحك أما سمعته يقول انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهذا وجل القلوب من ذكر غافل سمعوه فكيف بذكر ذا كره ذكره فإما قال التوحيد الا الواحد وما قال الله الا الله ثم ذكر الباقي فهذا الذى حال في مقام بعينه بمشاهدة عين من عظامته منفردا منفردا وقرب عن وصف قريب متحد بحد والتوحيد والتعز يدوراء هذا والاتحاد والاحدية والانفراد والوحدانية قوت ذلك والاتحاد والافراد المفردون بما أفرادوا وما وحدوا بما وحدوا اذا كرون بذكره الذى به ذكر واوا المسجون بسجانه التى بها سجنوا هم محجوب هذا المقام وخزان هذا المعنى كشفهم لهذا السر وهو منهم كفر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فوق قوامع الامر لغلبة القهر وسكنوا الاجل الحد فرسموا له الحد واليه أشار المصنف بقوله (ورعاً) تشتمل من الحب نيرانه فلا يطاق ساطانه وقد يفيض القلب به فلا يذفع فضائه فالقادر على الكتمان يقول وقالوا قريب فلت ما أنا صانع * بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري

فإلى منه غير ذكر بخاطر * يهيج نار الحب والشوق في صدرى والعاجز عنه يقول يخفى فيبدي الدمع أسرار * ويظهر الوجد عليه النفس) وذلك ان العبد اذا قهرته الاحوال وعلت على قلبه وأحس من نفسه العجز عن حملها تنفس امامه عداوما تنغص بما هو فيه بكلام أو إشارة لانه مادام حيا لا بد أن يتروح بدخول النفس ونحو وجهه ونهايك بهذه الحالة فانهم اهل الجنة اذ جاء في الخبر ان الذكر يجرى منهم مجرى النفس (ويقول أيضاً ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم

وقد قال بعض العارفين) من المحبين (أكثر الناس من الله عز وجل بعداً أكثرهم إشارة بانه أراد) ان (من يكثر التعريض به في كل شيء ويكثر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل) لنقص مقامه في المحبة (ودخل ذوالنون المصرى) رحمه الله تعالى (على بعض اخوانه ممن كان يذكروا المحبة) ويشير اليها يتعرض لها بالاشارة والعبارة (فراهم مبتلي ببلاء فقال) ذوالنون (لا يحبه من وجد ألم ضره) كانه رآه مضطرباً من ذلك البلاء (فقال الرجل لكنى أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره) كانه أشار الى انه غير مضطرب باطناً (فقال ذوالنون ولكنى أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل) لما سمع ذلك منه (استغفر الله وأتوب اليه) فقد أرشده الى كتمان الحب وعدم افشائه (فان قلت المحبة منتهى المقامات) وبها تكمل المقامات (واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر) ويؤمر بالكتمان (فاعلم ان المحبة

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار وحق المحبان يتم على حبه الخفي أفعاله وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى اظهار الحب ولا إلى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرک في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت بميثك فالذي يرى الخفيات يحزبك علانية واذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لتلايعلم بذلك غيرك فاطهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان (٦٣٤)

محمودة وظهورها محمود أيضا وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار (على الاخوان) (وحق المحب) الصادق (ان يتم على حبه الخفي) في صدره (أفعاله وأحواله دون أقواله) (بصرح العبارات والاشارة فانها لا تخلو من الدعوى) (وأفعاله ينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه إلى اظهار الحب) (المذموم) (ولا إلى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرک في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شيئا لك ما صنعت بميثك فالذي يرى الخفيات يحزبك علانية واذا صمت فاعسل وجهك وادهن رأسك لتلايعلم بذلك غيرك) (ربك) (روى أحمد في الزهد عن هلال بن يساف قال كان عيسى عليه السلام يقول اذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى فليدن عليه ستر بابه فان الله يقسم الشئ كما يقسم الرزق وروى عبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من طريق مسروق عن ابن مسعود قال اذا أصبح أحدكم صائما أو قال اذا كان أحدكم صائما فليترجل واذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله واذا صلى صلاة أو صام تطوعا فليصلها في داخله وقد تقدم) (فاظهار الفعل والقول كله مذموم الا اذا غلب عليه سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه) (فانه مقهور عليه) (حكى أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه) (أي عدم جهلا وجنونا) (فاخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله تعالى فتبسم) (معروف) (ثم قال يا أخى له محبوبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم) (فلم يخرجهم من حد المحبة اذ طاش عقله من سكره وتسكلم بما يعيب عليه سامعه) (فالاولى الادب معهم ولا يفتيس حالهم بسواهم كما أرشد اليه معروف رحمه الله تعالى) (ومما يكره التظاهر بالحب بسببه ان المحب ان كان عارفا) (بأنه تعالى ولا بد أن يكون كذلك فان المحبة ثمرة المعرفة) (وعرف أحوال الملائكة) (عليهم السلام) (في جهنم الدائم وشوقهم للآلزم الذي به يسبحون الليل والنهار ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا ستركف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين في ملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المجانين عبد الله ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح) (أي من الذكر والمراقبة والأعمال الظاهرة) (على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت اني عند الله شيئا) (أي مقام مقربا بسبب تلك الطاعات) (فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات) (أي آيات ملكوتها) (في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرا غيرنا قال فاستحييت من أعمالنا) (واستحققنا بها بجنب أعمالهم) (فوهبتنا ان حق عليه الوعيد) (أي كلمة العذاب) (تخفيها عنهم في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى) (فلا يدعى لنفسه مقام ولا حال) (نعم) (يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه وانجاسه وتردداته كما حكى عن الجنيد) (قدس سره) (انه قال مرض استاذنا السري) (السقطي) (رحمه الله تعالى فلم نجد له لتمدع ولا عرفنا لها سببا) (حتى نهتدي به إلى الدواء

بعض المجانين ما استجهله فيه فاختبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخى له محبوبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومما يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب ان كان عارفا وعرف أحوال الملائكة في جهنم الدائم وشوقهم للآلزم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لا ستركف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه من أخس المحبين في ملكته وان حبه أنقص من حب كل محب لله قال بعض المكاشفين من المجانين عبد الله ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت اني عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرا غيرنا قال فاستحييت من أعمالنا فوهبتنا ان حق عليه الوعيد فاختبرنا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه وانجاسه وتردداته كما حكى عن الجنيد قدس سره انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نجد له لتمدع ولا عرفنا لها سببا حتى نهتدي به إلى الدواء

طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت من أتم فقالوا نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما نخطر على قلوبنا قط سواء ولاد كرا غيرنا قال فاستحييت من أعمالنا فوهبتنا لمن حق عليه الوعيد تخفيها عنه في جهنم فاذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه وانجاسه وتردداته كما حكى عن الجنيد قدس سره انه قال مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نجد له لتمدع ولا عرفنا لها سببا

(فوصف لنا طبيب حاذق) أي ماهر في صناعته (فأخذنا) إليه (قارورة مائه فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر ملياً ثم قال لي أراه بول عاشق) قد فتت كبده (قال الجنيد فصعقت وغشي عليّ) من سماع ذلك القول (ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم) لأن الشوق والعشق يؤثران في الكبد فيفتتانه فينزل الماء أبيض صافياً براقاً ومن هنا قال الجنيد قال رجل للسرى كيف أنت فأنشد يقول

من لم يبت والحب حشوفواؤه * لم يدرك كيف تفتت الأكباد

قال ودفع إلى السرى رقعة مرة وقال احفظ هذه الرقعة فإذا فيها

ولما شكوت الحب قالت كذبتي * فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فما الحب حتى يلمص الجنب بالخصا * وتذبل حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك في الهوى * سوى مقلة تمكئ بها وتناديا

(وقد قال السرى مرة ولوشئت أقول ما أيسر جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه) واغظ البهيقي في الشعب عن الجنيد قال سمعت السرى يقول وقد كئبه يوماً بشئ من المحبة فضرب يده إلى جلدته ذراعاً فدها ثم قال والله إن قلت إن هذا جف على هذا من محبة الله لصدقت ثم أغشى عليه ثم توردد وجهه حتى صار مثل القمر (وتدل الغشبية على أنه أقصع في غلبة الوجد ومقدمات الغشبية) وإن كان مقهوراً (فهذه أربع مجامع علامات الحب وغمراته ومنها الانس والرضا كما سيأتي) فريباً وحاصلاً أن يكون المحب مستأناً ساراً ضابطاً بضعاء الله وكلما كان أحب كان أَرْضَى فأول درجاة الرضا الداخلة تحت التكليف أن يكره المصيبة بطبعه ورضى بفعله والثانية أن يرضى بطبعه وعقله من غير سرور والثالثة سروره بما يجرى موافقة لمحبة الله فيما أبدع وحكم والرابعة أن لا يحس بما يجرى عليه لفناء صفاته في صفات محبوبه وهذه أشرفها وأعزها وقواً فلهذه عشر علامات أو ردها المصنف وهي على عدد معاني المحبة العشرة التي ذكرها الخليلي في شعب الإيمان حيث قال بحمد الله تبارك وتعالى اسم لمعان كثيرة أحدها اعتقاده تعالى محمود من كل وجه لا شيء من صفاته إلا وهو مدحه والثاني اعتقاده بحسن لعباده منعم متفضل عليهم والثالث اعتقاده أن الاحسان الواقع منه أجل وأكثر من أن يحصى قول العبد وعمله وإن كثرت شكره والرابع أن لا يتبعه يستقل العبد قضاءه ولا يستكثر تكليفه والخامس أن يكون في عامة الأوقات مشفقاً وجلالاً من أعراضه عنه وشكر معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاه وزينه به والسادس أن تكون آماله معقودة به لا يراه في حال من الأحوال إلا غنى عنه والسابع أن يحمله تمكن هذه المعاني في قلبه على أن يديم ذكره باحسن ما يقدر عليه والثامن أنه يحرص على أدائها فيه والتقرب إليه في نوافل الخير وما يطيقه والتاسع أنه إن سمع من أحد ثناء عليه وعرف منه تقرباً إليه وجهاداً في سبيله سرا وعلانية مالا له والعاشر أنه إن سمع من أحد ذكره بما يحمله عنه أو عرف منه غياعاً في سبيله سرا وعلانية ناداه فاذا اجتمعت هذه المعاني في قلب أحد اجتماعها هو المشار إليه باسم محبة الله تعالى وهي إن لم تذكر مجتمعاً في موضع فقد جاءت منفردة من النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونه انتهت وقد بقيت للمحبة دلالات وعلامات لم يذكرها المصنف صراحة وإن كان بعض منها مذكوراً ضمنها في ذلك تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس ومنها المبادرة بأوامر المحبوب ونواهيه قبل عاجل حظوظ النفس ومنها التعرز على أبناء الدنيا المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع قال التكبر على المتكبرين وقال علي رضي الله عنه لنفع الموصلي في منام رأماً أحسن تواضع الأغنياء للفقراء جاء ثواب الله وأحسن من ذلك ثبته الفقراء على الأغنياء ثقة بالله ومنها المجاهدة في طريق المحبوب بالمآل والنفس ليقرّب منه ويباغ مرضاهه ويقطع كل قاطع يقطع عنه بالمسارعة إلى قربيه كما قال تعالى تحببوا إليه محبة ومحبات إليك رب اترضني وكأمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وتبذل إليه بتبذلاً أي انقطع إليه

فوصف لنا طبيب حاذق

فأخذنا قارورة مائه

فنظر إليها الطبيب

وجعل ينظر إليه ملياً ثم

قال لي أراه بول عاشق

قال الجنيد فصعقت

وغشي عليّ ووقعت

القارورة من يدي ثم

رجعت إلى السرى

فأخبرته فتبسم ثم قال

قاتله الله ما أبصره قلت

يا أستاذ وتبين المحبة في

البول قال نعم وقد قال

السرى مرة ولوشئت

أقول ما أيسر جلدي

على عظمي ولا سل

جسمي إلا حبه ثم غشي

عليه وتدل الغشبية على

أنه أقصع في غلبة الوجد

ومقدمات الغشبية فهذه

بمجامع علامات الحب

وغمراته * ومنها الانس

والرضا كما سيأتي

انقطعا عما سواه بالاخلاص له أو قاطع كل قاطع حتى تصل اليه فهذان من أدل الدليل على المحبة ومنها ان لا يخاف في حبه لومة لائم من الخلق لانه على محبته على السلوك اليه بشيق النفس وهجر الدار ورفض المال ولا يرجو في محبته مدح ماذح ولا يرغب في شناع العباد بايثاره على الال والمال والدار ومنهاريه البلاء منه نعمة كما قال قائلهم فلو قطعتني في الحب اربا * لما حن الفؤاد الى سواك

ومنها موافقة الحبيب فيما أحب حباله كما قال عمر لصهيب رحم الله صهيبا ولم يخف الله لم يعصه أي ان محبته له تمنع من مخالفتهم من غير خيفة فهو بطبعه حباله وكان صهيب يقول انه لا يستخرجه غيره يعني من معاني الصفات والافعال المرجوة ومنها جود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى علمه به وحده واخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكنتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من اللطاف والقوائد وكثرة الشكر في نعماته ونفي الطائفه وغرائب صنعته وبجائبة قدرته وحسن الثناء عايمه في كل حال ونشر الآلاء منه والافضل والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف بأوليائه ويعنف بأحبائه لئلا ينفك منهم ومكانتهم عنده ولعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليس لهم بغية في سواه ولالهم همه الا اياه وقال بعضهم في هذا المقام يا بلاني وبابلاء البلاء * أنت داني فكيف أكره داني

وقال آخر في معناه لا تطلبن شفاء عندهم * لا تحببك الامن توفاك
وقال الحب في معناه ان شئت جودي واما شئت فامتنع * كلاهما منك منسوب الى الكرم
فانت عندي وان أورتني سقما * أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها المسارعة الى مآذب اليه من أنواع البر بوجد الخلاوة وشرح الصدر ودوام التشبكي والحنين اليه وسبق النظر الى الخالق في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ومنها التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك ومنها أن لا يطالب بخدمته سواه وان يجتمع في محبته وهو هو فلا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يقضى عليه مولاة الا بما يهوى قال بعضهم اذارأيت يوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار موسى عليه السلام اذارأيت النقي مشغولا في طلب الرب فقد اذله الله ذلك عما سواه وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول من علامة الحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطاف من مولاة وقيل القرية الى محبوبه وقلة التأذي بكل بلا يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أصفي ما أكون ذكر اذا كنت محبوما (و بالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق غرة الحب ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه ولا يخرجون عن هذين القسمين) والقسم الثاني أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات وما قبلهما وهو القسم الاول متعلق بالله من حيث قدرته على الانعام والاحسان ففيه اشغل عن الله والمحبة الناشئة عن الجمال والجلال من أشرف نعم الله على العباد لانها تعريف له بما هو به وتقريب منه الا ان المقصود يصير كما نأخذ أشعة الافضل اذا امتلأ القلب بالافضل ويكون الحكم والجزاء للغالب (ولذلك قال الجنيد) قدس سره (الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان يزيد وينقص) فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماؤه الحسنى (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم النعم) (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها) (نعم من الناس من يحب الله وهو وعد الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الضرر والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ويرياء سمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظاهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء) الذين ياكلون الدنيا بالدين (أولئك بغضاء

ومكارم الاخلاق غرة الحب ومالا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان لم يحسن اليه ولا يخرجون عن هذين القسمين) ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا انهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماؤه الحسنى (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو أزال عنهم النعم) (لم يتمتعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها) (نعم من الناس من يحب الله وهو وعد الله ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الضرر والجهل فيظن انه يحب الله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات أو يلبس به نفاقا ويرياء سمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظاهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء) الذين ياكلون الدنيا بالدين (أولئك بغضاء

الله في أرضه موكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يادوست أي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن العادل سرا لا يتخلوا ما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا (٦٣٧) فهو حبيب ابليس وقد قال أبو تراب

الله في أرضه فهم عن محبة الله بعزل (وكان سهل) التسترى رجه الله تعالى (اذا تكلم مع انسان قال يادوست) بضم الدال المهملة وسكون الواو والسين المهدلة والتاء فارسية (أي حبيب) من ذلك عوتب مرة في العلة التي كانت به وكان يداوى الناس منها ولا يداوى نفسه فقيل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع كما نقله صاحب القوت (فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا) أي كيف تقول لسلك من تخاطبه بهذا اللفظ وقد لا يكون بعضهم من يتصف بالحبة (فقال في اذن القائل سرا) هذا الذي أقول له يادوست (لا يتخلوا ما أن يكون مؤمنا أو منافقا) يكتتم إيمانه (فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس) فهو على كل حال يصح ان يطلق عليه هذا اللفظ وهذا نظير ما كان يقول لنا شيخنا المرحوم لقطب السيد عبد الله بن ابراهيم الحسيني زيل الطائف قدس سره في معنى قوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين أي الثواب والعقاب اذ كل منهما صالح أما للثواب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وأما للعقاب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (وقال أبو تراب) عسكر بن حصين (النخشي) رجه الله تعالى (في علامات المحبة) ودلائلها الخاصة (أبياتا وهي هذه) من مشطور الرجز

(لا تتخذ عن فلحبيب دلائل * ولديه من تحف الحبيب رسائل * منها تنعم به بحر بلائه وسروره في كل ماهو فاعل * فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل ان يرى في غرمة * طوع الحبيب وان ألح العادل * ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل * ومن الدلائل ان يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل ومن الدلائل ان يرى متشففا * متحفظا من كل ماهو قائل)

(وقال يحيى بن معاذ) الرازي رجه الله تعالى في هذا المعنى الا انه خفض القافية

(ومن الدلائل ان تراه مشمرا * في خرقتين على شطوط الساحل * ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام فخاله من عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دارذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكا ان قد رآه على قبج فاعمل * ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل ومن الدلائل ضحكه بين الوري * والقلب محزون كقلب الناكل)

وقد ذيلت على هذه الابيات عند تشطيريها زدت فيها ذكر بعض الامارات التي أشربت اليها آنفافقلت

ومن الدلائل خوفه من محبه * وبعاده وعن السلوا الحاصل * ومن الدلائل ان تراه عابدا حباله من غير خوف حائل * ومن الدلائل ان تراه آنسا * بولي له المولى وليس بغافل ومن الدلائل ان تراه مبادرا * لاوامر المحبوب قبل العاجل * ومن الدلائل ان تراه جامعا كل الهموم لهم يوم آجل * ومن الدلائل ان تراه موافقا * لمحاب مولاه بغير تغافل ومن الدلائل ذله بين الوري * لذوى الولا والبغض للمتحائل * ومن الدلائل ان تراه واثقا في تبه في الله فوق الجاهل * ومن الدلائل ان تراه مجاهدا * بالنفس والمال النفيس الحاصل ومن الدلائل انه في حبه * لم يخف لومة لائم أو عاذل * ومن الدلائل ان تراه مسارعا للحق ثم يجانب الباطل * ومن الدلائل ان تراه نائرا * افضال مولاه بحمد واصل ومن الدلائل ان تراه صابرا * لبلائه في كل أمر نازل * ومن الدلائل ان تراه ناعجا متواصيا بالحق غير مخناتل * ومن الدلائل ان تراه هاجرا * مألوفه في حب مولى كامل

ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دارذل والنعيم الزائل * ومن الدلائل ان تراه باكا * أن قد رآه على قبج فاعل

ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل * ومن الدلائل ان تراه راضيا * بملكه في كل حكم نازل

ومن الدلائل ضحكه بين الوري * والقلب محزون كقلب الناكل

أبياتا
لا تتخذ عن فلحبيب دلائل
ولديه من تحف الحبيب
وسائل
منها تنعم به بحر بلائه
وسروره في كل ماهو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة
والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من
عزمه

طوع الحبيب وان ألح
العادل
والقلب فيه من الحبيب
بلابل
ومن الدلائل ان يرى
متفهما

ومن الدلائل ان يرى
متبسما
لكلام من يحظى لديه
السائل
ومن الدلائل ان يرى
متشففا

متحفظا من كل ماهو قائل
وقال يحيى بن معاذ
ومن الدلائل ان تراه
مشمرا

في خرقتين على شطوط
السواحق

ومن الدلائل حزنه ونحيبه
جوف الظلام فخاله من
عاذل

ومن الدلائل ان تراه
مسافرا

نحو الجهاد وكل فعل فاضل

* (بيان معنى الانس بالله تعالى) * قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب (١٣٨) عليه التطاع من وراء حب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع

ومن الدلائل ان تراه خائفا * عن أعين في زى عبد خامل

* (بيان معنى الانس بالله عز وجل) *

اعلم انا (قد ذكرنا) فيما سبق (ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة) ومن غرائها (الانس هذه) آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطاع من وراء حب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنهه (الجلال) لصعوبته (انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف) والمعاينة (وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا) الا ان الشوق أفضل من الانس لان الانس قصر نظره على ما انكشف له من الجمال ولم يمتد نظره الى اشكال ما غاب عنه والمستأنق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفة بان الذي انكشف له من الأمور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود وقد تقدم تحقيقه (وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستبشار فيسمى تالمه خوفا) وقد تقدم تحقيقه في كتاب الخوف (وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقضيها لا يمكن حصرها) لكن ثمرتها (فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال) والكامل والقرب مما انكشف له منها (حتى انه اذا غلب وتجرد) وقصر نظره (عن ملاحظة ما غاب عنه) من مزيد اللطاف (وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعمه و قوت لذاته) واستحقر في جنب لذته وتنعمه لقرب حبيبته جميع ما سواه حتى لو انفهقت له الجنان جميعها لم تنذهله ولم تشغله عن التذاذب بجمال محبوبه لانا اذا رأينا صفة جيدة محكمة أحببنا الصانع لذلك فان رأينا ما هو أجل منه وأحسن وأشرف واحكم ازدادنا فيه حبا - ذاق دار الاختبار ومحل الاستدلال فكيف بالعارفين في دار القرار ومحل الكشف والعيان ويطل حكم الدليل والاستدلال ويرجع الحق تعالى مشهودا للعباد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فينبذ لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (ومن هنا نظر بعضهم) وهو الانطواء كما صرح به صاحب العوارف (حيث قيل له أنت مشتاق فقال لانما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق) نقله القشيري في الرسالة وقد تقدم وحكاها صاحب العوارف فقال وانكر بعضهم مقام الشوق وقال لانما الشوق الى الغائب ومتى يغيب الحبيب من الحبيب حتى يشتاق ولهذا سئل الانطواء عن الشوق فقال لانما يشتاق الغائب وما غبت عنه منذ وجدته قال وانكار الشوق مطلقا لا أرى له وجه الا ان ترتب العطايا والمنع من أنصبة القرب اذا كانت غير متناهية كيف ينكر الشوق من الحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة الى ما وجد ولكن يكون مشتاقا الى ما لم يجد من أنصبة القرب وكيف يمنع حال الشوق والامر هكذا وجه آخر ان الانسان لا بد له من أمور يرد بها يحكم الحال لموضع بشرية وطبيعته وعدم وقوفه على حد العلم الذي يقتضيه حكم الحال ووجود هذه الأمور ومثيرة لنار الشوق ولا نغنى بالشوق الا مطالبة تنبعث من الباطن الى الاولى والاخرى من أنصبة القرب وهذه المطالبة كائن في المحبين فالشوق اذا كان لا وجه لانكاره وقد قال قوم شوقا المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيوبة فيكون في حال الغيوبة مشتاقا الى اللقاء ويكون في حال اللقاء والمشاهدة مشتاقا الى زوايد ومباد من الحبيب وافضاله وهذا هو الذي أرادته واختاره انتهى (وهذا كلام) غريب الحال (مستغرق بالفرح بما تاله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزيد اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد) عن الخلق (والخالوة) مع الله تعالى (كما حكى ان ابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى اذ (نزل من الجبل) فقيل له من أين أقبلت فقال من

على كنهه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى أمر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف والمستأنق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفة بان الذي انكشف له من الأمور الالهية بالنسبة الى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة الى سعة الوجود وقد تقدم تحقيقه (وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستبشار فيسمى تالمه خوفا) وقد تقدم تحقيقه في كتاب الخوف (وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لانما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب

حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما تاله غير ملتفت الى ما بقى في الامكان من مزيد اللطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخالوة كما حكى ان ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له من أين أقبلت فقال من

الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلزم التوحش من غير الله بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما تكلم به مكث دهر لا يسمع كلام أحد من الناس الأخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القاب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آتسني بذكره (٦٣٩) وأوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لا داود عليه

السلام كن لي مشاقا
وبني مسنأنا ومن
سواي مستوحشا وقيل
لرابعة بمثل هذه المنزلة
قالت بتر كي ما لا يعنيني
وأنسى بمن لم يزل وقال
عبد الواحد بن زيد
مررت براهب فقلت له
ياراهب لقد أعجبتك
الوحدة فقال يا هذا لو
ذقت حلاوة الوحدة
لاستوحشت اليها من
نفسك الوحدة رأس
العبادة فقلت ياراهب
ما أقل متجدة في الوحدة
قال الراحة من مداراة
الناس والسلامة من
شرهم قلت ياراهب متى
يذوق العبد حلاوة
الانس بالله تعالى قال
اذا صفا الود وخلصت
المعاملة قلت ومتى يصفو
الود قال اذا اجتمع الهم
فصارهما واحدا في
الطاعة وقال بعض
الحكماء عجب الخلق لا يثق
كيف أرادوا بابل بدلا عجا
للاقلوب كيف استأنست
بسؤالك عنك فان قلت
فما علامة الانس فاعلم
ان علامته الخاصة ضيق
الصدر من معايشة

الانس بالله) يشير الى مقام الانفراد واه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الصمد عن أبيه قال روى ابراهيم ابن أدهم خراجا من الجبل فذكره (وذلك لان الانس بالله يلزمه التوحش من غير الله تعالى بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الاشياء على القلب كما روى) في بعض الاخبار (ان موسى عليه السلام لما تكلم به) عز وجل (مكث دهر) أي زمانا طويلا (لا يسمع كلام أحد من الناس الأخذه الغثيان) وهو تلاعب النفس من باطن وهو من مبادئ النية (لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء من المحبين (في) جملة (دعائه يا من آتسني بذكره وأوحشني من خلقه) وما أوحشه من خلقه الا وقد أراد منه أن يأتس به (و) في الاخبار (قال الله عز وجل لا داود عليه السلام) يا داود (كن لي مسنأنا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة) العذوبة رضي الله عنها (بمثل هذه المنزلة) يعني في المحبة (قالت بتر كي ما لا يعنيني) أي لا يهمني (وأنسى بمن لم يزل) قال عبد الواحد ابن زيد (البصري رحمه الله تعالى) مررت (براهب) فقلت ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة رأس العبادة قلت ياراهب ما أقل متجدة في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة) أي عن شوب المشاركة (قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصارهما واحدا في الطاعة) قال الخطابي في كتاب العزلة ولولم يكن في العزلة الا السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس وما يدفع اليه الانسان اذا كان فيهم من استعمال المداينة معهم وخداع الماورية في رضاهم لكان في ذلك ما يرغب في العزلة ويجرك اليها انتهى وقد تقدم شيء من هذا في كتاب العزلة (وقال بعض الحكماء) من المحبين في مناجاته (عجب الخلق لا يثق كيف أرادوا بابل بدلا عجا للقلوب كيف استأنست بسؤالك عنك فان قلت فما علامات الانس) وشواهد (فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معايشة الخلق) ان لم يمكنه الهروب منهم (والتبرم بهم) أي التضرع من مخالطتهم (واستهتاره بعذوبة الذكر) حتى يمزج به لحسه ودمه بحيث لو طرقت ساعة وهو لم يذكر تغير حاله ويتأسف عليه (فان خالط) وهو هكذا (فهو كمن فرد في جماعة) وحي في أموات (ويجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضر وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر) وهو آخر المقامات الثمانية التي عليها مبنى طريقة السادة النقشبندية ويعبرون عنها بآلهم خلوة وراء تجمر يعني الخلوة في الخلوة الظاهر مع الخلق والباطن مع الحق اليد بالشغل والقلب بالحق وأنشدوا ومن داخل كن صاحباً غير غافل * ومن خارج خالط كبعض الاجانب والى هذا أشارت رابعة رضي الله عنها حيث قالت

اني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأجعت جسمي من أراد جلولي
فالجسم مني للجليس مؤانس * وجيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وحكى البيهقي في الشعب عن علي بن سهل الانس بالله أن يستوحش من الخلق الامن أهل ولاية الله عز وجل فان الانس باهل ولاية الله هو الانس بالله تعالى (كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم) وذلك فيما رواه أبو نعيم في الحلية من طرق عن كميل بن زياد قال أخذ علي بن أبي طالب بيدي فاخرجني الى ناحية الجبان فلما أبحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية تغيرها أوعية فاساق الحديث الى ان قال أولئك هم الاتلون عدا الاعظمون عند الله قدراهم يدفع الله عن حبه حتى يؤدوها الى نظائرهم ويزرعها في قلوب أشباههم (هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين واستلوا ما استوعر) منه (المتفرقون

الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمن فرد في جماعة ويجمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في غيبة وغائب في حضر وخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجمهم العلم على حقيقة الامر فباشر واروح اليقين واستلوا ما استوعر المتفرقون

والدعاة إلى دينه فهذا
معنى الانس بالله وهذه
علامته وهذه شواهد
وقد ذهب بعض
المتكلمين إلى إنكار
الانس والشوق والحب
لأنه إن ذلك يدل على
التشبيه وجهه بأن جبال
المدرجات بالبصائر كل
من جبال المبصرات
ولذته معرفتها أغلب على
ذوى القلوب ومنهم
أحمد بن غالب يعرف
بغلام الخليل أنكر على
الجنيد وعلى أبي الحسن
النوري والجماعة
حديث الحب والشوق
والعشق حتى أنكروا
بعضهم مقام الرضا وقال
ليس الاصبرفا الرضا
فغير متصور وهذا كله
كلام ناقص قاصر لم يطالع
من مقامات الدين الأعلى
القشور فظن أنه لا وجود
للقشور فان المحسوسات
وكل ما يدخل في الخيال
من طريق الدين فشر
بجرد ورواه الألب المطلوب
فن لم يصل من الجوز إلا
إلى قشره بظن أن الجوز
خشب كما ويستحيل
عنده خروج الدهن منه
للمحالة وهو معذور
ولكن عذره غير مقبول
وقد قيل

وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بآيدان وأراحها معلقة بالحل الأعلى (وفي رواية بالملا الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه) هاهنا شوق إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولكم إذا شئت فقم وقد ذكر الحديث بطوله مع ذكر أسانيد وشرح ألفاظه واختلاف رواياته في أول كتاب العلم فراجع إن شئت (فهذا معنى الانس بالله وهذه علاماته وهذه شواهد) ولذا كرقاعة تجمع ما أشار إليه المصنف في هذا الفصل فنقول اعلم أن معرفة العارفين بقر بالله تعالى منهم سبب لقربهم من الله واتصالهم به وعنه تشعب جملة أحوالهم لأن الأحوال نتيجة الصفة المشهودة مع القرب فالقرب أصل لا يفارقه العارفون فإن اقترن به شهود الجمال أثمر المحبة والانس وإن اقترن بالقرب شهود الجلال أثمر الهابة وإن اقترن به شهود الكبرياء أثمر الصغار والاحقاد وإن اقترن به ترك المبالاة وشهود السلاطين أثمر الخفاقة وإن كان معه العلم أثمر الامان وإن اقترن به شهود الغيوب أثمر الغنى عن الاكوان وإن اقترن به شهود دمر ايا الاطاف خيف على عقله من فرحه بالجود والافضال واما الأبرار وأحوالهم تنشأ عن العلم بجود الرب مطلقا مع اقتران العلم باقتداره على المنع والعطاء والسعادة والاشقاء فيتولد من ذلك ما يحثهم على خوفه ورجائه وإذا كان القرب بهذه المتزلة العظيمة فلا بد من ذكر لمة منه يستعان بها على ادامة الأحوال نقل القشيري عن أبي سعيد الخزاز أنه قال إن حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوا الضمير إلى الله تعالى قال الكمال محمد بن اسحق وهذا الذي ذكره هو الوسيلة لنيل القرب لأنفس القرب لانه سبق ان الطهور شرط الايمان والذي ذكره طهوا للقلب عما سوى الله تعالى وإذا تطهر عما سوى الله تعالى كان الله حاضرا مع العبد لانه ليس بين العبد وربه الاحجاب نفسه وعوارضها فإذا فني عن نفسه وعن عوارضها عرف قرب الله وجهه ذلك ان كل ذرة من بدن العالم وبدن الانسان قد تعلق العلم بها كشافا لارادة تخصيصها والقدرة ليجادا وابقاء الصفات لا تفرق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته فاذا نطق العارف فلا ينطق بنفسه وان سمع فلا يسمع بنفسه وهكذا ورد الحديث الصحيح كما تقدم فهذا انظر العارف المقرب ولذلك قال تعالى ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون جاءت الآيات على وزن أفعال للمبالغة في القرب لعسر الفرق ودقته بين الدال والمدلول فالعارفون يرون ربه في الدنيا بعين الايقان والبصائر ورونه في الاخرى بالابصار رأى العين فهو قريب منهم في الدارين وليس قربه في الاخرى بخالف القرب في الدنيا لا يميز بين اللطف والعطف والافتقار تفتت ههنا وهناك قرب المسافة ولم يكن بينهم وبين مخلوق اضافة لافي الدنيا ولا في الآخرة وهذه المعرفة مثمرة لانسان بشرط الصفات لا لمحالة (وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الانس والشوق والرضا والحب لانه إن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جبال المدرجات بالبصائر كمل من جبال المبصرات) بالحواس (ولذته معرفتها أغلب على ذوى العقول) كما تقدمت الإشارة إليه في أول هذا الكتاب (ومنهم أحمد بن غالب) وكان من أئمة النحو والكلام (يعرف بغلام الخليل) هو الخليل بن أحمد النحوي شيخ النحاة وناما عرف بغلام لانه لزم الخليل فكثر القراءة عليه ولولم يخدمه (أنكر على) أبي القاسم (الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة) ممن نحوا عنهم (حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكروا بعضهم مقام الرضا وقال ليس الاصبرفا الرضا فغير متصور) كما سيأتي في باب الرضا (وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطالع من مقامات الرضا الاعلى القشور فظن أنه لا وجود للقشور فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين فشر مجرد ورواه المطلوب فن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره بظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عذره خروج الدهن منه للمحالة وهو معذور) لعدم اطلاعه والوقوف على الكنه (ولكن عذره غير مقبول) عند ذوى التحقيق (وقد قيل) في ذلك (الانس بالله لا يحويه بطل * وليس يتركه بالحوال محتمل) والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله تعالى

* (بيان معنى الانبساط والادلالات الذي يثمره غلبة الانس) * اعلم أن الانس اذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلة الشوق ولم ينغصه خرفة التغير والحجاب فانه يثمر نوعان من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا للصورة السابقة من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس ومن لم يقيم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام ان يسأله ليستسقى لبنى اسرائيل (٦٤١) بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج

موسى عليه السلام ليستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقال له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم عشى في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة تعد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتني مذبحين أخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حملك وما الذي بدالك أنقصت عليك عيونك أم عانت الرياح عن طاعتك أم

* (بيان معنى الانبساط والادلالات الذي يثمره غلبة الانس) * (اعلم) أرشدك الله (ان الانس) يثمر السكينة والطمأنينة والانبساط والادلالات وذلك لان لذة الانس تطير الباب العارفين وتوجب لهم الطغيان لان الانسان يطغى عند الغنى فمجدهم الله بعنايته وتوفيقه ينزل عليهم سكينة فيثبتهم بها وتوقفهم على حذر الاعتدال في آداب الحضرة قال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى وهذه سعادة لا يعطاهها كل أحد لان الادب يزيد في القرب من المحبوب قال الله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ولفظ السكينة ورد في كتاب الله تعالى على أحوال مختلفة لا شترأ كهيا نفس السكون والطمأنينة فوق السكينة لان السكينة صولة تعدل طغيان القلب وتثبت الطمأنينة وجود من بعد اعتدال بفرح واستمثار معرفة القلب بالزبد والطمأنينة مستحبة مع الانس لانها مقصودة في نفسها والسكينة وسيلة تحته على الادب والاعتدال وأما الانبساط والادلالات فان الانس (اذا دام وغلبه واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق) لقصور نظره على طيب حاله (ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فانه يثمر نوعان من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكرا للصورة) لا يلبق بحال التعظيم والاحلال الموحين للهيبة (لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس) وقد يلبق بالمستأنس المنبسط ما يلبق بالنائب المتضائل وذلك مثل قول عائشة رضي الله عنها لما سمعت قوله تعالى ترجى من تشاء منهم وتؤوى اليك من تشاء قالت ان ربك ليسارع في رضاك أو هو الك (ومن لم يقيم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل هلك به وأشرف على الكفر) عياذ بالله منه (ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى عليه السلام ان يسأله يستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين) ومنع عنهم المطر (وخرج موسى) عليه السلام (يستسقى لهم في سبعين ألفا فأوحى الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام) بنى اسرائيل (فلم يعرف) لانه كان مجهولا عندهم لا يؤبه به ولا يشار اليه (فبينما موسى) عليه السلام (ذات يوم عشى في طريق اذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة تعد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتني أي مطالوبنا (مذبحين أخرج) الى الصحراء (فاستسقى لنا) ربك (فخرج) مطيعا له ورفع يديه ودعا (فقال في) جملة (كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حملك وما الذي بدالك أنقصت عليك عيونك أم عانت الرياح عن طاعتك أم فقد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال) الراوى (فما ربح) مكانه (حتى) اجتمع السحاب في أكاف السماء (و اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال) برخ (كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به) ليؤدبه (فأوحى الله اليه) لاتفعل (ان برحا يفضح كنى كل يوم ثلاث مرات) بشير الى انه من ضنائر أوليائه (و) روى (عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى

(٨١ - (اتخاف السادة المتقين) - تاسع) فقد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألسنت كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترى انك تمتنع أم تخشى الفوت فتجمل بالعقوبة قال فما ربح حتى أخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأثبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفتي فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى اليه ان برحا يفضح كنى كل يوم ثلاث مرات * وعن الحسن

قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقى في وسطها خص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر بذلك فبعث الى صاحب الخصب قال فأتني بشيخ فقال يا شيخ ما بال خصك (٦٤٢) لم يحترق قال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضي الله عنه اني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمتي قوم شعث رؤسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لا يبرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال اني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه فأتني بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فعزمت عليها فطفئت وكان أبو حفص يعيش ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص ما أصابك فقال ضل جاري ولا أملك غيره قال فوقف أبو حفص وقال وعزتك لأخطو خطوة ما لم ترد عليه جواره قال فظهر عليه جواره في الوقت ومرا أبو حفص رحمه الله فهذا وأمثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله أهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لوسمها العموم لكفر وهم وهم يحدون المزيدي أحوالهم بذلك وذلك بحتمل منهم ويليق بهم قال صاحب القوت فلورأت أبا المستمع ما يكون بينه وبينهم في سرهم وما يحاسبهم به ويحادثهم في هذه المواطن لا كنت تعذرهم في كل قول وفعل فهو لا يحكمهم عليهم في أمورهم قد حيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المنقول ما أوجدتهم مأخوذ بالعلم الجهول عند ذوي العقول فراده ساقط وعزمه مفسوخ ومحبة في الأمور منقوصة والخليفة منه في حيرة (والله أشار القائل

قوم تتخالجهم زهو بسيدهم * والعبد زهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه * يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على هذه المعاني
وهم يحدون المزيدي أحوالهم بذلك وكذلك يحتمل منهم ويليق بهم والله أشار القائل قوم تتخالجهم زهو بسيدهم
والعبد زهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه * يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به
على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على هذه المعاني

لوفطنت وفيه سميت بجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فانما هي عند ذري الاعتبار من الاسماء فأول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس أمارتهما كيف اشتركا في اسم المعصية والخالفته ثم تبينا في الاجتناب والعصمة أما ابليس فأبليس عن رحمة وقيل انه من المبعدين وأما آدم عليه السلام فقبل فيه وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبا به قيثاب عليه وهدي وقد عاب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبادة الاقبال على عبدهم في اليهودية مسيان ولكن (٦٤٣) في الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت

لوفطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولى البصائر والابصار حتى ينظر واليهابعين الاعتبار فانما هي عند ذوى الاغترار من الاسمار) أى الحكايات التى يسمر بها فى المجالس (فاقول القصص قصة آدم عليه السلام وابليس اماتراهما كيف اشتركا فى اسم المعصية والمخالفة) للاوامر الالهية (ثم تبينا فى الاجتناب والعصمة اما ابليس فابلس عن رحمة وقيل انه من المبعدين) ولذلك سمي ابليسا وشيطانا من شطن اذ بعد (وأما آدم) عليه السلام (فقبل فيه وعصى آدم ربه فغوى) أى ضل عن رشده (ثم اجتبا به قتاب عليه وهدى) فكم بين جنائيه تسببت الى الطرد من الحضرة الالهية وجنايه تسببت الى التقرب منها (وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض عن عبد والاقبال على عبد وهما فى العبودية سياتن ولكن فى الحال مختلفان فقال وأما من جاءك يسعى) أى يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله أو اذابه الكفار فى آتيناك أو كبروة الطريق لانه أعمى لا قائد له (فانت عنه تلهى) أى تشاغل (وقال فى الآخر) أما من استغنى فانت له عدى) أى تتعرض بالاقبال عليه وفى ذكر التلهى والتصدى اشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي لك والمراد بالاول عبد الله بن أم مكتوم وبالثانى أمية بن خلف وروى ابن أبى حاتم عن ابن زيد لوان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب شيئا من الوحي كتبكم هذا عن نفسه (وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) كتب ربكم على نفسه الرحمة (وأمره بالاعراض عن غيرهم فقال واذا دأر آيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وهم أهل الصفة وقد تقدم الكلام عليه (فكذا الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فى انبساط الانس قول موسى عليه السلام ان هى الا فتنة تزل بهم امن تشاء وتهدى من تشاء وقوله فى التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون فقال ولهم على ذنب وقوله انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى) ولا ينطق لسانى (وقوله انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى وهذا) وأمثاله (من غير موسى عليه السلام) معدود (من سوء الادب) فى الحضرة الالهية (لان الذى أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لبونس عليه السلام ما) هو (دون هذا) بكثير وهو ذهابه مغاضبا القومه قبل أن يؤمر وقيل بالعذاب فلم ياتهم لم يعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك (لما أن أقيم مقام القبض والهبة فعوقب بالسجن فى بطن الحوت فى طلبات ثلاث) بطن الحوت والبحر والليل وكان مدة مكثه فى بطن الحوت أربع ساعات وقيل ثلاثة أيام (ونودى عليه الى يوم القيامة لولأن تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها (لنبذ) أى طرح (بالعراء) أى بالارض الخالية عن الاشجار (وهو مذوم) أى ملهم مطرود من الرحمة والكرامة (قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى (العراء هو القيامة ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به وقيل له فاصبر لحكم ربك) وهو امهالههم وتأخير نصرته عليهم (ولا تسكن كصاحب الحوت) نونس (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبلى بيلائه وقال قتادة أى لا تعجل كما يعجل ولا تغضب كما غاضب ربه أجدى الزهد وقال وهب كان فى خلق نونس ضيق فلما جلت عليه أن قال النبوة تفسخ منها تفسخ الربع فقد فهامن يديه وهرب ربه والحاكم وقال ابن عباس وهو مكظوم أى مغمووم واما ابن أبى حاتم (وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات

وبعضهم الماسبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كان الله ورفعه بعضهم درجات فكافي عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلان سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه أقيم مقام الهيبة والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف (٦٤٤) احتمل لاختوة يوسف ما فعله يوسف وقد قال بعض العلماء قد عدت من أول قوله تعالى

اذ قالوا يوسف وأخوه أحب الى آيينا منالى وأمن العشر من من أخباره تعالى عن زهدهم فيه ينفأور بعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في السكامة الواحدة الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العز في مسألة واحدة سأل عنها في القدر حتى قبل محي من ديوان النبوة وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعز في وجلالي لأن أخذته عصفتم عصفاني عليه لا تركه مثله لمن معه ونسكالان بعده فلما دخل آصف

وبعضها الماسبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال (منهم من كان الله ورفعه بعضهم درجات فكافي عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلالة) وانبساطه (سلم على نفسه فقال والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) كما أخبر الله تعالى عنه (وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام) قاله أقيم مقام الهيبة والحياة فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه (يوم ولدت ويوم يموت ويوم يبعث حيا) وانظر كيف احتمل لاختوة يوسف (عليهم السلام) ما فعله يوسف (عليه السلام) وهم يهودا وروبل وشمعون ونكشل ووابي وعبادوا وملون وأساحر واسترو جادر ولاوى (وقد قال بعض العلماء قد عدت من أول قوله تعالى اذ قالوا يوسف وأخوه أحب الى آيينا منالى رأس العشر من) آية (من أخباره تعالى عن زهدهم فيه ينفأور بعين خطيئة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في السكامة الواحدة الثلاث) منها (والاربع فغفر لهم وعفا عنهم) وقبل شفاعة أبيهم واستغفاره فيهم ومنهم من شرفه بالنبوة (ولم يحتمل لعزير) بن شاروخا (في مسألة واحدة سأل عنها في القدر) وقصته في القرآن أو كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها الآية وكان يحفظ التوراة على ظهر قلبه فلما أحياه الله تعالى بعد مائة عام وكان مختصر قد أحرق نسخ التوراة كلها فجدد لهم التوراة عن ظهر قلبه ولذلك قالوا فيه عزير ابن الله وقد أخرج قصته ابن عساکر من طرق عن كعب بن وهب والحسن وابن عباس (حتى قبل محي من ديوان النبوة) بسبب ذلك (وكذلك بلعم بن باعوراء) في بنى اسرائيل (من أكابر العلماء) ومن كان يعرف الاسم الظاهر (فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك) فغضب الله عليه وكان ما كان وقصته في القرآن وقد تقدم ذكرها في كتاب ذم الدنيا (وكان آصف) بن برخيا بن شعويل بن خالة سيدنا سليمان عليه السلام ووزيره ومعينه قيل هو المراد بقوله تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب قيل كان يعرف الاسم الاعظم لكنه كان (من المسرفين) على نفسه (وكانت معصيته في الجوارح ففعا عنه فقد روى أن الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعز في وجلالي لأن أخذته عصفتم عصفاني عليه لا تركه مثله لمن معه ونسكالان بعده) أى ليعتبر به المعثرون (فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج) آصف (حتى علا كتيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت) أى فى كمال عز لئلا يورب بيتك (وأنا أنا) أى فى كمال ذلى وعبوديتى (فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصم لاعودن) أى الى المعصية (فأوحى الله تعالى اليه) بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام (صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم) وبقي على رتبته التى كان عليها وقد رويت عنه العلوم الغريبة من الفلك والاسم واليه ينتهى اسنادها (وهذا كلام مدله عليه وهارب منه اليه مناظر به اليه وتم الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبده تداركه) بتوقيفه وعصيته وحفظه (بعد ان كان أشقى) أى أشرف (على الهلكة) وقال (كم من ذنب واجهته به غفرته لك) ما (قد أهلكت في دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبق به

على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى اليه فخرج حتى علا كتيبا من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال الهى وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب على وكيف استعصم ان لم تعصم لاعودن فأوحى الله تعالى اليه صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدله عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى عبده تداركه بعد ان كان أشقى على الهلكة كم من ذنب واجهته به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الامم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالفضل والتقديم والتأخير على ما سبق به

المشبته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلون من قبلنا (٦٤٥) في القرآن شيء الا وهو هدى ونور

وتعرف من الله تعالى
الى خلقه فتارة يتعرف
اليهم بالتقديس فيقول
قل هو الله أحد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفو أو أحد وتارة يتعرف
اليهم بصفات جلاله فيقول
الملك القدوس السلام
المؤمن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر وتارة يتعرف
اليهم في افعاله الخفية
المرجوة فيتلو عليهم سنة
في اعدائه وفي أنبيائه
فيقول ألم تركب فعل
ربك بعد ادم ذات العمد
ألم تركب فعل ربك
بأصحاب الفيل ولا بعد
والقرآن هذه الاقسام
الثلاثة وهي الارشاد
الى معرفة ذات الله
وتقديسه أو معرفة صفاته
وأسمائه أو معرفة
أفعاله وسنته مع عباده
ولما اشتملت سورة
الاخلاص على أحد
هذه الاقسام الثلاثة وهو
التقديس وازنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثلاث
القرآن فقال من قرأ
سورة الاخلاص فقد قرأ
ثلث القرآن لان منتهى
التقديس أن يكون
واحد في ثلاثة أمور
لا يكون حاصل منه من
تظيره وشبهه ودل
عليه قوله لم يلد ولا يكون
حاصل من هو نظيره
وشبهه ودل عليه قوله لم

المشبته الازلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا) أي مضوا (من قبلنا
في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله الى خلقه فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول قل هو الله أحد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفو أو أحد وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله (وكلاهما يتعاقب بذات الله تعالى
من سلب نقص واثبات كمال (فيقول) في الاثبات أفنى يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ويقول الله لا اله الا هو
الحى القيوم ويقول هو الله الذى لا اله الا هو (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) وأما
السلب فكقول الله تعالى قل هو الله أحد الى آخرها وقوله ما أشهدنهم خالق السموات والارض ولا خلق
أنفسهم وما كنت متخذ المضامين عضدا وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ما عبادي واصطبر لعبادته هل
تعلم سميا أي مثيلا ونظيرا فهذه هي المعرفة الخاصة (وتارة يتعرف اليهم في أفعاله الخفية والمرجوة فيتلو
عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ألم تركب فعل ربك بعد ادم ذات العمد ألم تركب فعل ربك بأصحاب
الفيل ولا بعد والقرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه
أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده (ولذلك انقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد
الافعال (ولما اشتملت صورة الاخلاص على أحد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس) أعني به تزييه الرب
تعالى عن الجسمية وتوابعها (وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث القرآن فقال من قرأ سورة الاخلاص فقد
قرأ ثلث القرآن) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه البخاري من حديث أبي
سعيد ومسلم من حديث أبي البرداء نحوه اه قلت لفظ أحمد من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن
وهكذا رواه أبو عبيد والنسائي وابن منبغ ومحمد بن نصر والدارقطني في الافراد وابن مردويه والضيياء ولفظ
البخاري قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وهكذا رواه أيضا أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان ورواه
البخاري أيضا من رواية أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان ورواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي البرداء
وقدرى كذلك بهذا اللفظ من حديث أنس رواه ابن ماجه والطبراني في الاوسط والضيياء من حديث أبي
أوبير رواه النسائي والطبراني في الكبير والبيهقي في السنن ومن حديث أبي هريرة رواه الترمذي وصححه وابن
ماجه ومن حديث ابن مسعود رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أبي مسعود الأنصاري رواه أحمد وابن ماجه
ومن حديث معاذ رواه الطبراني في الكبير ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رواه أحمد والطبراني
والبيهقي وقدرى أيضا من حديث ابن عمر بزيادة قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن رواه الطبراني
والحاكم وروى من حديث علي رضي الله عنه بلفظ من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن
ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كله رواه الزاقي في تاريخه
وروى العقيلي من حديث رباح الغنوي من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع وروى
البيهقي من حديث سعد بن منقر قال يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد فكأنما
قرأ ثلث القرآن ورواه ابن السني من حديث أبي هريرة بلفظ كانت له كعدل ثلث القرآن وروى أبو نعيم من
حديث ابن عباس من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن (لان منتهى التقديس في أن
يكون واحدا في ثلاثة أمور) أحدها (لا يكون حاصل منهم من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يلد)
فقوله لم يلد أي لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يتخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه (و) الثاني (لا يكون
هو حاصل من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم (و) الثالث
(لا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرع من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفو أحد) أي ولم يكن
أحد يكافئه أو يماثله من صاحبه وغيرها (ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد) فاحد بدل على جميع
صفات الجلال والله يدل على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزلة الذات عن انحاء التركيب
والتعدد ما يستلزم أحدهما كالجسمية والتخبر والمشاركة في الحقيقة وخواصها كالوجود والقدرة الذاتية
يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن أصلا له ولا فرع من هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفو أحد ويجمع جميع ذلك قوله تعالى قل هو الله أحد

وجلته تفصيل قول لاله
 الاله فهذه أسرار
 القرآن ولا تنهاى
 أمثال هذه الأسرار في
 القرآن ولا رطب ولا
 يابس الا في كتاب مبين
 ولذلك قال ابن مسعود
 رضى الله عنه نور وا
 القرآن والنسوا غرائب
 ففيه علم الاولين
 والآخرين وهو كما قال
 ولا يعرفه الا من طال في
 آحاد كلماته فذكره وصفا
 له فهمه حتى تشهد كل
 كلمة منه بأنه كلام جبار
 قاهر مليك قادر وانه
 خارج عن حدا استطاعة
 البشر وأكثراً سرار
 القرآن معبادة في طي
 القصص والاخبار فيمكن
 حريصاً على استنباطها
 لينكشف لك فيه من
 الجوانب ما تستحق معه
 العلوم المزخرفة الخارجة
 عنه فهذا ما أردنا
 ذكره من معنى الانس
 والانسباط الذي هو
 ثمرته وبيان تفاوت عباد
 الله فيه والله سبحانه
 وتعالى أعلم
 * (القول في معنى الرضا
 بقضاء الله تعالى وحقيقته
 وما ورد في فضيلته)
 اعلم أن الرضا ثمر من
 ثمار المحبة وهو من أعلى

والحكمة الالهية التامة المقتضية للالوهية (وجلته) أى معرفته افراداً (تفصيل قول لاله الاله) وقوله -م
 العلم بالشيء على الاجمال يناقض العلم على التفصيل على معنى ان الاجمال هو عدم الاطلاع على دقائقه لا بمعنى
 معرفة الاشياء افراداً ثم جمعها عدد فهذا الامانع منه قاله دال على الذات الجامعة لصفات الالهية كلها جلالاً
 وجلالاً ولا حتى لا يشذ منها شيء وسائر الاسماء لا يدل آحادها الا على آحاد المعاني من علم وقدرته أو فعل أو غيره وقد
 فهم منه انه الوجود الحقيقي الحق وكل ما سواه فانه هالك وباطل الابه (فهذه أسرار القرآن) وجواهره (ولا
 تنهاى أمثال هذه الأسرار في القرآن فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه
 نور والقرآن والنسوا غرائب فيه علم الاولين والآخرين) وقد روى الديلمي من حديث أنس من أراد علم
 الاولين والآخرين فليثور القرآن (وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فذكره وصفاً فهمه حتى
 تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وانه خارج عن حدا استطاعة البشر وأكثراً سرار القرآن
 معبادة في طي القصص والاخبار) وهي المرادة من قول ابن مسعود والنسوا غرائب (فيكن حريصاً على
 استنباطها) من معانها (لينكشف لك فيه من الجوانب ما تستحق معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه فهذا
 ما أردنا أن نذكره من معنى الانس و) معنى (الانسباط) والادلال الذي هو ثمرته (وبين تفاوت عباد الله
 تعالى فيه) وظهر مما ذكرنا من أفعال الله تعالى الجائزة أن رضى على قوم بفعل وبغضب به على غيرهم
 لاختلاف أحوالهم والحكمة السابعة فيهم بالتقريب والابعاد ولذلك يغار على كلامه أن يسمعه الأهل خاصة
 قال الله تعالى وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً لانهم لم ينتفعوا بما
 سمعوه من الآيات ولا بالنظر الى ما كوت السموات والأرض للاكنة التي منع الله بها انتفاعهم وعبر عن الستر
 في ذلك فقال تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم وهذا حجاب الغيرة وحقيقته حفظ الوقت مع الحق أن
 يشوبه مشقوش شجاعليه فاذا الغيرة من ثمرات الانس وهذه الاحوال لها بالنسبة الى العبد ثلاثة أحوال ان
 وجدها في الملائكة الخلاء فهو معلول يجب عليه المحاسبة وأن يطالب نفسه بالعلامات وان وجدها في الخلاء
 دون الملائكة فهو حسن ولكنه ناقص من ذروة السكالك اذ السكالك أن يستوى في ذلك الخلاء والملا والخصر والسفر
 والفراغ والشغل لان الفراغ شرط في البداية لا في النهاية فمن استقرأ أحوال الانبياء والاولياء وجدها كما
 وصفنا والله الموفق * (القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيله) *
 (اعلم) وفعل الله تعالى (ان الرضا ثمر من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين) وهو الثامن من مقامات
 اليقين وجعل صاحب القوت المحبة حالاً من مقام الرضا فلذلك قدم الرضا على المحبة وأما صاحب مقاصد المنجيات
 فذكر الرضا في آخر مقام التوكل وجعله من لواحقه وهذا لفظه الرضا هو الغاية القصوى في الدنيا والاخرى
 بعد النظر الى وجه الله تعالى وله بالنسبة الى السالك منازل ثلاثة الاولى نهاية العبر أول مقام الرضا والسالك
 يرتقى من الصبر اليه الثانية بعد التوكل والتفويض والتسليم لان الرضا لا يصلح الا بعد القضاء فاذا توكل العبد
 على مولاه واستسلم لقضائه فحينئذ تجرى عليه المقادير بما حكم الله في الازل فحينئذ يجب الرضا الثالثة يكون
 ثمر المحبة وهو الاغلب في الوقوع والاشرف عند الله تعالى لان بذلك تحلوا البلايا والرزاي وما سوى هذا حديث
 نفس لو طوب النفس بالامتحان فيه لم يجده الطالب شيئاً فلما رأيت يلقى به من المنازل الثلاثة توسط الامر
 وجعلته بعد التوكل لان الحاجة اليه في هذه الحالة مما تتم به الماوى وهو أيضاً كغيره من المقامات ينتظم من
 علم وحال وعمل أما العلم فاعلم ان العلم الذي يورث حال الرضا هو العلم بكل صفات الله تعالى وجمالها وجلالها
 فيما حكم به في الازل من شقاء واسعاد وتقریب وابعاد وشدة وارتخا وان ذلك على أكل الحالات وأرفع الدرجات
 وهذا العلم بعينه هو الذي يوجب التسليم والتفويض الا أن الفرق بينهما وبين الرضا ان التفويض والتسليم
 قبل وقوع المقضي به والرضا بعد وقوع المقضي به وبالرضا يظهر صدق المقامات كلها واعتقاد هذا العلم واجب
 لانه من الايمان بالله يراد ذاته وبغيره اما كونه مراد ذاته فلا نية معرفة بالله مقصودة في نفسها واما كونه يراد

لغيره فلا يذهب عن القلب الهم والغم والحزن والسخط ويحبب اضدادها من الفرح والسرور والاستبشار ويستفيد بذلك عد الانفاس مع الله والسلامة من اضرار الاوقات وقال القشيري قد اختلف العراقيون واخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال او من المقامات فاهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه يؤل الى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه وأما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الاحوال وليس ذلك كسب العبد بل هو نازلة تحصل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع بين القولين فيقال بداية الرضا مكتسب للعبد وهى من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليست بمكتسبة (و) اما (حقيقته) فانها (غامضة على الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين فقد أنكر منكرين قصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان أمكن الرضا بشئ لانه فعل الله تعالى فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي واتخذ بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ولوانك كشفت هذه الاسرار ان اقتصر على سماع طواهر الشرع لمادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس) رضى الله عنه (حيث قال اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل) هكذا رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقد تقدم في كتاب العلم وقد روى البخاري من حديثه بالشعار الاول فقط ورواه أحمد أيضا والطبراني وأبو نعيم بلفظ اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل ورواه كذلك ابن سعد والحاكم وروى من حديث ابن عمر اللهم بارك فيه وانشر منه قاله لابن عباس رواه صاحب الحلية وروى ابن ماجه وابن سعد والطبراني من حديث ابن عباس اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب وقال صاحب القوت واعلم أن الرضا من مقامات اليقين واحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل في كل أفعال الله تعالى لانها عن قضائه لا يكون في ملكه الاما قضاءه فعلى العارفين به الرضا بالقضاء ثم رد ذلك الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب اليه رضى به العبد وأحببه شرعا وفعلوا وجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتمدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقدر او يسلم لولاه حكمته وحكوا عليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبوا يعترف به انفسه ظمأوا يرضى بعود الاحكام عليه بالعقاب وان اجترحه بجوارحه اكتسابا ورضى بان الله سبحانه عليه الحجة البالغة وأن لا عذره فيه ويرضى بانه في مشيئة الله من عفوه بجرته وكرمه أن شاء أو عقوبة بعدله وحقه ان شاء لان الموقنين والمحبين لا يقطعون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون انكار المعاصي وكرهاتها باللسنة والقلوب من قبل ان الايمان بفرضه والشرع وردم اولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على الموقنين والمحبين فمن رضى بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها واولى وانصر عنها او ادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى عليه أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع الذين ذمهم الله ومقتهم ثم ذكر جملة من الآيات والاحبار والاسماء ثم قال وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين لحمل الرضا على ما يكون منه من معصية وهوى فعمله بالتفصيل وقلة فقهم بعلم التأويل ولا يتبعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتهد اعاني القول والفعال ولهواه في العصبية والفسوق وأراد أن يقيم بذلك عند الجاهلين سوق معذرة له ونظر يقاليه ولوعصم من الهوى لاستراح ولوزهد في الدنيا لاراح ولو كان علمه للتأويل الله الفتح العليم لافلح ولعلم الناس من علمه فرج وأرج وانى له بذلك والهوى يقبله والبلاء المعقود به بعمره وانما يعلم التأويل منزل التنزيل ألم تسمع الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم اللهم فقهم في الدين وعلمه التأويل وبطلان قول هذا أوضح من أن يدل على فساده فكفونا عن مناظرته بطرده وابعاده والاشتغال بالباطل بطلاله لان أوقاته قد ضاعت فيضيع وقت غيره بذكرها ثم قال وقد يحتاج أيضا بطلان لخبلة وقلة مواساته وبذله أو يعطل لاتساعه في أمر الدنيا واستثنائه على الفقراء ان الذي يمنعه من البذل

وحقيقته غامضة على
الاكثرين وما يدخل
عليه من التشابه والابهام
غير منكشف الا لمن علمه
الله تعالى التأويل
وفهمه وفقهه في الدين
فقد أنكر منكرين
تصور الرضا بما يخالف
الهوى ثم قالوا ان أمكن
الرضا بكل شئ لانه فعل
الله فينبغي أن يرضى
بالكفر والمعاصي
واتخذ بذلك قوم فرأوا
الرضا بالفجور والفسوق
 وترك الاعتراض والانكار
من باب التسليم لقضاء
الله تعالى ولوانك كشفت
هذه الاسرار لمن اقتصر
على سماع طواهر الشرع
لمادعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابن
عباس حيث قال اللهم
فقهم في الدين وعلمه
التأويل

والإيثار أو الزهد فيما في يديه والاخراج رضاه بحاله وقلة اعتراضه على مجريه فيه وان هذا من مقام الرضا خاص به
عند نفسه وهذا قول لأبي ذر هوى وهو من خدح النفوس وأمانها ومن غرور العدو ومكايده لان الرضا
لا يمنع من اختيار الفقر والضيقة معرفة الراضى بفضل الزهد وأوصافه كيف تكون ولحب مولاهم الفقر ولحقته على
التكاثف الرضا لا يأمر بالاستتار والاستساع لما كره من النعمة والاستسكان لان الرضا يأمر بما أمر الأيمان به
إذا كان مقامه فيه فهو لا يوقف عما تدب اليه العبد ولا يدخل فيما كره له من فضول الدنيا إنما يوقف من ذلك
غلبة الهوى ويدخل فيه بحجة الدنيا وهب ما مذمومان في العلم وعند العلماء تأمر به النفس الأمارة بالسوء
ويوسوس به العدو وبأهمز والخطم وهذه مذمومات وأحاليها يجعله على الرضا وهذه أغترارات من النفس لها
وتغويه على الخلق ليسلم منه ولا عذوله فهذا عند ما لا يملكه ولا سلامة له فيه من خالقه ولا مقام له في الرضا عند
العلماء من أهل الرضا اه (فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراضين ثم بذكر حقيقة الرضا وكيفية
تصوره فيما يخالف الهوى ثم بذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي)
والنا كبر

(بيان فضيلة الرضا) *

(أما من الآيات فقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه) فرضا الرب سبحانه سبب لرضا العبد عن الله ورضا
العبد بالله وعن الله سبب لرضا الله عن عبده والرضا الأول ذاتي لعلقه بتخصيص الإرادة والرضا الثانى فعل لانه
ثواب الله يفيضه على عبده الراضى زيادة على جزائه ثم قال ذلك لمن خشى ربه فان الخشية ملاك الأمر والمباغت
على كل خير (وقد قال تعالى هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب
رضا العبد عن الله تعالى) وروى البيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخدري قال في معنى الآية هل جزاء من انقطع
من نفسه الاتعاق بر به وهل جزاء من انقطع عن أنس المخوفين إلا أنس برب العالمين وهل جزاء من صبر
علمنا الا الوصول البنا ومن وصل البنا هل يحمل به ان يختار علينا وهل جزاء التعب في الدنيا والنصب فيها
الا الراحة في الآخرة وهل جزاء من صبر على البلوى الا التقرب الى الكون وهل جزاء من سلم قلبه اليان نجعل
نوليه الى غيرنا وهل جزاء من بعد عن الخلق الا التقرب الى الحق وفي حديث ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة تفرد به ابراهيم بن محمد الكوفي وهو منكر وسئل ذو النون
المصري عن هذا فقال معناه هل جزاء من أحسنت اليه الا ان أحفظا إحسانى عليه فيكون إحسانا الى إحسان
(وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر) وناهيك به شرفا انه يثمر رضوان الله
(فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن) وهى من أعلى الجنات (كأرفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) والذكر عند الذكرين المشاهدة (فكان مشاهدة
الذكر كورنى الصلاة أكبر من الصلاة) وهذا أحد الوجهين (فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب
سكان الجنة) والوجه الثانى ذكر الله تعالى للعبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى (و قد رفع الله تعالى الرضا
منه فوق ما أعطى من النظر كما (في الحديث ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك) قال
العراقى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط من حديث أنس في حديث طويل يسند فيه لين وفيه فيجلى لهم
فيقول أنا الذى صدقتم وعدى وأتممت عليكم نعمتى وهذا محل كرامتى فسلوني فيسألونه الرضا ورواه أبو
يعلى بلفظ ثم يقول ماذا تريدون فيقولون ربنا رضوانك الحديث ورجاله رجال الصحيح اه قلت وبخط الحافظ
ابن حجر وفى الباب عن جابر فى الشعب البيهقي وحذيفة فى مسند البزار قلت لفظ حديث جابر يقول الله تعالى
يا أهل الجنة بقی اسكنم شئ تنالونه فيقولون وما هو يا ربنا فيقول رضوانى واه كذلك الحكيم فى النوادر وروى
القشيري فى الرسالة بسنده الى محمد بن المنكدر عن جابر رفعه بينا أهل الجنة فى مجلس لهم اذ سطع لهم نور على
باب الجنة فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم فقال يا أهل الجنة سلوني قالوا نساء لك الرضا عنا
قال رضائى أحلكنم دارى وأنيلكنم كرامتى هذا أدناها فسلوني قالوا نساء لك الزيادة قال فيقولون نجائب من

فلنبدأ ببيان فضيلة
الرضا ثم بحكايات أحوال
الراضين ثم بذكر حقيقة
الرضا وكيفية تصور
فما يخالف الهوى ثم
نذكر ما يظن انه من
تمام الرضا وليس منه
ترك الدعاء والسكوت
على المعاصي

(بيان فضيلة الرضا) *
(أما من الآيات) فقوله
تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه وقد قال تعالى
هل جزاء الإحسان إلا
الإحسان ومنتهى
الإحسان رضا الله عن
عبده وهو ثواب رضا
العبد عن الله تعالى وقال
تعالى ومساكن طيبة
فى جنات عدن ورضوان
من الله أكبر فقد رفع
الله الرضا فوق جنات
عدن كأرفع ذكره فوق
الصلاة حيث قال ان
الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر
ولذكر الله أكبر فكان
مشاهدة الذكر كورنى
الصلاة أكبر من الصلاة
فرضوان رب الجنة أعلى
من الجنة بل هو غاية
مطلب سكان الجنان وفى
الحديث ان الله تعالى
يتجلى للمؤمنين فيقول
سلوني فيقولون رضاك

فسؤا لهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقة عنه وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقة ما ذكرنا من أقسام الخلق عن دركه ومن يقوى (٦٤٩) عليه فيستقل يادرا كه من نفسه

وعلى الجملة فلا رتبة فوق
النظر اليه فأنما سأل
الرضا لانه سبب دوام
النظر فكأنهم رأوه غاية
الغايات وأقصى الاماني
لما طفر وابتغى النظر
فلما أمروا بالسؤال لم
يسألوا الادوامه وعلما
أن الرضا هو سبب دوام
رفع الحجاب وقال الله تعالى
ولدينا مزيد قال بعض
المفسرين فيه يأتي
أهل الجنة في وقت المزيد
ثلاث تخف من عند رب
العالمين احداها هدية
من عند الله تعالى ليس
عندهم في الجنان مثلها
فذلك قوله تعالى فلا
تعلم نفس ما أخفى لهم
من قرة أعين والثانية
السلام عليهم من ربهم
فيزيد ذلك على الهدية
فضلا وهو قوله تعالى
سلام قولاً من ربهم
والثالثة يقول الله تعالى
اني عنكم راض فيكون
ذلك أفضل من الهدية
والتسليم فذلك قوله
تعالى ورضوان من الله
أكبر أي من النعيم
الذي هم فيه فهذا أفضل
رضاء الله تعالى وهو ثرة
رضا العبد وأما من
الاخبار فقد روي أن

ياقوت ثم ساق الحديث وفيه حتى تنتهي بهم الى جنة عدن قال فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الله عز وجل
الحديث بطوله ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم والاحمد في الشريعة وابن مردويه
أيضا بلفظ بينا أهل الجنة في نعيم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم
فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله تعالى سلام قولاً من ربهم فينظرون اليه وينظرون اليه
حتى يحجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (فسؤا لهم الرضا بعد النظر) اليه (نهاية التفضيل)
ومن ذلك ما روي في حديث أبي سعيد الخدري ان الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبسنا ربنا
وسعديك فيقول هل رضىتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيك
أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أخطئ عليكم أبدا رواه
أحمد والشيخان والترمذي وابن حبان (وأما رضا العبد) بالله وعن الله وفي الله (فسنذكر حقيقة عنه) فيما بعد
(وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو معنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز أن يكشف
عن حقيقة عنه اذ تقصر افهام الخلق عن دركه) وغاية ما يقال ان العصمة ظاهرة الرحمة والرحمة أول الرضا من الله
فالعصمة من الله تعالى لعبده دليل الرحمة منه ثم تدخله الرحمة في مقام المحبة وهذه رحمة المحبوبين ثم ترفع المحبة
الى مقام الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصرف البنية والمطلوب
(ومن يقوى عليه فيستقل يادرا كه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فأنما سألوا الرضا لانه سبب دوام
النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما طفر وابتغى النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الادوامه
وعلما ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب) أي بالرضا دام لهم النظر فلما كان الرضا موجب للنظر سألوا دوام
الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوا تمام النعمة من حيث بدايتها قال صاحب القوت ولا يصلح ان يظهر معنى
قولهم رضاك أكثر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الامر عن كشف وصف من صفاته الذاتية موجبة على
العبد هيبة الربوبية وخوف هذاعن القلوب محجوب في حكمه من سائر الغيوب وهو في الدنيا ثواب لاهل
الخشية عن معرفة خاصة قال الله تعالى ذلك لمن خشي ربه (وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه
يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تخف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في
الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد
ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولاً من ربهم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك
أفضل من الهدية فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه) نقله صاحب القوت
(فهذا أفضل رضا الله تعالى) عن العبد (وهو ثرة رضا العبد) عن الله تعالى وقد قيل في قوله تعالى ورضوان
من الله أكبر ان الرضا من جلاء أهل الذكرا لا كبر وهو أحد المعاني في قوله صلى الله عليه وسلم من شغلته ذكرى
عن مسألتى أعطيت أفضل ما أعطى السائلين في الرضا عنه لان السائلين سألوه لهم فاعطاهم العفو والذاكرين
ذكره فاعطاهم الرضا منه ويكون أيضا معناه النظر الى الله كزجر الى النظر فقابل النظر اليه
اليوم بالنظر اليه غدا كما راجه الوصف بالوصف في قوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة وفي حديث أبي موسى ان
الله عز وجل يجلي لنا ضاحكا والرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الايمان (وأما الاخبار فقد روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامه ايمانكم قالوا نصبر على البلاء
ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة) تقدم في كتاب العلم (وفي خبر آخر
انه قال حكاء علماء كادوام من فقههم أن يكونوا أنبياء) تقدم أيضا في كتاب العلم فاشهد لهم بالايمان الابعاد

(٨٢ - (اتحاف السادة المتقين) - (تاسع)
فقال ما علامه ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة وفي خبر آخر انه قال حكاء
علماء كادوام من فقههم أن يكونوا أنبياء

وفي الخبر طوبى لمن هدى للإسلام (٦٥٠) وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق

رضي الله تعالى عنه
بالقليل من العمل وقال
أيضا إذا أحب الله تعالى
عبدا ابتلاه فان صبر
اجتبه فان رضى اصطفاه
وقال أيضا إذا كان يوم
القيامة أنبت الله تعالى
أطائفة من امتي أجنته
في طيرون من قبورهم
إلى الجنان يسرحون
فيها ويتنعمون فيها
كيف شاؤا فتقول لهم
الملائكة هل رأيتم
الحساب فيقولون ما رأينا
حسابا فتقول لهم هل
جزتم الصراط فيقولون
ما رأينا صراطا فتقول
لهم هل رأيتم جهنم
فيقولون ما رأينا شيئا
فتقول الملائكة من أمة
من أنتم فيقولون من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم
فتقول نشدناكم الله
حدثونا ما كانت أفعالكم
في الدنيا فيقولون
خلصنا كأننا فينا فبلغنا
هذه المنزلة بفضل رحمة
الله فيقولون وماها
فيقولون كما إذا خلونا
نستحي أن نعصيه ورضي
باليسير مما قسم لنا
فتقول الملائكة يحق لكم
هذا وقال صلى الله عليه
وسلم يا معشر الفقراء
اعطوا الله الرضا من
قلوبكم تظفروا بثواب

وصف الرضا وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال في وصيته للايمان أربعة
أركان لا يصلح الا بهن كمال يصلح الجسد الا بالبدن والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله تعالى (وفي الخبر طوبى
لن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به) رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقنع به وقد تقدم
(وقال صلى الله عليه وسلم من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل) قال
العراقي ورويناه في أمالي المحاملي بأسناده ضعيف من حديث علي ومن طريق المحاملي رواه الديلمي في مسند
الفردوس اه قات هذا اللفظ ساقه البيهقي في الشعب من حديث علي وفي اللفظ له من رضى بالله باليسير من
الرزق الخ وقد رواه المحاملي من طريق علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده ولفظه انتظار
الفرج من الله عبادة ومن رضى بالقليل من الرزق رضى الله عنه بالقبيل من العمل ورواه كذلك ابن أبي
الدينا في الفرج وابن عساكر (وقال صلى الله عليه وسلم) أيضا إذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه
وان رضى اصطفاه قال صاحب القوت ورويناه من طريق أهل البيت وقد تقدم قريبا نحوه من حديث أبي
عتبة الخولاني أن الله عز وجل إذا أراد بعد خيرا ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه الحديث رواه الطبراني وابن
عساكر وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من حديث أبي سعيد بسندين أن الله إذا أحب عبدا ابتلاه
وإذا ابتلاه صبره (وقال صلى الله عليه وسلم) أيضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله أطائفة من امتي أجنته في طيرون
من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون
ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا
شيئا فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدناكم الله حدثونا
ما كانت أفعالكم في الدنيا فيقولون خصلنا كأننا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة فيقولون
وماها فيقولون كما إذا خلونا نستحي أن نعصيه ورضي باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا نقله
صاحب القوت فقال ورويناه حديثا حسنا عن جاد بن سلة عن ثابت البناني عن أنس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا كان يوم القيامة فساقت وقال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث
أنس مع اختلاف وفيه جيد بن علي القيسي ساقط هالك والحديث منكر يخالف القرآن والاحاديث الصحيحة في
الورود وغيره اه قلت جيد بن علي القيسي لم أجده ذكر في ديوان الضعفاء للذهبي ولا في ذيله فليست وقال أبو
نعيم في الحلية حدثنا أبو بكر الطلحي حدثنا عبيد بن غنام حدثنا جعفر بن أبي الحسن الخوارزمي حدثنا عبد الله
ابن عبيد الله بن اسحق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثني أبي عن الحصين بن حذيفة
عن أبيه عن أبي صفي عن أبيه صهيب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهاجرون هم السابقون
الشافعون المدلون على ربهم والذي نفسي بيده أنهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب
الجنة فيقول لهم الخزنة من أنتم فيقولون نحن المهاجرون فيقول لهم الخزنة هل حوسبتم فيجبثون على ركبهم
وينثرون ما في جعباتهم ويرفعون أيديهم فيقولون ألا يارب هذه نحاسب لقد خسر جناواتنا المال والأهل
والولد فيجعل الله لهم أجنته من ذهب نحوصة بالبرجد والياقوت فيطيطون حتى يدخلوا الجنة فذلك قوله الحمد لله
الذي أذهب عنا الحزن إلى قوله لغوب قال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم بمنزل لهم في الجنة أعرف
منكم بمنزل لكم في الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقرم والافلا) تقدم
في كتاب الفقر والزهد بلفظ يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث وانه رواه الديلمي في مسند
الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف فيه أحمد بن الحسن بن أبان منهم بالكذب (وفي أخبار موسى
عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه رضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي
قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (ويشهد لهذا)

الخبر

فقرم والافلا وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه رضى به
عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (ويشهد لهذا)

ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله (٦٥١) عز وجل عنده فان الله تبارك وتعالى

ينزل العبد منه حيث
أترله العبد من نفسه وفي
أخبار داود عليه السلام
مالا ولياى والهم بالدنيا
ان الهم يذهب حلوة
مناجاتى من قلوبهم
يا داود ان محبتي من
أولياى أن يكونوا
روحانيين لا يغمثون
وروى أن موسى عليه
السلام قال يا رب دلني
على أمر فيه رضاك حتى
أعمله فأوحى الله تعالى
اليه ان رضى فى كرهك
وأنت لا تصبر على ما
تكبره قال يا رب دلني
عليه قال فان رضى فى
رضاك بقضائى وفى مناجاة
موسى عليه السلام
أى رب أى خلقك أحب
اليك قال من اذا أخذت
منه المحبوب سلمني قال
فاى خلقك أنت عليه
ساخط قال من يستخيري
فى الامر فاذا قضيت له
سخط قضائى وقد روى
ما هو أشد من ذلك وهو
ان الله تعالى قال أنا الله
لا اله الا أنا من لم يصبر على
بلائى ولم يشكر نعمائى
ولم يرض بقضائى فليخذ
ربا سوائى ومثله فى
الشدة قوله تعالى فيما
أخبر عنه نبينا صلى الله
عليه السلام انه قال
قال الله تعالى قدوت
المقادير ودبرت التدبير
وأحكمت الصنع فنى

الخبر (ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله عز وجل
عنده فان الله تعالى ينزل العبد من حيث أترله العبد من نفسه) قال وحديثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن همدان
ابن مالك القطعي بهذا الحديث فرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال العراقى رواه الحارث بن جابر
وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله اه قلت ورواه الدارقطني فى الافراد وابن النجار من حديث أنس بلفظ من
أراد أن يعلم ماله عند الله عز وجل فليعظم ماله عز وجل عنده ورواه كذلك أبو نعيم من حديث أبي هريرة (وفى
أخبار داود عليه السلام) أوحى الله تعالى الى داود يا داود (مالا ولياى والهم بالدنيا ان الهم يذهب
حلوة مناجاتى من قلوبهم) نقله صاحب القوت ورواه البيهقي فى الشعب عن بشر بلفظ يا داود انما خلقت
الشهوات واللذات لضعفاء عبادى أما الأبطال فإلهم وللشهووات واللذات يا داود فلا تعلقن قلبك بشئ منها فادنى
ما أعقبك به ان أسلب حلوة حبي من قلبك وقد تقدم وفى لفظ آخر (يا داود ان محبتي من أولياى أن يكونوا
روحانيين ولا يغمثون) اياك والغم ولا تهتم بالخبر وأنت تريدنى كذا فى القوت وقال فى موضع آخر وقد روى بناتى
أخبار داود عليه السلام ان الله عز وجل أوحى اليه تزعم انك منقطع الى وتدعى عشقى وتدعى الظن بى الق
كنفك بين يدي أكن أختارك فان محبتي من عبادى أن يكونوا روحانيين لا يغمثون مصابيح القلوب كن
واحدا نبيا مع العباد الى هنالك أرفع النور لك شاهد المخلوقين بمدنك وقلبك فاذا كنت كذلك قضيت ما عليك وبقي
ما على فى كلام نحوه قال فى آخره ولا تهتم بالخبر وأنت تريدنى أن تهوى على هوالك واغضب لى أشد مما تغضب
لنفسك وقد تقدم بعضه قريبا (وروى ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله
فأوحى الله اليه ان رضى فى كرهك وأنت لا تصبر على ما تكبره قال يا رب دلني عليه قال فان رضى فى رضاك
بقضائى) نقله صاحب القوت وقال القشيري وقيل قال موسى عليه السلام الهى دلني على عمل اذا علمته رضىت
عنى فقال انك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا فأوحى الله اليه يا ابن عمران ان رضى فى رضاك بقضائى
اه وقال صاحب القوت وروى بنا هذا على وجه آخر ان بنى اسرائيل سألو موسى عليه السلام فقالوا لو علمنا فى
أى شئ رضا ربنا عز وجل لفعلناه فأوحى الله اليه قل لهم رضى ان ترضوا بقضائى (وفى مناجاة موسى عليه
السلام يا رب أى خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سلمني سألني قال فإى خلقك أنت عليه ساخط
قال من يستخيري فى الامر فاذا قضيت له سخط قضائى) نقله صاحب القوت قال (وقد روى ما هو أشد من ذلك)
كاه (وهو ان الله تعالى قال أنا الله لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى ولم يرض بقضائى فليخذ
ربا سوائى) قال العراقى رواه الطبرانى فى الكبير وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبي هند الدارى عن أبيه عن
قوله من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليتمسك برباسوائى واسناده ضعيف اه قلت وكذلك رواه أبو نعيم فى
الصحابة وابن عساكر كلهم من طريق سعيد بن زياد بن زياد بن أبي هند الدارى عن أبيه عن ياد كشداد عن
أبيه فأنشد بالفاء عن أبيه زياد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه
قال الحافظ فى الاصابة فأنشد بغيره عن ياد كشداد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه عن ياد كشداد عن أبيه
عز وجل يا محمد من آمن بى ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتمسك برباغيرى وفيه محمد بن عيسى الكرماني وروى
البيهقى وابن النجار من حديث أنس قال الله عز وجل من لم يرض بقضائى وقد روى فليتمسك برباغيرى ورواه
الخطيب بلفظ من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليتمسك باله أغير الله عز وجل (ومثله فى الشدة قوله
تعالى فيما أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فنى
رضى فله الرضا منى حتى يلغاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلغاني) نقله صاحب القوت وقال العراقى لم أجده
بهذا اللفظ وللطبرانى فى الاوسط من حديث أبي امامة خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين
الحديث واسناده ضعيف اه قلت وتعمم حديث أبي امامة وعرضه على الماء فأخذ أهل اليمن بيمينه وأخذ
أهل الشمال بيده الاخرى وكذا يدي الرحمن عني فقال يا أصحاب اليمن فاستجابوا لله فقالوا اليك ربنا وسعديك

وأحكمت الصنع فنى رضى فله الرضا منى حتى يلغاني ومن سخط فله السخط منى حتى يلغاني

عشر سنين فمأجيب
الى ماأرادتم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكرو
هكذا كان بدؤك عندي
في أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك مني
وهكذا قضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أقتر بد أن أعبد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبذل ماقدرته
عليك فيكون ماتحب
فوق ماأحب ويكون
ماتريد فوق ماأريد
وعزتي وجلالي لن تبطل
هذا في صدرك مرة أخرى
لماحولك من دوان النبوة
روى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
وينزلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاع كهيئة
الدرج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
لاينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده ياأبت
أما ترى مايصنع هذا بك
لونهيته عن هذا فقال
يا بني اني رأيت ما لم تروا
وعلمت ما لم تعلموا اني
تحركت حركة واحدة
فاهبطت من دار الكرامة

عشر سنين فمأجيب
الى ماأرادتم أوحى الله
تعالى اليه كم تشكرو
هكذا كان بدؤك عندي
في أم الكتاب قبل أن
أخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك مني
وهكذا قضيت عليك قبل
أن أخلق السموات
أقتر بد أن أعبد خلق
الدنيا من أجلك أم
تريد أن أبذل ماقدرته
عليك فيكون ماتحب
فوق ماأحب ويكون
ماتريد فوق ماأريد
وعزتي وجلالي لن تبطل
هذا في صدرك مرة أخرى
لماحولك من دوان النبوة
روى أن آدم عليه السلام
كان بعض أولاده الصغار
يصعدون على بدنه
وينزلون يجعل أحدهم
رجله على أضلاع كهيئة
الدرج فيصعد الى رأسه
ثم ينزل على أضلاعه كذلك
وهو مطرق الى الارض
لاينطق ولا يرفع رأسه
فقال له بعض ولده ياأبت
أما ترى مايصنع هذا بك
لونهيته عن هذا فقال
يا بني اني رأيت ما لم تروا
وعلمت ما لم تعلموا اني
تحركت حركة واحدة
فاهبطت من دار الكرامة

الى دار الله وان ومن دار النعم الى دار الشقاء خاف أن أتحرك أخرى فيصينى ما لا أعلم وقال أنس بن مالك رضى الله عنه

لم يكن لبنته كان وكان اذا جاءني فخاصم من أهله يرد دعوى لو قضى شيء كان

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود انك تريد أن يدوانما يكون مأرب دفان سلت لما أريدك فبكت ما تريد أن لم تسلم لما أريد أن تعبلك فيما تريد أن لا يكون الامأرب يد* (وأما الآثار)* فقد قال ابن عباس رضى (٦٥٣) الله عنهم ما أول من يدعى إلى الجنة يوم

القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز مابق لى سرور الا فى مواقع القدر وقيل له ما تستهى فقال ما يقضى الله تعالى وقال ميمون ابن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقد بر الله لم تصبر على تقد بر نفسك وقال عبد العزيز بن أبي رواد ليس الشأن فى كل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر ولكن الشأن فى الرضا عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جرة أحرق ما أحرق وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول لشيء كان لبتة لم يكن أو لشيء لم يكن لبتة كان ونظر رجل الى فرحة فى رجل محمد بن واسع فقال انى لارجلك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عيني وروى فى الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دهر اطويلا فارى فى المنام فسلانة الرابعة رفقتك فى الجنة

النسيان وهذا ايضا فيه لطيفة يحتملها التاويل أن يريد كل ذلك مجموعهم الم يكن فهذا يرجع بمعنى قوله فيما قضى لوقضى أن لا يقضى كما ان ما لم يقض قد قضى أن يقضى رجوع القضاء عليهم ما ساء كان صلى الله عليه وسلم رضى بما قضى كيف قضى على ما تصوره الوهم أو بخلافه و رضى بما لم يقض لان القضاء فيهم ما ساء فينبغى أن يكون الرضا به ما ساء فبالنظر فى هذه الاقايق والوقوف عند هارفع القدم عند الله تعالى الى مقام المقر بين وبالتهاون به والى الغفلة تعلقت القلوب ففسدت حين لم يصلح للمحبة والرضا اه و قول أنس المذكور خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ تقدم له فى كتاب أخلاق النبوة بلفظ والذي بعثه بالحق ما قال فى شيء قط كرهه لم فعلته ولا لاني أحدم من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقد روى الشيخان من حديث أنس ما قال لشيء صنعت لم صنعت ولا لاني تركته لم تركته وروى أبو الشيخ فى كتاب الاخلاق من حديثه فيه ولا أمرنى بامر فتوانيت فيه فعابني عليه فان عابني أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شئ كان وفى رواية له كذا قضى وروى الخرائط فى مكارم الاخلاق من حديثه دعوه فانه لو قضى شئ لكان وعند الدارقطني فى الافراد وأبي نعيم فى الحلية لو قضى كان أو قدر كان (ويروى) فى بعض الاخبار (ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود تريد أن يدوانما يكون مأرب يد) نقله صاحب القوت (وأما الآثار فقد قال ابن عباس) رضى الله عنه (أول من يدعى الى الجنة يوم القيامة) أى ليدخلها (الذين يحمدون الله تعالى على كل حال) أى فى السراء والضراء (وقال عمر بن عبد العزيز) رجه الله تعالى لقد أصبحت و (مابق لى سرور الا فى مواقع القدر وقيل له ما تستهى فقال ما يقضى الله تعالى) وقال أبو عبد الرحمن البناجى من عباد الله خلق يستحبون من الصبر ينلقفون مواقع أقداره بالرضا تلقفا (وقال ميمون بن مهران) انخرزجى رجه الله (من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء وقال الفضيل) بن عياض رجه الله تعالى (ان لم تصلح على تقد بر الله تعالى لم تصلح على تقد بر نفسك وقال) أبو عبد الرحمن (عبد العزيز بن أبي رواد) بفتح الراء وتشديد الواو صدوق عابدى روى له الاربعة أسند عن كبار التابعين (ليس الشأن فى كل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر ولكن الشأن فى الرضا عن الله عز وجل) وقد كان ذهب بصر عبد العزيز بهذا منذ عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده فتأمله ابنة ذات يوم فقال يا أبت ذهب عينك قال نعم يا بنى الرضا عن الله أذهب عين أبك (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه (لان الحس جرة أحرق ما أحرق وأبقت ما أبقت أحب الى من أن أقول لشيء كان لبتة لم يكن أو لشيء لم يكن لبتة كان) رواه أبو نعيم فى الحلية من طريق أبي الحكم أو الحكم عن أبي وائل عنه قال ما أحدم من الناس اليوم الا يفتنى فساقه وفيه ولا يعض أحدكم على جرة حتى تطفأ خير من ان يقول لامر قضاء الله لبت هذا لم يكن (ونظر رجل الى قرحة فى رجل محمد بن واسع) البصرى رجه الله تعالى (فقال انى لارجلك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عيني) رواه أحمد فى الزهد ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن مصعب قال سمعت يحيى بن سالم يذكر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال رأيت فى يد محمد بن واسع قرحة وكأنه رأى ما قد شق على منها فقال لى أئدرى ما ذا الله على فى هذه القرحة من نعمة قال فسكت فقال حيث لم يجعلها على حد قتي ولا على طرف لسانى ولا على طرف ذكرى قال فهانت على قرحتى (وروى فى الاسرائيليات أن عابدا عبد الله دهر اطويلا فارى فى المنام فلانة الرابعة رفقتك فى الجنة فسل عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لى نظر الى عملها فكان بيت قائما وبيت ثامته وبطل صائدا وتظل مفطرة فقال امالك عمل الامارأت فقال ما هو والله الامارأت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم أتمن ان أكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم أتمن ان أكون فى صحة وان كنت فى الشمس لم أتمن ان أكون فى الظل

فسأل عنها الى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان بيت قائما وبيت ثامته وبطل صائدا وتظل مفطرة فقال امالك عمل غيرا رأيت فقال ما هو والله الامارأت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم أتمن ان أكون فى رخاء وان كنت فى مرض لم أتمن ان أكون فى صحة وان كنت فى الشمس لم أتمن ان أكون فى الظل

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا (٦٥٤) بقضائه وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي

على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أورخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال أستغفر الله فقال سليمان ابن جعفر بن سليمان الضبي فتي يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقدرضى عن الله تعالى وقال أجد ابن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني ان الله عز وجل من كرهه قد رضى من عبده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبده ان يرضاه عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحكمه وجلاله جعل الروح

فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خصيلة هذه والله خصيلة عظيمة يعجز عنها العباد (كذا لفظ القوت وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا عبد الله بن محمود عن عبد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس حدثني أبي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال بلغني ان عابدا في بني اسرائيل يتعبد فاتي في منامه ان فلانة زوجتك في الجنة قال فلانة وما علمها فاجابها فقال لها اني أحب أن أضيفك ثلاثة أيام مع لياليهن فقالت بالرحب والسعة قال فكان عندها تلك الثلاثة ليالي فقاموا وتبيت نائمة و يصبح صائما وصبح مغطرة فلما مضت قال مالك عمل غير هذا ما أوثق عملك عندك قالت يا أخي ما هو الا ما رأيت الا خصيلة واحدة قال وما تلك الا خصيلة قالت اني ان كنت في شدة لم أتمن اني كنت في رخاء وان كنت جائعة لم أتمن اني كنت شبعانة وان كنت في شمس لم أتمن اني كنت في فيء وان كنت في مرض لم أتمن اني كنت في صحة فقال وأي خصيلة هذه والله خصيلة يعجز عنها العباد (وعن بعض السلف ان الله تعالى اذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الارض أن يرضوا بقضائه) كذا في القوت (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر) ولفظ القوت بما قسم الله له وقدره رواه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن علي بن حبيب حدثنا موسى بن هرون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا حدثنا بقرعة حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء انه كان يقول ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والاخلاص للتوكل والاستسلام للرب تعالى (وقال عمر رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أورخاء) رواه ابن عيينة عن أبي السواعة عن أبي مجلز قال قال عمر ما أبالي على ما أصبحت على ما أحب أو ما أكره أي لا أدري الخير في فيما أحب أو فيما أكره وقد تقدم (وقال) جعفر بن سليمان الضبي قال سفیان (الثوري) رحمه الله تعالى (كنت يوما عند رابعة) العذوبة المتوفية سنة ١٣٥ (فقلت اللهم ارض عنا فقالت أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال) الثوري (استغفر الله) فهي ذكرته بان رضا الله انما هو غرة رضا العبد عن الله تعالى فتذكر الثوري ورجع الى نفسه واستغفر (فقال) أبو سليمان (جعفر بن سليمان الضبي) البصري صدوق زاهد احدثني به مسلم وروى له البخاري تعليقا والاربعة مات سنة ١٧٨ (فتي يكون العبد راضيا عن الله تعالى قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة) كذا في القوت ولفظ القشيري وسئل رابعة متى يكون العبد راضيا فقالت اذا أسرته المصيبة كما أسرته النعمة (وكان الفضيل) بن عياض (يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقدرضى عن الله تعالى) رواه أبو نعيم في الحلية (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبي الحواري) عبد الله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبي القمشقي ثقة زاهد روى له أبو داود وابن ماجه مات سنة ١٤٦ (قال) لي (أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (ان الله عز وجل من كرمه قدرضى من عبده بما رضى العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبده ان يرضاه عنه) نقله صاحب القوت (وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى (حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل) نقله صاحب القوت (وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط) قال صاحب القوت رواه عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعا وقال العراقي رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم

* (بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى) *

(اعلم) بصرك الله تعالى (ان من قال) من البطالين (ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فاعلم أني) فيما توهمه (من ناحية انكار المحبة) وقد تقدم بيان مذهبه والاحتجاج عليه (فاما اذا

ثبت تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين أحدهما ان ينال الاحساس بالالم حتى يجرى عليه المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثال الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا رأى الدم استدلل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل (٦٥٥) قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا

يحس بالمد لك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بجديدة كاله يتألم به فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ المزمن والحمام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك ألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة) هذا ظاهر (وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش) عن عقله (و يغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه) لان الالتذابه يذهب الاحساس (فتدري ان امرأة فطح) بن شخرف (الموصلى) وكانت من المحبين (عثرن) برجلها (فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي مرارة وجعه) نقله صاحب القوت وروى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخياط قال سمعت السري يقول سمعت فضيلا يقول توجعت ابنته فعادها فقال لها يا بنية كيف كفك هذه فقالت له يا ابنتي ان الله قد بسط لي من ثوابه امالا أودى شكره عليه أبدا فتعجبت من حسن يقينها قال الفضيل فانا عند هذا فاعدا اذا ما نى ابن له ثلاث سنين فقبلته وضمته الى صدرى فقالت لي يا ابنتي سألتك بالله اتعجب قلت اى والله يا بنية انى لاحبه فقالت لي سوءة لك من الله يا ابنتي ظننت انك لا تعجب مع الله غير الله فقالت لها اى يا بنية ولا يحبون الاولاد فقالت المحبة للخالق والرحمة للاولاد قال فاطم الفضيل على رأس نفسه وقال يا رب هذه ابنتي هجنتي في حبها وحب أخيها وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك (وكان سهل) التستري (رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك) وعوتب (فقال يا دوست) أى يا محب (ضرب الحبيب لا يوجع) نقله صاحب القوت وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المكارة والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطيف من مولا ومن نسل القرية الى محبوبه وقلة التاذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول اصفى ما أقول ذكر اذا كنت محموا هذا الذى ذكره سهل من ان ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الاستغراق وقد يتفق ان ضرب الحبيب يوجع كما حكى ان الحلاج حين صلب وأمر الناس برجه فرجوه بالجارية وهو ساكت لا يتأق له اخوته وكانت من العارفان فرجته بمحصة صغيرة فقال آه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب يوجع وهذا وجه حيث انه صدر

ثبت) بماد كرهناه (تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب) اذ هو غاية الحب (ويكون) تصوير (ذلك من وجهين أحدهما) أعلى من الثاني فالأعلى الذى لا يتصور وقوعه الا بعد كمال المحبة (ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجرى على المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها) وهذا غاية ما اتى وصل اليه اهذا موجود في الاحوال المعتادة من الصفات البشرية لان حكمة الله في الصفات البشرية أى قوة غلبته حكمته على سائر القوى (ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه) وقد تقوى القوة الغضبية (أوفى حال خوفه) وقد تقوى اماراته (قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها) ولا يدرك لها ألما (حتى اذا رأى الدم) بارزا من موضع الجراحة (استدل بها على الجراحة بل الذى يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمد لك لشغل قلبه) بما هو فيه (بل الذى يحجم أو يحلق رأسه بجديدة كاله) أى باردة الحسد (يتألم به) لاجل حاله (فان كان مشغول القلب بهم من مهماته فرغ المزمن) من حالته (والحمام) عن بحامته (وهو لا يشعر به) ولهذا أمثلة كثيرة وفيما ذكره المصنف كفاية (وكل ذلك) لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به (أخذ ابكيت) لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك ألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا أصابه من غير حبيبه فكيف اذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل واذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فان الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة) هذا ظاهر (وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش) عن عقله (و يغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه) لان الالتذابه يذهب الاحساس (فتدري ان امرأة فطح) بن شخرف (الموصلى) وكانت من المحبين (عثرن) برجلها (فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي مرارة وجعه) نقله صاحب القوت وروى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخياط قال سمعت السري يقول سمعت فضيلا يقول توجعت ابنته فعادها فقال لها يا بنية كيف كفك هذه فقالت له يا ابنتي ان الله قد بسط لي من ثوابه امالا أودى شكره عليه أبدا فتعجبت من حسن يقينها قال الفضيل فانا عند هذا فاعدا اذا ما نى ابن له ثلاث سنين فقبلته وضمته الى صدرى فقالت لي يا ابنتي سألتك بالله اتعجب قلت اى والله يا بنية انى لاحبه فقالت لي سوءة لك من الله يا ابنتي ظننت انك لا تعجب مع الله غير الله فقالت لها اى يا بنية ولا يحبون الاولاد فقالت المحبة للخالق والرحمة للاولاد قال فاطم الفضيل على رأس نفسه وقال يا رب هذه ابنتي هجنتي في حبها وحب أخيها وعزتك لا أحببت معك أحدا حتى ألقاك (وكان سهل) التستري (رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك) وعوتب (فقال يا دوست) أى يا محب (ضرب الحبيب لا يوجع) نقله صاحب القوت وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المكارة والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطيف من مولا ومن نسل القرية الى محبوبه وقلة التاذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول اصفى ما أقول ذكر اذا كنت محموا هذا الذى ذكره سهل من ان ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الاستغراق وقد يتفق ان ضرب الحبيب يوجع كما حكى ان الحلاج حين صلب وأمر الناس برجه فرجوه بالجارية وهو ساكت لا يتأق له اخوته وكانت من العارفان فرجته بمحصة صغيرة فقال آه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب يوجع وهذا وجه حيث انه صدر

وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه وقد تدري ان امرأة فطح الموصل عثرن فانقطع ظفرها فضحك فقيل لها ما تجدن الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالته عن قلبي مرارة وجعه وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع

وَأما الوجه الثاني فهو أن يحسن به ويدرك المولى لكن يكون راضيا به بل راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقدم من الفصاد به مله بفعله فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمره سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيا بما هو مهمل أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه (٦٥٦) الذي ادخله فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحببه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ

ذلك بعدمعرفة العذر (وأما الوجه الثاني فهو أن يحسن به ويدرك ألمه) ويكرهه بطبعه (واسكن يكون راضيا به) بل (راغباً فيه مريداً له أعني بعقله وإن كان كارها) له (بطبعه) وهذا (كالذي يلتمس من الفصاد الفصد) (ومن الحجام) (الحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقدم من الفصاد) (والحجام) (به منة بفعله) لما يجد فيه الشفاء والراحة (فهذا حال الراضى بما يجري عليه من الألم) وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر (لا محالة) (ولكن حبه لثمره سفره) التي هي الربح (طيب عنده مشقة السفر) (وسهلها عليه) (وجعله راضيا بها) وهذه الدرجة واجبة وهي الإيمان بالله يجب كسبها بما ورد فيها من الفضائل ومقابلها موهبة من الله تعالى لا يوجد بالكسب لكن مقدما لها مكسوبة وهي التخلق بالاخلاق المحمودة فالخلق من جانبك لا من جانب الله فتنى تخلت من المذمومات وتحليت بالمحمودات أفاض الله عليك من نوره ومعرفة ماله لا يمكن وصفه ولا يمكن العبارة عنه وكما ازدادت معرفة ازدادت رضا إلى ما لا يتناهى (ومهما أصابه بلية من الله عز وجل وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخله فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحببه وشكر الله عليه هذا إذا كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبة ورضاء لأمسى آخر وراهه فيكون مراد حبيبته ورضاء محبوبة باعنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمسون) من المحبين والعشاق (في نظمهم ونثرهم) ورتبوا في ذلك مؤلفات (ولامعنى له الملاحظة جلال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجلال فما هو الجلال ولحم ودم منشكون بالآقدار والآنحبات بدايته من ططفة منذرة ونهايته جيفة قدرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر إلى المدرك للمجمال) المذكور (فهى العين الحسيسة) الناقصة (التي) ركب فيها حاسة الإدراك وهي (تغلط فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب جليلا) والسالك من متحرك والمتحرك ساكنا ومن نقصها أنها تبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ومن الموجودات بعضها دون كلها وتبصر غيرها ولا تبصر نفسها وتبصر أشياء متناهية ولا تبصر ما لا نهاية له على ما تقدم تفصيل ذلك (فأذا تصور استبلاء هذا الحب فنأين يستحيل ذلك في حب الجلال الأزلى الأبدى الذى لا منتهى لكمله المدرك بعين البصيرة التى لا يعثر بها الغلط) والنقص (ولا يدور بها الموت) بخلاف العين فانها أول ما تنسبل على الخدين في القبر (بل تبقى عند الموت حية عند الله فرحة برزق الله) فانها تحمل المعرفة والحمية (مستغفدة بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار) إذا توصل فيه (وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم) على اختلاف درجاتهم في الحب (فقد قال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (من يرى ثواب الشدة) وما يترتب عليها من حسن الجزاء (لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (سألت) استاذي (سري السقطي) رحمه الله تعالى (هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت ولو ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة) وهذا مقام المستغرق بالحب فان نفسه سكنت عن الاضطراب تحت مجارى الاقدار (وقال بعضهم أحبيت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار) وهذا مقام الراضى المحب كما قال ابن خفيف الرضا

الثواب والاحسان الذى يجازي به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبة ورضاء لأمسى آخر وراهه فيكون مراد حبيبته ورضاء محبوبة باعنده ومطلوباً وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد توأصفها المتوأمسون) من المحبين والعشاق (في نظمهم ونثرهم) ورتبوا في ذلك مؤلفات (ولامعنى له الملاحظة جلال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجلال فما هو الجلال ولحم ودم منشكون بالآقدار والآنحبات بدايته من ططفة منذرة ونهايته جيفة قدرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر إلى المدرك للمجمال) المذكور (فهى العين الحسيسة) الناقصة (التي) ركب فيها حاسة الإدراك وهي (تغلط فيما ترى كثيرا ترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقريب جليلا) والسالك من متحرك والمتحرك ساكنا ومن نقصها أنها تبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ومن الموجودات بعضها دون كلها وتبصر غيرها ولا تبصر نفسها وتبصر أشياء متناهية ولا تبصر ما لا نهاية له على ما تقدم تفصيل ذلك (فأذا تصور استبلاء هذا الحب فنأين يستحيل ذلك في حب الجلال الأزلى الأبدى الذى لا منتهى لكمله المدرك بعين البصيرة التى لا يعثر بها الغلط) والنقص (ولا يدور بها الموت) بخلاف العين فانها أول ما تنسبل على الخدين في القبر (بل تبقى عند الموت حية عند الله فرحة برزق الله) فانها تحمل المعرفة والحمية (مستغفدة بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار) إذا توصل فيه (وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم) على اختلاف درجاتهم في الحب (فقد قال شقيق البلخي) رحمه الله تعالى (من يرى ثواب الشدة) وما يترتب عليها من حسن الجزاء (لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد) رحمه الله تعالى (سألت) استاذي (سري السقطي) رحمه الله تعالى (هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت ولو ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة) وهذا مقام المستغرق بالحب فان نفسه سكنت عن الاضطراب تحت مجارى الاقدار (وقال بعضهم أحبيت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار) وهذا مقام الراضى المحب كما قال ابن خفيف الرضا

المدرك بعين البصيرة التى لا يعثر بها الغلط) والنقص (ولا يدور بها الموت) بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة سكوت بالموت مريد تنبيه واستكشاف فهذا أمر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار وبشهادة ذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها وقال الجنيد سألت سري السقطي هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم أحبيت كل شئ يحبه حتى لو أحب النار أحبيت دخول النار

وقال بشر بن الحرث مررت برجل - ل وقد ضرب ألف سوط في شرقه - بعد ادولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فثبته فثابت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكنت قال لان معشوقى كان يحذاني ينظر الى فقلت فلو نظرت الى (٦٥٧) المعشوق الا كبر قال فزعت خرميتا

وقال يحيى بن معاذ الرازى

رحم الله تعالى اذا نظرت

اهل الجنة الى الله تعالى

ذهبت عيونهم في قلوبهم

مثل لذة النظر الى الله

تعالى غائمة سنة لا

ترجع اليهم فاطنك

بقلوب وقعت بين جماله

وجلاله اذا لاحظت

جلاله هابت واذا لاحظت

جماله تاهت وقال بشر

قصدت عبادان في بدايتي

فاذا برجل اعشى مجذوم

مجنون قد صرع والنمل

يا كل لجه فرفعت رأسه

فوضعت في حجرى وأنا

أردد الكلام فلما أفاق

قال من هذا الفضولى

الذى يدخل بينى وبين

ربى لوقطعتى ارباربا

ما زددت له الاحبا قال

بشر فزاريت بعد ذلك

نقمة بين عبد وبين ربه

فانكرتم اوقال أبو عمر و

محمد بن الاشعث ان اهل

مصر مكثوا أربعة أشهر

لم يكن لهم غذاء الا النظر

الى وجه يوسف الصديق

عليه السلام كانوا اذا

جاعوا انظر والى وجهه

فشغلهم جماله عن

الاحساس بالم الجوع

بل فى القرآن ما هو أبلغ

من ذلك وهو قطع النسوة

سكون القلب الى أحكامه وموافقة القلب بما رضى واختار وأنشد صاحب مصارع العشاق لسهنون

ولو قيل طأفى النار اعلم انه * رضاك أو مدنت لنا من وصالك

لقد مت رجلي نحوها فوطئتها * سرور الانى قد خطرت بيبالك

(وقال بشر بن الحرث) الحافى رحمه الله تعالى (مررت برجل) من العيارين (وقد ضرب ألف سوط في شرقه

بغداد) في جنازة جناها (ولم يتكلم) أى لم يتأوه من الضرب (ثم حمل الى الحبس فثبته فقلت له لم ضربت

فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكنت قال لان معشوقى كان يحذاني ينظر الى) فلم أجذب سببه ألم الضرب (فقلت) له

هذا فى الخلق (ولو نظرت الى المعشوق الا كبر) كيف كان حاله (قال فزعت خرميتا) نقل القشيري نحوه

وهذا كان محبا محجوبا فلما انكشف له الحجاب لم يتحمل فكان سبب زهاق روحه (وقال يحيى بن معاذ الرازى

رحم الله تعالى اذا نظرت اهل الجنة الى الله تعالى) حين يتجلى عليهم غشى عليهم و (ذهبت عيونهم في قلوبهم من

لذة النظر الى الله تعالى غائمة سنة لا ترجع اليهم فاطنك بقلوب وقعت بين جماله و جلالة) فى الدنيا (اذا

لاحظت جلالة هابت واذا لاحظت جماله تاهت وقال بشر) الحافى رحمه الله تعالى (قصدت عبادان) وهى قرية

في جزيرة قرب البصرة (في بدايتي) أى أول سلو كى (فاذا أنا برجل أعشى مجذوم قد صرع) على الارض (والنمل

ياكل لجه فرفعت رأسه) من الارض شفقة عليه (فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام) وادعوله (فلما أفاق)

من غشيته (قال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي) ثم رجع الى ربه وقال (لوقطعتى ارباربا) أى

قطعة قطعة (ما زددت له الاحبا قال بشر فزاريت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانهكرتم) ولفظ القوت وحدوثنا

عن بشر الحافى رضى الله عنه قال رأيت بعبادان رجلا قد قطع البلى وقد سالت حد فتد على حده وهو فى ذلك

كثير الذكر عظيم الشكر لله عز وجل قال واذا هو قد صرع عن جنة قال فوضعت رأسه في حجرى وجعلت

أسأل الله كشف ما به وادعوله فافاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بينى وبين ربي ويعترض

عليه في نعمه على ونحى رأسه قال بشر فاعتقدت ان لا اعتراض على عبدى في نعمة أراها عليهم من البلاء وقال أبو محمد

السراج فى مصارع العشاق حدثنا أحمد بن على بن ثابت حدثنا عبد الرحمن بن فضالة أخبرنا محمد بن عبد الله بن

شافان سمعت طيبا الحملى بالبصرة يقول سمعت على بن سعيد العطار يقول مررت بعبادان بمكفوف مجذوم واذا

الزنبور يقع عليه فيقطع لجه فقلت الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاه به وفخ من عيني ما أغلق من عينه قال فيينا أنا

أردد الحمد اذ صرع فيينا هو يتخطب فنظرت اليه فاذا هو مقعد فقلت مكفوف يصرع مقعد مجذوم قال فاستتممت

كلامي حتى صاح يا مكاف ما دخولك فيما بينى وبين ربي دعه يعمل بي ما شاء ثم قال وعزتك وجلالك لوقطعتى

ارباربا أو صبيت على العذاب صبا ما زددت لك الاحبا (وقال أبو عمر ومحمد بن الاشعث) السكونى وهو شيخ

لابن عدى قدامهم كذا ذكره الذهبى فى الدوان وامحمد بن الاشعث الكندى فتابعى ثقة ويكنى أبا القاسم

(ان اهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف الصديق عليه السلام) وذلك حين

أصابهم القحط سبع سنوات متواليات (كانوا اذا جاعوا وانظر والى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم

الجوع بل فى القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة) زوجة الحاجب والساقى والحبار والسجان وصاحب

الدواب (أيدى من) بالسكاكين (لاستهترهن بملاحظة جماله حتى) دهشن و (ما أحسن بذلك) الجراح

(وقال سعيد بن يحيى) الكوفى العابد روى عنه ابنه أحمد (رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسالم) موضع

معروف هناك (شباب فى يده مديدة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل

أيدى من لستهترهن بملاحظة جماله حتى

(٨٣ - (انحاف السادة المتقين) - تاسع)

ما أحسن بذلك وقال سعيد بن يحيى رأيت بالبصرة فى خان عطاء بن مسلم شابا فى يده مديدة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول

يوم الفراق من القيامة أطول * والموت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرجل فقلت لست راحل * لكن مهجتي التي تترحل ثم بقى بالمدينة بطنه وخربت انفسا له عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى
ففي بعض الملوك يحب عنه يوما واحدا يروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل دلي على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام
يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعني بهما ما شئت ألت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا رب يا وصول
و يروى عن عبد الله بن عمر رضى الله (٦٥٨) تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد

خشينا على هذا الشيخ
ان حدث بهذا الغلام
حدث فأتى الغلام فخرج
ابن عمر في جنازته وما
رجل أشد سرورا أبدا
منه فقيل له في ذلك فقال
ابن عمر انما كان حزني
رحمته فلما وقع أمر الله
رضينا به وقال مسروق
كان رجل بالبادية له
كلب وجمار وديك
فأليك يوقظهم للصلاة
والجمار ينقلون عليه
الماء ويحمل لهم
خباءهم والكلب
يحرسهم قال فجاء الثعلب
فأخذ الديك فخرنواله
وكان الرجل صالحا فقال
عسى أن يكون خيرا ثم
جاء ذئب فخرق بطن
الجمار فقتله فخرنواله
فقال الرجل عسى أن
يكون خيرا ثم أصيب
الكلب بعد ذلك فقال
عسى أن يكون خيرا
ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا
فاذا قد سبي من حولهم
وبقوا هم قال وانما
أخذوا أولئك لما كان
عندهم من أصوات
الكلاب والحيرو والديكة
فكانت الخيرة لهؤلاء في

قالوا الرجل فقلت لست راحل * لكن مهجتي التي تترحل
ثم بقى بالمدينة بطنه وخربت انفسا له عنه وعن امره فقيل لي انه كان يهوى ففعل
واحد) رواه أبو محمد السراج في كتاب مصارع العشاق (ويروى) في بعض الاخبار (ان يونس) النبي
(قال لجبريل عليه السلام دلي على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب
ببصره فسمعه وهو يقول الهى متعني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا رب
يا وصول و يروى عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضي الله عنهما أنه اشتكى له ابن فاشد وجده عليه) وقلق
(حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث) أى أمر حادث من الموت) فأتى
الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجلا) في القوم (أشد سرورا منه فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني
رحمته فلما وقع أمر الله رضينا به) وهذا هو الرضا بعد القضاء الذي جاء ذكره في الخبر المتقدم (وقال مسروق)
ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبوعائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة ٦٣ (كان رجل
بالبادية له كلب وجمار وديك فأليك) كان (يوقظهم للصلاة والجمار) كانوا (ينقلون عليه الماء ويحمل لهم
خباءهم والكلب) كان (يحرسهم) من بغية العدو وقال (جاء الثعلب فأخذ الديك فخرنواله وكان الرجل
صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الجمار فقتله فخرنواله فقال الرجل عسى ان يكون
خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم)
من العرب (وبقوا هم قال وانما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحيرو والديكة فكانت الخيرة
لهؤلاء في هؤلاء هلاك الحيوانات كما قدره الله تعالى) واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الرضاع عن سعيد بن المسيب
قال لقمان لابنه يا بني لا يترن بك أمر رضىته أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك فخرج على جمار
وابنه على جمار وترود اللقاء نبي قد بعث فسار أيا ما وقد استقبلته مائة فإزارا فيها ما شاء الله حتى ظهر أو قد
تعالى النهار واشتد الحر ونفذ الزاد واستبطأ جمارهما فنزلا فغلا يشدان على سوقةهما فبينما هما كذلك إذ نظر
لقمان أمامه فاذا هو يسود ودخان فقال في نفسه السواد والشجر والدخان العمران فيبينهما هما كذلك إذ وطئ
ابن لقمان على عظم فأنى على الطريق فخرم غشيا عليه فوثب إليه لقمان وضمه إلى صدره وقال لعلى هذا خير لي
واستخرج العظم باسنانه فذرفت عيناه فقال يا أبت أنت تبكي وأنت تقول هذا خير لي وقد نفذ الطعام والماء
وبقيت أنا وأنت في هذا المكان فان رحلت وتركتني ذهبت بهم وغم وان أقيمت معي متناجيا فقال يا بني اما
بكأنى فرقة الوالدين واما ما قلت فكيف يكون هذا خير الى فعل ما صرته عنك أعظم مما تبليت فيه ولعل ما تبليت
به أبسر مما صرف عنك ثم نظر أمامه فلم يرد ذلك الدخان والسواد وإذا شخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض
حتى إذا كان قريبا منه توارى عنه ثم صاح انت لقمان قال نعم قال ما قال لك ابنك قال من أنت قال أنا جبريل
أمرني ربى بحسف هذه المدينة وأخبرت انك تريد انما فدعوت ربى ان يحسبك كما يشاء فحيثما كنت كما ابتلي به
ابنك ولولا ذلك لحسف بك معهم ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائما ورجل بهما الى موضعهما
كما يرسل الطير (فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال و يروى) في الاسرائيليات (ان
عيسى عليه السلام مر برجل أعشى ابرص مقعد مضروب الجنين يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول
الجد لله الذي عافاني مما ابتلي به كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شئ من البلاء أراه مصرو فاعنك فقال

هلاك هذا الحيوان كما قدره الله تعالى فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضى بفعله على كل حال و يروى أن
عيسى عليه السلام مر برجل أعشى ابرص مقعد مضروب الجنين يعالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الجد لله الذي عافاني مما ابتلي به
كثيرا من خلقه فقال له عيسى يا هذا أى شئ من البلاء أراه مصرو فاعنك فقال

ياروح الله أنا خير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فذاوله (٦٥٩) يده فاذا هو احسن الناس وجها

وافضلهم هيئة وقد
اذهب الله عنه ما كان
به فصعب عيسى عليه
السلام وتعد معه وقطع
عروة بن الزبير رجلاه
من ركبته من اكله
خرجت بها ثم قال الحمد
لله الذي اخذ مني
واحدة واعلم ان كنت
اخذت لقد اقبلت ولئن
كنت ابتليت لقد عافيت
ثم لم يدع ورده تلك الليلة
وكان ابن مسعود يقول
الفقر والغنى مطيتان
ما أبالي أيتهما ركبته ان
كان الفقرفان فيه الصبر
وان كان الغنى فان فيه
البذل وقال اوسليمان
الداراني قد نلت من كل
مقام حالالا الرضا فإلى
منه الامشام الريح وعلى
ذلك لو أدخل الخلائق
كلهم الجنة وأدخلني
النار كنت بذلك راضيا
وقيل لعارف آخر هل نلت
غاية الرضا عنه فقال أما
الغاية فلا ولكن مقام
الرضا قد نلت لو جعلني
جسرا على جهنم يعبر
الخلائق على الى الجنة ثم
ملائي جهنم تحلة لقسمه
وبدلا من خليفته لاجبت
ذلك من حكمه ورضيت
به من قسمه وهذا كلام
من علم ان الحب قد استغرق
هم حتى منعه الاحساس
بالم النار فان بقي احساس
فيغمره ما يحصل من لذته

ياروح الله أنا خير من لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فذاوله (٦٥٩) يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به (فصعب عيسى عليه السلام وتعد معه وقطع عروة بن الزبير رجلاه من ركبته من اكله خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة واعلم ان كنت اخذت لقد اقبلت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت وقال لقد اقبلت من سفرنا هذا انصبا هكذا رواه هشام بن عروة ومن طريق آخر لما أصيب برجله وبأبنته محمد قال اللهم كانوا سبعة فأخذت واحدا وأبقيت ستة وكن أربعا فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثة واعلم ان كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت وعن هشام أيضا قال وقعت الاكلة في رجله فقيل الاندعو لك طبيبا قال ان شئتم فإني اطيب فقال اسبقك شرا يزول فيه عقلك فقال امض لشأنك ما ظننت ان خلعا يشرب شرا يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه قال فوضع الميشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فمأسه حاله حسا فلما قطعها جعل يقول لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت (ثم لم يدع ورده) من القراءة (تلك الليلة) وكان ورده ربع القرآن كل يوم نظرا من المحصف ويقوم به الليل وذكر الزبير بن بكار ان عيسى بن طلحة جاء الى عروة حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطع برجله فقال لبعض بنيته اكشف لعمرك عن رجلي ينظر اليها فظفر فقال عيسى يا أبا عبد الله ما أعددت لك للصراع ولا السباق ولقد أبقي الله عز وجل لنا مكانا يحتاج اليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد على رجلي مثلك (وكان ابن مسعود) رضى الله عنه (يقول الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبته ان كان الفقرفان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل) رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا عمر بن حفص حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي حدثنا علي بن بزيمة عن قيس بن جابر عن عبد الله قال الاحبذا المكر وهان الموت والفقر وأيم الله ان هو الا الغنى والفقر وما أبالي بأيهما ابتليت ان كان الغنى ان فيه للعطف وان كان الفقر ان فيه للصبر (وقال اوسليمان الداراني) رضى الله تعالى (قد نلت من كل مقام حالالا الرضا فإلى منه الامشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا) نقله صاحب القوت الا أنه قال وقال بعض العارفين وساقه وقال في موضع آخر ومن الناس من كان يقدم سليمان بن أبي سليمان الداراني على أبيه وكان عارفا فقام من تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد ومن رضى عن الله في كل شيء فقد بلغ حد الرضا فانما قال هذا كالدلالة على أبيه لما قال ثلاث مقامات لاحد لها الورع والزهد والرضا اه وقد تقدم في كتاب الزهد عن أبي سليمان نحوه هذا انه ليس له منه الامشام الريح وتقدم الكلام هناك (وقيل لعارف آخر) فوجه (هل نلت غاية الرضا عنه فقال اما الغاية فلا ولكن مقام من (الرضا قد نلت لو جعلني جسرا على جهنم يعبر الخلائق على الى الجنة ثم ملائي جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليفته لاجبت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه) نقله صاحب القوت واراد بقوله تحلة لقسمه ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وان منكم الاواردها كان على ركب حتما مقضيا وقد روى هذا القول بوجه آخر قال القشيري سمعت السليبي يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابن أبي حسان الانماطى يقول سمعت أحمد بن أبي الخوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول ارجو ان أكون عرفت طرفا من الرضا لو أنه أدخلني النار لكنت به راضيا انتهى (وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس بالم النار فان بقي احساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه ياه في النار واستيلاء هذه الحالة غيبر محال في نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

في استشعاره حصول رضا محبوبه بالقائه ياه في النار واستيلاء هذه الحالة غيبر محال في نفسه وان كان بعيدا من أحوالنا

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال الروذباري [قلت لابي عبد الله بن الجلاء الماشقي قول فلان وددت أن جسدی قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق التعظيم والاحلال فلا أعرف وان (٦٦٠) كان هذا من طريق الاشتقاق والنصح للخلق فاعرف قال ثم غشى عليه وقد كان عمران بن

الحصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نزل في سري من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تملك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيئا أعمل الله ان يفعلك به واكنتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فأتسبها وتسلم علي فاسمع تسليما فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سب هذه النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فساظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحرافيف وأصبحت نضوا الأظعم طعاما ولا أسيخ شرايا منذ كذا فذكر أياما ما يسرى في نقصت من هذا قلامة طفر * ولما قدم سعد بن أبي وقاص (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعوله فيدعولها ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صفي بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبد الرحمن المكي القاري له ولابيه حبة وهو واند محمد بن عبد الله

الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الاقوياء و يظن ان ما هو عاجز عنه يعجز عنه الاولياء وقال (الروذباري) بغدادى أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢ صاحب الجنبين والنورى وابن الجلاء والطبقه (قلت لابي عبد الله) أحمد بن يحيى (بن الجلاء) (البغدادى الاصل) (الدهشقي) الاقامة صاحب أبا تراب الخشبي وذا النون وأبا عبيد اليسرى وأبا يحيى الجلاء (قول فلان وددت أن جسدی قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه مامعناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشتقاق والنصح للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم غشى عليه) نقله صاحب القوت (وقد كان عمران بن الحصين) رضى الله عنهما (قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة) (سليما) (لا يقوم ولا يقعد وقد نزل في سري من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته) غاظه و بوله (فدخل عليه مطرف) ابن عبد الله بن الشيخير العامري الحرشي البصري أبو عبد الله من ثقات التابعين وعبيداهم روى له الجماعة مات سنة خمس وتسعين (وأخوه العلاء) كذا في النسخ وفي القوت وأخوه أبو العلاء والصواب أبو العلاء وهو يزيد بن عبد الله بن الشيخير العامري البصري مات سنة إحدى عشرة ومائة ومولده في خلافة عمر روى له الجماعة (فجعل) أي مطرف وأخوه (يبكي لما يرى من حاله فقال) عمران (لم تبكي قال لاني أراك على هذه الحال العظيمة قال لا تملك فان أحبه الى الله تعالى أحبه الى ثم قال أحدثك شيئا أعمل الله ان يفعلك به واكنتم على حتى أموت ان الملائكة تزورني فأتسبها وتسلم علي فاسمع تسليما فاعلم بذلك) (ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سب هذه النعمة الجسيمة) وما فيه مثل هذه الآية انما هو كرامتورحة وذلك ان بلاء العقوبات لا تكون معه الا آيات ولانه قد كان حزن عليه فاراد ان يسره (فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن منبجة) هكذا في النسخ بفتح الميم وسكون المثناة وعين مهملة وفي بعض النسخ سويد بن شعبة وهو تصحيف (نعوده فرأينا ثوبا ملقى فساظننا ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجة ودبرت الحرافيف) أي عظام الجنين (وأصبحت نضوا) أي هزى يلامثل الثوب الخلق (لا أظعم طعاما ولا أسيخ شرايا منذ كذا فذكر أياما) مضت عليه (وما يسرى في نقصت من هذا قلامة طفر) نقله صاحب القوت وهذا مقام الراضى بما أبلاه ربه قال صاحب القوت واعتل حذيفة رضى الله عنه علة الموت فجعل يقول اخنقني خناقك فوعزتلك انك تعلم اني أحبك فلما حضرو الموت جعل يقول جيب جاعلي فافلا فلي من ندم قال وروى أيضا مثل هذا عن أبي هريرة وأشدوا يا حبيبيا بذكره يتسواي * وصفوه لسلك داع حبيب من أراد الطبيب سرى اذا أع * قل اشتيا قالى لقاء الطبيب من أراد الحبيب سار اليه * وجفا لاهل دونه والقريب ليس داع المحب داعى داوى * انما برده لقاء الحبيب *

(ولما قدم سعد بن أبي وقاص) رضى الله عنه (الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعوله فيدعولها ولهذا وكان مجاب الدعوة) لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له في ذلك فقال اللهم أجب لسعد دعوته (قال عبد الله بن السائب) واسمه صفي بن عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب ويقال أبو عبد الرحمن المكي القاري له ولابيه حبة وهو واند محمد بن عبد الله

انه قال انى اذنبت ذنباً
عظيماً فانابنى عليه
مندستين سنة وكان قد
اجتهد فى العباداة لاجل
التوبة من ذلك الذنب
ف قيل له وما هو قال قلت
مرة لشيء كان ليته لم يكن
وقال بعض السلف لو
رض خسي بالمقار يض
لكان أحب الى من أن
أقول لشيء قضاء الله
بجانه ليته لم يقضه وقيل
بعد الواحد بن زياره
رجل قد بعدت خسين
سنة فقصده فقال له
يا حبيبى أخبرنى عنك
هل قنعت به قال لا قال
أنسبت به قال لا قال هل
رضيت عنه قال لا قال
أناضريدك منه الصوم
والصلاة قال نعم قال
ولانى استحي منك
لاخبرتكم بان معاملتكم
خسين سنة مدخولة
به عناء بانكم لم يرفع
باب القلب فسترتقى الى
درجات القرب باعمال
القلب وانما أنت تعد
طبقات أصحاب اليمين
من يزيدك منه فى أعمال
الجوارح التى هى مزيد
أهل العموم * ودخل

(وقال بعض عباده أهل الشام) وعلمائهم وهو أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالفة لله عز وجل فان كان قد فسر هافا لم يكشف معناها الفهم السامعين منه الحاضرين عنده فيحتاجون تفسيرها الى تفسير حتى عنه انه قال (كلكم يلقى الله عز وجل مصدقا واولعه قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب نطل يشير بها ولو كان بها مثل) أي عيب ونقص (نطل نوارها يعني بذلك ان

جاءة من الناس على الشبلى رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوبك فاقبل عليهم ورمهم بالحجارة فقاموا فقال ما بالكم ادعيتهم بحسبتي ان صدقتهم فاصبر واعي بلائي وللشبلى رحمه الله تعالى ان المحبة للرحمن أسكرني * وهنئ رأيت محبا غير سكران وقال بعض عباد أهل الشام كلكم يلقي الله عز وجل مصداقاً لعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصابع من ذهب ظل يشربهم اولو كان بها شلل ظل يوارهم اي يعني بذلك ان

الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه * وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل
للسري احترق السوق وما احترق ذلك قال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الخانوت بقيمة
عمرة توبة واستغفارا من قوله (٦٦٢) الحمد لله فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام

عظيم من مقامات أهل
الدين ومهما كان ذلك
ممكنا في حب الخلق
وحظوظهم كان ممكنا
في حق حب الله تعالى
وحظوظ الآخرة قطعا
وامكانه من وجهين
أحدهما الرضا بالالم
لما يتوقع من الثواب
الموجود كالرضا بالفصد
والحجامة وشرب الدواء
انتظارا للشفاء والثاني
الرضا به لالحظ وراعه بل
ليكونه مراد المحبوب
ورضاه فقد يغاب الحب
بحيث ينغمر مراد
الحب في مراد المحبوب
فيكون ألد الأشياء عنده
سرور قلب محبوبه
ورضاه ونفوذا رادته
ولو في هلاك روحه كما قيل
فما الجرح اذا أرضاكم
ألم * وهذا يمكن مع
الاحساس بالالم وقد
يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الألم
فالقياص والتجربة
والمشاهدة دالة على
وجوده فلا ينبغي أن
ينكره من فقد من
نفسه لانه انما يفقد
لفقد سببه وهو فرط حبه

الذهب) زينة الدنيا وهو (مذموم عند الله تعالى والناس يتفاخرون به والبلاء زينة الآخرة وهم يستنكفون
منه) أي فانت اذا أعطاك زينة الدنيا التي ذمها عندك أظهرت سننها وغرت بها واذا أعطاك زينة الآخرة
التي مدحها عندك وهو المصائب والبلايا والفقر تكرهتها وأخفيت لثلاث عاب بذلك فحسب عليه حب الدنيا
والغنى والتزين به وكراهة البلاء والفقر تكذيبا لله تعالى ورداعا به ما وصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي
الرضا ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء عمن الناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد
الخلق ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا يحدث بنعم الله تعالى فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا
كذا في القوت (وقيل انه وقع الحريق في السوق) بيغداد (فقيل للسري) السقطي رحمه الله تعالى وكان له
دكان في ذلك السوق يتجر فيه فخرج في قطع من الليل فاستقبله قوم فقالوا يا أبا الحسن (احترق السوق) واحترقت
دكاكين الناس (وما احترق ذلك) وسلم (فقال الحمد لله ثم) تفكرو (قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي)
أي سلامة مالي (دون المسلمين) لانها كملت رضا ظهرت منه في مكان الاسترجاع للمصيبة (فتاب من التجارة)
وتصدق بجميع ما في دكانه من السفط والآلة (وترك الخانوت بقيمة عمرة توبة) الى الله وكفارة (واستغفارا
من قوله الحمد لله) فشكر الله فعله فزهد في الدنيا ورفع الى مقام المحبة فواصله بذلك الرضا الى الرضا قال صاحب
القوت وبلغني انه كان يقول قلت كلمة فانا أستغفر الله تعالى منها منذ ثلاثين سنة يعني قوله الحمد لله وفي الخبر
من لم يهتم بامر المسلمين فليس من المسلمين (فاذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى
ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان
ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين أحدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب
الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء) والراحة (والثاني الرضا به لالحظ وراعه بل
ليكونه مراد المحبوب ورضاه فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحبوب في مراد المحبوب فيكون ألد الأشياء
عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذا رادته ولو في هلاك روحه كما قيل

* فالجرح اذا أرضاكم ألم * وهذا يمكن مع الاحساس بالالم) الحاصل في الحال (وقد يستولى الحب بحيث
يدهش عن ادراك الألم فالقياص والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقد من نفسه
لانه انما يفقد لفقد سببه وهو فرط حبه * ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه) كما قيل

ولو يذوق عاذلي صابقي * صابمعي لكنه ماذا قها

(فلا محجب عجائب أعظم مما وصفناه وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقي) منسوب الى الرافقة مدينة بجانب
الرقبة بناها المنصور وأتمها المهدي ونزلها الرشيد وهي الآن تعرف بالرقبة (قال كنت في مجلس بالرقبة عند
صديق لي وكان معناتي يتعشق جارية مغنية وكانت معناتي المجلس فضربت بالقضيب) أي العود (وغنت)
البيتين (علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا ولا سيما عاشق * اذ لم يجد مشتكى
فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة
وأطبق فيه وغض عينيه فركاه فاذا هومت) وأخرج أبو محمد السراج في مصارع العشاق من طريق أبي
الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الصوفي قال رأيت ببغداد صوفيا حاضرا عند جارية بالكركخ تقول بالغضب

ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فلا محجب عجائب أعظم مما وصفناه * وقد روى عن عمرو بن الحرث الرافقي قال
كنت في مجلس بالرقبة عند صديق لي وكان معناتي يتعشق جارية مغنية وكانت معناتي المجلس فضربت بالقضيب وغنت
علامة ذل الهوى * على العاشقين البكي ولا سيما عاشق * اذ لم يجد مشتكى فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن
أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغض عينيه فركاه فاذا هومت

وقال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذي تظهر لي فقال قد علم الله اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي ماتت فقال ان كنت صادقا قلت قال فتحنى الرجل وغض عينيه فوجد ميتا * وقال سمعون الحب كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية بفلس الرجل (٦٦٣) ليصلح لها حبسا فيبينها هو يحرك القدر

اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا قال هـ ذا مكان قولك آه * وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليت هكذا لا خير في عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فمات ميتا فلهذا وامثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة البانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنعمة الموزونة فالذي فقد القلب لا يدوان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مقلنة لها سوى

يأبيع الدل والغنج * لك سلطان على المهج * ان بيتا أنت ساكنه غير محتاج الى السرج * وجهك المعشوق حجتنا * يوم تأتي الناس بالهج فتواجد وصالح ودق صدره الى ان اغشى عليه فسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا وذلك في سنة ٣٩٠ وحدث العتيبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان بن بشير بن سعد الانصاري رضي الله عنه قال وليت صدقات بني عذرة قال فدفعنا الى فتى تحت ثوب فكشفت عنه فاذا رجل لم يبق منه الا رأسه فقلت ما بك فقال كان قطاة علفت بجناحها * على كبدي من شدة الخفتان جعلت لعراف اليمامة حكما * وعراف نجدان هما شفياني ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذي كان فيه ثم خدفاذا هو قد مات فاصلح من شأنه وصليت عليه فقبل لي أندري من هذا هذا عروة بن حوام (وقال الجنيد) قدس سره (رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو) أي الرجل (يتضرع اليه) ويتذلل له (ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال له الى متى ذا النفاق الذي تظهر فقال) الرجل (قد علم الله اني صادق فيما اورده) من المحبة (حتى لو قلت لي مات) يا فلان (لمت فقال ان كنت صادقا) فيمات تقول (فنت قال فتحنى الرجل وغض عينيه فوجد ميتا وقال سمعون) بن جرة البغدادي (الحب) رجه الله تعالى (كان في جبرائيل رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية أي مرضت بفلس الرجل ليصلح لها حبسا) وهو تمر ينزع فواه ويدق مع أقط ويحجن بالسنن ثم يذلل باليد حتى يبقى كالثر يدور بما جعل معه السويق (فيبينها هو يحرك القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه) ولم يحس بها (فقالت الجارية ما هذا قال هـ ذا موضع قولك آه وحكى عن) أبي جعفر (محمد بن عبد الله) بن المبارك المحمري (البغدادي) نقه حافظ مات سنة بضع وخسين روى له البخاري وأبو داود والنسائي (قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليت هكذا * لا خير في عشق بلاموت ثم رمى نفسه الى الارض فمات ميتا) ولفظ القشيري في الرسالة وقيل ان شابا أشرف على الناس في يوم عيد وقال من مات عشقا لخال وألقى نفسه من سطح عال فرفع ميتا (فهذا وامثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة البانية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد السمع ينكر لذة الالحان والنعمة الموزونة فالذي فقد القلب لا يدوان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مقلنة لها سوى القلب) والله الموفق * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا)

القلب * (بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا) * ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في ازالته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض الباطنيين المغترين (من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين) وزعم ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا منه (جهل بالتأويل) والتفصيل واتباع لما تشابه من التزويل (وغفلة عن أسرار الشرع) وبطلان قول هذا أوضح من ان يدل على فساده كما تقدم قريبا (فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلنا في كتاب الدعوات تدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاما الدعاء فقد أعبدناه
 وكثرة دعوات رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 وسائر الانبياء عليهم
 السلام على ما نقلناه في
 كتاب الدعوات يدل عليه
 ولقد كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في
 اعلى المقامات من الرضا
 وقد اثني الله تعالى على
 بعض عبادته بقوله يدعوننا
 رغباً ورهباً واماناً كآ
 المعاصي وكرهتها وعدم
 الرضا بها فقد تعبد الله
 به عباده وذمهم على
 الرضا به فقال ورضا
 بالحياة الدنيا واظمأنا
 وقال تعالى رضا بان
 يكونوا مع الخوالف
 وطبع الله على قلوبهم
 وفي الخبر المشهور من
 شهد منكر افرضى به
 فكأنه قد فعله وفي
 الحديث الدال على الشر
 كفاعله وعن ابن مسعود
 ان العبد ليغيب عن
 المنكر ويكون عليه
 مثل وزر صاحبه قبل
 وكيف ذلك قال يبلغه
 فيرضى به وفي الخبر لو أن
 عبداً قتل بالمشرك ورضى
 بقتله آخراً بالمغرب كان
 شركاً في قتله وقد أمر
 الله تعالى بالحسد
 والمنافسة في الخيرات
 وتوفى الشرور فقال تعالى
 وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون

وسلم في أعلى المقامات من الرضا ولقد اثني الله تعالى على بعض عبادته بقوله يدعوننا رغباً ورهباً وقال صاحب
 القوت ولا ينقص الراضي من مقام الرضا عن مسألة مولاهم زيد الآخرة وملاح دنياه تعبد الله بذلك افتقار اليه
 في كل شيء لأن في ذلك رضاه ومقتضى تحديه بمسألة الخلائق فان صرف مسأله الى طلب النصيب من المولى
 وابتغاء القرب حبالة وأثرة على ما سواه كان فاضلاً في ذلك لانه قد دخل قلبه اليه وجع همه بذلك وهذا مقام
 المحر بين وهو على قدر مشاهدته الراضي عن معرفته ومقتضى حاله لانه يسأل عن علمه بعلمه في وقت من أحواله
 كما يسأل عن جلالة أعماله بعلمه مدته عمره فهذا أصل فاعرفه فعليه عمل العاملين وهو طريق العارفين من السلف
 فلم يضرهم عندهم خلاف من خالف وان كان دعاؤه تمجيد السبيد وثناء عليه شغلاً بذكره ونسياناً للغيره ولها
 بحبه لانه يستوجب ذلك بوصفه ولانه واجب عليه فقد استغرقه وجوب ما عليه عمله فهذا أفضل وهو مقام
 المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه في مقتضى حاله بالعمل فعلمه في وقته (وأما انكار
 المعاصي وكرهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضا بالحياة الدنيا
 واظمأنا) فذمهم على رضاهم بالدنيا بالمعاصي وبالتخلف عن السوابق وقال ولتصغي اليه أئمة الذين
 لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون فعابهم بذلك (وقال تعالى رضا بان يكونوا مع الخوالف
 وطبع الله على قلوبهم) يعني مع الناس في القعود عن القيام بالجهاد وهو جمع التأنيت في رضى بالمعاصي
 والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها والى ونصر عنها أو ادعى ان ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى
 عليه بالرضا وأنه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومذمهم فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت (وفي الخبر
 المشهور من شهد منكر افرضى به فكأنما قد فعله) كذا في القوت وقد تقدم في كتاب الامر بالمعروف والنهي
 أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما من شهد منكر افكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن
 أمر فرضى به كان كمن شهد (وفي الحديث الدال على الخير كفاعله) رواه الامام أبو حنيفة عن علقمة بن
 مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً ومن طر يقهر واه العسكرى في الامثال ورواه البراء من حديث
 أنس ورواه ابن منيع من حديث ابن عباس بزيادة في أوله وآخره وقد تقدم في كتاب العلم ووجد في بعض نسخ
 الكتاب الدال على الشر كفاعله وهكذا هو في القوت أيضاً وقال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث
 أنس باسناد ضعيف جداً (وعن ابن مسعود) رضى الله عنه (ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر
 صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به) نقلاً صاحب القوت (وفي الخبر لو ان عبداً قتل بالمشرك ورضى بقتله
 آخراً بالمغرب كان شركاً في قتله) كذا في القوت قال العراقي لم أجده أصلاً بهذا اللفظ ولا بن عدي من حديث
 أبي هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها أو اجابها فكأنما حضرها وتقدم في كتاب
 الامر بالمعروف انتهى قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الامر بالمعروف والنهي وضعفه (وقد أمر الله تعالى
 بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوفى الشرور فقال تعالى) سابقوا الى مغفرة من ربكم (قال وفي ذلك فليتنافس
 المتنافسون) وقال يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون فتدب الى المسارعة والسباق وذم التخلف عنها بما
 حبس وعاق فعلى هذا طريق المؤمنين وفيها مقامات الموقنين وروى من طريق مرسل عن النبي صلى الله عليه
 وسلم من نظر الى من فوزه في الدين والى من دونه في الدنيا كتب الله صابراً شاكراً ومن نظر الى من دونه في الدين
 ومن فوزه في الدنيا لم يكتب الله لاصبر ولا شاكراً قال صاحب القوت فقيه أربعة معان حسان اذا تدبرها العبد
 وتفكر فيها لم يعدم ان يرى أهلها لانه لا يتخلو أن يرى بعينه أو بقلبه عن معرفة بسيرة المتقدمين فيرى من فوزه
 في باب الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع منه برزقه فيكون صابراً شاكراً بمعرفة ما تنفع به ورضى وباختياره
 صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب الطويل ولا يتخلو أن يرى من فوزه في أمر الدين من العاملين
 والعالمين والزاهدين فيسارع الى ذلك ويسابق وينافس فيه اذ قد تدب الى ذلك فيكون حباله وحضاه على افتعال
 الخيرات واعمال الصالحات وأقل ما يفيسده ذلك الازراء على نفسه والمقت لها في تقصيره ثم ينظر في الامرين

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد في اثنتي عشرة رجلا ناه الله حكمته فهو يئسها في الناس (٦٦٥) ويعلمها ورجل آناه الله مالا فسلطه

على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آناه الله القرآن فهو يقوم به آناه الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل ما يفعل وأما بعض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والانخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء وقال تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن وقال عليه السلام المرعع من أحب وقال من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة وقال عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الإعراف والنهي عن المنكر فلا نعيد

الآخرين من وجه آخر فلا يخلو أن يرى من هو دونه في أمر الدين من ذوي الفاقات والحاجات فيحمد الله تعالى على تفضيله عليه وحسن صونه ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجسد أيضا في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والرائعين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضا صابرا شاكرا فيكون العبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله له من التبصرة والاعتبار (و) يشهد لما ذكرناه ما (قال النبي صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آناه الله حكمته فهو يئسها في الناس ويعلمها ورجل آناه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق) رواه البخاري من طريق يحيى بن سعيد القطان ومسلم من طريق ابن نمير ومحمد بن بشر ثلاثهم عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود رفعه ورواه النسائي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد ولفظهم جميعا لاحسد الا في اثنتين رجل آناه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آناه الله حكمته فهو يقضي بها ويعلمها وقد تقدم في كتاب العلم (وفي لفظ آخر) لاحسد الا في اثنتين رجل آناه الله مالا فهو ينفقه آناه الليل وآناه النهار (ورجل آناه الله القرآن فهو يقوم به آناه الليل و) آناه (النهار) رواه كذلك الشيخان والترمذي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعا لكن بتقديم الشطر الثاني على الاول زاد صاحب القوت (فيقول الرجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاني هذا لفعلت مثل ما يفعل) فندب صلى الله عليه وسلم الى الحسد في أعمال البر وفضل الحسد على ذلك لان الله تعالى ندب الى التنافس في أعمال الخير فن حسد في هذه الثلاث ونحوها للغبطة بها والطلب لها لم يخرج منه ذلك من الرضا وكان له مزيد بعد أن لا يحب زوالها من أهلها ولا ينقصهم منها ولا أن لا يذكروا ولا يحبها هو أيضا ليدكر ذكره واو مدح كما مدحوا فهذه المعاني آفات هذه الفضائل ولكل شيء آفة ومن وقع فيها خفيدها عنه خير له لانه أسلم ولا فضل الا بعد حوز السلامة (وأما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والانخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم وقال تعالى وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (وقال تعالى) في مثله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) ثم قال ومن يتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما نولي ونصله جهنم فبغض المبتدع والفاجر والظالم المعتدي وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المؤمنين (وفي الخبر ان الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن) ولفظ القوت وقدره وينافي خبر ان الله أخذ على كل مؤمن من الميثاق والباقي - وواعو قال العراقي لم أجده أصلا (وقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب) وله ما احتسب رواه الترمذي من طريق أشعث عن الحسن عن أنس وقد تقدم والشطر الاول متفق عليه من حديث شعبة عن قتادة عن أنس ومن حديث الأعمش عن شقيق عن أبي موسى وابن مسعود وقد تقدم (وقال) صلى الله عليه وسلم (من أحب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيامة) قال العراقي رواه الطبراني من حديث أبي قرصافة وابن عدي من حديث جابر من أحب قوما ووالاهم حشر في زمنهم وفي لفظه بزيادة يوم القيامة وفي طريقه اسمعيل بن يحيى التيمي ضعيف انتهى قلت وفي بعض نسخ الكامل لابن عدي على أعمالهم بدل ووالاهم وقال الذهبي في الديوان اسمعيل بن يحيى بن عبيد الله أبو يحيى التيمي كذاب عدم وأبوه شيخ ابن المبارك متروك هالك (وقال صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شبة والبيهقي من حديث البراء بلفظ ان أوثق عرى الاسلام ان تحب في الله وتبغض في الله وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله (وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الإعراف والنهي عن المنكر فلا نعيد) وقال

صاحب القوت بعد ان ذكر حديث أوثق عرى الايمان ما لفظه فجعل ذلك من أوثق العرى لانه منوط بالايمان لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كالا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله يحول بينه وبينه وقد تولى تأييد الايمان بروح منه بعد كتبه في القلوب برحمته وفي الحب في الله الموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل والقول وفي البغض في الله ترك ذلك كله والمناذرة والمباينة ولاجل ذلك صارت الموالاة لا ولياء الله والمعاداة لا عداية من أوثق عرى الايمان لانك قد تعصى وتحالف مولاك لتسليط العدو وغلبة هوك الأناك تبغض العصاة ولا تواليهم على المعاصي ولا تحبهم من أجلهم من قبل ان العدو لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على المراقبة والمحافة منك ولم يسلط أيضا عليك في استحلال المحارم واستحسانها ولا التزين بها ولا في ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقتراحها فان سلط على مثل هذا منك العدو وحتى تحب الفساق وتواليهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما يرتكبون من الحرام أو ترضى به أو تدن به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منه في كثير ولا قليل لان هذه العقود مربطة بعري الايمان وهي وهو في قرن واحد مقرونان فهذا من كثر البكائر التي تنحل عقد الايمان معها وتنقض عراه بها من قبل ان الموالاة والمحبة لا عداة الله تعمل في أصل الدين وتجوذب اليقين فلا تبقى منه نور الاله ليس من عصي امامه فيما أمره مثل من قلب دولته وخرج عليه بالسيف وليس من وافق هوى نفسه فيما به نهى الله مثل من وافق ما وفق الله فيما كتب وأرسل فنبذ كتبه ورديده في أفواه الرسل مسكافان تكن مقامات هؤلاء الظالمين والفساقين توجب عليهم الرضا باحوالهم أو الشكر عليها فرضوا وشكر والزمهم أيضا أن يصبروا ويشتبوا على ما شكر واعليه ورضوا به فيصير ذلك مقام الهم في الشكر والرضا عند القائل بهم واهم ووجبت عليه أيضا الهم أن يحبهم عليها ويواليهم فاذا وجب عليه ذلك لزمه أن يعينهم عليها يا سرهم بها وفي هذا تكذيب الكتب كلها ورد الرسل كلهم نعوذ بالله من رضا لا ينفع ومن حب لا ينفع كأنعوز به من عمل لا ينفع ومن علم لا ينفع ثم ذكر الاخبار المتقدمه فقلاد وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما دخل لفظ أحدهما في الآخر لوان عبد اصف بن قديمه عند الركن والمقام بعد الله عز وجل عمره يصوم نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله عز وجل وليس في قلبه محبة وموالاة ولا ولياء الله ولا بغض ولا معاداة لا عداية لما نفعه ذلك شيئا وقد جاء نحوه وبمعناه عن عمر وغيره ان أحدهم ليشيب في الاسلام ولم يوال في الله تعالى ولم يعاد فيه عدوا وذلك نقص كبير وفي معنى قوله أوثق عرى الايمان الخ وجه خفي هو ان يحبك المؤمنون ويغضك المنافقون فتكون ذلك علامة وثيقة عروا ايمانك لان قوله الحب في الله يصلح ان تحب أنت و يصلح ان يحبك المؤمنون وكذلك البغض في الله يصلح ان يغضك المنافقون كما تبغضهم أنت فكذلك تحب الى المؤمنين حتى يحبوك وتبغض الى المنافقين حتى يبغضوك بالتباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبضلك اياهم فبدل ذلك على قوة ايمانك لانك لم تأخذ في الله لومة لائم منهم كما وصف بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك أبعدك من المداينة والنفاق وأقرب الى الصدق والاخلاص والورع فاذا فعلت ذلك بهم أبغضوك ومقتولك فظفر بما تريد وتترك ما تحب داخل عليك بوصفهم فهذا على معنى قوله عز وجل أشد اعلى الكفار رجاء بينهم أدلة على المؤمنين أعز على الكافرين (فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى) وانه مطلوب (فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قاذح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد رأوا السكوت عن المنكرات مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من المتضاد في شيء واحد أن يكره من وجهه ويرضى به من وجهه اذ قد عوت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد رأوا السكوت عن المنكرات مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من المتضاد في شيء واحد أن يكره من وجهه ويرضى به من وجهه اذ قد عوت عدوك الذي هو أيضا عدو بعض أعدائك وساع في اهلاكه

فتكره موته من حيث انه مات عدو له وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليم الملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه وجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه محقوا عند الله وبغض اعنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومذموم ولا ينكشف هذا الا بالمثل فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني أقصد الى فلان وأؤذيه وأضربه ضرا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبة وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبيرك في اذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك

(٦٦٧)

فتكره موته من حيث انه مات عدو له وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليم الملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه وجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه محقوا عند الله وبغض اعنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرو ومذموم ولا ينكشف هذا الا بالمثل فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني أقصد الى فلان وأؤذيه وأضربه ضرا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني أبغضته واتخذته عدوا لي فكل من أحبه أعلم أيضا أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبة وعالم بشرط المحبة أن يقول أما تدبيرك في اذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رأيك وتدبيرك وفعلك وارادتك وأما شتمه اياك فانه عدوان من جهة اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك

بشتمه ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي يدبرته فانا راض به ولولم يحصل لي كان ذلك نقصانا في تدبيرك وتوقيفا في مرادك وأنا كاره لفوان مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسبه وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث انه وصف له لامن حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك وأما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحبه له لانه مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبعوض له لان شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا وأما بغضك فاني أراضه من حيث انك أردت أن يبغضك اذا بعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض وليكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبعوض وكسبه وفعله وأما مقتته لك فهو مقتى عندى لمقتته اياك وبغضه ومقتته لك أيضا مكرهه عندى من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضي ومن حيث انه مكره فاما اذا كان مكره وهالامن حيث انه مراده فله بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا الاتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكرهه من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضا هي ضرب المحبوب للشخص الذي ضرب بناءه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والى الشتم

مرادك وأنا على موافقتك أيضا مبعوض له لان شرط المحب أن يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا وأما بغضك فاني أراضه من حيث انك أردت أن يبغضك اذا بعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض وليكني أبغضه من حيث انه وصف ذلك المبعوض وكسبه وفعله وأما مقتته لك فهو مقتى عندى لمقتته اياك وبغضه ومقتته لك أيضا مكرهه عندى من حيث انه وصفه وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي وانما التناقض أن يقول هو من حيث انه مرضي ومن حيث انه مكره فاما اذا كان مكره وهالامن حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا الاتناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكرهه من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى فاذا تسلط الله تعالى الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضا هي ضرب المحبوب للشخص الذي ضرب بناءه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والى الشتم

ومقت الله تعالى أن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبيده أعنى تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويحقت (٦٦٨) من مقتته الله ويعادى من أبغضه الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته

ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهر او مطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلا بغضا الى جميع المحبين موافقة للمحجوب باظهار الغضب على من أظهر المحجوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل - وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لارخصة في افسائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكرره والخير مراد مرضى به فن قال ليس الشر من الله فهو جاهل الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ما ذون فيه

ومقت الله تعالى أن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما يحصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبيده أعنى تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقتته فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويحقت من مقتته الله ويعادى من أبغضه الله عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهر او مطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقبلا بغضا الى جميع المحبين موافقة للمحجوب باظهار الغضب على من أظهر المحجوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ماوردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث انه قضاء الله عز وجل - وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لارخصة في افسائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة ولكن الشر مراد مكرره والخير مراد مرضى به فن قال ليس الشر من الله فهو جاهل الله فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ما ذون فيه

فالاولى السكون والتأديب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة والرضا وغرضنا الا أن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع انهم من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السرفيه

لا ينافى قضاء التوكل واستقصائه في كتاب التوكل فهو أيضاً ينافى الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اطهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واطهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا ينافى وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أى في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيها ينافى الرضا بقضاء الله تعالى لان مذمة الصنعة مذمة لاصانع والكل من صنع الله تعالى وقول مقاتل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذف في الرضا بل

(اعلم) أسعدك الله تعالى (ان الضعيف) القاصر النظر (قد بطن انهمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون) كما تقدم ذلك في الاخبار الواردة فيه (يدل على النهى عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي) وفشت (لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله) وهو مذموم منهى عنه (وذلك محال بل العلة في النهى عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون) منه (انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقى فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم) في تمريضهم (فيهاكون هز الاوضرا) ولا يوجد من يجهزهم بعدموتهم

ينبغي أن يسلم التسدير لمدبره والمملكة لما لكهاو يقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا بألى أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لا أدري أنهم أخبرني
 (*) بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا * اعلم أن الضعيف قد يظن أن منسى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن الخروج من بلد يظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من البلد ظهرت فيه المعاصي لأن كل واحد منهم أفرار من قضاء الله
 تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا
 متعهدين لهم فهاككون هزا الأوضرا

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن ابن قارب

البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل واذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليست مذمومة فإزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واطهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فإرأيت بلداً شر من بغداد قبل وكيف قال هو بلدت زدرى فيه نعمة الله وتستر فيه معصية الله ولما قدم خراسان قبله كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها الا شر طيا غصبان أو قارناً حيران ولا ينبغي أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يربق استعداد

ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف) تشديداً في أمره وزجراً في ذلك واستدل به من ذهب الى ان النهي فيه نهي تحريم كما هو مذهب الشافعي وقد تقدم ذلك في كتاب التوكل وذكرنا هناك ان تلك العلة التي أبدعها المصنف قد سبقه فيها الامام أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار (ولو كان ذلك للفرار من القضاء) كما يفهم بظاهره (لما أذن ابن قارب البلدة في الانصراف) والرجوع (وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل) فارجع اليه (واذا عرف المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه) ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه لما أمر الناس بالانصراف عن الشام وقد قاله بعضهم أتفر من قضاء الله فقال نعم نفر من قضاء الله الى قضاء الله (وكذلك مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذمومة) وقال السكال الصوفي ولا رخصة في الإقامة في بلد كثرة فيه الفساد خوفاً من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضاً اذا فرغ من قضاء الله تعالى (فإزال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة منهم على ذم) دار السلام (بغداد) وهي المدينة المشهورة بالعراق بناها أبو جعفر المنصور وفيها الغلات أشهرها بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المحممة ودالين مهملتين ثم بغداد بالنون بدل الدال وروى بدل في آخره وروى بدل أولى مهملة والثانية مجمعة وهذا هو المغرب وعند المحدثين والكتاب ويقال بعكس ذلك ويقال معدان بالميم بدل الباء والنون آخره وقد استوفيت ذلك في شرحي على القاموس والاسم أعجمي والعرب تختلف في ذلك وزعم بعضهم ان تفسيره بستان العدل وقيل عطية الصنم وهو على اللغة المشهورة الاولى التي ذكرناها ولذا كره ابن المبارك هذه التسمية وسماها المنصور دار السلام لان دجلة كان يقال لها وادي السلام وكان بناها في سنة خمس وأربعين ومائة في الوقت الذي اختاره له توجت المنجم وكان قد جمع لبناناً مائة ألف رجل من جميع الاقاليم من أهل المعرفة بالبناء واحكامه ويقال لا تعرف في أقطار الارض مدينة مدورة سواها وقد استوفى أخبار بنائها وما يتعلق بها الخطيب في أول تاريخه لها (واظهارهم ذلك) أي الذم (وطلب الفرار منها) قال صاحب القوت وكذلك يجب ابن آدم عن عامله الاعتراف والتواضع وهو أيضاً أحد المعاني في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خاضوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً قبل هو الاعتراف عقيب العمل السيئ لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه فاما من قبلت عليه هذه المعاني فخلل مواقيت الأمور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر الى من فوقه في الدنيا في غبطة على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره اليه في استغفار نعمة الله عليه ويزدري بيسير ما قسم به ثم ينظر الى من هو دونه في الرزي من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويحسب ذلك معذرة له ووجه وتأسيه في غبطة عن اتساعه الى القربات أو لعله أو يدخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله أو ينظر الى نفسه باهماله لتقصير غيره عن مثل فعالة فهذا أيضاً يكتب جزوعاً من الصبر كفوراً للنعمة بأضاعة الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكراً وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين وروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحب المساكين والذين منهم وان أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوق في ذلك أجد رناً لأزدرى نعمة الله علي وقد وصف هذا البلد الذي نحن فيه بمثل هذه المعاني والله المستعان (نقال ابن المبارك) فيما حدثننا عنه (قد طفت الشرق والغرب فإرأيت بلداً أشد من بغداد قبل وكيف هو) يا أبا عبد الرحمن (قال هو بلدت زدرى) أي تحتقر (فيه نعمة الله وتستر فيه معصية الله) أي تعدص صغيرة قال (و) وحدثننا عنه انه (لما قدم خراسان قبله) يا أبا عبد الرحمن (كيف رأيت) الناس في (بغداد فقال ما رأيت بها الا شر طيا غصبان أو قارناً حيران) نقله صاحب القوت (ولا ينبغي أن تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس) عن سكاها (وكان) ابن المبارك (يخرج الى مكة وقد كان مقامه ببغداد يربق استعداد القافلة ستة عشر يوماً كان يتصدق بدينار كفاً له لقامه) ولفظ القوت ويقال انه كان يتصدق في كل يوم بدينار

وقد ذم العراق جماعة كعمر بن العز وركعب الاحبار وقال ابن عمر رضي الله عنهم المولى له أين تسكن فقال العراق قال فأتصنع به بلغني انه مامن أحد يسكن العراق الا قبض الله له قريناً من البلاء وذكر ركعب الاحبار يوماً (٦٧١) العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر

وفي الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء تسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كما يومئذ الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدبر عبادة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقابلاً بينا أحدهم في زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بهما من أراد أن يخرج فليخرج وكان أجد بن حنبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آت في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريه ثم يرفهها يدل على أن من يلي ببلدة تكثرفها المعاصي ويقل

لاجل مقامه ببغداد الى ان يخرج الى مكة فبلغني انه كان يقيم مع الحاج ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً كقارة لمقامه ثم قال وقد وصفها الشافعي رضي الله عنه انها هي الدنيا وريناعنه انه قال الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرة لها وحدونان عن يونس بن عبد الأعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس اه وقال الخطيب في تاريخه أخبرنا أبو عبد الرحمن اسمعيل بن أحمد الضرير أخبرنا أبو عبد الرحمن بن محمد بن الحسين السلمي بن يسابور سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت عبد الله بن موسى الطحفي يقول سمعت أجد بن عباس يقول خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي من أين خرجت فقلت من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت ان يحسف باهلها فقال ارجع ولا تخف فان فيها قبوراً أربعة من الاولياء هم حصن من جميع البليات قلت من هم قال الامام أجد بن حنبل ومعرفة الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار اه (وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العز وركعب الاحبار) رحمه الله تعالى (وقال ابن عمر رضي الله عنهما) كذا في سائر النسخ وهو غلط ولفظ القوت فر وبنان عن عمر بن عبد العز بناته قال (لمولى له أين تسكن فقال العراق فقال فأتصنع به بلغني انه مامن أحد يسكن العراق الا قبض الله له قريناً من البلاء) كذا في القوت (وذكر ركعب الاحبار يوماً العراق فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال) قال صاحب القوت وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنهاه عن الخروج الى العراق قلت رواء كذلك أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب (وقد قيل قسم الخير عشرة أجزاء تسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك) أي تسعة أعشاره بالعراق وعشره بالشام نقله صاحب القوت قلت وهذا قدر وي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر والخير عشرة أعشار تسعة بالشام وواحد في سائر البلدان والشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان رواه الخطيب في المتفق والمفترق وفيه أبو خليل الدمشقي عن الوضين بن عطية قال أجد ما كان به بأس ولينه غيره وروى ابن عساكر من حديث بسند فيه مجاهد ان الله خلق أربعة أشياء وأردفها أربعة أشياء خلق الجذب وأردفه الزهد وأسكنه الحجاز وخلق العفة وأردفها الغفلة وأسكنها اليمن وخلف الريف وأردفه الطاعون وأسكنه الشام وخلق الفجور وأردفه الوهم وأسكنه العراق (وقال بعض أصحاب الحديث كما يومئذ الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى (فجاءه صوفي متدبر عبادة فاجلسه الى جانبه وأقبل عليه) بوجهه بحادثه (ثم قال أين تسكن) اليوم (فقال بغداد فأعرض عنه) الفضيل (وقال يا تينا أحدكم في زى الرهبان فاذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة) نقله صاحب القوت (و) قد (كان بشر بن الحرث) رحمه الله تعالى (يقول مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش) نقله صاحب القوت (وكان) رحمه الله تعالى (يقول لا تقتدوا بي في المقام بها) أي ببغداد (من أراد أن يخرج فليخرج) نقله صاحب القوت (وكان أجد بن حنبل) رحمه الله تعالى (يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آت في نفسي قيل وأين تختار السكنى قال بالثغور) نقله صاحب القوت قال وأما معروف الكرخي رحمه الله تعالى فكان يفصح بها فيقول أما أنا فاني أصرت أن أموت ببغداد فهؤلاء من خيار أهل البلد وهم من ابدال الصديقين (وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد زاهد وشريه ثم يرفهها) يدل على أن من يلي ببلدة (أي بسكناها) (تكثرفها المعاصي) والمزبكرات (و) يقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر منها (قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منكم من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بما يحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزج القلب منها فان لا على الدوام ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منكم من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بما يحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي أن يكون منزج القلب منها فان لا على الدوام ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل

البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة واذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضامطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا به بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لأكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلني أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقبل لو هيب ايش تقول أنت فقال أنا لا اختار شيئا أحب ذلك الى أحبه

البلاء ودمر) على (الجميع وشمل المطيعين قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة) ولفظ القوت ومن سكن بلدا كثيرا المنكر ناطرها المعاصي وكان فيه من عجايب مطعم من اليه يرغب الى الله في اخراجه منه بحسن اختياره له أو كان مضطرا في المقام فيه لعله أو قلة ذات يد لا يستطیع حيلة في الخروج ولا يمدى طريقا لغلبة الفساد في أكثر الامصار فانه معذور عند الله بحسن نيته وهو أقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه واطمأن ورضي بحاله أو كان مقامه على هوى أو لاجتلاب أسباب الفتنة والدنيا قال تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها اذا اختلفت فيه اهل المعاصي فتحوّل منه الى غيره وقبل اذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمشكر أضعف أو أقل من أهل المعروف ثم لم ينكر واذل فقد وجب الخروج منه ثم قال تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون سناخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها الآية ألا ترى كيف أخبر بترك رضاهم بالمقام وباتخاذهم وطلبهم الخروج فبذلك عذرهم ولا يصلح الرضا الا بالعصمة من جميع الهوى اه وقال السكّال الصوفي ولا رخصة في الإقامة في بلد كثير فيه الفساد خوفا من الفرار من قضاء الله تعالى فانه أيضا اذا فرغ من قضاء الله تعالى قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان عاقبة عجز أو عيلة وجب عليه كراهة ذلك بباطنه بعد الله عز وجل (فأذا ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضامطلق الا من حيث اضافتها الى فعل الله تعالى فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا به بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من أهل المقامات الثلاث) أي أيهم أفضل (رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء) (لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله تعالى) (أن شاء أحباني أبدا وان شاء أماتني غدا) (ورفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين) وتحاكموا اليه (فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا) قال صاحب القوت وهذا كما قال في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار فكذلك ينبغي ان يكون خروجه منها عن معنى دخوله بلا اختيار ولان مقام الرضا أعلى من مقام الشوق ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى اللقاء وهـ ذا مقام في المحبة وهو حقيقة الزهـد في الحياة والذي يحب البقاء لخدمة وكثرة المعاملة فهو فاضل بعد هذين مقامه قوة الرجاء وحسن القان في العصمة وله أيضا مظاهر العات من الانس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنه سكنت نفسه وقصرت عليه أيامه ففي الخبر أفضل المؤمنين إيمان من طال عمره وحسن عمله هذا لان الاعمال مقتضى الإيمان اذ حقيقة الإيمان انما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط عليه صاحبه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء وخدمة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق وتحتفي فيها علمته وهو أن يحب البقاء لاجل النفس وللمتعة بروح الدنيا وما طبعته عليه من حب الحياة ويكره الموت لمنافرة الطبع فيتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله تعالى ولا لاجل طاعته وخدمته وهذا من الشهوة الخفية التي لا يخرجها الا حقيقة الزهـد في الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثالث الاعارف واحد دائم المشاهدة باليقين فاما المعتل بوصفه وهواه فليس به اعتبار في طريق ولا مقام (و) قد كان (اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد) المسكي تقدم التعريف به مرارا (وسفيان) بن سعيد (الثوري ويوسف بن أسباط) الشيباني رحيم الله تعالى (فقال الثوري) قد (كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم وأتوهم وددت أني مت فقال أنت فقال أنا لا اختار شيئا أحب ذلك الى أحبه الى الله تعالى) قال (فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة) قال صاحب القوت يعني مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان فهم ذروا المحبة لله عز وجل والرضوان كما قال تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان يعني لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الانس والحب وأيضاً انه تعالى لما ذكر انه لا يحب البين من كل شدة وهول وحباه لشهادتهم القريب وفي كل

* (بيان جلة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) * قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا إنما محب وبوب والمحبة متعوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال أنا كل السبعة وكان يقول اذا رأيته في فقد رأيته أربعين بدلا قيل وكيف وأنت شخص واحد قال لا رأيته أربعين بدلا واخذت من كل بدلا خلقت من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى (٦٧٣) الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس

العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحجب عنه وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الاعرفته الا ورأيت في ذلك اليوم وليا لم أعرفه وقيل لابي يزيد البسطامي مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال وليكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قبل خدشنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه قبل خدشنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله فخرجت على فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك * ويحكى عن يحيى بن معاذ انه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره وقد مبرأ فاعا أخضبه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه فأعطيتهم المشى على الماء والمشى في الهواء فرضوا بذلك) واطمأنوا به (وانى أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض) وقربت لهم البعيد

كربير بحانمته لقرب الحبيب فبذل كل علوا وذل كل فضلا وكان بعض هذه الطائفة يقول سر العارف في الاشياء واقف مثل الماء في البئر لا يختار المقام وان أخرج خراج أى ومثل لسان الميزان في وقوفه واعتداله بين حكمين أيهما أمد به مال به وقال آخر قلبي مثل الماء يسخن ثم يبرد أى لا يقف على وصف اه وقد وجدت في الخلية لابي نعيم في ترجمة وهيب بن الورد ما يخالف ما ذكره صاحب القوت وتبعه المصنف قال حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا سعد بن محمد البصري حدثنا ابي داود قال سمعت عبد الرزاق يقول اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب يا أبا أمية أتحب أن تموت فقال أحب أن أعيش لعلنى أن أتوب فقال وهيب فانت قال ورزبه هذه البنية ثلاثا وددت انى مت الساعة

* (بيان جلة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم) *

(قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا إنما أنا محب وبوب والمحبة متعوب) أشار بذلك الى ان المحب لا يقره قرار دون لقاء محبوبه فهو أبدا في تعب بخلاف المحبوب فانه مطلوب فهو أبدا في سكون وراحة وقرار (وقيل له أيضا الناس يقولون) فيك (انك واحد من السبعة) يعنى الاوتاد (فقال أنا كل السبعة) أى فى رأى كائنا أى السبعة (وكان يقول اذا رأيته في فقد رأيته أربعين بدلا قيل وكيف ذلك وأنت شخص واحد قال لا فى رأيته أربعين بدلا واخذت من كل بدلا خلقت من اخلاقه) فاجتمعت في أخلاق أربعين رجلا (وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحجب عنه) وهذا كما نقله القشيري عن بعضهم انه أراد منه الخضر ان يصحبه فابى فستل عن ذلك فقال خفت ان يفسد على توكلى (وحكى عن الخضر عليه السلام انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تعالى الا) قد عرفته الا ورأيت في ذلك اليوم شيئا لم أعرفه (قيل ذلك) (وقيل لابي يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي) رحمه الله تعالى (مرة حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويحكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك) لان المشاهدة أسرار بين الله تعالى وعبيده ولا ينبغي كشفها للغير غير عبيده (قيل خدشنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ان أطلعكم عليه) فان العقول ربما لا تتحمل ذلك فيقع الانكار فيكون سببا للمقت أولان السامع ربما يحتمل نفسه على مثل ذلك من غير تدريج فيقع في حرج (قيل خدشنا عن رياضة نفسك) وتهذيبها (في بدايتك) أى أول سألوكها (فقال نعم دعوت نفسي الى الله تعالى فخرجت على فعزمت عليها ان لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك) وانما فعل ذلك لانه رأى فيها بقايا شهوة فنظر الى أجل لذاتها فاذا هى شرب الماء والنوم فتركهما ليسأصل الشهوة بالكلية وأعظم أسباب النوم شرب الماء فترك شرب الماء لينقطع عنه النوم ومن ذلك أهدي رجل الى الامام أبي بكر بن النوروى رحمه الله تعالى وكان من الزاهد من خيارنا في أول ظهوره فقبله منه ووضعه عنده ثم أتاه الرجل ثانيا يوم فوجدنا خياره عنده كما كان وضعه فلامه على عدم أكله فقال يا هذا خفت انى ان أكلته غلبت الرطوبة على الدماغ فكان سببا للنوم (وحكى عن) أبي زكريا (يحيى بن معاذ) الرازى رحمه الله تعالى (انه رأى أبا يزيد البسطامي) رحمه الله تعالى (في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدره وقد مبرأ فاعا أخضبه مع عقبيه من الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطفرف قال ثم مجد عند البحر فأطال) في سجوده (ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى في الهواء فرضوا بذلك) واطمأنوا به (وانى أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض) وقربت لهم البعيد

لا يطفرف قال ثم سجد عند السحر فاطاله ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى في الهواء فرضوا بذلك واني أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض

فرضوا بذلك واني أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا بذلك واني أعوذ بكم من ذلك حتى عذنيها وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم ياسيدي فقال مدمتي أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشئ فقال أحذرك بما يصلح لك أدخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملائكة السفلى وأراني الارضين وما تحتها الى الترى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شئ رأيت حتى أهبه لك فقلت ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنه فأسألك اياه فقال أنت (٦٧٤) عبدى حقا تعبدني لاجل صدق لا فعل بك ولا فعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالني ذلك

وامتلائت به وبجبت منه فقلت ياسيدي لم لأسأله المعرفه وقد قال لك ملك الملوكة سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وياك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواء حكى ان أبا تراب الخشبي كان محببا لبعض المريدين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يومالو رأيت أبا يزيد فقال اني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المر يد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبي زيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وياك تغتر بالله عز وجل لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله تعالى فأغثنى عن أبي زيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وياك تغتر بالله عز وجل لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فهت الفتي من قوله وأنكره

(فرضوا بذلك) وأطعوا نوابه (واني أعوذ بكم من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض) وزخارف الدنيا (فرضوا بذلك) وأطعوا نوابه (واني أعوذ بكم من ذلك قال) ولم يزل يذكر مثل ذلك (حتى عذنيها وعشرين مقاما من كرامات الاولياء) مما يكرم الله تعالى به اياهم قال (ثم التفت فرأى فقال يحيى قلت نعم ياسيدي فقال مدمتي أنت ههنا فقلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشئ) أي من أحوالك (فقال أحذرك بما يصلح لك) اعلم انه تعالى (أدخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملائكة السفلى وأراني الارضين وما تحتها الى الترى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شئ رأيت) مما يجيبك (حتى أهبه لك فقلت ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنه فأسألك اياه) ونفي الاستحسان هنا بالنسبة الى استغراقه في جمال مولاه (فقال أنت عبدى حقا تعبدني لاجل صدق لا فعلن بك ولا فعلن فذكر أشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وبجبت منه فقلت ياسيدي لم لأسأله المعرفه وقد قال لك ملك الملوكة) جل وعز (سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وياك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواء) ومقام الغيرة من نتائج المحبة فان المحب يتخلى بأخلاق محبوبة فلا يبدى من أسرار محبوبة شيئا إلا لاهله والا يكون فتنة عليهم ويشع على نفس من أنفاسه أن يصرفه لغير محبوبة (وحكى ان أبا تراب) عسكر بن الحصين (الخشبي) رحمه الله تعالى (كان محببا لبعض المريدين فكان يدينه) أي يقر به (ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجهته) التي كان يجدها في مراقباته (فقال له أبو تراب يومالو رأيت أبا يزيد) البسطاخي (فقال) المريد (اني عنه مشغول) أي فلا أشغل وقتي بغير الله تعالى (فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لورأيت أبا يزيد هاج وجد المر يد فقال ويحك ما أصنع بأبي زيد قد رأيت الله تعالى فأغثنى عن أبي زيد) عن سواء ولم يبق في رغبة لغيره (قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وياك تغتر بالله عز وجل) في تقر به لك (لورأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة) قال (فهت الفتي من قوله وأنكره) عليه (فقال وكيف ذلك قال له وياك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مصادرك وتري أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف) المريد (ما قلت) فوطن نفسه على رؤية أبي زيد (فقال اجلني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل) أي محل مرتفع مشرف على بمره (نتنظره ليخرج اليانا من الغيضة وكان) أبو يزيد (ياؤى الى غيضة فيها سباع) ووحوش (قال فربنا وقد قلب فردة على ظهره فقلت للفتي هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق) في الحال وغشى عليه (فحركاه فاذا هو ميت فتعاونوا على دفنه فقلت لأبي يزيد ياسيدي نظروا اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا) في حبه (واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رأنا انكشف له سر قلبه) فاستغفره (فضاق عن جله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك) فلذلك شرطوا للمريدين ترقية أن يكون بالتدرج فلا يصل الى مقام هو أرفع مما كان فيه الا وقد آتس في مبادئه حتى يكون مطيعا لجله والافان ورد عليه مرة واحدة لم يتحمل بل وبما أهلكه وقد ينكشف للمريدين في محبة العارفين والنظر الى وجوههم في لحظة واحدة ما لا ينكشف لهم بالاجتهاد في مدة متطاولة ولذلك جعل مشايخ

الطريقة فقال وكيف ذلك قال له وياك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مصادرك وتري أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال اجلني اليه فذكر قصة قال في آخرها فوقفنا على تل نتنظره ليخرج اليانا من الغيضة وكان ياؤى الى غيضة فيها سباع قال فربنا وقد قلب فردة على ظهره فقلت للفتي هذا أبو يزيد فانظر اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركاه فاذا هو ميت فتعاونوا على دفنه فقلت لأبي يزيد ياسيدي نظروا اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاق عن جله لانه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك

* ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لوالد الله تعالى دفعهم فمكت ثم قال ان الله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يضح على وجه الارض ظالم الامان في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قبل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله اشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوسألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها فن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانهم فان القدرة واسعة والفضل عظيم ومجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول ان أعطاك

(٦٧٥)

الطريقة العلية النفس بندية قدس الله أسرارهم الرابطة بالشيخ الكامل من جلة أركان الطريق (ولما دخل الزنج) وهم السودان الاحابيش من اللغائف (البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال) وأحرقوا الدور وارحل منهم من قدر وأطاق (اجتمع الى) أبي محمد (سهل) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وكان اذذاك بالبصرة في دار خاله محمد بن سوار (اخوانه) وأصحابه (فقالوا لوالد الله تعالى دفعهم) عن المسلمين (فمكت ثم قال ان الله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يضح على وجه الارض ظالم الامان في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون) أي لا يدعون عليهم (قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى) اشياء (لا يستطيع ذكرها حتى قال ولوسألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها) وكذلك لما دخل التتار الى خوارزم فقتلوا وسلبوا ونهبوا وكان اذذاك أبو الخطاب الحيري المعروف بالنجم الكبرى قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقال له أصحابه الاندعوا لله أن يدفعهم عنا فاني وسلم الامر الى الله تعالى فكان ممن استشهد مع أصحابه اذ ذلك (وهذه أمور ممكنة في أنفسها فن لم يحط بشئ منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانهم فان القدرة الالهية) واسعة (لاحدلها) والفضل عظيم ومجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله تعالى لانهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم) عليهم السلام (فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة) مما لارآته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر (فان سكنت الى ذلك) الذي أعطيته (حجبك به) أي فمكأن ذلك حجابك (وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل) لما في الخبر أشد الناس بلاء الانبياء والصالحون ثم الامثل فالامثل وقد تقدم (وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع) وأدعو (حتى صرفهن الله عني) وهذا من جلة الابتلاء لخواص محبيه (فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لا فلاسه عن مثلها) أي لحرمانه عنه (فلولم يؤمن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق بحال الايمان عليه بل هذه أحوال) لا (تظهر) الا (بعد مجاوزة عقبات) كؤودة (ونيل مقامات كثيرة أذناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى محتصنا بحسن الجوار فلهذه أوائل سلوكهم) ومبادئ ارادتهم (وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس) فضلا عن العامة (وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين) فيطمئن قلبه ويستعجمه الانس ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة) وينكشف له مبادئ الحق وانكار ذلك دون التجربة وسألوك الطريق (على بدشيخ كامل) يجري مجرى انكار من أنكر امكان انكشاف الصورة في الحسنة اذا شككت

ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رأيتهن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقت اربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت وغضت عيني في سجودي لئلا انظر اليهن وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفهن الله عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لا فلاسه عن مثلها فلولم يؤمن كل واحد لا بما يشاهده

من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق بحال الايمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة اذا نالها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى محتصنا بحسن الجوار فلهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وانكار ذلك دون التجربة وسألوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة في الحسنة اذا شككت

ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما في يده من زينة خديده مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكر اماكن انكشاف المرتضى فيها عند ظهور جواهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبش المسند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم رواغ المكاشفة من سالك شياً ولومن مبادئ الطريق كما قيل لبشر باى شئ بلغت هذه المنزلة قال كنت أكرم الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمرى وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسر لها عليك فقبل معناه سترها عن الخلق وقبل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت (٦٧٦) اليها وعن بعضهم أنه قال أقلقني اشوق الى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن

يريني اياه ليعلمني شياً كان أهم الاشياء على قال فرأيت به فغالب على همى ولا همى الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شياً اذا قلته حجت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل على كفيف سترك وخط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى أنه صار بحيث كان يستدل وعتم حتى كان أهل الزمة يستخرونه ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخوله فهو كذا حال أولياء الله في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة والهيئات الغربية (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله على أوليائه تآبي الاخفاء هم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت سترى اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها) الراضية باحوالها (وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

خاصا (ونقيت) عن أوساخها (وصقلت) بادامة العمل عليها (وصورت بصورة المرأة فنظر المنكر الى ما في يده من زينة) أى قطعة (خديده مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكى صورة من الصور فانكر اماكن انكشاف المرتضى فيها عند ظهور جواهرها) بعد الصقل (وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الاولياء) قدس الله أسرارهم (اذلا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبش المسند ذلك في انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم رواغ المكاشفة من سالك شياً ولومن مبادئ الطريق) وأوائله (كما قيل لبشر) الخافي رجاء الله تعالى (باى شئ بلغت هذه المنزلة فقال كنت أكرم الله تعالى حالي معناه) كنت (أسأله أن يكتم علي) حالي (ويخفي أمرى) على الخلق حتى لا يطلعون عليه (وروى أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله لي فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدني قال وسر لها عليك) واختلف فيه (فقبل معناه سترها عن الخلق) فلا يطلعون عليه (وقبل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت اليها) فيكون التفاتك حجاباً لك (و) حكى (عن بعضهم أنه قال أقلقني الشوق الى) ملاقة (الخضر) عليه السلام (فسألت الله تعالى مرة أن يريني اياه ليعلمني شياً كان أهم الاشياء على قال فرأيت به فغالب على همى ولا همى الا أن قلت له يا أبا العباس علمني شياً اذا قلته حجت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر) أى منزلة (ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل على كفف سترك وخط على سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واجبني عن قلوب خلقك قال ثم غاب) عني (فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك فمازلت أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكى أنه صار بحيث كان يستدل وعتم) أى يحتقر (حتى كان أهل الزمة يستخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الاشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به) ويؤذونه (فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخوله فهو كذا حال أولياء الله في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة والهيئات الغربية (وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله على أوليائه تآبي الاخفاء هم) عن أعينهم (كما قال تعالى) في الحديث القدسي (أولياي تحت خبائي لا يعرفهم غيري) وفي نسخة تحت قبائي أي تحت سترى اذ سترتهم عن أعين الخلق (وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين) أي ثوبين رثين (لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره) رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم (وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها) الراضية باحوالها (وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

ذله وخوله فهكذا حال أولياء الله تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون انما يطلبونهم تحت المرقعات والطبالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تآبي الاخفاء هم كما قال تعالى أولياي تحت قبائي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المحجة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها وأقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولا فاذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضا بعدم التفاته الى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذل في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجي له أن

يستنشق مبادئ هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لانه من لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله ومناجياهم فغسي أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبي اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولايته الله تعالى في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي وهو أستاذ الجنيد دعا رجلا الى طعام ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال (٦٧٧) قدرضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة

الكاب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجي له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشنت على قلبي فدخلت الحمام وعدلت الى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرفعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قلبه الا قلبه الا فحقوني فنزعوا مرفعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بأص الحام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب بين القلب وبين الله تعالى وفليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل

يستنشق مبادئ هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الايمان بامكان ذلك لانه من لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محبا لأولياء الله تعالى ومناجياهم (مصدقاهم في أقوالهم مسلما لا حوالهم) (فغسي أن يحشر مع من أحب) فمن أحب قوما حشر معهم كافي الخبر وتقدم قريبا (ويشهد لهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال لبي اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولايته الله عز وجل في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى روى ان ابن الكرنبي) بفتح الكاف والراء وسكون النون وكسر الموحدة أبو خليفة الصوفي (وهو أستاذ الجنيد) خرج الى عبادان ترجمه الخطيب في التاريخ وكرنا بالبحر اسان وقد وقع هنا في نسخ الكتاب تعفيف فليحذر (دعا رجلا الى طعامه ثلاث مرات ثم كان يردّه ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قدرضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكاب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرجي له عظم فيعود ولوردتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت (و) حكى (عنه أيضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح) والديانة (فتشنت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرفعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قلبه الا قلبه الا فحقوني فنزعوا مرفعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بأص الحام فسكنت نفسي) وقد اعترض ابن القيم وغيره على المصنف في تقريره هذا الكلام والتسليم له وان هذا لا يجوز شرعا وقد أجاب عنه العارفون منهم سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه الاجوبة المرضية عن السادة الصوفية وأثروا الى بعضه في خطبة كتاب العلم (فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محبوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب بين القلب وبين الله تعالى فليكن محبا لأولياء الله ومناجياهم أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى أن شاهدا أعظم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا) يعني علم المعرفة (وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (ولو صمت ثلاثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا ادعوا قال نعم قال قل لي حتى أعلمه قال لا تقبله قال فاذا كره لي حتى أعلم قال اذهب الساعة الى المزين فاحلق رأسك ولحيتك واترع هذا اللباس) الذي عليه (واترع بعبادة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعتني صفعة أعطيت جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند الشهود) وهم الرفقاء له في صنعة (وعند من يعرفك) ويعظمك (وأنت على ذلك) الحال (فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى (قولك سبحان

حائل وانما بعد القلب شغلا بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكى ان شاهدا أعظم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه فقال أبو يزيد ولو صمت ثلاثمائة سنة وقت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا ادعوا قال نعم قال قل لي حتى أعلمه قال لا تقبله قال فاذا كره لي حتى أعلم قال اذهب الساعة الى الرجل المزين فاحلق رأسك ولحيتك واترع هذا اللباس واترع بعبادة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعتني صفعة أعطيت جوزة وادخل السوق وطف الاسواق كلها عند اليهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد يقولك سبحان

الاعور عن علي مع تقديم وتأخير والحديث ضعيف (وفي حديث آخر أن الله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق
منهم مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل في خلق من أقال كلهم فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله
السجاء) قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس من فروع عن أنس عن الله تعالى خلق بضعة عشر
وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منهم شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة ومن حديث ابن عباس السلام ثلاثمائة
شريعة وثلاثمائة شريعة وفيه وفي الكبير من رواه المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه
بلفظ الإيمان وللإيمان من حديث عثمان بن عفان أن الله مائة وسبعة عشر شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض
لسؤال أبي بكر وكلها ضعيفة اه قلت وتعام حديث عثمان عند البزار من أقال بخلق منها دخل الجنة ورواه
الطبراني والحكيم وأبو يعلى بلفظ أن الله مائة وسبعة عشر خلقا في أنى الله بخلق واحد منها دخل الجنة وأما
حديث أنس الذي رواه الطبراني في الأوسط فلفظه عنده أن الله عز وجل لو كان من زبرجدة خضراء جعله تحت
العرش كتب فيه أنى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منهم شهادة
أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقدرناه كذلك أبو الشيخ في العظمة وروى الحكميم من حديث أبي سعيد الخدري أن
الله تعالى ثلاثمائة وخمسة عشر شريعة يقول الرحمن وعزى لا يأتيني عبد من عبادي لا يسألني شيئا أبو واحدة منهم
الأدخلة الجنة ولفظ حديث ابن عباس السلام ثلاثمائة شريعة وثلاثمائة شريعة ليس منها شريعة يلقى الله
بها صاحبها إلا هو ويدخل بها الجنة هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط وأما لفظ حديث المغيرة بن عبد
الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده فلفظه الإيمان ثلاثمائة وثلاثون شريعة من وافى بشريعة منهم دخل الجنة رواه
الطبراني هكذا في حواشي البيهقي وابن النجار قال الحفاظ في الإصابة قال ابن حبان في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن
ابن عبيد من كتاب الثقات روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام وقال ابن
عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان حديثه عند جابر بن سلمة انتهى وأخرج ابن السكن وابن
شاهين والطبراني وأبو نعيم كلهم من طريق المنهال بن بحر عن جابر بن سلمة عن المغيرة بن عبد الرحمن حديث أبي
عن جدي وكانت له صحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة الحديث
وسمى ابن السكن جده في روايته عبيد فقال وكانت لعبيد صحبة وكان في بيت المقدس انتهى وأما حديث
السجاء خلق الله الأعظم فقد رواه أبو الشيخ وابن عباس من حديث ابن عباس وقد تقدم (وقال صلى الله عليه
وسلم رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضع أممي في كفة فربحت بهم ووضع أبو بكر في كفة
وجيء بأمي فوضعت في كفة فربحت بهم) قال العراقي رواه أحمد من حديث أبي امامة بسند ضعيف انتهى قلت
ورواه الطبراني نحوه ولفظه رأيت البارحة كافي أدخلت الجنة فربحت من إحدى أبواب الثمانية فإذا أنا
بأمي قيام فعرضا على رجلار جلا وإذا الميزان منصوب فوضعت أممي في كفة الميزان ووضعت في الكفة
الأخرى فربحت بهم ثم وضع جميع أممي في كفة الميزان ووضع أبو بكر الصديق في الكفة الأخرى فربحت بهم ثم
وضع جميع أممي في كفة الميزان ووضع عمر بن الخطاب في الكفة الأخرى فربحت بهم ثم رفع الميزان وروى أحمد عن
رجل من الصحابة رفعه رأيت الليلة في المنام كان ثلاثة من أصحابي وزوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن
ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح وروى ابن عساکر من حديث ابن عمر وأبي امامة وزنت بأمي فوضعت
في كفة وأممي في كفة فربحت بأمي ثم وضع أبو بكر مكاني فربحت بأمي ثم وضع عمر مكانه فربحت بأمي ثم وضع عثمان مكانه
فربحت بهم ثم رفع الميزان وروى ابن عدي من حديث ابن عباس وقال غير محفوظ وزنت بالخلق كلهم فربحت
بهم ثم وزن أبو بكر فربحت بهم ثم وزن عمر فربحت بهم ثم وزن عثمان فربحت بهم ثم ارتفع الميزان وروى الشيرازي
في الألقاب وابن منسدة وقال غريب وابن عساکر من حديث عروة بن الأشجعي وزن أصحابنا الليلة فوزن أبو بكر
فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فخف وهو رجل صالح قلت عروة بن شريح الأشجعي صحابي نزل الكوفة
وروى أيضا عن أبي بكر الصديق وعنه زياد بن علاقة وأبو حازم الأشجعي وأبو يعقوب العبدى وغيرهم وروى

وفي حديث آخر أن الله
تعالى ثلاثمائة خلق من
لقيه بخلق منها مع
التوحيد دخل الجنة
فقال أبو بكر يا رسول
الله هل في منها خلق
فقال كلهم فيك يا أبا بكر
وأحبها إلى الله السجاء
وقال عليه السلام رأيت
ميزانا دلى من السماء
فوضعت في كفة ووضع
أممي في كفة فربحت
بهم ووضع أبو بكر في كفة
وجيء بأمي فوضعت في
كفة فربحت بهم

الطبراني في الكبير من حديث أسامة بن شريك وزن أحماد بن الليث فوزن أبو بكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان ورواه ابن قانع وابن منده من طريق رجمة بن مصعب عن شريك عن الأشعث بن سليم عن الأسود بن هلال قال كان فيما عرابي يؤذن بالحيرة يقال له جبر فقال ان عثمان ان يموت حتى يلى هذه الامة فقبل له من أين تعلم فقال اني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما سلم استقبلنا بوجهه فقال ان ناسا من أحمادنا وزنوا الليث فوزن أبو بكر فوزن عمر فوزن عثمان فوزن قال ابن منده هذا حديث غريب بهذا الاسناد قال أبو موسى ذكره ابن منده في آخر ترجمة جبر بن عتيك والصواب انه غيره قال الحافظ وكذلك أفرد أبو عمر وقال فيه جبر الاعرابي المحاربي (ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه) قال العراقي متفق عليه قاترواه مسلم من حديث ابن مسعود بلغة لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أبي واقد كذلك وفي لفظ لمسلم لو كنت متخذاً من أهل الارض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقالوا اتخذ الله خليلاً ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن الزبير لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخى في الدين وصاحبي في الغار ورواه البخاري كذلك من حديث ابن عباس والبيهقي في الالقاب من حديث سعد ورواه ابن عساكر من حديث جابر لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن قولوا كما قال الله صاحبي وروى عبد الرزاق من حديث البراء لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله سوى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود لو لاتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخى وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً * (خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة) روي عن علي بن عيسى (يتنفع بها) قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل

ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى يعني نفسه * (خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة يتنفع بها) قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله وقيل

للسبلى رحمه الله تعالى

صف لنا العارف والمحِب

فقال العارف ان تكلم

هناك والمحِب ان سكت

هناك وقال السبلى رحمه الله

يا أيها السيد الكريم

حبك بين الحشامقيم

يارافع النوم عن جفوني

أنت بما صرني عالم

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت

التي

وهل أنسى فأذكر ما نسيت

نسيت

أموت اذا ذكرت لك ثم

أحيا

ولولا حسن ظني ما حديث

فأحيا بالمني وأموت شوقا

فكم أحيا عليك وكم

أموت

شربت الحب كسا بعد

كاس

فما نفذ الشراب وما

رويت

فليت خياله نصب لعيني

فان قصرت في نظري

عجبت

وقالت رابعة العدوية

يوما من يدلنا على حبيبنا

فقال خادمها لها حبيبنا

معنا ولكن الدنيا قاطعتنا

عنه وقال ابن الجلاء رحمه

الله تعالى أوحى الله الى

عيسى عليه السلام اني

اذا اطلعت على سر عبد

فلم أجده حب الدنيا

والاستخوة ملائمة من حبي

وتوليته بغير غفلي

للسبلى رحمه الله تعالى صف لنا العارف والمحِب فقال العارف ان تكلم هناك والمحِب ان سكت ههنا (نقله القشيري في الرسالة يشير به الى ان المحِب لما انكشف له من قرب الله وجهه وكاله فتقوى لذنه ويزيد نعيمه انشد ذلك طولا في اللسان وانبت اطال القصو ونظره عن طيب حاله فلو سكت ههنا بخلاف العارف فانه أبدا يتطلع الى ما تاب عنه وما سيأتي فيكون غالب حاله السكون والقبض فلو تكلم كاد أن يم لك ومن هنا قولهم من عرف الله كل لسانه (وقال السبلى رحمه الله تعالى) حين كان بالمارستان ودخل عليه جماعة فسألهم من أنتم قالوا نحن أحباؤك فرماهم بالحجارة فهر بوا فإل كذبتم لو كنتم أحبائي ما هربتم ثم أنشد

(يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشامقيم يارافع النوم عن جفوني * أنت بما صرني عالم) هكذا أنشده القشيري في الرسالة وقد تقدمت الإشارة اليه (ولغيره) في هذا المقام قبل هو السبلى لماسياقي (عجبت لمن يقول ذكرت ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت)

أي لان الذكرا انما يكون بعد النسب وان الغفلة أمدانم الذكرا فلا يقول ذكرت فان الحاصل لا يطالب بتحصيله ومن هنا قال الشيخ سعد الدين الكاذبي سألني الشيخ عبد الكريم الحضري وقال ما الذي ذكرت لا اله الا الله فقال ما هذا ذكر هذا عبادة فقلت له أفد أنت فقال الذكرا ان تعلم انك لا تقدر على وجدانه

(أموت اذا ذكرت ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حديث * فأحيا بالمني وأموت شوقا فكم أحيا عليك وكم أموت * شربت الحب كسا بعد كاس * فما نفذ الشراب وما رويت فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عجت)

وقرأ في آخر المسلسلات للحافظ أبي مسعود الاصبهاني أنشدني أحد بن علي الحافظ قال أنشدني عبد الله بن يحيى الزمن أنشدني محمد بن علي الصوفي عن أبي بكر السبلى

أموت اذا ذكرت ثم أحيا * ولولا ما أوصل ما حديث * وفي موق حياي ما كفاي فكم أحيا عليك ولا أموت * شربت الحب كسا بعد كاس * فما نفذ الشراب وما رويت

انتهى وقال القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السبلي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابن عبيد ية قول كتب يحيى بن معاذ الى أبي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كاس محبته فكتب اليه أبو يزيد غيرك شرب يحور السموات والارض وما روي بعد ولسانه خارج يقول هل من مزيد وأنشدوا

عجبت لمن يقول ذكرت ربي * وهل أنسى فأذكر ما نسيت شربت الحب كسا بعد كاس * فما نفذ الشراب وما رويت

وقال القشيري في باب الذكرا ان كان السبلى ينشد في مجلسه

ذكرتك لاني نسيتك لحظة * وأيسر ما في الذكرا كذا لسانني * وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان * فلما أراني الوجدانك حاضري * شهدتك موجودا بكل مكان

نقاطبت موجودا بغير تكلم * ولاحظت معلوما بغير عيان

(وقالت) أم الخير (رابعة) بنت اسمعيل (العدوية) البصرية قدس سرها المتوفية سنة ١٣٥ (يوما من يدلنا على حبيبنا فقال خادمها لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قاطعتنا

المعرفة والمحبة كلهم مشهور من حاله ولا يخفى عليها مقام المعية وانما قالت ما قالت وهي في مقام الاستغراق الذي هو من نتائج المحبة وغلب عليها الشوق الى المشاهدة والمحِب في مقام القرب قد يتقلب من يأخذ بيده ويتعلق بالاذيال فنهتها الخادمة على أن الوصول الى مقام المشاهدة لا يكون الا بعد المفارقة من هذا العالم فتمتنع عنه

القواطع فما أدق نظرها رحمه الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (ابن الجلاء) الدمشقي رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام) يا عيسى (اني اذا اطلعت على سر عبد) وهو داخل القاب (فلم أجده حب الدنيا

والاستخوة ملائمة من حبي وتوليته بغير غفلي) يشير به الى أن المحبة تقتضي عدم المشاركة وان لا يكون في القلب

وقيل تكلم سمعون يوما
في المحبة فاذا بطائر تزل بين
يديه فلم يزل ينقر بمنقاره
الارض حتى سال الدم
منه فبات وقال ابراهيم
ابن ادهم الهى انك
تعلم ان الجنة لا ترن عندى
جناح بعوضة في جنب
ما أكرمتنى من محبتك
وأنتى بذكرك
وفرغتنى للتفكر فى
عظمتك وقال السرى
رحم الله من أحب الله
عاش ومن مال الى الدنيا
طاش والاحق يغدو
وبروح فى لاش والعاقل
عن عيوبه فتاش وقيل
لرابعة كيف حبك
لرسول صلى الله عليه
وسلم فقالت والله انى
لا حبه حبا شديدا
ولكن حب الخالق
شغلنى عن حب الخواين
وسئل عيسى عليه السلام
عن أفضل الاعمال فقال
الرضا عن الله تعالى
والحبه وقال أبو يزيد
الحب لا يحب الدنيا ولا
الآخرة إنما يحب من
مولاه مولاه وقال الشبلى
الحب دهش فى لذة
وحيرة فى تعظيم وقيل
المحبة ان تمحو ترك عندك
حتى لا يبقى فيك شئ
راجع منك اليك وقيل
المحبة قرب القلب من
المحبوب بالاستبشار
والفرح

حمل اسواه ولفظ القشيري فى الرسالة وقيل أوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطاعت على قلب عبد فلم
أجديه حب الدنيا والآخرة ملائمة من حبي (وقيل تكلم سمعون) بن حجرة المحب رحمه الله تعالى (يوما
في المحبة فاذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فبات) قال القشيري سمعت
محمد بن الحسين يقول سمعت احدا بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فائق يقول سمعت سمعون وهو جالس في
المسجد يتكلم في المحبة اذ جاء طير صغير فربب منه ثم قرب ثم لم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره الى
الارض حتى سال منه الدم ثم مات وفيه دلالة على ان الحيوان يسمع ويفهم وانما يمنع عليه الكلام الاعلى من
أفهمه الله كلامه (وقال ابراهيم بن ادهم) رحمه الله تعالى مشيرا الى عظم مقام المحبة (الهى انك تعلم ان الجنة
لا ترن عندى جناح بعوضة في جنب ما أكرمتنى من محبتك وأنتى بذكرك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك) رواه
أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن مقسم حدثنا محمد بن سعيد صاحب الجند قال سمعت المنصورى
يقول سمعت بشارا يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول اللهم انك تعلم ان الجنة لا ترن عندى جناح بعوضة اذا
أنت أنتى بذكرك ورزقتنى حبك وسهلت على طاعتك فاعط الجنة لمن شئت حدثنا أبو أحمد الحسين بن
علي التميمي النيسابورى حدثنا محمد بن المسيب الارغفاني حدثنا عبد الله بن خبيب حدثنا محمد بن بحر قال قال
ابراهيم بن ادهم اللهم انك تعلم ان الجنة لا ترن عندى جناح بعوضة فسادونها اذا أنت وهبت لى حبك
وأنتى بذكرتك وفرغتنى للتفكر فى عظمتك (وقال السرى السقطي) رحمه الله تعالى (من أحب الله
عاش) عيشة أبدية (ومن مال الى الدنيا طاش) عقله وتحير أمره (والعاقل عن عيوبه فتاش والاحق) الذى
نقص جوهر عقله (يغدو وبروح فى لاش) أى فى لاشي تقدم ذلك فى كتاب ذم الدنيا (وقيل لرابعة) العدوية
قد سرها (كيف حبك لرسول صلى الله عليه وسلم فقالت انى والله أحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق
شغلنى عن حب الخواين) وحكى عن أبي سعيد الخراز قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله
اعذرني فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال يا مبارك من أحب الله فقد أحبني نقله القشيري (وسئل موسى عليه
السلام عن أفضل الاعمال فقال الرضا عن الله) فى أفعاله (والحبه) لجلاله وكلامه (وقال أبو يزيد) البسطامى
رحم الله تعالى (الحب لا يحب الدنيا والآخرة) أى لا يعمل بقلبه اليهما (انما يحب من مولاه مولاه) أى ذاته
ويقتصر نظره عليه (وقال الشبلى) رحمه الله تعالى (الحب دهش فى لذة وحيرة فى تعظيم) أشار بالجله الاولى الى
أوائل الحب فان الحب فى أوائل امره اذا لاحظ جلال المحبوب يدهش ويغيب عن عقله فاذا لحقت العناية أصبح
من دهشه فيلذع بما قام به من الحال وأشار بالجله الثانية الى كمال مقام الحب وذلك عند تصاغره بالعبودية المحضة
اجلالا لعظمته ومهابة لكبريائه لا يفارقه فى هذا المقام الحيرة ولفظ القشيري فى الرسالة سمعت الاستاذ أبا
علي الدقاق يقول المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش انتهى والمعنى ان المحبة فى أول أمرها لذة يلذع بها المحب فاذا
غلب على قلبه شغفه بالله وغمره دهش (وقيل المحبة ان تمحو ترك عندك حتى لا يبقى فيها شئ راجع منك اليك)
ويقرب منه قول أبي عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تمح كل ما كان أحببت فلا يبقى لك منك شئ وقول الشبلى
سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب ما سوى المحبوب نقلهما القشيري (وقيل ان المحبة قرب القلب من المحبوب
بالاستبشار والفرح) ولفظ القوت قال الجند المحبة نفسها قرب القلب من الله بالاستبارة والفرح انتهى
والمراد باقرب قرب مكانة لا قرب مكان وأشار بالاستبشار والفرح الى الانس الذى تنتجه المحبة فان المستأنس
بالقرب يستبشر ويفرح لانه غير متطلع الى فائت وقد يكون اشارة الى مقام الصفاء الذى هو احدى منازل
العبودية سلوكة وهو ان يكون القلب خاليا عن سائر الكدورات فينشئ يجد الرب تعالى القلب محلا قابلا للقرب
فيماؤه من أنواره ومعرفته وتحفه فعند ذلك يعمل القلب الى القرب من المحبوب بكل المعارف وينقض عليه
انقضاء الطائر الجاف الكبد من عدم الماء اذا رآه فى السماء وهو بغاية الفرح والاستبشار فعلى هذا يعلم
يقينان محبة عبد الله تعالى هى الميل اليه بالفرح والابتهاج كما قال الجند المحبة هى الميل بلانيل وأى نيل أشرف

وقال الخواص المحبة بحر الارادات واحترق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله بقلب عبده لشاهدته بعد الفهم
لامراده منه وقيل معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين يبقيان مع
أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهم وقال هرم بن حيان المؤمن اذا (٦٨٣) عرف ربه عز وجل أحبه واذا أحبه

أقبل عليه واذا وجد
حلاوة الاقبال عليه لم
ينظر الى الدنيا بعين
الشهوة ولم ينظر الى
الآخرة بعين الفكرة
وهي تحسره في الدنيا
وتروحه في الآخرة وقال
عبد الله بن محمد سمعت
امراة من المتعبدات
تقول وهي باكية
والدموع على خدها
جارية والله لقد سئمت
من الحياة حتى لو وجدت
الموت يباع لاشتريته
شوقا الى الله تعالى وحبا
للقائه قال فقلت لها
فعلى ثقة أنت من عملك
قالت لا ولكن لحبي اياه
وحسن ظني به افتراه
بعذبي وأنا أحبه وأرجى
الله تعالى الى داود عليه
السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري
لهم ورفقي بهم وشوقي
الى ترك معاصيهم لما نوا
شوقا الى وتقطعت
أوصالهم من محبتي يا داود
هذه ارادني في المدبرين
عني فكيف ارادني في
المقبلين على يا داود أجوج
ما يكون العبد الى اذا
استغنى عني وارحم ما
أكون بعدي اذا أدبر

من الميل اليه والقرب منه (وقال) ابراهيم بن أحمد (الخواص) رحمه الله تعالى (المحبة بحو الارادات واحرق)
وفي نسخة واحترق (جميع الصفات والحاجات) و يقرب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته واثبات المحبوب
بذاته وقول الخلاج حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلق أوصافك وقول أبي يعقوب السوسى حقيقة المحبة ان
ينسى العبد حفظه من الله وينسى حوائجه اليه كفى الرسالة (وسئل) ابو محمد (سهل) التستري رحمه الله تعالى (عن
المحبة فقال) هي (عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم لامراده منه) والمشاهدة تكون بالقلب كال
الرؤية تكون بالبصر فاذا عطفه كذلك لا يميل لغيره أبدا وهذا هو معنى قوله تعالى يحبهم (وقيل معاملة المحب على
أربع منازل على المحبة والهبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لان هاتين تبقيا مع أهل الجنة في الجنة
ويرفع عنهم غيرهما) وذلك لان أول التوحيد عند المحبين ان يعبدوا الله تعالى لوجهه جماله لا خوفا من ناره ولا
رغبة في جنته فيكون الحبيب مرادهم والوصول اليه مناهم ثم يرجع لهم على التعظيم والاحلال فلا يرون
نفوسهم تصلح للقاءه فتختس القلوب وترجع بالهبة والرغبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق والآنس
وسئل سهل الحب أفضل أو الحياء فقال الحب الذي يورث من الخوف الحياء منه افضل والحب الذي يورث منه
الحياء افضل من الحياء وهو الشوق (وقال هرم بن حيان) العبد يرضى الله عنه له محبة ويعد من كبار التائبين
(المؤمن اذا عرف ربه عز وجل أحبه) فان المحبة ثمرة المعرفة (واذا أحبه أقبل اليه) بالعطف والرحمة (واذا وجد
حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة) أي لم يعل قلبه اليها (ولم ينظر الى الآخرة بعين الفكرة) أي
السكران عن القيام بالخدمة (وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة) وقد تقدم هذا القول (وقال عبد الله
ابن محمد) البصري (سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خدها جارية والله لقد سئمت
من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تعالى وحبا للقاءه قال فقلت لها فعلى ثقة أنت من عملك
قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه بعذبي وأنا أحبه) روى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخيري
قال الشوق ثمرة الحب ومن أحب الله اشتاق لقاؤه وقال أيضا بقدر ما يصل الى قلب العبد من السرور بانته يشاق
اليه وعلى قدر شوقه يخاف من بعده وطرده وقولها افتراه بعذبي وأنا أحبه يستفاد من قوله تعالى وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم (وأوحى الله الى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون
عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لما نوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتي يا داود
هذه ارادني في المدبرين عني فكيف ارادني في المقبلين على يا داود أجوج ما يكون العبد الى اذا استغنى عني وارحم
ما أكون بعدي اذا أدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني وأدبر عني
أبو خالد) محمد بن عبد الله بن أحمد الزاهد الاصبهاني (الصفار) سكن نيسابور وقيل انه لم يرفع رأسه الى السماء
نيفا وأربعين سنة وصنف كتابا في الزهد وروى عن أبي اسحق الترمذي وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو علي
النيسابوري الحافظ مات سنة ٣٣٩ (لقى نبي من الانبياء عابدا) من العباد (فقال انكم معاشر العباد تعملون
على أمر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق)
ولا يخفى ان العمل على المحبة والشوق أفضل من العمل على الرجاء والخوف لرفعة مقام المحبة على غيره من
المقامات (وقال الشبلي) رحمه الله تعالى (أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كرى لذا كرى)
لانه تعالى قال فاذا كروني أذكركم (وجنتي للمطيعين) فان الجنة لمن أطاع (وزيادتي للمشتاقين) الى أي
زيادة النعيم (وأنا خاصة للمحبين) الذين يعبدوني خاصة لا خوف من نار ولا طمعاني الجنة (وأوحى الله تعالى

عني وأجل ما يكون عندى اذا رجعت الى وأبو خالد الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر
الانبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
يا داود كرى لذا كرى وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى

وصلى الى حتى اتعد وقال
وعزتكم وجلالك لو كان
يبنى وبينك بحر من نار
لخضته اليك شوقا فنى
اليك وعن علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه
قال سألت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفه رأس
مالى والعقل أصل دينى
والحب أساسى والشوق
مركبى وذكر الله أنيسى
والثقة كنزى والحزن
رفيق والعلم سلاحى
والصبر رداي والرضا
غنيمتى والعجز فخري
والزهد حرفتى واليقين
قوتى والصدق شفيعى
والطاعة حسبى والجهاد
خلقى وقرعة عيى فى الصلاة
وقال ذوالنون سبحان
من جعل الارواح جنودا
محمدة قارواح العارفين
جلالية قدسية فاذلك
اشتماقوا الى الله تعالى
وأرواح المؤمنين روحانية
فاذلك حنوا الى الجنة
وأرواح الغافلين هوائية
فاذلك مالوا الى الدنيا
وقال بعض المشايخ رأيت
فى جبل السكام رجلا
أسمر اللون ضعيف
البدن وهو يقفز من
تحت الى تحت وهو يقول

الشوق والهوى * صبراني كما ترى ويقال الشوق نار الله أشعها في قلوب أوليائه حتى يحرق بهما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانسان والشوق والرضا فليقتصر عليه والله الموفق للصواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والانسان تلوه كتاب السنة والاخلاص والصدق

من يحبه الله عز وجل فقال من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجدا أو راكعا فان عجز عن ذلك استروح الى ذكر اللسان والثناء فان عجز استروح الى ذكر القاب والتفكير فاما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاء كسخاء البحر وشهقة كشهقة الشمس وتواضعا كتواضع الارض وعن يحيى بن معاذ الرازي قال المحبة لا تصح الا من جهة المحبوب وليس من أحب يحبه وعن ابراهيم بن علي المديني قال من المحال أن تعرفه ولا تحبه ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طمذ كرهه ومن المحال أن يوجدك طمذ كرهه ولا يشغلك به عن سواه وعن سعيد بن عثمان قال سمعت ذا النون يقول من علامة الحب ترك ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل كله بالله وحده وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحب أن لا يرى شيئا سوى محبوبه ولا يرى سواه لك ناصرا ولا معينا ولا تستغنى بغيره عنه وعن وهب بن أبي حفاظ الأيبي قال قال لي راهب من الرهبان اذا استقرت المحبة في القاب ذهل عن الاهل والولد وعن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت راهبا في درخا يقول للحسن بن شاذب لا يكون المحب لله محبا حتى يحبه بكل الكمل فصاح الحسن بن شاذب وعن محمد بن أحمد المهدى قال سمعت علي بن الموفق مالا أحصيه وهو يقول اللهم ان كنت تعلم اني أعبدك خوفا من نارك فعذبني بها وان كنت تعلم اني أعبدك حبا مني لجناتك وشوقا اليهم فأحرمنيها وان كنت تعلم انما أعبدك حبا مني لك وشوقا الي وجهك الكريم فأحجبني مرة واصنع بي ما شئت وقال ضيغم الجلاب ان حبه شغل قلوب مرديه عن التأذ بمحبة غيره فليس لهم في الدنيا مع حبه لذة ولا يأملون في الآخرة من كرامة الثواب أكثر عندهم من النظر الى وجهه وعن عبد الرحمن بن عبد ربه عن ذي النون قال من قتلته عبادته فديته جنته ومن قتلته الشوق فديته النظر اليه وعن عبد الله بن سهل قال سمعت يحيى بن معاذ يقول كم بين من يريد الوليمة للوليمة وكم بين من يريد حضور الوليمة ليلقي الحبيب في الوليمة ودخل سفيان الثوري على رابعة فقالت له يا سفيان ما تعدون السخاء فيكم قال اما عند أبناء الدنيا فالذي يجود بماله وأما عند أبناء الآخرة فهو الذي يجود بنفسه فقالت يا سفيان أخطأتم فيم افعال في السخاء عندك رجل الله فقالت ان تعبدوه حباله لا تطلب جزاء ولا مكافأة ثم أنشأت تقول

لولاك ما طابت الجنان ولا * طاب نعيم الجنة الخلد

قوم أرادوك للجنان فنا * لوها وقلبي سواك لم يرد

وعن ابراهيم بن الجنيد حدثنا سمعنا عبد الرحمن الكوفي وكان من العباد قال لقيني به لول الجنون يوما فقال لي أسألك قال قلت سل قال أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء قال هذا السخاء في الدنيا وفي السخاء في الدين قالت المسارعة الى طاعة السيد قال فتر يد منه الجزاء قلت نعم بالواحد عشرة قال هذا في الدين فبج ولكن المسارعة الى طاعة سيدك أن لا يطالع على قلبك وأنت تريد منه شيئا سواه وعن جامع بن أحمد قال سمعت يحيى بن معاذ يقول العارفون رجالان رجل مسرور بانه عبده ورجل مسرور بانه ربه فالاول يفرح بالله من نفسه لنفسه والآخري يفرح بالله من الله الله وقال هذا سرور الخبير فكيف سرور النظر وعن علي بن محمد بن حاتم قال سمعت الجنيد يقول بت ليلة عند السري فلما كان في بعض الليل قال يا جنيد أنت قائم قلت لا قال الساعة أوقفني الله بين يديه وقال يا سري لم تدري لم خلقت الخلق قلت لا قال خلقت الخلق فادعوا كلهم في وادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل بهم من عشرة آلاف تسعة آلاف وبقي ألف خلقت الجنة فاشتغل من الالف تسعمائة بالجنة وبقيت مائة فسلطت عليهم شيئا من البلاء فاشتغل عني بالبلاء من المائة تسعون وبقيت عشرة فقلت لهم ما أنتم لا الدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتهم ولا من البلاء هربتم فقالوا فانك لتعلم ما تريد فقال اني أتزل بكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسي فتنبئون لذلك قالوا ألسنت الفاعل بنا قدر ضينا قلت فأنتم عبدي حقا وسئل يحيى بن معاذ عن أشهى المجالس والذها قال الجلوس في ميدان التوحيد يشم من رائحته المعرفة ويسقي من كأس المحبة سبحان الله ما أله من مجلس وأعذبه من شراب قيل فاي الطعام أشهى قال لقمة من ذكراته عز وجل في فم الصبي بتوحيد الله إرفعهما من مائدة الرضا عن الله عند النظر لكرامة الله تعالى قبل فم عبيد المؤمنين قال

السرور بالايمن والنزعة بالقرآن قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال السري السرور بالله هو السرور والسرور بغير الله هو الغرور وعن أويس الاعور قال رأيت رجلاً مجنوناً يلهى تدهو وتقول في دعائها أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك وعميت عينان لا يبكيان شوقاً اليك وجفت كفان لا يبتلان بالتضرع اليك ثم أنشأت تقول

يا حبيب القلوب أنت حبيبي * لم تزل أنت مني وسروري

وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول كنت في الطواف فرأيت ولها من المحنون وهو يقول حبك قتلتني وشوقك أتلقتني والاتصال بك اسقمني فبعدت قلوب تحب غيرك وذلك خواطراً أنت بسؤالك وقال ذو النون الانس بالله نور ساطع والانس بالناس سم قاطع وقال صالح المري رأيت رجلاً مجنوناً وقد كُتبت من وراء جيبها

أنت أنسى ومنيتي وسروري * قد أوى القلب أن يحب سواك

يا عز رزي ومنيتي واشتياقي * طال شوقي متى يكون لقاءك

ليس سؤلي من الجنان نعيماً * غـيراني أريد لها لاراك

وإذا على صدر جيبها مكتوب

حسب المحب من المحب بعلمه * ان الحبيب بيباه مطروح

والقلب منه ان تنفس في الدجا * بسهام لوعات الهوى مجروح

وعن علي بن سهل قال الانس بالله ان يستوحش من الخلق الامن أهل ولاية الله فان الانس بهم هو الانس بالله تعالى وقال الفضيل كفى بالله محبوا بالقرآن ونساو بالموت واعظا وكفى بخشية الله علما وبالاعتزاز بالله جهلا وعن ابراهيم الخواص قال لا تطمع في لبن القلب مع فضول الكلام ولا تطمع في حب الله مع حب المال والشوق ولا تطمع في الانس بالله مع الانس بالخلق وقال منصور بن عبد الله الاصمعي سئل الشبلي ما علامة صحة المعرفة قال نسيان كل شيء سوى معروفه فقيل ما علامة صحة المحبة فقال العجى عن كل شيء سوى محبوبه وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت علي بن قتادة يقول سمعت علي بن عبد الرحيم وسئل عن الفرق بين الحب والعشق فقال الحب لئلا تغمي عن رؤية غير المحبوب فاذا تناهى سمي عشقا وقال يوسف بن الحسين سمعت ذا النون يقول الشوق أعلى البرجات وأعلى المقامات اذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقا الى ربه وحبا للقاءه والنظر اليه وقال أبو عثمان في قوله تعالى ان أجل الله لآت هذه تعزية للمشتاقين معناه اني أعلم ان اشتياقكم الى غالب واني أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشاققون وعن عبيد الله بن مسلم قال قال مالك بن دينار خرجت يوما الى المقابر فاذا شابان بالسان يكتبان شيئا فقلت لهما نشدتكما الله أن أمان كتيبتما فقالا لا فسط مالك مغشيا عليه ثم أفاق فقال نشدتكما بالله ما كتيبتما في أسفل سطر مالك بن دينار طفيلي يحب المحبين لله فلما كان الليل أتيت في منامي فقال قد كتبت فيهم المرء مع من أحب وقال أبو علي الجوزجاني ثلاثة أشياء من عقد التوحيد الخوف والرجاء والمحبة فزيادة الخوف في ترك الذنوب لرؤية المحبوب وزيادة الرجاء في اكتساب الخير لرؤية الوعد وزيادة المحبة في كثرة الذكر لرؤية المنفعة الخائف لا يستريح من الهرب والراجي لا يستريح من الطامع والمحبة لا يستريح من ذكر المحبوب فالخوف نار منور والرجاء نور منور والمحبة نور الانوار وقال أبو الحسن الوراق المحبة شعبة من الايمان بالله وهو أصل الجميع مراتب الاولياء وقال تشعب المحبة من دوام ذكر احسان الله في ذكر على الدوام احسان الله اليه تنسرح المحبة عن قريب وقال أبو عبد الرحمن السلمي سمعت أبا الحسن الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول في معنى الحديث جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها فقال كيف لا يحبهم وما انفكت من تواتر نعمته قط ولا تنفك أبداً ولكن ضعف اليقين وكثرة المعرفة ونقص الايمان بحبك عن محبته والميل اليه وقال أبو سعيد الخزاز في هذا الحديث واعجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يحبل بكليته اليه وقال أبو عمر والزهري سألت الجنيدي عن المحبة قال تريد الاشارة قلت لا قال

تريد الدعوى قلت لا قال فايش تريد قلت عين المحبة قال ان تحب ما يحب الله في عباده وتكره ما يكره الله في عباده وعن بشر بن السري قال ليس من اعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لابي سالم بن الداراني بم نال أهل الجنة المحبة من الله عز وجل قال بالعفاف وأخذ الكفاف وقال أبو عبد الله النباجي سال رجل الفضيل متى يباغ الرجل غاية حب الله قال اذا كان عطاؤه اياك ومنعه سواء وقال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شياً من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة وقال بعض القراء رأيت عتبة الغلام ذات ليلة فسال يقول حتى أصبح ان تعذبني فاني محب لك وان ترجني فاني محب لك وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة التي لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة وقال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي وسئل عن المحبة فقال مالك الى الشئ بكيتك محبة له ثم اشارك له على نفسك ومالك ثم موافقت له سرا وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبك وفيما قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي قال وقال قوم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب قال وسئل روي عن المحبة فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قال لي ميت من سمعوا طاعة * وقلت لداي الموت أهلاً ومرحباً

سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهاني يقول سئل الحسن البوشنجي عن الحب فقال بذل المجهود مع معرفتك بالمحبوب والمحبوب مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء وقال أبو عبد الله المغربي تفكر ابراهيم عليه السلام ليلة من الليالي في شأن آدم عليه السلام فقال يارب خلقتك بيدك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملائت أقواه الناس حتى يقولوا وعصى آدم ربه فآوى الله اليه أن يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديد وقال وهيب أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك غير انه ليس لك عندي ذلك الوالد الذي كان وقال سعيد بن عثمان بن عباس سمعت ذا النون وقد قيل له متى يانس العبد ربه فقال اذا خاف أنس ربه أما علمت انه من واصل الذنوب نجى عن باب المحبوب وقال أيضاً ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا اليه ما رجعوا فازهد في الدنيا ترا العجب وقال أيضاً وجدت حجرة بيت المقدس عليها أسطر مكتوبة فبحثت الى من ترجمها فاذا هو كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل ففكرت في هذه فاذا هي أصول لكل ما استعبد الله الخلق به وقال أحمد بن عيسى الكلابي سمعت يحيى بن معاذ الرازي ينشد

ان المليك قد اصطفى خداماً * مشوّد دين موصلين كراماً * ورزقوا المحبة والخشوع لربهم
فترى دموعهم تسبح سبحاناً * يحبون لباهم بطول صلاتهم * لا يسأمون اذا انجلي ناماً
قوم اذا رقد العيون رأيتهم * صفوا الشدة خوفهم أقداماً * وتخالهم من طول سجودهم
يخشون من نار الاله ضراماً * شغفوا بحب الله بطول حياتهم * فتجنّبوا لوداده الاثاماً

وقال الجنيد قال رجل للسري كيف أنت فأنشأ يقول

من لم يبيت والحب خشوفاً * لم يدرك كيف تفتت الاكباد

وقال محمد بن العباس الضبي سمعت أبا بكر بن أبي عثمان يقول وقام في مجلسه رجل من أهل بغداد فقال يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه قال اذا خلعت خلفه كان صادقاً في حبه قال فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح فقال كيف ادعى حبه ولم أخل طرفه عين من خلفه قال فيكي أبو عثمان وأهل المجلس قال فجعل أبو عثمان يبكي وهو يقول صادق في حبه مقصر في حقه اه سياق الشعب وقد تركت منه كثيراً مما أوردته في أثناء كلام المصنف وفي كطب مصارع العشاق لابي محمد السراج في مصارع محبي الله عز وجل أنبأنا أبو القاسم الأزجى سنة ٤٤٠ أنبأنا أبو الحسن علي بن جعفر السيراني بحكمة قال حكى عن الجنيد انه قال أعرف من قتلته المحبة ولم يعرف المحبة فقلنا يقول الشيخ فقال قتله ما تحب فيه أخبرنا أبو القاسم الأزجى أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسن بن جعفر بحكمة سنة ٣٩٦ سمعت أحمد بن محمد يقول كان سهل يقول الناس ثلاثة صنوف مصنف منهم

مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابيه ينتظر الكرامة وصنف منهم مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابيه ينتظر العفو وصنف منهم مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة مضطجع على بابيه ينتظر العقوبة حدثنا أبو القاسم الأزجي حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة حدثنا محمد بن عبد الله الشكلى حدثني محمد بن جعفر القنطري قال ذوالنون بينا أنا أسير على ساحل البحر اذ بصرت بجارية عليها طمار شعر واذا هي ناحلة ذابلة قد نوت منها لاسمع ما تقول فرأيتها متصلة الاخران بالاشجان وعصفت الريح واضطربت الامواج وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقنا بحث ثم قالت سيدى بك تقرب المنقربون فى الخلوات ولعظمك سبحت الحيتان فى البحار الزاخرات والجلال قد سكت تصافقت الامواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شئ عندك بمقدار لانك الله العلى القهار

يامؤنس الاررار فى خلواتهم * ياخير من حلت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متبها * فرح الفؤاد متبها بابها
من ذاق حبك لا يرى متبها * فى طول خزن فى الحشا اشعال

فقلت لها زينا من هذا فقالت اليك عنى ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت

أحبك جبين حب الوداد * وحبا لانك أهل لذاك
فاما الذى هو حب الوداد * فحب شغلت به عن سواك
وأما الذى أنت أهل له * فكشفك للحبيب حتى أراك
فما الجدى ذاولا ذاك لى * ولكن لك الجدى ذاولا ذاك

ثم شغقت شهقة فاذا هي قد فارقت الدنيا فبقيت أتعب بما رأيت منها فاذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عيني فغسلنها ثم أقبلن بها الى أكفانها فقلن لى تقدم فصل عليها فقدمت وصليت عليها وهن خافى ثم احتملنها ومضين وأنشد محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ

أموت بدائى لا أصيب مداويا * ولا فرجا مما أرى من بلائيا
إذا كان داء العبد حب مليكة * فمن دونه يرجو طبيب ما مداويا
مع الله يمضى دهره مثل هذا * مطيعا تراه كان أو كان عاصيا
يقولون يحيى جن من بعد صحة * وما بى جنون بى خليل لى ما بيا

أخبرنا القاضي أبو الحسن التوزى أخبرنا بن يحيى حدثنا الحسين بن صفوان حدثنا بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال نظرت رابعة الى رباح القيسى وهو يقبل صبيما من أهله ويضمه اليه فقالت أتجبه يا رباح قال نعم قالت ما كنت أحسب ان فى قلبك موضعافارنا المحبة غيره قال فصاح رباح وسقط مغشيا عليه ومن طريق أبي القاسم بن مروان سمعت أحمد بن عيسى الخزاز يقول دعتنى امرأة لى غسل ولدها ذكرت انه أوصى بذلك فلما كشفت عنه الثوب قبض على يدي فقلت يا سبحان الله حياة بعد موت فقال ان المحبين لله تعالى أحياء وان قبرا ومن طريق الحسين بن علي بن يحيى بن سلام قال قىما ليحيى بن معاذ زوى عن رجل من أهل الخبر قد كان أدرك الاوزاعى وسفيان انه مثل متى تقع الفراسة على الغائب قال اذا كان محبا لما أحب الله مبعضا لما أبغض وقصت فراسته على الغائب فقال ليحيى

كل محبوب سوى الله سرف * وهجوم وغموم وأسف
كل محبوب فعنه خلف * ما خلا الرحمن مامنه خلف
ان للحب دلالات اذا * ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه * دائم الغصة محزون دنف

أشعث الرأس خيصر بطنه * أصفر الوجه والطرف ذرف
 دائم التذكير من حب الذي * حبه غاية غايات الشرف
 فإذا أمعن في الحب له * وعلاه الشوق من داء كنف
 بأشر المحراب يشكوه * وإمام الله مولاة وقف
 قائما قدما منه متصبيا * لهجائيتا لوبايات الصنف
 راكعا طور او طور اساجدا * باكا والدمع في الارض يكف
 أورد القلب على الحب الذي * فيه حب الله حقا فعرف
 ثم جالت كفه في شجر * ينبت الحب فسبح واقتطف
 ان ذا الحب لمن يعنى له * لالدار ذات لهو وطرف
 لا ولا الفردوس لا بالفها * لا ولا الحوراء من فوق عرف
 أخبرنا أبو الحسن بن النورى حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي حدثني علي بن أحمد بن جعفر قال أنشدنا ابن فراس
 لسمنون الحب

وكان فؤادي خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
 فلما دعا قلبي هو الـ آجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح
 رميت بين منك ان كنت كاذبا * وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
 فان شئت واصلني وان شئت لم تصل * فلست أرى قلبي لغيرك يصلح
 أخبرنا أبو بكر الخطيب حدثنا الحسن بن أبي بكر قال ذكر أبو عمر الزاهد أن سمنون الحب أنشده
 يامن فؤادي عليه موقوف * وكل همي اليه معروف
 يا حسرتي حسرة أموت بها * ان لم يكن اليك معروف
 أخبرنا أبو بكر الخطيب أخبرنا أبو نعيم أنشدني عثمان بن محمد العثماني أنشدني أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي
 لسمنون
 ولو قبل طأفي النار اعلم انه * رضالك أو مدنت لئامن وصالكا
 لقد مت رجلي نحوها فوطئتها * سرور الافي قد حطرت ببالكا
 أخبرنا أبو بكر الارستاني أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال قال منصور بن عبد الله دخل قوم على السبلي في
 مرضه الذي مات فيه فقالوا كيف تجد يا أبا بكر فأنشأ يقول

ان سلطان حبه * قال لا أقبل الرشا فساووه فديته * لم تعنى لحرشا
 أخبرنا عبد العزيز بن علي أخبرنا علي بن عبد الله الهمداني بكهة حدثني محمد بن ابراهيم الاصمعي بن بطرسوس
 سمعت أبا طالب يقول كنت مع سمنون وهو يتكلم في شيء من المحبة وقناديل معلقة فرأيت القناديل تشق بعضها
 بعضها حتى تكسرت وقال جعفر الخاردي حدثنا أحمد بن مسروق حدثنا محمد بن الحسين حدثنا عبد الله
 ابن الفرج العباد قال قلت لأبي اسمعيل الموصلي وكان نصرانيا قد أسلم على يدي فخرج الموصلي وحسن حاله أخبرني
 ببعض أسرار فبكي ثم قال أنحسبك عنه كان والله كهيئة الرمانين معلق القلب هناك ليست له في الدنيا راحة
 قلت على علي ذلك قال شهدت العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعد ما تفرق الناس ورجعت معه فنظرت الى الدخان
 يفر من نواحي المدينة فبكي ثم قال لقد قرب الناس فبانهم شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب
 ثم سقط مغشيا فبكت بقاء فمسحت به وجهه فافاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه الى السماء ثم
 قال قد علمت طول غمي وخزي وتردادي في أزقة الدنيا فبكي مني تحبسن أيها المحبوب ثم سقط مغشيا عليه فبكت بقاء
 فمسحت به وجهه فافاق فهاش بعد ذلك الا أياما حتى مات رحمه الله تعالى اه وقال القشيري في رسالته في باب
 المحبة فاما آقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم وقيل ايثار المحبوب على جميع

المحجوب وقيل مواطاة القلب اراد ان الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقال أبو زيد المحبة استغلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل الحب عانقة الطاعة ومباينة المخالفة وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحجوب على البذل من صفات المحب أشار به هذا الى استيلاء ذكر المحجوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب الا ذكر صفات المحجوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والاحساس بها وقال أبو علي الروذباري المحبة الموافقة وقال أبو عبد الله القرني حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وقال السبلي سميت المحبة محبة لانها تخرج عن القلب ما سوى المحجوب وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت السبلي يقول المحبة أن تغار على المحجوب أن يحبه مثلك وسميته يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول وسميته يقول سمعت النصر باذى يقول محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء وسميته يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت جعفر ايقول سمعت سمعون يقول ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة ما لا ينقص بالحق ولا يزيد بالبر وقال ليس بصديق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقط شروط الادب وفي معناه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشد

اذا صلت المودة بين قوم * ودام ولاؤهم سمع الشاء

سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا سعيد الارجاني يقول سمعت بندار بن الحسين يقول روي مجنون بن عاصم في المنام ف قيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني محبة على المحبين سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول قيل للنصر باذى ليس لك من المحبة شيء فقال صدقوا ولكن لي دسراهم فهو داء احترق فيه وسميته يقول قال النصر باذى المحبة في مجانبية السوء على كل حال ثم أنشد

ومن كان في طور الهوى ذاق سآوة * فاني من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء تلقى ممن وصالها * أمانى لم تصدق كل كلمة بارق

وقال محمد بن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب ويقال المحبة تشويش في القلب يقع من المحجوب ويقال المحبة فتنة تقع في القواد من المراد وأنشد ابن عطاء

غرست لاهل الحب غصنا من الهوى * ولم يك يدري ما الهوى أحد قبلي

فأورق أغصانا وأينع ضوءه * وأعقب لي مرا من الثمر المحلى

فكل جميع العاشقين هواهم * اذا نسبوه كان من ذلك الاصل

وقيل الحب أوله نخل وآخره قتل سمعت أبا علي الدقاق يقول في معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك للنبي يعنى وبهم فقال يعنى عن الغير غير وعن المحجوب هبة ثم أنشد

اذا ما بدالى تعاطفته * فاصدر في حال من لم يرد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحارث المحاسبي يقول المحبة يلك الى الشيء بكائيتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وسميته يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت عباس بن عصام يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول لا تصنع المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد لا آسرا أنا وقيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحجوب وقيل المحبة بذلك الجهود والحبيب يفعل ما يشاء وقال النوري المحبة هنك الاستار وكشف الاسرار وقال أبو يعقوب السوسي لا تصنع المحبة الا بالخرج عن رؤية المحبة الى رؤية المحجوب بقائه علم المحبة وجدت بخط الاستاذ أبي علي ان في بعض الكتب المنزلة ان الله يقول عبدى أنا وحقق لك محب فحقي عليك كن لي محبا وقال ابن المبارك من أعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع

وقيل المحبة ما يمتحق أن ترك وقيل المحبة سكر لا يصحوصاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند الشهود
لا يوصف وأنشدوا فاسكر القوم دور كاس * وكان سكرى من المدير
وكان الأستاذ أبو علي ينشد كثيرا

لى سكرتان وللذمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى
وقال ابن عطاء المحبة إقامة العتاب على الدوام وكان للأستاذ أبي علي جارية تسمى فيروز وكان يحبها إذ كانت
تخدمه كثيرا فسمعه يقول كانت فيروز تؤذيني يوما وتستطيل على لباسها فقال أبو الحسن القارى لم تؤذين
هذا الشيخ فقالت لاني أحبه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب
وحكى ان بعضهم عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل في وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى
فغمض التي لم تدمع أربعين سنة لم يفتحها عقوبة لأنها لم تبك على فراق حبيبته وفي معناه أنشدوا

بكت عيني غداة البين دمعاً * وأخرى بالبكاء بخلت علينا
فعاقت التي بخلت بدمع * بان أنغمضتها يوم التقينا
وقال بعضهم كلما ندبى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال كفوا عنى هذه المسئلة لأن سمعها النفوس فتدعيها
ثم أنشأ يقول الخوف أولى بالمسئى * اذا ناله والحرزن
والحب يحمل بالتقى * وبالنقى من الدرن

وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعى وقيل ادعى رجل الاستهلاك في محبة شاب فقال له
الشاب كيف هذا وهذا أخى أحسن منى وجهها وأتم جلالا فرفع الرجل رأسه يلهث وكان على سطح فألقاه من
السطح وقال هذا جزاء من يدعى هو أنا وينظر الى سوانا وقال أبو بكر البكائي حوت مسئلة في المحبة بمكة أيام الموسم
فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقى فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم
قال عمدا ذهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر اليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا مشربه
من كائن وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فبالله وان تحرك فبأمر الله وان
سكن فمع الله فهو بالله والله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا ما على هذا من يدجرك الله يا تاج العارفين وقال أوحى الله
الى داود عليه السلام يا داود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى أخبرنا حزة بن يوسف السهمي
أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم حدثنا هشيم بن همام حدثنا إبراهيم بن الحرث حدثني عبد الرحمن بن عفان حدثني
محمد بن أيوب حدثني أبو العباس خادم الفضيل قال احتبس بول الفضيل فرفع يده وقال اللهم بحبي لك ألا طلقته
عنى قال فصار حنا حتى شفى وقبل قالت رابعة في مناجاتها الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فتهفبها هاتف ما كفا
نفعك هكذا فلا تطنى بناطن الدوم وقيل الحب حرفان عامو باء فلاشارة فيه ان من أحب فليخرج عن روحه وبدنه
وبالاجتماع من اطلاق القوم ان المحبة هي الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقاب والمحبة توجب انتفاء
المباينة فان الحب أبد مع محبوبه سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت
أبا عثمان الحيرى يقول سمعت أباحفص يقول أكثر فساد الاحوال من ثلاثة أشياء فسق العارفين وخيانة
المحبين وكذب المريدين قال أبو عثمان فسق العارفين اطلاق الطرف والاسان والسمع الى أسباب الدنيا ومنافعها
وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورويتهم
يغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورؤيته هذا ما أورده في باب المحبة وقال في باب الشوق سمعت الأستاذ أباعلى يفرق
بين الشوق والاشتياق ويقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية والاشتياق لا يزول باللقاء وفي معناه أنشدوا

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته * حتى يعود اليه الطرف مشتاقا
سمعت أباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت النضر باذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق
ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار وقيل جاء أحمد الاسود الى ابن المبارك فقال رأيت

في المنام كأنك تموت الى سنة فاستعد للخرج فقال ابن المبارك لقد أحلستنا على أم عبد أعيش أنا الى سنة
لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقي يعني أباعلى رحمه الله تعالى
يا من شكك شوقه من طول فرقه * اصبر لعلك تلقى من تحب غدا

وقال يحيى بن معاذ علامة الشوق فطام الجوارح من الشهوات سمعت الأستاذ أباعلى الدقاق يقول خرج داود
عليه السلام يوما الى بعض الصحارى منفردا فأوحى الله اليه مالى أراك وحدانيا فقال استأثر بالشوق الى لقاءك
على قلبي فخال بيني وبين صحبة الخلق فأوحى الله اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتني بعبد أبى أثبتك في اللوح
المحفوظ جهنما وقيل كانت عجوز قدم بعض أفاريها من السفر وأظهر قومها السرور والعجوز تسكى
فقبل لها وما يبكيك قالت ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله عز وجل وسئل ابن عطاء عن
الشوق فقال احتراق الاحشاء وتلهب القلوب وتقطع الأضداد وسئل أيضا الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لان
الشوق منها يتولد وقال بعضهم للشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسبح على الملهقة فاذا وقع اللقاء طفي وإذا كان
الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطررها الشوق وقال فارس فلو لم يستأقن منورة بنو الله فاذا تحرك
اشتباقتهم أضاء النور ما بين السماء والارض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول هؤلاء المشتاقون الى
أشهدكم اني اليهم أشوق وسمعت الأستاذ أباعلى يقول في قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الشوق الى لقاءك
قال كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق في الناس فاذا كان يكون ذلك الجزء أيضا فغاران
يكون شطبة من الشوق لغيره وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحبوبين ولهذا قيل
وأبرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الخيام من الخيام

وقيل ان المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهادة سمعت
ابن الحسين يقول سمعت عبد الله بن علي يقول سمعت جعفر يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول
الشوق أجل مقام العارف اذا تحقق فيه واذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عن اشتاق اليه وقيل أوحى
الله الى داود عليه السلام قل لشبان بني اسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق اليكم ما هذا الجفاء سمعت
الأستاذ أباعلى يقول بكى شعيب عليه السلام حتى عوى فرد الله بصره عليه ثم بكى حتى عوى فرد الله عليه بصره ثم
بكى حتى عوى فأوحى الله اليه ان كان هذا البكاء لاجل الجنة فقد أبغتها لك وان كان لاجل النار فقد أعدت لك منها
فقال لا بل شوقا اليك فأوحى الله اليه لاجل ذلك أخذ منك نبي وكلامي عشر سنين وقيل من اشتاق الى الله اشتاق
اليه كل شيء وفي الخبر اشتاقت الى ثلاثة علي وعمار وسلمان وسمعت الأستاذ أباعلى يقول قال لنا بعض المشايخ
أنا أدخل السوق والأشياء تشتاق الى وأنا عن جميعها حرة سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن
فرحان يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل من أي شيء يكون بكاء المحب اذا أتى المحبوب فقال انما يكون ذلك
سرورابه ووجدا من شدة الشوق اليه ولقد بلغني ان أخوين تعانقا فقال أحدهما واشوقاه وقال الآخر
وواجهه فهذا ما يتعلق بالشوق وقال في باب الرضا ما نصه قد تكلم الناس في الرضا وكل عبر عن حاله وشربه فهم
في العبارة عنه مختلفون كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون فامشروط العلم والذي هو لا بد منه فالراضي
بالله هو الذي لا يعترض على تقديره سمعت الأستاذ أباعلى يقول ليس الرضا ان لا تحس بالبلاء انما الرضا ان
لا تعترض على الحكم والقضاء وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا سمعت الأستاذ أباعلى
يقول قال تلميذ لاستاذ هل يعرف العبد ان الله راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاء غيب فقال التلميذ يعلم
ذلك فقال كيف قال اذا وجدت قلبي راضيا عن الله علمت انه راض عني فقال الأستاذ أحسنت يا غلام وقال
النصر ياذي من أراد ان يباغ محل الرضا فليزعم ما جعل الله رضاء فيه وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين رضا
به ورضاء عنه فالرضاء مدبرا والرضاء عنه فيما يقضى وسمعت الأستاذ أباعلى يقول طريق السالكين أطول
هو طريق الرياضة وطريق الخواص أقرب لكنه أشق وهو ان يكون ذلك بالرضا والرضا بالقضاء وقال رومي

الرضا لو جعل الله جهنم عن يمينه ما سأل ان يحولها الى يساره وقال الواسطي استعمل الرضا جهنم ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجور بالذنه ورويته عن حقيقة ما اطالع أي لان السكون عندهم الى الاحوال محجوب عن محو الاحوال فاذا استلذ رضاه وجد بقلبه راحة الرضا فحجب بحاله عن شهود حقه واقد قال الواسطي أيضا يا كرم واستحلاء الطاعات فاتهم سموم قاتلة وقيل قال الشيبلي بين يدي الجنة دلا حول ولا قوة الا بالله قال الجنة يد قولك ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء وقال أبو سليمان الرضا ان لا تسأل الله الجنة ولا تستعذب به من النار وقال ذوالنون ثلاثة من اعلام الرضا ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المراجعة بعد القضاء وهيجان الحب في حشو البلاء سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادي يقول سمعت اسمعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبردي يقول قيل للحسين بن علي بن أبي طالب ان اباذر يقول انظر أحب الي من الغنى والسقم أحب الي من الصحة فقال رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له لم يمتن غير ما اختار الله له وقال أبو عمر الدمشقي الرضا ارتفاع الخزع في أي حكم وقال ابن عطاء الرضا انظر القلب الى قديم اختيار الله لعبده وهو ترك الخط والروم الرضا استقبال الاحكام بالفرح وقال المحاسبي الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحكام وقال النوري الرضا سرور القلب بمر القضاء وقال الجري من رضى بدون قدره رفعه الله فوق غايته وقال أبو تراب الخشبي ليس ينال الرضا من الدنيا في قلبه مقدار وقال أبو عثمان الجري منذ أربعين سنة ما أفمنى الله في حال فكرهته وما تفتني الى غيره فسخطته اه ما قاله القشيري في الرسالة ومما نقلته من كتاب قوت القلوب قال الرضا هو حال الموفق واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا نذب النبي صلى الله عليه وسلم لم ابن عباس في وصيته له فقال اعمل بالله باليقين في الرضا فان لم يكن فان في الصبر خيرا كثيرا فرفعته الى أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال ابن عمر اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك نذبه الى المشاهدة وهو الاحسان ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهو مكان العلم بان الله تعالى براه وايسر بعد هذا مكان يوصف وكان سهل يقول أعرف في الموتى مقبرة عظيمة ينظرون الى منازلهم من الجنان في قبورهم وبعدي عليهم وراح برزقهم من الجنة وهم في هموم وكر وب في البرزخ لو قسمت على أهل البصرة لما تواجدوا جميعا قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مسلمين الا انه لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب وقال لقمان في وصيته ومن يفوض أمره ورضى بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يديه ورجليه اكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره من الرضا سرور القلب بالتمسك بالحق في جميع الامور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا وقناعة العبد بكل شيء من اغتيابه بمقامه من ربه وفرحه بقيام الله مولاه عليه واستسلام الفعل للمولى في كل ورضاء منه بآذني شيء وتسليمه الاحكام والقضايا باعتماد حسن التدبير وكال التقدير فيها وتسليم العبد لمولاه ما في يده رضا بحكمه عليه وأن لا يشكو السيد الكريم الى العبد اللئيم ولا يتبرم به بل الحبيب ولا يفقد في كل شيء حسن صنع القريب وذكر عند رابعة رجها الله تعالى عابده عند الله تعالى منزلة وكان قوته ما ينقسم من ضربه لبعض ملوكهم فقال رجل عندها فاضر هذا اذا كانت له منزلة أن يسأله فيجعل قوته في غير هذا فقال له اسكت يا بطال اما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه أن يتخيروا عليه أن ينقلهم من معيشته حتى يكون هو الذي يختار لهم وقد قال أيضا وليس القرني رحمه الله تعالى فيمار ويناه عنه وقال الامام قال الى أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعنا ما عصانا وقال الله تعالى في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعبأوا الصالحات أي يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة وحكي لئان بعض العارفين بحبه رجل في الطريق فعبث بشئ فتجاء عن مكان الى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت أحدثت في الملائكة غير ضرورة ولا سنة لا تعجبني أبدا وأعمال طلاب الرضا من الله تعالى مضاعفة على أعمال المجاهدين في سبيل الله لان أعمال المجاهدين تضاعف الى سبع مائة ضعف وتضعف طالبي الرضا لا يحصى قال الله عز وجل يضاعف ابن يساعف وقال تعالى فيضاعف له أضعاfo كثيرة قبل الحسنة الى ألف حسنة وقد قال الله

تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم قال وهو
أصدق القائلين مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة فيكم في هذه
الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم يضاعف لمن يشاءهم أهل الرضاعة وهم الذين اقترضوا
الله قرضاً حسناً لاجله فضاعف لهمضاعف كثيرة وهم الذين يغفروهم لاجله فدخلوا في قوله تعالى يغفر لمن يشاء
فمن عطف عن الله تعالى حكمته كان مع الله في حكم مسأله ما شهد لانه تعالى باختيار انشاء الاشياء وبمشيئته
بدأها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور ولا يكون مع نفسه فيماتن هو ولا مع معتاده وعرفه فيما
يعقل وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة اني كثير الغفلة قليل المسارعة الى مرضاته فافوض بشئ
أعمله أدرك به ما يفوتني من هذا فقال يا أخي ان استطعت أن تحبب الى أولياء الله وتقرّب من قلوبهم فافعل
لعلهم به يحبونك فان الله ينظر الى قلوب أوليائه في كل يوم سبعين نظرة فلعله ينظر اليك في قلوبهم لمحبتهم لك
فيحبوك حياة الدنيا والآخرة اذا لم تكن ممن ينظر اليه كفاحاً وكذلك يقال ان الله تعالى ينظر الى قلوب
الصدقين والشهداء ف هؤلاء الذين عرفوه به اقرّبهم منهم ولدوام نظرهم اليه فهو وجههم ثم ينظر الى
قلوب قوم من قلوب قوم آخر ف هؤلاء الذين عرفوه بهم وأحبوه من محبتهم فهم وجههم اليه وأدلتهم عليه
فيعطهم نصيباً من نصيبهم كما أعطاهم شهادة ووجدان علمهم ورويان عن بعض الجبارية من العناية في فرط
كرم الله وغاية حلمه ان جباراً من الملوك قطع رعيته سنين فسكوا ذلك اليه فخرج بهم الى الصحراء فرفع رأسه
الى السماء وقال يا ساكن السماء اتسقين الغيث أو لنؤذيك فقال له وزرؤه كيف تؤذيه وهو في السماء
وأنت في الارض فقال اقل أولياءه من أهل الارض فيكون ذلك أذى له فارسل الله تعالى عليهم السماء بكرمه
وجوده ومن حسن الادب والمعاملة اذا عملت صالحاً فقل أنت استعملتني وبحولك وقوتك وحسن توفيقك
أطعك لان جاري جنودك واذا عملت سيئاً فقلت ظلمت نفسي وهو اي وشهو في اجترحت بجوارحي وهي
صفاتي ثم تعتقد في ذلك انه بقدره ومشيئته كان ما قضى فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون
في الحالين عاملاً مرضيه بالقول والعقود وينتفي عنك العجب في أعمالك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك
بظلمك وقد تغلب هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسناً شاهد نفسه ونظر الى حوله وقوته فاذا عمل سيئاً لم
يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم فلم تصح له توبة ولم يرض له عمل نعوذ بالله من مشاهدة الضلال هذا
ما أورده في باب الرضا وقال في احكام المحبة ووصف أهلها اعلم ان المحبة من الله لعبده ليست كحبة الخلق
تكون حادثة لاحد سبع معان لطبع أو لحسن أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم مائة أولي قرب ذلك الى الله
تعالى فهذه حدود الشئ الذي شبه الشئ والله تعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشئ منه اذ ليس كمثل شئ في كل
شئ ولان هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لاسباب عليهم داخله وقد تتغير لتغير
الاقوات وتقلب لانقلاب الاوصاف ومحبة الله تعالى سابقة لاسباب عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن
عناية العلياء لا تتغير أبداً ولا تتقلب لاجل ما بدأ القول تعالى ان الذين سبقتم من الحسنى يعني الكلمة الحسنى
وقيل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سبق منهم بل سبقت كل سابقة بقول كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم
رشده من قبل وكلمة عالمين وقال لهم قدم صدق عند ربهم وقال في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا
يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه به منهم علم لان علمه سبق العلوم ومحبة
لاوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم ينتهي مع ذلك خاصية حكم من أحكامه في يد من فضل اقسامه خالصة
لخالصين وموزنة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤل الى مقعد صدق عند صادق للسالكين ليس لذلك سبب
معمول ولا لاجل عمل معمول بل يجري مجرى سر القدر واطف القادر وافشاء سر القدر وكفر فلا يعلمه الا انبي أو
صديق ولا يطالع عليه من يظهر وما ظهر في الاخبار من الاسباب فانما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب
من أولى الالباب وانما هي تبصرة وذكرى للمنيبين وتزودو بلاغ للعابدين وانما تستبين المحبة وتظهر

للعبد بحسن توفيقه وكلاعة عصمة مولائهم تعاليمه من غرائب علمه وخفايا عظمته وفي سرعة رد هم اليه في كل شيء ووقوفهم عنده ونظرهم اليه دون كل شيء وكثرة استعمالهم بحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صلواته ولطيف تعريفه لهم مكنون أسرارهم وقبوحه لافكارهم عن بواطن انعامه واستخراجهم منهم خالص شكره وحقيقة ذكره من عين اليقين فهذه طرقات المحبين له عن تشويق اطلاعهم بالحجة مزبذبات من المحب الأول وهو الله سبحانه لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته وأحققيقة علم بهب له كما قال اخوة يوسف حين عرفوا محبة الله عليهم بالله لقد أتوا الله علينا ثم قالوا وان كنا خاطئين فذكروا سالف خطايانا هم وأنه آتاه بما لم يؤثروا بهم وقال الله تعالى في موهبة له آتيناها حكموا علما وكذلك تجزي المحسنين فذكر ما سلف من احسانه لآثاره وذكر بعض من ينتمى الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له أرايت هذا الذي تذكر محبته اهتممت بسواه قال نعم قال فهل رأيت في ليلة مرتين وثلاثا قال لا قال لولا اني استحيي لآخذ بترك ان محبتك معلولة ختم بسوى حبيبك ولا تراه في نومك قال لكن أعرف من لا يدعى محبته وعلى ذلك ما أهتم بسواه منذ عرفه ورى آثاره في ليلة سبع مرات وانما لم يهتم المحب بسواه من قبل انه لا ينساه فكيف يذكره من لا ينساه بل هو منذ كوربذا كرا لا ذا كرا بتد كبير أوتد كروهنا افضح المدعون وانكشف المستورون ان اهتم بغيره فقد نسبه والحبيب لا ينسى لانه لازم لهم مستشعر بالقلب ملاحظ في العين هو الناظر والمنظور وهو السامع والمسموع وهو الشاهد والمشهد وهو الواحد والوجود كما قال بعض المحبين

ليس في القلب والعيان جميعا * موضع فارغ غير الحبيب

وهو سقمى وصحنى وشغافى * وبه العيش ما حبيت يعايب

فن كان هذا وصفه من العين والقلب والروح فمحال أن ينسى ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب أم كيف يحول بغيره اللهم كيف وقد روي في الخبر المناق لا يذكر حتى يذكروا إذا ترك نسي ولا تكونوا كاليهود إذا قرئت عليهم التوراة مادوا لها فإذا رفعت لم يكن وراء ذلك شيء اه ما في القوت

* (فصل) قد تقدم للمصنف رحمه الله تعالى في أثناء الفصل الرابع من هذا الكتاب ان المحبة ثمرة المعرفة فلزم أن ننسكهم على مقام المعرفة ونذكر آفاقا ويل الشيوخ فيه وقد ذكر صاحب القاموس منها جملة في كتاب البصائر والقشيري في الرسالة فلنذكر سياق البصائر أولا فانه مشتمل على أكثر ما أورده القشيري مع زيادة توضيح وبيان فاقول قال صاحب البصائر الفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين ان المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبيه ومقتضاه فلا يطلعون المعرفة على مدلول العلم وحده بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاقها وقواطعها وحال مع الله يشهد له بالمعرفة فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه باسمائه وصفاته وأفعاله ثم صدق الله في معاملاته ثم أخلص له في قصوده ونياته ثم انسب من أخلاقه الرديئة وآفاته ثم تظهر من أوساخه وادارانه ونخالته ثم صبر على أحكامه في نعمه وبلبانه ثم دعا الله على بصيرة بدينه وإيمانه ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشهد بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم ولم يزن بها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة وإذا سمى به غيره فعلى الدعوى والاستعارة وقد تسكوا في المعرفة بآثارها وشواهد هافة قال بعضهم من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة فن ازدادت معرفته ازدادت هيبة وقال أيضا المعرفة توجب السكينة وقيل علامتها أن يحس يقرب قلبه من الله عز وجل فيجده قريبا منه قال الشبلي ليس لعارف علاقة ولا لمحبة شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف فرار ولا لاحد من الله فرار وهذا كلام جيد فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بغيره فلا يتبقى فيه علاقة بغيره ولا تمر به العلائق الا وهي مجتازة وقال أحمد بن عاصم من كان بالله أعرف كان من الله أخوف ويدل على هذا قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله صلى الله عليه وسلم أنا أعرفكم بالله وأشدكم لله خشية وقال آخر من عرف الله ضاقت عليه الارض بسعتها وقال غيره

من عرف الله اتسع عليه كل ضيق ولا تنافي بين هذين الكلامين فإنه يضيق عليه كل مكان لا تساعه فيه على شانه ومطلوبه ويتسع له ماضق على غيره لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه فقلبه غير محبوس فيه والاول في بداية المعرفة والثاني في غايتها التي يصل اليها العبد وقال آخر من عرف الله تعالى صفاته العيش وطاب له الحياه وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخاوف وأنس بالله قال غيره من عرف الله فرت عينه بالله وقرت به كل عين ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ومن عرف الله لم تبق له رغبة فيما سواه وعلامة العارف ان يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي دعى الى الايمان به فعلى قدر جلاء تلك المرآة يترأى له فيها سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل كما قبل

اذا سكن الغدير على صفاء * فيشبهه ان يحركه النسيم
بدت فيه السماء بالامراء * كذا الشمس تبدو والنجوم
كذا قلوب أرباب التجلي * يرى في صفوها الله العظيم

ومن علامات المعرفة أن يبدو لك الشاهد وتفنى الشواهد وتنجلي العلائق وتنقطع العوائق ويجلس بين يدي الرب ويقوم ويضطجع على التأهب للقائه كما يجلس الذي قد شد أجماله وازمع السفر على تاهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه ومن علامات العارف ان لا يطالب فلا يخاصم ولا يعاقب ولا يرى له على أحد حق أو ان لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت لانه ينظر في الأشياء بعين الفناء والزوال وانها في الحقيقة كالظلال والخيال وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بطوهر البر والفاجر كالسحاب يظل كل شيء وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين بكائه على نفسه وثنائه على ربه وهذا من أحسن ما قيل لانه يدل على معرفته بنفسه وعلى معرفته بربه وجماله وجلاله فهو شديد الازراء على نفسه لهيئ الشاء على ربه وقال أبو يزيد بن عطاء ما لولا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ماله يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله تعالى وقال الآخر لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطى ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفه عين وهو هذا يحتاج الى شرح فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن اذا كان اشغاله بغير الله فذلك اشغال بالله وقال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة اركان الهيبة والحياء والانس وقيل العارف ابن وقته وهو ذا من أحسن الكلام وأخصره فهو مشغول بوظيفة وقته عمامضى وصار في العدم عمام يدخل بعد في الوجود فهمه عماره وقته الذي هو مادة حياته الباقية ومن علاماته أنه يستوحش ممن يقطعه عنه ولهذا قيل العارف من أنس بالله فو حششه من الخلق واقتصر الى الله فاغناه عنهم وذلك لله فاعزة فيهم وتواضع لله فرفعه بينهم واستغنى بالله فاحوجهم اليه وقيل العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول يعني ان العالم علمه أوسع من حاله وصفته والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره وقال أبو سليمان الداراني ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي وقال ذو النون لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله وقال بعضهم رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وهذا كلام ظاهر منكر يحتاج الى شرح فان العارف لا يرائى الخلق طلبا للمنزلة في قلبه وانما يكون ذلك منه نصيحة وارشاد وتعليم فهو يدعو الى الله بعلمه كما يدعو الى الله بقوله واخلاص المريدين مقصور على نفسه وقال ذو النون الزهاد مملوك الآخرة وهم فقراء العارفين وسئل الجنيد عن العارف فقال لون الماء لون انائه وهذه كلمة رتبها الى حقيقة العبودية وهو أنه يتلون في أقسام العبودية فبينما تراه مصليا اذا رأته ذكر أو قارئا متعلما ومجاهدا وحاجا ومساعد الضعيف ومعيننا للمجاهد في كل غنيمة بسهم فهو مع المنسبين منتسب ومع المتعلمين متعلم ومع الغزاة غاز ومع المسلمين متصل ومع المتصدقين متصدق وهكذا ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية وهو مستقيم على عبوديه واحدا لا ينتقل عنه الى غيره وقال يحيى بن معاذ العارف كائن بان وقد فسر كلامه على وجوده منها انه كائن مع الخلق بظاهرة بان عن نفسه ومنها انه كائن مع ابتناء الآخرة بان عن ابتناء الدنيا ومنها انه كائن مع الله بموافقته بان عن الناس بمخالفته

ومنها انه داخل في الاشياء خارج عنها يعني المراد لا يقدر على الدخول فيها والعارف داخل فيها خارج منها وقال
 ذو النون علامة العارف ثلاثة لا يطفى نور معرفته نور ورعه ولا يعتد باطن من العلم ينقص عنه ظاهرا من
 الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله على هنك أستار محارم الله وهذا أحسن ما قيل في المعرفة وقال ليس بعارف من
 وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا يريدانه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء
 كانوا عبادا أو من أبناء الدنيا وسئل ذو النون عن العارف قال كان ههنا وذهب فسهل الجنيد عن معناه
 فقال لا يحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن السفل في المنازل فهو مع أهل كل منزل على الذي هم فيه يجد
 مثل الذي يجدون وقال بعض السلف نوم العارف يقظة وأنفاسه تسبح ونومه أفضل من صلاة الغافل وإنما
 كان نومه يقظة لأن قلبه حي فمينه ثمان وروجه ساجدة تحت العرش بين يدي ربه وإنما كان نومه أفضل
 من صلاة الغافل لأن بدنه في الصلاة واقف وقلبه يسبح في خشوش الدنيا والاماني وقيل بحالسة العارف تدعوك
 من ست الى ست من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الغفلة الى الذكر ومن الرغبة في الدنيا
 الى الرغبة في الآخرة ومن الكبر الى التواضع ومن سوء الظن به الى النصيحة انتهى كلام صاحب البصائر
 وزاد القشيري في الرسالة وقال السبلي وقد سئل عن المعرفة أولها الله وأخرها ما لا نهاية له وقال أبو حفص
 الحداد منذ عرف الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل وهذا في ظاهره اشكال واجل ما يحتمله ان عند
 القوم المعرفة فوجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلا يشهد غير الله ولا يرجع الى غيره كما
 ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتدكره فيما يسخله من أمر ويستقبله من حال فالعارف رجوعه الى ربه
 فاذا لم يكن مشغولا به لم يكن راجعا الى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له وفرق بين من عاش بقلبه
 وبين من عاش بربه وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوكة اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها
 أذلة وهذا معنى ما أشار اليه أبو حفص وقال أبو زيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لانه محبت رسومه
 وفنيت هو يتسه لهو به تغيبه وغيب آثاره بآثار غيره وقال الواسطي لانصح المعرفة في العبد استغناء
 بالله وافتقار اليه أراد بهذا ان الافتقار والاستغناء بالله من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لانها من صفاته
 والعارف محي في معرفته فكيف يصح له ذلك وهو لا يستهلاكه في وجوده أولا استغراقه في شهوده وان لم
 يبلغ الوجود مخنطف عن احساسه فكل وصف هو له ولهذا قال الواسطي أيضا من عرف الله انقطع به بل خوس
 وانقطع وقال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك هذه صفات الذين بعد مرماهم فاما من تزول عن هذا
 الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا وقيل من عرف الله ذهب عنه رغبة الاشياء وكان بلا فصل ولا
 وصل وقيل المعرفة فوجب الحياء والتعظيم كما ان التوحيد فوجب الرضا والتسليم وقال ذو النون معاشره
 العارف كما معاشره الله تعالى يحملك عنك تعلقا باخلاق الله عز وجل وسئل ابن بزدا ينار متى يشاهد العارف
 الحق فقال اذا بدأ الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الحواس واضمحلت الاخلاص وقال الخلاج علامة
 العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة وقال سهل غاية المعرفة شيان الدهش والخبرة وقال ذو النون
 اعرف الناس بالله أشدهم تحبرفيه وقال رجل للجنيد من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب
 البر والتقوى فقال هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهو عندي عظيم والذي يسرقو زني أحسن حالا
 من الذي يقول هذا ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرزرة وقيل لابي يزيد بما ذالت هذه المعرفة
 فقال يبطن جائع وبطن عار وقال أيضا العارف طيار والزاهد سيار وقيل العارف تبكي عينه ويضحك قلبه
 وقيل العالم يقتدي به والعارف يمتدى به وقال السبلي العارف لا يكون لغيره لاحظا ولا كلام غيره لافظا
 ولا يرى لنفسه غير الله حافظا وقال أبو الطيب المسامري المعرفة طلوع الحق على الاسرار بمواصلة الانوار وقال
 أبو بكر الوراق سكرات العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب وسئل أبو يزيد عن العارف فقال لا يرى في نومه
 غير الله ولا في يقظته غير الله وسئل أبو تراب النخعي عن العارف فقال الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء وقال

أبو عثمان المغربي العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب وقال بعضهم المعرفة أمواج تغط وترفع
وتغط وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود وقال محمد بن الفضل المعرفة متجربة القلب
مع الله تنتهي وبه تم كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصلوات وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما قال مؤلفه نجيز من
تسويده في الثالثة من ليلة الاربعاء ثاني محرم الحرام افتتاح
سنة ١٢٠١ أرانا الله خبرها وكلما ناضرها
قال ذلك وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى
الحسيني غفرت ذنوبه وسترت
عبوبه بمنه وكرمه آمين
حامدا لله ومصليا
ومسلما

* (تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر أوله كتاب النية والاخلاص والصدق) *

﴿ فهرست الجزء التاسع من كتاب اتحاف السادة المتقين شرح أسرار أحياء علوم الدين ﴾

صحيفة	صحيفة
١٧٤ الفن الثاني إستقراء الآيات .	٢ كتاب الصبر والشكر .
١٩٦ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف	٣ الشطر الأول في الصبر
بيان حقيقة الخوف	٤ بيان فضيلة الصبر
٢٠١ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف	٨ بيان حقيقة الصبر ومعناه
٢٠٤ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه	١٤ بيان كون الصبر نصف الإيمان
٢٠٨ الطبقة الثانية من الخائفين	١٦ بيان الاسامي التي تتجدد للصبر
٢٠٩ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه	١٧ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف .
٢١٦ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما	٢٠ بيان مظان الحاجة إلى الصبر .
٢٢١ بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف	٣٣ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
٢٣٤ بيان معنى سوء الخاتمة	٤٦ الشطر الثاني من الكتاب في الشكر
٢٤٤ بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والانبيا عليهم السلام في الخوف	الركن الأول في نفس الشكر
٢٥٠ بيان أحوال الصعابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف رضى الله عنهم	بيان فضيلة الشكر
٢٦٣ كتاب الفقر والزهد	٤٩ بيان حد الشكر وحقيقته .
٢٦٥ الشطر الأول في الفقر	٥٥ بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر
٢٦٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه	٦٣ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
٢٧٢ بيان فضيلة الفقر مطلقاً	٧٨ الركن الثاني من أركان الشكر
٢٨٢ بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين بالقانعين والصادقين	٧٨ بيان حقيقة النعمة وأقسامها
٢٨٥ بيان فضيلة الفقر على الغنى	٩٩ بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها
٢٩٤ بياب آداب الفقير في فقره	١٢٩ بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر
٢٩٦ بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال	١٣٥ الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر
٣٠٢ بيان تحريم السؤال من غير ضرورة	١٣٥ بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
٣٠٩ بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال	١٤٧ بيان فضل النعمة على البلاء
٣١١ بيان أحوال السائلين	١٥٠ بيان الأفضل من الصبر والشكر .
	١٦٣ كتاب الرجاء والخوف
	١٦٤ الشطر الأول في الرجاء
	١٦٤ بيان حقيقة الرجاء والترغيب فيه
	١٦٨ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
	١٧٢ بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء

صحيفة

- ٣١٧ الشطر الثاني من الكتاب في الزهد
بيان حقيقة الزهد
٣٢٤ بيان فضيلة الزهد
٣٣٧ بيان درجات الزهد وأقسامه .
٣٤٩ بيان فضيلة الزهد فيما هو من ضروريات الحياة
٣٧٢ بيان علامات الزهد
٣٨٤ كتاب التوحيد والتوكل
٣٨٦ بيان فضيلة التوكل
٣٩٠ بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل
وهو الشطر الأول من الكتاب
٤٦٠ الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل
٤٦٠ بيان حال التوكل
٤٦٨ بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل
٤٧٣ بيان أعمال المتوكلين
٤٧٤ الفن الأول في جلب النافع
٤٩٢ بيان توكل المعيل
٤٩٩ بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالاسباب
٥٠٠ الفن الثاني
٥٠٦ الفن الثالث مباشرة الاسباب الدافعة للضرر
٥١٠ بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم
٥١٥ الفن الرابع في ازالة الضرر
٥٢١ بيان ترك التدابي قد يحمي في بعض الاحوال
٥٣٠ بيان الرد على من قال ترك التدابي أفضل
بكل حال
٥٣٦ بيان حكم التوكل في اظهار المرض وكماته
٥٤٤ كتاب المحبة والشوق والانس والرضا

صحيفة

- ٥٤٦ بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى
٥٥٠ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى
محبة العبد لله تعالى
٥٥٩ بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده
٥٧١ بيان ان أجل اللذات وأعلاها معرفة الله
تعالى والنظر الى وجهه الكريم
٥٧٩ بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة
على المعرفة في الدنيا
٥٨٥ بيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى
٥٩٤ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب
٥٩٥ بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن
معرفة الله تعالى
٦٠٢ بيان معنى الشوق الى الله تعالى
٦٠٩ بيان محبة الله للعبد ومعناها
٦١٥ القول في علامات محبة العبد لله تعالى
٦٣٨ بيان معنى الانس بالله عز وجل
٦٤١ بيان معنى الانبساط والادلالات الذي تثمره
غلبة الانس
٦٤٦ القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى
٦٤٨ بيان فضيلة الرضا
٦٥٤ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى
٦٦٣ بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا
٦٦٩ بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان
المعاصي وان مذمتها لا يقدر في الرضا
٨٧٣ بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم
ومكاشفاتهم
٦٨٠ خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق
بنتفع بها